هذه المادة هي تفريغ صوتي للمحاضرات ولم تُراجَع من قِبَل الشيخ

وهي للمدارسة فقط

الجزء الثاني

من باب (19)

تَفْرِيع مَعْرِفَةِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَشَرَائِـعِ الدِّينِ

إلى باب: (46)

تَرْك الْبَحْثِ وَالتَّنْقِيرِ عَنِ النَّظَرِ فِي أَمْرِ القَدَر كَيْفَ؟ وَلِمَ؟ بَلِ الْإِيمَانُ بِهِ وَالتَّسْلِيمُ

فهرس الموضوعات

19- بَابُ تَفْرِيعِ مَعْرِفَةِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَشَرَائِعِ الدِّينِ 2

20- بَابُ مَعْرِفَةِ أَيِّ يَوْمٍ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَوْلُهُ تَعَالَى {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} [المائدة: ٣] الْآيَةَ .33

21- بَابُ عَلَى كَمْ بُنِيَ الْإِسْلَامُ؟ 39

22- بَابُ ذِكْرِ سُؤَالِ جِبْرِيلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْإِسْلَامِ مَا هُوَ؟ وَعَنِ الْإِيمَانِ مَا هُوَ؟ 43

23- بَابُ ذِكْرِ أَفْضَلِ الْإِيمَانِ مَا هُوَ؟ وَأَدنى الْإِيمَانِ مَا هُوَ؟ 86

24- بَابُ ذِكْرِ مَا دَلَّ عَلَى زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ 95

25- بَابُ الْقَوْلِ بِأَنَّ الْإِيمَانَ تَصْدِيقٌ بِالْقَلْبِ، وَإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ لَا يَكُونُ مُؤْمِنًا، إِلَّا أَنْ تَجْتَمِعَ فِيهِ هَذِهِ الْخِصَالُ الثَّلَاثُ 133

26- بَابُ كُفْرِ مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ 173

27- بَابُ ذِكْرِ الِاسْتِثْنَاءِ فِي الْإِيمَانِ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ فِيهِ 191

28- بَابٌ فِيمَنْ كَرِهَ مِنَ الْعُلَمَاءِ لِمَنْ يَسْأَلُ لِغَيْرِهِ، فَيَقُولُ لَهُ: أَنْتَ مُؤْمِنٌ؟ هَذَا عِنْدَهُمْ مُبْتَدِعٌ رَجُلُ سُوءٍ 200

29- بَابٌ فِي الْمُرْجِئَةِ، وَسُوءِ مَذْاهَبِهِمْ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ 208

30- بَابُ الرَّدِّ عَلَى الْقَدَرِيَّةِ 235

31- بَابُ ذِكْرِ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ يَخْتِمُ عَلَى قُلُوبِ مَنْ أَرَادَ مِنْ عِبَادِهِ فَلَا يَهْتَدُونَ إِلَى الْحَقِّ، وَلَا يَسْمَعُونَهُ، وَلَا يُبْصِرُونَهُ، لِأَنَّهُ مَقَتَهُمْ فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ 249

32- بَابُ ذِكْرِ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَا يَهْدُونَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنَّهُ يَهْدِيهِ 262

33- باب ذِكْرِ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ أَرْسَلَ الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ يُضِلُّونَهُمْ وَلَا يُضِلُّونَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ فِي عِلْمِهِ أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ وَلَا يَضُرُّونَ أَحَدًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَكَذَلِكَ السَّحَرَةُ لَا يَضُرُّونَ أَحَدًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ 265

34- بَابُ ذِكْرِ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ مَشِيئَةَ الْخَلْقِ تَبَعٌ لِمَشِيئَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَمَنْ شَاءَ اللَّهُ لَهُ أَنْ يَهْتَدِيَ اهْتَدَى، وَمَنْ شَاءَ أَنْ يُضِلَّ لَمْ يَهْتَدِ أَبَدًا 270

35- بَابُ ذِكْرِ السُّنَنِ وَالْآثَارِ الْمُبَيِّنَةِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ خَلْقَهُ، مَنْ شَاءَ خَلَقَهُ لِلْجَنَّةِ، وَمَنْ شَاءَ خَلَقَهُ لِلنَّارِ، فِي عِلْمٍ قَدْ سَبَقَ 297

36- بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللَّهُ تَعَالَى قَدَّرَ الْمَقَادِيرَ عَلَى الْعِبَادِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ 322

37- بَابُ الْإِيمَانِ بِمَا جَرَى بِهِ الْقَلَمُ مِمَّا يَكُونُ أَبَدًا 323

38- بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدَّرَ عَلَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمَعْصِيَةَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُ 328

39- بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ السَّعِيدَ وَالشَّقِيَّ مَنْ كُتِبَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ 341

40- بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّهُ لَا يَصِحُّ لِعَبْدٍ الْإِيمَانُ، حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ لَا يَصِحُّ لَهُ الْإِيمَانُ إِلَّا بِهِ. 352

41- بَابُ مَا ذُكِرَ فِي الْمُكَذِّبِينَ بِالْقَدَرِ 364

42- بَابُ الْإِيمَانِ أَنَّ كُلَّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ 368

43- بَابُ ذِكْرِ مَا تَأَدَّى إِلَيْنَا عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مِنْ رَدِّهِمَا عَلَى الْقَدَرِيَّةِ وَإِنْكَارِهِمَا عَلَيْهِمْ 386

44- بَابُ مَا ذُكِرَ عَنِ التَّابِعِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الرَّدِّ عَلَيْهِمْ 424

45- بَابُ سِيرَةِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي أَهْلِ الْقَدَرِ 424

46- بَابُ تَرْكِ الْبَحْثِ وَالتَّنْقِيرِ عَنِ النَّظَرِ فِي أَمْرِ الْقَدَرِ كَيْفَ؟ وَلِمَ؟ بَلِ الْإِيمَانُ بِهِ وَالتَّسْلِيمُ 428

المحاضرة الثامنة والعشرون

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام على موعد مع درس جديد من دروس شرح كتاب الشريعة للإمام الآجري – عليه رحمة الله تعالى – وعند بعض الطبعات فلله الحمد قد انتهينا من الجزء الأول والجزء الثاني، وهذا لمن عنده بعض الطبعات مقسم فيها الإجزاء، وإلا فإن بعض الطبعات الأخرى ليس فيها هذا التقسيم. لكن إن شاء الله قد انتهينا بفضل الله تعالى من أبواب القرآن ومسائل القرآن ومباحثه.

اليوم ندخل إن شاء الله في أبواب الإيمان؛ شرائع الإيمان والإسلام وشرائعه وما في الإيمان من مسائل من تعريف الإيمان، والإيمان عند أهل السنة والجماعة، إلى غير ذلك من مسائل هامة جدًا، هذا الباب والأبواب الذي تليه من أهم الأبواب أيضًا في مسائل الإيمان، وبيان المخالفين لأهل السنة والجماعة في الإيمان، خاصة المرجئة لأنه ركز الشيخ في الأبواب التي

معنا الآن على المرجئة وبيان ضلالهم في مسألة الإيمان. ولكننا حقيقة لن نبين المرجئة فقط، سندخل في المرجئة ونبين أيضًا الطوائف الأخرى التي خالفت أهل السنة والجماعة.

الأبواب التي معنا أبواب هامة، والكتاب كله حقيقة من أهم الكتب عند السلف في مسألة التأصيل، ولو رجعتم إلى الوراء من بداية الكتاب تجد أن كل باب من الأبواب التي ذكرها المؤلف أصل من الأصول عند أهل السنة والجماعة. فهذا الكتاب حقيقة يحتاج أن يُراجَع ويُذاكَر كثيرًا، وتضبط مسائله، لأن من فاز بهذا الكتاب واتقنه تستقر عنده أصول أهل السنة والجماعة ويمكن يبني عليها ويزيد من الكتب الأخرى.

سندخل إن شاء الله في بَابُ تَفْرِيعِ مَعْرِفَةِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَشَرَائِعِ الدِّينِ

19- بَابُ تَفْرِيعِ مَعْرِفَةِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَشَرَائِعِ الدِّينِ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، أَمَّا بَعْدُ فَاعْلَمُوا رَحِمَنَا وَإِيَّاكُمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً لِيُقِرُّوا بِتَوْحِيدِهِ، فَيَقُولُوا: لا إله إلا الله مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ فَكَانَ مَنْ قَالَ هَذَا مُوقِنًا مِنْ قَلْبِهِ وَنَاطِقًا بِلِسَانِهِ أَجْزَأَهُ، وَمَنْ مَاتَ عَلَى هَذَا فَإِلَى الْجَنَّةِ، فَلَمَّا آمَنُوا بِذَلِكَ، وَأَخْلَصُوا تَوْحِيدَهُمْ، فَرَضَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةَ بِمَكَّةَ، فَصَدَّقُوا بِذَلِكَ، وَآمَنُوا وَصَلَّوْا، ثُمَّ فَرَضَ عَلَيْهِمُ الْهِجْرَةَ، فَهَاجَرُوا، وَفَارَقُوا الْأَهْلَ وَالْوَطَنَ، ثُمَّ فَرَضَ عَلَيْهِمْ بِالْمَدِينَةِ الصِّيَامَ، فَآمَنُوا وَصَدَّقُوا وَصَامُوا شَهْرَ رَمَضَانَ، ثُمَّ فَرَضَ عَلَيْهِمُ الزَّكَاةَ، فَآمَنُوا وَصَدَّقُوا، وَأَدَّوْا ذَلِكَ كَمَا أُمِرُوا، ثُمَّ فَرَضَ عَلَيْهِمُ الْجِهَادَ، فَجَاهَدُوا الْبَعِيدَ وَالْقَرِيبَ، وَصَبَرُوا وَصَدَّقُوا، ثُمَّ فَرَضَ عَلَيْهِمُ الْحَجَّ، فَحَجُّوا وَآمَنُوا بِهِ، فَلَمَّا آمَنُوا بِهَذِهِ الْفَرَائِضِ، وَعَمِلُوا بِهَا تَصْدِيقًا بِقُلُوبِهِمْ، وَقَوْلًا بِأَلْسِنَتِهِمْ، وَعَمَلًا بِجَوَارِحِهِمْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: ٣] ثُمَّ أَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ لَا يُقْبَلُ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا دِينَ الْإِسْلَامِ فَقَالَ تَعَالَى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [آل عمران: ٨٥] وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} [آل عمران: ١٩]، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لا

إله إلا الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ الْحَرَامِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا " ثُمَّ بَيَّنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأُمَّتِهِ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ، حَالًا بَعْدَ حَالٍ، وَسَنَذْكُرُ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَهَذَا رَحِمَكُمُ اللَّهُ طَرِيقُ الْمُسْلِمِينَ فَإِنِ احْتَجَّ مُحْتَجٌّ بِالْأَحَادِيثِ الَّتِي رُوِيَتْ: " مَنْ قَالَ: لا إله إلا الله دَخَلَ الْجَنَّةَ " قِيلَ لَهُ: هَذِهِ كَانَتْ قَبْلَ نُزُولِ الْفَرَائِضِ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا لَهُ، وَهَذَا قَوْلُ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ، مِمَّنْ نَفَعَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْعِلْمِ، وَكَانُوا أَئِمَّةً يُقْتَدَى بِهِمْ، سِوَى الْمُرْجِئَةِ الَّذِينَ خَرَجُوا عَنْ جُمْلَةِ مَا عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ، وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَقَوْلِ الْأَئِمَّةِ الَّذِينَ لَا يُسْتَوْحَشُ مِنْ ذِكْرِهِمْ فِي كُلِّ بَلَدٍ وَسَنَذْكُرُ مِنْ ذَلِكَ مَا حَضَرَنَا ذِكْرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى،

وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْمُوَفِّقُ لِكُلِّ رَشَادٍ، وَالْمُعِينُ عَلَيْهِ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ

الإمام الآجري – رحمة الله عليه – بوَّب لنا بابًا قال: بَابُ تَفْرِيعِ مَعْرِفَةِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَشَرَائِعِ الدِّينِ، ثم بدأ الكلام، وهذا الكلام المقدمة هذه فيها تدرج في الكلام مقصود من إمام عالِم تجده بدأ أولًا بمقدمة بعد الحمد لله عز وجل ثم ذكر لنا بعثة النبي ﷺ ، قال: فَاعْلَمُوا رَحِمَنَا وَإِيَّاكُمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى النَّاسِ. وهنا أولًا يبين بأن بعثة النبي ﷺ كانت للناس جميعًا، ليست لقوم خاصة، وهذا مخالف لما كان يحدث من قبل، فكان الله عز وجل يرسل لكل أمة نبي، كما قال تعالى:{ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا} [الأعراف:65]، و{وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا} [الأعراف:73]، و{وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا } [الأعراف:85]، إلى غير ذلك مما بُعِث كل نبي إلى قومه.

وكان الأنبياء يُبعثون إلى قومهم خاصة لكن النبي ﷺ بُعِث إلى الناس جميعًا، قال تعالى:{قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} [الأعراف:158]، وقال تعالى:{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا} [سبأ:28]، وأيضًا قول النبي ﷺ في السنة:[أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وطَهُورًا، فأَيُّمَا رَجُلٍ مِن أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وأُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ ولَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي، وأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وكانَ النبيُّ يُبْعَثُ إلى قَوْمِهِ خَاصَّةً وبُعِثْتُ إلى النَّاسِ عَامَّةً] فهنا يريد الإمام أن يبين لنا أولًا أن النبي ﷺ قد أُرسِل إلى الناس جميعًا كما قلنا، وأُرسِل أيضًا – وهذا الأمر الثاني الذي سنتكلم عنه – أُرسِل بالتوحيد. لكن نقول أن النبي ﷺ لما أُرسل للناس جميعًا إذًا لا يسعى أحد من هذه

الأمة الا أن يتبع النبي ﷺ ، بل جاءت السنة تبين على أن موسى عليه السلام لو كان حيًا في زمان النبي ﷺ لاتبع النبي ﷺ ، عندما رأى النبي ﷺ عمر بن الخطاب وهو يقرأ في بعض صحف التوراة فغضب النبي ﷺ فقال: [أَمُتَهَوِّكونَ فيها يا ابنَ الخطَّابِ؟ والَّذي نفسي بيدِه لو أنَّ موسَى كان حيًّا ما وسِعَهُ إلَّا أن يتَّبعَني].

بل أن النبي ﷺ قد بين أيضًا تصريحًا بأن من سمع بالنبي ﷺ ولم يؤمن به فهو كافر؛ ليس بمسلم، قال: [والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ، لا يَسْمَعُ بي أحَدٌ مِن هذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، ولا نَصْرانِيٌّ...] وهذه الأمة يقصد بها أمة الدعوة [ثُمَّ يَمُوتُ ولَمْ يُؤْمِنْ بالَّذِي أُرْسِلْتُ به، إلَّا كانَ مِن أصْحابِ النَّارِ]، وهذه تصريحًا على من يدعي ويُلبِّس على الناس بأن الكل على الإيمان والإسلام ويبعثون يوم القيامة على ما كانوا عليه! النبي ﷺ يبين من سمع بالنبي ﷺ ، سمع برسالة الإسلام سماعًا صحيحًا ثم لم يؤمن بالنبي ﷺ ومات على ذلك كان من أصحاب النار.

وهذا يدل على أن النبي ﷺ رسالته عامة لجميع الخلق ولجميع الناس، فلا يأتي أحد ويقول نحن نؤمن بعيسى عليه السلام بأنه نبي، وموسى بأنه نبي، ونؤمن بأن محمد نبي ﷺ لكنه نبي للأميين وعيسى لنا، ويقولون موسى لهم! هذا أيضًا لم يؤمن بالله عز وجل لأنه لابد له أن يؤمن بالنبي ﷺ ويتبعه، حتى لو أقر بأن النبي ﷺ نبي لكن لم يتبعه فهو ليس أيضًا بمسلم، بل لابد أن يتبع النبي ﷺ ولا يكفي أن يقول أنه مؤمن. أبو طالب كان مقرًا بنبوة النبي ﷺ لكنه لم يتبعه ومات على الكفر. ولذلك لا يكفي فقط أن يقر بأن عيسى عبدًا لله عز وجل ومع ذلك لم يؤمن بالنبي ﷺ.

بل أن رسالة النبي ﷺ لم تكن للإنس فقط، بل كانت للإنس والجن، {وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: 56]، فالله عز وجل ما خلق الجن والإنس إلا العبادة، وما أرسل الله النبي ﷺ الرسالة للإنس فقط بل أرسلها أيضًا للجن. وقال الله عز وجل:{ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ * قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ، يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} [الأحقاف: 29-31]. فهنا كل هذا يبين عمومية رسالة النبي ﷺ.

الأمر الثاني الذي قاله بعد أن قال: إِلَى النَّاسِ كَافَّةً ، لِيُقِرُّوا بِتَوْحِيدِهِ، فَيَقُولُوا: لا إله إلا الله مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ فَكَانَ مَنْ قَالَ هَذَا مُوقِنًا مِنْ قَلْبِهِ وَنَاطِقًا بِلِسَانِهِ أَجْزَأَهُ، وَمَنْ مَاتَ عَلَى هَذَا فَإِلَى

الْجَنَّةِ. فهنا الأمر الثاني أن نقول بأن النبي ﷺ جاء كما جاء قبله من الرسل بالتوحيد؛ جاءوا بتوحيد الله عز وجل، بإفراده سبحانه وتعالى بالعبودية، قال تعالى:{ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ} [النحل:36]، فأصل دعوة الرسل هي التوحيد وهي اجتناب عبادة الطواغيت وإفراد الله عز وجل بالعبادة. وقال تعالى: { وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِى إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ} [الأنبياء:25]، فهذا يدل على أن كل رسول أرسله الله عز وجل كان لأمر واحد في الأصل؛ وهو توحيد الله عز وجل.

وقال النبي ﷺ في حديث معاذ الذي درسناه كثيرًا: [قَالَ: هلْ تَدْرِي ما حَقُّ اللَّهِ علَى عِبادِهِ؟ قُلتُ: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: حَقُّ اللَّهِ علَى عِبادِهِ أنْ يَعْبُدُوهُ ولا يُشْرِكُوا به شيئًا]، وقال أيضًا النبي ﷺ: [أُمِرْتُ أنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حتَّى يقولوا: لا إله إلا الله]، وهذا هو الأصل في قتال الناس وفي الجهاد.

وهنا بين المؤلف – رحمة الله عليه – أن هذا الأصل الأصيل؛ الأول عمومية رسالة النبي ﷺ ، ثم الأمر الثاني بأن بعثة النبي ﷺ كانت لإفراد الله بالعبودية.

قال: فَكَانَ مَنْ قَالَ هَذَا مُوقِنًا مِنْ قَلْبِهِ وَنَاطِقًا بِلِسَانِهِ وهذا سيأتي طبعًا مُوقِنًا مِنْ قَلْبِهِ سنأتي لتعريف الإيمان لاحقًا. فبين التصديق بالقلب وَنَاطِقًا بِلِسَانِهِ أَجْزَأَهُ. وهنا تتبع كلام الشيخ هنا مهم جدًا؛ قال هنا: مَنْ قَالَ هَذَا مُوقِنًا مِنْ قَلْبِهِ وَنَاطِقًا بِلِسَانِهِ أَجْزَأَهُ ممكن أحد لو جز الكلام يقول الشيخ كيف يقول تصديقًا بقلبه وناطقًا بلسانه وقال أَجْزَأَهُ ؟ إذًا الإجزاء هنا بتصديق القلب والنطق باللسان؟ هل تفهمون الإشكال؟ ممكن يأتي أحد يقرأ الجملة فيقول الشيخ بيقول بأن الإيمان تصديق بالقلب ونطق باللسان، وأين العمل؟ لذلك أنا وقفت. لا، سيأتي للعمل لكن هنا اضبطوا السياق، وهذا يقع فيه كثير من الناس يأتون مثلًا لكتب شيخ الإسلام ابن تيمية فيأتون في موضع يتكلم في مسألة، يقطعون منها ولا يكملون الكتاب لا سابقًا ولا لاحقًا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ويخرجون بكلام خطأ على الشيخ.

فهنا أيضًا هو ما يقصد أن الإيمان تعريفه فقط كذا، لا، يتكلم عن أول شيء وهو الشهادتين، وهذا الذي فعله النبي ﷺ في مكة، فلم تكن الشرائع نزلت. لذلك هو يتدرج الآن؛ يقول أول شيء كان في التصديق بالقلب والقول باللسان. وهذا الذي كان يدعو إليه النبي ﷺ مسلمي مكة قبل نزول الصلاة والأعمال. لذلك قال أَجْزَأَهُ .

قال: وَمَنْ مَاتَ عَلَى هَذَا فَإِلَى الْجَنَّةِ، لذلك من مات بعد ان أسلم في مكة ولم تنزل الأعمال ولا الشرائع ولا تفرض الصلاة فهو مات على الإسلام، لا شيء في ذلك. لذلك هو قال هذا.

ثم قال: فَلَمَّا آمَنُوا بِذَلِكَ، وَأَخْلَصُوا تَوْحِيدَهُمْ، فَرَضَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةَ بِمَكَّةَ، فَصَدَّقُوا بِذَلِكَ، وَآمَنُوا وَصَلَّوْا. إذًا هنا يبين بأن الله عز وجل ما فرض الصلاة والصيام إلا بعد أنهم قد حققوا التوحيد، وهذا طبعًا في وقت التدرج، أما الآن انتهى الأمر – كما سيأتي معنا – {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} . لكن أنا أتكلم عن التدرج الذي ذكره.

فأولًا أمرهم بالتوحيد، فلما أخلصوا في التوحيد وصدقوا وقالوا بدأ في نزول الشرائع عليهم؛ فبدأ بفرض الصلاة وفرض الصيام، ثُمَّ فَرَضَ عَلَيْهِمْ بِالْمَدِينَةِ الصِّيَامَ، فَآمَنُوا وَصَدَّقُوا وَصَامُوا شَهْرَ رَمَضَانَ، ثُمَّ فَرَضَ عَلَيْهِمُ الزَّكَاةَ، فَآمَنُوا وَصَدَّقُوا، وَأَدَّوْا ذَلِكَ كَمَا أُمِرُوا، ثُمَّ فَرَضَ عَلَيْهِمُ الْجِهَادَ الأول لم يكن الجهاد فرض، ثُمَّ فَرَضَ عَلَيْهِمُ الْحَجَّ، فَحَجُّوا وَآمَنُوا بِهِ .

ثم قال: فَلَمَّا آمَنُوا بِهَذِهِ الْفَرَائِضِ، وَعَمِلُوا بِهَا تَصْدِيقًا بِقُلُوبِهِمْ، وَقَوْلًا بِأَلْسِنَتِهِمْ، وَعَمَلًا بِجَوَارِحِهِمْ هنا وصل إلى تعريف الإيمان الذي يريد أن يؤصله لنا لأنه لما فُرضت الفرائض وسيبين حديث أركان الإسلام الخمسة قال: تَصْدِيقًا بِقُلُوبِهِمْ، وَقَوْلًا بِأَلْسِنَتِهِمْ، وَعَمَلًا بِجَوَارِحِهِمْ وهذا هو تركيب الإيمان عند أهل السنة والجماعة الذي لابد أن يكون تصديقًا بالقلب وقولًا باللسان وعملًا بالجوارح. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: ٣] . إذًا هنا بين.

ثُمَّ أَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ لَا يُقْبَلُ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا دِينَ الْإِسْلَامِ فَقَالَ تَعَالَى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [آل عمران: ٨٥] وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} [آل عمران: ١٩] هنا يبين المؤلف بأن الله عز وجل بعد أن فرض عليهم ذلك بيَّن أن الدين الحق هو دين الإسلام. وهو أصلًا ليس هناك إلا دين واحد وإن اختلفت الشرائع، لذلك مسألة الأديان هذا ما يصح! الأصل قال: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ}، {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ} لكن اختلفت الشرائع نعم، افترقت الملل نعم، هناك شريعة النبي ﷺ التي نزلت شريعة الإسلام، وقبلها كانت شريعة عيسى وقبلها كان موسى، وقبلها شرائع الأنبياء الأخرى، فتختلف الشرائع نعم، لكن كل الأنبياء جاؤوا لدين واحد وهو دين الإسلام. وقد جاءت الأدلة كثيرة من الكتاب ومن السنة – خاصة من الكتاب – تدل على أن الدين واحد.

لكن أولًا هو لخص لنا بأن الدين الذي لا يقبل الله عز وجل إلا هو هو الإسلام، قال: {إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} [آل عمران: 19] ثم قال: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ } [آل عمران: 85] أي دين غير الإسلام لا يُقبَل عند الله عز وجل. لذلك كل الأنبياء قالوا ذلك، نوح عليه السلام قال: { وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ} [يونس:72]، إذًا هو جاء بالإسلام. وابراهيم عليه السلام قال:{ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ} [البقرة:131]. وأيضًا: { مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ} [الحج:78] خواتيم سورة الحج. وأيضًا قول الله عز وجل:{مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا} [آل عمران:67]، وهذا تأكيد على أن كل الأنبياء كانوا على الإسلام: {وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} [البقرة:132]، وأيضًا: {تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ} [يوسف:101]. و {وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ} [يونس:84] هذا موسى عليه السلام أيضًا، فبينا نوح وابراهيم وموسى، وعيسى أيضًا عليه السلام قال: {قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران:52]. فهذا يدل على أن ما في شيء اسمه الأديان السماوية، هو دين واحد ولكن اختلفت الشرائع أو الملل.

هل هذا يُشكِل علينا بأن النبي ﷺ هو خاتم النبيين كما جاءت الآيات التي معنا، ومع ذلك ظهر من ادعى النبوة بعده؟ كيف يكون هو خاتم النبيين وهناك من جاء يدعي النبوة؟ كاذبا، فنقول هذا ليس إدعاء صحيح، وأخبرنا به النبي ﷺ ، قال النبي ﷺ كما عند أبو داوود وغيره: [لا تقومُ الساعةُ حتى يخرُجَ ثلاثونَ كذَّابًا دَجَّالًا، كلُّهم يكذِبُ على اللهِ وعلى رسولِه].

لو قلنا ذلك وقلنا بأن خاتم النبيين هو النبي ﷺ ، وأن الرسالة الخاتمة للنبي ﷺ، ماذا سنفعل في نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان؟ وأنه سيأتي بأمور ليست موجودة؛ سيرفع الجزية ويكسر الصليب ويقتل الخنزير. فالنقطة أنه ليس شرعًا... لماذا؟ هو فعلًا رفع الجزية حكم لكنه النبي أخبر به، فأصبح إخبارًا من النبي أنه سيحدث. فنقول أن النبي أخبر به، فلما أخبر به إذًا هو في شرعنا لكنه تأخر تنفيذه بنزول عيسى عليه السلام. وطبعًا سيصلي خلف المهدي فيكون متبعًا أيضًا، وأيضًا على قول الله عز وجل: { وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ } [آل عمران:81]، إذًا الله عز وجل أخذ من النبيين الميثاق على أنهم إن كانوا وجدوا في وجود النبي ﷺ سيتبعون النبي ﷺ ، وهذه

عامة تبين لك بأن كل نبي كان سيتبع النبي ﷺ. وطبعًا الحديث أيضًا [أَمُتَهَوِّكونَ فيها يا ابنَ الخطَّابِ؟] يبين لك باتباع موسى عليه السلام. وأيضًا قال النبي ﷺ: [يوشِكُ المَسيحُ عيسى ابنُ مريمَ أنْ يَنزِلَ حَكَمًا قِسْطًا، وإمامًا عَدْلًا، فيَقتُلَ الخِنزيرَ، ويَكسِرَ الصَّليبَ، وتَكونَ الدَّعوةُ واحِدَةً]، إذًا هذا أيضًا من نبوءة النبي ﷺ على أن ذلك سيحصل من عيسى عليه السلام، فليس ما فعله عيسى عليه السلام تشريعًا جديدًا في شيء. ولكن حتى قبول الجزية هذا وقت، والوقت يُرفَع كما فعل عمر رضي الله عنه وأرضاه في يهود خيبر لما صالحهم النبي ﷺ على البقاء فقال قال النبي ﷺ "حى يشاء الله" فقال وقد شاء الله أن يخرجكم من جزيرة العرب، فأخرجهم عمر بن الخطاب. وهذا كله يبين على أن النبي ﷺ قد جاء خاتمًا للأنبياء وللمرسلين.

قال: وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لا إله إلا الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ الْحَرَامِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا. وهذه طبعًا يبين لنا بأن بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ هذه ركائز الإسلام، هذه دعائم الإسلام، قوائم الإسلام، وطبعًا بعض أهل العلم يقولون بأن يزيد عن ذلك؛ أي هذه الأصل الذي بني عليه الإسلام ولكن يزيد عليه أمور أخرى لأنه ليس مقصورًا، لكن هذه الدعائم الخمس ممكن تقول يُرد كل الأعمال الأخرى أو الفرائض الأخرى إلى هذه الأعمال. وممكن تقول أن هذا الاساس ويزاد عليه أيضًا؛ لأن مثلًا ما ذُكِر الجهاد مع أن الجهاد فريضة في حديث "بني الإسلام على خمس"، وما ذُكِر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

إذًا نقول بأن هذه هي الدعائم التي بُني عليها الإسلام – الخمس – وإن كان البعض يقول أيضًا .. طيب أركان الإيمان؟ ولكن ممكن نرد أركان الإيمان للشهادتين؛ أنه يشهد بالله فلابد أن يأتي بأركان الإيمان الستة. فإما أن نقول أن هذه الدعائم هي الخمس وممكن يزيد عليها، أو لو أردت أن تقول ما زاد سيُرَد إما إلى أحد هذه الخمسة، ولكن الحق هناك بعض الأعمال ليس لها مرد. فنقول بأن هذه ركائز الإسلام الخمسة؛ الدعائم الخمسة، ولكن نعم هناك عبادات أخرى غير الصوم والزكاة والصلاة والحج، نعم فهناك اعتكاف مثلًا، فهي عبادة من العبادات أيضًا. وهناك بعض العبادات الأخرى – وإن كان ممكن تُحسب على الآداب – لكن فيها ما فيها كالسلام، كالتهادي، كبعض الأمور الأخرى، وإن كان هذه هي المباني الخمسة التي أجمع عليها أهل العلم على أنها هي الركائز الخمسة التي بني عليها الإسلام.

وما المقصود بالمعنى هنا؟ أن مجموع الإسلام هو هذه الخمس ركائز.

لكن هنا حدث اختلاف حقيقة في مسألة من لم يأت بالخمسة؛

أتى بالشهادتين هذا محل الاتفاق طبعًا، الشهادتين دخول للإسلام.

ومن لم يأت بباقي الدعائم الأربعة، ما حكمه؟ أي هو أتى بشهادتين ثم لم يأت بباقي الدعائم الأربعة التي في الحديث، والتي هي جنس الأعمال. أتى بالشهادتين ولم يصلي ولم يصوم ولم يزكي ولم يحج ولم يأت بجنس هذه الأعمال.

طبعًا عندنا المحققين من أهل العلم يقولون من قال لا إله إلا الله ولم يأتي بشيء من هذه الأربعة هو كافر وليس بمسلم؛ أي لم يأت بالمباني الخمسة الكلية هذه مع أنه قال لا إله إلا الله لكن لم يأتي بشيء من المباني خمسة.

فهي لا إله إلا الله ماذا تستلزم؟ تستلزم ولاء وبراء، كفر بالطاغوت وإيمان بالله عز وجل، ثم هناك صلاة، وهناك صوم، وهناك زكاة، وهناك حج، فإن قال فقط لا إله إلا الله ولم يأت بالخمسة مباني هذه فالصحيح عند أهل العلم والمحققين أنه يكفر بذلك. وحتى قالوا الخمسة لأنه ليس مجرد القول، لأن لا إله إلا الله لها أركان وشروط.

وهناك من قال بأن من قال لا إله إلا الله فقط لا يخرج من الملة وإن لم يفعل شيئًا. ويستدلون بحديث: [فَيَقُولُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: شَفَعَتِ المَلَائِكَةُ، وشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وشَفَعَ المُؤْمِنُونَ، ولَمْ يَبْقَ إلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فيُخْرِجُ مِنْها قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ] وهذا الكلام فصلناه من قبل حقيقة يُرجَع إليه في تحديدًا معارج القبول في مسألة الرد على من لم يعمل خيرًا قط. لذلك نقول الصحيح الراجح عند المحققين من أهل العلم بأنه من لم يأت من المباني الخمسة وإن قال لا إله إلا الله فليس بمسلم، بل هو كافر؛ من لم يأت بجنس الأعمال.

وهذا أيضًا الكلام الذي نُقِل عن الإمام أحمد من ترك المباني الخمس بعدما علم بفرضيتها وحتى لو أتى بلا إله إلا الله لا تنفعه، بل قالوا أن هذا من الإرجاء الذي سيأتي معنا، هذا قول المرجئة.

لكن هناك طبعًا خلاف في تارك المباني الخمسة، ثم يأتي خلاف آخر فصلناه من قبل على كل مبنى من المباني بتركه، لكن نحن كلامنا هنا الآن على من ترك المباني الخمسة؛ قال لا إله إلا الله وترك الأصول الخمسة أو المباني الخمسة، ما حكمه؟ نقول عند محققين بأنه كافر. لكن هناك خلاف آخر في من ترك الصلاة، وخلاف قوي طبعًا تارك الصلاة، ثم يَقِّل الخلاف في الزكاة، ويقل أكثر ويضعف في الصوم، ويقل أيضًا في الحج.

لذلك هو هنا الشيخ بيقول: **ثُمَّ بَيَّنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأُمَّتِهِ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ، حَالًا بَعْدَ حَالٍ، وَسَنَذْكُرُ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَهَذَا رَحِمَكُمُ اللَّهُ طَرِيقُ الْمُسْلِمِينَ فَإِنِ احْتَجَّ مُحْتَجٌّ بِالْأَحَادِيثِ الَّتِي رُوِيَتْ: "مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ** وهنا هو يريد أن يرد، هو أتى أولًا بحديث (بني الإسلام على خمس) ليبين المباني على الخمس. وهذا الحديث عند بعض أهل العلم ضعيف أصلًا، وضعيف جدًا عند بعض أهل العلم، وهي المطلق: **مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ** . والرواية الثانية (من شهد) وطبعًا الشهادة ستستلزم أمور غير القول. بلهناك رواية أخرى (ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة). هو يريد أن يقول أن هذا الكلام من كلام المرجئة – كما سيأتي معنا – لأنهم يقولون هنا على أن يكفيه القول وإن لم يفعل شيء من المباني. لكن الصحيح الراجح نقول أن تارك المباني الخمسة ليس بمسلم، وهذا كلام الإمام أحمد وكلام كثير من المحققين في هذه المسألة حتى من المذاهب الأربعة أيضًا، وطبعًا على الخلاف بعد ذلك في مسألة تارك الصلاة والصوم إلى غير ذلك.

وهذا الذي يبينه المؤلف، لذلك قال: **فَإِنِ احْتَجَّ مُحْتَجٌّ بِالْأَحَادِيثِ الَّتِي رُوِيَتْ: "مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ" قِيلَ لَهُ: هَذِهِ كَانَتْ قَبْلَ نُزُولِ الْفَرَائِضِ** فهذا توجيه من الإمام الآجري – رحمة الله عليه – على أنه يريد أن يقول أن هذه كانت قبل نزول الفرائض. **وَهَذَا قَوْلُ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ، مِمَّنْ نَفَعَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْعِلْمِ، وَكَانُوا أَئِمَّةً يُقْتَدَى بِهِمْ، سِوَى الْمُرْجِئَةِ الَّذِينَ خَرَجُوا عَنْ جُمْلَةِ مَا عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ** . إذًا يبين هنا خلاف سنبينه –لابد أن نتعرض إليه – أن من قال بمجرد القول فقط وترك المباني الخمسة يدخل الجنة هو قول المرجئة، وهنا الشيخ طبعًا لم يفصل، أتى بكلمه المرجئة على العموم.

لكن هنا سنحتاج أن نبين من هم المرجئة، وأصناف المرجئة حتى يكون عندكم تغذية في هذه المسألة، لكن نبين قبل أن ندخل في كلام المرجئة أن كل الروايات التي جاءت في مسألة (من قال لا إله إلا الله دخل الجنة) غالبًا تأتي مقيدة لا تأتي مطلقة مثل هذه. فهناك أن (من قال لا إله إلا الله دخل الجنة)، وتجد في روايات أخرى تقول مثلًا (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة) هذه مطلقات. لكن هنا النبي ﷺ قال: (من قال لا إله إلا الله مخلصًا من قلبه دخل الجنة) هذا تقييد، فجاءت بعض الروايات المطلقة ثم جاءت روايات مقيدة. وستجد كل الروايات المقيدة للاطلاق فيها شروط لا إله إلا الله السبعة أو ما زاد عن ذلك عند أهل العلم، منها (من قال لا إله إلا الله مخلصًا من قلبه دخل الجنة) هذا تقييد بالإخلاص، والإخلاص عمل قلبي، فالمسألة ليست في القول فقط باللسان. حديث أبو هريرة رضي الله عنه وأرضاه لما

قال للنبي ﷺ: [يا رَسولَ اللَّهِ مَن أسْعَدُ النَّاسِ بشَفَاعَتِكَ يَومَ القِيَامَةِ؟ قالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: لقَدْ ظَنَنْتُ يا أبَا هُرَيْرَةَ أنْ لا يَسْألُنِي عن هذا الحَديثِ أحَدٌ أوَّلُ مِنْكَ لِما رَأَيْتُ مِن حِرْصِكَ علَى الحَديثِ أسْعَدُ النَّاسِ بشَفَاعَتي يَومَ القِيَامَةِ، مَن قالَ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِن قَلْبِهِ] وهنا أيضًا القول مقيد ليس القول مطلق. وفي رواية الصحيحين لما قال: [أشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ ، و أنِّي رسولُ اللهِ ، لا يَلْقَى اللهَ بِهِما عبدٌ غيرُ شاكٍّ فِيهِما إلَّا دخَلَ الجنةَ] هنا دخل في اليقين، والذي قبله في الإخلاص. وكل هذه من أعمال القلوب. إذًا أعمال القلوب ركن أم لا؟ إذًا ليست على الاطلاق، المسألة فيها تقييدات. والمرجئة أصلًا لا يقولون بأعمال القلوب – البعض منهم سنبين – لا يقولون بأعمال القلوب بأنها شرط في الإيمان – أقول بعضهم يقولون ذلك– بعضهم يقولون بالقول.

فنريد أن نقول أن ليس هذا التقييد فقط الذي نريده – كما سيأتي – هذا تقييد بالأعمال القلبية، بل عندنا تقييدات أخرى بأعمال الجوارح حتى يستقيم الأمر وتعلموا أن أصل لا إله إلا الله التي يدخل بها المرء الجنة لابد يأتي بها **بتعريف للإيمان** الذي سيأتي معنا وهو: قول اللسان، وتصديق القلب، وأعمال الجوارح. إذًا ليس التقييد فقط في أعمال القلوب، بل أيضًا سيأتي التقييد بأعمال الجوارح وهي قول النبي ﷺ: [بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ].

والإمام بين لنا على أن هناك نزاع نعم الذين يقولون بأنه (من قال لا إله إلا الله دخل الجنة) هذا من كلام المرجئة، **فمن هم المرجئة؟ وما هي أقسام المرجئة؟** دعونا نتكلم عنهم في قدر نبين فيه ما معنى الإرجاء.

معنى الإرجاء:

طبعًا المرجئة أولًا هي من أوائل الفرق التي تنتسب إلى الإسلام في الظهور. طبعًا الخوارج على التأصيل قلنا ظهرت بداياتها وقت النبي ﷺ ذو الخويصرة إلى أن خرجوا بعد ذلك على (علي) رضي الله عنه وأرضاه. لكن أيضًا المرجئة من أوائل الفرق التي انتسبت إلى الإسلام.

أولًا نقول الإرجاء يأتي على معنيين:

1- المعنى الأول بمعنى التأخير، قال تعالى: {قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ} [الأعراف: 111]، أي أمهله وأخره؛

2- والمعنى الثاني أن الإرجاء يأتي بمعنى إعطاء الرجاء.

فلو قلنا المرجئة على المعنى الأول الذي يأتي بمعنى التأخير لأن من معتقداتهم هو تأخير العمل على النية، أي لا يجعلون العمل له علاقه بالنية، أي تعقد ثم تعمل، على أنهم أيضًا – كما سيأتي – يُخرجون الأعمال أصلًا، فكان هذا مناسب لمعنى الإرجاء الذي هم عليه.

وأما المعنى الثاني الذي هو مقصود به إعطاء الرجاء، وهذا ظاهر جدًا في أقسام كثيرة لهم، أن غالب المرجئة يقولون: (أنه لا يضر مع الإيمان معصية) لذلك هو معنى إعطاء الرجاء أي يرجيه أي ما فعل من معاصي فالإيمان لا يضره شيء مع المعصية. وهذا طبعًا موجود عندهم، كما قالوا أصلًا: (لا ينفع مع الكفر طاعة). فهذه ممكن، لكن قالوا لا يضر مع الإيمان معصية. إذًا هذا معنى الإرجاء في اللغة أيضًا.

فهم عندهم العمل ليس داخل في مسألة الإيمان ولا الاعتقاد أصلًا، يؤخرون العمل، أتى أم لم يأت المهم النية، دائمًا يضرب على قلبه يقول لك "أنا نيتي صافية"! طيب أين العمل؟! ما يفعل، ما يصلي، ما يصوم، فيؤخرون المسألة ما يجعلونها مع النية؛ أي غير ملازمة. والأصل أنك انتويت فتعمل، لا، هو يقول لك أنا منتوي لكن لم أعمل لكن أنا على خير.

أول من قال بالإرجاء:

ممكن نبين جزء تاريخي عن الإرجاء، اختلف العلماء في أول من قال بالإرجاء، وهو ليس ضبط صريح فيها لكن نستعرض ما قيل، لأن هناك فرق بين الإرجاء الذي نحن بصدده الآن، والإرجاء في الإيمان. لكن قالوا بأن الحسن بن محمد بن حنفية هو أول من ذكر الإرجاء، ولكن ليس الإرجاء المقصود به في العقيدة في الإيمان الآن. لما سُئل عن علي رضي الله عنه وأرضاه وعثمان وطلحة والزبير، طبعًا عثمان وعلي في مسألة الخلافة، وبعد ذلك طلحة والزبير وما حدث في الخلاف مع علي. ومن هو الحسن؟ بن محمد بن حنفية بن علي بن أبي طالب، ومع ذلك لما سُئل عن عثمان وعلي وطلحة والزبير كان هو بين الناس فسكت، فقال سمعت مقالتكم- هم يتكلمون- قال ولم أرى شيئًا مثل أن يرجئ علي وعثمان وطلحة والزبير فلا يُتولوا ولا يُتبرأ منهم، أي اسكتوا، فأخذوا المقالة هذه كأنها إرجاء؛ سكوتًا. ولما وصل ذلك إلى محمد بن حنفية أتى به وضربه ضربًا شديدًا، قال لا تتولى جدك علي؟! أي أنت كيف تقول هذا الكلام؟ كيف نقول لا تتولوا ولا تتبرأوا، أي لا ولاء ولا براء فيهم، أي اتركوهم هكذا ما تتكلموا عنهم. هو سكت، هو قال لا نتولى ولا نتبرأ، أي نسكت عن ذلك. وطبعًا لم يُعجب هذا محمد بن حنفية فشده وعنفه وضربه.

فرجع الحسن عن هذا اعتذر وتاب. ولكن كانت قد تناقلت المقولة عنه، ولكن هذا بالتدقيق ليس في مسألة الإيمان، هو فقط أول من قال إرجاء ويسكت عن ذلك كان في هذا الموقف، ولكنه ليس له علاقة بمسألة الإيمان التي معنا، لكن هو ذُكِر ذلك، فبعضهم يقول هذه نشأة القول بالإرجاء.

ثم هناك أقوال أخرى في مسألة الإرجاء قالوا أن أول من قال بذلك رجل يُسمى ذر بن عبد الله الهمداني وهو تابعي، وكان إبراهيم النخعي لا يرد عليه بعد ذلك ولا يسلم عليه، وكذلك سعيد بن جبير أيضًا.

وقيل أول من دعا للإرجاء رجل في العراق يسمى قيس بن عمرو الماضري.

وقالوا أول من أحدثه حماد بن أبي سليمان، وهو تلميذ لإبراهيم النخعي وشيخ لأبي حنيفة – وطبعًا سنتعرض لقول أبي حنيفة في مسألة مرجئة الفقهاء – ثم انتشر قوله في أهل الكوفة بعد ذلك؛ هذا حماد بن أبي سليمان. وهذا الذي ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية عن نشاة الإرجاء في أهل الكوفة أولًا فذكر حماد بن أبي سليمان أيضًا.

وقيل أن أول من قال به هو رجل يسمى سالم الأفطس. وهؤلاء سالم الأفطس وحماد بن أبي سليمان هم الذين يسمون بعد ذلك **مرجئة الفقهاء**. وسنبين أن مرجئة الفقهاء سنقول أقرب الناس إلى السنة والجماعة في الإيمان، وهذا قول الإمام أبو حنيفة في مسألة الإيمان. وبعضهم يقولون بأن مرجئة الفقهاء الخلاف بينهم وبين أهل السنة لفظي. ما الذي يقوله مرجئة الفقهاء؟ – وسيأتي تفصيلًا – يقولون بالقول وتصديق القلب، ويقولون الأعمال لكن لا يدخلون الأعمال في الإيمان، يقولون الأعمال مطلوبة لكن ليست من الإيمان، الإيمان فقط القول باللسان تصديق القلب، لكن الأعمال وإن كانت مطلوبة لكنها ليست لها دخل بالإيمان. وهذا قول مرجئة الفقهاء وقول الإمام أبو حنيفة، وهذا سنتعرض إليه في التقسيم. لكن الأُخَر هؤلاء الذين ذكرتهم هم من مرجئة الفقهاء.

أقسام المرجئة:

هنا نأتي لتقسيم المرجئة، سنبين حتى تضبطوا لأن الإرجاء أنواع.

1 قول الجهمية:

المرجئة الذين يقولون أن الإيمان مجرد معرفة القلب، وهذا قول الجهمية، معرفة أنك تعرف أن هناك إله، معرفة القلب، يعرف، – أقول يعرف – المعرفة فقط، أنه يوجد إله، ويوجد رسالة

وغير ذلك، المعرفة، لكن التلفظ؟ لا يُشترط، تصديق؟ لا يشترط، عمل قلبي؟ لا يشترط، عمل جوارح؟ لا يشترط. هذا قسم.

2 مرجئة الفقهاء:

ادخلوا أعمال القلوب في الإيمان، هؤلاء هم مرجئة الفقهاء، فقالوا هو قول باللسان وتصديق القلب، فأدخلوا أعمال القلوب في الإيمان. ما هي أعمال القلوب؟ المفترض أن هناك قول اللسان، وهناك قول قلب، وهناك عمل قلب، وعمل جوارح. **قول القلب:** هو التصديق، **وقول اللسان:** التلفظ، **وعمل القلب:** التوكل، الخشية، الإنابة، الخوف، الرجاء، المحبة أعمال قلبية، **وأعمال الجوارح:** صلاة وصوم وزكاة وحج إلى غير ذلك.

فمرجئة الفقهاء يقولون قول باللسان وكل أعمال القلوب كعمل، فيدخلون أعمال القلوب في الإيمان. هؤلاء هم مرجئة الفقهاء أعدلهم وأقربهم لأهل السنة والجماعة.

3 الكرامية:

قالوا بأن الإيمان تلفظ باللسان فقط، وهؤلاء الكرامية، وهؤلاء آخر طائفة وُجدت من المرجئة، وأول طائفة انقرضوا، أي ما تجد الآن الكرامية. ما هي إشكاليتهم؟ قالوا الإيمان تلفظ باللسان فقط، ما الإشكال عند هؤلاء؟ عندهم المنافق مؤمن، لأن المنافق بيقول بلسانه ولا يصدق بقلبه، إذًا المنافق عندهم مؤمن، وهذا طبعًا مخالف لما جاء في الكتاب وجاء في السنة.

4 الأشاعرة والماتريدية:

قالوا الإيمان مجرد تصديق الجنان؛ تصديق القلب فقط، وهؤلاء دخل فيهم الأشاعرة والماتريدية، أي جعلوا التصديق هو الإيمان، فلما سألتهم عن القول، قالوا القول لازم للإيمان، لازم، لأنك لابد تقول، لكن الإيمان هو تصديق القلب فقط والقول لازم، وطبعًا الأعمال ليست معهم أصالة.

ما الفرق بين هؤلاء الصنف الرابع والأول الذين قالوا بالمعرفة وهم الجهمية؟

الأول قالوا الإيمان المعرفة، والرابع قالوا التصديق، فعلى كلام الجهمية أن المعرفة إيمان، فيكون إبليس مؤمن، فإبليس كان يعلم بالله عز وجل لكن لم يصدق، أو لم يتابع. إذًا الفارق بين الأول والرابع أن الأول أشد كفرًا؛ الذين قالوا المعرفة فقط.

لو أردتم أن نقسم تقسيم ثان؛

أفردنا **مرجئة الفقهاء** لوحدهم في قسم لأنهم أقرب الناس قلنا أو أعدل للناس إلى أهل السنة والجماعة، قالوا الإيمان تصديق بالجنان وعمل بالقلب، وأعمال القلوب عندهم ركن من أركان الإيمان، ويقولون أعمال الجوارح ثمرة من ثمرات أعمال القلوب؛ أي أنت إذا عملت أعمال القلوب لابد من أن القلب يثمر عن أعمال الجوارح، أنت الآن لو توكلت وخشيت وأنبت واستعنت وخفت من الله عز وجل ورجوت الله ستصلي وتصوم وتفعل، إذًا هم عندهم أعمال الجوارح ثمرة لأعمال القلوب، لكن الإيمان عندهم بقول اللسان وبتصديق القلب وبأعمال القلوب، هم ادخلوا أعمال القلوب هذا جيد، وهذا حجة عليهم، لأنكم إذا كنتم أدخلتم أعمال القلوب فلماذا أخرجتم أعمال الجوارح؟ فأنتم قلتم بالعمل، و(لم يعمل خيرًا قط)، طيب أعمال القلوب عمل، فكيف قلت (لم يعمل خيرًا قط) وأدخلتم القلوب؟ إذًا أولى لكم الجوارح. لكننا نتكلم عن معناهم عندنا حتى تحفظوا من هم مرجئة الفقهاء؟ هم الذين قالوا تصديق بالجنان، وقالوا عمل بالقلب، وقالوا الجوارح ثمرة ومطلوبة لكن ليست في الإيمان، هؤلاء مرجئة الفقهاء، وكثير عندنا حقًا من المتقدمين والمتأخرين بعض أصحاب المذاهب قالوا بذلك، **وأشهرهم الإمام الطحاوي**، صاحب العقيدة الطحاوية وهو فحل من فحول الأحناف، وطبعًا اشتهر أيضًا عن **الإمام أبو حنيفة** حقًا، وكثير من أصحابه، والبعض يحاول يدفع عن الإمام أبو حنيفة مسألة الإرجاء في الإيمان، والحق أنه ثابت عنده في النقولات، وأسأل الله أن يُغفر له ذلك في حسناته وفي أعمالهم. لكن جاء من بعدهم المتأخرين ومنهم طبعًا الإمام الطحاوي قال بذلك.

بل شارح الطحاوية **أبي العز** أيضًا قال نفس القول في الإيمان. لكن شارح الطحاوية قال أن الخلاف لفظي، والحق أن الخلاف ليس بلفظي، قالوا مرجئة الفقهاء مع أهل السنة الخلاف لفظي، نحن نقول بالإيمان تصديق وأنتم تقولوا تصديق، قول وقول، ونحن نقول بالأعمال لكن أنتم تقولوا الأعمال من الإيمان نحن نقول الأعمال ثمرة ولازمة فليس هناك فارق لأن نحن معكم في الأعمال من الإيمان. لكن الحق أن الخلاف ليس بلفظي. **لماذا ليس الخلاف بلفظي؟** الخلاف ليس بلفظي لكن الخلاف معنوي، هم يقولوا الإيمان يعني التصديق، أي أن الإيمان مرادف للتصديق عندهم. وحتى في اللغة يقول لك الإيمان تصديق، {وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ} [يوسف:17]، فالإيمان عنده يساوي التصديق، إذًا الكفر عنده يساوي التكذيب، إذًا حصل الكفر عنده في أن يكون المرء مكذبًا للكتاب أو للسنة فقط. والتكذيب أين محله؟ في قلب، إذًا أصبح عنده الكفر محله هو التكذيب الذي هو في القلب.

أهل السنة والجماعة ماذا يقولون في الكفر؟ كم نوع؟ وأنواع أم هو نوع واحد فقط؟ عندهم الكفر قد يكون تكذيبًا، قد يكون جحودًا، قد يكون استحلالًا، قد يكون اعراضًا، استكبارًا، تولي، هنا يظهر الفارق لك.

إذًا الخلاف ليس بلفظي، المرجئة لن يُكَفِّر إلا إذا كَذَّب القلب، {وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ } [النمل:14]، و {أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ} [البقرة:34]. إذًا المرجئة لن يُكفِّروا إلا إذا كان الكفر تكذيب، والتكذيب محل القلب، إذًا لابد عنده أن يظهر لك أن يقول أنا أكَذِّب، وهنا يظهر أن الخلاف ليس بلفظي، لكن الخلاف معنوي، لأنك حصرت الكفر في التكذيب، وأهل السنة والجماعة لا يقولون بذلك. لذلك بيقول لك: "لو نطق الكفر"؛ سب الله – والعياذ بالله – أو سب النبي ﷺ – والعياذ بالله – أو سب الدين فعنده لا يكفر إلا إذا استحل بقلبه، أو كذب!

طيب كيف ستكفروا؟! حتى لما يأتي الشيء يكون كفرًا صريحًا – **انظر إلى العبارة حتى تعلمها لما تقراها وتسمعها من أحد بيتكلم** – يقول لك: **(لا، هو ما كفر بسبب هذا القول، هذا القول دل على تكذيب القلب فأصبح كافرًا)** انتبهوا ستسمعوها كثيرًا عند من يتكلمون بكلام الإرجاء ولا يُظهِر لك أنه مُرجئ، وأنت لا تعلم. لما يقول لك فلان سب الله، نقول لا، سب لله كفر عندنا، يقول لك لا، سبه لله دل على تكذيبه في قلبه لله عز وجل، فهنا جاء الكفر في التكذيب وليس الكفر أنه نطق بالسب! وهذا خلاف يظهر لك بين أهل السنة وبين أهل الإرجاء، حتى مرجئة الفقهاء الذين قلنا أنهم اقرب الناس. أما ما تحت مرجئة الفقهاء سنبين أنهم في الضلال.

إذًا هو عنده كفر اعتقاد فقط ولكن هو يلبس عليك أحيانًا فيقول لك هو فعل فكفر، لكن لا يكفره بسبب العمل، لا، يقول العمل دلالة على الاعتقاد الذي عنده فيكون بذلك. هذا طبعًا لما أنت تضيق عليه وتقول له كيف تقول بأن سب الله ليس بكافر؟! سب الرسول ليس بكافر؟! سب الدين ليس بكافر؟! فهو مع أنه قد يقرك لكن لا يقرك بسبب الفعل، بل يقرك بسبب التكذيب الذي في القلب، وهذا يظهر لك الأصل الذي عنده في هذه المسألة.

طيب الغرض المقصود نعم نقول أن أعدل الأقوال أو أقربها قول مرجئة الفقهاء، لأنه حقيقة هم أتوا بأعظم الأركان، أي أكثرها، قالوا بالقول باللسان، وأيضًا قالوا الإيمان لا يكون إيمانًا إلا بالقول باللسان وليس كما قالت الأشاعرة بالتصديق فقط كما يقال، لأن النبي ﷺ قال: [أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يقولوا: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ]، وقال لعمه: [أَيْ عَمِّ، قُلْ: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ]، وهذا

يبين لك عوار الأشاعرة الذين يتخفون في مسألة الإيمان ولا يظهرونه، لكن لو رجعت للكتب تجد المعتمد عندهم في الإيمان التصديق فقط، وليس حتى النطق، والنطق يقول لازم لكن ليس من أركان الإيمان عندهم، فضلًا طبعًا عن أعمال الجوارح.

وكل هؤلاء الفرق المرجئة بأنواعها لا يقرون بأن الإيمان يزيد وينقص، وهذا فارق أصيل عن أهل السنة والجماعة، لأن كل هؤلاء لا يرون أن الإيمان يزيد وينقص لأن أصل الأعمال عندهم ليست من الإيمان، والإيمان مقصور عندهم في التصديق في القلب وفي القول، ومنهم من أدخل حتى أعمال القلوب لكن لا يقولون بأن الإيمان يزيد وينقص، وهذا فارق مهم سنلخصه الآن.

القسم الثاني مرجئة المتكلمين ؛ والذين هم يسموا المتكلمة. انتهينا من التقسيم الأول وهم الأربعة، قلت هنأخد مرجئة الفقهاء لوحدهم، ثم الباقي وهم المتكلمة؛ مرجئة المتكلمين، هذه هي الأنواع بداية من الجهمية كلهم دخلوا في الكلام – من الجهمية إلى الأشاعرة – هذا كله ممكن تسميه مرجئة المتكلمة. وطبعًا مرجئة المتكلمة كأنهم عملوا بقول الله عز وجل:{ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ } [الإسراء:36]. ممكن نحصرهم هم حقيقة أكثر من طائفة ولهم أسماء لكن سنحصرهم بضوابطهم؛

1- **طائفة الجهمية**؛ طائفة قالت الإيمان المعرفة فقط، فقالوا أنك حتى تكون مؤمن تعرف بأن الله الخالق المدبر الرازق، فقط تعرف، هذا مؤمن، وهذا قول الجهمية، هذا الإيمان عندهم، وهذا طبعًا حقيقة كفر، فالإيمان عندهم معرفة إذًا الكفر هيكون عندهم الجهل، من جهل بالله فقد كفر، ومن علم بالله فقد آمن عندهم. طيب وأين ستفعل بقوله تعالى: ، {وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ } [النمل:14] ؟ هل هم علموا أم لم يعلموا؟ {وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ} ومع ذلك قالوا {وَجَحَدُواْ بِهَا}، فالله عز وجل ما اكتفى بالعلم، بل كفَّرهم بالجحود، وهذا من أضل الأقوال أن يجعلون الإيمان المعرفة كما كان إبليس يعلم ومع ذلك ما تابع، واستكبر عن الإستجابة لأمر الله عز وجل.
2- **طائفة الكرامية**؛ الذين قالوا بالقول فقط، ورددنا على ذلك، وهم طبعًا يستدلون بقول النبي ﷺ لأبي طالب:[أَيْ عَمِّ، قُلْ: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أُحَاجُّ لكَ بهَا عِنْدَ اللَّهِ]، إلى آخر ذلك، وقلنا أن هذا لازمه بأن المنافق مؤمن.
3- **طائفة الأشعرية**؛ الأشعرية ومن معهم حقيقة، هم قالوا الإيمان تصديق القلب فقط، أي إن صدقت بقلبك فأنت مؤمن، وطبعًا هذا الذي يجعل بعضهم يقول أن أبي طالب مؤمن عندهم،

لأنه كان مصدق ويعلم أن خير دين كان دين النبي ﷺ ، وإلى غير ذلك عمومًا، لكن عندهم قول اللسان لازم لكن ليس بركن، أي ركن زائد ليس بأصل في الإيمان –هذا اللسان – وبعضهم يقول لابد من اللسان. وقد فصلت هذا في الأسس الفاصلة للأشاعرة ورددنا عليهم. لكن أقول هنا أن بعضهم يقولون بأن اللسان ركن زائد، والبعض يقول لا هو القلب فقط، ولكن لا يدخلون أعمال القلوب ولا يدخلون أعمال الجوارح.

انتهينا من هذا التقسيم الثنائي. وسأزيد معكم قليلًا، **سنجعل التقسيم من ناحية أخرى؛ من ناحية أن الإيمان قلنا عندنا قلب ولسان وجوارح**، هناك طوائف قالت بالثلاثة؛ قلب ولسان وجوارح، وهناك طوائف قالت بالقلب فقط، هناك طوائف قالت بالقلب واللسان.

فلو قلنا الطوائف التي قالت بأن الإيمان قول ولسان وجوارح ثلاثة من التقسيم وهذا تنوع في التقسيم لتضبط لكم المسألة.

1- **قسم قالوا بأن الإيمان قول باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالجوارح**؛ وهم **أهل السنة**، ومن قال مثل أهل السنة؟ **الخوارج والمعتزلة**. الخوارج والمعتزلة يرون أن الإيمان قول لسان، وتصديق قلب، وعمل جوارح، ما الفارق؟ قلنا يوجد أصل الأول أن عند كل هؤلاء الذين يخالفون أهل السنة والجماعة لا يقولون بزيادة ونقصان الإيمان، لا يقولون أن الإيمان يزيد وينقص، كل واحد على حسب تعريفه. والأمر الثاني أن بعضهم يقول الإيمان مركب، الذين يقولوا بالثلاثي الذي قلناه الآن عندهم الإيمان مركب، مركب من ماذا؟ من قول وتصديق وجوارح.

ما الفرق بيننا وبين الخوارج والمعتزلة مع أنهم يقولوا بأن الإيمان قول وتصديق ولسان وجوارح؟ يقولون أن الإيمان مركب، إذا تخلف ركن تخلف الإيمان بالكلية، وهذا الفارق بين أهل السنة وبين هؤلاء، هم اتفقوا أن الإيمان مركب، لكن هؤلاء قالوا بأن الإيمان مركب إذا ضاع جزء منه ضاع الإيمان بالكلية. لذلك الخوارج والمعتزلة يجعلون المرء كافر بالمعصية، لماذا؟ لأنه لما أتى بمعصية تخلف ركن – الجوارح – فيخرجون من الإسلام.

فبذلك ممكن تقسم تقسيم آخر للإيمان؛ هناك طوائف قالت نعم بقول اللسان وتصديق القلب وعمل الجوارح نعم، من؟ أهل السنة والخوارج والمعتزلة، ما الفارق؟ بأن أهل السنة لا يقولون بأن لو فعل المرء معصية أو لو تخلف ركن يتخلف الإيمان، لا، قالوا ينقص الإيمان، لماذا؟ لأن نحن نفارق بيننا وبين كل هؤلاء لأننا نرى الإيمان يزيد وينقص، هم لا يرون الإيمان يزيد ينقص، حتى الخوارج المعتزلة؟ نعم، يرون الإيمان مركب، إذا جزء من التركيب رُفِع فقد رُفِع

الإيمان بالكلية. أما نحن نقول: لا، نقص الإيمان، ولو رجع زاد الإيمان. فالإيمان لا يتبعض عند هؤلاء مع أنهم يقولون بالثلاثي.

فهذا تقسيم حتى تعلم أيضًا بأن من هذا الباب وافقوا من وجه واختلفوا من وجه. وهذا الإشكال في مسألة أن الإيمان لا يتبعض هذا أيضًا عند كل الطوائف بخلاف أهل السنة والجماعة، أي حتى عند المرجئة؟ نعم، كيف؟ هو ما الذي دعاهم أن يُخرجوا الإيمان من الأعمال؟ هم يرون أن الإيمان لا يتبعض، فقالوا لو وضعنا الأعمال في الإيمان، والأعمال منها ما يفعله المرء لأنه ممكن يعمل واجبات ويتركها، أو محرمات ويأتي بها، فلو أدخلنا الأعمال سيؤدي ذلك إلى تلاشي الإيمان، لماذا؟ لأنه عندهم نفس الأصل الذي عند الخوارج والمعتزلة؛ أن الإيمان لا يتبعض، فقالوا حتى يسلم لنا الإيمان إذًا الأعمال ليست من الإيمان، لابد تكون الأعمال تصديق القلب الذي لا يتبعض، وقول اللسان. مع أننا نقول لهم أخطأتم، لأن حتى القلب يتبعض، قال ابراهيم عليه السلام كما قال الله عز وجل:{ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى} [البقرة:260]، إذًا حتى أعمال القلوب فيها تفاوت، لكن أنا أبين لك الأصول عند هؤلاء.

إذًا الأصل عند كل الطوائف المخالفة لأهل السنة والجماعة في الإيمان أنهم أيضًا يرون بأن الإيمان لا يتبعض، فلذلك الخوارج والمعتزلة هم أدخلوا الأعمال قالوا لأن الأعمال لابد من الإيمان، لكن الإشكال عندهم لو أحد لم يعمل العمل؛ لم يصلي أو ارتكب محرم طار الإيمان منه، خرج من الإسلام. الباقي قالوا أيضًا الإيمان لا يتجزأ ولا يتبعض، لذلك نكتفي بالقول وبالتصديق، أو بالقول فقط كالكرامية، أو بالتصديق فقط كما سيأتي، أو بالإثنين مع بعض، لكن الأعمال لا تدخل.

مثال؛ لو كرسي أو طاولة يوجد جنب هنا وجنب هنا، لو أنت نزعت واحد سيقع، لكن الكرسي موجود أم لا؟ ممكن تضع شيء مكانه؟ هم يقولون لو أزلت هذا الجانب ترى المكان كله ولم يعد هناك كرسي موجود، أو أصبحت لا توجد طاولة. هذا معنى يتجزأ ويتبعض، هم يرون أن الإيمان لا يمكن يتجزأ ويتبعض، لذلك قالت الخوارج والمعتزلة بأن فعل المعاصي أو عدم فعل الواجبات يكفر به المرء، لأن العمل لما انفصل فقد انفصل الإيمان عندهم.

2- **الذين يقولون بأن الإيمان بالقلب واللسان فقط؛** وهؤلاء على النقيض، وهؤلاء هم **مرجئة الفقهاء والكلابية**. أنا أصحح الكلابية مع مرجئة الفقهاء هؤلاء قالوا بالإثنين.

3- **الذين قالوا أن الإيمان باللسان والجوارح؛** وهذه فرقة اتركوها لأن هي فرقة تسمى **الغسانية** وهذه مجهولة ما أحد يعلم عنها شيء، قالوا باللسان والجوارح فقط، أي أن القلب ليس عندهم اعتبار. اتركوها عمومًا.

4- **الذين قالوا الإيمان بالقلب فقط؛** وهم **الجهمية والأشاعرة والمريسية والماتريدية ومنهم طائفة تسمى الصالحية**، هؤلاء كلهم اجتمعوا بأن الإيمان بالقلب فقط.

إذًا لو الثلاثي؛ فعندك التقسيم الإيمان الثلاثي، لو عندك ثنائي قلناه، ولو عندك أحادي الذين قالوا الإيمان بالقلب فقط بينا لك هذه الأنواع الخمسة.

5- **الذين قالوا الإيمان باللسان فقط؛ وهم الكرامية.**

إذًا عندك إما الذين قالوا بالثلاثة – بيناهم – لسان قلب جوارح. أو قالوا بالقول والقلب بيناهم، والذين قالوا بالقول والجوارح هؤلاء مجهولين لكن نبينهم، والذين قالوا بالقلب فقط بيناهم، والذين قالوا باللسان فقط قد بيناهم. فهذا تقسيم من حيث تركيب الإيمان.

تقسيم آخر... نفس الذي قلناه الآن، لكن سنرجع نقول مرة أخرى؛

الذين قالوا باللسان والقلب والجوارح قسمناهم طائفتين:

1- أهل السنة ؛

2- والآخرين الخوارج والمعتزلة. فالخوارج والمعتزلة عندهم مرتكب الكبيرة في النار، والمعتزلة في الدنيا بين منزلتين وفي الآخرة في النار.

الذين قالوا باللسان والقلب أيضًا طائفتين:

1- مرجئة الفقهاء، وهم أدخلوا أعمال القلوب في الإيمان؛

2- والكلابية وعامة الأحناف، لأن الأحناف نصين؛ جزء منهم مرجئة الفقهاء، مثل الإمام أبو حنيفة والطحاوي وغير ذلك، الذين هم فقهاء من الأحناف، هؤلاء أدخلوا أعمال القلوب في الإيمان، لكن عامة الأحناف والكلابية قالوا بالتصديق واللسان فقط ولم يدخلوا أعمال القلوب.

إذًا هذا فارق بين الطائفة التي قالت بالقلب واللسان. ودخل معهم الماتردية على أساس أن الأحناف ماتردية أيضًا.

الذين قالوا بالقلب فقط:

قسمناهم من قبل:

1- الجهمية: المعرفة؛

2- الأشاعرة والماتريدية: تصديق فقط؛

3- باقي فرق المرجئة؛ المريسية وغير ذلك، الذين أدخلوا أعمال القلوب جميعًا.

ضوابط لمعرفة الفرق بين أهل السنة والجماعة وبين باقي المبتدعة في مسألة الإيمان:

1- السلف يقولون بزيادة الإيمان ونقصانه - أول ضابط لابد تضبطه - نحن نقول أن الإيمان يزيد وينقص. وطبعًا لن استطيع أن آتي بكل هذه الأدلة التي تكلمنا عنها، لكن نحن بنتكلم فقط في هذا الأمر لأن الإمام هنا ركز على المرجئة، فكنا لابد أن نبين الإرجاء بانواعه حتى يتبين لنا. نقول السلف يقولون بزيادة الإيمان ونقصانه، أما كل هذه الفرق لا تقول بزيادة الإيمان ونقصانه، عندهم الإيمان واحد حتى لو كان مركب أو غير مركب هو واحد عندهم لا يزيد ولا ينقص.

2- عند السلف أعمال القلوب من الإيمان.

3- عند السلف يستثنون في الإيمان؛ عندهم الاستثناء في الإيمان، مسألة أنا مؤمن إن شاء الله، عند غيرهم لا يستثنون ويجعلون هذا شكًا في الإيمان ويكفِّرون بذلك.

4- السلف يرون بتفاضل الإيمان، عند هؤلاء يقولون إيمان جبريل كإيمان أحد من الناس.

هذا كله كان في مسألة الإيمان ومسألة الإرجاء، وهنا قال الشيخ بعدما بين الرد على أن هذا القول الذين يقولون بذلك هم من المرجئة، ثم قال سنذكر بعد ذلك أقوال يبين ذلك وآثار. وهذه إن شاء الله نرجئها للأسبوع القادم.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم سبحانك اللهم وبحمدك

أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

المحاضرة التاسعة والعشرون

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام على موعد مع شرح كتاب الشريعة للإمام الآجري – عليه رحمة الله تعالى – كنا قد بدانا الأسبوع الماضي في باب عظيم جدًا **بَابُ تَفْرِيعِ مَعْرِفَةِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَشَرَائِعِ الدِّينِ**. وقد استهللنا بمقدمه المؤلف وبينا التأصيل الذي ذكره لنا المؤلف في مسألة الإيمان، والمفارقة بين أهل السنة والجماعة وبين غيرهم من الطوائف المبتدعة في مسألة تعريف الإيمان، واستفضنا في مسألة التقسيمات من أكثر من وجه خاصة لنبين كلام المرجئة بأنواعهم؛ الفرق المرجئة كلها الذي بينها لنا المؤلف لأنه بدأ المقدمة ببيان عقيدة أهل السنة والجماعة ثم ببيان أن المرجئة يخالفون أهل السنة والجماعة في ذلك، وبدأ بعد ذلك كما سيأتي معنا في الباب سيبين لنا الضوابط والفروقات بين مفهوم الإيمان وتعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة وعند المرجئة وغيرهم.

196- حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عُمَرُ بْنُ سَعِيدٍ الْقَرَاطِيسِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ مَنْصُورٍ الرَّمَادِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ} [الفتح: ٤] قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَهَادَةِ أَنَّ لا إله إلا الله، فَلَمَّا صَدَّقَ بِهَا الْمُؤْمِنُونَ زَادَهُمُ اللَّهُ الصَّلَاةَ، فَلَمَّا صَدَّقُوا بِهَا زَادَهُمُ اللَّهُ الصِّيَامَ، فَلَمَّا صَدَّقُوا بِهِ زَادَهُمُ الزَّكَاةَ، فَلَمَّا صَدَّقُوا بِهَا زَادَهُمُ الْحَجَّ، فَلَمَّا صَدَّقُوا بِهِ زَادَهُمُ الْجِهَادَ، ثُمَّ أَكْمَلَ لَهُمْ دِينَهُمْ، فَقَالَ تَعَالَى {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: ٣] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ وَالْمُسْلِمُونَ يَحُجُّونَ جَمِيعًا فَلَمَّا نَزَلَتْ بَرَاءَةٌ نُفِيَ الْمُشْرِكُونَ عَنِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، وَحَجَّ الْمُسْلِمُونَ لَا يُشَارِكُهُمْ فِي الْبَيْتِ الْحَرَامِ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ تَمَامِ النِّعْمَةِ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى {الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ، فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: ٣]

197- وَحَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَخْلَدٍ الْعَطَّارُ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو يَعْقُوبَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الصَّفَّارُ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْمِصِّيصِيُّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ فِي سَنَةِ سَبْعِينَ وَمِائَةٍ فَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنِ الْإِيمَانِ؟ فَقَالَ: قَوْلٌ وَعَمَلٌ قَالَ: يَزِيدُ وَيَنْقُصُ؟ قَالَ: "يَزِيدُ مَا شَاءَ اللَّهُ، وَيَنْقُصُ حَتَّى لَا يَبْقَى شَيْءٌ مِنْهُ مِثْلُ هَذِهِ، وَأَشَارَ سُفْيَانُ بِيَدِهِ، قَالَ الرَّجُلُ: كَيْفَ نَصْنَعُ بِقَوْمٍ عِنْدَنَا يَزْعُمُونَ أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ بِلَا عَمَلٍ؟ قَالَ سُفْيَانُ: كَانَ الْقَوْلُ قَوْلَهُمْ قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ أَحْكَامُ الْإِيمَانِ وَحُدُودُهُ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ كَافَّةً أَنْ يَقُولُوا: لا إله إلا الله، وَأَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، فَإِذَا قَالُوهَا، عَصَمُوا بِهَا دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَلَمَّا عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى صِدْقَ ذَلِكَ مِنْ قُلُوبِهِمْ، أَمَرَهُ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِالصَّلَاةِ، فَأَمَرَهُمْ فَفَعَلُوا، فَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ يَفْعَلُوا مَا نَفَعَهُمُ الْإِقْرَارُ الْأَوَّلُ، فَلَمَّا عَلِمَ اللَّهُ صِدْقَ ذَلِكَ مِنْ قُلُوبِهِمْ، أَمَرَهُ

أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَأَمَرَهُمْ فَفَعَلُوا، فَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ يَفْعَلُوا مَا نَفَعَهُمُ الْإِقْرَارُ الْأَوَّلُ وَلَا صَلَاتُهُمْ، فَلَمَّا عَلِمَ اللَّهُ صِدْقَ ذَلِكَ مِنْ قُلُوبِهِمْ أَمَرَهُ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِالرُّجُوعِ إِلَى مَكَّةَ فَيُقَاتِلُوا آبَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ، حَتَّى يَقُولُوا كَقَوْلِهِمْ، وَيُصَلُّوا صَلَاتَهُمْ، وَيُهَاجِرُوا هِجْرَتَهُمْ، فَأَمَرَهُمْ فَفَعَلُوا، حَتَّى أَتَى أَحَدُهُمْ بِرَأْسِ أَبِيهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا رَأْسُ شَيْخِ الْكَافِرِينَ فَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ يَفْعَلُوا مَا نَفَعَهُمُ الْإِقْرَارُ الْأَوَّلُ، وَلَا صَلَاتُهُمْ، وَلَا هِجْرَتُهُمْ، وَلَا قِتَالُهُمْ، فَلَمَّا عَلِمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ صِدْقَ ذَلِكَ مِنْ قُلُوبِهِمْ، أَمَرَهُ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِالطَّوَافِ بِالْبَيْتِ تَعَبُّدًا، وَأَنْ يَحْلِقُوا رُءُوسَهُمْ تَذَلُّلًا فَفَعَلُوا، فَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ يَفْعَلُوا مَا نَفَعَهُمُ الْإِقْرَارُ الْأَوَّلُ، وَلَا صَلَاتُهُمْ، وَلَا مُهَاجَرَتُهُمْ، وَلَا قَتْلُ آبَائِهِمْ، فَلَمَّا عَلِمَ اللَّهُ صِدْقَ ذَلِكَ مِنْ قُلُوبِهِمْ، أَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً يُطَهِّرُهُمْ بِهَا، فَأَمَرَهُمْ فَفَعَلُوا، حَتَّى أَتَوْا بِهَا، قَلِيلِهَا وَكَثِيرِهَا، وَاللَّهِ لَوْ لَمْ يَفْعَلُوا مَا نَفَعَهُمُ الْإِقْرَارُ الْأَوَّلُ، وَلَا صَلَاتُهُمْ، وَلَا مُهَاجَرَتُهُمْ، وَلَا قَتْلُهُمْ آبَاءَهُمْ، وَلَا طَوَافُهُمْ، فَلَمَّا عَلِمَ اللَّهُ الصِّدْقَ مِنْ قُلُوبِهِمْ فِيمَا تَتَابَعَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَرَائِعِ الْإِيمَانِ وَحُدُودِهِ قَالَ لَهُ: قُلْ لَهُمْ: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: ٣] قَالَ سُفْيَانُ: فَمَنْ تَرَكَ خَلَّةً مِنْ خِلَلِ الْإِيمَانِ جَاحِدًا كَانَ بِهَا عِنْدَنَا كَافِرًا، وَمَنْ تَرَكَهَا كَسَلًا أَوْ تَهَاوُنًا، أَدَّبْنَاهُ، وَكَانَ بِهَا عِنْدَنَا نَاقِصًا، هَكَذَا السُّنَّةُ أَبْلِغْهَا عَنِّي مَنْ سَأَلَكَ مِنَ النَّاسِ

المؤلف – رحمة الله عليه – انتقل بعد أن بين لنا تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة وذكر ما كان عليه المرجئة من مخالفة أهل السنة والجماعة في مسألة الإيمان، وقال أن الإيمان يكون باللسان ويكون بالجنان ويكون بالجوارح، أتى بالأثر الأول عن ابن عباس رضي الله عنهما وفيه تفسير لقول الله عز وجل:{هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ} [الفتح:4]، وكأنه يؤكد ويرد على المرجئة في مسألة الإيمان، أنه يرد عليهم أولًا لأن بعضهم لم يثبت أعمال القلوب – بخلاف مرجئة الفقهاء – وهو يبين لهم الآن بان أعمال القلوب من الإيمان، لأن الآية ماذا تقول؟ {هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ} ثم قال في ختام الآية: {لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ} فالأول الآية فيها اثبات لأعمال القلوب، والأمر الثاني يبين الخلاف الرئيسي بين أهل السنة والمرجئة في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه، لأن هنا يبين{لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ} وفيه بيان زيادة الإيمان. إذًا الأمر الأول أنه

أثبت أن للقلوب أعمال، بل أن – كما سيأتي معنا الآن في تفسيرها – جعل السكينة تزيد الإيمان، لأنه لما قال الله عز وجل: {هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ} لم يقل (أنزل الإيمان)، لكن (أنزل السكينة)، وفيه اشارة أيضًا على أن:{ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا}.

إذًا السكينة نزلت على أصل موجود، وهو وجود الإيمان في القلب أولًا، ثم نزلت السكينة لتزيد هذا الإيمان، لذلك جاء في آخر الآية الله عز وجل قال: {لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ}. إذًا السكينة جاءت على أصل الموجود في القلب وهو الإيمان، فزادت هذا الإيمان بوجود السكينة، كما قال ابن عباس: (السكينة: الطمأنينة).

فأولًا فيها دلالة على اثبات أعمال القلوب، وفيه رد على المرجئة، وفيه الأمر الثاني وهو اثبات زيادة الإيمان والنقصان، وأيضًا فيه رد على أعمال القلوب. وهذا طبعًا أولًا استنباط بديع من المؤلف أنه أتى بهذه الآية في الترتيب في الكلام على الإيمان، وأتى بتفسير ابن عباس رضي الله عنه وأرضاه فسر ذلك فقال: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَهَادَةِ أَنَّ لا إله إلا الله، فَلَمَّا صَدَّقَ بِهَا الْمُؤْمِنُونَ زَادَهُمُ اللَّهُ الصَّلَاةَ إلى آخر ما قرأنا، فيبين فيه أن أول شيء نزل النطق بالشهادتين، ثم نزلت الشرائع، ومنها فرضية الصلاة ثم فرضية الصوم، ثم جاء بعد ذلك باقي المباني الخمسة من الصلاة، من الزكاة، والصوم والحج حتى اكتملت المباني الخمسة للإسلام أو الأركان الخمسة.

وقول ابن عباس كما قلنا السكينة هي الطمأنينة؛ طمأنينة القلب، وهي أعلى درجات الإيمان، لذلك لما قال ابراهيم عليه السلام:{ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى} [البقرة:260]، أي ليزداد الإيمان في القلوب. وقلنا هذه دلالة أكيدة ومتكررة في الأدلة على أن الإيمان يتفاوت في القلب أيضًا، ليس كما قالت المرجئة بأنهم جعلوا التصديق واحدًا ولم يجعلوا هناك تفاوت في إيمان القلوب، بل الإيمان في القلب يتفاوت، وهذا فيه رد طبعًا على كثير من العلماء الذين قالوا بقول المرجئة في مسألة أن التصديق واحد في القلب أو ثابت أو لا يتفاضل. ومنهم أيضًا البيهقي، ومعلوم الإمام البيهقي في شعب الإيمان أيضًا أخذ قول المرجئة في مسألة التصديق وأن الإيمان لا يتفاوت ولا يتفاضل.

وقلت اللفتة في هذه الآية المهمة جدًا نزول السكينة على أصل الإيمان الموجود الذي كان في القلوب، فختم الآية بمسألة {لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا}.

وأيضًا هذه تبين لك على أن الإيمان يرتقي بالمعاينة، أي أن إما يرتقي الإيمان بالمعاينة أو بالمشاهدة أو يرتقي أيضًا بالعلم كما هو معروف عندكم علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين، كل هذه درجات لزيادة الطمأنينة. فالمرء بالعلم أولًا يزداد الإيمان عنده، فأنت الآن لما تعلم أن في الجنة فواكة، وحور عين، وكذا وكذا، هذا بعلمك يزداد لك اليقين، عندما تكون في يوم القيامة وتقف على الصراط وتنظر إلى الجنة فترى بعينك أشجار الجنة وفواكه الجنة وحور عين الجنة انتقلت هنا من علم اليقين لعين اليقين، أنت رأيت ذلك، ثم لما تدخل الجنة ويكون لك هذه الاشجار والفواكة والحور العين فأنت الآن وصلت إلى حق اليقين، نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من هؤلاء جميعًا. فهذا علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين هذا كله يؤدي إلى زيادة الإيمان.

لذلك إبراهيم عليه السلام طلب من الله عز وجل أن يريه كيف يحيي الموتى، هو أراد عين اليقين، هو عنده علم اليقين لكن أراد بالعين كما قال ليطمئن ويزداد الإيمان. وهذا واقع مشاهد، لذلك يقول النبي ﷺ: [ليس الخَبَرُ كالمُعايَنةِ] عندما يخبرك أحد عن شيء ليس كما تراه بنفسك، أنت الآن تسمع مثلًا أحداث تحدث، تسمع، لكن لما ترى بعينك هذا الشيء تختلف عندك المسألة في قلبك، لو كانت بشرى أو كانت فيها إساءة أو غير ذلك. وهذا ما حدث مع موسى عليه السلام؛ الله عز وجل أخبره وهو يكلمه أن القوم اتبعوا السامري في اتخاذ العجل، أخبره أم لا؟ أخبره، قال:{ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ} [طه:83]، إلى آخر الآيات وفي السور الأخرى، لكن لما رجع موسى ورآهم بعينه ورأى عبادتهم للعجل ماذا فعل؟ { وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ} [الأعراف:150]، إلى آخر ما جاء في القرآن عما حدث لموسى عليه السلام. فبالرغم من أنه رجع وهو يعلم بما عملوه لكن لما عاين ما يعملونه ما استطاع أنه يقف بل غضب حتى على هارون عليه السلام. وهذا يبين لك أن مسألة الإيمان تختلف بالعلم أولًا، ثم تزيد بعد ذلك بعين اليقين، ثم تزيد بعد ذلك بحق اليقين، وهذه درجات أراد أن يبينها لنا المؤلف في الأثر الأول وفي تفسير ابن عباس لقوله تعالى:{هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ} [الفتح:4].

ثم بين لنا بأن الله عز وجل لما بعث النبي ﷺ بعثه بالتوحيد، فلما دخل الناس في الإسلام ونطقوا بالشهادتين أنزل الله عز وجل عليهم الفرائض؛ أنزل الصلاة والصوم والزكاة إلى غير

ذلك، إلى أن نزل بعد ذلك قول الله عز وجل:{ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ} [المائدة:3] فاكتمل بذلك الدين، وهذا له باب سيأتي به بالمؤلف في هذه الآية فسنرجئ فيها التفصيل عنها إلى أن تأتي الآية.

لكن الذي نريده الآن بأن لابد من المرء أن يكون بالقلب طمأنينة حتى يدخل الإيمان في قلبه، وأن كلما ازدادت الطمانية في القلب كلما ازداد الإيمان، وهذا فيه إشكال عندنا حقًا في زماننا الآن نجد هناك ضعف في مسألة اليقين، وضعف في مسألة الإيمان لأننا أحيانًا لا نستيقن في الله عز وجل، وأننا لا نعتقد في الله حق الاعتقاد بأن الله عز وجل ناصر هذا الدين، وأن الله عز وجل يُمكِّن لأهل الدين، وأن الله يُمكِّن لأهل الإسلام، كما قال النبي ﷺ:[**بدأ الإسلامُ غريبًا وسيَعودُ غريبًا فَطوبى للغُرباءِ**] فهنا إشكالية كبيرة عندنا في مسألة الظن وحسن الظن بالله عز وجل واليقين بالله عز وجل، لذلك تجد انهزامية في الأمة بسبب عدم اليقين بالله عز وجل وعدم حسن الظن.

بل لو نظرت إلى تعريف الإيمان الذي قلناه الآن ستجد وكما سيأتي معنا بأن عند هؤلاء المرجئة هم أصلًا لا يرون بالتفاضل، ولا يرون بالطمأنينة في القلوب، ولا يرون بأعمال القلوب، فتجد لا يدخلون ذلك كله، وهذا يؤدي إلى ضعف أصلًا في الاعتقاد، وضعف في اليقين، وضعف في حسن الظن بالله، فتجد عندهم من لوازم أقوالهم انهزامية شديدة تجاه الكفر وأهل الكفر وتجاه التمكين وغير ذلك، فلا تجد عندهم هذا اليقين وهذا الحسن الظن بالله، لوجود خلل عندهم أصلًا في تعريف الإيمان وفي الاعتقاد، فهذا مركب على ما كنا نقوله من قبل.

واما أهل السنة والجماعة الذين اعتقدوا في الله حق الاعتقاد وكان الإيمان عندهم كاملًا فتجد عندهم هذا اليقين، وهذه الطمأنينة، وأنهم يسعون إلى التمكين الذي قد وعدهم به الله عز وجل، ولكن هذا لن يكون إلا بحسن الظن بالله عز وجل.

هنا ابن عباس أيضًا جاء في الآية قال: **وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ وَالْمُسْلِمُونَ يَحُجُّونَ جَمِيعًا فَلَمَّا نَزَلَتْ بَرَاءَةٌ نُفِيَ الْمُشْرِكُونَ عَنِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، وَحَجَّ الْمُسْلِمُونَ لَا يُشَارِكُهُمْ فِي الْبَيْتِ الْحَرَامِ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ تَمَامِ النِّعْمَةِ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى {الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ، فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: ٣]** هنا كلام ابن عباس في استشهاده بالآية يبين لك أيضًا أن هناك

أمر يزيد فيه الإيمان؛ وهو بالأعمال، وهو لازم؛ أنك من الأعمال يزاد بك الإيمان. لكن هناك أمر آخر من أصول الإيمان وهو البراءة من المشركين. هنا لما ذكر لنا الآن هنا قال: (وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ وَالْمُسْلِمُونَ يَحُجُّونَ جَمِيعًا فَلَمَّا نَزَلَتْ بَرَاءَةٌ نُفِيَ الْمُشْرِكُونَ عَنِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، وَحَجَّ الْمُسْلِمُونَ لَا يُشَارِكُهُمْ فِي الْبَيْتِ الْحَرَامِ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ تَمَامِ النِّعْمَةِ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى {الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ....). إذًا المسألة هنا في أن هناك أمر عظيم وهو زيادة الإيمان بالأعمال، ولا تكتفي بذلك؛ بزيادة الإيمان بالأعمال، بل لابد أيضًا مسألة البراءة من أهل الكفر، لابد من أن يجتمع لك البراءة مع زيادة الأعمال.

والبراءة من الكفر ومن المشركين هذه من أركان لا إله إلا الله، من أركان لا إله إلا الله لا معبود بالحق إلا الله أن يكون فيها كفر وإيمان، وولاء وبراء، قال سبحانه وتعالى:{ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ } [البقرة:256]. إذًا هنا من أركان لا إله إلا الله أن لابد أن يكون لك كفر بالطاغوت، براءة من أهل الكفر ومن أهل الشرك، وولاء لأهل الإيمان، لذلك قال ابن عباس: مِنْ تَمَامِ النِّعْمَةِ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى {الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ، فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ } [المائدة: ٣] جاء النص بأنك لا تخشى ولا تميل ولا توالي أهل الكفر.

إذًا من زيادة الإيمان ليس العمل فقط، إذًا نريد أن نبين أن البراءة من أهل الشرك يسبب لك زيادة في الإيمان، ليس فقط أنك تعمل العمل، بل الأمر هذا إيجابي وسلبي، الإيجابي أنك ستعمل الأعمال والسلبي أنك تتبرأ، وهذه سلبية إيجابية – لو صح التعبير – أنك تتبرأ من أهل الكفر وهذا لابد لك حتى يستقيم لك الإيمان وحتى يزداد الإيمان، وإلا تجد خلل في الذين عندهم بعض الأعمال لكن ليس عنده براءة من الكفر ومن الشرك.

لذلك أنا أقولها مره أخرى لو نظرت إلى المرجئة، وأقوال المرجئة، والذين يتبعون قول المرجئة ستجد عنده خلل في هذه المسألة، عنده خلل في مسألة البراءة من الكفر ومن الشرك ولا يتكلمون فيها ولا يُثبِّتون الأمة والناس في ذلك، بل يتجنبون هذا الكلام، أولًا لتأصيل عندهم خرب بأن الأعمال عندهم ليست من الإيمان ويكتفون بالتصديق، ولذلك لا يُدخلون مسألة الأعمال ولا البراءة منها، ثانيًا لضعف يقينهم في الله عز وجل في هذه المسألة، وهذه من الأصول التي تكلم عنها ابن عباس هنا أيضًا بل آيات كثيرة جدًا تبين لك أنك لابد أن تتبرأ من الكفر، فقال الله عز وجل في أكثر من موضع:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ } [المائدة:51].

وأنا أعجب ممن يتولون اليهود ويخرجون على الشاشات وأنهم يقولون ويلبسون لباسهم ويجتمعون بهم ويريدون أن يتكلمون، أنا لا أتكلم عن عوام الناس الذين زُرِع فيهم حب هؤلاء كيف يحبون هؤلاء القوم وهم من الكفر بمكان! ويقولون نحن نحب بعضنا، نحن أخوة! ويلبسون لباسهم ويتعانقون ويتزاورون ويتكلمون! والنبي ﷺ يقول:[المرءُ معَ مَنْ أَحبَّ]فانظر إلى من تحب، فأين الولاء والبراء في ذلك! ما علاقة العدل بأننا لا نظلمهم ولا نجحف عليهم ونعطيهم حقوقهم لو كان بيننا وبينهم حقوق، وبين المحبة والمودة لهم! الله عز وجل نهى عن ذلك، قال سبحانه وتعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ} [الممتحنة:64]، وهل هناك أعداء لله عز وجل أكثر من اليهود والنصارى واليهود تحديدًا أكثر! هل هناك أعداء أكثر من ذلك لله عز وجل! وقد بين الله عز وجل أنهم أعداء.

قال سبحانه وتعالى: {لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ} [المجادلة:22] إلى آخر الآية. فالله عز وجل نفى الإيمان عن مودة هؤلاء، فكيف هؤلاء يوادون هؤلاء – الذين كفروا – ويحبونهم! قال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ} [آل عمران:118].

فانظر كل هذه الآيات النهي فيها واضح وصريح على عدم اتخاذ هؤلاء أولياء والمودة بيننا وبينهم كيف تكون والمحبة، بل مدح الله عز وجل إبراهيم عليه السلام قال:{ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ } [الممتحنة:4]، انظر.. براءة من إبراهيم عليه السلام من قومه. وهذا الذي أيضًا حدث من النبي ﷺ لما أراد فقط أن يستأذن الله عز وجل أن يستغفر لأمه، فقال:[اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأُمِّي فَلَمْ يَأْذَنْ لِي، واسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي] فقال الصحابة فزار النبي ﷺ قبر أمه وبكى وأبكى من حوله. انظر في التوحيد ليس هناك نسب بين المرء وبين أحد، لابد أن تكون مفاصلة بين الكفر وبين الإيمان، النبي ﷺ الله لم يأذن له أن يستغفر لأمه لأنها ماتت على الكفر، ولكن أذن بزيارة القبر فقط وهذه أم النبي ﷺ. وفي إبراهيم عليه السلام أيضًا لما أراد أن يستغفر لأبيه الذي مات على الكفر لم يُقبَل منه ذلك ونهاه الله عز وجل. في التوحيد ليس هناك نسب، البراءة من الشرك ومن أهل الشرك هذا أصل أصيل في هذا الدين.

هنا ظهر لنا في هذا الحديث كما قال ابن عباس لما نزلت سوره براءة قال النبي ﷺ: [لا يَحُجُّ بَعْدَ العَامِ مُشْرِكٌ، ولَا يَطُوفُ بالبَيْتِ عُرْيَانٌ] فأصبح ليس لهم مكان بين أهل الإسلام، لا يدخلون البيت الحرام مره أخرى ولا يطوفون به، نقى الله عز وجل الحج، وكان آخر حجة حجة أبو بكر لما حج جهز وأخلى الكعبة من الأصنام ومن المشركين لما أثناء الحج نزلت آيات براءة فأرسل النبي ﷺ علي بن أبي طالب- وكان وقت الحج – إلى أبو بكر ليخبره، فأذن بالناس لن يحج بعد هذا العام مشرك ولا عريان، ثم حج النبي ﷺ حجة الوداع فدخل البيت وقد مُنِع المشركون من دخوله قبلها بعام. فهذه كلها توطئة وبيان على مسألة الولاء والبراء، وأن هذه كلها من مسألة الإيمان.

لماذا هي في مسألة الإيمان؟ لأن بعد ذلك نزل قول الله عز وجل: {ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} إذًا هذا من الدين، وهذا من الإيمان، أي اكتمل بعد نزول هذه الآيات وبعد حجة الوداع إلى غير ذلك نزلت هذه الآية، وهذه الآيات نزلت في البراءة من المشركين وفي عدم دخولهم البيت الحرام، وبعد ذلك قال: {ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} إذًا هذا كان من كمال الدين، هذا كان من أصل الإيمان استكمل الله عز وجل به الدين، فبعد أن أنزل ذلك ختم نزول الشرائع، وختم نزول الكتاب والآيات، والنبي ﷺ أبلغنا بعد ذلك بهذه الآية التي فيها تمام اكتمال الدين، وبين فيها في الآية: {ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ} [المائدة:3]، كيف اليأس يكون؟ {ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ} هي بشارة أم لا؟ بشارة من الله عز وجل لنا أن الله عز وجل يخبرنا أنهم يئسوا من الدين؛ {ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ} أين البشارة هنا؟ هي بشارة للأمة لأن الله عز وجل يبين بأن هذا الدين هو الحق، وأن هذا الدين هو الأعلى، وأن هذه الشريعة هي الشريعة الخاتمة، وأن الله عز وجل أكمل الدين، وهم بعد ذلك يئسوا من أن يكون لهم شيء يمنعوا قيام الدين، أو يئسوا أن يستطيعوا أن يمنعوا انتشار هذا الدين، وهذا الذي حدث؛ النبي ﷺ دخل مكة وفتح مكة وانحدر أهل الكفر والشرك، ورُفِعت راية الإسلام، وبدأ دخول الناس في دين الله أفواجًا بعد ذلك، وامتد الخلفاء بعد ذلك بعد النبي ﷺ في نشر الدين، هذه بشرى من الله عز وجل لهذه الأمة التي قال فيها: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ} [آل عمران:110]، فكان هذا بشرى. لذلك قال النبي ﷺ: [نَحْنُ الآخِرُونَ، ونَحْنُ السَّابِقُونَ يَومَ القِيامَةِ] يبين نحن آخر أمة لكن نحن أول أمة ستسبق يوم القيامة في الحساب وفي دخول الجنة بإذن الله تعالى.

لذلك هذه الآية التي قال فيها الله عز وجل: {ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى} [المائدة:64]، بشرة خير حتى أن اليهودي – كما سيأتي سيفردها المؤلف بباب – جاء لعمر بن الخطاب قال لو نزلت علينا نحن يهود هذه الآية لاتخذنا يوم نزولها عيدًا، مع أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه لما سمع هذه الآية بكى.. لماذا بكى؟ قال نحن معك يا رسول الله في زيادة، هو سأله قالوا نحن كنا معك في زيادة فإذا تم الأمر فبعده النقصان، فعلم عمر بن الخطاب، هم كانوا في زيادة مع النبي ﷺ طول ما الشرع كان بينزل، فلما اكتمل علم أن لابد أن يكون بعد ما اكتمل شيء إلا لابد أن يكون بعده النقصان بعد ذلك، والنقصان ليس في الدين لكن النقصان في أنه لن يكون النبي ﷺ معهم بعد ذلك.

هناك مسألة في الأثر الثاني الذي فيه سفيان بن عيينة لما سأله الرجل عن الإيمان **فَقَالَ: قَوْلٌ وَعَمَلٌ قَالَ: يَزِيدُ وَيَنْقُصُ؟ قَالَ: "يَزِيدُ مَا شَاءَ اللَّهُ، وَيَنْقُصُ حَتَّى لَا يَبْقَى شَيْءٌ مِنْهُ مِثْلُ هَذِهِ، وَأَشَارَ سُفْيَانُ بِيَدِهِ، قَالَ الرَّجُلُ: كَيْفَ نَصْنَعُ بِقَوْمٍ عِنْدَنَا يَزْعُمُونَ أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ بِلَا عَمَلٍ؟ قَالَ سُفْيَانُ: كَانَ الْقَوْلُ قَوْلَهُمْ قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ أَحْكَامُ الْإِيمَانِ وَحُدُودُهُ** . كأن سفيان بن عيينة يرى بأن الأحاديث التي جاءت في "من قال لا إله إلا الله يدخل الجنة" إلى غير ذلك نُسخت بالشرائع، وهذا فيه نظر.. لماذا؟ لأن هناك أحاديث كثيرة "من قال لا إله إلا الله دخل الجنة" – أو في هذا المعنى – نزلت في المدينة بعد نزول الفرائض. وهم يستدلون بالإرجاء؛ المرجئة، الذين يقولون بأحديث (من قال لا إله إلا الله دخل الجنة) (وإن لم يعمل خيرًا قط) في الأحاديث الأخرى، فهو يريد أن يرد كأنه يقول أن هذه الأحاديث كانت قبل نزول الشرائع وكأنها نُسِخت بنزول الشرائع.

وأقول أن هذا الاستدلال فيه نظر لأن أحاديث نزلت كثيرة كانت في المدينة، إلا أن نقول بأن مقصد سفيان أن الأحاديث التي جاءت في "من قال لا إله إلا الله" مطلقة – كما قلنا الأسبوع الماضي – لأن هناك أحاديث جاءت "من قال لا إله إلا الله" مطلقة وأحاديث جاءت "من قال لا إله إلا الله خالصًا..." ، من قال لا إله إلا الله غير شاك..." ، "من قال لا إله إلا الله صادقًا..." الذي فيها التقييد، فيمكن أن يقصد سفيان بأن الحديث الذي جاء فيه مطلق قد يكون هذا الاطلاق كان قبل نزول الشرائع، وأما الأحاديث المقيدة فخارجه عن هذا النزاع، فهذا اعتذار لسفيان، وإلا مسألة النسخ فهذه فيها نظر أن نقول ذلك لما قلت بأن الأحاديث قد نزلت في غير ذلك.

لكن عمومًا نقول بأنه بين في هذا الأثر عنه بأنه أولًا الدخول في الإسلام بالشهادتين ثم بعد ذلك نزول الصلاة ثم الزكاة ثم...،. ويروي ويبين لك الولاء والبراء أنه كان أهل الإسلام يأتون برؤوس آبائهم على الشرك إلى النبي ﷺ يقتلونهم ولا ترق قلوبهم في الجهاد في سبيل الله بأن يقتلوا الآباء الذين قاموا لقتالهم، وهذا لما حدث في أسارى بدر لما أشار النبي ﷺ على أبو بكر وعلى عمر رضي الله عنهما، فكان عمر يرى بقتلهم يقول حتى نُري الله عز وجل أننا لنا لا نخاف في الإسلام أو لا يكون لنا ميل بقلوبنا إلى أقاربنا الذين على الشرك. فهو يريد أن يبين أن هذا من تمام البراءة من أهل الكفر؛ أن المرء كان يقتل أباه ويأتي برأسه ليبين عدم الولاء لهؤلاء الذين هم على الكفر بل البراءة منهم.

وقال سفيان أيضًا: **فَمَنْ تَرَكَ خَلَّةً مِنْ خِلَلِ الْإِيمَانِ جَاحِدًا كَانَ بِهَا عِنْدَنَا كَافِرًا، وَمَنْ تَرَكَهَا كَسَلًا أَوْ تَهَاوُنًا، أَدَّبْنَاهُ، وَكَانَ بِهَا عِنْدَنَا نَاقِصًا، هَكَذَا السُّنَّةُ أَبْلِغْهَا عَنِّي مَنْ سَأَلَكَ مِنَ النَّاسِ.** هو هنا يفرق بين من ترك هذه الخلال جحودًا حكمه الكفر؛ أي إن جحد شيء من خلال الإيمان هذه فهذا يكون كافرًا. وقد تكلمنا الأسبوع الماضي عن مسألة الخلاف في المباني الخمسة وقلنا بأن الراجح من ترك المباني الخمسة بالكلية هذا كافر، ثم يأتي خلاف آخر من قال بالشهادتين وترك المباني الأربعة وقلنا على خلاف؛ الصلاة فيها خلاف قوي في مسألة الترك، ثم الأقل في الصوم، ثم الأقل في الزكاة والحج.

فهنا يقول سفيان من ترك جحودًا كفر، وهذا لا إشكال فيه؛ أي لا خلاف في ذلك، من ترك خلال الإيمان هذه؛ أي من جحد الصلاة، جحد الصوم، جحد الزكاة، هذه المباني الخمسة هذا كافر. قال: **وَمَنْ تَرَكَهَا كَسَلًا أَوْ تَهَاوُنًا، أَدَّبْنَاهُ، وَكَانَ بِهَا عِنْدَنَا نَاقِصًا، هَكَذَا السُّنَّةُ أَبْلِغْهَا عَنِّي مَنْ سَأَلَكَ مِنَ النَّاسِ.** طبعًا هنا كأنه يبين على الخلاف الموجود بأنه من بعد الشهادتين وبعد الخلاف في ترك الصلاة، الباقي يكون على سبيل التأديب؛ أي لو تركها كسلًا أو تهاونًا أدبناه على أن تارك الصوم لا يكفر، وتارك الزكاة لا يكفر، وتارك الحج لا يكفر، فلذلك قال "أدبناه" وهذه هي السنة، كأنه يبين الخلاف الذي كان موجودًا.

20- بَابُ مَعْرِفَةِ أَيِّ يَوْمٍ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَوْلُهُ تَعَالَى {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} [المائدة: ٣] الْآيَةَ

198 - حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ يَحْيَى بْنُ صَاعِدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْجَبَّارِ بْنُ الْعَلَاءِ الْعَطَّارُ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ مِسْعَرٍ وَغَيْرِهِ، عَنْ قَيْسِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ: إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ قَالَ لِعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَوْ عَلَيْنَا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} [المائدة: ٣] لَاتَّخَذْنَاهَا عِيدًا، فَقَالَ عُمَرُ: "أَنَا أَعْلَمُ أَيَّ يَوْمٍ أُنْزِلَتْ أُنْزِلَتْ يَوْمَ عَرَفَةَ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ

199- أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ الْبُخَارِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ قَالَا: نا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ قَيْسٍ، عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ: قَالَ يَهُودِيٌّ لِعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَوْ أَنَّا نَعْلَمُ أَيَّ يَوْمٍ أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ لَاتَّخَذْنَاهَا عِيدًا: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: ٣] فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَدْ عَلِمْتُ الْيَوْمَ الَّذِي أُنْزِلَتْ فِيهِ، أُنْزِلَتْ وَنَحْنُ وُقُوفٌ بِعَرَفَاتٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

200- أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى الْجَوْزِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ مُوسَى الْقَطَّانُ قَالَ: ثنا وَكِيعٌ قَالَ: ثنا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ عَمَّارٍ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ قَالَ: قَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: ٣] وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَقَالَ: لَوْ عَلِمْنَا فِي أَيِّ يَوْمٍ أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ جَعَلْنَاهَا عِيدًا فَقَالَ: «لَقَدْ أُنْزِلَتْ يَوْمَ عَرَفَةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ» قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: هَذَا بَيَانٌ لِمَنْ عَقَلَ، يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَصِحُّ الدِّينُ إِلَّا بِالتَّصْدِيقِ بِالْقَلْبِ، وَالْإِقْرَارِ بِاللِّسَانِ، وَالْعَمَلِ بِالْجَوَارِحِ، مِثْلُ الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ، وَالْحَجِّ، وَالْجِهَادِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ

هذا الباب بَابُ مَعْرِفَةِ أَيِّ يَوْمٍ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَوْلُهُ تَعَالَى {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} هذه الآية العظيمة لما جاء الرجل اليهودي لعمر بن

الخطاب رضي الله عنه يقول له: لَوْ عَلَيْنَا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} [المائدة: ٣] لَاتَّخَذْنَاهَا عِيدًا ، فَقَالَ عُمَرُ: "أَنَا أَعْلَمُ أَيَّ يَوْمٍ أُنْزِلَتْ أُنْزِلَتْ يَوْمَ عَرَفَةَ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ فلم يكن عيدًا واحدًا بل عيدان؛ عيد الجمعة وعيد يوم عرفة، وهذه من عظم هذه الآية الذي أراد أن يتخذها اليهود عيدًا لما أنزلت عليهم أنه اكتمل لهم الدين، والله عز وجل أكمل لنا الدين وأتمم علينا النعمة ورضي لنا الإسلام دينًا.

هذه الآية حقيقة فيها أمور مهمة جدًا لابد أن نبينها؛

- الأمر الأول؛ {ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} فيه دلالة صريحة واضحة على كمال الشريعة؛ أن الشريعة قد اكتملت، وأن الله عز وجل قد أنزل الشرع لنا مكتملًا، فما من نازلة وما من أمر إلى قيام الساعة ينزل على المسلمين إلا ولها في كتاب الله عز وجل أو في سنة النبي ﷺ أصل من الأصول؛ إما نصًا صريحًا أو استنباطًا من الكتاب ومن السنة لقوله تعالى: {ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} ، إذًا هذه الآية مهمة جدًا وهذا أمر عظيم جدًا أنك تبين أو تعلم وتستيقن بأن الكتاب والسنة – الوحيان من عند الله عز وجل – فيهما كل أمر للمسلم من الدنيا ومن الدين، ويدخل معهم الإجماع، ويدخل معهم القياس، لقول:[لا تجتمعُ الأمة على ضلالةٍ] وقول الله عز وجل:{ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا} [النساء:115]، هذا دلالة على مسألة الإجماع كما أخرجها الإمام الشافعي – رحمة الله عليه. وقد جاء أيضًا من حديث أبي ذر:[لقد تركَنا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وما طائرٍ في السَّماءِ يُقلِّبُ جناحيهِ إلَّا وقد أوجدنا فيهِ عِلمًا] . وكما جاء أيضًا اليهودي لسلمان قال علمكم رسولكم كل شيء قال نعم حتى علمنا كيف نقضي الحاجة إذا ذهب أحد إلى الغائط إلى آخر الحديث. فدل ذلك على أنه ما تُرِك شيء من الشرع إلا وقد بينه النبي ﷺ ؛ إما تفصيلًا أو إجمالًا، وتُرِك بعد ذلك ما تُرِك للاجتهاد على أصول الشرع الموجودة، فهذا أمر مهم جدًا أنك تعتقد وتبلغ من بعدك بكمال الشريعة من هذه الآية.
- الأمر الثاني أن هذه الآية أصل أصيل في الرد على البدعة وعلى المبتدعة لأن لما يقول الله عز وجل: {ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} والدين قد اكتمل، وقال الله عز وجل:{ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا} [النساء:87]، إذًا فتأتي للمبتدع أو صاحب البدعة تقول له اعرض ما تفعله أو ما تقوله أو ما تعتقده أو ما تظنه على الكتاب والسنة، إن وجدته في الكتاب والسنة فهو دين وهو سنة نتبعك فيه، وإن لم تجده في الكتاب والسنة إذًا هو بدعة من أين لك بهذا والدين قد اكتمل! أنت تشرع في دين الله عز وجل أمرًا جديدًا لم ينزله الله عز وجل علينا لأن الدين قد اكتمل ليس

هناك نقصان. ولن تجد ذلك إلا في شريعة الإسلام؛ لن تجد اكتمال هذا الدين في شريعة من الشرائع إلا في شريعة الإسلام فقط، ارجع لليهودية، للنصرانية لأي ملل أخرى لن تجد عندهم شرعًا متكاملًا ولا كتابًا يجمع ولا سنة يجمع لهم كل أحكام الشرع.

لذلك هذا أصل أصيل أيضًا في الرد على المبتدعة، من يأتي بشيء جديد نقول له هل قاله النبي ﷺ ؟ فعله الخلفاء أو عملوا به من بعده؟ أو جاء في الكتاب؟ إن لم تجد في كل ذلك فهو مردود عليك. وهذا الذي قاله الشيخ الذي ناظر ابن أبي دؤاد أمام الواثق لما سأله عن هذا الأمر؛ هل قاله النبي ﷺ ؟ أو هل فعله النبي ﷺ ؟ أو هل تركه؟ إلى آخر ما جاء في المناظرة.

فهذه كلها فوائد من هذه الآية العظيمة.

ثم ختم المؤلف الكلام **قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: هَذَا بَيَانٌ لِمَنْ عَقَلَ، يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَصِحُّ الدِّينُ إِلَّا بِالتَّصْدِيقِ بِالْقَلْبِ، وَالْإِقْرَارِ بِاللِّسَانِ، وَالْعَمَلِ بِالْجَوَارِحِ، مِثْلُ الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ، وَالْحَجِّ، وَالْجِهَادِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ** هذا تأكيدًا من الإمام يختم به هذا الباب الذي يبين فيه أن الإيمان قول وعمل، ومسألة الإيمان قول وعمل هذا نقل متواتر من الصحابة الكرام ومن علماء السلف بعد ذلك، بداية حتى لو قلت من الصحابة، من التابعين، من الأئمة طبعًا الكلام في الإمام أبو حنيفة في مرجئة الفقهاء فهذا بيناه، ما أقصد الأربعة لأنه هذه فيها خلاف حقيقة الأئمة ليس فيهم الإمام أبو حنيفة، قوله مخالف لأهل السنة والجماعة في مسألة الإيمان، لكن نقول كان إجماعًا من الصحابة والتابعين وأيضًا من الأئمة كان الإمام مالك، الإمام الشافعي، الإمام أحمد وغير ذلك، بل أن عبد البر نقل إجماع السلف – أقول – على أن الإيمان قول وعمل واعتقاد.

وطبعًا إن أردت أن تأتي بجيوش الأدلة أحيلك على **كتاب أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي** ست أجزاء ماتعة عظيمة جدًا في اعتقاد أهل السنة ككل، ذكر فيه كمية كبيرة جدًا من الأدلة ونقل الأئمة من أول الشافعي والإمام مالك والإمام أحمد، ونقل أيضًا عن الأوزاعي، ونقل عن أبي ثور، ونقل عن كثير سفيان بن عيينة والثوري على أن الإيمان عند أهل السنة والجماعة مركب من قول واعتقاد وعمل، وعلى خلاف بعض الأقوال بعضهم قول وسنة وبعضهم قول واعتقاد إلى غير ذلك.

والأدلة حتى نختار منها فقط قليلًا للوقت في مسألة بيان على أن الأعمال من الإيمان لأنه قال طبعًا لا يصح الدين إلا بالتصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالجوارح، هذه مسألة لماذا بنؤكد عليها؟ لأن ظهر بعض من يريد أن يروج مره أخرى لمسألة الإيمان فقط على قول المرجئة وأن المسألة فقط اعتقاد، بل عند العوام تجده كثير هو الآن يضرب على قلبه يقول لك الإيمان هنا في القلب وأنا مؤمن، وهو أصلًا لا يصلي ولا يصوم ولا يفعل شيء، ويظن أنه بمجرد أن نطق بالشهادتين وأنه قلبه أبيض- كما يقال – أن هذا إيمان ويكتفي بذلك! وهو لا يعلم طبعًا أن هذا قول مرجئة. وأيضًا من بعض أهل العلم نحوا إلى هذا القول وبدأ يروج له.

لذلك لابد أن يُتصدى لهذه المسألة، وأن يُبين بأن هذا القول مخالف لإجماع السلف والصحابة والأئمة، بل مخالف لكثير من الآيات؛ منها قول الله عز وجل في مسألة دخول الأعمال في الإيمان:{ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ} [الحجرات:15]، وهذا اسلوب حصر في (إِنَّمَا) أن الله عز وجل جعل الصدق وهذا من أعمال القلوب، وجعل الجهاد أيضًا بالأموال والنفس من الأعمال الظاهرة، ثم قال: (ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ) هذا اليقين المنافي للشك في الإيمان، ثم قال: (أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ) في النهاية. إذًا جعل الصدق يحتوي على هذه الأمور الثلاثة.

وأيضًا من قوله تعالى: {إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } [الأنفال:2]، هذه قلوب.. صحيح؟ ثم قال: {ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ} [الأنفال:3]، أعمال ظاهرة، {أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا} [الأنفال:4]، إذًا هنا الآيات فيها أعمال القلوب والأعمال الظاهرة والله بين {أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا} .. {لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ} ودرجات إذًا هناك تفاضل أيضًا من الآية؛ تفاضل في درجات الإيمان، على الحصر، لأن هو حصر المؤمنون في هذه الصفات وبين أيضًا التفاضل الموجود.

ومنها قوله تعالى:{وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ} [البينة:5]،الإخلاص في القلب، {وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ}، فأيضًا هذه دلالة على الربط بين أعمال القلوب وبين أعمال الجوارح.

ومنها أيضًا حديث في الصحيحين في وفد عبد القيس:[**أَمَرَهُمْ بِالإِيمانِ بِاللَّهِ وحْدَهُ، وقالَ: هلْ تَدْرُونَ ما الإيمانُ باللَّهِ؟ قالوا: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: شَهادَةُ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ ...**] **انتبهوا لهذا الحديث لماذا مهم؟** لأنه أتى بالإيمان في أعمال ظاهرة،[**قالَ: شَهادَةُ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللهِ، وإقامُ الصَّلاةِ، وإيتاءُ الزَّكاةِ، وصَوْمُ رَمَضانَ، وأنْ تُؤَدُّوا خُمُسًا مِنَ المَغْنَمِ..**] هذا الحديث وفد عبد القيس ميزته أنه جعل الإيمان هنا في الأعمال الظاهرة مع الشهادتين، يبين لك بأركان الإيمان، وفيه طبعًا بيان على أن الإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا. لكن هذا الحديث ميزته بأنه جمع بين الشهادتين وبين أعمال الظاهر وجعل ذلك كله من الإيمان. لذلك قال الشيخ: **هَذَا بَيَانٌ لِمَنْ عَقَلَ** أي هذا الذي عنده عقل لابد أن يعلم ذلك، وإلا كما قال سفيان بن عيينة من جحد ذلك وكان جاحدًا فهو كافرًا عند أهل السنة والجماعة.

وطبعًا فيه تفصيل بعد ذلك على مسألة الأعمال ممكن سيأتي في (بني الإسلام على خمس) مسألة الصلاة والزكاة والحج وغير ذلك، هذه اعتقد نرجئها للأسبوع القادم ونقف عند: **بَابُ عَلَى كَمْ بُنِيَ الْإِسْلَامُ؟**

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم سبحانك اللهم وبحمدك
أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

المحاضرة الثلاثون

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام على موعد مع شرح كتاب الشريعة للإمام الآجري – عليه رحمة الله تعالى – ودخلنا من الأسبوع الماضي تقريبًا في باب الإيمان ويتبع معنا الآن أبواب متفرقة في الإيمان، وهذا الكتاب كتاب الإيمان من أهم الكتب الذي يبين فيه الإمام الآجري عقيدة أهل السنة والجماعة، ويرد فيه على المخالف، ويرد فيه على المرجئة، ويرد فيه على باقي الطوائف التي خالفت أهل السنة والجماعة.

توقفنا عند: بَابُ عَلَى كَمْ بُنِيَ الْإِسْلَامُ؟ كنا انتهينا من باب:{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا }.

هل أشكل عليكم إشكال في هذه الآية وأتركه لكم أم لا أشكل وأترككم على ما أنتم عليه؟ أشكل.. الآية قال الله عز وجل:{ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ

لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ } [المائدة:3]، الإمام ابن حزم – رحمة الله عليه – استدل بهذه الآية على نفي القياس، قال لو كان القياس أصله في الكتاب فهو من الكتاب، وإن قلت أن هو ليس في الكتاب إذًا ليس من الدين لأن الله أكمل الدين والله قال: {ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ}، وكان هذا استدلاله على نفي القياس، أحد الأدلة طبعًا هذه الآية. **هل تردون على الإمام؟** أم نترك لكم الرد لبعد الدرس ونكمل الدرس وأنتم تبحثون فيها؟ الدليل الآية، أين القياس؟ هو يشكل عليك أين القياس؟ إن قلت أن القياس أصله في الكتاب إذًا هو من الكتاب إذًا لا تعده دليلًا، وإن قلت هو ليس من الكتاب إذًا هو ليس من الدين لأن الله قد أكمل الدين.

ندخل في بَابُ عَلَى كَمْ بُنِيَ الْإِسْلَامُ؟ هذا الباب جديد سيبينه لنا الإمام ونقرأ أولًا.

قال المصنف – رحمه الله تعالى –:

21- بَابُ عَلَى كَمْ بُنِيَ الْإِسْلَامُ؟

201- حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ هَارُونُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ زِيَادٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي عُمَرَ الْعَدَنِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنِ سُعَيْرِ بْنِ الْخِمْسِ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لا إله إلا الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ"

202- حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْبَغَوِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعُ بْنُ الْجَرَّاحِ قَالَ: حَدَّثَنَا حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ الْجُمَحِيُّ، عَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ خَالِدٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لا إله إلا الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ شَهْرِ رَمَضَانَ"

203- وَأَخْبَرَنَا أَبُو عُبَيْدٍ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ حَرْبٍ الْقَاضِي قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الزَّعْفَرَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا شَبَابَةُ بْنُ سَوَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَاصِمٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لا إله إلا الله، وَأَنَّ

مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ "

204 - وَحَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْأُشْنَانِيُّ الْكُوفِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّقِيقِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو حَمْزَةَ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ عَامِرٍ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " إِنَّ الْإِسْلَامَ بُنِيَ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لا إله إلا الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ "

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، بدأ المصنف هنا الكلام عن باب جديد؛ بَابُ عَلَى كَمْ بُنِيَ الْإِسْلَامُ؟ وهذا من بديع ترتيب المؤلف مع أن الكلام في كتاب الإيمان لكنه ذكر الإسلام هنا، والتبويب عَلَى كَمْ بُنِيَ الْإِسْلَامُ؟ ليبين لنا بأن الإسلام والإيمان متلازمان، أو ممكن نقول تجاوزًا على أنهم بمعنى واحد؛ إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا. ويؤكد أيضًا على أن الإيمان كما هو عند أهل السنة والجماعة مركب من أجزاء ويحتوي على أجزاء الإيمان، ومنها العبادات التي ذكرها هنا بمعنى الإسلام؛ العبادات الظاهرة، وهي الأركان الخمس للإسلام؛ الشهادة ثم الصلاة والزكاة والصوم وحج البيت. لذلك ذكر الإسلام مع أركانه الخمسة.

وذِكر الإسلام مع أركانه الخمسة في هذا الحديث يبين أن الإسلام له أركان خمسة كالخيمة لها خمسة دعائم أو أركان، لكن عمودها الوسط هو الأصل الذي يبنى عليه؛ الشهادتين، ثم باقي الأعمدة معه أيضًا كلها هي أعمدة الإسلام. فالخمسة أركان في مجموعها هو الإسلام. لذلك نحن قلنا من قبل إذا انتفت الخمسة أركان انتفى الإسلام، وأما الأصل فيها الشهادتين، ثم اختلف أهل العلم بعد ذلك؛ هل بزوال أحد الدعائم فاشتد الخلاف في الصلاة على الخلاف بين تركها كفر أم لا، ثم قل الخلاف بعد ذلك في الزكاة أولًا ثم الحج وضعف في الصوم. لكنه يبين لنا في إتيانه بهذا الحديث كما قلنا مسألة أن الإسلام والإيمان لا ينفكان أو يتلازمان، وسنأتي للتوسع فيها إن شاء الله بإذن الله تعالى.

لكن يظهر فيه هنا بأن الإسلام كأنه مقصود به الأعمال الظاهرة، وأن الإيمان كما سيأتي مقصود به الأعمال الباطنة إذا اجتمعا في الذكر، وأما إذا انفردا أو افترقا في الذكر فالإسلام

يأتي بمعنى الإيمان والإيمان يأتي بمعنى الإسلام. وكما قالوا أيضًا بأن الإسلام في الظاهر والإيمان في الباطن كما جاء من قول النبي ﷺ: [الإسلامُ علانيةٌ، والإيمانُ في القلبِ].

لكن هنا بين المصنف في الروايات المختلفة عن ابن عمر وغيره بأن الإسلام بني على الخمسة هذه؛ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، قال: وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ شَهْرِ رَمَضَانَ. وهذه أركان قلنا لا يصح إسلام المرء إلا بها.

والإسلام هنا يأتي لغة بمعنى الاستسلام أو الانقياد أيضًا، وكما قال سبحانه وتعالى:{ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ} [البقرة:131] فأصل الإسلام هو الخضوع والانقياد والإذعان، وهذه كلها من شروط لا إله إلا الله.

لكن لابد أن نبين أيضًا بأن ما ذُكر هنا من أركان الإسلام هي ليست كل خصال الإسلام، فخصال الإسلام أكثر من هذه الأركان أيضًا، أي إن قلنا أن هذه الأركان أو الدعائم التي يقوم عليها الإسلام، لكن هناك أيضًا خصال أخرى للإسلام لم تُذكَر في الحديث. فلم يذكر في الحديث فرض الجهاد لأنه ليس فرض عين، أي أن الذي ذُكر في الحديث هي أركان الأعيان التي هي واجب على كل مكلف، طبعًا الحج فيه استثناء بالاستطاعة، لكن الشهادتين، الصلاة لابد، الصوم، والزكاة لمن عنده مال، لكنها هذه أركان على الأعيان؛ فرض عين نقول، أما الجهاد هو فرض كفاية في الأصل. وهناك فروض أخرى كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى غير ذلك.

وسيأتي كما في حديث جبريل الآن التفرقة بين الإسلام والإيمان والإحسان، لكن هو قال بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ أين أركان الإيمان؟ نقول أركان الإيمان كلها ممكن تدخلها في الشهادتين. فمعنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول ﷺ ، معنى أنك تؤمن بالله لابد أن تؤمن بماذا؟ بوحدانية الله، تؤمن بالرسل، بالكتب، بالملائكة، باليوم الآخر، بالقدر خير وشره، يدخل هذا في معنى الشهادتين. لذلك يبين لك أن الإيمان يدخل أيضًا في معنى الإسلام كما قلت، والإسلام أيضًا يدخل في معنى الإيمان.

ولكن لابد أن ننوه أن هناك خصال أخرى كثيرة في الإسلام لابد أن يتحلى بها المرء، ولابد أن يكون المرء على قدر منها حتى يزداد إيمان المرء بها؛ منها أن يكون هناك الرحمة، يكون هناك اللين، يكون هناك الخشوع، يكون هناك الحب، الصدق، يكون هناك السكينة أيضًا، فهذه كلها خصال قد جاء الإسلام وبينت الآيات بأن المرء لابد أن يتحلى بها، قال سبحانه وتعالى

مادحًا للنبي ﷺ: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ} [آل عمران:159]، إذًا الله عز وجل أعطاه الرحمة التي تراحم بها النبي ﷺ مع أصحابه، قال: {لِنتَ لَهُمْ} أي أيضًا اللين والرفق، قال النبي ﷺ: [ما كان الرِّفْقُ في شيءٍ إلَّا زانَه ، ولا نُزِعَ من شيءٍ إلَّا شانَه] وقال النبي ﷺ أيضًا: [إنَّ اللَّهَ رَفيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، ويُعْطِي علَى الرِّفْقِ ما لا يُعْطِي علَى العُنْفِ، وما لا يُعْطِي علَى ما سِواهُ]، وأيضًا في البيوع دائمًا نقول هذا الحديث: [رَحِمَ اللهُ عبدًا سَمْحًا إذا باعَ ، سَمْحًا إذا اشْتَرى]. إذًا السماحة واللين والرحمة بين المسلمين بعضهم وبعض هذه من خصال أهل الإسلام.

بل أنت لو نظرت بعض الدول الدول الإسلامية الآن اندونيسيا وغيرها من الدول المحيطة ما دخل الإسلام فيهم إلا بمعاملة التجار المسلمين مع أهل البلاد لما رأوا منهم من صدق وأمانة وعدم غش وتدليس وإحسان في المعاملة دخلوا إلى الإسلام، أكبر دولة إسلامية المفترض من ناحية التعداد أندونيسيا، ما فُتحت قتالًا بل فُتحت بأخلاق التجار المسلمين. فانظر..هذه الأخلاق لها قدر عظيم جدًا وتقع في قلوب غير أهل الإسلام، بل يدخل الإسلام بحسن المعاملة ممكن أن يكون ذلك.

نقول أيضًا من أهم خصال الإسلام الحب في الله والبغض في الله، النبي ﷺ بيّن أن: [سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى في ظِلِّهِ يَومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ.... ورَجُلَانِ تَحَابَّا في اللَّهِ، اجْتَمعا عليه وتَفَرَّقَا عليه] فنقول أن هذه من الخصال التي لابد أن يتحلى بها المرء. قال النبي ﷺ: [أوْثَقُ عُرَى الإيمانِ الحُبُّ في اللهِ والبغضُ في اللهِ] إذًا من أوثق عرى الإيمان الحب في الله عز وجل والبغض أيضًا في الله، فهذه كلها خصال لابد أن يتحلى بها المرء حتى يكتمل فيه الإسلام ويكتمل فيه الإيمان.

وإن كنا بنتكلم في أن هناك خصال لابد أن يتحلى بها المرء، فهناك خصال لابد ألا يتحلى بها المرء وهو أن يكف الأذى عن المسلمين، ألا يُلحق الضرر بأهل الإسلام، بل حتى غير أهل الإسلام، العدل، فالله عز وجل أمرنا به مع المسلم ومع الكافر، لكن الأصل مع المسلم أيضًا أنك لا تضره ولا تلحق به الأذى. أطول آية في القرآن آية المداينة التي فيها الكتابة، وعدم أكل أموال الناس بالباطل والإشهاد إلى غير ذلك، هذا كله بعدم التعدي على الغير. والنبي ﷺ وقف في خطبة الوداع في الحج لما قال ﷺ: [فإنَّ دِماءَكُمْ، وأَمْوالَكُمْ، وأَعْراضَكُمْ، بيْنَكُمْ حَرامٌ، كَحُرْمَةِ يَومِكُمْ هذا، في شَهْرِكُمْ هذا، في بَلَدِكُمْ هذا] وهذه من أعظم الأمور التي لابد ينتبه لها المرء؛ ألا يصيب دمًا حرامًا، ألا يأكل مالًا حرامًا، ألا يقع في عرض حرامًا، وإلا هذه من

أعظم الأمور التي يحاسب عليها الله عز وجل. قال النبي صلى عليه وسلم:[**المُسْلِمُ مَن سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِن لِسانِهِ ويَدِهِ**].

كل هذه خصال نقول نضمها فقط، والخصال محمودة، لا يظن أحد أن الحديث فقط على الخمسة هذه، نقول نعم هذه دعائم الإسلام، هذه الخيمة لو قلنا أن الإسلام خيمة، هذه الخيمة التي فيها خمسة أعمدة لا يمكن أن يقوم الإسلام إلا بهذه الخمسة أعمدة. وكما قلنا على الخلاف الذي نقلناه عن أهل العلم.

ندخل في الباب الذي يليه وهو بَابُ ذِكْرِ سُؤَالِ جِبْرِيلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْإِسْلَامِ مَا هُوَ؟ وَعَنِ الْإِيمَانِ مَا هُوَ؟

22 - بَابُ ذِكْرِ سُؤَالِ جِبْرِيلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْإِسْلَامِ مَا هُوَ؟ وَعَنِ الْإِيمَانِ مَا هُوَ؟

205- حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ قَالَ: حَدَّثَنَا النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ قَالَ: حَدَّثَنَا كَهْمَسُ بْنُ الْحَسَنِ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يَعْرِفُهُ أَحَدٌ مِنَّا، حَتَّى جَلَسَ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، وَمَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا "، قَالَ: صَدَقْتَ، فَعَجِبْنَا أَنَّهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ؟ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ "، قَالَ: صَدَقْتَ قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحسان قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ» ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: «مَا الْمَسْؤُلُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قَالَ عُمَرُ: فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عُمَرُ، هَلْ تَدْرِي مَنَ السَّائِلِ؟» فَقُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ»

206 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُقَدَّمِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ مُعَاذٍ قَالَ: حَدَّثَنَا كَهْمَسُ بْنُ الْحَسَنِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ بِالْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَلَقِيَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، فَقُلْنَا: إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا أُنَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَبْتَغُونَ الْعِلْمَ، وَيَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ، وَأَنَّ الْأَمْرَ أُنُفٌ قَالَ: إِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي مِنْهُمْ بَرِيءٌ، وَهُمْ مِنِّي بُرَآءُ، وَالَّذِي حَلَفَ بِهِ ابْنُ عُمَرَ، لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ أُحُدًا ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَهُ إِلَى رُكْبَتِهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» ، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ أَنَّهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ؟ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» قَالَ: صَدَقْتَ قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحسان؟ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: «مَا الْمَسْؤُلُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ يُرَى الْحُفَاةُ الْعُرَاةُ رِعَاءُ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ.» قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْتُ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ تَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «إِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ»

بَابُ ذِكْرِ سُؤَالِ جِبْرِيلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْإِسْلَامِ مَا هُوَ؟ وَعَنِ الْإِيمَانِ مَا هُوَ؟ هذا باب عظيم ذكر فيه المؤلف حديث عظيم جدًا من أعظم الأحاديث في السنة، حديث جبريل عليه السلام الذي جاء فيه يسأل النبي ﷺ. وكما هو معلوم لكم هذا الحديث، وقد شُرِح في أكثر من كتاب وأكثر من مرة. والمصنف أتى بهذا الحديث، أولًا فيه فوائد كثيرة جدًا، وفيه طبعًا شرح قد يطول لو أردنا أن نفرد الحديث بالشرح قد يأخذ محاضرات، لكن نحن سنعتمد أننا قد شرحنا من قبل، وأن هذا الكتاب مبني على شروحات سابقة، ولكن لا يمنع بأننا سنتعرض إجمالًا للحديث من حيث الشرح والتناول، وهو مقصد المؤلف الإتيان به أن يبين حديث جبريل لما سأل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان تاكيدًا كما قلنا لأن الإيمان

عند أهل السنة والجماعة يتفاضل، وأنه درجات؛ إسلام وإيمان وإحسان، بخلاف المبتدعة الذين قالوا بأن الإيمان لا يتفاضل عندهم، بل الإيمان إما مركب من أجزاء يتلاشى كله إذا تلاشى بعضه، أو ليس مركبًا وهو إيمان واحد، فلذلك قالوا إيمان آحاد الأمة كإيمان جبريل أو كإيمان أبو بكر إلى غير ذلك. لكن أهل السنة سنة والجماعة يرون بأن المرء عنده إسلام أو أصل الإيمان ويتفاضل بعد ذلك بالأعمال، فيذهب إلى الإيمان الذي هو الإيمان الواجب، ثم الإيمان المستحب، وهنا في الحديث كأنه الإسلام والإيمان والإحسان كما سنبين، أو يُحمَل الحديث أيضًا على أن الإسلام يُقصد به الأعمال الظاهرة لأنه ذكر فيها الأعمال الظاهرة التي قلناها كما في حديث (بني الإسلام على خمس) وأن الإيمان يُقصد به الأعمال الباطنة التي ذكر فيها أركان الإيمان الستة، ثم يأتي مرتبة الإحسان وهي أعلى مراتب الإيمان. ثم سُئل النبي ﷺ بعد ذلك عن علامات الساعة.

الإسلام قد بيناه، (بني الإسلام) بيناه في الحديث السابق، لكن الكلام سيطول علينا في مسألة الإيمان وأركان الإيمان. سأحاول أن نعطي الأصول المجملة في معنى أركان الإيمان الستة التي ذكرت في الحديث بقدر ما نستطيع.

مرتبة الإيمان

لكن نبين أولًا بأن الإيمان لا يخفى على أحد وعلى كل مسلم لأن الإيمان عظيم الشأن جدًا، وأن إيمان المرء هو الأصل في ثواب الدنيا وفي ثواب الآخرة، حتى يعيش المرء في خير في الدنيا وفي الآخرة لابد له من الإيمان، بل لابد له من زيادة الإيمان بقدر ما استطاع، فثواب الدنيا وثواب الآخرة متوقف على إيمان المرء، في أكثر من آية جاءت في القرآن منها قول الله عز وجل في سوره النحل:{ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ} [النحل:97]، فالحياة الطيبة في الدنيا متوقفة على إيمان المرء؛ ذكر أو أنثى.

وأيضًا في الآخرة بعد ذلك الجزاء يكون بناء على الإيمان فلن يُقبَل عمل المرء إلا إن كان قائمًا على الإيمان، قال سبحانه وتعالى أيضًا: {وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا} [الإسراء:19]، إذًا السعي لابد له أيضًا من إيمان. قال سبحانه وتعالى:{وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ} [طه:75]، انظر... {وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا} أن يعود إلى ربه سبحانه وتعالى بالإيمان ويكون في الدنيا من أهل الإيمان فيكون له الدرجات العلى. قال سبحانه وتعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا} [الكهف:107]، إذًا لابد أن يستحضر المرء بأنه لن يُقبل عمله ولن يعلو المرء سواء في الدنيا أو في الآخرة إلا بالنظر إلى إيمانه، كيف هو الإيمان؟

والإيمان درجات، أصل الإيمان – كما قلنا –، ثم الإيمان الواجب، ثم الإيمان المستحب، ولكنه لا يصح إيمان عبد ولا يكون مؤمنًا أي مسلمًا **أقول هنا: لا يكون مؤمنًا أي (مسلمًا)** إلا بالإيمان بأركان الإيمان الستة التي جاءت في حديث جبريل الذي معنا هنا؛ وهو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره. وقد جاء في الكتاب وفي السنة ما يؤكد هذا الحديث.

أولًا: من الكتاب: قال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا} [النساء:136] ، فهنا فيها بيان بوجوب الإيمان وأن من كفر بهذه الأركان الخمسة قد ضل ضلالًا بعيدًا. وقال تعالى:{ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ} [البقرة:177]، وهذه الخمسة أيضًا من أركان الإيمان. قال تعالى أيضًا في خواتيم سورة البقرة:{ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ} [البقرة:285]، هذه أركان الإيمان الخمسة. وأما السادس قال سبحانه وتعالى:{ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ} [القمر:49]، إذًا يبين لك الأركان الإيمان الستة.

ومن السنة: أشهر ما يكون حديث عمر بن الخطاب الذي معنا الذي رواه ابن عمر عن عمر أيضًا على أنه جبريل لما جاء يسأل النبي ﷺ عن الإيمان فقال: **أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**، هذه أصول الإيمان الستة، أعظم أركان الإيمان هذه الأركان الستة، وقلت بأن هذه الأصول لا يصح إيمان العبد حتى يؤمن بهذه الأركان الستة، هذا ليس إيمان كامل أو إيمان واجب، هذا أصل الإيمان أو مطلق الإيمان بحيث إذا تخلف ركن واحد من هذه الأركان الستة لم يصح إسلام المرء. وطبعًا المطلوب من العوام أن يؤمن بها إجمالًا، لكن سنفصل في الشرح هذا لطلبة العلم لكن أصلًا لا يصح أن ينكر شيئًا من فروع هذه الأركان الستة، ما معنى "ينكر"؟ أي لما نقول يؤمن بالرسل، إذًا لابد يؤمن بجميع الرسل التي جاءت في القرآن؛ خمس وعشرون رسول مثلًا ذكر في القرآن، لابد يؤمن بالجميع، الخمس وعشرين، فلا ينكر رسولًا واحدًا منهم، وإلا لو كفر برسول واحد كفر

بالركن كله، وكذلك بالكتب التي نزلت كما سنبين لابد يؤمن بها جميعًا، فإن كفر بكتاب واحد – لم يؤمن به – فقد كفر بالركن، فقد خرج من الإسلام، هذا طبعًا لمن علم وجحد. وأما لا يشترط من العوام أن نقول لهم لابد أن تؤمن إيمانًا تفصيليًا، لأن هذه المسألة بيقع فيها البعض، هو له أن يؤمن بالأركان الستة إجمالًا لكن فيما خفى عنه من تفاصيلها لأن الإيمان بالملائكة أنك تؤمن بالملائكة كما سنبين؛ مخلوقات من نور إلى غير ذلك، تؤمن بكل أسماء الملائكة اللي جاءت في القرآن، فهل كل واحد يعرف أنه جاء ميكائيل واسرافيل وملك الموت وهاروت وماروت؟ ممكن أحد لا يحفظ الأسماء، فنقول أنه آمن بالملائكة بوجود الملائكة، لكن لا يكفر بملك جاء في الكتاب، ويقال له جاء ذكر اسم الملك في الكتاب، لابد أن يؤمن به، لكن لا يلزمه أن يعلم كل أسماء الملائكة حتى يصح إيمانهم، هذا على سبيل الإجمال.

وأما على سبيل التفصيل سنبدأ بأركان الإيمان للوقت لأنه سيطول معنا هذا الأسبوع والأسبوع القادم غالبًا حتى نوفي ما نستطيع من أركان الإيمان، وفيه طبعًا فوائد كبيرة جدًا في الحديث سأرجئها بعد ما ننتهي من شرح أركان الإيمان، فهناك فوائد ولطائف وآداب أيضًا في هذا الحديث، لكن سنبدأ بالأهم الأول؛ وهو بيان أركان الإيمان.

لكن قبل أن ندخل في بيان أركان الإيمان لابد أن نبين أمرًا من عقيدة أهل السنة والجماعة؛ العلاقة بين الإسلام والإيمان، لأن هذا جاء في الحديث مهم جدًا، هذا الحديث من أهمه العلاقة بين الإسلام والإيمان، لأن جبريل عليه السلام سأل النبي ﷺ عن الإسلام ثم سأل عن الإيمان، **فما العلاقة بين الإسلام والإيمان؟** قلنا في المقدمة بينا بأن الإسلام والإيمان عند أهل السنة والجماعة متلازمان، لأن **هناك أقوال؛ بعض الطوائف المبتدعة يقولون بأن الإسلام هو الإيمان، وهذا قول الخوارج، وقول الوعيدية أيضًا يقولون ذلك، وقول المعتزلة،** يقولون الإسلام والإيمان واحد؛ الإسلام إيمان والإيمان إسلام، لماذا؟ لأنهم يرون أن الإيمان لا يتجزأ، فالإيمان عندهم مركب لا يتجزأ فيروا أن الإسلام والإيمان واحدًا لأنهم لا يروا تفاضل أصلًا في الإيمان، فلابد عندهم يكون الإسلام والإيمان هو واحدًا. وأقول أن هذا قول عند الوعيدية والمعتزلة والخوارج، وإن ظهر من جهابذة أهل السنة والجماعة الإمام البخاري قال بهذا القول، وطبعًا الإمام البخاري ليس من الخوارج هو وبعض أهل السنة، ولكن الإمام البخاري أشهر من قال بأن الإسلام والإيمان بمعنى واحد، طبعًا هو لا يقول بما يقوله الخوارج في عدم تفاضل الإيمان وتجزيئه، لكن هو يقول بأن الإسلام والإيمان معنى واحد، لا فرق بين الإسلام وبين الإيمان، وطبعًا نقول أن هذا ليس بصائب من الإمام البخاري، لذلك حتى تجد في أول صحيح البخاري في كتاب الإيمان أول حديث أتى به **[بُنِيَ الإِسلامُ على خمسٍ]** فأتى

بحديث [بُنِيَ الإسلامُ على خمسٍ] ليؤصل على أن الإسلام بمعنى الإيمان عنده، وطبعًا له استدلالات لا أريد أن أتفرع فيها الآن لأن ليس هذا الموطن، لكن أشرنا إليها فقط. لكنه طبعًا لا يُحسب أن الإمام البخاري يرى بتفاضل الإيمان، ويرى أنه يتجزأ إلى غير ذلك، لكن نقول أنه وافقهم في هذا الكلام وليس بصائب فيه. فهو قال لفظ الإسلام هو لفظ الإيمان أي لا فرق بين الإسلام والإيمان، الإسلام واحد والإيمان واحد، وطبعًا استدل من قوله تعالى عن قول لوط عليه السلام لما جاء الملائكة فقال:{فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ، فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ} [الذاريات:35-36]، كنا قد شرحناها من قبل فارجعوا لها في الشرح على أنه استدل بأن الإسلام والإيمان واحد.

القول الثاني: الذين قالوا بأن الإيمان خصلة من خصال الإسلام وبعضهم قالوا بأن الإسلام خصلة من خصال الإيمان، وهو قول الأشاعرة جعلوا الإسلام من الإيمان أو الإيمان من الإسلام، قول الأشاعرة قالوا الإيمان خصلة من خصال الإسلام، وبعضهم عكسوا؛ أرادوا أن يكون الإسلام فوق الإيمان، وبعضهم قال الإيمان فوق الإسلام، بعض الأشاعرة خلاف بينهم، لكن هم كلامهم كله بأن هذا من هذا؛ إما أن بعضهم قال الإسلام أعلى والإيمان داخل، وبعضهم قال بأن الإيمان أعلى والإسلام داخل.

أما **أهل السنة والجماعة** قالوا بأن الإسلام والإيمان يتلازمان؛ هم لا يقولوا أنهم وجهان لعمله واحدة، قالوا يتلازمان فقط، أي إذا اجتمعا في الذكر افترقا في المعنى، فكان الإسلام يقصد به مثلًا الأعمال الظاهرة والإيمان يقصد به الأعمال الباطنة، لكن إذا افترقا في الذكر أي جاء الإسلام منفردًا أو جاء الإيمان منفردًا فهذا بمعنى هذا؛ الإسلام يدخل فيه الإيمان، ولو جاء الإيمان منفردًا يدخل فيه الإسلام.

أدلة على أن الإسلام والإيمان إذا اجتمعا في الذكر افترقا في المعنى:

هذا القول عليه أدلة كثيرة جدًا منها الأدلة التي سأذكرها منها يُرَد به على أصحاب القول الأول أو الثاني. الرد على القول الأول تحديدًا الذين لم يفرقوا بين الإسلام والإيمان: منها قوله تعالى: {قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ} [الحجرات:14]، إذًا هناك فرق بين الإيمان والإسلام أم لا؟ هم قالوا آمنا بأفواههم، والله عز وجل قال لهم هذا إسلام؛ الظاهر فقط أنكم أسلمتم، لكن الإيمان لم يدخل في القلب. وطبعًا هناك دلالة على أن الإسلام على الظاهر والإيمان في الباطن، أي إذا اجتمعا في الذكر فيكون

الإسلام على الظاهر، والإيمان يكون على الباطن، وفيه دلالة على أن هناك فرق بين الإسلام وبين الإيمان.

والحديث الذي معنا طبعًا حديث جبريل أنه لما سأل عن الإسلام ذكر النبي ﷺ أركانًا، ولما سأل عن الإيمان ذكر أركانًا، فلما اجتمعا في الذكر نظرنا؛ قلنا الأركان التي قالها النبي ﷺ في الإسلام أعمال ظاهرة، وأما ما ذُكر في الإيمان كانت أعمال باطنة، فقالوا هنا إذًا أيضًا دلالة على أن إذا اجتمعا في الذكر – الإسلام والإيمان – افترقا في المعنى؛ هذا له معنى وهذا له معنى كما جاء في الآية الأعراب وفي حديث جبريل أيضًا.

ومنها ممكن ما جاء في المسند: [الإسلامُ عَلانيةٌ، والإيمانُ في القَلبِ].

وأيضًا يبين لك الخلاف بين الإسلام وبين الإيمان أنه إذا اجتمعا افترقا في المعنى حديث سعد بن أبي وقاص لما جاء النبي ﷺ وأراد أن يشير عليه ويوزع الغنائم فقال رسول الله ﷺ: لم تعطي هذا الرجل [إِنِّي لأَرَاهُ مُؤْمِنًا] والنبي ﷺ يقول له: [أَوْ مُسْلِمًا] ثم أعاد عليه سعد رضي الله عنه ثلاث مرات قال يا رسول الله ﷺ إني لأراه مؤمنًا والنبي ﷺ يقول له: أو مسلمًا، يصحح له أو يريد أن يبين له فقال: [إِنِّي لأُعْطِي الرَّجُلَ، وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنه، مَخَافَةَ أَنْ يَكُبَّهُ اللَّهُ فِي النَّارِ] هنا يريد أن يبين طبعًا مسألة أخرى من النبي ﷺ قد يتألف بعض القلوب ويعطيهم وقد لا يعطي البعض يخاف عليه من الفتنة في المال إذا أعطاه كثيرًا أن يكبه الله عز وجل بفتنة المال، لكنه أراد أن يرشده، هو قال: [إِنِّي لأَرَاهُ مُؤْمِنًا] فالرؤية لا تكون للإيمان [أَوْ مُسْلِمًا] لأن سيدل على أن الإسلام على الظاهر، أي لما تقول إني أراه أي كأنك ترى ظاهره؛ حاله، الظاهر فيه الإسلام، أو "مؤمنًا" هذا القلب فأنت لا تعلمه، لذلك النبي ﷺ قال له: [أَوْ مُسْلِمًا] أي قل بالإسلام لكنك لا تعلم الإيمان، على أنه في القلب. وهذا طبعًا يبين لك بأن الإسلام والإيمان إذا اجتمعا في الذكر يكون لهم افتراق في المعنى.

وطبعًا أيضًا الاستدلال على مسألة التلازم بين الإسلام والإيمان لو قلنا حتى الإيمان في القلب والإسلام على الظاهر حديث النبي ﷺ قال: [أَلا إن في الجسدِ مضغةً إذا صلَحتْ صلَحَ لها سائرُ الجسدِ] فدلالة على أن القلب بصلاحه تصلح الجوارح، فدل ذلك على أن هناك ترابط بين الظاهر وبين الباطن، إذًا يدل أيضًا على الترابط بين الإسلام وبين الإيمان، لو قلنا بأن الإسلام الظاهر والإيمان الباطن فلابد أن الإيمان الذي في القلب لابد ينضح على الظاهر فتظهر في الطاعة؛ في الصلاة، في الصوم، في الحج، في الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر، وهذه هي معاني الإسلام الظاهرة عند أهل السنة. فنقول هذه من الأدلة على إذا اجتمعا في الذكر افترقا في المعنى.

أدلة على أن الإسلام والإيمان إذا افترقا في الذكر اجتمعا في المعنى:

نريد أدلة على إذا افترقا في الذكر اجتمعا في المعنى؛ أي إذا ذُكر الإسلام منفردًا أو ذكر الإيمان منفردًا فكان الإسلام بمعنى الإيمان والإيمان بمعنى الإسلام. ممكن حديث وفد عبد القيس لما جاءوا يسألوا النبي ﷺ ما الإيمان، فقال النبي ﷺ: [هلْ تَدْرُونَ ما الإيمانُ باللَّهِ؟ قالوا: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: شَهادَةُ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ ...] انتبهوا مع أنهم يسألون عن الإيمان، قال:[وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللهِ، وإقامُ الصَّلاةِ، وإيتاءُ الزَّكاةِ، وصَوْمُ رَمَضانَ،..] مع أنهم يسألون عن الإيمان فقال النبي ﷺ الإيمان كذا، فذكر لهم الأعمال الظاهرة لأن الإيمان هنا بمعنى الإسلام، لأنه افترقا في الذكر فاجتمعا في المعنى.

وأيضًا حديث أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: [الإيمانُ بِضعٌ وسَبعونَ شُعبةً، فأفضَلُها قَولُ: لا إلهَ إلا اللهُ، وأدْناها إماطَةُ الأذَى عنِ الطَّريقِ، والحياءُ شُعبةٌ من الإيمانِ] انظر.. [شُعبةٌ من الإيمانِ]قال [الإيمانُ] وذكر: [لا إلهَ إلا اللهُ] مع أنها قول وظاهر و [إماطَةُ الأذَى عنِ الطَّريقِ] ومع ذلك ذكره، ثم قال: [والحياءُ شُعبةٌ من الإيمانِ] فذكر في الحديث [الإيمانُ بِضعٌ وسَبعونَ شُعبةً] أعمال ظاهرة وأعمال باطنة، فدل ذلك على أن الإيمان هنا يأتي بمعنى الإسلام.

وأيضًا قول الله عز وجل:{ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ } [آل عمران:19] اسلوب حصر، حصر الدين في الإسلام، طيب هل يدخل فيه الإيمان؟ يدخل، إذًا الإسلام هنا ذُكر ويُقصد به الدين كله، دخل فيه الإسلام والإيمان والإحسان.

{وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ} [آل عمران:85]، إذًا لابد حتى تقبل الإسلام دينًا لابد أن تؤمن بأركان الإيمان الست أيضًا، إذًا هنا ذكر الإسلام ويقصد به الإيمان، دخل مع الإسلام هنا، عكس في المسألة. إذًا الإسلام هنا كدين ولابد مع الإسلام أنك تؤمن بأركان الإيمان الستة، إذًا هنا الإسلام يشمل الإيمان أم لا؟ يشمل الإيمان، لأنه لن يُقبل منه إلا إسلام كامل، وفيه أصل الإيمان كما في قوله تعالى:{ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ } .

وأيضًا من قوله تعالى: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ} [الحج:77]، ولن يركع ولن يسجد إلا إن كان مسلمًا. إذًا الإيمان هنا بمعنى الإسلام. فكل هذه أدلة تبين لك بأن الإيمان قد يأتي بمعنى الإسلام أو الإسلام يأتي بمعنى الإيمان.

وأيضًا من قول النبي ﷺ: [المُسْلِمُ مَن سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِن لِسانِهِ ويَدِهِ]. هذه كلها كانت العلاقة لابد أن نبينها.

الركن الأول: الإيمان بالله عز وجل:

ندخل على الركن الأول وهو ركن الإيمان بالله عز وجل. وحتى تؤمن بالله عز وجل لابد لك من ثلاثة مباحث؛ **توحيد ربوبية الله عز وجل، توحيد ألوهية الله عز وجل، توحيد الأسماء والصفات**، هذا حتى يصح إيمانك بالله عز وجل.

- **توحيد الربوبية:**

ما هو توحيد الربوبية؟

إفراد الله عز وجل بأفعاله؛ مثل الخلق والرزق والسيادة والملك والتدبير والتصوير والعطاء والمنع والنفع والضر والإحياء والإحكام والقضاء، كل هذه توحيد الربوبية؛ إفراد الله عز وجل بأفعاله.

ما الدلالة على ذلك؟ كثيرة جدًا

- **من الكتاب:**

{أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ } [الأعراف:54]؛ و{خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ } [لقمان:10]؛ و{وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ} [لقمان:25]؛ و{ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ } [لقمان:11]؛ و{ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ} [الطور:35].

- **من السنة:**

حديث معاذ رضي الله عنه وأرضاه قال النبي ﷺ: [واعلَم أنَّ الأمَّةَ لو اجتَمعت علَى أن ينفَعوكَ بشَيءٍ لم يَنفعوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ لَكَ، ولو اجتَمَعوا على أن يضرُّوكَ بشَيءٍ لم يَضرُّوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ عليكَ، رُفِعَتِ الأقلامُ وجفَّتِ الصُّحفُ]

- **دلالة العقل:**

دلالة العقل هو النظر، والنظر من نظرين؛ أولًا النظر في آيات الله، في خلق الكون، في الجبال، وفي السماء، وفي الأراضين إلى غير ذلك، وأيضًا النظر في خلق النفس البشرية التي خلقها الله عز وجل، قال تعالى:{ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} [الذاريات:21]، و {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا} [الشمس:7]، الآن أين الروح؟ ما تدري أين الروح، لا تعلم مكانها، لكن لابد من

إيمانك بوجود النفس والروح أن لابد من خالق حكيم مدبر متقن سبحانه وتعالى. هذا كله من دلالة العقل. طبعًا بنوجز لأن هذا قد كُرر من قبل في المسألة هذه. هذا الأول دلالات على توحيد ربوبية الله عز وجل.

لكن لابد أن نتكلم في المسألة؛ **هل توحيد الربوبية كافي؟** نقول لا ليس بكافي، توحيد الربوبية لا ينجي المرء من العذاب، والدلالة من الكتاب ومن السنة. قوله تعالى: {وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ} [يوسف:106]، كيف ولا يؤمن أكثرهم بالله وهم مشركون؟ هذا كلام مشركي العرب {وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ} [لقمان:25]؛ فهم يقرون بأن الله الخالق المدبر وأنه الرزاق، ومع ذلك يقول الله عز وجل:{ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ} إذًا لماذا هم مشركون؟ لأنهم لم يوحدوا الألوهية – كما سيأتي معنا – أو لم يوحدوا في الأسماء والصفات. إذًا توحيد الربوبية ليس منجي للمرء من عذاب الله عز وجل، وليس بكاف من ذلك، وقال: {وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ } [الزمر:3]، هنا (نَعۡبُدُهُمۡ) إذًا هم اتخذوا الأولياء عبادة وعبدوا مع الله غيره. إذًا لابد أنك في توحيد الربوبية بعد أن تؤمن بربوبية الله في أفعاله تعلم بأنه لا يكفي لك توحيد الربوبية، ليس منجاة إلا بأن تضم إليه كما سيأتي معنا باقي توحيد الله عز وجل وباقي أركان الإيمان.

لكن هل وقع انحراف في توحيد الربوبية؟

جواب من أحد الطلبة: فرعون

تعقيب فضيلة الشيخ: فرعون لم يدعي ربوبية، أو هو ادعى ظاهرًا لكنه يعلم، قال موسى:{ قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا} [الإسراء:102]. موسى عليه السلام يقول له {لَقَدۡ عَلِمۡتَ} فهو قال ذلك هو يدعوهم لكن هو يعلم أنه ليس برب، فحتى فرعون يعلم أنه ليس برب. في الآية:{ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ} [الأعراف:127]، وفي إحدى القراءات "ويذرك وإلهك" أي هو كان له إله يعبده خاصة.

المهم أنا أريد غير فرعون، أين مظاهر إنكار الربوبية في زماننا؟ **الملاحدة**، وليس الآن فقط، هم الملاحدة ذكروا في القرآن أصلًا، قال سبحانه وتعالى:{ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ} [المؤمنون:37]، هم يقولوا الآن الطبيعة والصدفة هي التي جاءت بهم، وهذا من إنكار ربوبية الله عز وجل. وأيضًا الذين يقولون أن للولي القدرة على إحياء

الجنين في بطن أمه، الذين أشركوا وأعطوا لمخلوق من مخلوقات الله عز وجل أمور لا تكون إلا لله عز وجل، كمن غالى في النبي ﷺ قال: "فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم"! ومنهم أيضًا **الروافض** الذين يجعلون الأولياء فيعطيهم النفع والضر، وغير ذلك **أولياء الصوفية** الذين جعلوا الولي فوق النبي، بل جعلوا الولي أيضًا له تصريف.

المهم أن كل من جعل متصرف في الكون مع الله عز وجل أو أعطاه بعض الأفعال التي لا تكون إلا لله هذا من الإنكار في توحيد الربوبية.

- **توحيد الألوهية:**

الأمر الثاني في ركن الإيمان بالله هو توحيد الألوهية، وهذا من أعظم الأمور توحيد الألوهية. وتوحيد الألوهية هنا لابد أن نبين هو إفراد الله عز وجل بالألوهية، بأفعال العباد، أي كل العبادات لا تصرف إلا لله عز وجل. وجاءت النصوص كثيرة جدًا والأدلة تتعلق بمسألة توحيد الألوهية، بل هو الأصل الأصيل الذي أنزل الله عز وجل به الرسالات، وأرسل به الرسل هو توحيد الألوهية.

- ♦ **من الكتاب:**

قال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ} [البقرة:21]، و {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ } [الإسراء:23]، هذا أمر صريحًا من الله عز وجل. وبين بأن توحيد الألوهية هو أصل الخلقة، قال سبحانه وتعالى:{ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ} [الذاريات:56]، فبين أن أساس الخلق هو العبادة. وأيضًا بين بأن المقصود من بعثة الرسل هو توحيد الألوهية؛ قال سبحانه وتعالى:{ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ} [النحل:36].

أنا أحاول أن أتيكم بالأدلة بنصوص في أول شيء في الأمر؛ الأمر جاء تصريحًا، ثانيًا بيان بعثة الرسل لماذا كانت؟ بيان الخلق ماذا كان؟ الخلق كان للعبادة، توحيد الألوهية، بعثة الرسل كانت للألوهية، الأمر الصريح بتوحيد الألوهية. والمقصود من إنزال الكتب توحيد الألوهية؛ قال تعالى:{ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ} [النحل:2]، فهنا يبين أن إنزال الكتب كان لتوحيد الألوهية أيضًا. وأيضًا يبين بأن عظيم ثواب أهل الجنة بتوحيد الألوهية: {ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ

ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ} [الانعام:82]، وطبعًا الظلم هنا (الشرك)، و" ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ " قبلها، فدل ذلك على أعظم ثواب والأمن والاهتداء التام يوم القيامة يكون بتوحيد الألوهية.

التحذير من أن الشرك يكون مآل المرء به إلى جهنم – والعياذ بالله – قال سبحانه وتعالى: {إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ} [المائدة:72]، وهذه دلالة صريحة على أن من مات على الشرك – والعياذ بالله – وهو خالد مخلد في نار جهنم.

- **من السنة:**

السنة جاءت كثيرة جدًا منها حديث معاذ رضي الله عنه وأرضاه قال النبي ﷺ له: [أتدري ما حقُّ اللهِ على العبادِ؟، قالَ: اللهُ ورسولُهُ أعلَمُ، قالَ: أنْ يعبُدُوهُ ولا يُشرِكُوا به شيئًا، أتدري ما حقُّهُمْ عليه؟، قالَ: اللهُ ورسولُهُ أعلَمُ، قالَ: أنْ لا يُعذِّبَهُمْ]. وحديث ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: [مَن مَاتَ وهُوَ يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ] و [مَن مَاتَ يُشْرِكُ باللَّهِ شيئًا دَخَلَ النَّارَ].

كيف يكون توحيد العبادة؟

توحيد العبادة لله عز وجل يقوم على ثلاثة عند أهل السنة والجماعة: توحيده بالحب، وبالرجاء وبالخوف، هذا **من حيث الأركان** الثلاثة. وأيضًا **مبني على أصلين مهمين** جدًا وهو الاخلاص لله عز وجل والمتابعة، قال سبحانه وتعالى:{ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ } [البينة:5]، وقال النبي ﷺ:[مَن عَمِلَ عَمَلًا ليسَ عليه أمْرُنا فَهو رَدٌّ] أي هو باطل. إذًا لابد لصلاح العبادة الإخلاص ومتابعة النبي ﷺ.

والعبادة **على حسب الأعضاء** كما قسمها العلماء تكون **قولًا باللسان** كالذكر؛ التحميد والتهليل والاستغفار، أو تكون العبادة **بالقلب** كالخشية والتوكل والإنابة، أو تكون **بالجوارح** كالصلاة والصيام والزكاة إلى غير ذلك.

هذا القسم الثاني كان توحيد الألوهية.

- **توحيد الأسماء والصفات:**

سنختم بتوحيد الأسماء والصفات وهو الخاص بتوحيد الله عز وجل، وأنا قلت طبعًا جزء منه ليس تفصيلًا وإلا كنا فصلنا كثير في كتاب معارج القبول، لكن لأن الحديث لابد أن نتعرض إليه فبنراجع ما قلناه من قبل للمراجعة، والذي لم يحضر يتذكر معنا وأيضًا يستفيد.

توحيد الأسماء والصفات وهو الإيمان بالأسماء والصفات، أنك أولًا تؤمن بأن لله عز وجل أسماء وصفات، قال تعالى:{ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ} [الأعراف:180]، إذًا لابد أن تؤمن بأن لله أسماء حسنى وصفات عليا، ولابد أن تؤمن في الأسماء والصفات بأنه ما أثبته الله عز وجل في كتابه أو أثبته له النبي ﷺ في سنته من أسماء لله عز وجل نثبتها، وما نفى الله عز وجل عنه من صفات فيها لا تليق بالله عز وجل لابد أنك تنفيها عن الله عز وجل، وهذا كله ضابطه في قوله تعالى:{ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ} [الشورى:11]. إذًا عندنا ضابط في هذه المسألة أولًا أنك تثبت لله الأسماء الذي أثبتها لنفسه أو أثبتها له النبي ﷺ ، وأنك تنفي عنه ما نفاه الله عز وجل عن نفسه: {وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ} [ق:38] مثلًا نفي النقص، كل ما كان فيه نقص في حق الله عز وجل تنفيه، أو ما نفاه عنه النبي ﷺ.

وأيضًا **تراعي فيه القواعد والضوابط التي قعدها لنا أهل السنة والجماعة**؛ منها:

- أن الأسماء توقيفية بأنك لا تستنبط اسم من اسماء الله عز وجل، بل أن الله عز وجل أنكر على مشركي العرب لما ألحدوا في اسماء الله عز وجل فغيروا من الإسم؛ منهم تغيير ومنهم من استحدث، قالوا اللات والعُزى ومناة، واللات هذه كانت تحريف لله، والعُزى للعزيز، ومناة للمنان. أو أن يلحد في أنه يأتي باسم لم يأت الله عز وجل لنفسه؛ كالنصارى يسمون الآب، وهذا ليس موجودًا أصالة. فهذا كله من التحريف لأن اسماء الله عز وجل توقيفية.
- وطبعًا الضابط الذي هو قاعدة عندنا بأنك تؤمن بصفات الله عز وجل من غير تحريف أو تعطيل ومن غير تكييف، من غير تشبيه، من غير تمثيل، إلى غير ذلك من الضوابط التي عند أهل السنة والجماعة بأنك تؤمن باسمائه وبصفاته أولًا ترد فيه على المبتدع الذين لم يؤمنوا باسماء الله عز وجل، أو جعلوها اسماء مجوفة بدون معاني، لا، لابد تؤمن بالاسم والمعنى؛ سميع له صفة السمع، وعليم له صفة العلم.

كذلك تؤمن بباقي الصفات التي جاءت في القرآن سواء كانت الصفات الخبرية كاليد والساق مثلًا والعين والقدم أيضًا، أو تؤمن بالصفات الفعلية لله عز وجل كالمحبة وكالغضب وكالاستواء مثلًا، وتؤمن أيضًا بالصفات الذاتية كالسمع والبصر والكلام والعلم والقدرة والقوة إلى غير ذلك، وهذا لا يستلزم منك أنك تكيف، والأصل بأننا نؤمن بأن الصفات لها معنى ولا نعلم كيفيتها.

كل هذه طبعًا تلخيصًا لمسألة الإيمان بالأسماء والصفات أو منهج أهل السنة والجماعة أنه نقول الإيمان الكامل والتصديق الجازم بما وصف الله عز وجل به نفسه أو وصفه به النبي

ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل، وكل هذا يُجمل في القول الذي قلناه في قول الله تعالى:{لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ} [الشورى:11].

هذا كله مجمل الإيمان بالله عز وجل؛ الإيمان بربوبيته، بألوهيته، بالأسماء والصفات.

الركن الثاني: الإيمان بالملائكة:

الركن الثاني من الإيمان هو الإيمان بالملائكة، والإيمان بالملائكة يستلزم عده مباحث؛ فيها أول شيء أن الملائكة خلق من مخلوقات الله عز وجل، خُلقت من نور، أجسام نورانية، عن عائشة رضي الله عنها وأرضاها قالت قال رسول الله ﷺ: [خُلِقَتِ المَلَائِكَةُ مِن نُورٍ، وخُلِقَ الجَانُّ مِن مَارِجٍ مِن نَارٍ، وخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ] أي من الطين. إذًا هذا لابد أن تؤمن بأن الملائكة مخلوقات أولًا لله عز وجل، وهي مخلوقات من نور، وأن لهم صفات قد جاءت في كتاب الله عز وجل وجاءت في سنة النبي ﷺ. أولًا من صفات الملائكة القوة والشدة، منها قوله تعالى:{عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ، ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ} [النجم:5-6]، ومنها قوله تعالى:{ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ} [التكوير:20]، له قوة وله قدرة أيضًا. فأول وصف نقول أنهم موصوفون في الكتاب بالقوة والشدة.

منها أيضًا أنهم يتفاوتون في الخلق والمقدار، قال الله عز وجل:{ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ} [فاطر:1]، إذًا بعض الملائكة لهم أجنحة مثنى أو ثلاث أو رباع بل إلى ستمائة جناح كما قال النبي ﷺ ، ومنهم أيضًا يتفاوتون في القدر، قال:[أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عن ملكٍ من حملةِ العرشِ ما بين شحمةِ أذنِه إلى عاتقِه مسيرةَ سبعمائةِ عامٍ]، فهذا أيضًا في الخلق والمقدار.

يتفاوتون أيضًا في الحسن والجمال، قال سبحانه وتعالى:{عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ، ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ} [النجم:5-6]، وهنا المرة أي ذو منظر حسن كما قال ابن عباس رضي الله عنهما. وأيضًا نسوة يوسف لما قالوا:{ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ} [يوسف:31]، أي لما رأوا جمال يوسف عليه السلام فنسبوه أن يكون ملك، فهذا دلالة على أن الملائكة أيضًا لهم وصف جميل.

وأيضًا أنهم:{ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ} [عبس:16] كما قال الله عز وجل عنهم. وأيضًا لهم صفة الحياء قال النبي ﷺ لما دخل عثمان قال:[ألا أستحي من رجلٍ تستحي منه الملائكة] حديث معروف، فهنا

بين أن الملائكة تستحي أيضًا. وجبريل عليه السلام كان لا يدخل على النبي ﷺ في حجرته مع عائشة أيضًا لما كان في لحافها حياء من ذلك.

فنقول أن لابد أن تؤمن بأن الملائكة مخلوقات وأن لهم الخصائص التي قد ذكرها الله عز وجل، منها أيضًا {لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ } [التحريم:6]، وهذه من أجل خصائص الملائكة وأنهم لا يفترون عن عبادة الله عز وجل يسبحون الله ليل نهار، وأنهم يستغفرون الله عز وجل أيضًا لا يفترون عن العبادة. فنقول هذه كلها من صفات الملائكة التي لابد أنك إذا آمنت بالملائكة تؤمن بصفاتهم أيضًا.

كيف يكون الإيمان بالملائكة؟

أولًا تؤمن بوجود الملائكة، ولأن بعض الناس يقول لا يوجد شئ اسمه ملائكة، هذا نور! ينكروا وجود مخلوقات الملائكة. فلابد من الإيمان بوجود الملائكة والتصديق بهم أيضًا. والإيمان بأن الملائكة خلق كثير لا يعلم عددهم إلا الله عز وجل أيضًا هذا من الإيمان بهم. الإيمان بهم أنك تؤمن بما ذكر من أسماء في الكتاب، فذُكر جبريل واسرافيل وميكائيل، وذُكر ملك الموت، وذُكر هاروت وماروت، وذُكر أيضًا في السنة منكر ونكير. طبعًا أنا بختصر في الآيات والأدلة لأن غالبها معلومة لكم.

ومن الإيمان بهم أن تقر بمقامهم عند الله عز وجل، لهم مقام عند الله عز وجل، قال سبحانه وتعالى عنهم:{ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ} [الأنبياء:27]، وأيضًا {فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ} [المائدة:64]. وأيضًا أن الله عز وجل اصطفى منهم {ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ} [الحج:75] إذًا هناك اصطفاء، إذًا هناك ملائكة يتفاضلون عند رب العالمين عن ملائكة أخرى، هذا من الإيمان أيضًا بالملائكة.

من الإيمان بالملائكة موالاة الملائكة والحذر من عداوتهم، من أين الدلالة على موالاة الملائكة؟ هو عموم قول الله عز وجل:{ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ} [التوبة:71]، فهنا عموم المؤمنون وعموم المؤمنات والملائكة تدخل، إذًا الولاية للملائكة من عموم قوله تعالى: {وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ} وأيضًا أخص من ذلك قال تعالى:{ وَإِن تَظَـٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَـٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ} [التحريم:4]، فجعل جبريل مولى للنبي ﷺ ، وما كان مولى للنبي ﷺ فهو مولى لنا أيضًا. والحذر من عداوتهم من أين؟ آية

صريحة: {مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ} [البقرة:98]، إذًا الحذر من عداوة الملائكة.

أيضًا من الإيمان بالملائكة أنك تؤمن بأن للملائكة وظائف؛ أي لكل ملك وظيفة حسب ما ذكر الله عز وجل، فجبريل وظيفته نزول بالوحي، وميكائيل موكل بالقطر والنبات، واسرافيل يلتقم القرن وينفخ فيه، وملك الموت قبض الأرواح، منكر ونكير سؤال المرء في قبره – نسأل الله أن يعافينا من ذلك ويلطف بنا. فكل هذا من وظائف الملائكة التي لابد أنك أيضًا تؤمن بها. وأيضًا من وظائف الملائكة الحفظة الذين يحفظون من الشياطين، والكتبة {كِرَامًا كَٰتِبِينَ} [الإنفطار:11]، كل هذه وظائف على العموم، وقلنا من كان له وظيفة من الملائكة في الكتاب والسنة أن تؤمن بها ولا تنكر بها ما دام جاء الدليل؛ سواء كان من الكتاب أو من السنة. سنقف عند الركن الثالث هو الإيمان بالكتب المنزلة.

سؤال من أحد الطلبة على قول: فَأَسْنَدَ رُكْبَتِهِ إِلَى رُكْبَتِهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ

رد فضيلة الشيخ: على فخذي جبريل ليس على فخذي النبي ﷺ ، أي جبريل وضع يديه على فخذيه هو، لأن البعض يظن أنه وضع فخذيه على فخذي النبي ﷺ ، وهذا سوء أدب ما يكون من جبريل، الضمير عائد على جبريل عليه السلام. وأسند الركبة أي اقترب منه، ووضع يده على فخذي جبريل نفسه واقترب اقتراب التلميذ للعالم. كل هذه كنا سنتكلم عنها في الفوائد المستنبطة في الحديث، لأن فيه فوائد كثيرة ونكت ولفتات مهمة.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم سبحانك اللهم وبحمدك
أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

المحاضرة الحادية والثلاثون

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام اليوم مع شرح كتاب الشريعة للإمام الآجري – عليه رحمة الله تعالى– وكنا قد دخلنا الأسبوع الماضي في **بَابُ ذِكْرِ سُؤَالِ جِبْرِيلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْإِسْلَامِ مَا هُوَ؟ وَعَنِ الْإِيمَانِ مَا هُوَ؟** وكنا قد بدأنا في شرح مجمل للحديث لأن لا يمكن أن نمر عليه هكذا، وإن كان طبعًا تفصيل شرح جبريل قد يطول وسيأخذ معنا اليوم ويمكن أيضًا الأسبوع القادم نختم به الحديث على حسب الوقت اليوم، لكن لابد أن نمر عليه لأنه من أعظم الأحاديث التي جاءت في السنة، وفيه مراتب الدين من الإسلام والإيمان والإحسان، والتفصيل في شرحه جاءت في كتب أخرى، لكن الإمام لأنه أفرد لنا هذا الباب وكان مقصوده طبعًا يبين لنا – كما قلنا في بداية شرح الباب – فيه رد على المرجئة وعلى غيرهم من المبتدعة في مسألة الإيمان، يبين بأن الدين عندنا مراتب؛ إسلام، وإيمان، وإحسان، ويبين الفرق بين الإسلام والإيمان، ومتى يجتمعا ومتى يفترقا، وفيه أيضًا التفاضل في الإيمان وأنه ليس واحدًا

كما عند باقي الفرق، وفيه أيضًا أن الإيمان يزيد وينقص إلى غير ذلك من الأصول التي عند أهل السنة والجماعة في مسألة الإيمان. فأورد لنا حديث جبريل، كنا قد شرحنا الركن الأول والثاني؛ الإيمان بالله تفصيلاته، والإيمان بالملائكة، وقفنا عند الإيمان بالكتب.

وقبلها كان في مسألة الاستشكال الذي ألقاه علينا الإمام ابن حزم – رحمة الله عليه – في مسألة عدم حجية القياس، وطرحت لكم المسألة للبحث وهو أنه استدل من قول الله عز وجل: {ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ۚ } [المائدة:3]، على نفي القياس، فقال إن كان القياس في الكتاب فهو من الكتاب إذًا ليس بدليلًا ويكون الكتاب هو الدليل، وإن لم يكن من الكتاب فهو ليس من الدين لأنه قال الله عز وجل: {ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} إذًا هذا ليس من الكتاب فلا يصح أن يكون دليلًا. وقلنا أن هذا قول الإمام ابن حزم. أنا لن أجيب الآن إلى أن يجتهد باقي الأخوة والأخوات في الإجابة.

الركن الثالث: الإيمان بالكتب:

نبدأ الآن الكلام في شرح الركن الثالث من أركان الإيمان وهو الإيمان بالكتب؛ أي الإيمان بالكتب المنزلة. ما زلنا في حديث جبريل عليه السلام وسؤال جبريل للنبي ﷺ عن الإيمان، فقال: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

قبل أن نبين تفاصيل ما معنى الإيمان بالكتب، نقول لا شك بأن الإيمان بالكتب يدخل فيه الوحي، فنحتاج إلى أن نعرف الوحي.

تعريف الوحي:

الوحي في التعريف الشرعي هو إعلام الله عز وجل أنبياءه بما يريد أن يبلغه إليهم من شرع أو كتاب، بواسطة أو غير واسطة. وكل هذا مجموع من قوله تعالى في سورة الشورى: { وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ} [الشورى:51]، إذًا أصبح كلام الله عز وجل إما يكون وحيًا– وهذا الذي نحتاجه الآن– أو من وراء حجاب، مثل كلام الله عز وجل مع النبي ﷺ في الإسراء والمعراج، أو يرسل رسولًا. إذًا إخبار من الله عز وجل على أن تكليمه ووحيه للبشر يقع على ثلاثة مراتب.

كيف يكون الإيمان بالكتب؟

الإيمان بالكتب يشمل عدة جوانب؛

1- أولًا التصديق الجازم بأن كل هذه الكتب من عند الله عز وجل، كلها منزلة من الله عز وجل، وأن هذه الكتب كلام الله عز وجل، لا كلام غير الله عز وجل، وأن الله عز وجل تكلم بها حقيقة كما شاء وعلى الوجه الذي أراده سبحانه وتعالى. قال تعالى في سورة آل عمران:{ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ * مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ} [آل عمران:2-4]، فأول شيء أن يصدق المرء تصديقًا جازمًا بأن الكتب هذه كلها منزلة من عند الله، والله قد تكلم بها.

2- الأمر الثاني في الإيمان بالكتب أن يؤمن أن كل هذه الكتب دعت إلى عبادة الله عز وجل وحده، وأن هذه الكتب قد جاءت بالخير، وجاءت بالهدى، وجاءت بالنور، وجاءت بالضياء، قال تعالى:{ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ } [آل عمران:79]، إذًا الكتب ما جاءت لذلك، الكتب كلها جاءت لتوحيد الله عز وجل، وما ينبغي لأحد من البشر الله عز وجل قد أتاه الكتاب أن يأمر الناس أن يتخذوا أولياء من دون الله عز وجل، بل أن الكتب أنزلت لتوحيد الله عز وجل.

قال تعالى: {نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ، مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ}، إذًا الكتب كلها فيها هدى للناس، هذا من تمام الإيمان والتصديق بالكتب. قال تعالى:{ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ} [البقرة:213]، وأيضًا الكتاب جاء بالحق، كما جاء بالهدى جاء بالحق. وقال تعالى:{ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ } [المائدة:44]، إذًا الكتب كله فيها هدى، فيها نور، فيها الحق، هذا من تمام الإيمان أيضًا بالكتب.

3- أن يؤمن المرء بأن الكتب كلها مصدقة بعضها لبعض، لا تناقض بين الكتب ولا تعارض، قال تعالى:{ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ } [المائدة:48]، إذًا الكتب كلها تصدق بعضها بعضا، لا تعارض بذلك،{وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ } [المائدة:46]، فكل الكتب جاءت مصدقة بعضها لبعض.

4- من ضوابط الإيمان بالكتب أن يؤمن بالكتب التي سماها الله عز وجل خصيصًا؛ أي ذكرت على وجه الخصوص، ولابد أن يصدق بها ويؤمن بها. وأولها ترتيبًا في الذكر **التوراة** وهو كتاب الله عز وجل الذي أنزله الله على موسى {وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ } [القصص:43]، فهذا الكتاب – التوراة – أنزله الله عز وجل على موسى. وطبعًا مذكور في الكتاب ومذكور في السنة حديث الشفاعة أيضًا لما قال ابراهيم عليه السلام لما جاؤوا إليه قال إني قد كذبت ثلاثة كذبات اذهبوا إلى موسى عبد الله آتاه الله التوراة وكلمه تكليما. فهذا أيضًا جاء في السنة اثبات أن التوراة أنزلت على موسى عليه السلام وتكليم الله عز وجل له. وأيضًا من قوله تعالى:{ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا} [الأعراف:145] الآيات.

ثم نؤمن **بالإنجيل** أيضًا، والإنجيل هو الذي أنزله الله عز وجل على عيسى عليه السلام، عيسى بن مريم، قال تعالى:{ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ} [المائدة:46]، فقد أنزل الله عز وجل الإنجيل مصدقًا للتوراة. وقال فيه عيسى عليه السلام: {وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ } [آل عمران:50]، لما جاء اختلاف بعض الأحكام في شريعة عيسى عن شريعة موسى عليه السلام. وأيضًا قوله تعالى:{ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ} [الأعراف:157].

أيضًا **الزبور** وهو كتاب الله عز وجل الذي أنزله على داوود عليه السلام،{وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا} [النساء:163]. ثم أيضًا **صحف ابراهيم وموسى** قد جاء ذكرهما في موضعين من كتاب الله عز وجل؛ سورة النجم:{ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ * وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ * أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ * وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ} [النجم:36-39]، الآيات. كل هذه تصديقًا بالكتب التي جاءت خصيصًا. وقبلها طبعًا **القرآن** كما بيّنا.

5- الاعتقاد أيضًا بأن جميع هذه الكتب التي أنزلها الله عز وجل قد نُسخت بنزول القرآن، لابد أن تعتقد ذلك؛ بأن القرآن جاء ناسخًا لجميع الكتب التي نزلت قبله، وأنه لا يسع لأحد من الإنس ولا الجن ولا حتى من أصحاب الكتب السابقة؛ يهوديًا كان أو نصرانيًا أو كان حتى متبعًا لزبور داوود إلى غير ذلك، أن يتبع هذه الكتب بعد نزول القرآن، قال تعالى:{ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا} [الفرقان:1]. فلا يصح أن أحد يتحاكم لغير

القرآن، أو يؤمن بغير القرآن، أو يتبع أي شرائع غير الشريعة التي جاءت في القرآن، أو أي أحكام غير التي جاءت في القرآن، لأن القرآن جاء ناسخًا، قال الله عز وجل: {يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ * يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ} [المائدة:15-16]. بل أن الله عز وجل أمر النبي ﷺ أن يحكم بين غير المسلمين من أهل الكتاب بالقرآن، قال تعالى:{ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ } [المائدة:48]، وقال تعالى في آية أخرى: {وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ} [المائدة:49].

هذا كله من تمام الإيمان بالركن الثالث؛ وهو ركن الإيمان بالكتب.

الركن الرابع: الإيمان بالرسل:

ثم الإيمان بالركن الرابع، وهو الإيمان بالرسل، ولا شك أن كل أركان الإيمان هذه من الواجبات؛ أي لا يصح إيمان عبد إلا أن يؤمن بهذه أركان الإيمان الستة، وأقول **(لا يصح)**، فهذا ليس من كمال الإيمان بل هذا من صحة الإيمان.

فهنا الإيمان بالرسل، والإيمان بالرسل من أعظم أركان الإيمان، وقد دل الكتاب والسنة على ذلك، قال تعالى في سورة البقرة:{ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ } [البقرة:285]، فذكر الله عز وجل من جملة الإيمان الإيمان بالرسل، أن الرسول والمؤمنون آمنوا بالله عز وجل وبالرسل جميعًا، بل بين الله عز وجل أن من علامات الكفر الذين كانوا يفرقون بين الله عز وجل وبين رسله، قال سبحانه وتعالى في سورة النساء:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا * أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ } [النساء:150-151]، فأطلق الله عز وجل الكفر على من كذَّب الرسل أو فرق بينهم في الإيمان؛ كما يقال يؤمنون بعيسى عليه السلام ولا يؤمنون بالنبي ﷺ ، يؤمنون بموسى ولا يؤمنون بمن بعده، فهذه التفرقة بين الرسل، بل وليس لأهل الإسلام أن ينكروا رسول من الرسل، بل هذه من علامات أهل الكفر كما قال سبحانه وتعالى. والله بين أن من علامات أهل الإيمان في الآية التي تليها:{ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ

يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا} [النساء:152]، فوصف الله عز وجل أهل الإيمان الذين يؤمنون بكل الرسل ولا يفرقون بين أحد من الرسل.

ومن الحديث الذي معنا، أن جبريل سأل النبي ﷺ عن الإيمان قال والإيمان بالرسل؛ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ، (وَرُسُلِهِ) هنا لو قلنا جمع مضاف يفيد العموم إذًا لابد كل الرسل أن تؤمن بهم، وكما جاءت الآيات تصريحًا بأن لم يؤمن بكل الرسل أو فرق بينهم كان من أهل الكفر.

وجاءت السنة أيضًا في حديث النبي ﷺ في التهجد قال:[اللَّهُمَّ لكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ، ولَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ، ولَكَ الحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ومَن فِيهِنَّ، أَنْتَ الحَقُّ، ووَعْدُكَ الحَقُّ، وقَوْلُكَ الحَقُّ، ولِقَاؤُكَ الحَقُّ، والجَنَّةُ حَقٌّ، والنَّارُ حَقٌّ، والنَّبِيُّونَ حَقٌّ، والسَّاعَةُ حَقٌّ] والشاهد هنا هو (والنَّبِيُّونَ حَقٌّ) بالجمع، فشهد النبي ﷺ على أن النبيين حق، وهذا من ضمن أصول الإيمان كما قال الجنة حق، والنار حق، والساعة حق. إذًا من أعظم أركان الإيمان بالرسل.

وقلنا لابد هنا يوجد تفصيل في مسألة الإيمان بالرسل، نحتاج أن نمر سريعًا على **الفرق بين النبي والرسول**؛

طبعًا هو النبي أصلًا تعريفه في اللغة مشتق من النبأ، والنبأ هو الخبر ذو الفائدة، قال سبحانه وتعالى:{ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ} [النبأ:1-2]. وقيل النبي مشتق من النبوة أيضًا، وهو الشيء المرتفع.

مشاركات من الطلاب: القول الأول أن الرسول يأتي بشرع جديد والنبي لم يأت بشرع جديد، والقول الثاني بأن الرسول من أُمر بالتبليغ والنبي لم يؤمر بالتبليغ.

تعقيب فضيلة الشيخ: نأخذ القول الأول الآن، ماذا تعدون يوسف عليه السلام؟ رسولًا أم نبيًا؟ القرآن جاء وصرح أنه رسول، {وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۗ } [غافر:34]، إذًا يوسف رسول، فنقول هنا الآية تقول بأن يوسف عليه السلام رسول، إذًا هذا يفند لكم القول الأول الذي قلتموه بأن الرسول يأتي بشرع جديد والنبي هو الذي يأتي بتكملة لشرع من قبله. هذا القول يشكل عليكم في ذلك.

القول الثاني؛ الآية {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا} [الأحزاب:45]، وقال {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ} عامة، {إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا} (مبشرًا ونذيرًا) إذًا سيدعو أم لا يدعو؟ سيبلغ، إذًا هذا يرد على القول الثاني الذي قلتم فيه بأن النبي لا يؤمر بالتبليغ، فجاء بـ (مبشرًا ونذيرًا) في النبي، وما دام النبي مبشر ونذير إذًا هو أُمر بالتبليغ أيضًا.

تبقى قول ثالث، وكل الخلاف تنوع حقيقة، القول الثالث قالوا **الرسول** من أوحي إليه، وأُرسل إلى من خالف أمر الله؛ أي بعضهم قال أن الرسول من أُرسل إلى الكفار والمؤمنين ليبلغوا برسالة الله عز وجل، **والنبي** أُرسل للمؤمنين ليجدد لهم الإيمان أو يذكرهم به، فالنبي من نبأه الله عز وجل أو أخبره أو خاطبه ليخاطب المؤمنين ولا يخاطب الكفار ولا يرسل إليهم. وهذا قول ثالث في المسألة، والمسألة خلافية بين أهل العلم وكله معه دليل، وإن كان القول الثالث الإشكال عليه قليل بخلاف القول الأول والثاني.

هذا كان معنى النبي والرسول.

كيف يكون الإيمان بالرسل؟

أولًا الإيمان بالرسل أن تعتقد أن ما أخبر الله عز وجل به عن رسله في كتابه أو أخبر به النبي ﷺ في سنته تؤمن به وتصدقه إجمالًا وتفصيلًا.

- **الإيمان المجمل:**

1- أن تصدق تصديقًا جازمًا بأن الله عز وجل قد بعث في كل أمة رسولًا، قال تعالى:{ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ} [النحل:36]، فأن تؤمن أولًا إجمالًا بأن الله عز وجل قد أرسل لكل أمة رسول يدعوهم إلى عبادة الله عز وجل.

2- أن تؤمن بأن الرسل بشر مخلوقون ليس لهم أي خصائص من خصائص الربوبية، هم عباد اصطفاهم الله عز وجل ولهم أعلى الدرجات عند ربهم لكنهم ليس لهم خصائص من خصائص الربوبية من شيء، قال الله عز وجل:{ قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ} [إبراهيم:11]، وقال تعالى أيضًا عن نوح عليه السلام:{ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ} [هود:31]، وأيضًا قال عن النبي ﷺ:{ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ } [الأنعام:50].

3- أن تؤمن بأن الله عز وجل قد فضَّل بعض الرسل على بعض، وأن الرسل درجات عند رب العالمين، قال تعالى:{ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ } [البقرة:253] إلى آخر الآيات. هذا الإيمان المجمل في الرسل.

♦ **الإيمان المفصل:**

1- أن تؤمن بكل رسول جاء في الكتاب أو في السنة، تؤمن به وبما جاء به عن الله عز وجل، وقد ذكر الله عز وجل من الأنبياء والرسل في القرآن خمس وعشرون نبيًا ورسولًا تفصيلًا، منهم ثمانية عشر من قوله تعالى:{ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ} [الأنعام:83]، هذا ذكر ابراهيم أول شيء، قال:{ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ} [الأنعام:84-86]، هذا كله مجموع ثمانية عشر. ثم جاء الباقي تفصيلًا من قوله تعالى:{ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ } [الأعراف:65]، لم يُذكر في الآية الأولى، {وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ } [الأعراف:73]، و {وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ } [الأعراف:85]، و{وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ} [الأنبياء:85]، هؤلاء لم يذكروا في الآية المجمعة الأولى، و {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ} [الفتح:29]، جاء تصريحًا، فهؤلاء الأنبياء والرسل ذُكروا في القرآن تفصيلًا، يجب الإيمان بهؤلاء الأنبياء والرسل.

لماذا يجب الإيمان بهم؟ لأنهم ذكروا في القرآن، والقرآن قطعي ومتواتر، فأصبح الإيمان بهم ركن من الأركان، لو أحد لم يؤمن برسول واحد جاء في الكتاب كفر، لأنه فيه تكذيب لله عز وجل وقد ذكره الله عز وجل في القرآن.

أن يؤمن بما جاء خصيصًا عن كل رسول؛ أي لما يقول الله عز وجل:{ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا} [النساء:125]، فلابد أن تؤمن بأن الخلة كانت لابراهيم عليه السلام، وتؤمن أن الخلة للنبي ﷺ من السنة لما قال النبي ﷺ:[إِنَّ اللهِ تَعَالَى قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كما اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، ولو كُنْتُ مُتَّخِذًا مِن أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا]، وتؤمن أيضًا بأن الله عز وجل قد كلم موسى تكليمًا، فكانت هذه منقبة موسى عليه السلام بأنه كلمه تكليمًا. وتؤمن أيضًا بأن الله عز وجل قد سخر مع داوود الجبال {وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ}

[الأنبياء:79]. فمن تمام الإيمان أن تؤمن بما جاء خصيصًا من خصال كل رسول جاء في الكتاب وفي السنة. هذا من الإيمان بالتفصيل.

2- من الإيمان بالرسل تؤمن بالقصص التي قصها الله عز وجل علينا في الكتاب؛ قصة نوح عليه السلام، قصة عاد، قصة ثمود، شعيب قصة أهل مدين، قصة موسى وفرعون أيضًا، قصة يونس مع قومه، كلهم عليهم صلوات الله عز وجل وسلامه عليهم. كل هذا من الإيمان التفصيلي الذي جاء بالكتاب.

هذا كان الركن الرابع من أركان الإيمان وهو الإيمان بالرسل، وأنا قلت أني أوجز وأضع ضوابط فقط، ومن أراد أن يستزيد يرجع لشرح معارج القبول أو غير ذلك من الكتب.

الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر:

الإيمان باليوم الآخر يدخل فيه عدة مباحث؛ أولًا تؤمن بأشراط الساعة، تؤمن بالقبر وعذابه ونعيمه، ثم تؤمن بعد ذلك بما يأتي في أشراط الساعة من البعث، والنشور، والصراط، والحوض، والحساب، والميزان إلى غير ذلك.

الإيمان بأشراط الساعة:

1- الأول الإيمان باليوم الآخر أول مبحث فيها **الإيمان بأشراط الساعة**، وأشراط الساعة جمع شرط وهو العلامة، والساعة هو الزمان، ويقال هو أكثر أسماء يوم القيامة شيوعًا وهي الساعة أو من أشهرها. إذًا أشراط الساعة هي علامات الساعة، أمارات الساعة، قال تعالى:{ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا } [محمد:18]. هنا الأشراط بعض أهل العلم قسموها حتى على التقسيم الثلاثي الذين قالوا بأن هناك أشراط بعيدة عننا الآن قد ظهرت من قبل، وهناك أشراط متوسطة، وأشراط قبل يوم القيامة.

فالأشراط التي قد مضت وظهرت – التي هي البعيدة هذه – كما حدث في زمن النبي ﷺ {ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ} [القمر:1] فانشقاق القمر كان من أشراط الساعة وقد حدث في زمان النبي ﷺ ، وأيضًا بعثة النبي ﷺ من أشراط الساعة، قال النبي ﷺ:[بُعِثْتُ أَنَا والسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ. قَالَ: وضَمَّ السَّبَّابَةَ والْوُسْطَى] فكانت بعثة النبي ﷺ من أشراط الساعة البعيدة عنا أو الأولى المتقدمة. وأيضًا كما نبأ النبي ﷺ بخروج نار من أرض الحجاز:[لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى تَخْرُجَ نارٌ مِن أرْضِ الحِجازِ تُضِيءُ أعْنَاقَ الإبِلِ ببُصْرَى] وبصرى هذه بلد في

الشام وقد حدث ذلك بأن خرجت نار من أرض الحجاز فرآها أهل الشام، بل أضاءت أعناق الإبل في بصرى من النار التي في الحجاز، وقد حدث ذلك قالوا في جمادى الآخرة سنة 654، وهذه أيضًا كانت من علامات الساعة البعيدة كما يقال.

ثم **العلامات أو الأمارات المتوسطة** التي حدث منها كثير الآن، منها قول النبي ﷺ أن من علامات الساعة: [أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَها وأَنْ ترى الحُفاةَ العُراةَ رِعاءَ الشَّاءِ يتطاوَلونَ في البُنيانِ] وكما هنا في الحديث الذي معنا لما سأل جبريل عليه السلام عن أشراط الساعة فذكر له بعض هذه العلامات التي قلناها الآن، وهذه الأمور أيضًا قد حدثت. منها أيضًا خروج الدجالين الثلاثين كما قال النبي ﷺ: [سيكونُ في أمّتي ثلاثونَ كذابونَ كلّهم يزعم : أنه نبي، وأنا خاتَمُ النبيينَ، لا نبيّ بعدي] وقد ظهر عدد من هؤلاء الكذابون. منها أيضًا انحسار الفرات، وإن كان لم يحدث إلى الآن، سيحدث انحسار الفرات عن الذهب ويقتتل الناس عليه، فمن كل مائة تسعة وتسعين يُقتلون ويتبقى واحد كل واحد يظن أن هو الذي سيأخذ هذا الذهب، فهذا أيضًا من علامات الساعة وإن كانت لم تحدث.

ثم **القسم الثالث وهي العلامات الكبرى التي تكون قُرب خروج الساعة بالضبط**؛ وهي كما جاء في حديث حذيفة بن أسيد عند مسلم قال: [اطَّلَعَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم علينا ونَحنُ نَتَذاكَرُ السَّاعةَ، فقال: ما تَذكُرونَ؟ قالوا: نَذكُرُ السَّاعةَ، فقال: إنَّها لَن تَقومَ حَتَّى تَرَوا عَشرَ آياتٍ: الدُّخانَ،] لابد من عشر آيات قبل قيام الساعة، [فذَكَرَ الدُّخانَ والدجَّالَ والدابَّةَ وطُلوعَ الشمسِ من مَغرِبِها ونُزولَ عيسى ابنِ مريمَ صلَّى اللهُ عليه وآلِه وسلَّم ويَأجوجَ ومَأجوجَ وثلاثَ خُسوفٍ خَسفٌ بالمَشرِقِ وخَسفٌ بالمَغرِبِ وخَسفٌ بجزيرةِ العربِ وآخِرُ ذلك نارٌ تَخرُجُ من اليمَنِ تَطرُدُ الناسَ إلى مَحشَرِهم]. طبعًا هناك أيضًا هدم الكعبة ولكن هذه العشرة هي التي قرب قيام الساعة، ويوجد أيضًا المهدي إلى غير ذلك. كل هذه من أمارات الساعة، هذا من الإيمان باليوم الآخر، لأن هذه مقدمات اليوم الآخر.

الإيمان بالقبر وعذابه ونعيمه:

ثم أيضًا من الإيمان باليوم الآخر أن تؤمن بنعيم القبر وعذاب القبر، وهذه أيضًا من الأشياء التي خالف فيها بعض المبتدعة في ذلك؛ الذين أنكروا عذاب القبر، وقد ثبت عن العذاب والنعيم بآيات ومن السنة أيضًا، منها قوله تعالى: {يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى

ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ } [المائدة:64] في الشروحات أن هذا على **سؤال القبر** عندما يأتي منكر ونكير يثبت الله عز وجل الذين آمنوا في سؤال الملكين، وفي الآخرة عند الحساب، كما قال النبي ﷺ حديث البراء بن عازب:[**إِذَا أُقْعِدَ المُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ أُتِيَ، ثُمَّ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ**] إلى آخر الحديث الذي فيه السؤال فقالوا هذا تفسيرًا لقول الله عز وجل: {يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ } .

وأما مسألة **عذاب القبر** جاء من الكتاب كما يحدث مع آل فرعون قال سبحانه وتعالى: {وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ * ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ} [غافر:45-46]، فالعذاب الأول هنا {يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ} ، {وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ} إذًا هل يوجد عذاب قبل الساعة؟ نعم، يوجد عذاب في قبورهم. وأيضًا من قوله تعالى: {سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٖ} [التوبة:101]، أين سنعذبهم مرتين؟ في الدنيا، وفي القبر، ثم يردون إلى عذاب عظيم. وهذا فيه استدلال أيضًا على عذاب البرزخ وعذاب القبر أيضًا.

وأيضًا جاءت السنة تبين عذاب القبر، قول النبي ﷺ في الصحيحين: [**إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عليه مَقْعَدُهُ بالغَدَاةِ والعَشِيِّ، إنْ كانَ مِن أهْلِ الجَنَّةِ فَمِنْ أهْلِ الجَنَّةِ، وإنْ كانَ مِن أهْلِ النَّارِ فَمِنْ أهْلِ النَّارِ، فيُقَالُ: هذا مَقْعَدُكَ حتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَومَ القِيَامَةِ**] . وقال النبي ﷺ: [**لولا أن لَّا تَدَافَنُوا، لدعوتُ اللهَ أنْ يُسمِعَكم عذابَ القبرِ**]. وأيضًا حديث النبي ﷺ أنه مر على قبر رجلين قال: [**إنَّهما ليعذَّبانِ، وما يعذَّبانِ في كبيرٍ، أمَّا أحدُهما فكانَ لا يستنزِهُ من بولِهِ ، وأمَّا الآخرُ فكانَ يمشي بالنَّميمةِ**]. هذه كلها تدل على نعيم القبر وعذاب القبر.

وطبعًا مسألة أخرى في **وقوع نعيم القبر وعذابه أنه يقع على الجسد ويقع على الروح**. يقع على الجسد من حديث الملكين الذين يأتيان، ملكان أسودان منكر ونكير [**فَيَقُولَانِ له: ما كُنْتَ تَقُولُ في هذا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ؟ فيَقولُ: أشْهَدُ أنَّه عبدُ اللَّهِ ورَسولُهُ، فيُقَالُ: انْظُرْ إلى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ أبْدَلَكَ اللَّهُ به مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ، قَالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: فَيَرَاهُما جَمِيعًا، وأَمَّا الكَافِرُ أوِ المُنَافِقُ فيَقولُ: لا أدْرِي، كُنْتُ أقُولُ ما يقولُ النَّاسُ، فيُقَالُ: لا دَرَيْتَ ولَا تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بمِطْرَقَةٍ مِن حَدِيدٍ ضَرْبَةً بيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَن يَلِيهِ إلَّا الثَّقَلَيْنِ**] وهذه دلالة على أن العذاب على الجسد لأنه سيصرخ. **وما الدلالة على أن النعيم على الروح؟** أقول النعيم لأن من استدلالنا بالنعيم على الروح فقياسًا سيكون العذاب على الروح، وهذه كانت في قول النبي

ﷺ في أرواح الشهداء عند ربهم، قال النبي ﷺ: [أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيرٍ تَرِدُ أَنهارَ الجَنَّةِ، وتأكُلُ مِن ثمارِها، وتَأْوِي إلى قناديلَ مِن ذهبٍ مُعلَّقةٍ في ظِلِّ العَرْشِ] هذه أرواح الشهداء، فهذه دلالة على أن الروح تتنعم. إذًا إذا كانت الروح تتنعم فبالقياس قالوا تتعذب – والعياذ بالله – وكذلك الجسد. إذًا يكون نعيم القبر وعذاب القبر – والعياذ بالله– على الروح وعلى الجسد أيضًا. فهذا مبحث نعيم القبر هذا كله في الإيمان باليوم الآخر.

الإيمان بالبعث:

أيضًا **الإيمان بالبعث**، من الإيمان باليوم الآخر لابد أن يكون هناك الإيمان بالبعث، وهذه جاءت فيها الآيات، قوله تعالى:{ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ } [البقرة:56]، هذه دلالة على أن هناك بعث بعد الحياة. وطبعًا هذا كله ينكره الذين يقولون بالإلحاد الآن، يقول لك لا يوجد بعث ولا حساب ولا يوجد إله أصلًا عنده ويرى أن المسألة كلها بالطبيعة والصدفة فقط، وأما الإيمان بالبعث فهذا من الإيمان باليوم الآخر وهذا من أصول الإيمان أيضًا.

والبعث في الشرع أي إحياء الناس من قبورهم، إحياء الله عز وجل للموتى وإخراجهم من قبورهم، هذا معنى البعث في الشرع عندنا إحياء الله عز وجل للموتى وخروجم من قبورهم إلى يوم القيامة يوم الساعة أو يوم الحساب، وقال سبحانه وتعالى:{ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ} [يس:78-79]، فهذه دلالة على أن الله عز وجل ينشئ الخلق مره أخرى كما أنشأها أول مرة بعد أن يموت الناس أو تقوم الساعة على شرار الخلق فكل هؤلاء يُبعثون سواء كانوا أمواتًا أو الذين قبضوا لأن حتى الذين ستقوم عليهم الساعة سيُقبضون والكل سيموت ثم يبعث الله عز وجل جميع الخلق مره أخرى للحساب، فقال سبحانه وتعالى:{ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [البقرة:56]، وقال تعالى أيضًا: {مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ} [لقمان:28]، و {زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ} [التغابن:7]. إذًا البعث أيضًا من الإيمان باليوم الآخر.

الإيمان بالحشر:

وبعد البعث **الحشر**؛ أن يؤمن المرء بالحشر بعد ذلك، قال سبحانه وتعالى:{ وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا} [الكهف:47]، وأيضًا عن عائشة رضي الله عنها لما سمعت النبي ﷺ يتكلم عن الحشر فسألت النبي ﷺ ، قال النبي ﷺ: [يُحْشَرُ النَاسُ يومَ القيامةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا] وفي رواية [بُهْمًا] وهذه لها مناسبة لأن فيها رحله حديثية لجابر بن عبد الله لما ذهب إلى عبد الله بن أنيس الشام يسأله – سنبينها في الفوائد المستنبطة عن لفظة (بُهما) هذه – فقالت عائشة رضي الله عنها.. وانظر إلى الصديقة بنت الصديق، انظر إلى العفيفة الطاهرة، انظر قالت: [يا رَسولَ اللهِ، النِّساءُ والرِّجالُ جَمِيعًا]

والحديث فيه [حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا] فقالت:[يا رَسولَ اللهِ، النِّساءُ والرِّجالُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ] عفة عند أم المؤمنين وحتى في يوم القيامة غير متصورة، انظر إلى حال النساء والرجال الآن ماذا يفعلون مع بعضهم وفي الطرقات وفي الشوارع وفي الأماكن وفي السواحل!

فتقول: [يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ] قال: [يا عائِشَةُ، الأمْرُ أشَدُّ مِن أنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ.] فالواحد يقول نفسي نفسي، حتى الأم لن تستطيع أن تنظر إلى ابنها ولا تسأل عنه، أسأل الله عز وجل أن يحفظنا في هذا الوقت. فهذا حشر جميع الخلائق.

الإيمان بالحوض:

ثم بعد الحشر هناك **الحوض**، والحوض له صفة، وردت صفة الحوض، وكل نبي له حوض، لكن النبي ﷺ حوضه أعظم حوض وهو: [شَرابُه أشَدُّ بَياضًا مِن اللَّبَنِ، وأحْلى مِن العَسَلِ، وأبْرَدُ مِن الثَّلْجِ، وأطْيَبُ رِيحًا مِن المِسْكِ]كما جاء في وصف حوض النبي ﷺ نسأل الله عز وجل أن نشرب جميعًا من حوض النبي ﷺ من كفيه الشريفتين. ولكل نبي حوض لكن حوض النبي ﷺ أعظمهم اتساعًا طولًا وعرضًا وأيضًا مسيرة شهر، طبعًا شهر هذا من زمان الجنة أصالة، وفيه ميزابان أحدهما من ذهب والآخر من فضة، وأنيته كعدد نجوم السماء.

وثبوت الحوض جاء بروايات كثيرة بعضهم عد ذلك متواتر أن ثلاثين من صحابة النبي ﷺ رووا أحاديث عن حوض النبي ﷺ ، والشرب من حوض النبي ﷺ ، واختلف أهل العلم أين يكون الحوض؟ أي أين موقع الحوض تحديدًا، هذا محل خلاف بين أهل العلم على أنه بعضهم قال بأن الحوض يكون في أرض المحشر ويمد ماؤه بنهر الكوثر إلى الجنة؛ أي هو

الحوض في المحشر وهل الحوض قبل الميزان أم الحوض بعد الميزان؟ الراجح والذي رجحه القرطبي – رحمة الله عليه – أن الحوض يكون قبل الميزان، قالوا لأن الناس عندما يُبعثون يقومون يخرجون عطاشى من قبورهم فيحتاجون إلى الحوض، فيكون الحوض قبل الميزان. وفيه خلاف حقيقة؛ هل الحوض قبل الميزان؟ أم يكون بعد الميزان ويقوم الناس أيضًا من بعد الميزان والمعاناة والحساب يحتاجون أيضًا إلى الشرب من الحوض؟ ولكن القرطبي رجح بأنه قبل الميزان، وردت أدلة في هذه المسألة مختلفة في مسألة الترتيب.

الإيمان بالميزان:

ثم الميزان، والميزان طبعًا له صفة، وهو ميزان حقيقي له لسان وكفتان، خلافًا للمعتزلة الذين ينكرون حقيقة الميزان وحقيقة الوزن، وقلنا بأن الميزان يوزن فيه العمل ويوزن فيه العامِل، ويوزن فيه السجلات. **فالعمل يوزن**؛ حديث النبي ﷺ: [**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ**] فهذه عمل ولكنها توزن ثقيلة في الميزان، إذًا العمل يوزن. وحديث البطاقة؛ الرجل الذي وُضعت له تسعة وتسعين سجلًا من المعاصي والذنوب فوجد الكفة نزلت فقال لك عندنا ما بقي فقال ماذا ستفعل هذه البطاقة؟ فوُضعت البطاقة وفيها لا إله إلا الله فطاشت السجلات، فهذا دلالة على أن **السجلات توزن** أيضًا. والعامل أيضًا – وهو المرء – يوزن، والدلالة من قوله تعالى: { **فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا**} [الكهف:105]، على الكافر، بل يؤتى أيضًا ضرس الكافر كجبل أُحد. وأيضًا حديث ابن مسعود رضي الله عنه وأرضاه لما تسلق الجدار فلما جاء الهواء والريح فرفعت ثيابه فرأى الصحابة دقة ساقية فضحكوا، فقال النبي ﷺ مم تضحكون؟ قالوا من دقة ساقي ابن مسعود يا رسول الله ﷺ ، قال أتعجبون من دقة ساقي ابن سعود؟ فإنها ثقيلتان في الميزان كجبل أحد. فدل ذلك على أن **المرء يوزن**. لكن طبعًا غالب ما يوزن هو الأعمال والسجلات.

الإيمان بالشفاعة:

ثم أيضًا من الإيمان باليوم الآخر الشفاعة؛ وهذه أيضًا من لوازم الإيمان باليوم الآخر أن يؤمن المرء بالشفاعة، والشفاعة هي الوسيلة، هي الطلب، سؤال الخير للغير، هذه من باب الشفاعة، والشفاعة عند الله عز وجل وسؤال الله عز وجل التجاوز عن الذنوب والآثام للغير؛ أنك تشفع

لفلان أنك تشفع عند الله تسأل الله عز وجل أن يرفع الآثام والذنوب عن الغير. وحقيقة هي من المكرومات أو من المناقب التي يؤتيها الله عز وجل لمن يشاء من عباده وقبلها لرسله وقبلهم للنبي ﷺ وهو أفضل الرسل الذي أوتي الشفاعة العظمى يوم القيامة، لأن الرسل لهم شفاعة، والأنبياء لهم شفاعة، والمؤمنين لهم شفاعة، يشفعون كل هؤلاء في أصحاب الذنوب لكن قبل ذلك كله هناك شفاعة خاصة للنبي ﷺ وهي الشفاعة العظمى يوم الحساب.

لكن الشفاعة لابد لها من شرطين؛ أولًا أن يأذن الله عز وجل للشافع، لابد أن يأذن له، قال تعالى:{ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ } [البقرة:255]، وأيضًا: {يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا} [طه:109]، هذا الأول الاذن. والثاني رضا الله عز وجل عن الشافع وعن المشفوع له، قال تعالى: {وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ } [الأنبياء:28]، فلابد من رضا الله عز وجل. وثبت في صحيح مسلم حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: [**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وإنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفاعَةً لِأُمَّتِي يَومَ القِيامَةِ، فَهي نائِلَةٌ إنْ شاءَ اللَّهُ مَن ماتَ مِن أُمَّتِي لا يُشْرِكُ باللَّهِ شيئًا**] فكانت الشفاعة لكل من مات على التوحيد فله نصيب من شفاعة النبي ﷺ. أما الكفار فليست لهم شفاعة؛ قوله تعالى:{ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ} [المدثر:48]، فليس لهم شفاعة.

- لو عددنا سريعًا **أنواع الشفاعات**، فهناك:

1- الشفاعة العظمى وهي شفاعة النبي ﷺ في أهل الموقف أن يقضي الله عز وجل بينهم، وطبعًا فيها المقام المحمود للنبي ﷺ ، وأن الله عز وجل سيأمر بفتح أبواب الجنة للنبي ﷺ فقط وهذه شفاعة خاصة بالنبي ﷺ وهي الشفاعة العظمى ليس لأحد غيره؛

2- وأيضًا بعد ذلك شفاعة النبي ﷺ في قومه – قوم تساوت حسناتهم مع سيئاتهم – أن يدخلون الجنة؛

3- وشفاعته أيضًا لقوم استحقوا النار ألا يدخلوا النار ويدخلوا الجنة؛

4- وشفاعته أيضًا ﷺ في رفع درجات أهل الجنة؛ يرفع درجات أهل الجنة لمن يشاء؛

5- وشفاعته أيضًا ﷺ في خروج أهل الذنوب والمعاصي وأهل الكبائر من أهل القبلة من النار إلى الجنة؛

6- وأيضًا شفاعته في قوم يدخلون الجنة بغير حساب.

كل هذه شفاعات خاصة بالنبي أو بعضها يدخل فيها غيره كما سنبين؛ غير النبي ﷺ، لكن هذا كله للنبي ﷺ.

7- أيضًا شفاعته في عمه أبي طالب، وهذه شفاعة استثنائية، ولن يشفع له في عدم الخروج من النار ولكن شفع له في أن يكون أقل أهل النار عذابًا كما قال النبي ﷺ.

كل هذه شفاعات خاصة بالنبي ﷺ وهناك شفاعات أيضًا لأهل المؤمنين وباقي الرسل.

الإيمان بالصراط:

ثم بعد ذلك أيضًا من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالصراط؛ والصراط هو الجسر الممدود على متن جهنم – الله المستعان – يرده الأولون والآخرون، طريق أهل الحشر لابد أن يمر كل واحد على هذا الجسر حتى يدخل الجنة، قال سبحانه وتعالى:{ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا} [مريم:71]، لابد لكل أحد سيمر على هذا الجسر ،{ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا} [مريم:72]. لذلك سئل النبي ﷺ عن الجسر هذا قال هذا قال: [مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ] أي المسألة فيها مدحضة مزلة، قال:[يُؤْتَى بالجِسرِ فيُجعَلُ بَيْنَ ظَهْرانَيْ جَهنَّمَ) فقُلْنا : يا رسولَ اللهِ وما الجِسرُ ؟ قال : (مَدْحَضةٌ مَزِلَّةٌ عليه خَطاطيفُ وكَلاليبُ وحَسَكةٌ مُفَلْطَحةٌ لها شَوكٌ عُقَيفاءُ تكونُ بنَجْدٍ يُقالُ لها : السَّعدانُ يجوزُ المُؤمِنُ كالطَّرْفِ وكالبَرْقِ وكالرِّيحِ وكأجاويدِ الخَيلِ وكالرَّكبِ فناجٍ مُسلَّمٌ ومَخدوشٌ مُسلَّمٌ ومَكْدوسٌ في جَهنَّمَ] نعوذ بالله من ذلك [حتَّى يمُرَّ آخِرُهم يُسحَبُ سَحبًا]كأنه يسير على بطنه، يسحب سحبًا. وهذه كلها في الصراط.

الإيمان بالجنة والنار:

ثم بعد ذلك أخيرًا في مسائل الإيمان باليوم الآخر أن يؤمن بالجنة والنار؛ وهذه مهمة، وأن الجنة والنار حتى تؤمن بها عند أهل السنة والجماعة لابد أن تؤمن بوجود الجنة والنار حقيقة، وليس كما قال المعتزلة أو أهل الفلسفة ولا غير ذلك! لا، هناك جنة ونار حقيقة، أولًا تؤمن بأنها موجودة حاليًا، قال سبحانه وتعالى:{أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} [آل عمران:133]، و { أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ} [آل عمران:131]، أعدت، إذًا هي موجودة، فتؤمن بوجودها، وتؤمن بأنها حقيقية؛ قال سبحانه وتعالى:{ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ * عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ}

[النجم:13-15]، هذا يبين بأن الجنة موجودة حقيقية قد أعدها الله عز وجل، من الآن موجودة، بل أن الأحاديث تبين أن الذين قتلوا في سبيل الله أرواحهم في حواصل الطير تحوم حول العرش في الجنة. إذًا لابد من الإيمان بالجنة أنها حقيقية وأنها دار أيضًا للخلد؛ لأهل الجنة خلود في أهل الجنة، وخلود لأهل النار أيضًا، وأن الجنة درجات أيضًا كما أن النار دركات، قال الله عز وجل:{ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ } [النساء:145]، هذه دركات، وتؤمن أن الجنة لها ثمانية أبواب كما ذكر في حديث النبي ﷺ وأن للنار سبعة أبواب؛ قال سبحانه وتعالى:{ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ} [الحجر:44]، هذا كله من الاعتقاد بالجنة والنار. هذا كله كان الإيمان باليوم الآخر.

الركن السادس: الإيمان بالقدر:

الإيمان بالقدر؛ وهذا آخر ركن من أركان الإيمان وهو الإيمان بالقضاء والقدر. **ما الفرق بين القضاء والقدر؟** القدر سابق عن القضاء، **القدر** هو الذي في الأزل، القدر هو ما قدره الله تعالى في الأزل أن يكون في خلقه بناء على علمه السابق. فمراتب القدر هنقول الآن أن الله عز وجل علم فكتب فأراد وشاء فخلق، إذًا القدر هو الذي في الأزل. فهنا أولًا القدر سابق عن القضاء؛ إذًا القدر هو تقدير الشيء قبل قضائه، **والقضاء** بيأتي بمعنى الفراغ من الشيء.

تعقيب من فضيلة الشيخ على مشاركات أحد الطلبة أنه لا فرق في المعنى: لا نستطيع أن نقول لا فرق، فالقضاء والقدر يأتي أحدهما بمعنى الآخر لكن ليسوا في المعنى لذلك لما يقول "يؤمن بالقضاء والقدر" فهو لما أتى "القضاء" و"القدر" إذًا يوجد اختلاف، وأن هناك مغايرة، إذًا على الأقل هناك فروقات، لكن نحن بنقول نعم يأتي هذا بمعنى هذا وهذا بمعنى هذا كما قلنا الفقير والمسكين أحيانًا، الإسلام والإيمان، وغير ذلك. لكن هنقول أنه يوجد فارق بينهم.

إذًا **القدر** كأنه تقدير الشيء أولًا، و**القضاء** إما أن يكون من إيجاد، أو إعدام، أو تخيير، هذه كلها في القضاء؛ أن يقضي الله عز وجل بايجاد الشيء، أو يقضي بإعدامه مثلًا إلى غير ذلك، هذه كلها من أنواع القضاء. لكن نقول نعم ممكن يأتي هذا بمعنى هذا وهذا بمعنى هذا، قال سبحانه وتعالى:{ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ} [القمر:49]، و {وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا} [الأحزاب:38]، و {وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا} [الفرقان:2]، طبعًا هذه ستكون إشكالية {وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا}. طبعًا باب القضاء والقدر ممكن يطول أكثر من ذلك لكن نقول بأن لابد أن المرء يؤمن بالقضاء والقدر.

فالقدر تقدير الأمور أولًا بعلم الله عز وجل؛ قدَّر أن هذا سيكون، ثم يقضي إما يوجد هذا الشيء يخلقه، أو يعدمه، قدَّر الخلق إذًا سيخلق، قدر الموت سيموت، هذا القضاء، لأن القضاء من معانيه في اللغة الفراغ من الشيء. أقول لك مثال دنيوي؛ عندك قماش، وأنت رجل ترزي تريد تفصل القماش هذا أولًا، قبل أن تفصله ستقدر بالضبط كم متر تحتاج، وكيف سترسم القصة، هذا تقدير كله، لما تقص القماش وتخيطه إذًا أنت قضيت الآن أو فرغت من هذا الشيء، فهذا مثال تقريبي، وإلا نعم البعض يقول القضاء بمعنى القدر والقدر بمعنى القضاء، المهم أن يُعرف الفرق بينهما لكن غالبًا الذي قلناه الآن هو الأضبط؛ بأن القضاء هو الفراغ من الشيء وهو يكون فيه الإيجاد أو التخيير أو الإعدام أو غير ذلك، والقدر هو تقدير الشيء نفسه في الأزل، هذا هو المقصود. وقلنا أن ممكن يأتيك أدلة تجد القضاء بمعنى القدر والقدر بمعنى القضاء، لكن الآن بنضع فارق فقط لتفهم ما الفرق بين القضاء والقدر، لأنه بتأتي الكلمة متلازمة وبها عطف فلابد أن تتغاير في المعنى على الأقل في بعض الأشياء فيها تغاير.

لابد حتى تؤمن بالقضاء والقدر هذا ركن من أركان الإيمان، وقد حدث أن هناك بعض الناس ضلوا في مسألة القضاء والقدر، كالقدرية أو كالجبرية إلى غير ذلك من التفصيل، لكن هنا **لابد أن تؤمن بأربع مراتب**:

1- بأن الله عز وجل علم كل شيء؛ وعلم ما كان وعلم ما سيكون وعلم ما لم يكن لو كان كيف سيكون عن المستحيل والممكن، هذا كله لابد تؤمن بعلم الله عز وجل؛

2- ثم تؤمن بالمرتبة الثانية؛ كتابة الله عز وجل، فالله عز قد كتب كل شيء في اللوح المحفوظ، وهناك كتابات أخرى من اللوح المحفوظ تنزل إلى كتب الملائكة، وهناك كتابات حولية، وهناك كتابات الجنين في بطن أمه، وكتابات يومية كتب الملائكة الذين يتعاقبون بالكتابة، كل هذه من الإيمان بالكتابة؛

3- المرتبة الثالثة الإيمان بالمشيئة؛ بأن الله عز وجل إذا شاء شيء كان وما لم يشأ لم يكن، قال سبحانه وتعالى:{ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ} [يس:82]، وقال تعالى:{ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ} [التكوير:29]، لذلك لابد تحفظ مراتب والقدر بأربع كلمات: (علم – كتب – شاء – وأراد فخلق) هذا على الترتيب كما قلنا الآن.

4- ثم آخر مرتبة أنه خلق سبحانه وتعالى؛ {وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} [الصافات:96]، وقوله سبحانه وتعالى:{ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} [الزمر:62]. فلابد أن تؤمن بهذه المراتب الأربعة، وهذه المراتب الأربعة هي الأساس في مسألة الإيمان بالقضاء والقدر.

هذه كانت أركان الإيمان الستة انتهينا من الإيمان، وقبلها انتهينا من الإسلام.

مرتبة الإحسان

كما قال النبي ﷺ في الحديث قال: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ، وهذا حقيقة الإحسان لو أردت أن نتكلم فيه حقيقة سنجلس كثيرًا جدًا، لكن هذه مرتبه عظيمة جدًا سأل جبريل عليه السلام النبي ﷺ قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ» ، فبين النبي ﷺ الإحسان في جملتين هما مرتبتا الإحسان، وهذا أصل الإحسان أنك تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

ما هو الإحسان؟

الإحسان هو بذل الجهد واستفراغ الوسع في حُسن المعاملة مع الله عز وجل، هذه هي الخلاصة حقيقة. فالمرء معاملاته كلها تكون على ثلاثة أنواع؛ المرء يعامل الله عز وجل، ويعامل نفسه، ويعامل الغير، وأعظم هذه المعاملات معاملتك مع الله عز وجل وهي التي تضبط لك معاملتك لنفسك ومعاملتك مع غيرك. وهنا حديث جبريل عليه السلام يتكلم عن معاملة المرء مع ربه سبحانه وتعالى، لأنه لما سأل عن الإحسان لأنك قد تحسن لنفسك هذا إحسان؛ أنك تفعل ما يأمر به الله عز وجل، تُحسن إلى النفس بأنك تجنبها المعاصي، تُحسن إلى الغير بأنك تكون في مروءة ولين ورحمة معه في المعاملة، ولكن الأعظم من ذلك كله هو الإحسان مع الله عز وجل، وهذا الذي ركز عليه الحديث والذي سأل عنه جبريل عليه السلام وأجابه النبي ﷺ نقله عن الإحسان هو الإحسان مع الله عز وجل، فقال: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ» .

إذًا أصل الإحسان في العبادة، لأنه قال: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ لما أراد أن يسأل عن الإحسان، إذًا أصل الإحسان عندنا هو عبادتك مع الله عز وجل، هذا هو الأصل. فإحسان المرء يُعرَف في عبادته مع ربه لا مع غيره ولا مع نفسه، قال الله عز وجل:{ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات:56]، إذًا أصل المسألة كلها خلقك هو لعبادة الله عز وجل. وهذا اسلوب

حصر {وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ }. وهو الله عز وجل لما قال سبحانه وتعالى في آية تبين لك الخلاصة في هذه الأعمال قال: {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ} [الملك:2]، ما قال (أكثر) عملا، لا، قال: (أحسن) عملا، ولم يقل (أكبر) عملا أو (أقل) عملا، لا، قال: {أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ}. إذًا هنا الإحسان في العبادة فسره لنا يكون مع الله وأنك تعبد الله كأنك تراه، وهذا أعلى المقامات؛ أنك عندما تعبد الله عز وجل كأنك مع الله عز وجل ترى الله عز وجل، هذه المرتبة الأولى، والله لا يحتاج إلى عبادتك في شيء{لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ } [الحج:37]، فحتى في عبادتك أنت التي تذبحها، أو تصليها، أو تصوم، أو..، الله عز وجل غني عن ذلك سبحانه وتعالى، هو الغني، لكن هو يريد منك التقوى في هذه العبادة، أن تصل بها إلى التقوى، والله عز وجل قال:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة:183]، فمقصود العبادات هذه كلها أن تصل إلى التقوى، وأعظمها أنك تعبد الله كأنك تراه.

لذلك كان أشرف مقام هو مقام العبودية، ولما أراد الله عز وجل أن يثني على النبي ﷺ أو يبين فضله ذكره بمقام العبودية في خمسة مواضع في القرآن؛{سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ} [الإسراء:1]، و {وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا} [الجن:19] هذا في الدعوة، و{فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ} [النجم:10]، هذا في الوحي. إذًا أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فإنه يراك.

ما معنى أن تعبد الله كأنك تراه؟

تعبد الله كأنك تراه إذًا هنا لابد من حضور القلب، لذلك تسمى هذه (عبادة العارفين) أي أن يشهد القلب وتجد المرء في سجوده كأنه يسجد عند العرش عند رب العالمين، هذا يعبد الله كأنه يراه، وكأنك ترى في سجودك الله عز وجل، تستحضر ذلك، وهذه من علامات الخشوع والخشية؛ أنك في عبادتك تستحضر الله عز وجل وتشعر بأن الله عز وجل أنت بين يديه في هذه العبادة، يقول الله عز وجل:{ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ} [آل عمران:26]، إن استحضرت هذه الآية فأنت تعلم بأن العزة والرفعة من الله عز وجل، والنزول من الله عز وجل، وإتيان الملك ونزع الملك من الله عز وجل، فأنت لا حول لك ولا قوة، وكله من عند الله عز وجل، هذه عبادة الشهود، الدرجه الأولى، وهي عبادة شهود القلب أو حضور القلب. لذلك جاء حديث فيه ضعف عند مسند الإمام أحمد لما جاء رجل للنبي ﷺ أنه رأى في الرؤية العرش

والملائكة تطوف حول العرش فقال النبي ﷺ: [عَرَفْتَ فَالْزَمْ] أي نقول أنه رأى حال الملائكة كيف يكونون حول العرش – وأنا قلت أنه فيه ضعف – لكن نقول المعنى بأن المرء يستشعر كيف كان الملائكة يعبدون الله عز وجل، هم أعظم مخلوقات عبادة لله عز وجل.

فالمرتبة الأولى في الإحسان هذه تسمى شهود القلب أو عبادة العارفين، وأعلاها أن تصل بها إلى الخشية، إذًا فيها خوف ورجاء ثم يصل بك الأمر إلى الخشية من الله عز وجل، أن تخشى الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، لذلك الله عز وجل لما أراد أن يصف العلماء وصفهم بالخشية، قال:{ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ } [فاطر:28]، فبين بأن المنقبة كلها في الخشية، وهذه أعلى الدرجات بعد الخوف وبعد الرجاء والحب تصل بعد ذلك فيها إلى الخشية. والخشية لابد فيها من حضور القلب، إذًا هذه الدرجة الأولى في الإحسان. لكن **كيف تصل إليها؟**

أولًا لابد تصل إليها بفعل الفرائض، لذلك لا يمكن أن يُتصور أن هناك من يدعي الخشية من الله عز وجل أو المحبة أو الإحسان وهو مفرط في الفرائض، لا يمكن، قال الله عز وجل في الحديث القدسي:[وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ ممَّا افترَضْتُه عليه] فلابد الأصل الأصيل أنت تتكلم في مقام الإحسان فلابد أولًا أن تكون قد تجاوزت الفرائض، فإن أحب العبادات إلى الله الطاعات، لذلك من يفرط في الفرائض ويدعي في النوافل مغبون، كما قالوا (من شُغِل بالنفل عن الفرض فهو مغبون) يترك الفرائض ويفعل بعض النوافل وهذا مغبون لا شك في ذلك. فالأول في الإحسان أنك تأتي بالفرائض.

ثم الدرجه الثانية [وما يزالُ عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّه] لأن حاله:{ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ } [طه:84]، قال الله: [فإذا أحببتُه كنتُ سمعَه الذي يسمعُ به, وبصرَه الذي يُبصرُ به, ويدَه التي يبطشُ بها ورجلَه التي يمشي بها]. إذًا الدرجة الثانية لتصل إلى مرتبة الإحسان في درجتها الأعلى، وهذه تشعر فيها بمعية الله عز وجل معك، بمعيه النصرة والتأييد طبعًا عند أهل السنة والجماعة، كما قال النبي ﷺ لأبو بكر في الغار في قوله تعالى:{ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا } [التوبة:40]، وأيضًا قال الله عز وجل لموسى وهارون: {إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ} [طه:46]، تأييد ونصرة من الله عز وجل.

فهذا معنى الإحسان أنك تعبد الله وأنت تشعر بقرب الله عز وجل لك، وحق أن الله عز وجل قريب منك، يجيب الداعي إذا دعاه، النبي ﷺ لما رأى الصحابة يرفعون أيديهم بالدعاء ويجهرون بالدعاء قال:[أيُّها النَّاسُ ارْبَعُوا على أنفُسِكُمْ، إنَّكُمْ ليسَ تَدْعُونَ أصَمَّ ولَا غائِبًا، إنَّكُمْ

تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا]. فالله عز وجل يسمع العبد أينما كان يجيب له سبحانه وتعالى، فلابد للمرء أيضًا وهو في الإحسان أن يشعر بقرب الله عز وجل له، ويكثر لأن الله عز وجل يقول في الحديث:[وإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِراعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ باعًا، وإِنْ أَتاني يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً] انظر.. كلما تتقرب إلى الله عز وجل تجد الله عز وجل يسارع لك، وهذا من فضل الله عز وجل على العبد إن فتح له هذا الباب فالله يحب منه، ذلك فيستزيد العبد من هذا القرب من ربه، والله عز وجل يحب ذلك منه فيزيد له في معيته ونصرته وتأييده.

وأما **الدرجه الثانية** الأدنى من درجات الإحسان بأنك تعلم بأنك إن لم تستطع أن تصل إلى المرتبه العليا، أقلها **بأنك تعلم بأن الله عز وجل يراك**؛ يراك في سجودك، يراك في صلاتك، يراك في صيامك، يراك في طاعتك، يراك في خلواتك، وأن تستشعر سمع الله لما تقوله بلسانك، رؤية الله عز وجل لما تفعله، قرب الله عز وجل، فإن استحضرت ذلك على الأقل خفت أنك تقول ما يُغضب الله عز وجل، خفت أن تنظر إلى ما يحرمه الله عز وجل، يدك لا تبطش في معصية لله عز وجل، رجلك لا تمشي في غضب لله عز وجل، كل هذا المرء إن لم يفعل الأولى فيقترب بالثانية.

طبعًا أنا فقط أشير إلى ذلك وإلا مقام الإحسان والكلام عنه أنا لست من أهل ذلك الباب أصلًا، فنحن نسدد ونقارب سويًا، ولكن نسأل الله عز وجل أن يمن علينا بهذه الدرجات.

فالحديث تبقى فيه قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: «مَا الْمَسْؤُلُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» وقد بينا في مسألة الساعة؛ علامات الساعة وأشراط الساعة التي قالها النبي ﷺ.

الفوائد المستنبطة:

نريد أن نبين بعض الآداب والفوائد في هذا الحديث، وهذه خارجة عن شرح الحديث لكنها لابد أن تُستنبط من الحديث.

1- أولًا حال جبريل عليه السلام لما جاء يسأل النبي ﷺ ، أولًا حسن الهيئة لما قال في الحديث: طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يَعْرِفُهُ أَحَدٌ مِنَّا هنا حسن الهيئة من الآداب، خاصة بين طلبة العلم وطالبات العلم وبين أهل العلم وبين المسلم عمومًا أن يكون حسن الهيئة، قال هنا عن جبريل عليه السلام: طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، إذًا جاء في حسن الهيئة وهذه من الأمور التي

لابد أن يلتفت لها طالب العلم وطالبه العلم حقيقة خاصة من يشتغلون في الدعوة، وحتى لو لم يكن في الدعوة، المسلم لابد أن يكون نظيفًا ذو هيئة حسنة. لماذا نحن نقول هذا الكلام؟ لأن وصف عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الحديث يقول: **طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ**، إذًا لفت نظر عمر بن الخطاب حُسن الهيئة التي جاء فيها جبريل عليه السلام وهو يسأل النبي ﷺ ، إذًا دلالة على أن هذه المسألة لها وقع في النفوس ولها أثر، وإلا لم يكن يذكرها لنا عمر بن الخطاب في نقله للحديث. وهذا كان دأب الصالحين وأهل العلم؛ الإمام مالك كان له هيئة وهيبة، عندما يجلس في مجلس التحديث كان يتعطر وكان يلبس ثيابًا حسنة، والنبي ﷺ قد بين ذلك أيضًا، قال: **[البِسوا من ثيابِكُمُ البياضَ]** وحديث وفد عبد القيس عندما جاؤوا للنبي ﷺ فهم لما رأوا النبي ﷺ نزلوا جميعًا جريًا إلى النبي ﷺ من على دوابهم يحتفلون بالنبي ﷺ يسلمون عليه ويحتفلوا به إلا (الأشج)، والأشج هذا لم يسارع إلى النبي ﷺ بل عقل راحلته أولًا؛ عقلها أي ربطها، وبعد أن عقلها أخرج من دابته شنطة أو شيء فأخرج ثوبين أبيضين، فلبس الثوبين الأبيضان أولًا ثم أتى إلى النبي ﷺ ، أتى إلى رواحله ورواحل أصحابه عندما تركوها عقل الراحلة لهم ثم لبس الثوبين ثم جاء للنبي ﷺ ، فلما رآه النبي ﷺ نظر إليه قال: يا أشج **[إن فيك لخصلتَينِ يُحبُّهما اللهُ ورسولُه الحلمُ والأناةُ]** فقال: **[يا رسولَ اللهِ ! أنا أَتَخَلَّقُ بهما أَمِ اللهُ جَبَلَنِي عليهما ؟ قال : بَلِ اللهُ جبلكَ عليهما. قال : الحمدُ للهِ الذي جَبَلَنِي على خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهما اللهُ ورسولُه]** انظر أولًا الحلم لأنه ما أسرع إلى النبي ﷺ ، كان عنده حلم بأنه عقل الراحلة الأول له ولأصحابه، ثم أخرج الثوبين الأبيضين فلبسهما فكان عاقلًا عنده حلم وعنده أناة، فدخل على النبي ﷺ بأفضل حال، فاثنى النبي ﷺ عليه. إذًا هنا النبي ﷺ يبين لنا بأن حسن ثياب المرء شيء مهم جدًا أن يتجمل به المرء. هذا من الآداب في هذا الحديث.

2- من الآداب الثانية أيضًا أنك إذا دخلت مكان وفيه مجموعة من أهل العلم أو من طلبة العلم وكنت تعلم أرفعهم مكانة أو أفضلهم قدرًا أن تسارع إليه أولًا، وهذا الذي فعله جبريل عليه السلام، نظر إلى أعظم القوم وهو النبي ﷺ ، فجلس إلى النبي ﷺ حتى أسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه، فقالوا هنا أنك الآن إذا دخلت مكانا وتعلم أن فيه أحد من أهل الفضل، أو من أهل الصلاح، من أهل العلم، هذا الذي تقدمه بالذهاب إليه.

3- من الآداب الأخرى وهذه مهمة جدًا لنا أن المرء لابد له من علو الهمة في الرحلة في طلب العلم، أي المرء يعلو بهمته في رحلته في طلب العلم، من أين هذه؟ من قول عمر رضي الله

عنه وأرضاه لما قال: لَا يَعْرِفُهُ أَحَدٌ مِنَّا وقال: لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، فهو ليس من المنطقة، إذًا جاء في رحلة إلى طلب العلم، وهذا كان دأب السلف الصالح، لما قلت أن جابر بن عبد الله رضي الله عنه لما سمع بحديث: [يُحْشَرُ النَاسُ يومَ القيامةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا] ولم تكن عنده في الحديث [بُهْمًا] سافر شهرًا إلى الشام، حتى جاء عبد الله بن أنيس وقال سمعت أن عندك حديث عن النبي ﷺ حدثني به، قال نعم يحشر الناس يوم القيامة كذا.. قال وما (بهما)؟ فبعد أن أخذ الحديث رجع إلى المدينة، كانت الرحلة شهر، فكانوا يفعلونها.

وهذا ليس فيه هو فقط، انظر إلى الشافعي – رحمه الله تعالى – لما جاء من بيت المقدس إلى مكة فجلس عند مسلم الزنجاني درس عنده، وبعده أشار إليه أن يذهب إلى المدينة إلى الإمام مالك فذهب للإمام مالك فجلس عند الإمام مالك فأخذ منه، ولم يكن عنده مال أصلًا، بل لما أراد أن يستأذن الإمام مالك ويذهب إلى محمد بن الحسن الشيباني، الإمام مالك قال له اجلس وما أجلسه إلا لينتظر أنه يأتيه مال فيعطيه إياه، ففعلًا جاءت هدية للإمام مالك فقال له نصف لأهلي ونصف لك خذها فتزود، فأعطى المال للإمام الشافعي فسافر به إلى العراق أو إلى الكوفة والبصرة ليأخذ من أهل الرأي.

وكذلك الإمام أحمد – رحمه الله تعالى – سافر إلى الشام وإلى اليمن وإلى مصر وإلى الحجاز ليأخذ الحديث، ما ترك مكانًا إلا ذهب ليأخذ فيه الحديث. فهذا من آداب أهل العلم أنهم كانوا عندهم علو الهمة في مسألة رحلة الطلب.

4- ثم من الآداب أيضًا الصبر على الطلب، قال الله تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل عمران:200]، وقال تعالى: {إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر:10]، فانظر إلى رحلة العلماء والأئمة في طلب العلم تجد كيف يصبرون على الطلب. بقي بن مخلد جاء من الأندلس ماشيًا إلى العراق، وقالوا بدون نعل، فدخل فوجد مجلس أراد أن يطلب الحديث، هو أصالة كان جاء للإمام أحمد، فجاء فدخل على يحيى بن معين في مجلسه، كان الإمام أحمد ممنوع من التحديث أيام فتنة خلق القرآن، فجلس إلى يحيى بن معين، فكان لكل واحد بعد انتهاء الدرس يسأل يحيى بن معين سؤال، فسأله عن هشام بن عمار، فقال يحيى بن معين هشام بن عمار ثقة وفوق الثقة ولو خبأ تحت عباءته الكبر ما ضره ذلك. انظر للعلم، وهذا من؟ يحيى بن معين يعدل في هشام بن عمار، فبعد أن انتهى أراد أن يسأل سؤال آخر، فقالوا الطلبة لبقي أخذت وقتنا، فقال الرجل يأتي من الأندلس ماشيًا فأعطوه وقت، فقال أسالك عن أحمد، قال أحمد من؟ قال ابن حنبل؟ قال أومثلي يُسئل عن أحمد بن حنبل إمام أهل الدنيا؟! هو يسأل عنا ونحن لا نُسئل عنه. فذهب إلى الإمام

أحمد أطرق عليه الباب، انظر.. هذا الرجل جاء ماشيًا من الأندلس، فالإمام أحمد خرج له، فقال جئت من كذا وكذا، قال ألا تعلم اني أُمنَع من التحديث ولكن لا تحضر أي دروس حتى لا ينظر إليك أحد وأئتني في هيئة فقير وأطرق علي الباب فافتح لك تدخل كأنك ستأخذ صدقتك فأملي عليك، فكان يأتيه في صورة الفقير فيطرق الباب فيدخل، فقال وكنت أضع كأنه اللوح في كمي حتى لا يراه أحد، فيدخل عند الإمام أحمد يخرج فيملي عليه الحديث الأول والثاني ويأتي في الثالث يقول حسبك سيدركك القوم، فكان يمر كل يوم يطرق الباب على الإمام أحمد يأخذ الحديث الأول والثاني وأحيانًا الثالث ويخرج، إلى أن انقشعت الغمة عن الإمام أحمد وصُرِّح له بعد فتنة خلق القرآن، فكان يُحدِّث، فلما يدخل بقي بن مخلد فكان يدنيه منه ويقربه لأنه يعلم شدة حرصه عندما كان يأخذ من الإمام أحمد في هذا الوقت. فانظر إلى هؤلاء.. ما نالوا العلم هكذا، نالوا العلم بالرحلة، وبالطلب، وبالصبر، بسهر الليل على كتب العلم وعلى المذاكرة، وإلا لم يأت العلم إلا بالجهد والتعب. فهذه كلها كانت آداب من هذا الحديث.

5- التعليم عن طريق السؤال، أراد جبريل أن يُعلم الصحابة فسأل سؤالًا حتى يجاوبه النبي ﷺ فيعلمهم، فكان التعليم من طريقة السؤال، وهذه أصبحت موجودة الآن وهي طريقة نبوية، حتى الصحابة قالوا كنا نسعد بوجود الأعراب يدخلون علينا فيسألون النبي ﷺ فيجيبهم فنتعلم، لأنهم كانوا يتحرجون من سؤال النبي ﷺ أو لا يريدون أن يثقلوا عليه. وهذه حدثت، لما جلس الصحابة في حديث ابن عمر المشهور الذي قال النبي ﷺ فيه: [**مَثَلُ المُؤمِنِ كَمَثَلِ شَجَرَةٍ خَضْراءَ، لا يَسْقُطُ ورَقُها ولا يَتَحاتُّ فقالَ القَوْمُ: هي شَجَرَةُ كَذا، هي شَجَرَةُ كَذا**] وابن عمر قدح في عقله أن هي النخلة، فلم يجب، فلما خرج وقال لعمر قال يا ليتك أجبت، كان يحب عمر أن ابن عمر يجيب، فكان النبي ﷺ يسأل الصحابة ويعلمهم عن طريق الإجابة، فكانت هذه أيضًا طريقة نبوية.

6- أيضًا من أهم ما يكون من الفوائد هذا أن العالِم لا يستحيي أن يقول: (لا أدري)، لما سُئل النبي ﷺ – بأبي هو وأمي – عن الساعة، قال: **مَا الْمَسْؤُلُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ** لأنه أمر لا يعلمه النبي ﷺ ، فكأنه قال لا أدري، فاستنبط علماؤنا بأن العالِم من فضله قول "لا أدري"، بل قالوا إن لم يقل العالم "لا أدري" فليس بعالِم، وقد حدث ذلك لابن عمر، ولن أقول الإمام مالك طبعًا كان مشهور جدًا الإمام مالك أنه سئل عن أربعين مسألة فلم يُجب إلا على كم مسألة، لا، ابن عمر نفسه جاءه رجل يسأله المسألة، قال: "لا أدري" ثم سأل ابن عمر مسألة ثانية فقال له: "لا أدري"، ثم سأل المسألة الثالثة فقال: "لا أدري"، ثم قام ابن عمر من

وسط الحلقة، وهو من؟ ابن عمر، قال: (الحمد لله الذي وفق ابن عمر فيما لا يدري أن يقول لا أدري) وهو من العلماء الصحابة رضي الله عنهم. إذًا هنا النبي ﷺ يبين لنا المرء إن لم يكن يعلم فيقول "لا أدري"، وهذه ليست استكبارًا، لقوله تعالى: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ} [الإسراء:36]، فأنت الآن إذا تصدرت وقلت فيما ليس لك فيه علم فقد وقعت في نهي الله عز وجل.

7- ثم أعظم مسألة في الحديث، وقد نوهنا عليها سنختم بها، أن الدين على مراتب ثلاثة عندنا، ذكرها النبي ﷺ وهي الإسلام والإيمان والإحسان.

8- لا يصح إيمان عبد حتى يؤمن بالقدر، في هذا رد على القدرية كما قلنا.

9- أخيرًا أن الملائكة والجن قد يتمثلون في غير صورتهم الأصلية، لأن الله عز وجل خلق أنس وجن وملائكة، الإنسان لا يتشكل أبدًا، ليس له إلا صورة واحدة، وأما الجن والملائكة قد يتشكلون في أي صورة، وهذه من قدرة الله عز وجل أن أعطأهم ذلك، ولكن لا يتشكلون إلا بإذن الله عز وجل، فجبريل عليه السلام جاء في هيئة دحية الكلبي، وكذلك الجن لما جاء في حديث أبي هريرة عندما وضعه النبي ﷺ أمينًا على مخزن الصدقة، فجاءه الجن في صورة فقير والحديث معروف، فالجن هنا تمثل في صورة آدمي، النبي ﷺ قال له: [يا أبا هريرة ما فعل أسيرُك البارحةَ ؟].. [صدَقَك، و هو كذوبٌ] ، وأيضًا النبي ﷺ قال: [الكَلْبُ الأَسْوَدُ شيطانٌ] فدل ذلك على أن ممكن الشيطان يتمثل في صورة الكلب الأسود، وهذه طبعًا من الأشياء الغيبية التي لا نعلمها ولكن الله عز وجل قد أعطى لهم قدرة التشكل في صور حيوانات أو صور آدمي إلى غير ذلك.

هذه آخر الفوائد المستنبطة في هذا الحديث، وما أعطينا وما وفينا الحديث حقه في الشرح ولكن مقام الكتاب هو ذكره في باب ثم انتقل بعد ذلك لأبواب أخرى، وإلا الحديث هذا شرحه لوحده كتاب، لأن هو الدين كله في هذا الحديث.

سبحانك اللهم وبحمدك

أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

المحاضرة الثانية والثلاثون

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام على موعد مع شرح درس جديد من دروس شرح الكتاب الشريعة للإمام الآجري – عليه رحمة الله تعالى – وما زلنا في فصول الإيمان، وبيان عقيدة أهل السنة والجماعة في الإيمان، ويمتعنا المؤلف – عليه رحمة الله تعالى – بسرد هذه الأبواب المتتالية وبهذا الترتيب البديع الذي يظهر فيه فقه الإمام، وضبطه، واتقانه، وحسن عرضه لعقيدة أهل السنة والجماعة. هذا الكتاب – أكرر دائمًا – من أفضل الكتب التي ينصح لطالب العلم أن يقرأها ويتقنها في تأصيل وفي ضبط عقيدة أهل السنة والجماعة في أبواب شتى حقيقة، وميزة الكتاب أنه من كتب المتقدمين، وأيضًا أن الكتاب يقوم على الآثار والأحاديث، ففيه الأدلة واضحة وتعليقات من المؤلف ينقل لنا أقوال الصحابة والتابعين وأئمة المذاهب بقرب عهده يعتبر بالقرون الخيرية.

ندخل في باب جديد وهو **بَابُ ذِكْرِ أَفْضَلِ الْإِيمَانِ مَا هُوَ؟ وَأَدْنَى الْإِيمَانِ مَا هُوَ؟**

23- بَابُ ذِكْرِ أَفْضَلِ الْإِيمَانِ مَا هُوَ؟ وَأَدْنَى الْإِيمَانِ مَا هُوَ؟

209 - حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْحُلْوَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْحِمَّانِيُّ قَالَ: أنا خَالِدٌ يَعْنِي الْوَاسِطِيَّ، عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَفْضَلُهَا: لا إله إلا الله وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأذى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ "

210 - حَدَّثَنَا حَامِدُ بْنُ شُعَيْبٍ الْبَلْخِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ الْعَابِدُ قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ، عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً أَفْضَلُهَا قَوْلُ لا إله إلا الله وَأَدْنَاهَا: إِمَاطَةُ الأذى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ "

211- وَأَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى الْجَوْزِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ، وَيَعْقُوبُ الدَّوْرَقِيُّ، وَمُجَاهِدُ بْنُ مُوسَى، لَفْظُهُ، قَالُوا: حَدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ، عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَ الْإِيمَانَ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً أَوْ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَفْضَلُهَا: قَوْلُ لا إله إلا الله، وَأَدْنَاهَا: إِمَاطَةُ الأذى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ

هذا الباب يتكلم فيه عن ذكر أفضل الإيمان وأدنى الإيمان، وهنا الكلام من التبويب يبين لك أولًا تأصيلًا لعقيدة أهل السنة والجماعة؛ بأن الإيمان - كما سيأتي - شُعب وأنه يتفاضل في الدرجات، هناك أعلى وهناك أدنى، لذلك قال أَفْضَلِ الْإِيمَانِ مَا هُوَ؟ وَأَدْنَى الْإِيمَانِ مَا هُوَ؟ أي أن الإيمان خصال، فذكر هذا الحديث العظيم الذي له رواية في الصحيحين بخاري ومسلم، وإن كان البخاري انفرد برواية الإيمان بضع وستون شعبة، ثم هناك رواية فيها شك من الراوي بضع وسبعون أو بضع وستون ليست عند البخاري، وهناك رواية في السنن بضع وسبعون شعبة. وسنبين مسألة هل اختلاف العدد مؤثر؟ أم توجيه العلماء فيه على قولين؟ هل العدد له

مفهوم أم المقصود بالعدد كما قال النووي عند العرب يقصد به الكثرة؟ لأن طبعًا البعض قال بأن هناك شك هل بضع وسبعون أو بضع وستون؟ والشك من الراوي ليس من النبي ﷺ ، بل أن بعضهم قال (أو) فهذا شك من الراوي، في حين أن البخاري جزم ببضع وستون، لكن السنن جاءت فيها رواية بضع وسبعون. إذًا هناك رواية جزم بضع وسبعون ورواية جزم بضع وستون. اختلف أهل العلم هل هذا العدد له مفهوم؟ قال النووي أن العرب يذكرون العدد ويُراد منه الكثرة، أي لا يراد منه التحديد أنه عددًا، يراد منه الكثرة فقط. والبعض قال لا، هناك شك في الرواة وهي بضع وسبعون أو بضع وستون.

طبعًا أشهر من تتبع هذه المسألة وهو ابن حبان البُستي – عليه رحمة الله تعالى – الذي ألف كتابًا في تتبع شعب الإيمان، الكتاب مفقود للأسف؛ غير موجود طباعة، فهو تتبع أولًا شعب الإيمان في السنة فوجدها زادت عن العدد؛ عن البضع وسبعون، فقال رجعت إلى الكتاب فتتبعتها في الكتاب فوجدتها أقل من البضع وسبعون، فلما طابقت الكتاب على السنة واستبعدت المكرر من السنة ووالموجود في الكتاب خرج لنا تسع وسبعون شعبة من شعب الإيمان. هو الأول تتبع استقراء في السنة، فأخرج أكثر، ثم لما تتبع في الكتاب وجدها أقل من تسع وسبعون، فلما طابق الكتاب مع السنة واستبعد المكرر إلى غير ذلك خرج بتسع وسبعون شعبة، وهو معنى بضع وسبعون على رواية "بضع وسبعون"، البضع من الثلاثة إلى التسعة، وابن حبان البستي هو الذي فعل ذلك، لكن الكتاب للأسف كما قلت غير مطبوع، مفقود غير موجود، لكنه ذكره في كتب أخرى له. المهم أن هنا اختلاف الروايات أفضل ما يقال قول النووي في ذلك على أن العرب تريد بالعدد الكثرة ولا يراد منها العدد، أي أن المفهوم فيها مفهوم المخالفة.

لكن هذا الحديث من أعظم الأحاديث التي جاءت في مسألة الإيمان، وهنا ذكر المؤلف نقلًا طبعًا عن الحديث **الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ** والمسألة الأولى هنا التي نبينها والمستنبطة من هذا الحديث على أن كما قلنا – لو تذكروا في الأسبوع الماضي – تكلمنا عن الإسلام والإيمان، وقلنا ما الفرق بين الإسلام والإيمان، واختلاف العلماء في الإسلام والإيمان، وأهل السنة والجماعة ماذا قالوا في الإسلام والإيمان؟ هذا الحديث يؤكد لنا مسألة بأن هناك مغايرة بين الإسلام والإيمان، وأن الإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا، بمعنى هنا أن النبي ﷺ لما ذكر قال الإيمان **بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً أَوْ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً** ثم قال **أعلاها لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**.

لو تذكروا قلنا بأنه عندما نقول الفرق بين الإسلام والإيمان قلنا الإسلام العبادات الظاهرة، والإيمان العبادات الباطنة؛ القلوب. فهنا النبي ﷺ قال الْإِيمَانُ ، ولما قال الإيمان ذكر أعلاها قول لا إله الا الله، وهذا قول باللسان وظاهر، وهذا لا شك أنه إسلام، وأيضًا قال إِمَاطَةُ الأذى، وإماطة الأذى أيضًا عمل ظاهر، هذا من الإسلام. ثم قال أيضًا وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ ، والحياء عمل باطن. إذًا هنا يؤكد لنا قول أهل السنة والجماعة في أن الإسلام والإيمان هناك مغايرة بينهما، أي أنه يوجد ترابط؛ أحيانًا يذكر الإيمان ويدخل فيه الإسلام، وأحيانًا يذكر الإسلام ويراد به الإيمان، وأحيانًا يأتي الإسلام والإيمان فيكون الإيمان المقصود به العبادات الباطنة أو القلوب، والإسلام يقصد به العبادات الظاهرة، وهذا القول الأول، وقلنا هو قول أهل السنة والجماعة في العلاقة بين الإسلام والإيمان.

قالوا ما العلاقة؟ قال علاقة مغايرة، ترابط بينهما. الأدلة: قالوا قال الله عز وجل:{ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ } [الحجرات:14]، إذًا هناك مغايرة، يوجد فارق بين الإسلام وبين الإيمان. وأيضًا جاء تصريحًا في قوله عز وجل في سورة الأحزاب:{ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ} [الأحزاب:35] فذكر الله عز وجل مسلمين ومسلمات ومؤمنين ومؤمنات، وهذا عطف، والعطف يقتضي المغايرة ولا يمكن أن يكون تكرارًا بلا معنى، فدل ذلك على أن هناك فارق بين الإسلام وبين الإيمان. وأيضًا حديث الصحيحين حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال كنت مع النبي ﷺ فأعطى رجلًا وترك آخر، فقلت يا رسول ﷺ لماذا لم تعطي هذا؟ [إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا] فقال النبي ﷺ[أَوْ مُسْلِمًا] ثم سكت، ثم كرر سعد على النبي ﷺ لماذا لم تعطي هذا فإني أراه مؤمنًا؟ قال أو مسلمًا، فسكت ثم قال له الثالثة إني أراه مؤمنًا، قال له أو مسلمًا، ثم بين له النبي ﷺ قال: يا سعد [إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ، وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنه، خَشْيَةَ أَنْ يَكُبَّهُ اللَّهُ فِي النَّارِ] أي أن النبي ﷺ ما منعه وعدم اعطائه بأنه فضَّل هذا! لا، قد يكون هذا أفضل عنده لكن خاف أن يعطيه حتى لا يفتن مثلًا، إذًا بين له. لكن الشاهد من الحديث قال: [مُؤْمِنًا] قال: [أَوْ مُسْلِمًا] لماذا يقول ذلك؟ أنت علمت الظاهر وهو الإسلام، وكأنه يبين أن الباطن هو الإيمان. لكن الذي نريد من هذا المغايرة بين الإسلام وبين الإيمان. إذًا هناك ترابط؟ نعم ترابط وثيق سيأتي الآن، لأننا لما قلنا أن هناك فارق بين الإسلام والإيمان في الأدلة لكن جاء معنا في الحديث أن النبي ﷺ لما ذكر الإيمان أدخل فيه الإسلام، إذًا على حسب الحالة التي يأتي فيها الدليل، أحيانًا يظهر لنا التغاير والترابط كما في الأدلة التي

قلناها، وأحيانًا يأتي الإيمان ويراد به الدين ككل كما في هذا الحديث، أو العكس يأتي الإسلام ويراد به الدين ككل، كقوله تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} [آل عمران: 19] ماذا الذي يشمله الإسلام ؟ أليس شامل الأعمال الظاهرة والأعمال الباطنة؟ نعم، إذًا أيضًا الإسلام هنا لما ذُكر منفردًا جاء فيه هذا المعنى. وطبعًا أوضح ما يكون الحديث الذي كان معنا حديث جبريل أن جبريل لما سأل النبي ﷺ عن الإسلام ثم الإيمان ثم الإحسان فقال النبي ﷺ: [فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ] جعل الدين كل هؤلاء الثلاثة، فذلك تأكيد على قول أهل السنة.

لماذا أؤكد على هذا؟ لأن هناك أقوال في المخالفين؛

فعندنا الخوارج، الخوارج يخالفون أهل السنة والجماعة في الإسلام والإيمان؛ يرون أن الإسلام والإيمان شيء واحد، وطبعًا بينا أن هناك من وافقهم في هذا القول ومن علماء أهل السنة و فطاحل أهل السنة وهو الإمام البخاري، ولم يقصد طبعًا أن يوافقهم في معتقدهم لكنه وافقهم في هذا القول؛ في أن الإسلام والإيمان عنده بشيء واحد، واستدل من قوله تعالى عن لوط عليه السلام:{ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ} [الذاريات:35-36]، فقال إذًا الإسلام والإيمان واحد، والكلام مبسوط في غير هذا الموضع، لكن نحن نبين أن قول ثاني، وهو ليس بقول أهل السنة والجماعة، يقولون بأن الإسلام والإيمان شيء واحد، وهذا خطأ.

ثم قول ثالث وهو قول الزهري – رحمة الله عليه – من أهل السنة والجماعة وانتبهوا لهذا القول لأن الإمام هنا محمد بن الحسين أبو بكر الآجري سيأتي في موطن ونقول يقترب جدًا من قول الزهري فيه. ماذا يقول الزهري؟ حصر الإسلام في لا إله إلا الله، وجعل غير ذلك يكون هو الإيمان، لذلك يقول الإسلام كلمة والإيمان العمل؛ فجعل العمل ظاهرًا وباطنًا من الإيمان، وجعل الإسلام في الكلمة، وانتبه هذا قول الزهري، وطبعًا انفرد به الزهري، لكن الإمام هنا الآجري في موطن سيأتي لما يقول بعدم تفاضل في الإسلام والتفاضل في الإيمان فكأنه جنح إلى قول شبيه بقول الزهري، لذلك أنا أردت أن أبينه هنا الآن، هذا القول الثالث في مسألة الإيمان والإسلام.

ثم قول رابع في الإيمان وهو قول أهل الكلام والمرجئة ويدخل فيهم الأشاعرة وغير ذلك يقولون الإيمان خصلة من خصال الإسلام. والقول الحق هو القول الأول هو قول أهل السنة والجماعة بأنه هناك تلازم.

الأدلة على ذلك لأن هناك حالات؛ **الحالة الأولى** التي معنا الآن قال النبي ﷺ: **الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً** . طيب نطبق؛ هو ذكر الإيمان هنا، نقول الآن جاء منفردًا فدخل الإسلام في لا إله إلا الله ولكنه نزل تحت الإيمان أم لا؟ نزل. و **إِمَاطَةُ الأذى** إسلام لأنه عمل ظاهر، **الْحَيَاءُ** إيمان لأنه عمل قلبي، فالثلاثة دخلوا تحت الإيمان.

قول الله عز وجل: {إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ } وجل القلب من أصل الإيمان، {وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا} أيضًا هذا باطن من أصل الإيمان، {وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } [الأنفال:2]، هذا باطن من أصل الإيمان، {ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ} هذا ظاهر؛ إسلام، {وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ} [الأنفال:3]، الصدقة والزكاة هذا ظاهر؛ إسلام، {أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا} [الأنفال:4] فهنا تقدير أول {إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ} حصر، وأتى بأمور؛ بعبادات باطنة وعبادات وظاهرة، ثم قال {أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا} إذًا من هو المؤمن الحق هنا؟ وهذه مسألة أخرى مهمة جدًا؛ أنه لابد أن يأتي بالعمل الظاهر والعمل الباطن، إذًا لا يكفيه العمل الظاهر، ولا يكفيه العمل الباطن على قول المرجئة، ولا يكفيه العمل الظاهر الذين يقولون بالظاهر فقط ولا يشترطون تصديق القلب وأعمال القلب، كل هذا لا يصح، لأن الآية بينت {إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ} حصر ثم ذكر الأعمال ثم قال {أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا} فبين ذلك على أن الإيمان ارتباطه ارتباط وثيق بين الظاهر والباطن؛ سواء سميته إيمان، سميته إسلام على أهل السنة والجماعة، لكن لابد فيه من ارتباط الظاهر والباطن.

من ذلك أيضًا من حديث ابن عباس: [**إِنَّ وفْدَ عبدِ القَيْسِ لَمَّا أَتَوُا النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قالَ: مَنِ القَوْمُ؟ أوْ مَنِ الوَفْدُ؟ قالوا: رَبِيعَةُ. قالَ: مَرْحَبًا بالقَوْمِ، أوْ بالوَفْدِ، غيرَ خَزايا ولا نَدامَى، فقالوا: يا رَسولَ اللَّهِ إنَّا لا نَسْتَطِيعُ أنْ نَأْتِيَكَ إلَّا في الشَّهْرِ الحَرامِ** – عندما يتوقف القتال فيه– **وبيْنَنا وبيْنَكَ هذا الحَيُّ مِن كُفّارِ مُضَرَ فَمُرْنا بأَمْرٍ فَصْلٍ، نُخْبِرْ به مَن وراءَنا**] أرادوا التعليم؛ أن يعلمهم النبي ﷺ الإسلام [**وَنَدْخُلْ به الجَنَّةَ**]..[**فأَمَرَهُمْ بأَرْبَعٍ**]وهذا الشاهد من الحديث الذي نريده [**ونَهاهُمْ عن أَرْبَعٍ، أمَرَهُمْ: بالإيمانِ باللَّهِ وحْدَهُ**] انتبه [**قالَ: أتَدْرُونَ ما الإيمانُ باللَّهِ وحْدَهُ قالوا: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: شَهادَةُ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ، وإقامُ الصَّلاةِ، وإيتاءُ الزَّكاةِ، وصِيامُ رَمَضانَ، وأنْ تُعْطُوا مِنَ المَغْنَمِ الخُمُسَ ونَهاهُمْ عن أرْبَعٍ: عَنِ الحَنْتَمِ والدُّبّاءِ والنَّقِيرِ والمُزَفَّتِ، ورُبَّما قالَ: المُقَيَّرِ وقالَ: احْفَظُوهُنَّ وأَخْبِرُوا بهِنَّ مَن وراءَكُمْ**] هنا ماذا قال؟ أمركم بالإيمان، قال الإيمان، وقال الإيمان وحده، ومع ذلك أدخل مع الإيمان إسلام، لماذا؟ لأنه قال أولًا شهادة أن

لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وتعطي الخمس وكل هذا أعمال ظاهرة ومع ذلك أدخلها مع الإيمان. هذا يبين لك التلازم الذي بنقوله الآن.

ثم قول الله عز وجل أيضًا مثال آخر {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} [آل عمران: 19] ماذا ذكر هنا الله عز وجل؟ الإسلام وحده، قال {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} بخلاف حديث جبريل قال: [يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ] فذكر فيه إسلام وإيمان وإحسان. إذًا المسألة ليست واحدة، على حسب الذكر الذي يأتيك {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} سُمي هنا الإسلام، حمل كل هذا؛ درجات الدين كلها هنا.

وأيضًا قول النبي ﷺ:[المُسْلِمُ مَن سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِن لِسانِهِ ويَدِهِ، والمُهَاجِرُ مَن هَجَرَ ما نَهَى اللَّهُ عنْه] "المُسْلِمُ" أي المسلم الحق "مَن سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِن لِسانِهِ ويَدِهِ" ، وهذا مسلم مؤمن، ليس مسلم الدرجة الأولى التي هي الدرجات، لا، هذا مسلم يقصد به المؤمن، لأنه قال: [المُسْلِمُ مَن سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِن لِسانِهِ ويَدِهِ] أي المسلم الحق هو من سلم المسلمون من لسانه ويده. إذًا هنا المسلم جاء بمعنى المؤمن مع أنه ذكر فيه المسلم. كل هذه نقول الدلالة الأولى في هذا الحديث لابد أن نبينه التلازم بين الإيمان وبين الإسلام.

هنا أيضًا مسألة أخرى من هذا الحديث أن الإيمان درجات، وهذه بيناها أيضًا، من تأصيل عقيدة أهل السنة والجماعة بأن الإيمان عند أهل السنة الجماعة درجات، المرء يعلو في إيمانه وقد ينزل؛ يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، بخلاف الطوائف المبتدعة الأخرى الذين جعلوا الإيمان قلبي وليس فيه درجات، فمنهم من قال بأن إيمان آحاد الناس كإيمان أبي بكر وإيمان جبريل وجعلوا الإيمان واحدًا لا تفاضل فيه، ومنهم أيضًا من قال أن من يأتي بالمعصية أو بالكبيرة يخرج من الإيمان بالكلية وإلى الكفر. وهذا كله يدل عليه هذا الحديث بأن النبي ﷺ بيَن أن هناك أعلى في الإيمان وهناك أدنى، إذًا هناك تفاضل، ولو كان هناك تفاضل إذًا هناك درجات في ذلك. وأنا أعجب كيف لهؤلاء يقولون بأن إيمان الناس كله واحد! الصحابي ربيعة بن كعب الأسلمي الذي جاء للنبي ﷺ فقال: [أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الجَنَّةِ. قالَ: أَوَ غيرَ ذلكَ قُلْتُ: هو ذَاكَ] هو يريد مرافقة النبي ﷺ: [قالَ: فأَعِنِّي علَى نَفْسِكَ بكَثْرَةِ السُّجُودِ] لو كان على قول المرجئة المبتدعة ومن معهم بأن الإيمان واحد والدرجات واحدة فكيف النبي ﷺ يرشد هذا الرجل يقول له: [فأَعِنِّي علَى نَفْسِكَ بكَثْرَةِ السُّجُودِ] ؟ أي ارتفع بالسجود – الصلاة – والطاعة والعبادة، حتى تصل فتكون مرافقًا لي في الجنة، وإلا قال النبي ﷺ نحن معًا في الجنة في درجة واحدة، الدرجات واحدة لأن الإيمان واحد! لكن هنا النبي ﷺ يبين له كيف

يرافق النبي ﷺ في الجنة فقال له [فأعِنِّي علَى نَفسِكَ بكَثْرَةِ السُّجُودِ] . فهذا يدل على أن الناس ليسوا على درجه واحدة في الإيمان، بل الناس تتفاوت في الإيمان ويرتفعون بالطاعات وينزلون أو يتناقصون بالمعاصي. هذه المسألة الثانية المهمة أيضًا في الحديث.

هنا أيضًا مسائل أخرى بأن الإيمان مع تفاوته يتفاوت حكم من كان يأتي بنواقضه؛ أي أن النبي ﷺ لما قال: [الإيمانُ بضعٌ وسبعون شعبةً ، أعلاها قولُ لا إله إلا اللهُ] فهل من لم يأت بـ (لا إله إلا الله) كمن لم يميط الأذى عن الطريق؟ كمن لم يكن عنده الحياء؟! لا، إذًا هناك اختلاف في شعب الإيمان. طبعًا أبين أن الشعبة أصلًا لغة هي كالغصن، ، فأنت عندك جزع الشجرة، ثم الغصن، والفرع الذي يكون عليه الثمرة بعد ذلك، فهذه هي الشعب التي هي الأغصان هذه. وهناك طبعًا من الإيمان ما يكون جذورًا أو أصلًا، وهناك ما يكون فروعًا، قال الله عز وجل:{ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ * تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [إبراهيم:24-25]، قال: {كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ} ما الكلمة الطيبة؟ لا إله إلا الله، لذلك لا إله إلا الله لما قال النبي ﷺ:[رأسُ الأمرِ الإسلام، وعمودُه الصَّلاةُ، وذِروةُ سَنامِهِ الجِهادُ]والمقصود هنا بالإسلام كلمة (لا إله إلا الله)، فجعل أعلى شيء في الدين (لا إله إلا الله)، والصلاة عمود، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله عز وجل، فبين بأن هناك أصول في الإيمان، هناك شعب تركها يخرج بها المرء من الإيمان، كـ "لا إله إلا الله"، وكـ "الصلاة" على الخلاف بين أهل العلم على ترك الصلاة لقوله ﷺ:[العهدُ الذي بيننا وبينَهم الصلاةُ، فمَن تركَها فقد كفرَ]. وهناك شعب من تركها لا يكفر لكن ينقص إيمانه، فإماطة الأذى، الناس على ثلاث: هناك من **يميط الأذى**، هناك من **يضع الأذى**، وهناك من **يدع الأذى**.

يميط الأذى: وهذا أفضل واحد من الثلاثة؛ كما جاء في السنة عن رجل كان يسير في الطريق فوجد أذى في الطريق قال لأميطن هذا عن طريق المسلمين فأماطه فقبل الله عز وجل منه وغفر له، فعل قليل، هذا إماطة الأذى الذي قال فيه ﷺ من الإيمان. وهناك من يضع الأذى في طريق المسلمين، وهذا انظروا الآن موجود، لا تظنه أمرًا هينًا، الناس يأخذون – أعزكم الله– قمامات لبيوت ويضعونها في الشوارع ويأتي عليها الحيوانات ويأتي عليها الحشرات ويسيئون إلى الناس، فهو بينظف بيته ويضع الأذى في طريق المسلمين! وهذا من الأذى، هذا يضع الأذى. وهناك من يدع الأذى؛ أي ممكن يسير في الطريق فيرى الأذى لا يلتفت إليه،

يدعه، لا يرفعه. أعظمه طبعًا الأول هو الذي أماط الأذى، والثاني هذا ارتكب محرمًا، والثالث لم يرتكب شيئًا لا ذلك ولا ذلك، لكن هناك درجات حتى في العمل الواحد نفسه.

لذلك هناك شعب لا يزول الإيمان بزوالها كما هي معنا الآن في إماطة الأذى مثلًا، وهناك شعب يزول الإيمان بزوالها أو بفعل نقيضها كنواقض الإيمان ومنها هنا لا إله إلا الله والصلاة مثلًا.

ثم ذكر الحياء، والحياء شعبة من الإيمان، هذا من الأعمال القلبية، بل هذا من أعظم الأعمال القلبية، هو خلق أو شعور أو شيء يقدح في النفس يجعل المرء فيه بأنه يترك الشيء المقبوح أو الشيء المذموم ويعتاد على فعل الشيء الممدوح. والحياء حقيقة كما بينا في شرح السنن مناسبة الباب الذي جاء معه هناك أن الحياء كله من الإيمان، كما قال النبي ﷺ لما مر على رجل من الأنصار ينصح أخاه في الحياء- هو يستحي - فيقول له الحياء أضرك، الحياء ما أصابك بخير [**مَرَّ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ علَى رَجُلٍ، وهو يُعَاتِبُ أخَاهُ في الحَيَاءِ، يقولُ: إنَّكَ لَتَسْتَحْيِي، حتَّى كَأنَّهُ يقولُ: قدْ أضَرَّ بكَ، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: دَعْهُ، فإنَّ الحَيَاءَ مِنَ الإيمَانِ**]وفي رواية أخرى: [**الحَياءُ كُلُّهُ خَيْرٌ**] إذًا الأصل أن الحياء خير وهو خلق ليس فيه ذم، بل الأصل في الحياء أنه ممدوح، النبي ﷺ قال: [**الحَيَاءَ مِنَ الإيمَانِ**]و[**الحَياءُ كُلُّهُ خَيْرٌ**] بل أن الله عز وجل وصف نفسه بالحياء سبحانه وتعالى قال:{ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ} [البقرة:26]، والله عز وجل جعل من أعظم صفات الملائكة الحياء أيضًا، جبريل عليه السلام كان يستحي أن يدخل على النبي ﷺ وهو في لحاف عائشة ولا ينزل عليه، وكان الملائكة يستحيون، وكانت الأنبياء تستحي وأعظمهم هو النبي ﷺ ، بل كان الصالحين من الصحابة كما هو أعلمهم لنا عثمان بن عفان في هذه المسألة كان يستحي لما جاء في السنة أن النبي ﷺ كان جالسًا في حجرته وكان كاشفًا عن فخديه فاستأذن أبو بكر ليدخل فدخل ولم يهش ولم يبش له، واستأذن عمر ليدخل فدخل - حديث عائشة رضي الله عنها - ولم يتغير حال النبي ﷺ ، ثم لما استأذن عثمان تغير حال النبي ﷺ وغطى فخديه، فعجبت عائشة رضي الله عنها، وبعدما خرج قال فعلت كذا مع عمر، فعلت كذا مع أبو بكر قبل ولم تفعل ذلك وفعلت مع عثمان، قال:[**ألَا أستحي مِن رجُلٍ تستحي منه الملائكةُ**] فبين بأن عثمان رضي الله عنه كان حييًا جدًا، قيل أنه كان لا يغتسل عاريًا أبدًا، فكانت الملائكة تستحي منه. فنقول الحياء صفة عظيمة جدًا، والحياء هو من الإيمان، لكن نقول إن ذهب الحياء لا يذهب الإيمان.

لذلك نقول هناك شعب في الإيمان إذا ذهبت يذهب بها الإيمان، وهناك شعب في الإيمان بزوالها لا يذهب فيها الإيمان، **وهذا طبعًا فيه رد على الخوارج** لأن الخوارج يرون بأن زوال أي شعبة من الشعب يذهب فيها الإيمان بالكلية. لكن عندنا ينتقل من الإيمان إلى الإسلام ويظل على الإسلام إلا أن يأتي بناقض من نواقض الإسلام فيخرج إلى الكفر – والعياذ بالله –.

وطبعًا هناك شعب في الكفر، كما أن هناك شعب في الإيمان فهناك شعب في الكفر، وهي الكفر الصريح؛ السجود لغير الله عز وجل، وليس السجود فقط، صرف أي عبادة لغير الله عز وجل أو ثبتت أنها بالشرع عبادة فصرفها لله توحيدًا وصرفها لغير الله تكون كفرًا أو شركًا، فهذه من شعب الكفر التي يُزال بها الإيمان. وسب الله عز وجل – نعوذ بالله من ذلك –، سب النبي ﷺ – نعوذ بالله–، سب الدين – نعوذ بالله من ذلك – هذا ناقض من نواقض الإيمان، وهذا معلوم من الدين بالضرورة، ليس فيه إزالة شبهة ولا بيان حجة لأن أي أحد يعلم أن هذا تنقيص في حق الله، وتنقيص في حق النبي ﷺ. وأيضًا الاستهزاء بالدين أو بالشريعة أو غير ذلك، هذا أيضًا من شعب الكفر التي يخرج فيها المرء من الإيمان.

وقلنا بأن هناك شعب جاء فيها معنى الكفر لكنه ليس بالكفر المخرج من الإيمان، **وهذا التفريق مهم جدًا؛ شعب الكفر المخرجة وشعب الكفر غير المخرجة من الإيمان** قال النبي ﷺ: [**من حلفَ بغيرِ اللهِ فقد كفرَ أو أشرك**] لكن هل يخرج من الإسلام؟ لا، قال النبي ﷺ: [**من حلفَ بغيرِ اللهِ فقد كفرَ أو أشرك**] كفارته أن يقل لا إله إلا الله، قال: [**إنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ**] ، [**مَن حلَف باللَّاتِ والعزَّى فلْيقُلْ: لا إلهَ إلَّا اللهُ**] فنقول هنا جعل له كفارة، ولما جعل له كفارة فليس بكفر أكبر، إلا أن يكون هناك اعتقاد هذه مسألة أخرى.

أيضًا النبي ﷺ قال: [**اثنتانِ في الناسِ هما بهم كفرٌ : الطعنُ في الأنسابِ، و النِّياحةُ على الميِّتِ**] النبي ﷺ سماهم كفر، لكن هل النياحة أو الطعن في الأنساب يخرج به المرء من الإيمان؟ لا يخرج. إذًا هو من شعب الكفر، ولكنه كفر دون كفر.

قالوا الاستسقاء بالنجوم، على تفصيل طبعًا في مسألة الاستسقاء بالنجوم، لا نريد أن نطول فيها شرحناها في كتاب التوحيد وغير ذلك أكثر من مرة. المهم نقول بأن كما أن للإيمان شعب فأيضًا للكفر شعب، فالكفر شعب بعضها يخرج المرء من الإسلام، وبعضها لا يخرج المرء من الإسلام.

24- بَابُ ذِكْرِ مَا دَلَّ عَلَى زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ

212- حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى قَالَ: حَدَّثَنَا صَفْوَانُ بْنُ عِيسَى، عَنِ ابْنِ عَجْلَانَ، عَنِ الْقَعْقَاعِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ مِنْهَا قَلْبُهُ فَإِنْ زَادَ زَادَتْ حَتَّى تَعْلُوَا قَلْبَهُ، فَذَلِكَ الرَّانُ» قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [المطففين: ١٤]

213 - وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْحُلْوَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُونُسَ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشٍ: حَدَّثَنِي صَفْوَانُ بْنُ عَمْرٍو عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَبِيعَةَ الْحَضْرَمِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «الْإِيمَانُ يَزْدَادُ وَيَنْقُصُ»

214 - وَحَدَّثَنَا أَيْضًا الْحُلْوَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُونُسَ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشٍ، عَنْ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ مُجَاهِدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ قَالَا: «الْإِيمَانُ يَزْدَادُ وَيَنْقُصُ»

215 - وَأَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ الْخَطْمِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ عُمَيْرِ بْنِ حَبِيبٍ قَالَ: "الْإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، قِيلَ لَهُ: وَمَا زِيَادَتُهُ وَنُقْصَانُهُ؟ قَالَ: إِذَا ذَكَرْنَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَحَمِدْنَاهُ وَخَشِيْنَاهُ، فَذَلِكَ زِيَادَتُهُ، فَإِذَا غَفَلْنَا وَضَيَّعْنَا، فَذَلِكَ نُقْصَانُهُ"

216- حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّنْدَلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ زِيَادٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُوسَى قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْخَطْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ عُمَيْرِ بْنِ حَبِيبٍ قَالَ: " الْإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، فَقِيلَ: وَمَا زِيَادَتُهُ وَنُقْصَانُهُ؟ قَالَ: إِذَا ذَكَرْنَا اللَّهَ وَحَمِدْنَاهُ وَسَبَّحْنَاهُ، فَذَلِكَ زِيَادَتُهُ، وَإِذَا غَفَلْنَا وَضَيَّعْنَا وَنَسِينَا، فَذَلِكَ نُقْصَانُهُ "

217- وَحَدَّثَنَا جَعْفَرٌ قَالَ: حَدَّثَنَا الْفَضْلُ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ قَالَ: أنا مُحَمَّدُ بْنُ طَلْحَةَ، عَنْ زُبَيْدٍ، عَنْ ذَرٍّ قَالَ كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: «هَلُمُّوا نَزْدَادُ إِيمَانًا، فَيَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى»

218- وَحَدَّثَنَا جَعْفَرٌ قَالَ: حَدَّثَنَا الْفَضْلُ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ شَرِيكٍ، عَنْ هِلَالٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُكَيْمٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «اللَّهُمَّ زِدْنِي إِيمَانًا وَيَقِينًا وَفِقْهًا»

219- وَحَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ حُمَيْدِ بْنِ كَاسِبٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ الدَّرَاوَرْدِيُّ، عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِلنِّسَاءِ: «مَا رَأَيْتُ مِنَ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِأَلْبَابِ ذَوِي الرَّأْيِ مِنْكُنَّ»

طبعًا هذا باب جديد يدخل فيه المؤلف وهو باب عظيم جدًا، أصل من أصول الإيمان عند أهل السنة والجماعة، وكثرة الأدلة في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه تجعل المخالف في ذلك أو المبتدع تلقمه أحجارًا كثيرة، وإن كنا سنبين الخلاف بين أهل السنة والجماعة في من قال الزيادة ولم يقل بالنقصان والذي نُسِب إلى الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه. لكننا نقول الأصل الأصيل عندنا أن الإيمان يزيد وينقص، وبينا الأدلة من قبل في ذلك الأسبوع الماضي ومقدمة هذا الدرس أيضًا، لكن المؤلف هنا أتى بحديث عظيم جدًا حقيقة بدأ به وهو حديث أبو هريرة: إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ مِنْهَا قَلْبُهُ فَإِنْ زَادَ زَادَتْ حَتَّى تَعْلُوَا قَلْبَهُ، فَذَلِكَ الرَّانُ» قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} هنا حقيقة هذا الحديث من أعظم الأحاديث التي تبين لك كيف أن القلب مؤثر على المرء، قلب المرء هو الضابط، هو الملك ومن خلفه هو الجوارح، وأن القلب يتأثر. هنا الحديث هذا عظيم جدًا.. لماذا؟ لأنه فيه بيان في التأثير والترابط بين الظاهر والباطن، كثير ما نقول ونتكلم على ارتباط الباطن بالظاهر، حديث النبي ﷺ: [**أَلا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً، إذا صَلَحَتْ، صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذا فَسَدَتْ، فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، ألا وهي القَلْبُ**] هذا الترابط من أين؟ هذا الترابط بين باطن وظاهر، أي أنه عُلق صلاح الظاهر على صلاح الباطن، وعلق فساد الظاهر على فساد الباطن، وهذه أحاديث كثيرة. لكن هنا الأمر يختلف، العكس، وهذا يبين لك بأن الترابط

من وجهين؛ الترابط بين الظاهر والباطن ذهابًا وإيابًا – كما يقال– أي أن الظاهر يؤثر في الباطن والباطن يؤثر في الظاهر، حديث [أَلا وإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً] هذا الباطن يؤثر في الظاهر. وقال النبي ﷺ لما رأى الرجل في الصلاة ينقر الصلاة نقرًا قال:[لَو سَكَنَ قَلبُ هَذا لَسَكَنَتْ جَوارِحُه] أي لو القلب ساكن وخاشع ستسكن الجوارح ويصلي خاشعًا، تأثير من الباطن يؤثر على الظاهر.

الحديث الذي معنا العكس؛ الظاهر أثر في الباطن، لماذا؟ لأن النبي ﷺ قال: إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، إذًا هنا التأثير من أين أتى؟ الظاهر أثر في الباطن. إذًا عندك علاقة أخرى، ونحن كثير جدًا نتكلم في تأثير الباطن على الظاهر، لكن لا نتكلم في تأثير الظاهر على الباطن، وهذا الحديث من الأدلة على ذلك؛ بأن الذنب في الظاهر يؤثر على القلب،{كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم } [المطففين:14]، كيف جاء الران؟ كلما يذنب تأتي نكتة سوداء في القلب فتتكاثر النكت السوداء في القلب فيأتي الران – والعياذ بالله. إذًا الظاهر أثر في الباطن أم لا؟ نعم الظاهر يؤثر في الباطن.

إذًا عندك تلازم؛ عندك الباطن يؤثر في الظاهر وعندك الظاهر يؤثر في الباطن، بل النبي ﷺ قال: [اسْتَوُوا ولا تَخْتَلِفُوا ؛ فتَختلِفَ قلوبُكمْ] جعل اختلاف الناس في الظاهر، في الصف، مؤثر في اختلاف القلوب، تنازع، هذا يترك مسافات وهذا أمامه وهذا خلفه، يغفر الله لنا على ما نحن فيه إلى الآن. ما أدري أنا كأني أحلم بأن نرجع نقف مرة أخرى في الصف، أنا أدخل المسجد الآن انظر.. يارب متى الناس سترجع تقف وأن نقف مرة أخرى كما كنا نقف، كأنك تعيش في حلم، وما علمت ذلك إلا بعد أن فقدت هذه النعمة التي كنت فيها، تنظر إلى الناس عزين في المسجد، كل واحد يأخذ ركن بينه وبينه شارع بين من بجانبه، ولما يجتمع إثنين ثلاثة معًا ينظرون إليهم، يا أخي تنتظرون إلى متى؟ فهذه فرقة والله فرقة، والنبي ﷺ الذي قال: [اسْتَوُوا ولا تَخْتَلِفُوا ؛ فتَختلِفَ قلوبُكمْ] لكن لما يكون المنكب في المنكب، والقدم في القدم وتشعر بالائتلاف تجد الناس أصلًا قلوبها متحدة. فمن مقاصد الشريعة الحرص على جماعة المسلمين. النبي ﷺ لما رأى الصحابة ينزلون الوادي معه فتفرقوا وقال لهم: [ما لي أراكم عِزِينَ؟!] أي متفرقين، اجتمعوا، فكانوا يجتمعون، وإذا فرد أحدهم ما معناه الملاية كانت تحوط بهم، لذلك من السنة في المسجد إن دخلت وتعطي درس علم ألا يتفرق الإخوة – هذا عندما يرد لنا الله عز وجل مره أخرى المساجد نسأل الله ذلك – فلا يتفرق الإخوة، كل واحد

جالس في مكان في الشرق وفي الغرب! لا، السنة أنهم يجتمعون فتنزل البركات والرحمات وتحف الملائكة وغير ذلك.

الشاهد.. لابد أن نثبت الآن على أن هناك تلازم؛ الظاهر يؤثر في الباطن، والباطن يؤثر في الظاهر، كما في هذا الحديث الظاهر أثر في الباطن. النبي ﷺ يقول: [تُعرَضُ الفِتَنُ على القُلوبِ عَرْضَ الحَصِيرِ عُودًا عُودًا ، فأيُّ قلبٍ أُشْرِبَها نُكِتَتْ فيه نُكتةٌ سَوداءُ ، وأيُّ قلبٍ أنْكَرَها نُكِتَتْ فيه نُكتةٌ بيضاءُ ، حتى يصِيرَ القلبُ أبيضَ مثلَ الصَّفا ، لا تَضُرُّه فِتنةٌ ما دامَتِ السمواتُ والأرضُ ، والآخَرُ أسودَ مُربَدًّا كالكُوزِ مُجَخِّيًا ، لا يَعرِفُ مَعروفًا ، ولا يُنكِرُ مُنكَرًا ، إلا ما أُشْرِبَ من هَواه] هذا الحديث أيضًا يضم إلى الحديث الذي معنا في دلالة على أن الذنب الظاهر يؤثر، والفتن التي يستجيب لها المرء – نسأل الله عز وجل أن يعافينا جميعًا – تؤثر بنكته سوداء في القلب. وأيضًا الحديث الثاني الآن الذي قال فيه النبي ﷺ: [وأيُّ قلبٍ أنْكَرَها نُكِتَتْ فيه نُكتةٌ بيضاءُ] فيه بيان واضح على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يزيد المرء في قلبه إيمانًا وقوة وبياضًا. الناس لا تفقه، لذلك أنت تحتاج في الأمر بالمعروف والنهي عن منكر أن تحتسب فيه إلى الله عز وجل، النبي ﷺ قال: [وأيُّ قلبٍ أنْكَرَها نُكِتَتْ فيه نُكتةٌ بيضاءُ] إذًا أنت وأنت بتنكر المنكر حتى لو أنكرته بقلبك ليس بلسانك ولا بيدك، وكان دينًا لله عز وجل، نُكت في قلبك نكتة بيضاء، أي زاد الإيمان عندك، وهذا يدل على أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من أعظم شعب الإيمان، وأن المرء يكتسب فيها قلبًا أبيضًا ونقيًا ويرفع عنه السواد الذي في القلوب.

إذًا من أهم مسائل هذا الحديث تأثير الظاهر في الباطن، وتأثير الباطن في الظاهر، وكما قعَّد لنا قاعدة شيخ الإسلام ابن تيمية قال: **(إذا انتفى اللازم انتفى الملزوم)** أي أن: [إنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً، إذا صَلَحَتْ، صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذا فَسَدَتْ، فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ] فقال إذا انتفى اللازم انتفى الملزوم، إذا انتفى الظاهر انتفى الباطن، وإذا انتفى الباطن انتفى الظاهر، فانتفى الإيمان أو نقص إلى أن يضمحل، هذه من أهم المسائل. أنت تقول للمرء الآن النبي ﷺ قال:[البينةُ على المُدَّعي واليمينُ على من أنكرَ] أنت تدعي الإيمان، أين البينة؟ انتفى اللازم انتفى الملزوم، أين طاعاتك؟ أين عبادتك؟ أين تركك للمنكرات؟ إن كنت حقًا تدعي الإيمان إذًا [البينةُ على المُدَّعي واليمينُ على من أنكرَ].

الأمر الثاني في هذا الحديث من المسائل المهمة جدًا أن مدار النجاة فيما نحن فيه على القلوب، القلب هو الأصل، مدار النجاة كلها والهلاك – والعياذ بالله – على القلب، والحديث

هذا حديث [إنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً] النبي ﷺ يبين لنا ويصور لنا على أن النجاة كلها مدارها على القلب وعلى حال القلب، يقول الله عز وجل:{ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا} [الإسراء:25]، إذًا الله عز وجل مُطَّلِع على القلوب، قال الله عز وجل:{ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ} [الأنفال:70]، فالله عز وجل يطلع على قلوبنا؛ هل نحن حقًا نريد العزة ونريد الرفعة للدين؟ أم المسألة ترديد كلمات؟ هل نحن حقًا نعمل لذلك؟ فالله يطَّلِع، { إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ} (مما أخذ منكم) لو أُخذ منا الخير فالله يعلم قلوبنا، إذًا المسألة مدارها على القلوب، الذي ينتظر النصر وينتظر التأييد لابد ينظر في قلبه أولًا، الله عز وجل أعلم بما في قلوبنا، لو كنا نستحق حقًا أن يأتينا النصر لأنزل الله عز وجل علينا النصر، لكننا مازلنا نحتاج إلى الرجوع، نحتاج إلى التنقية، نحتاج إلى الإخلاص، نحتاج إلى العمل، نحتاج أن يكون الأمر لله حقًا، ليس رفعة لجماعة أو حزب أو مجموعة أو ناس، لا، المسألة تكون لله، إن عَلِم الله عز وجل خيرًا في قلوبنا أتانا خيرًا مما أُخذ منه. النبي ﷺ يقول مدار الأمر على القلب، وكان يضرب يقول التقوى ها هنا ويشير إلى قلبه ثلاثًا ﷺ.

وابن عباس ترجمان القرآن يقول:[يؤتى المرء الفهم بنيته] أي أنك لا تؤتى الفهم هكذا شطارة من عندك ولا حفظًا ولا اجتهادًا! النية.. النية.. لذلك ابن تيمية كان لما يعجز عن المسألة يقول أخرج إلى البر يتمرغ في التراب يُظهر الذل والخضوع والمسكنة لله عز وجل فيفتح الله عز وجل عليه بعد ذلك، المسألة على النية، أنت الآن تؤتى الفهم بقدر النية، لذلك الله عز وجل لما أراد أن يصف العلماء، فالعلماء هم أهل الفهم والعلم، وصفهم بالخشية، لأن النية عندهم لله عز وجل، فآتاهم الله العلم وكانت له الخشية، وهي تبادلية؛ لأن الخشية مع العلم والعلم مع الخشية، لا يكون عالمًا إلا إذا كان من أهل الخشية، ولا يمكن أن يؤتى الخشية إلا إن كان من أهل العلم. فالمسألة تلازم بين العلم وبين الخشية. لذلك ابن عباس يقول: [يؤتى المرء الفهم بنيته] لذلك لا تعجب من تفاوت الدرجات بين طلبة العلم وبين العلماء، حتى العلماء المتقدمين والمتأخرين، هذا التفاوت لاشك بأنه يرجع إلى النية. فأنت هل تتصور أنك الآن تقرأ في الكتاب للآجري الآن وهو من عام 300هـ وبضع.. ونحن بعد ألف سنة وأكثر ندرس هذا الكتاب الذي كتبه وصنفه هذا الإمام، أن الله عز وجل يلقي هذه الكتب ويلقي هذا المداد لهؤلاء. ومن قبله الإمام الشافعي مثلًا لما يكتب كتابه (الأم) ومتوفى عام 204هـ والكلام الذي كُتب يدين به ملايين الناس، وغيره؛ مسند الإمام أحمد، موطأ الإمام مالك، سفيان ابن عيينة، ويحيى بن معين، والزهري، وعمر بن عبد العزيز، وغير هؤلاء، هؤلاء ما حُفظ لهم

الذكر إلا بالنية، لما تنظر للشافعي يقول: (ما ناظرت أحدًا إلا تمنيت أن يكون الحق معه) أي ما تمنى في المناظرة أن يغلبه، وهذا أصل في المناظرة، انظر الآن في أي مسألة أنت تتكلم فيها مع أحد أنت تريد تكون قد قضيت عليه، أنا جعلته لا ينطق، ألجمته الحجارة. هل نحن بنتعارك؟! هل نريد الحق أم نريد الإنتصار؟ فهذا الذي جعل المسألة ليست لله، وهي انتصار وبيان فقط بأن هو معه علم والثاني ليس معه علم، ولذلك تخلف النصر، لأن المسألة قائمة على القلوب، ما سبق أبو بكر الصحابة بكثير صيام ولا كثير قيام ولا كثير نفقة ولكن بشيء وقر في القلب، لذلك انظر إلى قلب أبو بكر رضي الله عنه تعلم لماذا فُضِّل على الأمة بعد النبي ﷺ إلا بقلبه، قلب عجيب، في كل موطن عُرِض عليه؛ أمر فيه تصديق أو اتباع للنبي ﷺ تجده مسارع، وتجد ليس عنده ذرة من ذرات الشك في شيء، يقين كامل وصدق، حتى في يوم الحديبية لما جاء عمر، وعمر من هو عمر؟ ويقول له إلزم النبي ﷺ هو رسول الله هو الله مؤيده، نفس الذي قاله أبو بكر قاله النبي ﷺ لعمر بدون أن يعلم، لماذا؟ لأن هنا صدق في القلب. فالمسألة مدارها في هذا الحديث وغيره على القلوب.

في هذا الحديث تأصيلات مهمة جدًا عند أهل السنة والجماعة تفارق بها المبتدعة، وأيضًا يغيب عن كثير من الملتزمين – وأقول عن الدعاة، بل عن أهل الإستقامة – الحديث هذا في الجمع والنظر فيه، لا أقول من عندي. أولًا أول تأصيل سنقوله أن هناك **علامة فارقة بين أهل السنة والجماعة وبين المبتدعة**؛ أن أهل السنة والجماعة يقولون يجوز أن يجتمع في قلب المؤمن أو المسلم إيمان وكفر، طبعًا انا سأتكلم عن الكفر ليس الأكبر لكن يجوز أن يجتمع فيه إيمان وكفر، وهذا فارق بيننا وبين غيرنا من المبتدعة، لأن أهل السنة الجماعة يقولون أن يكون في القلب إيمان وكفر نعم، **وأنا أقيِّد؛ كفر ليس بالكفر المخرج من الملة**، لأن لو كان مخرج من الملة لم يكن هناك إيمان، لكن يجتمع معه خصال الإيمان مع خصال الكفر، بخلاف المبتدعة من الخوارج وغيرهم، لأن الخوارج طبعًا قالوا لا يجتمع سيأتيه خصلة تخرجه من الإسلام، والمرجئة أصلًا عندهم العمل ليس من الإيمان. لكن أهل السنة والجماعة من أين هنا من هذا الحديث أتينا بهذه التأصيلة؟

الآن عندنا أهل السنة والجماعة يقولون أن علامة فارقة بيننا وبين أهل البدعة أننا نقول اجتماع الإيمان والكفر، واجتماع الطاعة والمعصية، واجتماع البر والفجور في المؤمن الواحد، هؤلاء لا يقولون بذلك، وقلت هذا تأصيل مهم جدًا من هذا الحديث، قوله: (**الْمُؤْمِنَ**) و (**نُكِتَتْ نكتةٌ سوداءُ**)، إذًا جمع بين لقب مؤمن والنكت السوداء، لما قال نكتة سوداء وما الذي حول

السوداء؟ أبيض، ألم يقل أنه لما أذنب نكت في قلبه نكتة سوداء؟ إذًا هذه نكتة الذنب، والبياض حول السواد، إذًا القلب فيه سواد وفيه بياض، إذا كان البياض غالبًا كان الإيمان أعلى وكانت المعصية أقل، ولو كان السواد أعلى كان المعاصي والفجور والفسق الذي قد يصل إلى الكفر بعد ذلك إن خرج، إذًا يجتمع، وهنا جاء من الحديث لما قال "**نكتةٌ سوداءُ**"، إذًا يجتمع في قلب المؤمن بر وفجور، طاعة ومعصية، إيمان وكفر، فممكن أن يكون ذلك.

وهذا معناه بأن المرء قد يكون محبوبًا عند الله عز وجل وأيضًا مبغوضًا عند الله عز وجل؛ محبوبًا بإيمانه وطاعته الذي يفعلها، ومبغوضًا بالذنب الذي يقوم به، وهل في ذلك نظائر من السنة؟ نعم، الرجل الذي كان يسمى عبد الله ويلقب بحمار وكان كثيرًا ما يشرب الخمر فيؤتى به فيجلده النبي ﷺ ، في إحدى المرات قال أحد الصحابة: **[اللَّهُمَّ العنْه، ما أكْثَرَ ما يُؤْتَى بِهِ؟ فَقَالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: لا تَلْعَنُوهُ، فَوَاللَّهِ ما عَلِمْتُ إنَّه يُحِبُّ اللَّهَ ورَسولَهُ]** عجب، الرجل أكثر ما يؤتى به، والخمر كبيرة والنبي ﷺ يثبت له حب الله ورسوله، كبيرة من الكبائر ويشربها كثيرًا. **أنا لماذا أقول هذا الكلام؟** لأننا نصبنا أنفسنا على أصحاب المعاصي والذنوب كجلادين! الآن.. من منا لا يعصي ولا يذنب! فتجد بعض الذين يتصدرون لما يجدون أخ أو أخت على معصية، والأخ أو الأخت هم عندهم من أهل الاستقامة أو من أهل الطاعة، أهل قرآن، أهل علم، أهل تقوى وصلاح، أهل زهد، أهل إنفاق، ثم يعلم عنه شيء، معصية، تجد الناس جميعًا كأنهم..، هي مصيبة نعم أنك تصاب في أحد لكنه يرى بأن المسألة انتهت، هذا الرجل يُقطَّع، أي يدخل في القبر هو والأخت يدخلونه القبر، ما الذي حدث! كيف يكون من أهل القرآن ويفعل! كيف تكون هي من أهل القرآن وتأخذ مال كذا أو تأخذ كذا! يا أخي نقول لك الآن هو موجود هذا أنت تبغض له ما وقع فيه من معصية لكن ليس معناه أنك تهدم إيمانه وتهدم طاعته! فتقول: أي قرآن الذي يحفظوه! أي دين هذا الذي بيتكلموا عنه! إذا كانوا هم بيفعلوا ذلك! لا.. هو القرآن هذا أجره عند الله، والعلم هذا أجره عند الله، والصدقة التي فعلها أجرها عند الله، لكن سيُحاسب على المعصية، وإلا سنخرج نحن من عقيدة أهل السنة والجماعة ونكون كالخوارج، وإن لم نقل بقول الخوارج، لكن سيكون لسان حالنا بأننا نرى أن هؤلاء يستحقون القتل!

مسألة حدثت قريبًا جدًا لأخت من الأخوات أيضًا مشكلة كبيرة، فقالوا اتصلوا قالوا لابد أن نبلغ حتى نسيطر على الأخت في هذه المسألة، سنبلغ أناس معينين، قلت لهم ما يجوز لكم، قالوا لا يوجد حل ثاني، قلت لهم هذا ليس بحل، توابع هذه المسألة غير محمودة، بل قد نقع في ظلم أكبر فلا يجوز، فيقولون ائت لنا بحل، قلت لهم هو أنتم إما تظلموا، ولا تقدروا الأمور

وأنتم هدمتم المرأة بالكلية أو هدمتم الأخ. فأهل السنة يرون أن المرء قد يصيب طاعة ويصيب معصية، فيتعامل معه على حب الله له في الطاعة، ويبغضه لبغض الله له في المعصية. هل أكثر من الرجل يؤتى به يشرب الخمر والنبي ﷺ يثبت له حبه الله ورسوله؟ إذًا يجتمع حب الله ورسوله مع المعصية، إذًا لا يمكن أن تقول أنت الآن كيف تكون بيدرس قرآن أو بيدرس علم وبيأخذ أموال الناس أو بيفعل كذا مع كذا! لا، هو نعم المفروض أن هذه كانت تنهاه عن هذا لكنه ممكن يعمل معصية ويعمل طاعة. الناس في السوق ممكن يبيع لك سلعة مغشوشة، أي هو يعلم أن هي أتت من بلد وتالفة، ومع ذلك يسمع الأذان يغلق المحل ويدخل يصلي لكنه يرجع ويبيع أيضًا يبيع الشيء الذي فيه تلف أو فيه غش أو غير ذلك. ماذا ستقول له؟ نعم هي الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر لكن هذه عقيدة عندنا نحن لا نرددها لسانا بل لابد نعتقدها، فلما نتعامل مع المخالف نضعه في نصابه. النبي ﷺ مع ماعز رضي الله عنه وأرضاه، انظر هو مات في حد وفي كبيرة ومن أعظم الكبائر والفاحشة فيها، ومع ذلك أنبأنا النبي ﷺ بأن ماعز في الجنة، الحديث جاء بعد ذلك قال أنه في أنهار الجنة لأنه تاب توبة قَبِلها الله عز وجل، جاء يتوب فقبله وأدخله الجنة، وهو سُطِّر إلى الآن في كتب الفقه، فعل ماعز والغامدية، ومع ذلك شهد النبي ﷺ أنه في الجنة وفعل هذا الذنب. إذًا المسألة لابد أن نطبق حقًا هذه العقيدة التي نتكلم عنها، والآن لما بيحدث أننا بنرى معاصي وذنوب لبعض الناس بنتعامل معه بمبالغة شديدة جدًا، وكأنه قد كفر ويفارق بين الكفر وبين الفسق! ابغضه في معصيته لكن احمد له طاعته الأخرى وادعو الله له، أو قوّمه كما كان يفعل النبي ﷺ لما قال لا تسبه، لا تلعنه، لا تعينه على الشيطان فإني أعلم أنه يحب الله ورسوله.

وجاءت أدلة أخرى النبي ﷺ قال:[**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْ نِفَاقٍ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ**] انتبه.. (إذا) على الاستمرار [**وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**] خصال أربعة عظيمة جدًا لو فيها خصلة واحدة، إذا حدث كذب، هو كذاب، هو فيه خصلة من النفاق، فعامله على هذه الخصلة لكن لا تعامله على أنه أصبح كافرًا، هو عندك ليس بكافر أنا أعلم، لكن معاملتك له كأنك تعامله كمعاملة الخوارج! النبي ﷺ الذي قال ذلك، قال فيه خصلة من نفاق، ثم قال (إذا) ليس كذب مره واحدة، لا، [**إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ**] إذًا المسألة تحتاج أن يكون عندنا كما نقول دائمًا **لابد أن ننظر إلى المسألة بعينين؛ عين القدر وعين الشرع**، عين الشرع نذم فيه ما فعله مخالفة لشرع الله، وعين القدر نشفق عليه حاله الذي هو فيه الآن، إذا اجتمعت العينان للمرء وهو ينظر إلى صاحب المعصية سيصيب معه في القرار وفي التعامل، وأما إذا غلَّب أحدهم

على الأخرى فنظر بعين القدر فصعب عليه فأشفق عليه كالمرجئة وغيرهم فيوآكله ويشاربه ويحبه ويتولاه ولا شيء عنده وهو يقول من أعظم المنكرات عنده، وإذا نظر إليه بعين الشرع فقط أنه يذمه على معصيته سينظر إليه بعين الخوارج فيسقطه بالكلية وينبذه ولا يحيط به ولا ينصحه ولا يدعوه إلى الله عز وجل، وهذه أقول كلها من سنة النبي ﷺ ، ومنها أيضًا كما سيأتي معنا في بعض الروايات الأخرى: [لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهو مُؤْمِنٌ] إلى غير ذلك، فهذه ستأتي معنا في زيادة الإيمان ونقصانه.

الفوائد المستنبطة:

1- تفاوت درجات الإيمان ونقصانه، الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ والحديث الذي معنا الـ (نُكْتَةٌ)؛

2- خطر المعصية؛ بأن المرء لا يستهين بالمعصية، كلما يعصي تأتي النكتة السوداء في قلبه حتى يكون الران، فلو كان الران هذه مصيبة كبرى لأنه سينتقل بعد ذلك من الإيمان إلى الكفر- والعياذ بالله – إذًا المسألة خطر المعصية أن المرء عليه ألا يتجرأ على معصية الله عز وجل حتى لا يسقط أمام الله عز وجل، لأن المرء بكثرة معاصيه لا شك أنه يسقط لكنه ما زال معه الاستغفار، وهذه المسألة الأخرى؛

3- أن المرء إذا عصى يستغفر ويتوب ويرجع إلى الله عز وجل، فأسعد الناس – كما قال النبي ﷺ – صحيفة يوم القيامة أكثرهم استغفارًا . وقال تعالى: {فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا} [نوح:10-12]، فالاستغفار من أهم الأمور التي يعود بها المرء بعد فعله للطاعات.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم سبحانك اللهم وبحمدك
أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

المحاضرة الثالثة والثلاثون

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام على موعد مع شرح درس جديد من دروس كتاب الشريعة للإمام الآجري – عليه رحمة الله تعالى – وما زلنا في **بَابُ ذِكْرِ مَا دَلَّ عَلَى زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ**، وهذا باب عظيم تكلم فيه كما قلنا عن أصل من أصول أهل السنة والجماعة في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه، ويبين لنا الخلاف أيضًا بين أهل السنة والجماعة وبين الفرق المبتدعة في مسألة الإيمان، وكنا قد أشرنا إليها من قبل، لكن لعله يفصل لنا أكثر ويبين لنا بالأدلة مسألة زيادة الإيمان ونقصانه. ونقرأ أولًا الأحاديث والآثار ثم بعد ذلك نبين إن شاء الله ما يتيسر لنا فيه.

212- حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى قَالَ: حَدَّثَنَا صَفْوَانُ بْنُ عِيسَى، عَنِ ابْنِ عَجْلَانَ، عَنِ الْقَعْقَاعِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ مِنْهَا قَلْبُهُ فَإِنْ زَادَ زَادَتْ حَتَّى تَعْلُوَا قَلْبَهُ، فَذَلِكَ الرَّانُ» قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [المطففين: ١٤]

213 - وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْحُلْوَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُونُسَ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشٍ: حَدَّثَنِي صَفْوَانُ بْنُ عَمْرٍو عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَبِيعَةَ الْحَضْرَمِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «الْإِيمَانُ يَزْدَادُ وَيَنْقُصُ»

214 - وَحَدَّثَنَا أَيْضًا الْحُلْوَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُونُسَ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشٍ، عَنْ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ مُجَاهِدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ قَالَا: «الْإِيمَانُ يَزْدَادُ وَيَنْقُصُ»

215 - وَأَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ الْخَطْمِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ عُمَيْرِ بْنِ حَبِيبٍ قَالَ: "الْإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، قِيلَ لَهُ: وَمَا زِيَادَتُهُ وَنُقْصَانُهُ؟ قَالَ: إِذَا ذَكَرْنَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَحَمِدْنَاهُ وَخَشِيْنَاهُ، فَذَلِكَ زِيَادَتُهُ، فَإِذَا غَفَلْنَا وَضَيَّعْنَا، فَذَلِكَ نُقْصَانُهُ"

216- حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّنْدَلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ زِيَادٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُوسَى قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْخَطْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ عُمَيْرِ بْنِ حَبِيبٍ قَالَ: " الْإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، فَقِيلَ: وَمَا زِيَادَتُهُ وَنُقْصَانُهُ؟ قَالَ: إِذَا ذَكَرْنَا اللَّهَ وَحَمِدْنَاهُ وَسَبَّحْنَاهُ، فَذَلِكَ زِيَادَتُهُ، وَإِذَا غَفَلْنَا وَضَيَّعْنَا وَنَسِينَا، فَذَلِكَ نُقْصَانُهُ "

217- وَحَدَّثَنَا جَعْفَرٌ قَالَ: حَدَّثَنَا الْفَضْلُ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ قَالَ: أنا مُحَمَّدُ بْنُ طَلْحَةَ، عَنْ زُبَيْدٍ، عَنْ ذَرٍّ قَالَ كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: «هَلُمُّوا نَزْدَادُ إِيمَانًا، فَيَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى»

218- وَحَدَّثَنَا جَعْفَرٌ قَالَ: حَدَّثَنَا الْفَضْلُ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ شَرِيكٍ، عَنْ هِلَالٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُكَيْمٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «اللَّهُمَّ زِدْنِي إِيمَانًا وَيَقِينًا وَفِقْهًا»

219 - وَحَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ حُمَيْدِ بْنِ كَاسِبٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ الدَّرَاوَرْدِيُّ، عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِلنِّسَاءِ: «مَا رَأَيْتُ مِنَ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِأَلْبَابِ ذَوِي الرَّأْيِ مِنْكُنَّ»

220 - وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ قَالَ: نا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَزْنِي الْعَبْدُ حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ»

221- وَحَدَّثَنَا أَبُو شُعَيْبٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ الْحَرَّانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ قَالَ: أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ ذَكْوَانَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَزْنِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَالتَّوْبَةُ مَعْرُوضَةٌ بَعْدُ»

222 -حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ أَبِي حَسَّانَ الْأَنْمَاطِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ الدِّمَشْقِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا حَاتِمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَجْلَانَ، عَنِ الْقَعْقَاعِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»

223 - وَحَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ يَعْنِي الطَّيَالِسِيَّ قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ: أَخْبَرَنِي فِرَاسٌ قَالَ: سَمِعْتُ مُدْرِكَ بْنَ عُمَارَةَ، يُحَدِّثُ عَنِ ابْنِ أَبِي أَوْفَى يَعْنِي عَبْدَ اللَّهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»

224- حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ أَيْضًا قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو هِشَامٍ الرِّفَاعِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ قَالَ: أنا أَبِي، عَنْ فُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: قِيلَ لِأَبِي جَعْفَرٍ، فِي قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ» قَالَ: فَدَوَّرَ دَائِرَةً، فَقَالَ: هَذَا الْإِسْلَامُ، ثُمَّ دَوَّرَ حَوْلَهَا دَائِرَةً فَقَالَ: وَهَذَا الْإِيمَانُ مَحْصُورٌ فِي الْإِسْلَامِ، فَإِذَا سَرَقَ أَوْ زَنَى خَرَجَ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَلَا يُخْرِجُهُ عَنْهُ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا الشِّرْكُ"

225 - حَدَّثَنَا أَبُو نَصْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ كُرْدِيٍّ الْفَلَّاسُ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ، عَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ: " هَذَا الْإِسْلَامُ وَدَوَّرَ دَائِرَةً فِي وَسَطِهَا أُخْرَى وَهَذَا الْإِيمَانُ الَّذِي فِي وَسَطِهَا مَقْصُورٌ فِي الْإِسْلَامِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ» ثُمَّ قَالَ: «يَخْرُجُ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَلَا يَخْرُجُ مِنَ الْإِسْلَامِ، فَإِذَا تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ وَرَجَعَ إِلَى الْإِيمَانِ» قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: مَا أَحْسَنَ مَا قَالَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَذَلِكَ أَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، يَزِيدُ بِالطَّاعَاتِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعَاصِي وَالْإِسْلَامُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: يَزِيدُ وَيَنْقُصُ وَقَدْ رَوَى جَمَاعَةٌ مِمَّنْ تَقَدَّمَ أَنَّهُمْ قَالُوا: إِذَا زَنَى نُزِعَ مِنْهُ الْإِيمَانُ فَإِنْ تَابَ رَدَّهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، كُلُّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَالْإِسْلَامُ لَيْسَ كَذَلِكَ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ، فَمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ فَقَدْ كَفَرَ» وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: " إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى: قَرَنَ الزَّكَاةَ فِي كِتَابِهِ مَعَ الصَّلَاةِ، فَمَنْ لَمْ يُزَكِّ فَلَا صَلَاةَ لَهُ "

226 - حَدَّثَنَا أَبُو شُعَيْبٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ الْحَرَّانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي جَدِّي قَالَ: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ أَعْيَنَ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَبِي أُنَيْسَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: "إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا زَنَى نَزَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُ نُورَ الْإِيمَانِ، فَإِنْ شَاءَ رَدَّهُ إِلَيْهِ، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَهُ

227 - وَحَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ أَيُّوبَ السَّقَطِي قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ الْقَطِيعِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يُسَمِّي غِلْمَانَهُ تَسْمِيَةَ الْعَرَبِ وَيَقُولُ: "لَا تَزْنُوا: فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا زَنَى نُزِعَ مِنْهُ نُورُ الْإِيمَانِ

228 -حَدَّثَنَا أَبُو نَصْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ كُرْدِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ عن سُفْيَانَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهَاجِرِ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ قَالَ لِغِلْمَانِهِ: «مَنْ أَرَادَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ زَوَّجْنَاهُ، لَا يَزْنِي مِنْكُمْ زَانٍ إِلَّا نَزَعَ اللَّهُ مِنْهُ نُورَ الْإِيمَانِ، فَإِنْ شَاءَ أَنْ يَرُدَّهُ عَلَيْهِ، رَدَّهُ، وَإِنْ شَاءَ أَنْ يَمْنَعَهُ مِنْهُ مَنَعَهُ»

229 - وَحَدَّثَنَا أَبُو نَصْرٍ أَيْضًا قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ يَعْنِي بْنَ هَارُونَ قَالَ: أَخْبَرَنَا الْعَوَّامُ قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُدْرِكٍ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «الْإِيمَانُ نَزِهٌ، فَمَنْ زَنَا فَارَقَهُ الْإِيمَانُ، فَإِنْ لَامَ نَفْسَهُ وَرَاجَعَ، رَاجَعَهُ الْإِيمَانُ»

230 - وَحَدَّثَنِي أَبُو نَصْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ قَالَ: نَا أَحْمَدُ قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنِ الْفَضْلِ بْنِ دَلْهَمٍ، عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، يَنْزِعُ اللَّهُ مِنْهُ نُورَ الْإِيمَانِ كَمَا يَخْلَعُ أَحَدُكُمْ قَمِيصَهُ فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ»

231 - وَحَدَّثَنَا أَيْضًا أَبُو نَصْرٍ قَالَ: ثَنَا أَبُو بَكْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ قَالَ: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ أَشْعَثَ، عَنِ الْحَسَنِ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يُنْزَعُ مِنْهُ نُورَ

الْإِيمَانُ فَإِنْ تَابَ أُعِيدَ إِلَيْهِ الْإِيمَانُ»

232 - قَالَ: وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ عَوْفٍ قَالَ: قَالَ الْحَسَنُ: «يُجَانِبُهُ الْإِيمَانُ مَا كَانَ كَذَلِكَ، فَإِنْ رَجَعَ رَاجَعَهُ الْإِيمَانُ»

233- وَحَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ رَهَوَايْهِ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا: أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا"

كل هذا نقرأه لأن هذا كله يتكلم عن مسألة الإيمان يزيد ينقص، وسنقسم إن شاء الله بعد ما نتم من القراءة كل هذه الأدلة التي جاءت حتى لا نعيد مره أخرى، فنقرأ المتن ثم نفرد بالشرح بإذن الله تعالى، لأن كلها متقاربة في معنى واحد وهو الإيمان يزيد وينقص، باستثناء بعض المسائل سنركز عليها، لكن سنقسم الأدلة التي جاءت تصريحًا من الكتاب بأن الإيمان يزيد وينقص، والأدلة التي جاءت تصريحًا من السنة، والأدلة التي جاءت إشارة من الكتاب، والأدلة التي جاءت إشارة أيضًا من السنة، لأن بعض ما قرأناه الآن فيه تصريحًا، والبعض فيه إشارة، هنا أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا: أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا طبعًا هو دليل على زيادة الإيمان والتفاوت وفي المرتبة.

234- وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: ثَنَا أَبُو طَاهِرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ: حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ عِيَاضٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَجْلَانَ، عَنِ الْقَعْقَاعِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»

235- حَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَالِمٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعْهُ، فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ»

236 - وَحَدَّثَنَا أَبُو نَصْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ كُرْدِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ خَيْثَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: " يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَجْتَمِعُونَ فِي الْمَسَاجِدِ لَيْسَ فِيهِمْ مُؤْمِنٌ

237 - وَحَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا فُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ خَيْثَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَجْتَمِعُونَ فِي مَسَاجِدِهِمْ، لَيْسَ فِيهِمْ مُؤْمِنٌ»

238 - وَحَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سُلَيْمَانَ، عَنْ خَيْثَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَجْتَمِعُونَ فِي مَسَاجِدِهِمْ، مَا فِيهِمْ مُؤْمِنٌ»

هذا طبعًا من الآثار عن الصحابة وصح لأن الشيخ الألباني وضعه في السلسلة الصحيحة، لكنه طبعًا موقوفًا، إشكال عبد الله بن عمرو أيضًا ممن يقرأون في كتب أهل الكتاب.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ حُسَيْنٍ: كُلُّ هَذِهِ الْآثَارِ تَدُلُّ عَلَى زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ، وَسَنَذْكُرُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا يَدُلُّ عَلَى مَا قُلْنَاهُ وَهَذَا طَرِيقُ مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا

بعد ما ذكر بعض الأحاديث وبعض آثار الصحابة سيذكر الآن الأدلة من القرآن على زيادة الإيمان، فنقرأها أيضًا حتى ننتهي من قراءة الأدلة كلها ونقسم بعد ذلك.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} [التوبة: ١٢٤] وَقَالَ تَعَالَى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ} [الفتح: ٤] قَالَ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} [محمد: ١٧] وَقَالَ تَعَالَى فِيمَا أَثْنَى بِهِ عَلَى أَصْحَابِ الْكَهْفِ: {إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ} [الكهف: ١٣] وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [الأنفال: ٢] وَقَالَ تَعَالَى: {لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ، وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا} [المدثر: ٣١] وَهَذَا فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ. وَقَالَ تَعَالَى {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} [آل عمران: ١٧٣]

239 - حَدَّثَنَا أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ أَيُّوبَ السَّقَطِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ سُلَيْمَانَ لُوَيْنًا يَقُولُ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ، يَقُولُ غَيْرَ مَرَّةٍ: " الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ قَالَ: ابْنُ عُيَيْنَةَ: فَأَخَذْنَاهُ مِمَّنْ قَبْلَنَا: قَوْلٌ وَعَمَلٌ، وَإِنَّهُ لَا يَكُونُ قَوْلٌ إِلَّا بِعَمَلٍ قِيلَ لِابْنِ عُيَيْنَةَ: يَزِيدُ وَيَنْقُصُ؟ قَالَ: فَأَيُّ شَيْءٍ إِذًا؟

240 - وَحَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ أَيُّوبَ قَالَ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّوْرَقِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْفَتْحِ نَصْرُ بْنُ الْمُغِيرَةِ قَالَ: قِيلَ لِسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ الْإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ؟ قَالَ: " أَلَيْسَ تَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ؟ {فَزَادَهُمْ إِيمَانًا} [آل عمران: ١٧٣] فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ، قِيلَ: يَنْقُصُ؟ قَالَ: لَيْسَ شَيْءٌ يَزِيدُ إِلَّا وَهُوَ يَنْقُصُ "

وهذه سنبينها إن شاء الله في مسألة كيف نستدل على أن الإيمان ينقص كما أنه يزيد، لأن طبعًا كلما تتبعت القرآن لا تجد الأدلة في القرآن إلا في الزيادة، وهذا الذي أدى إلى مالك رضي الله عنه أن يقول بأن الإيمان يزيد، قال ما وجدت في القرآن إلا الإيمان يزيد وقال لا ينقص، سنبين هذه المسألة أيضًا.

241 - وَحَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ أَيُّوبَ قَالَ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ الدَّوْرَقِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ الْأَسَدِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ يَقُولُ: "إِنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ قَالَ سُفْيَانُ: وَأَقُولُ: إِنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ قَالَ سُفْيَانُ: وَأَقُولُ: إِنَّ الْإِيمَانَ مَا وَقَرَ فِي الصُّدُورِ، وَصَدَّقَهُ الْعَمَلُ "

هو ينقل الآن عن العلماء بعد الصحابة والتابعين إلى بعدهم.

242 - وَحَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَخْلَدٍ الْعَطَّارُ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ زَنْجُوَيْهِ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ قَالَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ، وَابْنَ جُرَيْجٍ، وَمَعْمَرًا يَقُولُونَ: " الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ

243 - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ شَبِيبٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ قَالَ: سَمِعْتُ مَعْمَرًا، وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ، وَمَالِكَ بْنَ أَنَسٍ، وَابْنَ جُرَيْجٍ، وَسُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ يَقُولُونَ: «الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ»

انتبهوا هنا لأنه نقل عن من؟ هذه مهمة جدًا هذا النقل، عن الإمام مالك، قال هنا سمعت..

من الذي ينقل؟ عبد الرزاق، ونقل عنهم جميعًا أن الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، هذا يمكن يكون فيه توجيهًا كما سيأتي لبعض أصحاب مالك الذين قالوا بأن مالك قال أن الإيمان يزيد وينقص أيضًا، وإن كان مشهور عنه أنه قال بأن الإيمان يزيد، لكن هنا يبين بأنه سمع أن مالك يقول ذلك.

245 - أَخْبَرَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ مُوسَى بْنِ زَنْجُوَيْهِ الْقَطَّانُ قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْوَلِيدِ الْقُرَشِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا فُدَيْكٌ يَعْنِي ابْنَ سُلَيْمَانَ قَالَ: سَمِعْتُ الْأَوْزَاعِيَّ يَقُولُ: «الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ فَاحْذَرُوهُ، فَإِنَّهُ مُبْتَدِعٌ»

طبعًا هذا سنبينه لأن هذا أحد أقوال المبتدعة؛ وهو من الخوارج والمعتزلة، وإن كان على الصحيح هم لا يقولون بأن الإيمان يزيد ينقص، هم اتفقوا على أنه لا ينقص، لكن بعضهم يقول يزيد، ونبين ما معنى الزيادة عندهم، لذلك بعض أهل العلم قالوا هو في الحقيقة لا يزيد ولا ينقص عندهم هم، وإن كانوا قالوا يزيد لكن يزيد بمعنى آخر غير معنى أهل السنة والجماعة، بل هنا الإشارة كما سيأتي بأن من قال ذلك حتى فإنه هذا قول مبتدعة لأن هذا يرجع للخوارج والمعتزلة، وإن نقل عن الإمام مالك لكنه لا يقول بقول الخوارج بالطبع، لكنه نُقل عنه ذلك كما سنبين.

244 - أَخْبَرَنَا خَلَفُ بْنُ عَمْرٍو الْعُكْبَرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُيَيْنَةَ يَقُولُ: "الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، فَقَالَ لَهُ أَخُوهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عُيَيْنَةَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، لَا تَقُولَنَّ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، فَغَضِبَ وَقَالَ: اسْكُتْ يَا صَبِيُّ، بَلَى حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُ شَيْءٌ"

246 - وَحَدَّثَنَا ابْنُ مَخْلَدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ قَالَ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ يَقُولُ: «الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ»

247- وَحَدَّثَنَا ابْنُ مَخْلَدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ قَالَ: حَدَّثَنَا سُرَيْجُ بْنُ النُّعْمَانِ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَافِعٍ قَالَ: كَانَ مَالِكٌ يَقُولُ: «الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ»

وهذا أيضًا رواية أخرى عن الإمام مالك الحمد لله.

248- حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّنْدَلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ زِيَادٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ يَعْنِي أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ قَالَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «مَا نَقَصَتْ أَمَانَةُ عَبْدٍ إِلَّا نَقَصَ إِيمَانُهُ»

هذا كان أسباب نقص الإيمان فنبينها مع أسباب زيادة الإيمان.

249- قَالَ الْفَضْلُ: وَسَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ وَسُئِلَ عَنْ نُقْصَانِ الْإِيمَانِ فَقَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «مَا انْتُقِصَتْ أَمَانَةُ عَبْدٍ إِلَّا انْتُقِصَ إِيمَانُهُ» قَالَ: وَقَالَ أَحْمَدُ: قَالَ وَكِيعٌ: «الْإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ» وَهُوَ قَوْلُ سُفْيَانَ

250 - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ مُوسَى الْقَطَّانُ قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ أَبِي الْهَيْثَمِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: {وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي} [البقرة: ٢٦٠] قَالَ: لِيَزْدَادَ إِيمَانًا قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: فِيمَا ذَكَرْتُ مِنْ هَذَا الْبَابِ مُقْنِعٌ لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِلرَّشَادِ، وَسَلِمَ مِنَ الْأَهْوَاءِ الضَّالَّةِ

ولله الحمد قد قرأنا كل أدلة هذا الباب؛ وهو مسألة أن الإيمان يزيد وينقص، وهذا قول مُجمع عليه عند أهل السنة والجماعة ولم يخالف فيه إلا أهل البدع كما سنبين. لكن هنا المؤلف – رحمة الله عليه – الإمام الآجري كعادته في التأصيل في ترتيب الأبواب يؤصل لنا ويبين لنا معتقد أهل السنة والجماعة في مسألة الإيمان يزيد وينقص، وقد بين من قبل الفارق بين أهل السنة والجماعة والمرجئة في تعريف الإيمان، وقد فصلنا ذلك، وسيأتي باب آخر نفس الباب إن شاء الله تفصيلًا أكثر، الباب القادم، سيطول معنا فيه، الشبهات؛ مسألة الإيمان قول وعمل وتصديق، إلى غير ذلك.

لكن هنا يبين أيضًا مسألة خالف فيها كل الطوائف المبتدعة المخالفة لأهل السنة والجماعة خالفوا أهل السنة والجماعة في مسألة الإيمان يزيد وينقص – كما سنبين – فيها قول أهل السنة والجماعة وقول الخوارج والمعتزلة، أهل السنة والجماعة يقولون الإيمان يزيد وينقص، وقول الخوارج والمعتزلة يقولون الإيمان يزيد ولا ينقص، وحتى زيادتهم عندهم ليست زيادة في الإيمان بل هو زيادة في التكاليف– وسنبينها– زيادة في التكاليف والتكليفات، والقول الثالث وهو باقي الفرق؛ المرجئة والأشاعرة وغيرهم كل هؤلاء قالوا الإيمان لا يزيد ولا ينقص.

أما أهل السنة والجماعة – كما نقل لنا الإمام – كلهم تكلموا عن أن الإيمان يزيد وينقص بالأدلة التي قد قرأناها. ولكن أريد أن أبين مسألة تختلط على البعض؛ ظهر في بعض المعاصرين من السلف أو من هم على عقيدة أهل السنة والجماعة الذين قالوا بقول المرجئة في مسألة خروج الأعمال من الإيمان، – **أقول قالوا بالقول وليس هم بمعتقد المرجئة –** أو قالوا بقول مرجئة الفقهاء تحديدًا على أن الأعمال ليست من أصل الإيمان فهي من شرط الكمال كما قال مرجئة الفقهاء، ومع أنهم يقولون ذلك – وهذا نوع من الإرجاء – لكنهم لا يخالفون أهل السنة والجماعة في مسألة أن الإيمان يزيد وينقص، بل هم يرون أن الأعمال تزيد من الإيمان لكنهم يرون بقول مرجئة الفقهاء أن الأعمال شرط كمال.

أنا أقول هذا الكلام حتى لا يتجرأ أحد فيظن بأن قوله مطابق للمرجئة، هم يقولون بأن الإيمان يزيد وينقص وإن كانوا أخطاوا في مسألة أن الأعمال شرط كمال وليست من تعريف الإيمان، لكن ليس كلامهم كله إرجاء، هو قد يكون في هذه المسألة نوع إرجاء لكننا لا نستطيع أن نقول بأنهم لا يقولون بأن الإيمان يزيد وينقص. لأن المرجئة يرون أن الأعمال لا تؤثر إيجابًا ولا سلبًا في الإيمان، لذلك يقولون بأن إيمان آحاد الأمة كإيمان أبو بكر وإمام جبريل إلى غير ذلك، أي أطاع أو لم يطع فإيمانه واحد. لذلك أقول أن هذا القول حقيقة من أفحش الأقوال، هذا القول أشد ضررًا من قول الخوارج في الإيمان، لأن فيه خبث شديد، أي أنهم يرون بأن المطيع مثل غير المطيع، الذي يعبد مثل الذي لا يعبد، الإيمان واحد عندهم في ذلك، قول خبيث جدًا، أشد خبثًا من قول الخوارج، مع أنهم يقولون بأن الإيمان يزيد عندهم – كما سنبين – ولا ينقص، لأنهم لو قالوا بالنقصان سيقولون بإخراجه من الملة، فيرون الإيمان ثابت لذلك. لكن خبث القول المرجئة أكثر وأشد ضررًا لأنهم يجعلون الناس لا يهتمون بالأعمال، ويرون أنه ليس هناك فارق، الكل مؤمن! وطبعًا هذا قول مردود من كل علماء السلف، طبعًا باستثناء بينا مرجئة الفقهاء وانتساب ذلك للإمام أبي حنيفة، أما غير ذلك من أئمة السلف؛ الإمام أحمد، والإمام مالك، والإمام الشافعي، والثوري، وابن عيينة، إلى غير ذلك يقولون بأن الإيمان يزيد وينقص، والإيمان قول وعمل.

ذكر لنا المؤلف أدلة على زيادة الإيمان ونقصانه، وحقا لابد أن ننسق هذه الأدلة – جزاه الله خيرًا في النقل – لكن تحتاج إلى تنسيق؛ بمعنى؛ سنقول بالترتيب، هناك أدلة جاءت في الكتاب تصريحًا، نبدأ بالكتاب، وهناك أدلة جاءت في الكتاب إشارة، ثم أدلة جاءت في السنة تصريحًا، وأدلة جاءت في السنة إشارة في الزيادة، ثم أدلة جاءت على النقصان في السنة، حتى تكون الصورة اكتملت في ذلك.

أدلة من الكتاب تصريحًا على زيادة الإيمان:

قوله تعالى: {لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۗ} [الفتح:4]، وقوله تعالى: {وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًىۗ} [مريم:76]، وقوله تعالى: {وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا} [الأنفال:2]، وقوله تعالى: {وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۖ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا} [الأحزاب:22]، وقوله تعالى: {وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} [التوبة:124]، أدلة صريحة في هذه المسألة على زيادة الإيمان تُضم إلى الأدلة التي ذكرها المؤلف لنا.

أدلة من الكتاب إشارة:

هناك أدلة أخرى يمكن أن نقول إشارة من الكتاب، قد تكون المسألة واضحة عند أهل السنة، لكن هذه المسألة إن ناقشت فيها من ليس على عقيدة أهل السنة ستجده أنه لا يرى زيادة الإيمان ولا نقصانه، قلت بخلاف أهل السنة، مرجئة الفقهاء، أو المرجئة تحديدًا بطوائفهم المختلفة، أو الخوارج، والمعتزلة، كل هؤلاء لا يقولون بزيادة الإيمان ولا نقصانه، فأنت تحتاج إلى أدلة صريحة وأيضًا تحتاج إلى أدلة أخرى إشارة تجتمع بها القوة لك في مجموع الأدلة. لذلك من عظم المخالف جاءت عظم المسألة، وإلا فهي عند أهل السنة والجماعة لا تحتاج لكل هذا البحث، لا خلاف بين أهل السنة والجماعة في هذه المسألة، الأدلة متواترة على ذلك، قلنا التصريح جاء. ومن **الإشارة** تأتي لما جاء الشرع يبين لنا تفاوت الدرجات والمراتب والمكانات عند رب الأرض والسماوات بين الناس بعضهم وبعض، دل ذلك على التصريح بتفاوت الإيمان، ودل ذلك على زيادة الإيمان ونقصانه، فكل دليل سيأتي معنا فيه التفاوت والتفاضل سواء بين الرسل، بين الأنبياء، بين الناس، دل ذلك على أن هذا التفاوت في المكانة والرفعة والدرجة يرجع فيه إلى زيادة الإيمان ونقصانه.

أول ذلك قول الله عز وجل: {وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا} [الإسراء:55]، لما نقول (فَضَّلْنَا) فهناك اشتراك في الفضل، إذًا هناك زيادة، يوجد إيمان فتوجد زيادة، لأن هناك فاضل يتقدم على المفضول، والتقدم بزيادة الإيمان، وقد ظهر ذلك من قول النبي ﷺ في دعائه لما قال بعد الأذان: [إذا سَمِعْتُمُ المُؤَذِّنَ، فَقُولوا مِثْلَ ما يقولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فإنَّه مَن صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً صَلَّى اللَّهُ عليه بها عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِيَ الوَسِيلَةَ، فإنَّها مَنْزِلَةٌ في الجَنَّةِ، لا تَنْبَغِي إلَّا لِعَبْدٍ مِن عِبادِ اللهِ، وأَرْجُو أنْ أكُونَ أنا هُوَ، فمَن سَألَ لي

الوَسِيلَةَ حَلَّتْ له الشَّفاعَةُ] نسأل الله عز وجل أن يبلغ النبي ﷺ الوسيلة والمقام المحمود الذي وعده وأن يدركنا من شفاعة النبي ﷺ لنا. فهنا بين النبي ﷺ في هذا الدعاء أنه انتقى مرتبة ليست لأحد، ففيها حتى مفاضلة بين الأنبياء بعضهم وبعض، وبين خيار البشر وهم الأنبياء، بل جاء تصريحًا من قول النبي ﷺ: **[فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِياءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوامِعَ الكَلِمِ ، ونُصِرْتُ بالرُّعْبِ، وأُحِلَّتْ لِيَ الغَنائِمُ]** ولم تكن تحل لأحد من قبلي في رواية **[وجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَهُورًا ومَسْجِدًا، وأُرْسِلْتُ إلى الخَلْقِ كافَّةً، وخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ]** كل هذه الست أعطيت للنبي ﷺ ، فُضل بها النبي ﷺ على باقي الأنبياء. وتصريحًا من قول الله عز وجل:{ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ} [البقرة:253]، إذًا هذا التفاوت في المراتب والمنازل هو دلالة على تفاوت في قوة الإيمان أيضًا. هذا في باب الإيمان.

سنستدل استدلال آخر من العكس؛ أن زيادة الكفر يدل على نقص الإيمان، كما أن زيادة الإيمان يدل على نقص الكفر في المرء فزيادة الكفر يدل على نقص الإيمان أيضًا، قال الله عز وجل:{ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا } [المائدة:68]، أن يزيدهم كفرًا على كفرهم وطغيانًا على طغيانهم، فلو قلنا بأن زيادة الإيمان تدل على نقص الكفر، كلما ازداد المرء إيمانًا ينقص الكفر والفسق والضلال فيه، فكلما يزيد المرء كفرًا – والعياذ بالله – يدل ذلك على نقص الإيمان. فكل آية تدل على زيادة الإيمان تحملها أيضًا على نقصان الكفر، وكل آية أو حديث يأتيك فيه زيادة في الكفر تستطيع أن تستدل به أيضًا على نقص الإيمان.

لذلك أيضًا نستدل من قوله تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا} [آل عمران:90]، كانوا على الإيمان ثم كفروا، قال:{إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا} كفرهم بعد إيمان هذا نقصان، ثم ازدياد الكفر نقصان على نقصان – والعياذ بالله – . ومنها قوله تعالى أيضًا في سوره التوبة: {وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ} [التوبة:124-125]، نعوذ بالله من ذلك. أيضًا من قوله تعالى:{ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ } [الحديد:10]، وهنا نرجع على أن الله عز وجل فرق بين الذي أنفق وقاتل من قبل الفتح ومن بعد ذلك، فدل ذلك على التفاضل أيضًا مره أخرى. ثم من عموم قول الله عز وجل:{ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ} [المجادلة:11]، هذا تفاوت في

الدرجات بين الذين آمنوا والذين أوتوا العلم، والذين أوتوا العلم يدخلوا في الذين آمنوا، هذا ممكن يكون من باب التأكيد {يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ} فالذين أوتوا العلم من الذين آمنوا هذا ممكن يكون ذكر خاص بعد العام على سبيل التأكيد. لكن الذي نستدل به بذلك زيادة الإيمان، الرفعة هنا في زيادة الإيمان.

ومنها قوله تعالى:{ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ } [الزمر:9]، وهذا يبين عدم الاستواء، إذًا يوجد مفاضلة وهذا لا شك. الله عز وجل قال:{ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ } [فاطر:28]، فدل على ذلك على الرفعة هنا في الدرجات لأهل العلم، فالتفاضل في الدرجات يدل على زيادة الإيمان. هذا كله كان في الكتاب، قلنا في الكتاب تصريحًا وفي الكتاب أيضًا الأدلة إما استرشادًا أو نقول تلميحًا أو إشارة.

أدلة من السنة تصريحًا:

نأتي للسنة، والسنة مبينة للقرآن، قال تعالى:{ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ} [النحل:44]. وذُكر أيضًا فيما قرأنا في الباب أقوال كثير من التابعين وقبلهم الصحابة في مسألة زيادة الإيمان. إن أردنا من السنة أن نستدل على نقص الإيمان أيضًا ذُكر لنا لأننا لم نجد في الكتاب ما دل على نقص الإيمان، وقلنا استدللنا بنقص الإيمان بزيادة الكفر، لكن لم يأت نصًا صريحًا في الكتاب بنقص الإيمان، لكن بينا الأدلة وواضحة.

لكن من السنة قال النبي ﷺ: [مَا رَأَيْتُ مِنَ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِأَلْبَابِ ذَوِي الرَّأْيِ مِنْكُنَّ] فقالت إمرأة منهن جزلة؛ أي من رفعة القوم، [يا رسولَ اللَّهِ وما نُقصانُ العقلِ والدِّينِ ؟ قالَ: أمَّا نُقصانِ العقلِ: فشَهادَةُ امرأتينِ تعدِلُ شَهادةَ رجُلٍ، فَهَذا مِن نقصانِ العَقلِ، وتمكُثُ اللَّيالِيَ ما تُصلِّي، وتُفطِرُ في رمضانَ، فَهَذا من نُقصانِ الدِّينِ] فنقصان الدين لابد أن يؤدي لنقصان الإيمان، فهذا تصريحًا في السنة على أن الدين ينقص، وإن كان طبعًا هذا ليس ذمًا للنساء لكنه أمر قدره الله عز وجل عليهم كما قال النبي ﷺ لعائشة لما حاضت في الحج قال نفستي؟ فبكت فقال: [إنَّ هذا أمرٌ كَتبَه اللهُ على بناتِ آدمَ] فهذا ليس ذمًا ولكنه توضيحًا؛ إخبار من النبي ﷺ على نقص العقل، ولأن هي أيضًا العاطفة تحركها وقد تنسى فجُعلت شهادتها بنصف شهادة الرجل. والدين لأنها خلق الله عز وجل هذه الجبلة فيها ولها أمور وحكم كثيرة ليس مقامها هنا التفصيل فيها، لكن هذه الأوقات لا تصلي فيها ولا تصوم، ففيه ينقص الدين. لذلك أقول أن هذا إقرارا من الله عز وجل أن النبي ﷺ الذي {وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ}

[النجم:3-4]، على أن النساء في هذا الوقت الله عز وجل ثبَّت هذا الكلام أنه فيه نقصان في الدين، فالحكمة والشرع جاء بإثبات ذلك، فالمنافحة في مسألة أن كيف المرأة لا تدخل المسجد، وكيف المرأة لا تقرأ القرآن، وكيف المرأة لا تفعل كذا! هذا أمر أثبته الله عز وجل وأنه فيه نقصان فعلًا في الدين لكنه نقصان غير مؤأخذ عليهم، فليس التنطع هنا في هذه المسائل، وإن كان فيها خلاف طبعًا حتى لا يُظَن بي أني أقصد أن من قال خلاف أقصد الحكمة والزيادة في تدبر هذه المسألة وكأن أمر الله عز وجل – استغفر الله أن أقول ذلك – لا يعلمه، بل هو علمه وأنزله وثبته، وقال النبي ﷺ بأن نعم ينقص دين المرأة في هذه الأيام بقلة الطاعات، لكنها ممكن تدركه بأمور أخرى، ينقص في الصوم، ينقص في الصلاة لا شك، لأن هذه من أهم العبادات، لكنها ممكن تستدرك ما استطاعت بأمور أخرى؛ كذكر، كقراءة، كسماع، إلى غير ذلك، تستعيض به، لكنه ثابت هذا النقصان، فلا داعي للمنافحة في أمر قد أثبته الشرع.

ثم جاء الحديث الذي ذكر رواياته الكثيرة: **لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ**، ... **وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ** هذا فسره الصحابة وغيرهم وابن عباس بأن الإيمان قد يرتفع إن فعل المعصية فوق رأسه ثم يعود مره أخرى إن تاب وعاد. هو طبعًا **<u>الروايات الأخرى خرج من الإيمان إلى الإسلام</u> هذه مسألة مهمة جدًا** والدوائر التي وضعت إلى غير ذلك، بأن الإسلام أعم والإيمان أخص، فمن كان في دائرة الإيمان فارتكب ذنبًا خرج من الإيمان لكن ظل في دائرة الإسلام إلا ان يأتي بناقض من نواقض الإسلام فيخرج من الإسلام، وهذه طبعًا من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة، وتبين هذا الحديث بأنه هنا "لا يؤمن" المقصود به هنا لا يكفر. طبعًا هذا الكلام نحن بيناه من قبل الخوارج يستدلون به على "لا يؤمن" أي خرج من الإيمان؛ أي كفر، وهنا المقصود به من التفاسير التي قلناها الآن بأنه أي نقص الإيمان لكنه ظل على الإسلام لما معه من الشهادتين.

أيضًا مسألة أخرى من السنة تبين مسألة تفاضل الإيمان، قول النبي ﷺ: [**لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ، تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، تُسَافِرُ مَسِيرَةَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ**] قال [تُؤْمِنُ] فإذا سافرت هل سينزع عنها الإيمان؟ نقول نقص الإيمان، نعم هي من أهل الإسلام لكن نقص الإيمان ولم يضيع الإيمان إن أتت بمعصية.

حديث آخر في السنة يبين مسألة تفاضل الإيمان والزيادة والنقصان وهو فيه دلالة على النقصان حقيقة حديث عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: [**مَا مِن نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كانَ له مِن أُمَّتِهِ حَوارِيُّونَ، وأَصْحابٌ يَأْخُذُونَ بسُنَّتِهِ ويَقْتَدُونَ بأَمْرِهِ، ثُمَّ إنَّها تَخْلُفُ مِن**

بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يقولونَ ما لا يَفْعَلُونَ، ويَفْعَلُونَ ما لا يُؤْمَرُونَ، فمَن جاهَدَهُمْ..] انتبهوا هذا هو الشاهد [فمَن جاهَدَهُمْ بيَدِهِ فهو مُؤْمِنٌ، ومَن جاهَدَهُمْ بلِسانِهِ فهو مُؤْمِنٌ، ومَن جاهَدَهُمْ بقَلْبِهِ فهو مُؤْمِنٌ، وليسَ وراءَ ذلكَ مِنَ الإيمانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ] هنا الشاهد بأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يبدأ بالجهاد باليد، ثم اللسان، ثم القلب، ما في بعد القلب، إذًا ليس هناك إيمان، على الأقل، لأن جهاد القلب لا يمكن أن يُنزَع من الإنسان، وممكن الإنسان يُمنَع من جهاد اليد وجهاد اللسان لكن القلب! لذلك قال: [وليسَ وراءَ ذلكَ مِنَ الإيمانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ] إلا من رضي وتابع، هذا الإشكال كله. هذا تصريحًا من السنة.

أدلة من السنة إشارة:

نقول الآن أدلة زيادة الإيمان من السنة إشارة وليس تصريحًا؛ حديث سعد بن أبي وقاص – تعلموه كررناه كثيرًا هنا – لما كان بجانب النبي ﷺ والنبي ﷺ يعطي الصدقات فقال للرسول ﷺ: يا رسول الله مالي أراك لا تعطي فلان [فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا فَقَالَ: أَوْ مُسْلِمًا فَسَكَتُّ قَلِيلًا، ثُمَّ غَلَبَنِي..] أي غلبه نفسه يريد أن يتكلم، قال يا رسول الله ﷺ ما أراك لا تعطي فلان [إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا، قَالَ: أَوْ مُسْلِمًا] فكررها في الثالثة ثم قال النبي ﷺ: [إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ، وغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ منه، خَشْيَةَ أَنْ يُكَبَّ فِي النَّارِ علَى وجْهِهِ] هنا لما قال: [أَوْ مُسْلِمًا] فرق كما قلنا بين الإيمان والإسلام، إشارة على أن هناك فارق.

أيضًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي ﷺ: [الْمُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وفِي كُلٍّ خَيْرٌ] هناك تفاوت أيضًا في الإيمان. وأيضًا من حديث أبي أمامة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: [مَن أحبَّ للَّهِ وأبغضَ للَّهِ ، وأعطى للَّهِ ومنعَ للَّهِ فقدِ استَكْمَلَ الإيمانَ] انظروا.. هنا بأعمال قلوب واستكمل بها الإيمان، من أحب وأبغض لله وأعطى ومنع لله فقد استكمل الإيمان، ولما قال [استَكْمَلَ] إذًا يوجد نقصان، ودل ذلك أيضًا على نقصان الإيمان بقلة هذه الأعمال وإذا الانسان يستكملها أن يزيد فيها الإيمان. وكما ذكر معنا المؤلف أيضًا من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: "أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا: أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا"، (أَكْمَلُ) إذًا درجات الإيمان. ومنه قول النبي ﷺ: [خيرُكم خيرُكم لأهلِهِ وأنا خيرُكم لأهلي].

ألم تروا الآن كل هذه الأدلة التي تقول أن الإيمان يزيد وينقص، **فأين عقول القوم؟ المرجئة ألم يروا كل هذه الأدلة؟!** ألم يطلعوا على هذه الآيات؟! ألم يطلعوا على هذه الأحاديث؟! كيف يقولون بعد ذلك أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص! ما هو لابد عندهم كلام، لن نستفيض في الخلاف ولكن نبين أن المرجئة ماذا سيقولون في هذه الأحاديث وهذه الآيات الصريحة، وكيف يقولون بأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص أيضًا، لأنهم أولًا وضعوا أصلًا كما كنا نتكلم أصوليًا، فهذه الأصول تمشي معكم هي أصول في الشريعة، ليست في الفقه فقط، **أولًا وضعوا أصلًا فاسدًا**، أخطأوا في تعريف الإيمان، وجعلوا الإيمان تصديقًا فقط ويكون في القلب، ولما كان الإيمان تصديقًا فليس عندهم فيه تفاوت، مع أن هذا أيضًا خطأ، لكن أولًا أخطأوا في تعريف الإيمان، وجعلوه تصديقًا، إذًا التصديق عندهم لا يتفاوت لأنهم حصروا الإيمان في التصديق، أو في المعرفة، أو في العلم، إلى آخر ما بينا من قبل في مسألة هؤلاء، أو حتى – كما سنبين – **الخوارج** الذين لم يقولوا بنقصان الإيمان، وحتى هم لم يقولوا حقًا بزيادة الإيمان – وأنا سأبين ذلك – لأنهم جعلوا أيضًا الإيمان مركب، فأيضًا وقعوا في أصل باطل أولًا، فهكذا تجد المخالف لما يؤصل أصل ثم يجد أدلة تعارض الأصل الذي عنده، الصحيح بأنه ينقض أصله، أو يخصصه، أو يقيده إن أمكن، أو ينظر إلى أصله إن كان فاسدًا يعود عنه ويرجع إلى الأصل الحق، لكنهم لم يعودوا إلى ذلك، واضطروا كلما تأتيهم أدلة تصادم الأصل الذي عندهم كما فعل غيرهم في مباحث كثيرة في العقيدة كالأشاعرة والماتريدية والمعتزلة والجهمية في مسألة الأسماء والصفات، بعد أن يؤصلوا الأصل فأرادوا أن ينافحوا عن الأصل، فيعترضون على الأدلة الأخرى ويؤولونها إما بتأويل فاسد أو باطل إلى غير ذلك.

هنا أيضًا وضعوا الأصل بالتصديق، طيب وكل هذه الأدلة والأحاديث ماذا سيقولون؟ يقولون لا، هذا ليس دلالة على زيادة الإيمان، فما هذا إذًا؟ قال هذا تجدد الإيمان! أي قالوا هذا عندنا تجديد للإيمان لكن ليس دلالة على زيادة الإيمان ونقصانه، أي أنهم يقولون كل هذه الآيات والأحاديث بمعنى تجدد الإيمان ليس معناه أن الإيمان يزيد ولا ينقص! لا ليس هذا معناه.

ولا أقول أدلة لكن آثار، مثل **[إنَّ الإيمانَ ليَخلَقُ في جوفِ أحدِكم كما يَخْلَقُ الثوبُ، فاسألُوا اللهَ أن يُجدِّدَ الإيمانَ في قلوبِكم]** وهذا الكلام طبعًا إن كان ورد كأثر وليس هذا فيه شيء، نعم جدد الإيمان في قلبه لكنه تأويل غير مقبول وغير سائغ أن تكون كل هذه الأدلة دلالة على تجدد الإيمان وهي صريحة في زيادة الإيمان بالألفاظ الصريحة وبالألفاظ غير ذلك، لكن أنا نقلت لكم ما يؤولون به هذا التأويل غير المقبول أن يقولوا لنا كل هذه الأحاديث والآيات مقصود

فيها عندنا فقط أن الإنسان يجدد إيمانه فقط وليس معناه أن الإيمان يزيد.. لماذا؟ لأنه سيخالف الأصل الذي قد تكلمنا عنه.

أما الآثار عن السلف فكثيرة جدًا ممكن أنتقي منها فقط مثلًا واحد أو إثنين؛ حديث كما قال ابن أبي مليكة من أشهر الآثار قال:[أدركتُ ثلاثينَ من أصحابِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم كلُّهم يخافُ النِّفاقَ على نفسهِ، ما منهم أحدٌ يقولُ إنَّه على إيمانِ جبريلَ وميكائيلَ] انتبهوا هذا طبعًا رد على المرجئة، ثلاثين من الصحابة كله يخاف على نفسه النفاق، والدلالة على أن الإيمان عنده ليس متساوي ولا أحد يقول أنه على إيمان جبريل وميكائيل، إذًا هو لا يمكن أن يصل إلى النفاق إلا إذا الإيمان نزل، هو كيف يصل إلى النفاق؟ لابد أن الإيمان ينزل إلى أن يكون منافقًا، إذًا هذه دلالة على ماذا؟ على أنهم يرون أيضًا نزول الإيمان. وكل هذا طبعًا رد على المرجئة الذين لا يرون بزيادة الإيمان ولا بنقصانه.

الإشكال أن قول المرجئة لو تفحصت النظر فيه لماذا نقول أنه من أخبث الأقوال؟ لأن يظهر فيه النفاق – والعياذ بالله – أي أنك لو نظرت إلى قول المرجئة الذين يقولون الإيمان لا يزيد ولا ينقص إذًا هو الآن عنده التصديق موجود، وتجد في قولهم أنهم قد أمنوا العذاب، أنت الآن أمنت من العذاب، لماذا؟ لأنك تقول الإيمان عندي في قلبي وتصديق فقط ولا فرق بين إيماني وإيمان أحد، والأعمال ليس لها تأثير، فانت أصبحت الآن آمن للعذاب، وهذا القول هو قول أهل النفاق، فلما يقولون إيمان جبريل كإيمان آحاد الأمة. عمر رضي الله عنه وأرضاه لما مات رجل فلم يصلي عليه حذيفة، فعلم عمر بأن لما حذيفة لا يصلي أن هذا الرجل ممن عده النبي ﷺ من المنافقين، فلم يقف عمر عند هذا الحد، بل ذهب إلى حذيفة وأصر عليه قال أنشدك بالله هل سماني النبي ﷺ فيهم؟ من الذي يقول؟ عمر خاف على نفسه من النفاق، وطبعًا القصة معروفة لما بكى فقال حذيفة لم يخبرني عنك. ما الذي جعل عمر يفعل هذا؟ **انتبهوا** ما الذي جعل عمر يسارع إلى حذيفة لما رأى ذلك؟ خشي على نفسه أن يكون مثل هذا فأراد أن يتاكد مع أنه عامر الإيمان ولم يأمن أن يكون من المنافقين ويموت على النفاق، لأن لا أحد يأمن أن ينقص الإيمان عنده، الذي يأمن بنقصان الإيمان هم أهل النفاق، لذلك لو نظرت إلى قول المرجئة ستجده يلازم قول أهل النفاق الذين أمنوا نقصان الإيمان وأمنوا كل شيء، فلازم قول المرجئة أنهم لا يرون بتفاضل ولا يرون الإيمان يزيد ينقص، وعندهم الإيمان ثابت، فكأنه خلاص مؤمن لذلك يقول أنا مؤمن يضرب على قلبه ويقول أنا قلبي عامر بالإيمان وهو لا يفعل شيئًا من الأعمال!

ورد عن أبي الدرداء أيضًا رضي الله عنه قال: (من مئنة الرجل أن يتعاهد قلبه فان الإيمان يخلق في القلب – أي يقل، كأنه يبلى – وينظر في إيمانه يزداد أم ينقص) وهذا حري بكل منا أن يفعل ذلك؛ يتعهد قلبه، أولًا ينظر هل قلبه حقًا بيزداد إيمانًا بفعل الطاعة؟ هل يزيد إيمانه في قلبه وفي جوارحه لما يصلي، لما يقرأ القرآن، لما يصلي يخشع، لما يسمع كلام الله عز وجل، لما يسمع لسنة النبي ﷺ ، لما يسمع لدروس العلم، لما يراجع دروسه، لما يعمل حتى أعمال فيها خير ونفع متعدي؟ لابد يتعهد.. هل يشعر بقلبه يزداد إيمانًا؟ وعلى النقيض.. إذا نظر نظرة محرمة هل ممكن يجلس الليل كله يعاتب نفسه على ذلك؟ إن تأخر في الصلاة ولم يدرك الجماعة مثلًا أو نام عن صلاة هل يشعر بأن قلبه قد تغير وأنه قد شعر بالمعصية في قلبه أم لا؟ من كان قلبه حيًا فلابد أنه يشعر بالطاعة وبالمعصية؛ بالطاعة يشعر بزيادة الإيمان وحلاوته، وبالمعصية يشعر بنقصان الإيمان في قلبه والغمامة فيه والحزن والنكد لأنه قد اقترف شيئًا.

لكن الفارق بأن المؤمن حقًا يعود فيتوب ويستغفر ويرجع إلى ربه، لا يقنط من رحمة الله لأنه يعلم بأن لا أحد معصوم، والله يحب كل من من عصى أن يتوب ويستغفر إليه، وهذا فارق هذا، أيضًا دلالة على أن القلب فيه حياة، وإلا كما قال أبي الدرداء من مئنة الرجل أن يتعاهد نفسه، يتعاهد قلبه، ويتعاهد إيمانه، وينظر فيه. ولذلك لابد أن نبين **ما الأسباب التي تؤدي إلى زيادة الإيمان؟ وما الأسباب التي تؤدي إلى نقصان الإيمان؟**

قد يكون معلوم لكثير منكم لكن الباب هنا لابد أن يلامس هذه المسألة، لأنه هذا أصل وجود المرء في الدنيا؛ هو عبادة الله عز وجل والإيمان، وبقدر الإيمان بقدر ما يجعل المرء له درجة عند الله عز وجل، فتفاوت الإيمان بتفاوت الدرجات. مئنة الرجل أي فقه الرجل، المئنة أي الفقه، كما قال النبي ﷺ:[**إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ، وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ؛ مَئِنَّةٌ مِن فِقْهِهِ**]. فنقول زيادة الإيمان لها أسباب ولابد أن المرء يبحث عن زيادة الإيمان، وهي ليست محدودة، وأيضًا لا يستطيع كل منا أن يدرك كل أسباب الإيمان لكنه على الأقل لابد يعلمها ويتعهدها ويسير في بعضها حتى يزداد إيمانه، بعضنا يزداد إيمانه بسبب والآخر بسبب آخر، والذي يستطيع أن يتنوع في الأسباب فلا شك أن ذلك أفضل.

أسباب زيادة ونقصان الإيمان:

1- أول سبب صريحًا في زيادة الإيمان – وقد نقل في الباب – **أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية**، إذًا أعظم أسباب زيادة الإيمان الطاعات، وأقوى أسباب نقص الإيمان المعاصي،

وأقولها تصريحًا أن اقوى أسباب زيادة الإيمان في الطاعات طاعات القلوب، كما بينا التلازم، وأن أصل الشيء هو القلب. لذلك من أراد أن يصل إلى أعظم درجات الإيمان بأعظم الطاعات لابد يتعهد أعمال القلوب؛ اليقين، والتوكل، والخشية، والإنابة، والحب في الله والبغض، والخوف، والرجاء،.. والحديث حتى الذي ذكر فيه النبي ﷺ السبعين ألف الذين يدخلون الجنة بغير سابقة حساب ولا عقاب – المعلوم لديكم – ذكر أربع أصناف:[لا يَكْتَوُونَ، ولا يَسْتَرْقُونَ، ولا يَتَطَيَّرُونَ، وعلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ] انظروا... (لا يَسْتَرْقُونَ) أي لا يطلبون الرقية، لا يميل القلب للراقي، القلب مائل إلى الله عز وجل، فلا يطلب الرقية من أحد؛ إما يرقي نفسه ويسأل الله عز وجل. فكأنه حوَّل القلب من سبب – والراقي سبب شرعي لا نزاع فيه – إلى الله عز وجل النافع الضار سبحانه وتعالى، فهنا كانت طلب الرقية، هذه مقامات أقول. (ولا يَتَطَيَّرُونَ) أيضًا التشاؤم سوء ظن بالله عز وجل، وهذا ليس من شيم أهل الإيمان، فلا أحد ينفع ولا يضر إلا الله عز وجل، فالقلب هنا قال (لا يَتَطَيَّرُونَ) مال أيضًا إلى الله عز وجل ميلًا كاملًا. (لا يَكْتَوُونَ) البعض من أهل العلم "لا يكتوون" مع أنه عمل ظاهري لكن بعضهم ارجع الاكتواء إلى قلة في التوكل، لأنه قد ورد حديث عن النبي ﷺ قال: [مَنِ اكْتوى أو استَرْقى ، فقد بريءَ من التَّوَكُّلِ] فدل على أن هناك ربط بين الإكتواء وبين التوكل، والتوكل عمل قلبي. ثم الرابعة (وعلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) كأن التوكل نتيجة للمقامات الثلاثة أعلاه؛ وهي طلب الرقية –الإسترقاء – والتطير والاكتواء. الشاهد أن الحديث كله لو نظرت إلى الأصناف كلها أصناف قلبية، أو علو في الإيمان القلبي.

فالحق السبب الرئيسي في زيادة الإيمان هي أعمال القلوب، تطهير القلب من الغل، من الحقد، من الرئاسة، من حب الظهور، من الرياء، وإدخال مقامه التوكل، والخشية، والإنابة، والرضا، والحب، إلى غير ذلك، لا شك يعلو فيه المرء علوا كبيرًا، ويظهر ذلك ظاهرًا على أعمال الجوارح بعد ذلك. مدار الأمر كله على القلوب، انا أقول وليس هذا اختصارًا، لكن أنا أقصد قوة وزيادة الإيمان لا شك تكون في أعمال القلوب، وأعمال الجوارح أيضًا لأن قلنا تلازم – حتى لا أكرر – فالصلاة لو خشع قلبه لخشعت جوارحه، فالصلاة الظاهرة مرتبطة، الصيام والصلاة والزكاة والحج والعمرة لابد مرتبطة، فأنت ممكن تؤدي أحكام الحج والعمرة والقلب لا يوجد غير الموبايل شغال ليسجل أو التليفونات شغالة بتعقد الصفقات، ومتى سننتهي؟ ومتى سنرجع؟ وسنرمي في أي ساعة حتى لا يكون هناك ازدحام... مناسك حركات فقط! وهناك من في كل موطن من مواطن الحج تجد قلبه فيه علو مع أنه يفعل طاعة أو عبادة بالجارحة،

لكن القلب مربوط بهذه الجارحة، فيتذكر فعل النبي ﷺ ، يتذكر هنا التقوى التي قال عنها الله عز وجل، يستغفر، يتوب، إلى غير ذلك، الترابط بين ذلك.

أيضًا يحضرني في ذلك حديث النبي ﷺ حيث كان في مجلس مع أصحابه فقال يخرج عليكم الآن رجل من أهل الجنة، فخرج رجل، ثم في اليوم الثاني قال النبي ﷺ يخرج عليكم رجل من أهل الجنة، خرج نفس الرجل، فعبد الله بن عمرو بن العاص – هِمم – قال ما هذا الرجل يخرج علينا من أهل الجنة ما الذي يفعله؟ لأبيتن عنده لأرى حاله- كما جاء في الحديث – فادعى حيلة ما على أنه يبيت عنده، فوجده ليس عنده كبير طاعة في قيام ليل كثير، أو جهد أو صوم صباحًا أو غير ذلك، فحكى عليه القصة قال قال النبي ﷺ يدخل عليكم رجل من أهل الجنة فدخلت أنت، فأردت أن أعلم ما الذي تفعله؟ حتى يتأسى. وهنا الرجل صرح له مع أنه ليس له أن يصرح لكنه من باب قول النبي ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) فبين له أنه كان يبيت وليس في قلبه لأحد شيء، مسألة عظيمة جدًا، ليست بالهينة حقًا، انظر.. أنك تبيت كل يوم الآن وأنت ليس في قلبك لا غل ولا حسد ولا حقد ولا غضب على أحد من الأصدقاء، أو أحد من المعارف، وتكون نقي السريرة، كان هذا الفعل سببًا لدخول الجنة.

والأمور كثيرة حقيقة لكن أنا قدمت الطاعات الأول التي هو الأصل في هذه المسألة، على أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وقلت جُل الطاعات العبادات القلبية.

2- أسباب أخرى تزيد الإيمان ومنها – وأهم ما نحن فيه الآن – **مجالس العلم**، إذا أراد المرء أن يزيد إيمانه فمن أعظم الوسائل في زيادة الإيمان كما قال علماؤنا وكما جاءت السنة بذلك: مجالس العلم، فمجالس العلم تحفها الملائكة، قال النبي ﷺ: [**ما جلَس قومٌ في مسجِدٍ مِن مساجِدِ اللهِ يَتْلونَ كتابَ اللهِ ويتدارَسونَه بَيْنَهم إلَّا نزَلَتْ عليهم السَّكينةُ وغشِيَتْهم الرَّحمةُ وحفَّتْهم الملائكةُ وذكَرهم اللهُ فيمَنْ عِندَه**] انظروا.. الملائكة أنها تتواجد في مكان إلا فيه خير وبركة، فنزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله في من عنده، أنت الآن في مجلس العلم، وهذه منقبة ما بعدها منقبة، الملائكة تصعد بعد مجالس العلم إلى الله عز وجل وهو أعلم بمن كان فيهم، فيقدمون أسماء من كانوا يحضرون مجالس العلم إلى الله عز وجل، انظر أنت تتخيل الآن اسمك فلان بن فلان أو فلانة بنت فلان بأنك كُتب اسمك عند الله عز وجل، بل رأى الله عز وجل اسمك – وهو أعلم بحالنا جميعًا – عند رب العالمين فهذا خير كثير، خير عظيم، قال النبي ﷺ: [**إذا مررتُم برياضِ الجنَّةِ فارتعوا قالوا وما رياضُ الجنَّةِ قال**

حِلَقُ الذِّكرِ] فمن أعظم الوسائل كما قلنا مجالس العلم. أيضًا جاء عن النبي ﷺ: [إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً، فُضُلًا يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فيه ذِكْرٌ قَعَدُوا معهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ، حتَّى يَمْلَؤُوا ما بيْنَهُمْ وبيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إلى السَّمَاءِ، قالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَهو أَعْلَمُ بهِمْ: مِن أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فيَقولونَ: جِئْنَا مِن عِندِ عِبَادٍ لكَ في الأرْضِ، يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ، قالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قالوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ، قالَ: وَهلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قالوا: لَا، أَيْ رَبِّ قالَ: فَكيفَ لو رَأَوْا جَنَّتِي؟ قالوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ، قالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي؟ قالوا: مِن نَارِكَ يا رَبِّ، قالَ: وَهلْ رَأَوْا نَارِي؟ قالوا: لَا، قالَ: فَكيفَ لو رَأَوْا نَارِي؟ قالوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ، قالَ: فيَقولُ: قدْ غَفَرْتُ لهمْ فأَعْطَيْتُهُمْ ما سَأَلُوا، وَأَجَرْتُهُمْ ممَّا اسْتَجَارُوا، قالَ: فيَقولونَ: رَبِّ فيهم فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ، إنَّما مَرَّ فَجَلَسَ معهُمْ، قالَ: فيَقولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ هُمُ القَوْمُ لا يَشْقَى بهِمْ جَلِيسُهُمْ]نسأل الله عز وجل أن يغفر لنا، وأن يجيرنا من النار، وأن يدخلنا جنته، وأن يدركنا فيها الفردوس الأعلى مع النبي ﷺ ، وأن يقبل ذلك منا إنه هو الكريم المنان التواب الرحيم الغفور، يارب تعلم بحالنا وبمجلسنا وبما نحن فيه، نسأل الله عز وجل أن يكون هذا إخلاصًا لك لا رياء، اللهم تقبل ذلك منا، اللهم اغفر لنا ذلك، يا رب تب علينا، واعف عنا، واجعله في موازيننا يوم نلقاك.

3- السبب الثالث من أسباب زيادة الإيمان هو **الدعاء**، وهذا من أعظم الأسباب، لذلك كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه يقول:[إني لا أحمل هم الإجابة ، وإنما أحمل هم الدعاء] وكما نفرط نحن في أوقات للدعاء، ونتغافل عن الدعاء، ولكن الدعاء ليس ترديدًا باللسان فقط، الدعاء لابد فيه من استحضار القلب، وإلا لو كان الدعاء بالذكر فقط لكان حال الأمة غير ذلك، لكنها قلوب يقبل الله عز وجل منها الدعاء، وأناس لا يُقبل منهم الدعاء، فنحن نقرأ في كل ركعة من قوله تعالى:{ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ} [الفاتحة:6]، لو كان هذا الدعاء خالصًا من قلوبنا تقبله الله عز وجل فهدانا إلى الصراط المستقيم، فالهداية إلى الصراط المستقيم زيادة في الإيمان. ومنها قول الله عز وجل لما قال للنبي ﷺ في كتابه: {وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا} [طه:114]، فكان ابن مسعود كثيرًا ما يردد هذا الدعاء، ونحن ندعو الله عز وجل أن يزيدنا من العلم والعمل به، ودائمًا الدعاء بالعلم هو معناه عند العلماء العلم الذي يُعمَل به، وهذا لابد أن يكون واضحًا لكل طالب وطالبات العلم، بل قالوا العلم الذي لا يُعمل به لا فائدة منه، والبعض قال لا أجر فيه أصالة، فلابد أن تكون النية في العلم العمل به.

4- من أهم أسباب زيادة الإيمان **التمسك بسنة النبي ﷺ**، الثبوت على السنة زيادة إيمان، والحيد عن السنة والإنتقال إلى البدعة نقص في الإيمان، وهذا ليس بكلامي ولا من كيسي،

يوم القيامة على الحوض كل الناس تذهب لتشرب من يد النبي ﷺ فيأتي أناس والنبي ﷺ يقبل عليهم فتأتي الملائكة تمنعهم فيقول رب أمتي أمتي، [فيُقالُ: إنَّكَ لا تَدْرِي ما أحْدَثُوا بَعْدَكَ، فأقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَن غَيَّرَ بَعْدِي] فأنت تُحرَم الشرب من حوض النبي ﷺ ومن يده الشريفة التي إن شربت منها شربة واحدة لن تظمأ بعدها أبدًا، نسأل الله عز وجل أن يمن علينا بهذه الشربة جميعًا. فما الذي منعك من ذلك؟ البدعة. والبدعة نقص في الإيمان، والتمسك بالسنة زيادة في الإيمان، قال النبي ﷺ: [يا أيُّها النَّاسُ، إنِّي قدْ تَرَكْتُ فيكُمْ ما إنِ اعْتَصَمْتُمْ به فلن تَضِلُّوا أبَدًا؛ كتابَ اللهِ وسُنَّةَ نَبِيِّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ] "إن تمسكتم" أي إن ثبتتم واستمررتم على ذلك، فهذا زيادة سيكون في الإيمان. ومنها أيضًا التمسك بالسنة قول النبي ﷺ: [مَن سَنَّ في الإسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أجْرُهَا وأجْرُ مَن عَمِلَ بهَا بَعْدَهُ، مِن غيرِ أنْ يَنْقُصَ مِن أُجُورِهِمْ شَيءٌ] الأجور بتزيد بزيادة الإيمان، لذلك حرص الناس على تعليم الناس، وعلى إعطاء الصدقات الجارية التي فيها نفع متعدي ومتكرر هذا لا شك بأنه فيه زيادة الأجور، وفيه زيادة الإيمان.

وبالنقيض في السنة.. قول النبي ﷺ من حديث عائشة – أصل من أصول الدين- [مَن عَمِلَ عَمَلًا ليسَ عليه أمْرُنا فَهو رَدٌّ] أي ينقص، يرد عليه، والنقصان دلالة على الزيادة أيضًا، أي من ابتدع في دين الله عز وجل فعمله رد مردود عليهم باطل. ومنها تصريح النبي ﷺ قال: (من تمسك بسنتي فقد أحبني) انتبهوا... ما الربط بينه وبين الإيمان؟ قال (من تمسك بسنتي فقد أحبني)، وقال النبي ﷺ في الحديث الآخر: [لا يُؤْمِنُ أحَدُكُمْ حتَّى أكُونَ أحَبَّ إلَيْهِ مِن ولَدِهِ ووالِدِهِ والنَّاسِ أجْمَعِينَ] إذًا من تمسك بالسنة قد أحب النبي، ولما أحب النبي [لا يُؤْمِنُ أحَدُكُمْ حتَّى أكُونَ أحَبَّ إلَيْهِ...] دل ذلك على على زيادة الإيمان.

5- السبب الخامس؛ **اتباع الفرائض بالنوافل**، كلما يزيد المرء من النوافل بعد الفرائض هذه أيضًا من أسباب زيادة الإيمان، كما جاء من حديث ربيعة بن كعب الأسلمي قال: [كُنْتُ أبِيتُ مع رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ فأتَيْتُهُ بوَضُوئِهِ وحَاجَتِهِ فَقالَ لِي: سَلْ] الله أكبر، فقال.. انظر إلى فقه الرجل.. النبي ﷺ يقول له سل، هي فرصة تأتيك كما جاءت لعكاشة قال اجعلني أن أكون منهم قال أنك منهم ولكنه كله بقدر من الله عز وجل، لكن هنا قال له: [سَلْ فَقُلْتُ: أسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ في الجَنَّةِ. قالَ: أوَ غيرَ ذلكَ قُلْتُ: هو ذَاكَ] هو وجوده في الدنيا كلها لهذا الأمر، [قالَ: فأعِنِّي علَى نَفْسِكَ بكَثْرَةِ السُّجُودِ] كثرة السجود ليست الفرائض فقط، لا، النوافل بعد الفرائض. لذلك كنت أرى من بعض شيوخنا كثرة السجود في اليوم، حتى لو صلاة سريعة أو موجزة لكنه يكثر من السجود، وكنا نرقبه في ذلك، طبعًا تأويلًا لحديث النبي ﷺ: [فأعِنِّي علَى

نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ] طمعًا في مرافقة النبي ﷺ ، وهذا من أسباب زيادة الإيمان. قال الله النبي ﷺ: [مَن سجَدَ للهِ سَجدةً، كتَبَ اللهُ له بها حَسَنةً، وحطَّ بها عنه خَطيئةً، ورفَعَ له بها دَرَجةً] .

والحديث القدسي المعروف للجميع والمشهور: [مَن عادَى لي وَلِيًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بشَيءٍ أحَبَّ إلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الَّذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها] قول الله عز وجل: [أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عليه] إذًا الفرائض أحب إلى الله، ثم النوافل بعد ذلك. وهذا الحديث فيه فقه حقيقة خفي قليلًا، بمعنى؛ الظاهر لاشك أن كثرة النوافل سيصل بها المرء إلى حب الله عز وجل، لكن الجزء الثاني لما قال فبي يسمع وبي يبصر وبي يمشي، يظهر حفظ الله عز وجل للعبد من ارتكاب المعاصي والذنوب، بل نزيد عن ذلك بأن إن فعل العبد حتى المعصية أو الذنب فمن كثرة نوافله عند ربه وحب الله عز وجل له سيلهمه ويوفقه إلى التوبة ويرفع درجته بعد ذلك، وهذا كله من إكثاره من النوافل لأنه وصل إلى حب الله عز وجل له، الله يحبه، فلما أحبه فكان لا يسمع إلا ما يرضي الله، ولا يبصر إلا ما يرضي الله، ولا يسير إلا في مرضاة الله، ولا شك بأن العبد يعصي لأنه غير معصوم فكان من كرم الله عليه بأن كانت هذه النوافل التي يكثر منها كانت سببًا في أن الله عز وجل يعود به مره أخرى سريعًا، بل يرفع درجته، وهذا قد حدث مع أفضل الخلق هم الأنبياء الذين وقعوا في بعض الذنوب فكان الله عز وجل من حبه لهم لأن هو اصطفاهم للناس رسلًا وأنبياء فلما وقعوا فيما فيه غفر لهم وزادهم ورفع مكانتهم أكثر، قال الله عز وجل عن آدم: {وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ * ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ} [طه:121-122]، ليس تاب عليه فقط، بل وهدى، ومنزلة الهداية أعلى من منزلة التوبة. وأيضًا لما قام موسى عليه السلام ونسب إلى نفسه علمًا خطيبًا في الناس وقال أنه أعلم من في الأرض ولم ينسب العلم إلى الله عز وجل عاتبه الله عز وجل لأنه لم يرد العلم إليه، فأوحى إليه أن هناك عبدًا هو الخضر – طبعًا على خلاف هو نبي أم عبد صالح – من عبادة بمجمع البحرين هو أعلم منك، فذهب إليه موسى عليه السلام وقال: {سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا} [الكهف:69]. فانظر.. لما تاب موسى من عتاب الله وتواضع، لأنه في الأول هو لم كان العتاب؟ لأنه ادعى العلم لنفسه، فلما رجع عن ذلك وأرسله الله عز وجل إلى الخضر قال له: {سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا} [الكهف:69]، تواضع موسى عليه السلام، فقه ما كان منه ورجع عن ذلك، فازداد موسى رقيًا ورفعة بعد ذلك كما قال النبي ﷺ: [ما تَواضَعَ أحَدٌ للَّهِ إلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ] . الشاهد بأن

من فعل العبد بالنوافل والإكثار ليس فقط يزداد الإيمان، بل إن وقع وزل يعود، وهذا من فضل الله عز وجل ومن حب الله عز وجل له.

أقوال الذين خالفوا أهل السنة والجماعة في أن الإيمان يزيد وينقص:

سأختم فقط بالأقوال لأن هناك مسألة من الناحية العلمية أكثر من الدعوية الآن، في الذين خالفوا أهل السنة والجماعة، في مسألة الإيمان يزيد وينقص، حتى يكون عندكم الأقوال في هذه المسألة مجمعة. كل ما قلناه كنا نتكلم عن أهل السنة والجماعة في اثبات أن الإيمان يزيد وينقص.

قول المرجئة:

وهؤلاء أول قول خالف أهل السنة والجماعة، وقلنا أخبث الأقوال وأضلهم، هم يقولون بأن الإيمان شيء واحد لا يتبعض، لأنهم عندهم الإيمان كما قلنا – ارجعوا إلى تعريفه في مسألة التصديق بالقلب أو بالمعرفة أو إلى غير ذلك – فقالوا الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وقالوا أن الناس في الإيمان واحد جبريل، وكميكائيل، كمحمد ﷺ ، كأبو بكر، كعمر، كحتى العصاة. وأقول أنهم قالوا في كل الأدلة هذه أن هذا تجدد للإيمان لا إزدياد، لذلك وقع فيه أيضًا مرجئة الفقهاء تجد في الطحاوية في كلامه قال: (وأهله – أي أهل الإيمان – في أصله سواء) وحتى هذا لا نوافقه عليه؛ الذي هو التصديق، جعل الناس سواسية في التصديق، وطبعًا هذا معناه أن الإيمان عنده أيضًا سواسية، وحتى تصديق القلب نحن لا نوافقه بأن هو ليس فيه تفاضل، قال إبراهيم عليه السلام كما قال الله عز وجل قال:{ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ} [البقرة:260]، إذًا إطمئنان القلب فيه تفاضل أيضًا، لأن ليس المعاين كالمخبر. إذًا الإيمان عند المرجئة سواء.

قول الخوارج:

الإشكال عند الخوارج أن الإيمان واحد لا يتجزأ أيضًا وإن كان مركب من قول وعمل وتصديق كأهل السنة لكن عندهم مركب، إذا ذهب الجزء ذهب الكل. قالوا الإيمان لا ينقص، طبعًا لا ينقص هذا لابد على أصلهم، لماذا على أصلهم؟ لأن لو نقص سيخرج من الإيمان، يخرج من الإسلام، لأن عندهم الإيمان مركب؛ إن عصى فأذنب فلم يأت بالواجب فنقص الإيمان، لما نقص الإيمان خرج من الإيمان بالكلية. إذًا هم يقولون الإيمان لا ينقص على أصلهم، إذًا اتفقوا

مع الخوارج أيضًا في نقصان الإيمان، لكن طبعًا العجيب بأنهم اتفقوا مع أن الأصل أنه مختلف، فالمرجئة يرون الإيمان تصديق فقط، والخوارج يرون الإيمان قول وعمل، لكنهم أيضًا لأن التأصيل عندهم فيه إشكال؛ هم قالوا مركب واحد، وهناك قالوا فرد واحد، فالاثنين اجتمعوا واختلفوا؛ اختلفوا في أصل تعريف الإيمان، لكن اجتمعوا في أنه لا يتجزأ، فقالوا لا ينقص.

لكن ورد عن الخوارج أنهم يقولون يزيد ولا ينقص، هو الفارق طبعًا عند أهل السنة والخوارج أن أهل السنة يقولون بأن المرء يجتمع في قلبه الإيمان والكفر، لكن طبعًا الكفر دون الكفر الأكبر، وهم يقولون لا يجتمع في المرء إيمان وكفر. هم قالوا – الخوارج – لما قالوا الإيمان يزيد هم لم يقولوا زيادة الإيمان كزيادة أهل السنة والجماعة، لذلك الصحيح أنك ممكن أن تقول أن الخوارج أيضًا لا يقولون بزيادة الإيمان كأهل السنة لكن يقولون الإيمان يزيد، كيف زيادة الإيمان؟ يقولون الغني الذي عنده مال يطالَب بتكليفات ليس كالفقير، الغني الذي عنده مال لابد أن يزيد عليه في الزكاة، إذًا هذه زيادة أم لا؟ زيادة عنده في الإيمان، زيادة في الإيمان في التكليف أنه سيخرج زكاة، فقالوا مثلًا الذي يصلي قائمًا أزيد في الأجر من الذي يصلي قاعدًا من الذي يصلي مضطجعًا، فهم هنا نظروا إلى أن الزيادة في التكليف على المكلف ليست الزيادة في الإيمان التي يقول بها أهل السنة والجماعة. فحتى قوله في زيادة الإيمان ليس هو قول أهل السنة والجماعة في ذلك، **انتبهوا**.. وإن كان يُكتب أنهم يقولون بالزيادة، لذلك حتى لو وجدت أن بعض الكتب تقول أن الخوارج يقولون بالزيادة والنقصان فنعم، هو يقصد القائل هذا أو المؤلف أو الكاتب أنه لا يقصد الزيادة التي عند أهل السنة والجماعة، يقصدون الزيادة كما قلت في التكليفات فقط، أي اختلاف أحوال الناس؛ المريض إذا صلى جالسًا، أو رجل صحيح صلى قائمًا، أو رجل ثري أو رجل فقير هذا يعطي الأموال وهذا لا يعطي، قالوا اختلاف الأحوال، أي نتيجة اختلاف أحوال الناس دل ذلك على زيادة الإيمان عندهم. ويستدلون طبعًا بحديث النبي ﷺ: [ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالأُجُورِ].

لابد أن نشير لقول الإمام مالك لأن الإمام مالك ورد عنه أنه قال الإيمان يزيد ولا ينقص، لكنه لم يقل بزيادة الإيمان كما قالت الخوارج، ولا هو يقول بقول الخوارج أصلًا في الإيمان، وقد نُقل كما قلنا هنا ونَقل عنه الإمام في الكتاب بعض تلاميذته نقلوا عنه قال الإيمان يزيد وينقص، لكن مشهور عن الإمام مالك أنه قال أن الإيمان يزيد فقط، وليس هذا معناه أنه لا يقول بتفاضل الأعمال، لا، هو يقول، وتعريفه للإيمان صحيح، لكن يقول بأني وجدت في الكتاب الإيمان يزيد ولم أجد في الكتاب ما فيه نقص للإيمان، فقال بذلك. ونقول إحسانًا بالظن بأن الإمام مالك اجتهد في ذلك وهو إمام من أهل السنة والجماعة، وان كان هذا الاجتهاد لا

يُقبَل ونعتذر له، أو كما نقول لبعض أصحابه كما نقل هنا بأنه ورد عنه أن الإيمان يزيد وينقص، لكنه لعله قال بأن الإيمان يزيد ولا ينقص، قلنا لماذا؟ قال لأنه لم يجد في كتاب الله عز وجل شيء صريح في نقصان الإيمان فوقف عند ما جاء به الكتاب، هذا هو المقصود. وعمومًا اعتذر الإمام مالك أو لم يعتذر، رجع أو لم يرجع، كما قال الأصحاب، فهذا نقول إحسانًا بالظن أنه اجتهد في المسألة ولم يوفق فيها، لكن قول أهل السنة والجماعة في ذلك واضح. لكن لا يقال بأن الإمام مالك يقول بقول الخوارج، حتى الإمام مالك في زيادة الإيمان يقول بزيادة الإيمان كما عند أهل السنة ليس كما عند الخوارج الذين يقولون فقط أن زيادة الإيمان لاختلاف الأحوال؛ أن هذا مريض وهذا صحيح، هذا غني وهذا ثري.

تبقى مسألة فقط لابد أن نشير إليها أن الإمام الآجري قال:"**الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ**" لكنه جاء في الإسلام قال: "**وَالْإِسْلَامُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: يَزِيدُ وَيَنْقُصُ**" وهذا الكلام فيه نظر ولا نقبله، ولو تذكروا لما تكلمنا عن تعريف الإيمان، العلاقة بين الإيمان والإسلام – الأسبوع الماضي أو الذي قبله – أشرنا إلى قول للزهري، أشرنا أن الزهري يقول بأن: (الإسلام الكلمة فقط والإيمان العمل) وهذا قول جعلناه انفرادًا مع أن الزهري من أئمة أهل السنة لكن قال الإسلام قول والإيمان عمل، وهذا ليس بقول أهل السنة والجماعة. لذلك هنا الإمام الآجري يقول: "**وَالْإِسْلَامُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: يَزِيدُ وَيَنْقُصُ**"وطبعًا هذا القول فيه نظر وردَّه بعض الشراح على أن الإمام الآجري كأنه في هذا الكلام يميل هنا إلى قول الزهري على أن الإسلام كأنه عنده الكلمة وهي "لا إله إلا الله" والإيمان هو العمل. ونحن بينا التلازم بين الإسلام والإيمان والعلاقة التي بينهم. فإذا وضع الإسلام في موضع الكلمة كقول الزهري، لا إله إلا الله، فقال لا زيادة فيها ولا نقصان، ولكن هذا الكلام عند التحقيق لا نوافقه عليه حقيقة، لأننا قلنا الإيمان الأعمال الباطنة القلبية، والإسلام بالأعمال الظاهرة، ويستأنس بحديث فيه ضعف:[**الإسلامُ عَلانيةٌ، والإيمانُ في القَلبِ**] إلى غير ذلك، وحديث جبريل لما جاء يسأل عن الإسلام فقال الأعمال الظاهرة، وعن الإيمان فذكر أركان الإيمان، وفي الإحسان. والرجل الذي جاء يسأل عن الإسلام فذكر النبي ﷺ [**خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي اليَومِ واللَّيْلَةِ. فَقَالَ: هلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قالَ: لَا، إلَّا أنْ تَطَوَّعَ.....**] قال: [**أفْلَحَ إنْ صَدَقَ**] فهذا كله إسلام، والإسلام فيه تفاوت. والنبي ﷺ قال: **مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ** وذكر النقص في الشهادة وفي الصلاة، وهذا إسلام ليس إيمان، إذًا يوجد تفاوت. فقول الشيخ: "**وَالْإِسْلَامُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: يَزِيدُ وَيَنْقُصُ**" حقًا هذا القول

مخالف لأن أهل العلم يقولون أن الإسلام يزيد وينقص، الإسلام معناه الاستسلام، إسلام الوجه وإسلام القصد، فإسلام الوجه، إسلام العمل، إسلام القصد الاستسلام والإنقياد بالمعنى الأشمل أو الأوسع للإسلام، فهنا الناس لا شك تتباين في الإسلام، ليس إسلام الوجه والقصد والقلب واحد عند الناس، فلابد أن نقول بأن الإسلام يتباين.

ولو نظرنا أيضًا إلى تقسيم حديث جبريل بأنه إسلام وإيمان وإحسان انظر إلى مراتب الناس في الإسلام، أي في الأعمال الظاهرة، هل الناس مراتبهم واحدة في الصلاة؟ لا. هل مراتبهم سواء في الصوم؟ لا. هل مراتبهم حتى في الحج والعمرة واحدة؟ لا، تختلف. إذًا هنا الإسلام يتفاضل، إذًا لا يمكن أن نصف الإسلام على مرتبة واحدة، كما أن أيضًا الإيمان ليس على مرتبة واحدة، إذًا أهل الإيمان يتفاوتون في المراتب وأهل الإسلام أيضًا يتفاوتوا في المراتب، فالإسلام يزيد وينقص، والإيمان أيضًا يزيد ينقص، وهذا الصحيح في هذه المسألة.

ونكون بفضل الله تعالى قد انتهينا من هذا الباب، ونقف عند باب عظيم جدًا أيضًا **بَابُ الْقَوْلِ بِأَنَّ الْإِيمَانَ تَصْدِيقٌ بِالْقَلْبِ، وَإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ لَا يَكُونُ مُؤْمِنًا، إِلَّا أَنْ تَجْتَمِعَ فِيهِ هَذِهِ الْخِصَالُ الثَّلَاثُ**، أيضًا هذا تأصيل لعقيدة أهل السنة والجماعة في هذا الباب، وهذا باذن الله تعالى سنتناوله من وجه، فنحن قد بينا فيه من قبل وشرحناه كثيرًا لكن إن شاء الله سنتعرض لمستوى أعلى؛ الشبهات التي ممكن تكون فيه، والرد على المخالف حتى نصل إلى اتقان بقدر ما نستطيع في ذلك، ولذلك قد يطول معنا بمرة أو مرتين أو أكثر، والله أعلم في ذلك.

المحاضرة الرابعة والثلاثون

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام على موعد مع شرح درس جديد من دروس كتاب الشريعة للإمام الآجري – عليه رحمة الله تعالى – واليوم ندخل في كتاب مهم جدًا من أبواب الإيمان بل لعله أعظم أبواب الإيمان على الإطلاق، وهو بيان حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة، وبيان معنى الإيمان، وكنا قد بيناه في سياق الأسابيع الماضية لما بدأنا الكلام عن الإيمان، لكننا نسير على ترتيب ذكر أبواب الكتاب. فاليوم المصنف يدخل بنا إلى مسألة أن الإيمان قول وعمل واعتقاد، إلى غير ذلك من الأمور التي يبين فيها عقيدة أهل السنة والجماعة في مسألة الإيمان، ويرد على من خالف أهل السنة والجماعة بطوائفهم؛ وخاصة المرجئة بأنواعها التي قد بيناها من قبل. وقفنا عند **بَابُ الْقَوْلِ بِأَنَّ الْإِيمَانَ تَصْدِيقٌ بِالْقَلْبِ، وَإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ لَا يَكُونُ مُؤْمِنًا، إِلَّا أَنْ تَجْتَمِعَ فِيهِ هَذِهِ الْخِصَالُ الثَّلَاثُ** وسنبدأ إن شاء الله اليوم وسيحتاج معنا إلى درس آخر أو إثنين على حسب التفصيل. ونبين أولًا بأن تسمية هذا الباب

كان الأولى أو أنه معتاد في كتب العقيدة أن يكون هذا الباب قبل الباب الذي قبله، بمعنى؛ الباب الذي قبله تكلم عن أن الإيمان يزيد وينقص، وتكلم عن مراتب الإيمان، أفضل الإيمان وأدناه، وعادة هذا تجده في كتب العقيدة يأتي بعد تقرير أولًا حقيقة الإيمان ومعنى الإيمان عند أهل السنة والجماعة، ثم بعد ذلك يأتي بالإيمان يزيد وينقص. لكن هنا الشيخ – رحمة الله عليه – قدَّم أولًا مسألة أفضل الإيمان وأدناه وتكلم في مسألة الإيمان يزيد وينقص، ثم انتقل إلى بَابُ الْقَوْلِ بِأَنَّ الْإِيمَانَ تَصْدِيقٌ بِالْقَلْبِ، وَإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ لَا يَكُونُ مُؤْمِنًا، إِلَّا أَنْ تَجْتَمِعَ فِيهِ هَذِهِ الْخِصَالُ الثَّلَاثُ. وحقيقة ما وقفت على العلة في الترتيب وإن كنا اعتدنا من مصنفي العقيدة أن يأتوا أولًا بالتقعيد الأول في معنى الإيمان، ثم يأتي بمسألة الزيادة والنقصان.

قال المصنف– رحمه الله تعالى –:

25– بَابُ الْقَوْلِ بِأَنَّ الْإِيمَانَ تَصْدِيقٌ بِالْقَلْبِ، وَإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ لَا يَكُونُ مُؤْمِنًا، إِلَّا أَنْ تَجْتَمِعَ فِيهِ هَذِهِ الْخِصَالُ الثَّلَاثُ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: اعْلَمُوا رَحِمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ أَنَّ الَّذِي عَلَيْهِ عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ الْإِيمَانَ وَاجِبٌ عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ، وَهُوَ تَصْدِيقٌ بِالْقَلْبِ، وَإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ، ثُمَّ اعْلَمُوا أَنَّهُ لَا تُجْزِئُ الْمَعْرِفَةُ بِالْقَلْبِ وَالتَّصْدِيقُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَعَهُ الْإِيمَانُ بِاللِّسَانِ نُطْقًا، وَلَا تُجْزِيءُ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ، وَنُطْقٌ بِاللِّسَانِ، حَتَّى يَكُونَ عَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ، فَإِذَا كَمُلَتْ فِيهِ هَذِهِ الثَّلَاثُ الْخِصَالِ: كَانَ مُؤْمِنًا دَلَّ عَلَى ذَلِكَ الْقُرْآنُ، وَالسُّنَّةُ، وَقَوْلُ عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ: فَأَمَّا مَا لَزِمَ الْقَلْبَ مِنْ فَرْضِ الْإِيمَانِ فَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ} [المائدة: ٤١] وَقَالَ تَعَالَى: {مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [النحل: ١٠٦] وَقَالَ تَعَالَى: {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ} [الحجرات: ١٤] الْآيَةَ فَهَذَا مِمَّا يَدُلُّكَ عَلَى أَنَّ عَلَى الْقَلْبِ الْإِيمَانَ، وَهُوَ التَّصْدِيقُ وَالْمَعْرِفَةُ، وَلَا يَنْفَعُ الْقَوْلُ إِذْ لَمْ يَكُنِ الْقَلْبُ مُصَدِّقًا بِمَا يَنْطِقُ بِهِ اللِّسَانُ مَعَ الْعَمَلِ،

فَاعْلَمُوا ذَلِكَ وَأَمَّا فَرْضُ الْإِيمَانِ بِاللِّسَانِ: فَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ، وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ، وَإِسْمَاعِيلَ، وَإِسْحَاقَ، وَيَعْقُوبَ، وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِي النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ، لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ، فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا} الْآيَةَ وَقَالَ تَعَالَى مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: {قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ، وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ} [آل عمران: ٨٤] الْآيَةَ. وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لا إله إلا الله وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ» وَذَكَرَ الْحَدِيثَ فَهَذَا الْإِيمَانُ بِاللِّسَانِ نُطْقًا فَرْضًا وَاجِبًا وَأَمَّا الْإِيمَانُ بِمَا فُرِضَ عَلَى الْجَوَارِحِ تَصْدِيقًا بِمَا آمَنَ بِهِ الْقَلْبُ، وَنَطَقَ بِهِ اللِّسَانُ: فَقَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا} [الحج: ٧٧] إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {تُفْلِحُونَ} [البقرة: ١٨٩] وَقَالَ تَعَالَى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} [البقرة: ٤٣] فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنَ الْقُرْآنِ، وَمِثْلُهُ فَرْضُ الصِّيَامِ عَلَى جَمِيعِ الْبَدَنِ، وَمِثْلُهُ فَرْضُ الْجِهَادِ بِالْبَدَنِ، وَبِجَمِيعِ الْجَوَارِحِ فَالْأَعْمَالُ رَحِمَكُمُ اللَّهُ بِالْجَوَارِحِ: تَصْدِيقٌ عَنِ الْإِيمَانِ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، فَمَنْ لَمْ يُصَدِّقِ الْإِيمَانَ بِعَمَلِهِ وَبِجَوَارِحِهِ: مِثْلُ الطَّهَارَةِ، وَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ وَالْجِهَادِ، وَأَشْبَاهٌ لِهَذِهِ وَرَضِيَ مِنْ نَفْسِهِ بِالْمَعْرِفَةِ وَالْقَوْلِ لَمْ يَكُنْ مُؤْمِنًا، وَلَمْ يَنْفَعْهُ الْمَعْرِفَةُ وَالْقَوْلُ، وَكَانَ تَرْكُهُ لِلْعَمَلِ تَكْذِيبًا مِنْهُ لِإِيمَانِهِ، وَكَانَ الْعَمَلُ بِمَا ذَكَرْنَاهُ تَصْدِيقًا مِنْهُ لِإِيمَانِهِ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل: ٤٤] فَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأُمَّتِهِ شَرَائِعَ الْإِيمَانِ أَنَّهَا عَلَى هَذَا النَّعْتِ فِي أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ، وَبَيَّنَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ أَنَّ الْإِيمَانَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِعَمَلٍ، وَبَيَّنَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خِلَافَ مَا قَالَتِ الْمُرْجِئَةُ، الَّذِينَ لَعِبَ بِهِمُ الشَّيْطَانُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا، وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ} [البقرة: ١٧٧] إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {الْمُتَّقُونَ} [البقرة:

[١٧٧] قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: سَأَلَ أَبُو ذَرٍّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْإِيمَانِ فَتَلَا عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةَ

بدأ المؤلف مقدمة هذا الباب الحقيقة كلام هو من الأهمية بمكان، كلام درر كما يقال، كلام متين جدًا، كلام من أهم الكلام والعبارات، وكتب قليلًا واستدل كثيرًا، وهذا كان دأب سلفنا الصالح عندما يتكلمون في المسألة؛ يُكثرون من الآثار من الكتاب ومن السنة ويدللون بعد ذلك ويبينون ما جاء في هذه الأدلة. لذلك وضع لنا مدراسة حقيقة وكلامًا متينا جدًا جدًا لابد لطالب العلم أن يحفظه حفظًا تامًا ويستدل به في كل موطن أراد أن يستدل به على عقيدة أهل السنة والجماعة في الإيمان. فقد بين لنا الإمام الآجري – جزاه الله خيرًا على ما قدمه للمسلمين في هذا الكتاب نسأل الله عز وجل أن تكون في موازينه – بين لنا من التبويب بأن الإيمان حقيقة مركبة كما قلنا عند أهل السنة والجماعة، **الإيمان حقيقة مركبة من أربع أركان:** وهو قول القلب؛ وهذا أعظم الأمور هو التصديق؛ الاعتقاد، الإنقياد، وقول اللسان؛ وهو الشهادتين يدخل به المرء في الإسلام، وعمل القلب، وعمل الجوارح. وهذه الأربع أركان أو الأربع حقائق والأربع شروط والأربع واجبات – قل ما تقول في ذلك – على أن الإيمان مركب من هؤلاء الأربعة.

ومعنى أن أقول مركب أي هناك ترابط وثيق وتلازم عميق جدًا وقوي على أنه لا ينفك أحدهم عن الآخر، الإيمان عند أهل السنة والجماعة لابد فيه من توافر هذه الأربعة، وهذه الأربعة فيها ما فيها من التلازم؛ لابد من **قول القلب**؛ وقول القلب هو الأصل الأصيل لأنه فيه الاعتقاد، فيه العلم، فيه المعرفة، ويكون جازمًا؛ اعتقاد بالله جازم، معرفة وعلم جازم لله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، فهذا قول القلب، لابد أن يعتقده المرء ويكون جازمًا به. وقول القلب لا يكفي، لابد أن يكون مع قول القلب **عمل القلب**، فأنت إن كنت مصدقًا معتقدًا عالمًا بذلك وعارفًا لابد أن يكون لك توكل، لابد أن يكون لك خشية، لابد أن يكون لك يقين، لابد أن يكون لك إنابة، وخضوع، وحب في الله عز وجل، إلى غير ذلك من أعمال القلوب التي تلتزم مع أقوال القلوب، وإلا القول لا يكون قولًا صادقًا بدون عمل للقلب. وكذلك التلازم أيضًا بين القلب وبين **اللسان**، فلا ينفعك قول القلب فقط التصديق بدون النطق باللسان، لابد وإلا ستكون على سبيل المثال مثل عم النبي ﷺ أبو طالب، فكان مستيقنًا ويعلم أنه على الحق ولكنه لم يتلفظ بها. فلن ينفعك قول القلب وتصديقك واعتقادك بأن النبي ﷺ هو على الحق وأن هناك إلها وأن هناك شريعة خاتمة إن لم تقل ذلك بلسانك،

فهذا لن ينفعك أيضًا قول القلب. إذًا لن ينفعك قول القلب بدون قول اللسان، ولن ينفع قول القلب بدون عمل القلب، وكذلك أيضًا لن ينفع قول القلب ولا قول اللسان ولا عمل القلب بدون **عمل الجوارح** وهذا الذي بينه لنا المؤلف فيما أخذ كل ركن على حدة وبين لنا الأدلة التي يجب على ذلك.

لكن هي سلسلة ودائمًا نذكر بضابط وضعه لنا شيخ الإسلام ابن تيمية قال: (انتفاء اللازم يدل على انتفاء الملزوم) فلو قلنا بأن إذا وُجد قول القلب يستلزم عمل القلب، وإذا وُجد قول القلب يستلزم قول اللسان، وإذا وُجد قول القلب يستلزم عمل الجوارح، وإذا انتفى عمل الجوارح انتفاء الملزوم يدل على انتفاء اللازم؛ إذا لم تجد عمل الجوارح، إذا لم تجد عمل القلب، إذا لم تجد قول اللسان، فاعلم أنه انتفى قول القلب. ماذا سيفيدك قول القلب إن لم تتلفظ! فدل عدم التلفظ أيضًا باللسان ودل عدم العمل بالقلب ودل عدم العمل بالجوارح دل ذلك على انتفاء الملزوم يدل على انتفاء اللازم، فكما أن انتفاء اللازم يستلزم انتفاء الملزوم فالعلاقة عكسية. فلو قلنا الآن قول القلب هو اللازم، فالملزوم عمل القلب وأيضًا عمل الجوارح وقول اللسان، لأن أول شيء بيأتيك هو قول القلب، أي أن أول شيء بيدخل هو الاعتقاد والمعرفة والعلم المستلزم للخضوع واليقين والتصديق، فلابد تلفظ لسانًا ومعها لابد من عمل للقلب. كيف تكون مستيقنًا أو مصدقًا وليس عندك توكل! وليس عندك خضوع! وليس عندك إنقياد! كل هذه ملزومات، لو قلنا أن اللازم على حسب العلاقة طبعًا لأنك ممكن تقول قول اللسان هو لازم يستلزمك عمل القلب مثلًا، لكن على حسب ما ستربط العلاقة تقول.

المهم أن انتفاء اللازم يستلزم انتفاء الملزوم، وانتفاء الملزوم يدل على انتفاء اللازم. قل براحتك أنك مسلم لكنك لا تصلي ولا تصوم ولا مستيقن في قلبك بأن الرسول على الحق، وأن الإسلام هو على الحق، فقل ما قلت، لكن يدل هذا على انتفاء اللازم الذي عندك.

وطبعًا هذا التفصيل مهم.. لماذا؟ لأنه هذا قاتل وناهي على المرجئة بكل أنواعها، لأن المرجئة بجميع أنواعها لا يقولون بالأعمال ولا يقولون بقول القلب، إلا طبعًا مرجئة الفقهاء يقولون بعمل القلب ولا يقولون بعمل الجوارح، لكن هم عندهم فقط حصروا الإيمان في التصديق، ثم زادوا عليه. فلماذا هذا التفصيل مهم؟ وهذه الحقيقة المركبة مهمة لأن هذه سترد على كل طوائف المرجئة الذي يأتوك في هذه المسألة. هو الشيخ جزاه الله خيرا أيضًا بيّن الأدلة على كل ركن من هذه الأركان.

الركن الأول: قول القلب

قول القلب، قال: فَأَمَّا مَا لَزِمَ الْقَلْبَ مِنْ فَرْضِ الْإِيمَانِ وأتى بالأدلة على قول القلب، واستدل بـ {يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ} [المائدة:41]، هنا الشاهد: {وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ } جعل الإيمان في القلب، إلى قوله تعالى: {أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۛ} [المائدة:41]، هنا {وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ } و {لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۛ} فدل هنا ذلك على أن من حقيقة الإيمان الإيمان في القلب، لأن الله عز وجل قال بعد ذلك:{ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ } و {لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۛ} إذًا القلوب غير طاهرة، غير مؤمنة.

منها أيضًا ممكن نستدل من قول الله تعالى:{ وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ} [الزمر:33]، فبين أن علامة الإيمان التصديق، وتصديق النبي ﷺ أيضًا. وطبعًا قول الله عز وجل أيضًا: {أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ} [المجادلة:22]، فهذه دلالة على أن الإيمان في القلب، هذه أيضًا يستدل بها على قول القلب. وآيه الأعراب:{ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ } [الحجرات:14] وطبعًا هذه الآية على خلاف بين المفسرين؛ بعضهم قال هي في المنافقين، وبعضهم قال هي ليست في المنافقين، لكن عمومًا هذا لا ينفي أن أصل الإيمان موجود عندهم لما قال: {وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ } لأن البعض قال هذه الآية في المنافقين، لو قلنا في المنافقين إذًا ليس عندهم فهم كفار، لكن لو قلنا نستدل على أن أصل الإيمان عندهم لكن لم يرتق من الإسلام إلى الإيمان إلا بالطاعات، فهذا لا ينفي أن يكون الإيمان موجود في القلب؛ على التفسير الثاني. كل هذا في دلالة القلب. وقال: {مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ} [النحل:106]، بين أيضًا أن الإيمان يكون في القلب. منها أيضًا قول الله تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ} [المائدة:41] انظر.. الله عز وجل قال: {قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ} ولم يقبلها {وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ} وهذا أهل النفاق يقولون بالقول لسانًا ولم تؤمن القلوب، فهنا لم يقبل الله عز وجل هذا الإيمان منهم، فدل ذلك على أن الإيمان لابد أن يكون في القلب.

وطبعًا نحن بنأخذ كل ركن من الأركان الأربعة ونستدل على الأدلة التي فيه، لكن ممكن تجمع هذا كله ليبين لك الحقيقة بعد ذلك. وأيضًا منها حديث جبريل الذي مر معنا لما سأل جبريل النبي ﷺ عن الإسلام، فقال الإسلام: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إله إلا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا.. قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ؟ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. وأيضًا يستدل بحديث الشفاعة في الحوض قال النبي ﷺ يارب أمتي أمتي إلى أن قال في آخر الحديث: [أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ] وهنا دلالة على أن الإيمان لابد أن يكون في القلب. وطبعًا ممكن يستأنس من حديث النبي ﷺ: [التَّقْوَى هَاهُنَا.. التَّقْوَى هَاهُنَا] والنبي ﷺ كان يشير إلى القلب.

هل كل الناس في تصديق القلب سواسية أم يختلف الناس؟

يختلف الناس في تصديق القلب؛ الناس في تصديق القلب أنواع؛

الدرجة الأولى: وهو عوام الناس: الإيمان جملة ليس تفصيلًا:

فهو الإسلام موجود عنده والإيمان جملة عنده لكن ليس عنده تفصيلًا؛ أي هو اكتفى بالإسلام جملة وبأركان الإيمان جملة، وهذه عوام الناس وليس عنده تفاصيل الإيمان بزيادات الإيمان؛ بطاعاته، وعبادات معينة، ويقين زائد، ولا يسارعون في الخيرات، أو لا يفعلون أعمال صحيحة كثيرة، لكنه معه الإسلام، معه أصل الإيمان، وهذا الصنف الأول؛ معه تصديق قلب نعم لكنه بالنسبة لدرجات المسلمين هو في أول درجة من ناحية التصديق؛

الدرجة الأعلى: تصديق القلب إجمالًا وتفصيلًا:

ثم يأتي الدرجة الأعلى وهي درجة الذي رُزِق الإيمان التفصيل والإجمال؛ أي عنده تصديق القلب إجمالًا وتفصيلًا. وتفصيلًا هنا أنه بيطبق الإيمان بالله فتجد عنده الأسماء والصفات، وفقه معنى أسماء الله عز وجل الحسنى وصفاته فيدعو بها، عنده تفاصيل الإيمان بالملائكة، وإيمان بالرسل، وعنده إيمان بالقدر خيره وشره، إلى غير ذلك من التفصيلات التي توجد في الإيمان، ويزيد بطاعته وبأعماله. فهنا عنده الإيمان جملة وعنده الإيمان تفصيلًا، وهذا تصديق القلب فيه أعلى من الطبقة الأولى، وهذا كله في دائرة المسلمين.

الدرجة الثالثة: المنافقين:

الدرجة الثالثة في تصديق القلب الذين قالوا الإسلام بأفواههم فقط وليس عنده تصديق في القلب، وهذا المنافق الذي خلى القلب من التصديق، هؤلاء هم المنافقون، وهؤلاء قالوا بألسنتهم لكن القلب خلى تصديقًا.

الدرجة الرابعة: تصديق القلب مع عدم قول اللسان:

عنده تصديق القلب لكن ليس عنده قول اللسان، كعم النبي ﷺ أبي طالب؛ عنده تصديق في القلب لكن لن ينفعه.

فالثالث والرابع لن ينفعهم؛ لن ينفعه اللسان الذي ليس عنده تصديق القلب، والرابع عنده تصديق القلب لكن لم يقل الشهادتين باللسان. فتبقى معنا الأول والثاني، لكن كل هذه مراتب في تصديق القلب، وممكن تجمعها أيضًا في قول إبراهيم عليه السلام:{ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي} [البقرة:260]، فهذه أيضًا زيادة في أصحاب الدرجة الثانية.

الركن الثاني: قول اللسان

قلنا قول القلب يستلزم قول اللسان، لابد من قول اللسان، هنا أتى بعدة أدلة؛ قال: فَاعْلَمُوا ذَلِكَ وَأَمَّا فَرْضُ الْإِيمَانِ بِاللِّسَانِ: فَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ، وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا...} الآيات. قال: (قُولُوا) إذًا لابد من القول، والقول لابد له من تلفظ أيضًا. وقال في سورة آل عمران: {قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ، وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ} [آل عمران: 84] فيها (قُلْ) ، والله عز وجل لما يخاطب النبي ﷺ بـ (قُل) إذًا هو خطاب للأمة جميعًا أيضًا. وأيضًا يستدل من قول النبي ﷺ: [أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لا إله إلا الله وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ] وهذه أيضًا دلالة على قول اللسان، بأن الحديث يبين أن القتال لغاية [أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لا إله إلا الله وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ] طبعًا على الشروط، أنا بقول على العام؛ لو كانوا كتابيين وأرادوا ان يدفعوا الجزية.. انتهى، لكن لو غير ذلك فلابد لهم من التلفظ وهذا دلالة على أنه لابد من النطق باللسان.

ومنها قول النبي ﷺ: [قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ] لما قال للصحابي ذلك. (قُلْ) إذًا لابد أن تقل، (آمَنْتُ بِاللهِ). وأيضًا الأصرح من ذلك حديث أسامة بن زيد – معلومة القصة – بأنه كان يقاتل فلما سيدنا أسامة علا الكافر بسيفه وأراد أن يقتله تشهد الرجل وقال لا إله إلا الله، قال آمنت، فقتله أسامة رضي الله عنه. فلما علم النبي ﷺ بذلك قال له أقتلته يا أسامة بعد أن قالها؟ قال يا رسول الله ﷺ إنما قالها تعوذًا، قال ألا شققت عن قلبه؟ ثم رددها أقتلته يا أسامة بعد أن قال...؟ حتى قال أسامة وددت لو لم أسلم قبل هذا إلا في هذا اليوم، أي أن يسلم بعد أن فعل ذلك حتى يجب الإسلام ما قبله. فهنا دلالة على ماذا؟ على أن النبي ﷺ علق العصمة بالقول، إذًا أصبح عدم القول ليس لك عصمة، هو لم يقل ليس عليه شيء لم يدخل الإسلام. وذلك أيضًا قول النبي ﷺ لأبو طالب قل يا عم قل كلمة أحاج لك بها عند الله، (قل كلمة) طبعًا لأن هو كان عنده تصديق قلب، المسألة لا يستدل بها على أن الكلمة تكفي، لكن نحن قلنا قبلها في قول القلب أنه عنده تصديق القلب، فلو جاء بالكلمة مع التصديق أصبح قول اللسان مع التصديق، فيحاج بها النبي ﷺ عند الله عز وجل في ذلك.

فقال الإمام: فَهَذَا الْإِيمَانُ بِالْلِّسَانِ نُطْقًا فَرْضًا وَاجِبًا.

قبل أن انتقل من اللسان، قال النبي ﷺ: [أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لا إله إلا الله وأني رسول الله..] وفي رواية: [حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إله إلا الله، وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ، ويُقِيمُوا الصَّلَاةَ، ويُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ].

هل نقول مجرد قول الشهادتين عُصم ماله، يحكم له بالإسلام؟ يحكم له بالإسلام، لكن لابد أن تعرض عليه الأركان؛ الشرائع الخمسة التي في الحديث، إن قَبِل كُمِل إسلامه، وإن ردها سنرجع للكلام الذي قلناه من قبل في الأبواب السابقة؛ بأنه لو رد الأركان الخمسة سيحكم بكفره. إذًا لابد بعد أن يقول الشهادتين ستعرض عليه الشرائع، إن قَبِلها استمر له الإسلام، وإن ردها ارتد بعد أن قال الشهادتين، أنا أتكلم عن الخمس. قلنا من قبل بأن من أنكر أو رد الأركان الخمسة حُكِم عليه بالكفر عند أهل السنة والجماعة؛ ترك المباني خمسة، ترك بالكلية. لذلك بعد أن يقول لا إله إلا الله ستعرض عليه فيقول أصلي، أصوم، أحج؛ أي يقر، حتى وإن عصى، هذا أمر آخر، لكن نقول أنه أقر بالشرائع كُمِل له الإسلام، عُصِم، وإلا لو أنكر بعد ذلك فهذا لا يحكم له باستمرارية الإسلام.

هناك مسألة مهمة وهذه لمن يتعامل مع غير المسلمين، **لابد أن يقول لا إله إلا الله إنشاء ليس خبرًا**؛ فهناك من يقر وجاءت السنة تبين بأن يهودي جاء للنبي ﷺ ، النبي ﷺ قال

له لماذا لا تؤمن ألست تعلم أني على الحق؟ قال أعلم أنك رسول الله ﷺ. ولماذا لم تؤمن؟ قال أخاف أن يقتلني اليهود. فهو أقر، قال له أشهد أنك رسول الله ﷺ وهو موحد. فهو لما أتى بالنصف الثاني فهل هذا يُقبَل؟ قالوا لا لم يُقبل، النبي ﷺ لم يقبل منه، هو شهد للنبي ﷺ لكن لم يشهدها إنشاء، شهد إخبارًا.

ولذلك هناك فارق؛ أنت ممكن تتكلم الآن مع واحد ليس بمسلم ويقول يا أخي لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ وهو ليس بمسلم، فهل معنى أنه قال ذلك دخل الإسلام؟! لا، إذًا لابد حتى يدخل بها الإسلام أن يذكرها على سبيل الإنشاء ولا تكون على سبيل الإخبار، أو الشهادة بدون إنشاء أنه يدخل بها الإسلام. هذه مسألة أيضًا كلها توابع لمسألة اللسان، قلنا سنأتي باللسان مع القلب لابد مع التلفظ أن يكون معه قول القلب فيدخل بذلك الإسلام، وإلا لو ردد بلسانه ولم يؤمن ولم يعتقد بقلبه فكان كالمنافق، فلا يدخل بذلك في الإسلام.

الركن الثالث: عمل القلب

بينا قول القلب وقول اللسان هذه ظاهرة تبين لنا نفرق بين من ومن، طيب وتصديق القلب- عمل القلب- هذه فارقة بين من ومن؟ قلنا كل المرجئة لا يقولون بأعمال القلوب إلا مرجئة الفقهاء، مرجئة الفقهاء فقط الذين أثبتوا عمل القلب، وباقي المرجئة كلهم لم يثبتوا عمل القلب، إذًا عمل القلب فارق أولًا بين مرجئة الفقهاء وباقي أصناف المرجئة. طبعًا أهل السنة والجماعة يقولون بها وسنبين بأن هذه ستجعلك تسحب مرجئة الفقهاء وتلزمهم بأعمال الجوارح- كما سنبين- لكن نبين أن عمل القلب هذا الركن الثالث وهو فاصل. فما هي أعمال القلوب أصلًا؟ هي التوكل، الإرادة، الخضوع ، اليقين، الخشية، الإنابة، الخوف، الرجاء، الحب، كل هذه أعمال القلوب، والإذعان أيضًا. فإن خلى القلب من عمل القلب وإن حتى وجدت قول القلب فلا إيمان له لأن أيضًا سنرجع للعلاقة؛ التلازم؛ إنتفاء عمل القلب دلالة على إنتفاء قول القلب. أنت تقول بالتصديق والاعتقاد في الله عز وجل، وعمل قلبك تتوكل على فلان في الرزق، تستيقن بأن المقبور هو الذي يأتيك بما تريد بالولد، أو فلان هو الذي يرزقك، أو فلان تتوكل عليه. فكيف هنا التلازم؟! ليس هناك تلازم، تدعي شيئًا بقلبك وأن عمل قلبك مخالف؛ عمل قلبك تتوكل على غير الله عز وجل، فلما تفعل ذلك يدل على إنتفاء اللازم وهو قول القلب. والعكس بالعكس؛ قول القلب لو موجود وعمل القلب دل ذلك على إنتفاء اللازم لو ليس هناك تصديق فلن يكون هناك عمل قلب؛ أي أن المنافق لما أتوا في غزوة الخندق لأن ليس

عندهم قول قلب فليس عندهم تصديق لعمل القلب؛ ليس عندهم توكل وإستعانة بالله، فلما النبي ﷺ يضرب يقول الله أكبر فتحت الروم، الله أكبر فتحت فارس، ماذا قالوا؟ قالوا هذا محمد ﷺ يعدهم بفتح الروم وفارس ولا يستطيع أحدهم أن يذهب ليقضي حاجته. لا يوجد يقين بالله ولا توكل ولا حسن ظن لأنهم ليس عندهم قول قلب، لأن هم ليس عندهم غير قول اللسان، فلما انتفى قول القلب عندهم انتفى عندهم أيضًا عمل القلب، فهذا تلازم مهم جدًا يربط لك الإيمان.

الأدلة كثيرة؛ قال الله عز وجل:{ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } [الأنفال:2]، أعمال قلوب، دل ذلك على عمل القلب. {إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [آل عمران:175]، جعل الخوف من الله عز وجل إيمان؛ والخوف من الشيطان ليس بإيمان، وهذا كله من عمل القلب. قال تعالى:{ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [المائدة:23]، فربط التوكل بالإيمان.

وأيضًا حديث السبعين ألف، قال النبي ﷺ[يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِن أُمَّتي سَبْعُونَ ألْفًا بغيرِ حِسابٍ] ثم ذكر الذين: [لا يَسْتَرْقُونَ، ولَا يَتَطَيَّرُونَ] والطيرة عمل قلبي [ولَا يَكْتَوُونَ، وعلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ] وقلنا أن هذه كلها ترجع لمسألة القلب، حتى الإكتواء والرقية وإلى غير ذلك. ثم بينها النبي ﷺ في الآخر: [وعلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ]. ثم أيضًا قول النبي ﷺ: [الإيمانُ بضعٌ وسبعونَ شُعبةً أعلاها شهادةُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وأدناها إماطةُ الأذى عنِ الطَّريقِ والحياءُ شُعبةٌ مِن الإيمانِ] فجعل أيضًا أعمال القلوب شعبة من الإيمان.

ولذلك أقول العلاقة قوية جدًا بين قول القلب وبين عمل القلب، هذا التلازم لابد أن يضبطه كل أحد وهو التلازم بين قول القلب وبين عمل القلب.

لكن حقًا نقول بأن المسألة ليست انتفاء بالكلية؛ بمعنى هناك قول للقلب – تصديق– وهناك عمل للقلب، لكن أحيانًا ممكن تجد قول القلب ويمتنع عمل القلب هذا بموانع؛ أي أن عندك تصديق لكن تجد أعمال القلوب أنت لا تستطيع أن توفيها أي لا تستطيع أن تتوكل، لا تستطيع أن تذعن، تنقاد، إلى غير ذلك، هذا بسبب موانع قد تأتيك، قد يكون بسبب الجحود، بسبب الكبر، بسبب الحسد، بسبب الاستكبار، قال النبي ﷺ: [لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَن كانَ في قَلْبِهِ مِثْقالُ ذَرَّةٍ مِن كِبْرٍ]وهذا الكبر منعه، وطبعًا هذا ليس بكفر، لكن نقول أنه منعه من دخول الجنة إما أولًا على التفصيل طبعًا عند أهل السنة والجماعة إلى غير ذلك، إلا إن كان كبرًا

مخرج من الملة كاستكبار إبليس مثلًا، أو بالجحود، قال الله عز وجل: { وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا } [النمل:14] هم جحدوا، فالجحود هذا مانع يمنعك من أعمال القلب، وهذا في فرعون لأن موسى قد بين، قال الله عز وجل: {قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا} [الإسراء:102] قال له موسى: {لَقَدْ عَلِمْتَ} فهو علم وجحد. إذًا الجحود منعه من عمل القلب، وقبلها أيضًا الكبر منع من عمل القلب. ومنها قول الله عز وجل: {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ} [الانعام:33]، فجعل الجحود أيضًا مانع من أعمال القلوب. إذًا قد يأتي قول للقلب ولكن قد تأتي موانع في مسألة عمل القلب هذا، وهذه كلها أمراض قلبية لابد أن يتعهدها المرء؛ كالكبر، الجحود، الاستكبار، الهوى أيضًا قد يكون مانع من عمل القلب؛ قال الله عز وجل لداوود عليه السلام:{ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ} [ص:26] إذًا الهوى ممكن أيضًا يمنعك من تحقيق عمل القلب.

الركن الرابع: عمل الجوارح

وعمل الجوارح وهو ركن هام جدًا، والنزاع مع من؟ انتقلنا في عمل القلب من النزاع ما بين المرجئة أزحنا مرجئة الفقهاء وظل النزاع بيننا وبين المرجئة في عمل القلب، يأتي النزاع الآن بيننا وبين مرجئة الفقهاء في عمل الجوارح، لأن مرجئة الفقهاء قالوا بعمل القلب لكنهم قالوا بأن عمل الجوارح ليس من الإيمان، وقفوا عند ذلك، وهذا أيضًا من الإرجاء. هنا الشيخ يبين قال: وَأَمَّا الْإِيمَانُ بِمَا فُرِضَ عَلَى الْجَوَارِحِ تَصْدِيقًا بِمَا آمَنَ بِهِ الْقَلْبُ، وَنَطَقَ بِهِ اللِّسَانُ، وأتى بأدلة منها:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الحج:77]. طبعًا نحن نقول بأن إن تحرك القلب لابد أن تتحرك الجوارح؛ هذا تلازم آخر، قلنا التلازم كما بينا التلازم بين قول القلب وعمل القلب مع اللسان، أيضًا التلازم بين قول القلب وعمل القلب مع عمل الجوارح، لأن لو تذكروا حديث النبي ﷺ قال: [**أَلا إِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً، إِذا صَلَحَتْ، صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ**] فالقلب هو المحرك، فلابد تبين التلازم؛ ادعيت بقول القلب وعمل القلب لابد أن يكون هناك عمل الجوارح، لابد من تلازم الظاهر مع الباطن، والباطن ينضح على الظاهر، والظاهر مؤثر في الباطن. وتذكروا الدرس السابق بينا كيف يكون التلازم من الباطن إلى الظاهر، وكيف يكون التلازم من الظاهر إلى الباطن.

الآية التي معنا كيف يكون منها الاستدلال؟ {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ} [الحج:77]، نحن قلنا أن القلب يحرك الجوارح، والقلب يؤثر في الجوارح، والجوارح أيضًا تؤثر في القلب، هنا الآية استدل بها الشيخ الآن قال:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ} [الحج:77]، هو أمر يسير، كيف الاستدلال من هذه الآية على أن الجوارح ركن من أركان الإيمان؟ الخطاب قال {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ} ومع ذلك قال {ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ} إذًا هنا كأنه أمر من الله عز وجل يخاطب به المؤمنين؛ أن لابد أن يركعوا ويسجدوا، أو يخاطب بهم أن الإيمان الركوع والسجود و {وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ} وهذه كلها جوارح؛ فالركوع والسجود وفعل الخير جوارح. وقال جل وعلا: {وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ} أيضًا هذه جوارح؛ أعمال ظاهرة كلها بغير موضع من القرآن.

فهذه أعمال الجوارح، وقلنا **أعمال الجوارح هي العلامة الفارقة بين أهل السنة والجماعة وبين مرجئة الفقاء في مسألة الإيمان**، وضابط هذه المسألة كلها كما قلنا الترابط بين القلب وبين الجوارح، وحديث النبي ﷺ: [**ألا إنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً، إذا صَلَحَتْ، صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذا فَسَدَتْ، فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، ألا وهي القَلْبُ**] . فأدلة الجوارح حقيقة كثيرة ليست هذه الأدلة فقط، ونريد أن نزيد منها؛ قال الله عز وجل:{ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ} [البينة:5]، أولًا قال: {مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ} هذا عمل قلبي، ثم قال: {وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ} إذًا القلب تحركت به الجوارح، {وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ} وهذا كله سماه: {دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ} فجعل هذا كله الدين الحق، أي أن الدين الحق لابد فيه من القلوب؛ من الإخلاص مع الجوارح.

أيضًا: {إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ} قلبي {وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ} [الحجرات:15]، أولًا: {إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ} اسلوب حصر، طيب من هم؟ {ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ} .. {ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ} تصديق في القلب وعدم الشك والريبة التردد؛ فهذا عمل قلبي، ثم أتى معهم بعمل الجوارح. إذًا التلازم ظاهر في الأعمال. وأيضًا حديث الصحيحين حديث وفد عبد القيس لما جاءوا قال: [**مَرْحَبًا بالقَوْمِ أوْ بالوَفْدِ، غيرَ خَزَايَا ولَا نَدَامَى قالوا: إنَّا نَأْتِيكَ مِن شُقَّةٍ بَعِيدَةٍ، وبيْنَنَا وبيْنَكَ هذا الحَيُّ مِن كُفَّارِ مُضَرَ، ولَا نَسْتَطِيعُ أنْ نَأْتِيَكَ إلَّا في شَهْرٍ حَرَامٍ، فَمُرْنَا بأَمْرٍ نُخْبِرُ به مَن وراءَنَا، نَدْخُلُ به الجَنَّةَ. فأمَرَهُمْ بأَرْبَعٍ ونَهَاهُمْ عن أرْبَعٍ: أمَرَهُمْ بالإيمَانِ باللَّهِ عزَّ وجلَّ وحْدَهُ، قالَ: هلْ تَدْرُونَ ما الإيمَانُ باللَّهِ وحْدَهُ؟ قالوا: اللَّهُ**

ورَسولُهُ أَعْلَمُ، قالَ: شَهَادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ، وإِقَامُ الصَّلَاةِ، وإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وصَوْمُ رَمَضَانَ، وتُعْطُوا الخُمُسَ مِنَ المَغْنَمِ].

فأتى في الإيمان بتعريف الأعمال الظاهرة. وهذا طبعًا يستدل به على أن الإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا. المهم جعل الأعمال من الإيمان، قال أتدرون ما الإيمان؟ قالوا الله ورسوله أعلم، ثم ذكر لهم أعمالًا دلالة صريحة وصحيحة على أن الأعمال من الإيمان.

وأصرح من ذلك أيضًا آية البقرة، قال الله عز وجل: {وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ} [البقرة: 143]، ما الإيمان؟ الصلاة في تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، فقالوا أخوة لنا ماتوا وكانوا يصلون إلى بيت المقدس فما الذي سيفعل معهم؟ فقال الله: {وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ} فجعل الصلاة إيمان، والصلاة عمل ظاهر؛ جوارح، فيها من القلب لكن سماها الله عز وجل إيمان. وأيضًا النبي ﷺ قال: [لا يُحافِظُ على الوضوءِ إلَّا مؤمِنٌ] فجعل الحفاظ على الوضوء علامة على الإيمان. وأيضًا قال: [لا إيمانَ لِمَن لا أمانةَ له] وهذا ظاهر. كل ذلك دلالة على أن الإيمان يدخل في الأعمال. أيضًا قال النبي ﷺ: [من أعطى للهِ ومنع للهِ وأحب للهِ وأبغض للهِ وأنكح للهِ فقد استكمل إيمانَه] وكل هذه أعمال جوارح تبين لك أنه لابد له من توفر الإيمان.

ثم ختم هذه المقدمة الشيخ – رحمه الله – ببيان تبيين النبي ﷺ ؛ أن الله قال له: {لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل: 44] وقال في قوله سبحانه وتعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ} [المائدة: 64]، وهو يستدل هنا بأن النبي ﷺ أُمر بالبلاغ، وقد بين النبي ﷺ أن من شرائع الإيمان كما قال أنه لابد من الحقيقة الأربعة؛ وهي قول القلب، وقول اللسان، وعمل القلب، وعمل الجوارح، وأكثر من موضع، كما قال هنا: وَقَدْ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ، وَبَيَّنَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ أَنَّ الْإِيمَانَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِعَمَلٍ، وَبَيَّنَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خِلَافَ مَا قَالَتِ الْمُرْجِئَةُ، الَّذِينَ لَعِبَ بِهِمُ الشَّيْطَانُ. ثم ختم الكلام بآية سوره البقرة: {لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ} ثم قال: {وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ} هذا كل قلب. قال: {وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ..}

كل هذه أعمال جوارح {وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ } [البقرة:177] إلى آخر الآيات. كل هذا جعله البر، وهو الدين، وهو الإيمان، وأتى بالأعمال القلبية والأعمال الظاهرة، فختم بذلك البيان في المقدمة وأصل لنا تأصيلًا حقيقة بديعًا جدًا في مسألة حقيقة الإيمان.

قال المصنف – رحمه الله تعالى–:

251 – أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ شَبِيبٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ قَالَ: أنا مَعْمَرٌ، عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْجَزَرِيِّ، عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: إِنَّ أَبَا ذَرٍّ سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْإِيمَانِ؟ فَقَرَأَ عَلَيْهِ: {لَيْسَ الْبِرَّ} [البقرة: ١٧٧] أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ الْآيَةَ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: وَبِهَذَا الْحَدِيثِ وَغَيْرِهِ يَحْتَجُّ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ أَنَّهُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، وَجَاءَ بِهِ مِنْ طُرُقٍ

252 – حَدَّثَنَاهُ أَبُو نَصْرٍ الْقَلَّاسُ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، وَذَكَرَ هَذَا الْحَدِيثَ وَحَدَّثَنَاهُ ابْنُ أَبِي دَاوُدَ، مِنْ غَيْرِ طَرِيقٍ

253 – وَأَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ قَالَ: أنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَسْعُودِيُّ، عَنِ الْقَاسِمِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ، فَسَأَلَهُ عَنِ الْإِيمَانِ؟ فَقَرَأَ عَلَيْهِ: {لَيْسَ الْبِرَّ} [البقرة: ١٧٧] أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ قَالَ: يَعْنِي الرَّجُلُ: لَيْسَ عَنِ الْبِرِّ سَأَلْتُكَ، قَالَ لَهُ أَبُو ذَرٍّ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلَهُ كَمَا سَأَلْتَنِي؟ فَقَرَأَ عَلَيْهِ كَمَا قَرَأْتُ عَلَيْكَ فَأَبَى أَنْ يَرْضَى كَمَا أَبَيْتَ أَنْ تَرْضَى، فَقَالَ: ادْنُ مِنِّي، فَدَنَا مِنْهُ، فَقَالَ: «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَعْمَلُ حَسَنَةً فَتَسُرُّهُ وَيَرْجُو ثَوَابَهَا، وَإِنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَتَسُوءُهُ وَيَخَافُ عَاقِبَتَهَا»

هذا أثر عن أبي ذر لكنه أصلًا حديث عن النبي ﷺ في معنى هذا الحديث أن المؤمن من تسره حسنته وتسوءه سيئته، هناك حديث بهذا المعنى أيضًا عن النبي ﷺ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: اعْلَمُوا رَحِمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ، وَيَا أَهْلَ الْعِلْمِ، وَيَا أَهْلَ السُّنَنِ وَالْآثَارِ، وَيَا مَعْشَرَ مَنْ فَقَّهَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الدِّينِ، بِعِلْمِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ أَنَّكُمْ إِنْ تَدَبَّرْتُمُ الْقُرْآنَ، كَمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلِمْتُمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْجَبَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ بِهِ وَبِرَسُولِهِ: الْعَمَلَ، وَأَنَّهُ تَعَالَى لَمْ يُثْنِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُ قَدْ رَضِيَ عَنْهُمْ وَأَنَّهُمْ قَدْ رَضُوا عَنْهُ وَأَثَابَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الدُّخُولَ إِلَى الْجَنَّةِ، وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ، إِلَّا الْإِيمَانَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ وَقَرَنَ مَعَ الْإِيمَانِ الْعَمَلَ الصَّالِحَ، لَمْ يُدْخِلْهُمُ الْجَنَّةَ بِالْإِيمَانِ وَحْدَهُ، حَتَّى ضَمَّ إِلَيْهِ الْعَمَلَ الصَّالِحَ، الَّذِي قَدْ وَفَّقَهُمْ لَهُ، فَصَارَ الْإِيمَانُ لَا يَتِمُّ لِأَحَدٍ حَتَّى يَكُونَ مُصَدِّقًا بِقَلْبِهِ، وَنَاطِقًا بِلِسَانِهِ، وَعَامِلًا بِجَوَارِحِهِ لَا يَخْفَى عَلَى مَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ وَتَصَفَّحَهُ، وَجَدَهُ كَمَا ذَكَرْتُ وَاعْلَمُوا رَحِمَنَا اللَّهُ تَعَالَى وَإِيَّاكُمْ أَنِّي قَدْ تَصَفَّحْتُ الْقُرْآنَ فَوَجَدْتُ فِيهِ مَا ذَكَرْتُهُ فِي سِتَّةٍ وَخَمْسِينَ مَوْضِعًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يُدْخِلِ الْمُؤْمِنِينَ الْجَنَّةَ بِالْإِيمَانِ وَحْدَهُ، بَلْ أَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ، وَبِمَا وَفَّقَهُمْ لَهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِهِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَهَذَا رَدٌّ عَلَى مَنْ قَالَ: الْإِيمَانُ: الْمَعْرِفَةُ , وَرَدٌّ عَلَى مَنْ قَالَ: الْمَعْرِفَةُ وَالْقَوْلُ، وَإِنْ لَمْ يَعْمَلْ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ قَائِلِ هَذَا فَإِنْ قَالَ: فَاذْكُرْ هَذَا الَّذِي بَيَّنْتُهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لِيَسْتَغْنِيَ غَيْرُكَ عَنِ التَّصَفُّحِ لِلْقُرْآنِ، قِيلَ لَهُ: نَعَمْ، وَاللَّهُ تَعَالَى الْمُوَفِّقُ لِذَلِكَ، وَالْمُعِينُ عَلَيْهِ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ، وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا، وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة: ٢٥] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: ٢٧٧] وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: {فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} [آل عمران: ٥٧] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ، وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا} [النساء: ٥٧] وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا، وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا} [النساء: ١٢٢] وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: {لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا

الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ} [النساء: ١٧٢] الْآيَةَ وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} [المائدة: ٩] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: {وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [الأنعام: ٤٨] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ، وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ، لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الأعراف: ٤٢] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ بَرَاءَةٍ: {الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} [التوبة: ٢٠] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ بَرَاءَةٍ أَيْضًا: {لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [التوبة: ٨٨] قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: اعْتَبِرُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ بِمَا تَسْمَعُونَ، لَمْ يُعْطِهِمْ مَوْلَاهُمُ الْكَرِيمُ هَذَا الْخَيْرَ كُلَّهُ بِالْإِيمَانِ وَحْدَهُ، حَتَّى ذَكَرَ عَزَّ وَجَلَّ هِجْرَتَهُمْ وَجِهَادَهُمْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ذَكَرَ قَوْمًا آمَنُوا بِمَكَّةَ، وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَاذَا قَالَ فِيهِمْ؟ وَهُوَ قَوْلُهُ: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا، مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا} [الأنفال: ٧٢] ثُمَّ ذَكَرَ قَوْمًا آمَنُوا بِمَكَّةَ، وَأَمْكَنَتْهُمُ الْهِجْرَةُ إِلَيْهَا، فَلَمْ يُهَاجِرُوا، فَقَالَ فِيهِمْ قَوْلًا، هُوَ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا، وَهُوَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء: ٩٧] ثُمَّ عَذَرَ جَلَّ ذِكْرُهُ مَنْ لَمْ يَسْتَطِعِ الْهِجْرَةَ وَلَا النُّهُوضَ بَعْدَ إِيمَانِهِ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ {إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا، فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ} [النساء: ٩٨] الْآيَةَ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: كُلُّ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ

تَصْدِيقٌ بِالْقَلْبِ، وَقَوْلٌ بِاللِّسَانِ وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ، وَلَا يَجُوزُ عَلَى هَذَا رَدًّا عَلَى الْمُرْجِئَةِ، الَّذِينَ لَعِبَ بِهِمُ الشَّيْطَانُ، مَيِّزُوا هَذَا تَفْقَهُوا إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ يُونُسَ: {إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا، وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ} [يونس: ٤] وَقَالَ تَعَالَى {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ} [يونس: ٩] وَقَالَ تَعَالَى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ، ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [يونس: ٦٣] وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الرَّعْدِ: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ، أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ، الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ} [الرعد: ٢٨] وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ: {وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ، تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ} [إبراهيم: ٢٣] وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ سُبْحَانَ: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ، وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا} [الإسراء: ٩] وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْكَهْفِ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ، وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا} [الكهف: ١] وَقَالَ تَعَالَى {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا} [الكهف: ٣٠] وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا} [الكهف: ١٠٧] وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ مَرْيَمَ: {فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا} [مريم: ٥٩] وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ مَرْيَمَ أَيْضًا: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا} [مريم: ٩٦] وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ طه: {وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَا جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى} وَقَالَ تَعَالَى: {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى} [طه: ٨٢] وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْحَجِّ: {إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ} [الحج: ١٤] قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: {إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ} [الحج: ٢٣] وَقَالَ تَعَالَى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} [الحج: ٤٩] وَقَالَ تَعَالَى: {الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ. فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ} [الحج: ٥٦] وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْعَنْكَبُوتِ: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ. وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ} [العنكبوت: ٧] وَقَالَ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [العنكبوت: ٥٨] وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الرُّومِ: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ. فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ} [الروم: ١٤] وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ لُقْمَانَ: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ خَالِدِينَ فِيهَا. وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [لقمان: ٨] وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ السَّجْدَةِ: {أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [السجدة: ١٨] وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ سَبَأٍ: {لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} [سبأ: ٤] وَقَالَ تَعَالَى: {وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا. فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ} [سبأ: ٣٧] وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ فَاطِرٍ: {الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ. وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} [فاطر: ٧] وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الزُّمَرِ: {وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا} إِلَى قَوْلِهِ {أَجْرُ الْعَامِلِينَ} [الزمر: ٧٤] وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ حم عسق {تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ} وَقَالَ تَعَالَى: {ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [الشورى: ٢٣] وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الزُّخْرُفِ: {الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ} [الزخرف: ٦٧] إِلَى قَوْلِهِ {وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}

[الزخرف: ٧٢] وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْجَاثِيَةِ: {وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً} [الجاثية: ٢٨] إِلَى قَوْلِهِ {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ} [الجاثية: ٣٠] وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَحْقَافِ: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأحقاف: ١٣] وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ} [محمد: ١] وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [الحج: ١٤] إِلَى قَوْلِهِ {مَثْوًى لَهُمْ} [فصلت: ٢٤] وَقَالَ فِي سُورَةِ التَّغَابُنِ: {وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} التغابن: ٩] وَقَالَ فِي سُورَةِ الطَّلَاقِ: {وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [الطلاق: ١١] وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ} [الانشقاق: ٧] إِلَى قَوْلِهِ {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ} [الانشقاق: ٢٥] وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْبُرُوجِ: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ} [البروج: ١١] وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ التِّينِ وَالزَّيْتُونِ: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ} [التين: ٦] وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْبَيِّنَةِ: {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ} [البينة: ١] إِلَى قَوْلِهِ: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ} [البينة: ٧] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ الْعَصْرِ: {وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} [العصر: ١] قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: مَيِّزُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ قَوْلَ مَوْلَاكُمُ الْكَرِيمِ: هَلْ ذَكَرَ الْإِيمَانَ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا وَقَدْ قَرَنَ إِلَيْهِ الْعَمَلَ الصَّالِحَ؟ وَقَالَ تَعَالَى: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} [فاطر: ١٠] فَأَخْبَرَ تَعَالَى بِأَنَّ الْكَلِمَ الطَّيِّبَ حَقِيقَةٌ أَنْ يُرْفَعَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالْعَمَلِ، إِنْ لَمْ يَكُنْ عَمَلٌ بَطَلَ الْكَلَامُ مِنْ قَائِلِهِ، وَرُدَّ عَلَيْهِ، وَلَا كَلَامٌ طَيِّبٌ أَجَلُّ مِنَ التَّوْحِيدِ وَلَا عَمَلٌ مِنْ أَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ أَجَلُّ مِنْ أَدَاءِ الْفَرَائِضِ

هو طبعًا الشيخ جزاه الله خير نقل لنا خمسين دليل، وإن كان طبعًا طالب العلم لو فتح القرآن ممكن يستخرج آيات أكثر من ذلك وكلها تدل على الاقتران بين الإيمان والعمل الصالح.

إن شاء الله نكمل الكلام في هذا الباب الأسبوع القادم نبين فيه فقط مسألة هامة في من نحى نحو قول مرجئة الفقهاء في أن الأعمال شرط كمال وليس شرط صحة الإيمان، وهذه المسألة مهمة لأن بعض أهل السنة والجماعة بعضهم قال بهذا القول، لو قلنا ليس من السلف ولا المتقدمين، بل بعض المعاصرين أو بعض الذي نحى نحو قول المرجئة، فجعل الأعمال شرط كمال وليس شرط صحة. فهذا لعلنا نبينه لأن هذا انتشر عند البعض، والبعض ينافح عن ذلك، وهذا القول مخالف لإجماع أهل السنة والجماعة والسلف على أن الأعمال من شروط صحة الإيمان وليست من كمال الإيمان، وهذه الذي سنركز عليها ونختم بها الكلام في هذا الباب بعد أن نبين ما تبقى من كلام المؤلف، لأنها انتشرت عند بعض طلبة العلم على أنهم تأثرًا بأحد الشيوخ يرون على أن الأعمال ليست شرط صحة، وهذا القول سيوافق قول المرجئة، نقول ليس مرجئ الذي قال لأن طبعًا هناك فارق مرجئة الفقهاء حتى أو المرجئة لا يقولون بازدياد الإيمان ونقصانه، ولا يقولون بأن الإيمان يزيد وينقص إلى غير ذلك، لكن القول بأن الأعمال ليست شرط صحة أو ليست من أركان الإيمان هذا سيوافق قول مرجئة الفقهاء الذين قالوا بأن أعمال الجوارح نقول بها نعم لكننا نقول أنها خارجة عن معنى الإيمان، وإن كانت هي مؤثرة في الإيمان لكنها ليست من تعريف الإيمان. هذه نبينها إن شاء الله ونرد على هذا القول نبين بأنه مخالف لما يعد إجماع عند أهل السنة والجماعة في قولهم.

سبحانك اللهم وبحمدك

أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

المحاضرة الخامسة والثلاثون

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام ما زلنا في شرح كتاب الشريعة للإمام الآجري – عليه رحمة الله تعالى– وما زلنا في أبواب الإيمان، ومازلنا في **بَابُ الْقَوْلِ بِأَنَّ الْإِيمَانَ تَصْدِيقٌ بِالْقَلْبِ، وَإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ لَا يَكُونُ مُؤْمِنًا، إِلَّا أَنْ تَجْتَمِعَ فِيهِ هَذِهِ الْخِصَالُ الثَّلَاثُ**. وقد فصل القول في هذا الباب الإمام الآجري وقد أبدع فيه التفصيل – عليه رحمة الله تعالى – ليبين لنا ويظهر لنا عقيدة أهل السنة والجماعة في الإيمان، ويرد فيه على المخالفين من المعتزلة ومن الخوارج ومن المرجئة، وغيرهم من الطوائف الأخرى كالأشاعرة أيضًا وغيرهم من الذين خالفوا أهل السنة والجماعة، والمرجئة لهم طوائف كما قلنا أكثر من طائفة في مسألة الإيمان. وفيه رد أيضًا على الخوارج، وفيه رد على المعتزلة.

وقد قرأنا الأسبوع الماضي استدلال الإمام الآجري بما يفوق الخمسين آية من كتاب الله عز وجل، وكل هذا الأدلة كانت لبيان تلازم الأعمال مع الإيمان، أو بمعنى يبين بأن الإيمان بدون

العمل لا يصح، لأن هذا هو مربط الخلاف بين أهل السنة والجماعة ومع المرجئة؛ سواء كان المرجئة عمومًا أو حتى مرجئة الفقهاء الذين أيضًا وافقوا أهل السنة والجماعة في القول بأن الإيمان قول القلب وقول اللسان وتصديق القلب لكنهم خالفوا أهل السنة والجماعة في القول بأن أعمال الجوارح من شروط الإيمان أو من صحة الإيمان، وقالوا بأنها مطلوبة لكنها ليست من الإيمان.

وبعض من الذين ينتسبون لأهل السنة والجماعة منهم بعض المعاصرين جنحوا لهذا القول أيضًا، وأرادوا أن يقولوا بأن الأعمال شرط كمال وليست شرط صحة في الإيمان، واقتربوا من قول مرجئة الفقهاء في ذلك، وإن لم يكونوا يقولوا بقول الإرجاء كاملًا لكنهم أخطأوا أيضًا في هذه المسألة؛ في مسألة الأعمال أنها ليست من شروط صحة الإيمان، بل قالوا شرط أيضًا. وهنا الإمام الآجري قد ساق أدلة كثيرة جدًا من الكتاب، قال عددت خمسين آية من كتاب الله عز وجل، يبين فيها التلازم بين الأعمال وبين الإيمان، وبين فيها أيضًا على أن إن انتفى اللازم انتفى الملزوم؛ أي إن انتفت الأعمال انتفى الإيمان. ومنها أدلة مباشرة في التلازم بين الإيمان وبين العمل الصالح، وهناك أدلة استدل بها سنبينها أيضًا بين على الاستدلال بالضد؛ أي استدل بأن الله عز وجل وصف الناس بالكفر نتيجة أعمال قاموا بها كفرية، ووصف بعض أهل الإيمان بأنهم دخلوا في الكفر نتيجة أنهم أقروهم على ذلك أو أنهم نقول لم يعملوا بعمل أهل الإيمان حتى يظلوا على إيمانهم، فلما توقفوا وتركوا الأمر بالمعروف صاروا مثلهم في مسألة الكفر، فكأنه يستدل على أن ترك أعمال الإيمان لازمة لترك الإيمان، كما أن فعل أعمال الكفر لازمة للكفر، فكأنه يستدل بالضد.

إذًا عندك مجموعة من الأدلة صريحة واضحة في تلازم الأعمال مع الإيمان؛ {وَٱلۡعَصۡرِ * إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ * إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ} [العصر:1-3]، و{مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ} [النحل:97]، كل هذه تدل على التلازم. ولابد أن نذكركم مرة أخرى بأن التلازم هذا بين قول القلب مع قول اللسان؛ فإن كان القلب مصدقًا – وهو قول القلب – لابد أن يتلازم معه قول اللسان وهو النطق بالشهادتين، وإن كان قول القلب صحيحًا فلابد أن يتلازم معه عمل القلب، فالتصديق لابد له من أعمال قلبية؛ من توكل، وخشية، وإنابة، وخوف، ومحبة إلى غير ذلك. كذلك لابد من تلازم بين قول القلب وعمل القلب مع عمل الجوارح؛ فمن كان مصدقًا ومتوكلًا على الله يخاف الله عز وجل لابد أن يسجد لله عز وجل، لابد أن يتصدق لله عز وجل، لابد أن يصوم لله، لابد أن يركع لله عز وجل، فلا بد من تلازم

بين عمل الجوارح مع عمل القلب. كل هذا عندنا سلسلة عند أهل السنة والجماعة؛ التلازم كاملًا لا يصح أن تنفك حلقة من حلقات هذا التلازم.

هناك أدلة سنعيد مرة أخرى لأننا سنرد الآن لأن الشيخ أيضًا لما ذكر كل الذي قرأناه الأسبوع الماضي في أواخر الدرس، أراد أن يستدل بأدلة التلازم بين العمل الصالح وبين الإيمان، وسنركز على هذه المسألة حتى نرد على مرجئة الفقهاء الذين أرموا علينا بعض الشبهات على أن الأعمال لا تدخل في الإيمان. أولًا نبين ما ذكره الإمام الآجري في بعض الأدلة التي تبين التلازم بين الإيمان وبين الأعمال الصالحة وسواء كانت المباشرة أو كانت بمسألة الاستدلال بالضد؛ منها قول الله عز وجل:{ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } [الأنفال:2]، من؟ {ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا} [الأنفال:2-4]، انتبه.. أول الآية (إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ) فذكر فيها الله عز وجل أعمال قلبية؛ وجل القلب، ثم ذكر لما تتلى عليهم الآيات يزدادوا إيمان، وهذا عمل قلبي أيضًا، ثم قال بعد ذلك: {ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ} هذا عمل الجوارح، (وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ) هذا أيضًا من أعمال الجوارح، ثم ختم الآية: (أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا) إذًا الإيمان الحق لابد أن يجتمع فيه الأعمال القلبية مع أعمال الجوارح.

منها أيضًا من قوله تعالى:{ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ} [الحجرات:15]، هذه الآيات كلها الأسبوع الماضي قرأناها. هنا قال: (إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟) هذا اليقين المنافي للشك، وهذا من أعمال القلوب وهي من شروط لا إله إلا الله أصلًا، إذًا أتى بعمل قلبي، ثم قال: (وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ) هذه أعمال جوارح؛ الجهاد بالمال وبالنفس، قال: (أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ) لأن ضد الصدق الكفر؛ لو قلت الصدق ضد الكذب فهم المؤمنون إذًا ضدهم المنافقون أو الكافرون، فهو قال: (إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ) ثم قال: (أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ) إذًا الذي لم يفعل ذلك فهم ليسوا من أهل الصدق، بل من أهل الكذب، ويكونوا ليسوا من أهل الإيمان فيكونوا من أهل الكفر. إذًا علق الإيمان على العمل القلبي مع عمل الجوارح، ثم قال: (أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ) إذا لم يكونوا الصادقون سيكونوا منافقين، فعكس الصادق المؤمن هو المنافق، فمفهوم المخالفة إن لم يفعلوا ذلك، أو فعلوا القلوب ولم يفعلوا الجوارح، أو فعلوا الجوارح ولم يكن عندهم إيمان قلبي، هؤلاء هم أهل النفاق، الآية تبين ذلك.

منها قول الله عز وجل – وانتبهوا لهذه الآية لأن الإستدلال فيها سيأتي من باب الضد، أي من باب البيان في الآية بالكفر ويستدل بها على أن عدم العمل دلالة على نفي الإيمان لأنه قال الله عز وجل:{ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا} [المائدة:64]، الآية أولًا تتكلم إن قُدِّر أنك جلست مع الذين يستهزءون والعياذ بالله ويكفرون؛ هم كفروا بأعمال، فأنت لو جلست وأقررت لهم ذلك أو لم تنكر عليهم بأعمال أهل الإيمان – لأن الإيمان له لوازم، وقلنا إن انتفى اللازم انتفى الملزوم، فالإيمان هو الملزوم، ومن لوازم الإيمان أنك تبين هذا الإيمان – فأنك إن سمعت آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فأنت تقعد ولا تدافع عن ذلك ولا تأمر بمعروف أو تنهى عن المنكر فأنك إذًا مثلهم، الله قال ذلك، إذًا كالمنافقين والكافرين، أنت لم تقل مثلهم لكنك لم تأت بلازم الإيمان وهو العمل الذي يدفع عنك الإقرار بهذا الذي قالوه فاستلزم أنك أصبحت مثلهم. فهنا الاستنزاع في الآية بأن دل ذلك في المسألة التي معنا الآن بأنك تركك للعمل المستلزم للإيمان لأن إيمانك يستلزم منك ألا ترضى بالكفر والاستهزاء بالله وبآياته، فلما تركت ذلك وُصفت بأنك أصبحت مثل المنافقين والكافرين، دل ذلك على أن تركك للعمل دل على تركك للإيمان، فأصبح هناك تلازم بين الأعمال وبين الإيمان. هو العمل أنك تنكر، هذا عمل، فلما انتفى منك العمل انتفى منك الإيمان، هنا جاء وجه الاستدلال فيها من هذا الباب الذي معنا. وأنا قلت في المقدمة أن هناك أدلة صريحة في تلازم الإيمان بالعمل، وهذه صريحة، وهذا عمق في الإستدلال، ولابد أن نبين لماذا أتى بهذه الآيات على أنها من باب الأعمال الصالحة اللازمة للإيمان؟ لأن هناك استدلال بالصريح والواضح، وهناك استدلال بالضد، والضد بأن الله وصف البعض بالكفر لتركهم لبعض الأعمال المستلزمة للإيمان، فدل ذلك على أن الإيمان والعمل لهم تلازم. هو كل الذي نحن نتكلم عنه الآن لنؤكد على أن الأعمال من الإيمان حتى لا يغيب عنكم المغزى من المجلس، وأنها من صحة الإيمان وليست من كمال الإيمان.

قال تعالى أيضًا عن اليهود لما عبدوا العجل قال:{ وَأُشْرِبُوا۟ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [البقرة:93]، الآية فيها أولًا إنكار من الله عز وجل على اليهود، هم زعموا أنهم من أهل الإيمان لأنه قال الله عز وجل:{ وَأُشْرِبُوا۟ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} هم ادعوا الإيمان، لكن الله عز وجل أنكر عليهم.. لماذا؟ لأنه وَجد الضد، أين الضد الذي وُجِد؟ هم ادعوا الإيمان، لكن الذي وُجِد كان ضد الإيمان الذي هو سجودهم للعجل، فلما وُجِد الضد انتفى الإيمان، لما وُجِد

كفرهم؛ عملهم من أعمال الكفر وهو السجود للعجل، دل ذلك على انتفاء الإيمان، لذلك أنكر الله عز وجل قال: {بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} أي إن كنتم مؤمنين حقًا، لأنه قال: {وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ} فلو كان الإيمان في القلوب حقًا موجود فدل ذلك على أن العمل الظاهر لابد أن يكون السجود لله، فلما كان السجود لغير الله – أي انتفى العمل الظاهر– فدل ذلك على حتى انتفاء الباطن الموجود عندهم، فأصبح هناك تلازم بين العمل الظاهر وبين العمل الباطن. من أين جاء التلازم وأنه يدل على الإيمان؟ بأنهم أتوا بالكفر ظاهرًا فانتفى عنهم الإيمان وأنكر عليهم الله عز وجل ذلك الإيمان، فدل ذلك على أن الأعمال لازمة لصريح الإيمان.

نقول من السنة هو ذكر هنا حديث يدل على التلازم؛ حديث: [**أَلا إِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً، إِذا صَلَحَتْ، صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإِذا فَسَدَتْ، فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وهي القَلْبُ**] فدل ذلك على أن القلب صلاحه بصلاح باقي الجسد وهي الجوارح، وفساد القلب بفساد باقي الجسد وهي الجوارح، ففيه تلازم أيضًا بين الأعمال الظاهرة مع الإيمان. منها أيضًا حديث حاطب بن أبي بلتعة حتى لا أعيد الحديث كاملًا لكن معلوم لديكم حديث حاطب بن أبي بلتعة الذي قد أرسل لكفار مكة يخبرهم بقدوم النبي ﷺ ، فلما علم النبي ﷺ بذلك وحيًا وأرسل من الصحابة سيدنا علي تقريبًا ومن معه أيضًا وأتى بالرسالة ثم جاءوا بحاطب رضي الله عنه فقال النبي ﷺ: (يا حاطب ما فعلك على ذلك؟) نحن سنقتطف الشواهد في الحديث؛ أولًا سيدنا عمر قال يا رسول الله (دعني أضرب عنق هذا المنافق)، فيه دلالة أولًا على أن الصحابة يفهمون بأن الظاهر والباطن متلازم، من ادعى الإيمان قلبًا لابد أن يكون ظاهرًا، إذًا العمل الظاهر قد يبين لك عدم وجود الإيمان، قال: (أضرب عنق هذا المنافق) والمنافق كافر، وهو مدعي الإيمان ويشهد ويصلي وغير ذلك. إذًا هذا دلالة أولًا على فهم الصحابة رضوان عليهم على التلازم بين الباطن والظاهر. وطبعًا هناك مسألة أخرى لأن المرجئة لما يتقول بأن الإيمان تصديق فيروا بأن الكفر تكذيب فقط ولا يرون أن هناك كفر متعدد ككفر الاستكبار والإعراض والاستهزاء وغير ذلك من أنواع الكفر السبعة، فهو هنا الفعل الذي فعله هو فعل كفري لأنه والى أهل الكفر، والله عز وجل يقول:{ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ * وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ} [المائدة:80-81]، وفاسقون هنا فسق أكبر؛ أي كافرون هي المقصودة في الآية هنا. المهم نقصد هنا أنه تولى أهل الكفر. فظاهر الفهم عند سيدنا عمر بأنه من أهل الكفر،أهل النفاق فيضرب عنقه، والنبي ﷺ ما أنكر على

عمر، ما قال له: كيف تكفره؟ ولكنه وجهه لمسألة أخرى. هو أولًا سأل حاطب ما الذي دعاك لذلك؟ قال ما فعلته ردة عن الإسلام- في معنى الحديث – ولكني ليس لي عندهم يد في مكة وكل منكم له يد، فأراد أن يكون له يد عندهم حفاظًا على ذريته وأبنائه، فأراد أن يبلغهم، فبين بأنه لم يفعله جاسوسية نصرة لأهل الكفر، حتى أنه قال والله إني أعلم أن الله لناصرك، أي أن المسألة منتهية، أنت ستذهب وتنصر لكن أردت لعلها لم تكون المرة هذه فتكون مره أخرى فأراد أن يكون له يد وخلاص عليهم. فبين بأن ما فعله ليس موالاة للكفار. فلذلك النبي ﷺ أوقف سيدنا عمر فقال له: (لعل الله اطلع على أهل بدر فقال افعلوا ما شئتم). طبعًا هذه أنا فسرتها في الفرقان بين أولياء الشيطان أكثر من هنا لكن سأمر على مسألتين: أن النبي ﷺ لم يقتل حاطب لأمرين، وجود المانع، والثاني عدم تحقق الشرط.

عدم تحقق الشرط بأن سيدنا حاطب بين بأنه لم يفعله موالاة للكفر بل فعله لأمر من أمور الدنيا، وقد – وأقول (قد) حتى لا يُشكل علينا أحد ببعض الأدلة الأخرى – أنه يبين ذلك بأن الشرط لم يتحقق في الموالاة؛ أي لم يواليه نصرة لأهل الكفر على أهل الإسلام، ولاه لأمر من أمور الدنيا، وإن كانت المسألة فيها ما فيها لكن نقول هذا شرط لم يتحقق فيه الموالاة، بخلاف من تجسس موالاة لأهل الكفر ورغبة في نصرة أهل الكفر على الإسلام، فهذه ردة، هذا شرط.

والمانع الذي قاله النبي ﷺ وصرحه قال: (لعل الله اطلع على أهل بدر فقال له افعلوا ما شئتم) فجعل فعله وحسنته في أهل بدر مانعة له عند الله عز وجل من أن يخرج بها من الإسلام. **فالشاهد في ذلك أن هناك تلازم**، هذا الذي نريده الآن؛ بأن إقرار النبي ﷺ على فهم عمر على أن الإيمان يستلزم العمل، فلما انتفى العمل انتفى الإيمان، والعمل هو موالاته للمسلمين وعدم موالاته للكفار، فلما انتفى العمل انتفى الإيمان، وهذه دلالة وثيقة جدًا على التلازم بين الأعمال والإيمان.

أيضًا ممكن حديث النبي ﷺ لما أراد عتبان بن مالك أن يأتي له النبي ﷺ إلى البيت ليصلي له ليتخذه مصلى، فلما اجتمع الصحابة اجتمعوا في البيت قال أحد الرجال مالي لا أرى مالك بن الدخشم؟ فقالوا إنه منافق يجادل على المنافقين، فالنبي ﷺ وقف قال ألم يقل لا إله إلا الله خالصًا يبنغي بها وجه الله عز وجل؟ هم الذين قالوا أنه منافق أخذوه بالظاهر لأنه منافق يناظر عنى المنافقين فحكموا عليه بالظاهر، لكن النبي ﷺ ردهم، هذا الرد مسألة وحي ليس لنا، لأن النبي ﷺ قال لهم ذلك؛ ألم يقل يوم لا إله إلا الله يبتغي بها وجه الله؟ هذا كأنه إقرار من النبي ﷺ على إخلاص قلبه، وهذا لا يعلمها إلا الله عز وجل وقد أعلم

بها النبي ﷺ. ما نريده في الحديث بأن النبي ﷺ لو لم يرد لهم على هذا التوجيه إلهيًا وحيًا على صحة إيمان هذا الرجل، وأنه ليس منافق نفاقًا أكبر، وإن كان أحيانًا يجادل – كما سنبين في حديث عائشة في حادثة الإفك عن سعد بن عبادة رضي الله عنه أيضًا – فهو النبي ﷺ بين وأقرهم على فهمهم على أنه إن كان يجادل عن المنافقين فهو العمل الذي يفعله دل ذلك على قدح في إيمانه، وأنه يخرجه من الإيمان إلى النفاق، وإن كان طبعًا ليس هذا النفاق الأكبر.

مثلها ما حدث في حادثة الإفك لما النبي ﷺ قام وخطب في الناس بعد أن سأل بريرة وسأل سيدنا علي عن السيدة عائشة فقال: من يعذرني من الناس في رجل أراد بأهله سوءًا؟ فقام سعد بن معاذ أولًا سيد الأوس فقال يا رسول الله ﷺ: إن كان من الأوس ضربنا عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج نفعل به ما تأمر. فقام سعد بن عبادة، وقالت السيدة عائشة: وكان رجل صالح لكن أخذته الحمية، لأن سعد بن معاذ قال: وإن كان من إخواننا من الخزرج نفعل فيه ما تأمرنا، أو نقتله، من عندي أنا مسؤول عنه؛ هو كان سيد الأوس، فقال سعد ابن عبادة لا والله ما تفعل به شيئًا، فقام الرجل قال اسكت أنك منافق تنافق عن المنافقين، مع أنه قال ذلك في وجود النبي ﷺ ، لكن السيدة عائشة بينت قالت أنه كان رجل طيب لكن أخذته الحمية فقط. **الشاهد** بأن الصحابة كان مستقر عندهم بأن الأعمال مرتبطة بالإيمان، وهذا الذي نريد أن نؤصله حتى في السنة؛ الأعمال مرتبطة بالإيمان، فإن تخلف العمل تخلف الإيمان، وإن ثبت العمل ثبت الإيمان.

فوجه الشاهد أن النبي ﷺ لم ينكر على الصحابة الذين كانوا في الدار قولهم عليه منافق لظاهر النفاق الذي كان يظهره ما لم يتكلم، لأن هذا الظاهر لهم، لكن بين لهم بأن ليس هو حاله، بأنه يوجد مانع، وهو شيء قلبي، لكن لا تستطيع أن تقوله أنت، لأن النبي ﷺ أُخبر به، كما حدث في حاطب، لكن حاطب لم يكن قلبي، هو بيَّن فعله الظاهر في بدر، وبيَّن بأنه لم يفعله موالاة للكفر، فامتنع عن ذلك بهذه المسألة.

الشاهد نقول بأنه هم فكرهم أو اعتقادهم على ربط الأعمال بالإيمان ربطًا، وهذا ممكن تقول يعد إجماعًا في القرون الخيرية، أنهم كانوا يرون ذلك، وهذا الذي نقله الشيخ هنا أيضًا، سينقله معنا الآن.

حتى الشافعي أيضًا نقل ذلك في (الأم)، نقل تصريح إجماع الأمة على أن الإيمان قول وعمل واعتقاد، وأن الثلاثة لا يجزئ واحد منهم عن الآخر، وحتى قال الشافعي كان الإجماع من

الصحابة والتابعين ومن أدركناهم من أهل العلم يقولون الإيمان قول وعمل ونية، ولا يجزئ واحد من الثلاثة إلا بآخر. وطبعًا لو نقلنا سننقل إجماعات أخرى شيخ البخاري الحميدي نقل ذلك أيضًا، ونقل عن مالك وابن عيينة إلى غير ذلك من أساطين أهل العلم. أيضًا ابن بطة وأيضًا ابن تيمية، ومن المعاصرين أو المتأخرين أئمة الحجاز جميعهم؛ من أول الإمام محمد عبد الوهاب وإلى وغير ذلك من أحفاده وشيوخه وإلى غير ذلك من أهل العلم.

نأتي للإشكاليات عند الذين قالوا بأن الأعمال ليست من الإيمان، أو ليست شرط صحة، عندهم إشكاليات وشبهات وأدلة. لكن نقرأ الأول.

254 - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الزَّعْفَرَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَطَاءٍ قَالَ: نَا أَبُو عُبَيْدَةَ النَّاجِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ الْحَسَنَ يَقُولُ: قَالَ قَوْمٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّا لَنُحِبُّ رَبَّنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِذَلِكَ قُرْآنًا: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ} [آل عمران: ٣١] فَجَعَلَ اتِّبَاعَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَمًا لِحُبِّهِ، وَكَذَّبَ مَنْ خَالَفَهُ، ثُمَّ جَعَلَ عَلَى كُلِّ قَوْلٍ دَلِيلًا مِنْ عَمَلٍ يُصَدِّقُهُ، وَمِنْ عَمَلٍ يُكَذِّبُهُ، وَإِذَا قَالَ قَوْلًا حَسَنًا، وَعَمِلَ عَمَلًا حَسَنًا، رَفَعَ اللَّهُ قَوْلَهُ بِعَمَلِهِ، وَإِذَا قَالَ قَوْلًا حَسَنًا، وَعَمِلَ عَمَلًا سَيِّئًا، رَدَّ اللَّهُ الْقَوْلَ عَلَى الْعَمَلِ، وَذَلِكَ فِي كِتَابِهِ تَعَالَى: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} [فاطر: ١٠]

هنا ترى التلازم من الشيخ يقول لك التلازم واضح، قال: ادعوا قوم محبة الله عز وجل فقالوا: إِنَّا لَنُحِبُّ رَبَّنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي} الإتباع عمل، إنقياد، ويستلزم العمل {يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ} ثم بيَّن قال: اتِّبَاعَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَمًا لِحُبِّهِ، وَكَذَّبَ مَنْ خَالَفَهُ وهذا كله تلازم بين الاعتقاد - قول القلب - وبين عمل القلب وبين عمل الجوارح؛ فإن كان عملًا صالحًا قُبِل منه، وإن كان عملًا سيئًا لم يقبل منه.

255 - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ قَالَ: حَدَّثَنَا آدَمُ، يَعْنِي ابْنَ أَبِي إِيَاسٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ الرَّازِيُّ، عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ: فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا} [البقرة: ١٧٧] يَقُولُ: تَكَلَّمُوا بِكَلَامِ الْإِيمَانِ، وَحَقَّقُوهُ بِالْعَمَلِ

قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: وَكَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ: "الْإِيمَانُ كَلَامٌ، وَحَقِيقَتُهُ الْعَمَلُ، فَإِنْ لَمْ يُحَقَّقِ الْقَوْلُ بِالْعَمَلِ، لَمْ يَنْفَعْهُ الْقَوْلُ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: وَكَذَلِكَ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُتَّقِينَ فِي كِتَابِهِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْهُ، وَدُخُولَهُمُ الْجَنَّةَ، فَقَالَ: {ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [النحل: ٣٢] وَهَذَا فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ يَطُولُ بِهِ الْكِتَابُ لَوْ جَمَعْتُهُ , مِثْلَ قَوْلِهِ فِي الزُّخْرُفِ {الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ} [الزخرف: ٦٧] إِلَى قَوْلِهِ {وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الزخرف: ٧٢] وَمِثْلَ قَوْلِهِ فِي سُورَةِ ق، وَالذَّارِيَاتِ، وَالطُّورِ، مِثْلَ قَوْلِهِ: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ، فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ، كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الطور: ١٨] وَقَالَ فِي سُورَةِ الْمُرْسَلَاتِ: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [المرسلات: ٤١] قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: كُلُّ هَذَا يَدُلُّ الْعَاقِلَ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ لَيْسَ بِالتَّحَلِّي وَلَا بِالتَّمَنِّي وَلَكِنْ مَا وَقَرَ فِي الْقُلُوبِ، وَصَدَّقَتْهُ الْأَعْمَالُ، كَذَا قَالَ الْحَسَنُ وَغَيْرُهُ، وَأَنَا بَعْدَ هَذَا أَذْكُرُ مَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَعَنْ كَثِيرٍ مِنَ التَّابِعِينَ أَنَّ الْإِيمَانَ تَصْدِيقٌ بِالْقَلْبِ، وَقَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ، وَمَنْ لَمْ يَقُلْ عِنْدَهُمْ بِهَذَا فَقَدْ كَفَرَ

الكلام واضح في كيفية بيان الشيخ – رحمة الله عليه – على تلازم الأعمال مع الإيمان، وختم بعبارة تأصيلية مهمة جدًا عندما قال: "أَذْكُرُ مَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَعَنْ كَثِيرٍ مِنَ التَّابِعِينَ أَنَّ الْإِيمَانَ تَصْدِيقٌ بِالْقَلْبِ، وَقَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ، وَمَنْ لَمْ يَقُلْ عِنْدَهُمْ بِهَذَا فَقَدْ كَفَرَ" دل ذلك على أن هذا أصل من أصول أهل السنة والجماعة؛ على التلازم في أركان الإيمان ولا ينفك بعضها عن بعض، وأتى طبعًا بالآيات التي تبين أن دخول الجنة أصلًا مبني على العمل، وإن كان من أسباب دخول الجنة هو الأعمال.

256 – حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عِيسَى بْنِ السَّكَنِ الْبَلَدِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حَرْبٍ الْمَوْصِلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ صَالِحٍ الْخُرَسَانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُوسَى الرِّضَا، عَنْ

أَبِيهِ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «الْإِيمَانُ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ، وَيَقِينٌ بِالْقَلْبِ»

هو الحديث طبعًا عند ابن ماجه وفيه ضعف حقيقة، لكن هو المعنى طبعًا مؤصل.

257- حَدَّثَنَا أَبُو يَعْقُوبَ إِسْحَاقُ بْنُ أَبِي حَسَّانَ الْأَنْمَاطِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ الدِّمَشْقِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا شِهَابُ بْنُ خِرَاشٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الْكَرِيمِ الْجَزَرِيُّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَا: "لَا يَنْفَعُ قَوْلٌ إِلَّا بِعَمَلٍ، وَلَا عَمَلٌ إِلَّا بِقَوْلٍ، وَلَا قَوْلٌ وَعَمَلٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ، وَلَا نِيَّةٌ إِلَّا بِمُوَافَقَةِ السُّنَّةِ

طبعًا هو المتفق عليه القول والعمل والنية، لو قلنا أن النية تصديق القلب أو قول القلب، والقول الشهادتين، والعمل عمل القلب والجوارح، أضاف هنا المتابعة على أن العمل لا يكون صحيحًا مقبولًا إلا بمتابعة السنة.

258 - وَأَخْبَرَنَا خَلَفُ بْنُ عَمْرٍو الْعُكْبَرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سُلَيْمٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو حَيَّانَ قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَقُولُ: «الْإِيمَانُ قَوْلٌ، وَلَا قَوْلَ إِلَّا بِعَمَلٍ، وَلَا قَوْلَ وَعَمَلَ إِلَّا بِنِيَّةٍ، وَلَا قَوْلَ وَعَمَلَ وَنِيَّةَ إِلَّا بِسُنَّةٍ»

259- وَأَخْبَرَنَا أَيْضًا خَلَفُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سُلَيْمٍ قَالَ: سَأَلْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ: عَنِ الْإِيمَانِ؟ فَقَالَ: «قَوْلٌ وَعَمَلٌ» وَسَأَلْتُ ابْنَ الْجَرِيحِ، فَقَالَ: «قَوْلٌ وَعَمَلٌ» وَسَأَلْتُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ، فَقَالَ: «قَوْلٌ وَعَمَلٌ» , وَسَأَلْتُ نَافِعَ بْنَ عُمَرَ الْجُمَحِيَّ، فَقَالَ: «قَوْلٌ وَعَمَلٌ» ، وَسَأَلْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ، فَقَالَ: «قَوْلٌ وَعَمَلٌ» وَسَأَلْتُ فُضَيْلَ بْنَ عِيَاضٍ، فَقَالَ: «قَوْلٌ وَعَمَلٌ» وَسَأَلْتُ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ، فَقَالَ: «قَوْلٌ وَعَمَلٌ» ، قَالَ الْحُمَيْدِيُّ: وَسَمِعْتُ وَكِيعًا يَقُولُ: "أَهْلُ السُّنَّةِ يَقُولُونَ: الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَالْمُرْجِئَةُ يَقُولُونَ: الْإِيمَانُ قَوْلٌ، وَالْجَهْمِيَّةُ يَقُولُونَ: الْإِيمَانُ الْمَعْرِفَةُ"

الحميدي هذا شيخ البخاري.

وهنا **انتبه** .. أهل السنة يقولون الإيمان قول وعمل، والمرجئة يقولون الإيمان قول، والجهمية يقولون الإيمان معرفة. والجهمية مع المرجئة كلهم أنواع يجتمعون في طبقات المرجئة لأن قول الجهمية هو أصلًا إرجاء؛ هم يقولون المعرفة فقط، وهو أن يكفي أنك تعرف. الإيمان عند المرجئة يقولون الإيمان قول، وهذا ليس مقصود قول اللسان فقط، لكن يقصدون قول اللسان وقول القلب- التصديق- هو يقصد هنا بقول القلب – التصديق – وإلا أن بعض المرجئة يكتفون بقول القلب –التصديق – فقط. فالأشاعرة عندهم قولان؛ قول بالتصديق فقط فيكون مؤمن والشهادتين لازمة، لكن الإيمان التصديق، وهو قول صريح عندهم بأن الإيمان تصديق فقط، ويقول أن قول الشهادتين هذا زائد، لكن البعض لما استصعب الأمر كيف يقول بأن الإيمان تصديق وهو قول القلب ولا يلزمه الشهادتين؟ فقالوا الشهادتين لازمة لكن الإيمان هو التصديق، فالشهادتين للدخول، لكن الإيمان جعلوه للتصديق، وفرقوا ما بينهم. والأشاعرة وكل هؤلاء دخلوا في المرجئة في المسألة هذه. لذلك هو يقصد الإيمان قول هنا لا يقصد قول اللسان، لأن قول اللسان قال به الكرامية، وقلناها أول ما بدأنا الأبواب هذه قلنا أن الذين قالوا بقول اللسان فقط هم الكرامية، وقلنا لهم أنتم قلتم كالمنافقين، فجعلتم المنافقين كالمسلمين، لأن المنافق بيقول لا إله إلا الله لكن قلبه ليس فيه إيمان. فهو يقصد هنا (الإيمان قول) يقصد قول القلب، حتى تنتبهوا، ولا يقصد قول اللسان.

260 – حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ خَشْرَمٍ قَالَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سُلَيْمٍ الطَّائِفِيُّ، عَنْ هِشَامٍ، عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: " الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَقَالَ يَحْيَى بْنُ سُلَيْمٍ: فَقُلْتُ لِهِشَامٍ: فَمَا تَقُولُ أَنْتَ؟ فَقَالَ: " الْإِيمَانُ: قَوْلٌ وَعَمَلٌ " وَكَانَ مُحَمَّدٌ الطَّائِفِيُّ يَقُولُ: «الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ» . قَالَ يَحْيَى بْنُ سُلَيْمٍ: وَكَانَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ يَقُولُ: «الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ» قَالَ يَحْيَى: وَكَانَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ يَقُولُ: «الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ» . قَالَ: وَكَانَ فُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ يَقُولُ: «الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ»

261 – وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا سَلِيمَةُ بْنُ شَبِيبٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ قَالَ: سَمِعْتُ مَعْمَرًا، وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ، وَمَالِكَ بْنَ أَنَسٍ، وَابْنَ جُرَيْجٍ، وَسُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ يَقُولُونَ: «الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ»

انتبه .. لأن هنا قال مالك بن انس، وطبعًا نحن قلنا من قبل أن مالك قال بأن الإيمان يزيد ولا ينقص، لكن هذا النقل لعله لمن اعتذر الإمام مالك أو قال بأن له قول آخر لأن هنا قال:

وَمَالِكَ بْنَ أَنَسٍ، وَابْنَ جَرِيجٍ، وَسُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ يَقُولُونَ: «الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ» فممكن تضاف لنقل الشيخ على أن الإمام مالك قال بذلك، قال "ولم يقل" هذا قول أهل السنة والجماعة، أي نقل أو لم ينقل عنه.

262- حَدَّثَنَا ابْنُ مَخْلَدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ السِّجِسْتَانِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ قَالَ: " الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ

قَالَ أَحْمَدُ: وَبَلَغَنِي أَنَّ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ وَابْنَ جُرَيْجٍ، وَفُضَيْلَ بْنَ عِيَاضٍ قَالُوا: «الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ»

263 - وَحَدَّثَنَا ابْنُ مَخْلَدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ شَمَّاسٍ قَالَ: سَمِعْتُ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ الْحَمِيدِ يَقُولُ: «الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ» قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ شَمَّاسٍ: وَسَأَلْتُ بَقِيَّةَ بْنَ الْوَلِيدِ وَأَبَا بَكْرِ بْنَ عَيَّاشٍ فَقَالَا: «الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ» قَالَ إِبْرَاهِيمُ: وَسَأَلْتُ أَبَا إِسْحَاقَ الْفَزَارِيَّ فَقُلْتُ: "الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ؟ قَالَ: نَعَمْ" قَالَ: وَسَمِعْتُ ابْنَ الْمُبَارَكِ يَقُولُ: «الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ»

264 -حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَزَّةَ قَالَ: سَمِعْتُ الْمُؤَمَّلَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ يَقُولُ: " الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، وَيَزِيدُ وَيَنْقُصُ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: فِيمَا ذَكَرْتُهُ مُقْنِعٌ لِمَنْ أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ الْخَيْرَ، فَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يُتِمُّ لَهُ الْإِيمَانُ إِلَّا بِالْعَمَلِ هَذَا هُوَ الدِّينُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} [البينة: ٥]

كل هذا طبعًا بينه الإمام – رحمة الله عليه – جزاه الله خيرًا في مسألة تلازم العمل بالإيمان، وبيان عقيد أهل السنة والجماعة.

شبهات الذين قالوا أن الأعمال لا تدخل في الإيمان:

تبقى لنا شبهات حقيقة توجد أربع شبهات أو خمسة على الأكثر تبين لكم قول الذين قالوا بأن الأعمال لا تدخل في الإيمان. استدلوا بأربع أو خمس شبهات؛ وهناك شبهات شرعية، وهناك

شبهات عقلية، سأوجز لكم؛ نكتفي بالشبهات الشرعية حتى تكتمل الصورة، والشيخ لم يتعرض للخلاف هنا، وإن كان بيَّن طبعًا كأنه إقرار بعد ما بين كتاب وسنة وإجماع، ولكن الحق أنه بيَّن أنه يوجد مخالف؛ المرجئة بأنواعها حتى مرجئة الفقهاء والنزاع بيننا وبينهم في مسألة الأعمال، فلهم شبهات في ذلك.

الشبهة الأولى:

حديث البطاقة، معلوم لكم لكن حتى لا أقرأ كل الأحاديث الطويلة نأتي بالشواهد التي فيها أو الشبهات اللي عندهم. حديث البطاقة:[يُصاحُ برَجُلٍ مِن أُمَّتي يومَ القيامةِ على رُؤوسِ الخلائِقِ فيُنشَرُ له تِسعةٌ وتِسعونَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ البَصَرِ، ثمَّ يقولُ اللهُ تعالى: أتُنكِرُ مِن هذا شيئًا؟ فيقولُ: لا، يا رَبِّ، فيقولُ الرَّبُّ تبارك وتعالى: ألك عُذرٌ أو [حَسَنةٌ]؟ فيَهابُ الرَّجُلُ، فيقول: لا، يا رَبِّ، فيَقولُ اللهُ عزَّ وجَلَّ: بلى، إنَّ لك عِندَنا حَسَناتٍ، وإنَّه لا ظُلْمَ عليك، فتُخرَجُ له بِطاقةٌ فيها: أشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وأنَّ مُحمَّدًا [رَسولُ اللهِ]، فيقولُ: يا رَبِّ، ما هذه البِطاقةُ مع هذه السِّجِلَّاتِ؟ فيَقولُ: إنَّك لا تُظلَمُ، قال: فتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ في كِفَّةٍ، والبِطاقةُ في كِفَّةٍ، فطاشت السِّجِلَّاتُ وثَقُلَت البِطاقةُ] هنا هم بيستدلوا بالحديث هذا على أن الذي نجاه بطاقة لا إله إلا الله، إذًا المنجية له بطاقة لا إله إلا الله.

كيف الرد عليهم؟ لأن هم كلامهم كله في أن لا إله إلا الله هي التي أنجته وأن الأعمال ليست في المسألة، بل أعماله كلها كانت سيئات سجلات، ووضعوا البطاقة فكانت هي الحسنة. نقول أولًا تأصيلًا؛ الخلاف بيننا وبين مرجئة الفقهاء أو الذين قالوا بأن الأعمال ليست من الإيمان قلنا لهم الآن لابد أن نؤصل: هل هذا الحديث على ظاهره أم ليس على ظاهره؟ نقول له نحن وأنتم لا نعمل بهذا الحديث على ظاهره، كيف؟ هم يتفقون معنا بأن أعمال القلوب من الإيمان.. صحيح أم لا؟ – انتبهوا معي هذا التأصيل الذي قلناه من قبل – هو الخلاف بيننا وبينهم في أعمال الجوارح؛ مرجئة الفقهاء يقولون بأن أعمال القلوب من الإيمان، وخالفوا معنا في أعمال الجوارح. قلنا لهم إذًا أنتم الآن لا تعملون بظاهر الحديث، لأن ظاهر الحديث أنكم تُخرجون أيضًا أعمال القلوب، ليس الجوارح فالجوارح هم بينكروا علينا، أعمال القلوب لم تظهر في الحديث، إذًا الذي نجاه لا إله إلا الله وهذا غير ظاهر، إذًا لابد بأننا نعمل بخلاف الظاهر في هذا الحديث، لأنكم لن تقرون معنا ونحن لا نقر على أن الذي أدخله الجنة لا إله إلا الله وهو ليس عنده أعمال قلوب، لأن عندكم أعمال القلوب من الإيمان، وهذه لم تظهر في الحديث. إذًا نؤصل معكم بأن ظاهر الحديث غير مراد، وأن لابد فيه من تقديرات، والتقديرات التي فيها بأنه لما قال الله عز وجل أن لك عندنا حسنات أعظمها لا إله إلا الله

التي وضعت لكنك معك أعمال قلوب، ومعك أعمال جوارح لم تظهر، وأعظم أعمال الجوارح ممكن معك الصلاة فقط حتى لو قلنا بها، إذًا المراد في الحديث ليس ظاهره على نفي الأعمال لكن الله عز وجل قال لك (حَسَنَاتٍ)، وأظهر له أعظمها وهي شهادة أن لا إله إلا الله. إذًا يحتمل أنه يكون معه أعمال أخرى، حسنات أخرى، فهم يقولون أين الحسنات؟ ما ظهرت. قلنا لهم وأين أعمال القلوب التي تقولون بأنها من الإيمان؟ فما ظهرت فلو ليس عنده إذًا ليس بمؤمن، لأنكم تقولون بلزوم أعمال القلوب، إذًا كما أن أعمال القلوب لم تظهر كذلك لكن عندنا إشارة في (حَسَنَاتٍ)، لأن فيها حسنات، لكن الله أظهر له أعظمها وهي لا إله إلا الله التي طاشت بها السجلات، ومعها ما معها من أنواع الحسنات الأخرى.

الوجه الثاني في الرد على هذا الحديث: نقول هو دخل الجنة بماذا؟ قالوا برحمة الله عز وجل، لأن هو دخل الجنة ليس معه شيء، فأنتم تقولون بأنه دخل بالشهادتين ورحمة الله عز وجل. طيب دخول الجنة برحمة الله لها أيضًا قيود بينها الله عز وجل في قوله تعالى في سورة الأعراف: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ...} [الأعراف: 156- 157]، إذًا الرحمة التي وسعت كل شيء ليست هكذا! لابد أن يكتبها الله عز وجل لـ: {لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ} فيها أعمال أم لا؟ إذًا لا يمكن أن تكون الرحمة التي أدخلته الجنة خالية عن ذلك، بل شرط الله عز وجل شروطًا كما بيناها هنا. قال: (يَتَّقُونَ) التقوى معناها إخلاص وتصديق وأعمال قلوب، وقال: (وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) هذه أعمال جوارح. إذًا ذكر أعمال القلوب وأعمال الجوارح، وأيضًا قال: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ) قول النبي ﷺ: [فمَن رَغِبَ عن سُنَّتي فليسَ مِنِّي] وهو الاتباع هنا. إذًا الوجه الثاني بأن حتى الرحمة التي تقولون يدخل بها المرء الجنة فلابد لها من قيود قد بينها الله عز وجل. هذه الشبهة الأولى.

الشبهة الثانية:

في حديث الشفاعة يقول فيه الله عز عز وجل: [شَفَعَتِ المَلائِكَةُ، وشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وشَفَعَ المُؤْمِنُونَ، ولَمْ يَبْقَ إلَّا أرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فيُخْرِجُ مِنْها قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قدْ عادُوا حُمَمًا، فيُلْقِيهِمْ في نَهَرٍ في أفْواهِ الجَنَّةِ يُقالُ له: نَهَرُ الحَياةِ] وجه الشاهد أن وجه من الوجوه أن العرب تقول (قط) على التقليل، أي مثلًا طلبت منه يعمل لك شيء، مثل ما بتحدث عند العوام يقول (أنا طلبت منه ذلك ولم يفعل شئ) هو لا يقصد أنه لم يفعل شيء، هو عمل بعض الشيء ولم يتقنه. فالعرب تقول لم يعمل خيرًا قط، فيقصد بها عند لغة العرب أنه لم يتم

العمل بالكفاءة المطلوبة، وليس أنه لم يعمل على الإطلاق، هذا من لغة العرب. لكن هل تذكرون أيضًا وجوه أخرى في الرد على (لم يعمل خيرًا قط) ؟ لأن البعض يستدل بها استدلال قوي على أن الأعمال ليست من الإيمان، قال: (لم يعمل خيرا قط) . أتينا بوجه اللغة عند العرب.

ممكن تقولوا أيضًا بالوجه الذي قلناه في الوجه الأول في الحديث الأول مع مرجئة الفقهاء قالوا (لم يعمل خيرًا قط) هل تقولون بظاهر الحديث أم بغير ظاهر الحديث؟ لو قلتم بظاهر الحديث إذًا لم يكن عنده لا أعمال قلوب ولا أعمال جوارح، فهو لم يعمل خيرًا قط، وأنتم الآن لا يمكن أن تقبلوا الإيمان بغير أعمال قلوب، إذًا استثنيتم من (لم يعمل خيرا قط) أعمال أم لا؟ استثنيتم أعمال القلوب. قلنا إذا استثنيتم إذًا ليست على بابها (خيرًا قط) لابد فيها من الاستثناءات، ونحن نستثني مع أعمال القلوب الصلاة، أعمال الجوارح والصلاة أعظمها بأنه لابد أن يصلي. قالوا نحن استثنينا بأدلة، ونحن استثنينا بأدلة أيضًا. فإذًا لماذا نأخذه من هذا الباب أيضًا؟ بأن (لم يعمل خيرًا قط) هي ليست على بابها، هي لابد فيها من استثناءات، أو نقول ليس المراد بأنه لم يعمل على الإطلاق وإلا ستقول بأنه الذي لم يعمل خيرًا قط أي ليس عنده أعمال قلوب، أي ليس عنده حب لله ولا بغض للكفار، وليس عنده يقين، إلى غير ذلك، لا أنتم ولا تقولون به، وأيضًا ليس عنده توكل، والله عز وجل يقول:{ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ} [المائدة:23]، فإن لم تكن متوكل على الله فأنت ليس بمؤمن. فلو كان لم يعمل خيرًا قط ليس عنده أعمال القلوب هذه أيضًا إذًا هو ليس من أهل الإيمان، إذًا كيف سيدخل الجنة؟ لا يدخل الجنة. وهم يقولون لنا نحن أخرجنا أعمال القلوب بأدلة، وهي الأدلة التي ذكرناها {وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ} إلى غيره. قلنا ونحن نخرجها بأدلة؛ قال النبي ﷺ: [العهدُ الذي بيننا وبينهم الصلاةُ، فمَن تركَها فقد كفرَ] وأيضًا قول: [بينَ العبدِ وبينَ الشِّركِ أوِ الكفرِ تركُ الصَّلاةِ] معرفة هنا. إذًا قلنا أيضًا هذا دليل على أن الصلاة من أعمال الجوارح التي إن لم يفعلها فيكون بها المرء كافرًا. طبعًا ممكن يشكلوا علينا في الخلاف ما بين العلماء، لكن هذا خلاف متأخر ليس خلاف الصحابة، لأن خلاف التابعين في مسألة كفر تارك الصلاة، لكننا نبين أن هذا أيضًا استثناء من هذه.

أيضًا عندنا أدلة أخرى على أن "لم يعمل خيرًا قط" ليست على بابها، ومن السنة قول النبي ﷺ في النساء:[لو أحسَنتَ إلى إحداهُنَّ الدَّهرَ، ثُمَّ رأَتْ منكَ شيئًا، قالَتْ: ما رأَيتُ منكَ خيرًا قطُّ] هو قد أحسن إليها. إذًا (خيرًا قط) ليست المقصود بها هنا على عموم أنهم لم يفعلوا أعمالًا خير.

الشبهة الثالثة:

حديث الرجل الذي الذي أمر أهله أنه إذا مات أن يحرقوه ويذروه فحتى لما رجع إلى الله عز وجل قال ما حملك على ذلك؟ قال [حُسب رجل من كان قبلكم فقال لم أكن أعمل خيرًا قط، فقال لأبنائه فإن مت فدروني واحرقوني ثم انثروني في البحر] فلما جمعه الله عز وجل قال ما حملك على هذا؟ قال **[خشيتك يارب]** مع أنه قال (لم يعمل خيرًا قط). إذًا (لم يعمل خيرًا قط) هذه ليست على بابها، خشيته التي جعلته يعمل ذلك، والخشية هذه إيمان، هذا عمل قلبي، فما الذي يمنع أن يكون العمل القلبي مع عمل الجوارح؟ لا فارق بينهما. إذًا (لم يعمل خيرًا قط) أيضًا ليست على بابها.

أيضًا حديث الرجل الذي قتل مائة نفس، فلما تاب وسار ومات في الطريق تخاصمت ملائكة العذاب مع ملائكة الجنة، فقالت ملائكة العذاب أنه لم يعمل خيرًا قط؛ مع أن الرجل تاب والتوبة هذه عمل، بل سار إلى القرية الأخرى والسير هذا عمل، ومع ذلك قالت الملائكة (لم يعمل خيرًا قط). فأراد الله عز وجل أن يبين لهم بأنه قد تاب عليه فأمر ملائكة الرحمة أنها تقصر الأرض إلى البلدة الأخرى وأدخله الجنة. فالشاهد أن الملائكة قالوا (لم يعمل خيرًا قط) وهو قد عمل أيضًا خيرًا قط. أنا طبعًا أوجز ما استطعت في المسألة هذه.

هو يوجد استنباط جميل حقيقة أذكره لكم أيضًا في مسألة (أنه لم يعمل خيرًا قط) أهل السنة والجماعة قالوا هذا مستثنى من الصلاة طبعًا؛ أي أن الصلاة استثنيت بأعمال القلوب من أعمال الجوارح الصلاة فقط، لأن الصلاة هي التي فيها الخلاف في مسألة الكفر، واستدل ابن القيم في مسألة الصلاة حقيقة بدليل واستنباطه رائع جدًا وهو حديث الصراط، بعد أن يأمر الله عز وجل كل من كان يعبد غير الله أن ينزل خلفه فينزل في جهنم فيتبقى من كانوا من أهل القبلة – على التفسير الذي سأقوله الآن – الذي قاله ابن القيم – فيتبقى "كل بر وفاجر"، الرواية هكذا – فيقول ماذا تنتظرون؟ فيأتيهم الله في غير صورته. قالوا ننتظر ربنا. قال بينكم وبينه علامة؟ قالوا نعم. قال أنا ربكم، قالوا ليس ربنا. ثم يأتي الله عز وجل لهم فيكشف عن ساقه سبحانه وتعالى، فيسجد من كان يسجد في الدنيا لله – كما قال ابن القيم– والذين يحاولون أن يسجدوا فيكون ظهرهم طباقا فيرجعون إلى خلفهم، قالوا هذا الذين كانوا يسجدون في الدنيا رياء وسمعة ليس لله. والرواية بها "بر وفاجر"، هو أراد أن يفرق بين ماذا؟ قال هذا صلى وهذا صلى، لكن هذا صلى لله فسجد، وهذا صلى لغير الله فلم يُقبَل منه، فدل ذلك على أن الصلاة مستثناة، لأن الإثنين كملوا إلى النهاية. هو يريد أن يقول أن الإثنين بر وفاجر وصلوا إلى ظهور الله عز وجل، والباقي الذين نزلوا مع من كانوا يعبدون من دون الله عز

وجل. فهو حمل هنا التفسير على أن هذا ليس النفاق الأكبر على أنهم هؤلاء كانوا يصلون لكن يصلون لله وهؤلاء كانوا يصلون لغير الله، لذلك هؤلاء الذي نجاهم من الوقوع في النار مع من يعبدون هي الصلاة التي كانوا يصلوها مع أنهم كانوا يصلوها لغير الله. فهو يريد أن يقول أن الصلاة هنا مستثناة من (لم يعمل خيرًا قط).

الشبهة الرابعة:

حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: [يدرُسُ الإسلامُ كما يدرُسُ وَشيُ الثَّوبِ حتَّى لا يُدرَى ما صيامٌ، ولا صلاةٌ، ولا نسُكٌ، ولا صدَقةٌ، ولَيُسرى على كتابِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ في ليلَةٍ، فلا يبقى في الأرضِ منهُ آيةٌ، وتبقَى طوائفُ منَ النَّاسِ الشَّيخُ الكبيرُ والعجوزُ، يقولونَ: أدرَكْنا آباءَنا على هذِهِ الكلمةِ، لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، فنحنُ نقولُها فقالَ لَهُ صِلةُ – وكان من تلاميذه– ما تُغني عنهم: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وَهُم لا يَدرونَ ما صلاةٌ، ولا صيامٌ، ولا نسُكٌ، ولا صدقةٌ؟ فأعرضَ عنهُ حُذَيفةُ، ثمَّ ردَّها علَيهِ ثلاثًا، كلَّ ذلِكَ يعرضُ عنهُ حُذَيفةُ، ثمَّ أقبلَ علَيهِ في الثَّالثةِ، فقالَ: يا صِلةُ، تُنجيهِم منَ النَّارِ ثلاثًا] ما وجه الشاهد عند هؤلاء؟ بأن لا إله إلا الله أنجتهم من النار، فالذين يقولون بأن الأعمال ليست من الإيمان يقولون بأنها تنجيهم من النار، هذا وجه الشاهد، والذي يريدونه أنها تنجيهم من الخلود في النار؛ أي ليسوا بكفار، إذًا لا إله إلا الله أنجتهم وبدون أي عمل؛ لا صلاة ولا نسك ولا صيام. هل هذه شبهة أم ليست بشبهة؟

العذر بالجهل، لكن هو من أين جاء العذر بالجهل هنا؟ لما قال النبي ﷺ[يدرُسُ الإسلامُ] أي يختفي الإسلام، أي أن شرائع الإسلام لا تكون موجودة، قال: [لا يُدرَى ما صيامٌ، ولا صلاةٌ، ولا نسُكٌ] إذًا هنا:{ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا} [الإسراء:15]، فهنا لما اندرس الإسلام وانمحى ليست تفاصيله موجوده والشريعة، فنقول بأنهم لا يُحاسَبون، إذًا لذلك قال [تُنجيهِم] وهذا يكون في آخر الزمان لما يدرس الإسلام فلا يتبقى إلا فقط الشهادتين فمن قال بها يُبعث على ذلك ويقول أنه ليس عنده أحد من يعلمه أو يقول له. والحديث ظاهر على مسألة يدرس الإسلام وسيُعذرون بذلك في هذا، وهذا الحديث الأصل أنه يُحمَل على آخر الزمان لقوله تعالى أيضًا:{ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ} [الأنعام:19]، فمن بلغه حُسِب عليه { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا} [الإسراء:15]، ومن لم يبلغه لأنه قال: [يدرُسُ الإسلامُ] إذًا لم يبلغه، لا يحاسب عليه، لذلك هي تنجيهم في هذا الموطن فقط. لكن ليس لكم نزاع في الدليل، نحن نتكلم الآن عن غير ذلك، هذه حالة خاصة وفي آخر الزمان ويدرس الإسلام، نحن نتكلم عن وجود الشرائع.

سأختم بآخر شيء حديث معاذ رضي الله عنه في الصحيحين لما قال النبي ﷺ له:[إنَّك تأتي قومًا أهلَ كتابٍ فأول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله] وفي رواية قال:[فَلْيَكُنْ أَوَّلَ ما تَدْعُوهُمْ إلى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى] ... [فإنْ هُمْ أطاعُوا لذلكَ، فأعْلِمْهُمْ أنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عليهم...] إلى آخر الحديث. فقالوا إذًا الأهم في المسألة كلها أن يقولوا لا إله إلا الله، لأنه قال فإن هم وحدوا فأعلمهم أن الله..، إذًا جعل المسألة معلقة على الشهادتين، إذًا تكفي الشهادتين للدخول في الإسلام ومحاسبة المرء عليه فقط لدخول الجنة. هم يستدلون بهذا الحديث على ذلك. فهو يريد أن يقول أول ما تدعوهم يوحدوا الله بالشهادتين فلو كان الإسلام من التوحيد لبين لهم وهو يقول لهم، لكن هو قال ادعوهم إلى أن يوحدوا الله، فإن هم أجابوك فأعلمهم، إذًا المسألة كلها على الشهادتين أولًا والباقي هذه أعمال لكن ليست من أركان الإيمان التي يحاسب عليها المرء.

الرد هنا عليه بأن العرض بالشهادتين، ولابد أن يعرض عليه أركان المباني الخمسة، فإن قَبِل صار مسلمًا، فإن رد رجع مرتدًا. إذًا هي المسألة ليست بأنها فقط هي الشهادتين، لكنه لابد أن يدخل أولًا بالشهادتين ثم يُعلَم بباقي الأركان وعليه قبولها. وطبعًا هذا يضم مع حديث النبي ﷺ الآخر: [أُمِرْتُ أنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حتَّى يَشْهَدُوا أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ، ويُقِيمُوا الصَّلَاةَ، ويُؤْتُوا الزَّكَاةَ...] إذًا القتال على الكل، وليس القتال على لا إله إلا الله فقط، لأنه جاء كله معطوفًا، فدل على أن فقط الابتداء بالشهادتين، لكن الاستدامة بالمباني الخمسة.

هذه كانت آخر الشبهات الشرعية التي سنبينها في الرد عليهم، ونكون إلى حد ما بينا قول أهل السنة والجماعة في هذا الأمر وهو أصل من أصولنا في مسألة الإيمان، ورددنا عن بعض الشبهات التي قد تعرض عليكم عند مرجئة الفقهاء الذين يقولون بأن الأعمال ليست من الإيمان.

تحتاج إلى مراجعة وحفظ وتحتاج إلى اتقان حتى تكون عندك جاهزة لأن المسألة انتشرت عند البعض لأنهم يريدون أن يروجوا أيضًا بأن الأعمال ليست من الإيمان، وطبعًا العوام مشهور عنهم يضرب على قلبه ويقول لك أنا قلبي أبيض وسليم ونظيف وفقط، وهو لا يعلم طبعًا إرجاء أم ليس إرجاء، لكن هو يرى أن الإيمان في القلب. والبعض أيضًا من طلبة العلم الذين يتبنون هذا القول قول مرجئة الفقهاء، ويرون بأن الأعمال شرط كمال وليس شرط صحة. والحق أن هذا القول إشكاليته بأنه يخالف إجماع أهل السنة والجماعة الذي بينه الإمام الآجري- ليس نحن نبينه – الإمام الآجري الذي بيَّن ذلك، فهذا القول حقيقة قول يوافق قول

المرجئة، وهو قول مبتدع، فلا يصح أن يقوله طالب علم أو من ينتسب إلى أهل السنة والجماعة.

نقف عند هذا القدر وإن شاء الله الأسبوع القادم سندخل في باب جديد ومهم أيضًا وهو كفر تارك الصلاة، وترجيح الإمام الآجري في مسألة حكم تارك الصلاة والخلاف بين المذاهب في مسألة حكم تارك الصلاة؛ هل على الكفر أم غير ذلك. إن شاء الله نبينه الأسبوع القادم.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب اليك.

المحاضرة السادسة والثلاثون

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام على موعد مع شرح باب جديد ودرس جديد من دروس كتاب الشريعة للإمام الآجري – عليه رحمة الله تعالى – وقد انتهينا بفضل الله من بعض أبواب الإيمان، وطبعًا هناك أبواب أخرى للإيمان ستأتي لكن أتى المؤلف بفاصل سيتكلم عن **بَابُ كُفْرِ مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ**، وهذا طبعًا كأنه يظهر من تبويب الإمام الآجري بأنه يقول بقول من قال بكفر تارك الصلاة. وسنبين الباب كله على أن هذه المسألة من المسائل التي وقع فيها الخلاف بين أهل السنة والجماعة، والخلاف حقيقة فيه خلاف قوي، وخلاف معتبر، وكل من الفريقين معهم أدلة قوية في ذلك. نستعرض إن شاء الله بإذن الله تعالى ما ذكره المؤلف، وإن شاء الله بالتفصيل نبين هذه المسألة التي هي من الأهمية بمكان، وهي مسألة كفر تارك الصلاة.

ومناسبة ذلك أنه أتى بها بعد ما بين لنا عقيدة أهل السنة والجماعة في مسألة الأعمال والإيمان وإلى غير ذلك، فأراد أن يبين لنا بأن من أعلى الأعمال وأعظم الأعمال هي الصلاة، فمن تركها فما حكم ذلك؟ وهي طبعًا من أعظم المباني بعد الشهادتين من المباني الخمسة، بل هو الركن الذي يصح أن تقول فيه ما اختلف الصحابة – أقول الصحابة لأن حدث الخلاف بعد الصحابة نعم – لكن ما اختلف الصحابة في كفر تارك الصلاة، الحق لابد أن نبين ذلك، وسنبين الخلاف الذي حدث بعد ذلك، لكنه نُقِل بين الصحابة أنهم ما اختلفوا في كفر تارك الصلاة – والله أعلم – لكن حدث الخلاف بين التابعين وبعد تابعي التابعين، وحدث بين المذاهب، لكن ما نُقِل على أن الصحابة كانوا لا يرون عملًا تركه كفر أعظم من الصلاة، أو فيما يصح هذا المعنى.

فنبدأ إن شاء الله قراءة الأحاديث كلها لأنها يسيرة ثم سنسرد أقوال العلماء؛ وملخص المسألة على قولين وبعضهم يزيد قول ثالث فرعي عن القول الثاني في مسألة حكم تارك الصلاة، نذكر أدلة كل قول وأيضًا رد المخالف على أصحاب القول الثاني في أدلتهم لنبين الخلاف في المسألة.

قال المصنف – رحمه الله تعالى –:

26 - بَابُ كُفْرِ مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ

265 – حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْحُلْوَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيعِ الزَّهْرَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ»

266 – حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ شَاهِينَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْأَدَمِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سُلَيْمٍ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ جُرَيْجٍ، سَمِعَ أَبَا الزُّبَيْرِ قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ بَيْنَ الْعَبْدِ الْمُسْلِمِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ إِلَّا تَرْكُ الصَّلَاةِ»

267 – حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ صَاعِدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَرَفَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو حَفْصٍ الْأَبَّارُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ لَيْثٍ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ أَوْ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ تَرْكُ الصَّلَاةِ»

268 - حَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّنْدَلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ زِيَادٍ قَالَ: نَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ قَالَ: حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ قَالَ: حَدَّثَنِي حُسَيْنُ بْنُ وَاقِدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةِ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»

269 - حَدَّثَنَا أَبُو نَصْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ كُرْدِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: نا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ قَالَ: نا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنِ الْمَسْعُودِيِّ، عَنِ الْقَاسِمِ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ يَعْنِي ابْنَ مَسْعُودٍ «الْكُفْرُ تَرْكُ الصَّلَاةِ»

270 - حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّنْدَلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ زِيَادٍ قَالَ: نَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ الْأَوْزَاعِيَّ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُخَيْمِرَةَ: فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا} [مريم: ٥٩] قَالَ: أَضَاعُوا الْمَوَاقِيتَ، وَلَمْ يَتْرُكُوهَا، وَلَوْ تَرَكُوهَا صَارُوا بِتَرْكِهَا كُفَّارًا

271 - حَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أَيُّوبَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدِّمَشْقِيُّ قَالَ: نا أَيُّوبُ بْنُ سُوَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ يَزِيدَ قَالَ: حَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ قَالَ: أَخْبَرَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ يَسَارٍ: أَنَّ الْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ: أَخْبَرَهُ حِينَ طُعِنَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَيْهِ هُوَ وَابْنُ عَبَّاسٍ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَفْزَعُوهُ فَقَالُوا: الصَّلَاةَ، الصَّلَاةَ، فَقَالَ: «نَعَمْ، وَلَا حَظَّ فِي الْإِسْلَامِ لِمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ، فَصَلَّى وَالْجُرْحُ يَثْعَبُ دَمًا»

272 - أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُفَيْرٍ الْأَنْصَارِيُّ قَالَ: نا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ قَالَ: نا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، قَالَ: نا قُرَّةُ بْنُ خَالِدٍ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ طُعِنَ، فَقَالُوا: الصَّلَاةَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ: «الصَّلَاةُ هَا اللَّهَ إِذَنْ، وَلَا حَظَّ فِي الْإِسْلَامِ لِمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ»

273 - حَدَّثَنَا ابْنُ مَخْلَدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ قَالَ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ، يَقُولُ: "إِذَا قَالَ: لَا أُصَلِّي، فَهُوَ كَافِرٌ"

274 - أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى الْجَوْزِيُّ قَالَ: نَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمَجِيدِ قَالَ: نَا أَبُو الْعَوَّامِ الْقَطَّانُ قَالَ: نَا قَتَادَةُ، وَأَبَانُ بْنُ أَبِي عَيَّاشٍ كِلَاهُمَا عَنْ خُلَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعَصَرِيِّ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " خَمْسٌ مَنْ جَاءَ بِهِنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ إِيمَانٍ دَخَلَ الْجَنَّةَ، مَنْ حَافَظَ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ عَلَى وُجُوهِهِنَّ , وَرُكُوعِهِنَّ , وَسُجُودِهِنَّ , وَمَوَاقِيتِهِنَّ، وَأَعْطَى الزَّكَاةَ مِنْ مَالِهِ طَيِّبَ النَّفْسِ بِهَا: قَالَ: وكأنه يَقُولُ: وَايْمُ اللَّهِ لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَصَامَ رَمَضَانَ وَحَجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ " قَالُوا: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ وَمَا أَدَاءُ الْأَمَانَةِ؟ قَالَ: «الْغُسْلُ مِنَ الْجَنَابَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَأْمَنِ ابْنَ آدَمَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ دِينِهِ غَيْرَهَا»

275- حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّنْدَلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ زِيَادٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ الْمُقْرِئُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ أَبِي أَيُّوبَ قَالَ: حَدَّثَنِي كَعْبُ بْنُ عَلْقَمَةَ، عَنْ عِيسَى بْنِ هِلَالٍ الصَّدَفِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ يَوْمًا الصَّلَاةَ فَقَالَ: " مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا، وَإِضَاءَةً، أَوْ قَالَ نَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ تَكُنْ لَهُ نُورًا، وَلَا بُرْهَانًا، وَلَا إِضَاءَةً، أَوْ قَالَ: نَجَاةً وَيَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ "

277 - حَدَّثَنَا أَبُو نَصْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ كُرْدِيٍّ قَالَ: نَا أَبُو بَكْرٍ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: نَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ قَالَ: نَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي إِسْمَاعِيلَ، عَنْ مَعْقِلِ بْنِ مَعْقِلٍ الْخَثْعَمِيِّ قَالَ: أَتَى رَجُلٌ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ فِي الرَّحَبَةِ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا تَرَى فِي الْمَرْأَةِ لَا تُصَلِّي؟ فَقَالَ: " مَنْ لَمْ يُصَلِّ فَهُوَ كَافِرٌ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هَذِهِ السُّنَنُ وَالْآثَارُ فِي تَرْكِ الصَّلَاةِ وَتَضْيِيعِهَا مَعَ مَا لَمْ نَذْكُرْهُ مِمَّا يَطُولُ بِهِ الْكِتَابُ، مِثْلُ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ وَقَوْلُهُ لِرَجُلٍ لَمْ يُتِمَّ صَلَاتَهُ " لَوْ مَاتَ هَذَا، لَمَاتَ عَلَى غَيْرِ فِطْرَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِثْلُهُ عَنْ بِلَالٍ وَغَيْرِهِ، مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الصَّلَاةَ مِنَ الْإِيمَانِ، وَمَنْ لَمْ يُصَلِّ فَلَا إِيمَانَ لَهُ وَلَا إِسْلَامَ قَدْ سَمَّى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ الصَّلَاةَ: إِيمَانًا، وَذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا يُصَلُّونَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، إِلَى أَنْ حُوِّلُوا إِلَى الْكَعْبَةِ وَمَاتَ قَوْمٌ عَلَى ذَلِكَ، فَلَمَّا حُوِّلَتِ الْقِبْلَةُ إِلَى الْكَعْبَةِ قَالَ قَوْمٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَكَيْفَ بِمَنْ مَاتَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِمَّنْ كَانَ يُصَلِّي إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ} [البقرة: ١٤٣] يَعْنِي صَلَاتَكُمْ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ

بَابُ ذِكْرِ كُفْرِ مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ. وهذه المسألة كما قلنا مسألة من المسائل التي ورد فيها الخلاف بين العلماء. هم اتفقوا في مسألة أن من ترك الصلاة جاحدًا لوجوبها هذا كافر، فهذا محل إجماع؛ أن من ترك الصلاة جاحدًا لوجوبها استكبارًا عن فرضيتها هذا كافر.

وأما الخلاف كله في من ترك الصلاة تهاونًا وكسلًا مع أنه يعترف ويقر بالوجوب، ويقر بالفرضية، هذا الذي حدث فيه الخلاف، **فاختلفوا على أقوال ثلاثة:**

ثلاثة أقوال في من ترك الصلاة تهاونًا وكسلًا:

القول الأول: أن من ترك الصلاة تهاونًا وكسلًا حتى مع إقراره وجوبها فإنه كافر كفر أكبر يُخرج من الملة، وقالوا يُنظَر إلى آخر وقت الصلاة؛ على خلاف وقت صلاة واحدة أم وقت صلاتين لأن صلاتين تُجمَع، فلو ترك الظهر قالوا يُترَك إلى قبيل المغرب على أن الظهر يُجمَع مع العصر، وإن ترك الظهر وإن ترك العصر إلى أن صلى المغرب وقيل له صَلِّي ولا يريد أن يصلي قالوا هذا كافرًا كفرًا أكبر، وهذا قال يُقتَل، ولا يُصلى عليه، ولا يدفن في مدافن المسلمين، وماله لبيت مال المسلمين. ولهم أدلة سنذكرها؛ نُجمِل ثم نُفصِّل إن شاء الله.

القول الثاني: قالوا من ترك الصلاة تكاسلًا ليس بكافر ولكنه فاسق عاصي أتى بكبيرة من أعظم الكبائر، والكبيرة هذه يستحق عليها القتل، **وانتبهوا**.. قالوا يستحق عليها القتل، لذلك أيضًا قالوا يُنتظَر إلى آخر وقت الصلاة ويؤمر بالصلاة، فاذا خرج الوقت ولم يصل حُبِس حتى يُقتَل، ولكن يقتل حدًا وليس كفرًا لأنه فاسق وليس بكافر، إذًا يُقتل حدًا فهو مسلم؛ يُغسَّل، ويُكفَّن، ويُصلى عليه، ويُدفن في مقابر المسلمين، ويرثه ورثته.

القول الأول طبعًا هذا مشهور عن الحنابلة في مسألة الكفر الأكبر، والجمهور من المالكية والشافعية والأحناف يرون بالفسق؛ لكن الأحناف نزلوا إلى القول الثالث بعدم القتل؛

القول الثالث: عدم القتل؛ قالوا يُحبَس حتى يصلي، فمن ترك الصلاة وهو مقر بوجبها فهو فاسق كأصحاب القول الثاني، ولا تُقبل له شهادة، لكنهم لم يقولوا بقتله حدًا.

لكن القول الأول والثاني سنتعرض إليه، لأن القول الأول هو الذي كفَّره كفرًا خارج من الملة وأمر بقتله ردة، والقول الثاني قالوا بالفسق وليس بالكفر؛ وإن قالوا أيضًا بقتله لكن قتله حدًا أي يُحبَس حتى يُقتل.

وطبعًا نحن سنُفَصِّل، لكن لو تذكروا نحن فصلنا في معارج القبول تفصيل دقيق في المسألة هذه بالأقوال كلها وبينا فيها مسألة ركزنا فيها هناك على أن الأربعة مذاهب يرون القتل، لكن الفارق بأن هذا يقتل حدًا، وهذا يقتل ردة.

وطبعًا هنا الإمام الآجري – رحمة الله عليه – ذكر لنا أدلة، هو بداية أتى بالإدلة التي ذكرها حديث: «لَيْسَ بَيْنَ الْعَبْدِ الْمُسْلِمِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ إِلَّا تَرْكُ الصَّلَاةِ» كل الروايات التي وردت، أو: «بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ أَوْ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ تَرْكُ الصَّلَاةِ» أو: «الْكُفْرُ تَرْكُ الصَّلَاةِ» هذه كلها من السنة. واستدل بآية: {فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا} [مريم: 59]، هذا الدليل الثاني عند الشيخ. ثم نقل لنا أقوال الصحابة؛ عمر بن الخطاب وغيره رضوان الله عليهم بكفر تارك الصلاة. ونقل لنا أيضًا أقوال بعض الأئمة كالإمام أحمد وغيره. وأنا سأعيد الترتيب هذا بأدلة في القول الأول الذين استدلوا بكفر تارك الصلاة.

أدلة القول الأول:

1- من قوله تعالى: {فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ} [التوبة:11]؛

2- كما ذكر هنا المؤلف: {فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا} [مريم:59]، وإن كان هو أتى به ليست على هذا التفسير؛ أي أن الإمام هنا أتى به على أن هؤلاء الذين ضيعوا الصلاة وليس تركوها، لذلك الإمام أحمد قال: (لو تركوها لكفروا). وأدلة القول الأول استدلوا أيضًا بهذه الآية وسنبين الرد عليهم على أن {يَلْقَوْنَ غَيًّا} هذا وادي للكفار، لكن استدلوا بهذا الدليل أيضًا.

3- من قوله تعالى: {أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ* مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ* أَمۡ لَكُمۡ كِتَٰبٞ فِيهِ تَدۡرُسُونَ* إِنَّ لَكُمۡ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ} [القلم:35-38] إلى قوله تعالى: {يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ *خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ} [القلم:42-43]؛

4- الذي معنا؛ حديث بين العبد وبين الشرك ترك الصلاة بكل الروايات؛ [بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ]، و[بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ تَرْكُ الصَّلَاةِ]، أو [العَهْدُ الذي بَيْنَنا وبَيْنَهم الصَّلاةُ، فمن تركَها فقد كَفَر]، كل هذه أدلة عند هؤلاء على مسألة كفر تارك الصلاة؛

5- من قوله تعالى:{ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ* وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ } [المدثر:42-46]؛

6- {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ} [الماعون:4-5]،

7- حديث أم سلمة رضي الله عنها وأرضاها أن النبي ﷺ قال: [سَتَكُونُ أُمَرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ عَرَفَ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ» قَالُوا: أَفَلَا نُقَاتِلُهُمْ؟] وفي رواية: [أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ]قال: [لَا، مَا صَلَّوْا] ؛

8- حديث الرجل ذو الخويصرة لما جاء للنبي ﷺ وهو يقسم الغنائم فقال: اعدل يا محمد فإنك لم تعدل، قال ويحك من يعدل إن لم اعدل! فانصرف فقال النبي ﷺ يخرج من ضِئضِئِ هؤلاء إلى أن قال الحديث، فقام خالد بن وليد رضي الله عنه وأرضاه قال: أفضرب عنق هذا المنافق يا رسول الله ﷺ ؟ قال:[لعلَّه يُصلِّي].

هذه كلها أدلة استدل بها أصحاب القول الأول.

- **وجه الدلالة والشاهد من كل دليل:**

نرجع لوجه الدلالة والشاهد من كل دليل حتى لا يكون سردًا للأدلة؛ نقول:

الدليل الأول: {فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ} [التوبة:11]؛ قالوا الله عز وجل اشترط لثبوت الإخوة في الدين ثلاثة أمور؛ أن يتوبوا من الشرك، أن يقيموا الصلاة، أن يؤتوا الزكاة، الآية تقول ذلك، فإن تابوا من الشرك ولم يقيموا الصلاة ولم يؤتوا الزكاة فليسوا بإخوة لنا في الدين، وإن أقاموا الصلاة ولم يؤتوا الزكاة قالوا فليس لنا بإخوة في الدين، قالوا لأن الله عز وجل ما نفى الأخوة بين المؤمنين والمسلمين حتى في حالة الفسق؛ في أعظم الكبائر وهي القتال، قال الله عز وجل:{ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ } [البقرة:178]، هذا في القصاص؛ سماه أخيه مع أنه قتله قتل عمد. وأيضًا من قوله تعالى: { وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [الحجرات:9] ، ثم قال: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ } [الحجرات:10]، مع أنهم اقتتلوا، إذًا لم ينف الله عز وجل الأخوة عن أهل الإيمان والإسلام حتى في حال الاقتتال، ودل ذلك على أن الفسق لا ينفي الأخوة. لكن لما نفى الأخوة في: {فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ} [التوبة:11]؛ وطبعًا أنا أبين الاستدلال هنا بمفهوم المخالفة،

فالمنطوق: {فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ} ، والمفهوم: إن لم يتوبوا يؤمنوا ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فليسوا بإخوان لكم في الدين، **فهو الاستدلال هنا بالمفهوم، وهذه مهمة** لأن أصحاب القول الثاني يردون على مسألة المنطوق والمفهوم هذه. فالاستدلال هنا بالمفهوم. لكن هم أرادوا أن يقولوا أنه لما نفى الأخوة في الدين إلا بهذه مع أنه أثبت الأخوة في الدين بأمور عظيمة جدًا دل ذلك على أن من لم يأت بالصلاة والزكاة والإيمان فهو كافر.

هنا عُلِم من هذا الدليل بأن ترك الصلاة كفر مُخرج من الملة، ولو كان فاسقًا أو كان كفرًا دون كفر ما انتفت الأخوة الدينية في ذلك.

وأنا سأقول الدليل وسأرد على المخالف.

أصحاب القول الثاني استشكلوا عليهم؛ قالوا أنتم قلتم الآن بأن الإيمان والصلاة والزكاة، وتارك الزكاة ليس بكافر وهذا اتفاق بيننا وبينكم، لأن جاء في حديث النبي ﷺ في مسألة الذي لا يؤدي الزكاة قال إنا آخذوها وشطر ماله ثم يخلى سبيله إما إلى جنة وإما إلى نار، فالذي ترك الزكاة في المشيئة؛ إما سيذهب إلى الجنة وإما يذهب إلى النار. فقالوا لنا نعم؛ خرج من الآية الزكاة بالدليل، ولم تخرج الصلاة بدليل، فأصبح الآن تارك الزكاة ليس بكافر لأن جاء الدليل بإخراجه بذلك، ولم يأت الدليل بإخراج تارك الصلاة عن مسألة الأخوة في الدين.

الدليل الثاني: طبعًا – نحن نتكلم كل هذا من وجهة نظر القول الأول – قالوا: {أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ* مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ} [القلم:35-36] إلى أن قال: {يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ} وهنا الله عز وجل قال: {أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ} وطبعًا لا يجعل المسلمين كالمجرمين؛ إذًا هناك مسلم ومجرم، ثم ذكر لنا صفات المجرمين؛ ومنها أنهم كانوا {وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ} إلى أن قال: {وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ} فبيَّن أن من صفات المجرمين أنهم لا يصلون، والمجرم هنا عكس المسلم، أي الكافر، فدل ذلك على أن تارك الصلاة كافر، هذا وجه الاستدلال من ذلك. فهذا الدليل الثاني في الرد عليهم.

الدليل الثالث: {فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا * إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا } [مريم:59- 60]، قالوا بإضاعتهم للصلاة واتباعهم للشهوات نزلوا في الغي لأنهم لم يكونوا مؤمنين. وحقًا هذا الدليل فيه نظر لأن طبعًا استدل أصحاب

القول الثاني على أن الآية ليست فيها دلالة على الكفر المخلد في النار، ولكنها على أصحاب المعاصي. وطبعًا يستدلون بأدلة سنأتي بها {إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ} [النساء:48]، وأيضًا يقولوا بأن الآية في التفسير {فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ} يقولون غالبًا أنه يتكلم ليس عن زمان النبي ﷺ ، يتكلمون عن أقوام من قبل ذلك حتى أن بعضهم قالوا أنها كانت في اليهود والنصارى.

الدليل الرابع: {مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ * قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ} هنا الله عز وجل بيَّن أربع أمور جعلهم يسلكون في سقر؛ وهو وادي في قعر جهنم لا يدخل فيه إلا الكفار، {قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ* وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ * حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ} [المدثر:43-47]؛ هم يقولون هل الأربعة مجتمعة أم واحد يكفي؟ البعض يُشكِل؛ يقول أن الأربعة إذا اجتمعت كان لهم هذا الحكم. هم يقولون لا، لأنه يكفي التكذيب بيوم الدين أن يكون في سقر لأن التكذيب بيوم الدين تكذيب بركن من أركان الإيمان. إذًا المسألة ليست على الأربع مجتمعة، كل واحدة من هذه الأربع تكفي لأن يكون مخلد في نار جهنم، ومنها أنه لم يكن من المصلين، فدل على أنهم سلكهم الله في سقر بسبب أنهم لم يكونوا من المصلين، ودل ذلك على كفرهم الكفر الأكبر.

منها قوله تعالى:{ إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ * يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ} [القمر:47-48].

الدليل الخامس: {فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ * ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ} [الماعون:4-5]، قال هنا أيضًا وعيد، وجاء الوعيد بالويل في القرآن يطلق على الكفر، وهذا طبعًا إشكال، أي أن أصحاب هذا القول استدلوا بالآية على أن (ويل) تطلق على الكفر في القرآن، فقالوا {فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ} ثم ذكر {ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ} ، والحق أن هذا الدليل فيه ضعف، لأن (ويل) في القرآن جاءت لغير الكفر؛ قال الله عز وجل:{ وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ} [المطففين:1]، وقال سبحانه وتعالى:{وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ} [الهمزة:1]، وهذا ليس بكفر؛ المطفف ليس بكافر. إذًا مسألة أن (الويل) يستدل بها على أنها للكفار فيه نظر، بل جاء القرآن بأن (ويل) للكفر وغير الكفر؛ وطبعًا هذا رد الذين قالوا بعدم كفر تارك الصلاة.

الدليل السادس: نرجع للحديث؛ وترتيب الأدلة من حيث القوة أولًا آية براءة في المفهوم، وحديث [بينَ العبدِ وبينَ الشِّركِ أوِ الكفرِ تركُ الصَّلاةِ] لأن فيه أولًا أكثر من رواية. نقول (بين

العبد وبين الكفر) معرف بألف ولام، وقال في رواية (بين الشرك)، وهناك رواية: [العَهْدُ الذي بَيْنَنا وبَيْنَهم الصَّلاةُ، فمن تركَها فقد كَفَر]، البعض يقول أن الكفر جاء مُنَكَّرًا فإذًا ليس فيه دلالة على الكفر الأكبر، وهناك قاعدة – أقول **قاعدة وليست مطردة لكنها غالبية** – وقالها شيخ الإسلام ابن تيمية: **(إذا جاء الكفر معرفًا بـ "الـ" يقصد به الكفر الأكبر، وإذا جاء الكفر مُنَكَّرًا فغالبًا يكون الكفر دون كفر)** لقول النبي ﷺ: [سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ، وقِتَالُهُ كُفْرٌ] وهذا ليس كفر أكبر، لأننا بيننا بأن قتال المسلم أخيه المسلم كفر دون كفر؛ أي كبيرة فقط، وهذا جاء منكرًا.

فالحديث هنا جاء في أكثر من رواية؛ «لَيْسَ بَيْنَ الْعَبْدِ الْمُسْلِمِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ إِلَّا تَرْكُ الصَّلَاةِ» و(الشرك) جاء معرفًا بألف ولام، يقصد به الشرك الأكبر. وأيضًا (ليس بين العبد وبين الكفر أو الشرك) جاءت أيضًا في رواية أخرى (بين الكفر والشرك)، أو (الكفر أو الشرك) جاء فيها الكفر أيضًا معرفًا. وقال: «بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ أَوْ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ تَرْكُ الصَّلَاةِ» فجاء هنا الكفر مُعرَّف. لذلك قالوا هذا دلالة على أن الكفر المقصود هنا هو الكفر الأكبر الذي هو مخرج من الملة. وقلت هذا من اقوى الأدلة عند أصحاب هذا القول في مسألة كفر تارك الصلاة.

الدليل السابع: حديث [سَتَكُونُ أُمَرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ عَرَفَ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ» قَالُوا: أَفَلَا نُقَاتِلُهُمْ؟] وفي رواية: [أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ] قال: [لَا، مَا صَلَّوْا] ؛ فأصحاب هذا القول قالوا علق الله عز وجل قتالهم على أنهم يصلون، لأن قتال المسلم لا يصح، فقالوا بالمفهوم إن لم يكونوا يصلون فهذا الذي أبيح لنا. إذًا الذي عصمهم من القتل هي الصلاة.

الدليل الثامن: نفس الكلام الذي قلناه في الحديث السابق قالوه على حديث ذو الخويصرة لما قال سيدنا خالد: [دعني أضرب عنق هذا المنافق] قال النبي ﷺ: لا [لعلَّه يُصلِّي]. فقالوا إذًا جاء الشاهد في الحديث الأول والثاني الذي منع النبي ﷺ من إباحة قتال الأمراء الذين يظلمون ويفعلون كذا هي الصلاة، على أنهم لم يكفرون بذلك لأنهم يصلون، فإن لم يكونوا يصلون فهم من أهل الكفر، فالحكم يتغير؛ وكذلك هذا الرجل.

طبعًا هذه كلها أدلة عند الذين قالوا بكفر تارك الصلاة.

ثم اختلف أصحاب هذا القول على متى يكفر تارك الصلاة؟ أي أن هناك تفاوت؛ فلو قلنا بأشدهم قولًا قال من ترك صلاة واحدة فقد كفر؛ سواء عمدًا أو متكاسلًا قد كفر. واستدلوا بقول

النبي ﷺ: [من فاتتهُ صلاةُ العصرِ فكأنَّما وُتِرَ أَهلَهُ] وفي رواية: [من ترَكَ صلاةَ العَصرِ فقد حبِطَ عملُهُ] فقالوا حبوط العمل لا يكون إلا لكافر، ووتر أهله أي خسر أهله والخسران للأهل إذا ارتد فيفسخ بينهما. فاستدل أصحاب هذا القول بأن من ترك صلاة واحدة كفر عمدًا، وقلت هذا أشد الأقوال عند أصحاب هذا القول.

وعلى النقيض؛ قالوا لا يكون كافرًا إلا إذا ترك الصلاة بالكلية؛ لذلك ابن تيمية رحمه الله يقول: "لا يُتصور أن تجد رجلًا لم يسجد لله سجدة واحدة منذ أن خُلق أو بلغ ويقال عنه أنه مسلم" أو قال لو حُبس ويقال له صلي أو تقتل فيخرج الوقت ولا يريد أن يصلي، وهذا استدلال على كفره حقيقة، يقول إذا أتيت بتارك الصلاة فقلت له تُحبس حتى تصلي أو تُقتل، فإن رفض أن يصلي حتى قُتل دلالة على أنه لا يمكن أن يكون مسلمًا، لأن لا يمكن أن يُحبس المرء ويقال له ستقتل أو تصلي ولا يريد أن يصلي ويُقتل! فدل أن الباطن أصلًا ليس بمسلم. فأصحاب هذا القول قالوا الترك للصلاة الترك بالكلية. وهذا حقيقة أمر عزيز جدًا أنك تجد واحد لم يسجد سجدة أو يصلي صلاة طول عمره!

فالذين قالوا بهذا قالوا الحديث الذي جاء معنا الآن: «بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ أَوْ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ تَرْكُ الصَّلَاةِ» فلم يقل (ترك صلاة) هم يردون على أصحاب القول الأول معهم، نحن كل هذا في الذين قالوا بالكفر، هم اختلفوا بعد ذلك داخليًا؛ على أن بعضهم قال صلاة واحدة، فيردون على من قال صلاة واحدة أن النبي ﷺ قال: (ترك الصلاة) ولم يقل (ترك صلاة)، فلو قال ترك صلاة" لكان صلاة واحدة يكفر، لكن قال ترك "الصلاة" دلالة على أنه ترك جنس الصلاة، فدل ذلك على أن من لم يصل بالكلية هو الذي يقصد بالحديث.

والبعض توسط حقيقة؛ قال من كان غالب عمره لم يصلي؛ منذ ثلاثين أربعين سنة لا يصلي؛ لو تركها فترة طويلة، فيدخل في الكفر، بخلاف الذي يصلي ويقطع، يصلي جمعة ويقطع صلوات، ويصلي ويقطع، فقالوا هذا لا يعد تارك للصلاة، لكن لو ترك سنوات لا يصلي قالوا يدخل فيها.

وهذا أنا لماذا قلته الآن؟ لأنه كان من ضمن أدلة أصحاب القول الثاني الذين أرادوا أن يردوا على أصحاب القول الأول – بعد أن نسرد أدلتهم – بأنكم اختلفتم بعد أن أثبتتم كفر تارك الصلاة فمتى يكفر؟ أي هل نكفره بالترك بالكلية؟ أم نكفره بالترك على الغالب؟ أم نكفره بترك صلاة واحدة؟ فقالوا ليس هناك ضابط. فلما لم يكن هناك ضابط رجعنا إلى ما نحن عليه، ما

نستطيع أن نكفره بغير ضابط، وهذه من ضمن ردود أصحاب القول الثاني على أصحاب القول الأول.

أدلة القول الثاني:

(الذين قالوا بعدم كفر تارك الصلاة، مع الإقرار طبعًا على أنه فاسق وأنها كبيرة من أكبر الكبائر)

الدليل الأول: من قوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ } [النساء:48]،

قالوا: وما دون الشرك يدخل فيه الصلاة.

سأرد أيضًا عليهم من باب أصحاب القول الأول الذين قالوا بكفر تارك الصلاة.

فالذين قالوا بعدم كفر تارك الصلاة فهموا من قول الله عز وجل: { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ } هم حملوه على معنى: (يغفر ما سوى ذلك) أي أن الشرك فقط الذي لا يُغفَر، وما سوى الشرك يُغفَر.

والذين قالوا بكفر تارك الصلاة قالوا أن هناك فرق؛ فـ (دُونَ ذَٰلِكَ) أي (أقل من ذلك)، أي أن الذي أقل من الشرك يُغفَر، ولكن الشرك لا يُغفر، والصلاة من الشرك كما ستقول ليس بين العبد وبين الشرك أو الكفر ترك الصلاة، فسماه النبي ﷺ (الشرك)، فألحقه بالشرك. فهم يقولون أنتم حملتم الآية خطأ؛ (وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ) ليس (ما سوى ذلك) لأن سوى ذلك فيكون فقط الشرك هو الذي لا يُغفر، وما غير الشرك يُغفر. هم قالوا لا؛ (ما دون ذلك) الذي ينزل على مرتبة الشرك هو الذي يُغفر، وأما ما كان شركًا أو في مرتبة الشرك؛ والصلاة في مرتبة الشرك بالحديث، فهذا الذي لا يُغفر. هذا توجيه لمن من قال بذلك.

الدليل الثاني: استدلوا بأدلة كثيرة جاءت منها حديث معاذ؛ قول النبي ﷺ: [ما مِن عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنَّ لا إله إلا الله، وأنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسولُهُ إلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ علَى النَّارِ] ، وحديث عبادة: [مَن شَهِدَ أَنْ لا إله إلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عبدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إلى مَرْيَمَ وَرُوحٌ منه، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ؛ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ علَى ما كانَ مِنَ العَمَلِ] كل هذه أحاديث يستدلون بها أصحاب القول الثاني، وأيضًا: [من كان آخرُ كلامِهِ لا إله إلا الله دخل الجنَّةَ] قالوا هذه دلالة على أن الصلاة غير مؤثرة في الكفر، المسألة دائرة على الشهادتين ولا إله إلا

الله، والإيمان والإخلاص إلى غير ذلك، لكن ترك الصلاة لا يمنعه من دخول الجنة للأحاديث التي قلناها.

الذين قالوا بالقول الأول كيف يردون على هذا الدليل؟ قالوا هذه الأحاديث التي جاءت لكم التي قلتوها نحن نقر بها، **إما أن تقول هي عام مخصوص**؛ أي هي عامة لكن مخصوصة بأحاديث ترك الصلاة كفر، ونعم (من قال لا إله إلا الله دخل الجنة) هذا عام لكنه مخصوص بحديث ترك الصلاة الكفر. إذًا من قال لا إله إلا الله خالصًا وصلى دخل الجنة، من قالها مستيقنًا وصلى دخل الجنة، فجعلوا الأحاديث هذه عامة مخصوصة بالأحاديث الدالة على كفر تارك الصلاة.

أو قالوا الأحاديث كلها التي أتيتم بها الآن مقيدة؛ ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله إلا حرمه الله على النار، ومن قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبي دخل الجنة، من قال لا إله إلا الله يبتغي بها وجه الله عز وجل دخل الجنة، ما من أحد يشهد لا إله إلا الله من قلبه إلا حرمه على النار؛ مقيدة بالصدق، مقيدة باليقين، مقيدة بالإخلاص، **فقالوا هذا كله لا يمكن أن يأتيه إخلاص وصدق ويقين إلا بالصلاة** لتلازم الظاهر بالباطن، أي أنتم الذين قيدتم بالإخلاص، والإخلاص لا يمكن أن يكون بغير أن يصلي، والصدق لابد أن يكون بالمتابعة فيصلي، فقالوا الأحاديث جاءت مقيدة بالإخلاص والصدق وغير ذلك فدخل مع هذا التقييد الذي هو الإخلاص والصدق والشهادة الصلاة بالأحاديث الأخرى. إذًا هي ليست على اطلاقها كما تقولون بأنه يكفي أن يكون خالصًا وصادقًا **ومخلصًا** ويشهد وأن هذا يكفيه، لا، ولأنكم قيدتم؛ فالأحاديث مقيدة، فدخل مع هذا التقييد الصلاة.

الدليل الثالث: حديث حذيفة بن اليمان، وقلناه من قبل الأسبوع الماضي، [يدرُسُ الإسلامُ كما يدرُسُ وَشيُ الثَّوبِ حتَّى لا يُدرَى ما صيامٌ، ولا صلاةٌ، ولا نسُكٌ، ولا صدَقةٌ، ولَيُسرى على كتابِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ في ليلَةٍ، فلا يبقى في الأرضِ منهُ آيةٌ، وتبقَى طوائفُ منَ النَّاسِ الشَّيخُ الكبيرُ والعجوزُ، يقولونَ: أدرَكْنا آباءَنا على هذِهِ الكلمةِ، لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، فنحنُ نقولُها فقالَ لَهُ صِلةُ ما تُغني عنهم: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وَهُم لا يَدرونَ ما صلاةٌ، ولا صيامٌ، ولا نسُكٌ، ولا صدقةٌ؟ فأعرضَ عنهُ حُذَيفةُ، ثمَّ ردَّها علَيهِ ثلاثًا، كلَّ ذلِكَ يعرضُ عنهُ حُذَيفةُ، ثمَّ أقبلَ علَيهِ في الثَّالثةِ، فقالَ: يا صِلةُ، تُنجيهِم منَ النَّارِ ثلاثًا] فقالوا الحديث دل على أن لا إله إلا الله نفعتهم، وأن ترك الصلاة والصوم والزكاة والصدقة لم تؤثر على دخولهم الجنة.

رددنا على ذلك من قبل، وردوا عليهم قالوا هذا الحديث في آخر الزمان لأنه قال سيأتي على أناس، وهذا الحديث عندما تندثر الشرائع، ولا تُعرَف شرائع الإسلام، فهم هؤلاء معذورون بالجهل أصلًا لأنهم لم يعلموا شرائع الإسلام، فهذا ليس مبحثنا، نحن مبحثنا ليس في آخر الزمان وليس مبحثنا عند جهل الناس بالشرائع، لأن هذا الحديث حذيفة قال **سيأتي** على الناس يُدرس الإسلام؛ أي ما يعلموا إلا الشهادتين؛ لا في صلاة ولا صوم ولا صدقة ولا زكاة، ولا أي شيء، ولذلك تنجيهم لأن:{ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا} [الإسراء:15]، إذًا هذا الدليل ليس في النزاع فلا يُستدل به على عدم كفر تارك الصلاة.

الدليل الرابع: وأيضًا حديث كنا تكلمنا عنه في الأعمال؛ حديث: (لم يعمل خيرا قط)، هم استدلوا بهذا الحديث على أنه لم يأت إلا بالشهادتين، ومعه أيضًا (حديث البطاقة) قالوا لك عندنا بطاقة نجته، فقالوا البطاقة فقط كانت منجية له ولم يكن يصلي، لم يعمل شيء، والحديث الثاني لم يعمل خيرا قط، ورددنا على هذا – يمكن الرجوع له – بأنه لم يعمل خيرًا قط ليست على بابها، بل دخل مع الشهادتين الصلاة، وأيضًا الرجل الذي قال له (لك عندنا حسنات) إذًا هناك أكثر من حسنة؛ منها البطاقة ومنها يدخل معها أيضًا الصلاة وغير ذلك. فليست لكم حجة في "لم يعمل خيرا قط" وأيضًا "حديث البطاقة"، فهم استدلوا بها هنا على عدم كفر تارك الصلاة.

الدليل الخامس: وهذا أهم حديث حقيقة في المسألة ولو ثبت لكان نصًا عند هؤلاء وهم يردون به طبعًا على إخراج الصلاة من آية سورة التوبة {فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ} وأيضًا يستدلون به على أن ترك الصلاة ليس بكفر؛ قال: [خَمسُ صَلَواتٍ كَتَبهنَّ اللهُ على العبادِ، فمن جاء بهنَّ لم يُضَيِّعْ منهنَّ شَيئًا استِخفافًا بحَقِّهنَّ، كان له عند الله عَهدٌ أن يُدخِلَه الجنَّةَ، ومن لم يأتِ بهنَّ فليس له عند اللهِ عَهدٌ؛ إن شاء عَذَّبه، وإن شاء أدخَلَه الجنَّةَ] الحديث صححه الشيخ الألباني. قالوا فلو كان تارك الصلاة كافرًا لما صح أن يقال: [إن شاء عَذَّبه، وإن شاء أدخَلَه الجنَّةَ] الحديث في أول وهلة فاصل، في أول وهلة أقول لما تنظر تقرأه، لكن لما تمحص النظر،[خَمسُ صَلَواتٍ كَتَبهنَّ اللهُ على العبادِ، فمن جاء بهنَّ لم يُضَيِّعْ منهنَّ شَيئًا] هنا وقف أصحاب القول الأول قالوا الحديث ليس لكم فيه دلالة على الاستدلال على ترك الصلاة، لأن قال [لم يُضَيِّعْ منهنَّ شَيئًا] الكلام كله على من قَصَّر في الصلاة؛ أي يصلي ولا يأتي بالصلاة على كمالها؛ مثلًا يسهى في الصلاة، لم يؤدي حق الصلاة، ينقر الصلاة، لا يؤديها حق، لأنه قال:[خَمسُ صَلَواتٍ كَتَبهنَّ اللهُ على العبادِ، فمن جاء بهنَّ لم يُضَيِّعْ منهنَّ شَيئًا] لم يضيع من الصلاة، فالحديث الآخر

لما الرجل يدخل الصلاة قال النبي ﷺ يضيع ربعها يضيع خمسها ويضيع ثلثها ثم ترمى في وجهه، فيضيع منها أي يضيع منها الخشوع، ويضيع منها استحضار النية، فالحديث هذا ليس في ترك الصلاة، هذا حديث الوعيد لمن دخل في الصلاة ولم يؤدي حق الصلاة، لذلك قال: [فمن جاء بهنَّ] أي صلى، [لم يُضَيِّعْ منهنَّ شَيئًا] أي جاء ولم يضيع، يوجد تركيب؛ أي أدى الصلاة لكن لم يضيع منهن شيئًا هذا الذي له، لكن لو جاء بالصلاة وضيع منهن شيئًا؛ قال: [استِخفافًا بحَقِّهنَّ] ؛ شَرَد في الصلاة، لم يخشع، يفكر في الدنيا. [ومن لم يأتِ بهنَّ] "يأت بهن" ليس بالكلية الصلاة، بل "لم يأت بهن" أي لم يضيع منهن شيئًا، قال هنا: [إن شاء عَذَّبه، وإن شاء أدخَلَه الجنَّةَ] فهؤلاء قالوا ليس لكم في الحديث على أنه يستدل به على ترك الصلاة أنه يؤديها، بل الحديث يُحمل على من قصر في الصلاة نفسها ولم يؤدي حقهن؛ أي لم ينتقص منها، لأنه قال لم في رواية أخرى: [لم ينتقِصْ منهنَّ شيئًا استخفافًا بحقِّهنَّ] فقالوا [لم ينتقِصْ] إذًا لم يؤدي الصلاة بكمالها، ولأن هناك رواية عند الشيخ الالباني أيضًا صححها قال النبي ﷺ: [ومن جاءَ بِهِنَّ قدِ انتقَصَ منهنَّ شيئًا] فهذا الذي في الوعيد؛ في المشيئة، وليس لكم دلالة على أنه يكون من ترك الصلاة بالكلية.

وهذا الدليل يقولون به أيضًا على آية التوبة لما أتوا بحديث الزكاة (إن شاء عذبه) أتوا أيضًا بحديث الصلاة أخرجنا الصلاة وأخرجنا الزكاة من {فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ} . فردوا عليهم على أن الحديث لا يتكلم ترك أداء الصلاة لكن يتكلم عن أداء الصلاة بنقصان.

هذه أدلة القول الثاني بترجيحاتها، والرد على أصحاب القول الأول بترجيحه أيضًا.

الشيخ طبعًا كما نقل هنا كلام للصحابة، والحق لابد أن نثبت أمرًا؛ الصحابة لم يختلفوا في كفر تارك الصلاة، لم يرد هذا الاختلاف، بل ورد الخلاف في التابعين وفي تابعي التابعين، وورد الخلاف في المذاهب؛ لأن الجمهور يرى بفسقه، والقول الأول الحنابلة ومن معهم يرون بكفره، بل كثير من النقولات من أصحاب العلماء كالنووي يقولون ما زال تارك الصلاة في الأمة يغسل ويدفن ويُصلى عليه، طبعًا لأن هو يرى بقول الجمهور بفسقه. وبعض أهل العلم كالشوكاني وغير ذلك نقلوا بكفره.

فتظل المسألة خلافية، ولابد أن نثبت – وأعيدها أكثر من مرة – أنه ما ورد عن الصحابة خلافهم في كفر تارك الصلاة، لكن ورد الخلاف بعد ذلك.

طبعًا من المعاصرين الشيخ ابن باز – رحمة الله عليه – يرى بأن ترك صلاة واحدة يكفر بها المرء، في حين الشيخ ابن عثيمين – رحمة الله عليه – يرى بأن الترك على الكلية، ومال إلى قول من قال أن الحديث قال (من ترك الصلاة) فقال الصلاة اسم جنس معرف، ولم يقل (بترك صلاة) فقال لا يمكنني أن أقول بأن من ترك صلاة واحدة يكفر لأن الحديث ليس فيه ذلك، فجعلها على الصلاة، فهذا توسط.

لكن طبعًا يصعب أنك تطبق الحكم، لأنك لو قلت بأنه من ترك الصلاة بالكلية، فممكن تجد واحد لم يصلي من وقت ما بلغ، لكن لو صلى عند هؤلاء صلاة وصلاتين أو جمعة أو جمعتين، وجاء في رمضان وصلى، فيكون مثلًا صلى في حياته عشر أو خمس مرات.

سنختم الكلام، نحن بينا الأدلة، أنا طبعًا أوجزت وإن كان ممكن يكون هناك أدلة أكثر من ذلك، لكن قد بينا أكثر في كتاب معارج القبول، وهو الشيخ هنا ذكر لنا ونقل لنا ويمكن ما تركنا شيء مما قاله، والأدلة التي ذكرها كلها مررنا عليها؛ الأحاديث، ونقله لقول عمر بن الخطاب، وقول ابن عباس، والمسور ابن مخرمة،كل هذا نقل عنه.

وطبعًا الحديث هذا فاصل في المسألة – لم نذكره – قال النبي ﷺ: "**مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا، وَإِضَاءَةً، أَوْ قَالَ نَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ تَكُنْ لَهُ نُورًا، وَلَا بُرْهَانًا، وَلَا إِضَاءَةً، أَوْ قَالَ: نَجَاةً وَيَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ**" الحديث هذا أيضًا لو ثبت لكان فاصلًا لأصحاب القول الأول، لكن الحديث هذا الحق أن فيه ضعف، فيه كلام في ثبوته، لأنه فيه: (**وَيَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ**) فالمسألة واضحة في أنه لم يحافظ على الصلاة فيكون مع الكفار، لكن الحديث قلت أن فيه نظر في الثبوت.

وأيضًا نقل هنا عن سيدنا علي لما سألوه: (**مَا تَرَى فِي الْمَرْأَةِ لَا تُصَلِّي؟ فَقَالَ: "مَنْ لَمْ يُصَلِّ فَهُوَ كَافِرٌ**). وحذيفة رضي الله عنه أيضًا قال: (**لَوْ مَاتَ هَذَا، لَمَاتَ عَلَى غَيْرِ فِطْرَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**) . فهنا نقل لنا عن الصحابة أقول، وطبعًا هم جعلوا الصلاة إيمان فتضييع الصلاة كتضييع الإيمان لقوله تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ} [البقرة: 143] لما ماتوا الصحابة الذين كانوا يصلون إلى بيت المقدس فجاء باقي الصحابة للنبي ﷺ قالوا إخواننا الذين كانوا يصلون إلى بيت المقدس فقال الله عز وجل: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ} فجعل الصلاة إيمان، فمن ترك الصلاة كأنه ترك الإيمان أو ضيع الإيمان.

لذلك أقول ما ورد عن الصحابة إلا أنهم يرون بأن تارك الصلاة خارج عن الإيمان، لكن يظل الأمر فيه الخلاف الذي هو لن نضيف نحن عليه شي أننا نَدْرُسُه ونَدَرِّسه لكن لابد ليعلم طالب العلم أن المسألة فيها خلاف، وليست إنكارًا، فالإمام أحمد كان يرى بذلك، والإمام الشافعي كان يرى بالفسق، ومع ذلك ناظر أحمد الشافعي؛ لما قال الإمام أحمد للشافعي: يكون كفر، قال الشافعي له: وكيف يدخل؟ قال يدخل بالشهادتين، قال: ما خرج بالشهادتين حتى يدخل بالشهادتين. فالإمام أحمد أخذ نعله وانصرف، فبين له وما أراد ان يجادل أكثر، ومع ذلك ظل الإمام أحمد يدعو للإمام الشافعي طول عمره كما قال عبد الله كنت أسمع أبي يدعو- الإمام أحمد – يدعو للشافعي كل يوم في الليل، لأنهم عرفوا أقدار بعضهم بعض، عرفوا أن المسألة اجتهادية.

لماذا أقول هذا الكلام؟ حتى لا تكون المسألة إنكار بين طلبة العلم، أصبح الآن أن من يرى بعدم كفر تارك الصلاة أنه مبتدع، أو صاحب بدعة، أو مرجئ، وهذا كلام ضعيف باطل ما ينفع أن يقال. فهل الشافعي عندك مرجئ! وأبو حنيفة، والإمام مالك! فالمسألة فيها خلاف نعم، وأثبتنا بأن الصحابة يقولون ذلك، أنا أتكلم علميًا الآن، فانظر الإمام أحمد خالف الإمام الشافعي ومع ذلك هل الإمام أحمد قال لا تأخذوا من الشافعي هذا مبتدع لا يقول بكفر تارك الصلاة؟! ما قال ذلك عنه، بل يدعو له ليل نهار، فالمسألة اجتهادية، فلابد أن يعلم طلبة العلم أن المسألة فيها اجتهاد وكل واحد معه دليله.

قد بينا ما استطعنا أن نبين، من أراد الاستزادة ممكن يرجع لشرح معارج القبول استزدنا فيه أكثر من ذلك، والمسألة مسطرة في الكتب. والإمام طبعًا ذكرها لنا على أنها من أهم الأعمال بعد الإيمان، فذكر لنا مسألة حكم تارك الصلاة.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب اليك.

المحاضرة السابعة والثلاثون

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام على موعد مع شرح باب جديد من أبواب كتاب الشريعة للآجري، وندخل باب جديد اليوم إن شاء الله في آخر أبواب الإيمان؛ و **بَابُ ذِكْرِ الِاسْتِثْنَاءِ فِي الْإِيمَانِ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ فِيهِ**، وهذا آخر باب من أبواب الإيمان، ومعه باب آخر في أقوال العلماء في مسألة الاستثناء في الإيمان، ثم ذيل بعد ذلك الشيخ – رحمة الله عليه – ذم العلماء في المرجئة وما جاء فيه، وهذا كله سيكون تتمة لمبحث الإيمان؛ لأن هذا في بعض النسخ نهاية الجزء الثالث من الكتاب، وبعد ذلك يدخل في مسألة الإيمان بالقدر وغير ذلك، فإن شاء الله نقرأ وسنبين، وفيها دقة للمؤلف لماذا ذكر هنا باب الاستثناء في الإيمان، ثم بيّن بعد ذلك الكلام عن المرجئة وأقوال العلماء في المرجئة؛ قال **بَابُ ذِكْرِ الِاسْتِثْنَاءِ فِي الْإِيمَانِ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ فِيهِ** ، هذا التبويب مهم جدًا لأنه قال **بَابُ ذِكْرِ الِاسْتِثْنَاءِ فِي الْإِيمَانِ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ فِيهِ**

أصل مسألة الاستثناء في الإيمان هو أن تُسئل عن الإيمان فتقول: أنا مؤمن، فهل تقول: "أنا مؤمن"؟ أم تقول: "أنا مؤمن إن شاء الله"؟

هذه المسألة – كما سيبين لنا – السؤال فيها أصلًا بدعة؛ لم يكن هذا السؤال موجودًا عند السلف؛ أن يُسئل أحد هل أنت مؤمن أم لا؟ وقد اقتُرِح هذا السؤال من عند المرجئة لأنهم يريدون أن يؤصلوا على تأصيل بيناه في الإيمان عندهم – في تعريف الإيمان – أن الإيمان تصديق في القلب، فحتى يؤصلوا لإخراج الأعمال من الإيمان جنحوا إلى هذه المسألة؛ أن يُسئل: هل أنت مؤمن أم لا ؟ ويشترطون عدم الاستثناء، لأن عدم الاستثناء سيكون شكًا في التصديق، والإيمان عندهم تصديق، وهم يريدون أن تقر بأنك مؤمن لأنك إذا استثنيت شكًا فقد استثنيت من الإيمان، والمسألة هذه أصلًا لم تكن عند السلف ولا يسألون عنها ولا يحتاجون أن يتكلموا فيها بسبب تدعيم قولهم المبتدع في مسألة تعريف الإيمان، يريدون أن يؤصلوا على أن الإيمان تصديق حتى لا تستثني، وأن الأعمال ليست من الإيمان، وهذه مناسبة أن الشيخ جاء بالباب هنا، ثم ذيل بعد ذلك على موقف المرجئة، لأن هذه المسألة – كما قلت – لم تكن معروفة عند السلف، لذلك أنكروا السلف هذا السؤال، وأصل مجئ هذه المسألة من المرجئة ليُثَبِّتوا قولهم في الإيمان بأنه تصديق فقط.

وسنبين إن شاء الله **قول السلف الصالح في مسألة الاستثناء لأن عندنا ثلاث أقوال في المسألة؛** قول من قال بعدم الاستثناء مطلقًا، وهم المرجئة، وقول من قال بوجوب الاستثناء، وقول أهل السنة والجماعة بالتفصيل على أنهم يرون إن كنت تقصد في الاستثناء الشك فهذا لا يجوز، بل هذا قد يكون كفرًا، وإن كنت تقصد بالاستثناء الاستثناء في الأعمال وليس في التصديق، وهذا قول أهل السنة الجماعة يقولون نحن نستثني "أنا مؤمن إن شاء الله" في الأعمال وليس في تصديق القلب، لأن الأعمال لا يمكن أحد أن يجزم لو قال أنا مؤمن وسكت على أنه قد أتى بالإيمان الكامل في جميع الأعمال، سواء الطاعات أو انتهى عن المحرمات، فقالوا هنا الاستثناء سيكون في باب الأعمال وليس في باب التصديق ولا في باب قول اللسان. إذًا حمل أهل السنة والجماعة الاستثناء لذلك قالوا بالتفصيل؛ إن كان تقصد بالاستثناء الشك فهذا محرم، وإن كان تقصد الاستثناء في الأعمال؛ أي عدم وصولك لفعل الأعمال كلها، فهذا جائز، بل هو جائز، لأن المرء لا يمكن أن يجزم أنه قد أتى بكل الأعمال، وأيضًا سنبين أنهم قالوا أن فيها نوع من تزكية النفس، وبعضهم وجه الكلام أيضًا على أنه إن استثنى خوفًا عدم علمه بعاقبة الحال – الخاتمة – أيضًا وإن استثنى "إن شاء الله" بالتبرك باسم الله، كل هذا سنبينه.

لذلك قال بَابُ ذِكْرِ الِاسْتِثْنَاءِ فِي الْإِيمَانِ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ فِيهِ فهنا الشيخ يبين بأن أهل السنة والجماعة يجوزون ذكر الاستثناء في الإيمان لكن ليس بسبب الشك، ولكن كما قلت بسبب عدم كمال فعل المرء للأعمال. إذًا الاستثناء في الإيمان من باب الأعمال وليس من باب التصديق ولا قول اللسان، خلافًا للمرجئة؛ لأنهم منعوا الاستثناء ليثبتوا بأن الإيمان تصديق فقط.

ندخل في القراءة حتى نبين إن شاء الله الكلام.

27- بَابُ ذِكْرِ الِاسْتِثْنَاءِ فِي الْإِيمَانِ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ فِيهِ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: مِنْ صِفَةِ أَهْلِ الْحَقِّ، مِمَّنْ ذَكَرْنَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ: الِاسْتِثْنَاءُ فِي الْإِيمَانِ، لَا عَلَى جِهَةِ الشَّكِّ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّكِّ فِي الْإِيمَانِ، وَلَكِنَّ خَوْفَ التَّزْكِيَةِ لِأَنْفُسِهِمْ مِنَ الِاسْتِكْمَالِ لِلْإِيمَانِ، لَا يَدْرِي أَهُوَ مِمَّنْ يَسْتَحِقُّ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ أَمْ لَا؟ وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ إِذَا سُئِلُوا: أَمُؤْمِنٌ أَنْتَ؟ قَالَ: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَأَشْبَاهِ هَذَا، وَالنَّاطِقُ بِهَذَا، وَالْمُصَدِّقُ بِهِ بِقَلْبِهِ مُؤْمِنٌ، وَإِنَّمَا الِاسْتِثْنَاءُ فِي الْإِيمَانِ لَا يَدْرِي: أَهُوَ مِمَّنْ يَسْتَوْجِبُ مَا نَعَتَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ أَمْ لَا؟ هَذَا وَطَرِيقُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، عِنْدَهُمْ أَنَّ الِاسْتِثْنَاءَ فِي الْأَعْمَالِ، لَا يَكُونُ فِي الْقَوْلِ، وَالتَّصْدِيقِ بِالْقَلْبِ، وَإِنَّمَا الِاسْتِثْنَاءُ فِي الْأَعْمَالِ الْمُوجِبَةِ لِحَقِيقَةِ الْإِيمَانِ، وَالنَّاسُ عِنْدَهُمْ عَلَى الظَّاهِرِ مُؤْمِنُونَ، بِهِ يَتَوَارَثُونَ، وَبِهِ يَتَنَاكَحُونَ، وَبِهِ تَجْرِي أَحْكَامُ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ، وَلَكِنَّ الِاسْتِثْنَاءَ مِنْهُمْ عَلَى حَسَبِ مَا بَيَّنَّاهُ لَكَ، وَبَيَّنَهُ الْعُلَمَاءُ مِنْ قَبْلِنَا. رُوِيَ فِي هَذَا سُنَنٌ كَثِيرَةٌ، وَآثَارٌ تَدُلُّ عَلَى مَا قُلْنَا. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ} [الفتح: ٢٧] وَقَدْ عَلِمَ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُمْ دَاخِلُونَ، وَقَدْ دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَقْبَرَةَ فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ» وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» وَرُوِيَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ: أَنَا مُؤْمِنٌ فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: أَفَأَنْتَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ: أَرْجُو فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: " أَفَلَا وَكَلْتَ الْأُولَى كَمَا وَكَلْتَ الْأُخْرَى؟ وَقَالَ رَجُلٌ لِعَلْقَمَةَ: أَمُؤْمِنٌ أَنْتَ؟ قَالَ: أَرْجُو إِنْ شَاءَ اللَّهُ. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: وَهَذَا مَذْهَبُ كَثِيرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَهُوَ مَذْهَبُ

أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَاحْتَجَّ أَحْمَدُ بِمَا ذَكَرْنَا، وَاحْتَجَّ بِمُسَاءَلَةِ الْمَلَكَيْنِ فِي الْقَبْرِ لِلْمُؤْمِنِ، وَمُجَاوَبَتِهِمَا لَهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: عَلَى الْيَقِينِ كُنْتَ، وَعَلَيْهِ مِتَّ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَيُقَالُ لِلْكَافِرِ وَالْمُنَافِقِ: عَلَى شَكٍّ كُنْتَ، وَعَلَيْهِ مِتَّ وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ

278 - حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ الْأَثْرَمُ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ سُئِلَ عَنِ الِاسْتِثْنَاءِ فِي الْإِيمَانِ مَا تَقُولُ فِيهِ؟ قَالَ: أَمَّا أَنَا فَلَا أُعِيبُهُ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: " إِذَا كَانَ يَقُولُ إِنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، وَاسْتَثْنَى مَخَافَةً وَاحْتِيَاطًا، لَيْسَ كَمَا يَقُولُونَ عَلَى الشَّكِّ، إِنَّمَا تَسْتَثْنِي لِلْعَمَلِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ} [الفتح: ٢٧] فَهَذَا اسْتِثْنَاءٌ بِغَيْرِ شَكٍّ، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» قَالَ: هَذَا كُلُّهُ تَقْوِيَةٌ لِلِاسْتِثْنَاءِ فِي الْإِيمَانِ

279 - وَحَدَّثَنَا جَعْفَرٌ الصَّنْدَلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ زِيَادٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ: " يُعْجِبُهُ الِاسْتِثْنَاءُ فِي الْإِيمَانِ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: إِنَّمَا النَّاسُ رَجُلَانِ: مُؤْمِنٌ، وَكَافِرٌ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: فَأَيْنَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ، إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ، وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ} [التوبة: ١٠٦] قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ يَقُولُ "مَا أَدْرَكْتُ أَحَدًا إِلَّا عَلَى الِاسْتِثْنَاءِ" قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَرَّةً أُخْرَى يَقُولُ: سَمِعْتُ يَحْيَى يَقُولُ: «مَا أَدْرَكْتُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَلَا بَلَغَنِي إِلَّا الِاسْتِثْنَاءُ»

قَالَ: وَسَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ " إِذَا سُئِلَ: أَمُؤْمِنٌ أَنْتَ إِنْ شَاءَ لَمْ يُجِبْهُ، وَإِنْ شَاءَ قَالَ: سُؤَالُكَ إِيَّايَ بِدْعَةٌ، وَلَا أَشُكُّ فِي إِيمَانِي وَلَا يُعَنِّفُ مَنْ قَالَ: إِنَّ الْإِيمَانَ يَنْقُصُ، أَوْ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ، لَيْسَ يَكْرَهُهُ، وَلَيْسَ بِدَاخِلٍ فِي الشَّكِّ "

قَالَ: وَسَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: " إِذَا قَالَ "أنا مؤمن إن شاء الله" فَلَيْسَ هُوَ بِشَاكٍّ، قِيلَ لَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، أَلَيْسَ هُوَ شَكًّا؟ فَقَالَ: مَعَاذَ اللَّهِ، أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى {لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ} [الفتح: ٢٧] وَفِي عِلْمِهِ أَنَّهُمْ يَدْخُلُونَ , وَصَاحِبُ الْقَبْرِ إِذَا قِيلَ لَهُ: وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَأَيُّ شَكٍّ هَاهُنَا؟ وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَا حِقُونَ»

وَسَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: نا وَكِيعٌ قَالَ: قَالَ سُفْيَانُ: «النَّاسُ عِنْدَنَا مُؤْمِنُونَ فِي الْأَحْكَامِ وَالْمَوَارِيثِ، وَلَا يَدْرِي كَيْفَ هُمْ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى؟ وَنَرْجُو أَنْ نَكُونَ كَذَلِكَ»

مسألة الاستثناء في الإيمان وهي أن يقول القائل: "أنا مؤمن إن شاء الله"، هذا الذي يقصدها المؤلف. هذه المسألة قلنا بأن أصلها نابع من **مرجئة الفقهاء**؛ فمرجئة الفقهاء يمنعون الاستثناء في الإيمان، لأن الإيمان عندهم واحد؛ وهو التصديق، فيقولون: "أنت تعلم أنك مصدق بقلبك فكيف تقول "أنا مؤمن إن شاء الله"؟ إذا قلت ذلك فإنك تشك في إيمانك"، لذلك يُسمون مرجئة الفقهاء، وهذا أيضًا مذهب للأحناف، لكن هذا ليس فقهي – وعلى قول الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى وغفر له ذلك وجعلها إن شاء الله أن تغمر في بحر حسناته – قالوا **يسمونهم (الشكاكة)** من قال "أنا مؤمن إن شاء الله" يسمونهم الشكاكة ويكفرونهم بذلك؛ يخرجونهم من الإيمان لأن هذا شك في التصديق، فيقول لك أنت مصدق بالله عز وجل، مصدق بأن مثلًا اليهود كفار، بأن النصارى كفار، مصدق بأنك تحب الله ورسوله، مصدق بأنك قد قرأت الفاتحة وتصلي، وأنك تحب المسلمين وتبغض الكفار، فكيف تقول "أنا مؤمن إن شاء الله"؟ **فهم جعلوا الشك هنا في أصل الإيمان، وهذا هو أصل الخلاف**، فأصل الخلاف سببه أنهم يريدون أن ينتصروا لرأيهم، فقالوا بأن من قال "أنا مؤمن إن شاء الله" جعلوا الشك في أصل الإيمان لذلك جعلوه في الكفر.

وذلك بخلاف ما قاله المؤلف هنا بأن **أهل السنة والجماعة لما أثبتوا القول "أنا مؤمن إن شاء الله" لم يجعلوه على سبيل الشك، بل جعلوا هذا الاستثناء ليس في أصل الإيمان، بل هذا في كمال الإيمان**. لذلك هناك فرق بين مطلق الإيمان وأصل الإيمان وبين الإيمان المطلق، فمرجئة الفقهاء لأن عندهم الإيمان تصديقًا فجعلوا هذا الاستثناء في الأصل، لذلك اعتبروه من باب الشك، أما أهل السنة السنة والجماعة كما قال الشيخ بأنهم استثنوا في باب الأعمال، أو استثنوا في الإيمان الكامل وليس في تصديق الإيمان، وهذا الاستثناء راجع إلى العمل، لماذا؟ قالوا بأنك إذا أقررت بأن قلت "أنا مؤمن إن شاء الله" كأنك فعلت كل الأعمال فلا بد لك أن تستثني لأنك لا يمكن أن تزكي نفسك وتقول أنك فعلت كل الأعمال. إذًا هذا وجه الاستثناء الأصلي، هذا الاستثناء عند أهل السنة والجماعة صحيح لا إشكال فيه؛ إن كان في غير شك وكان المقصود منه الاستثناء في العمل.

وبعضهم قال يجوز الاستثناء أيضًا لأن جاءت الأدلة في الشرع بوجود الاستثناء، منها قول الله عز وجل: {لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ } [الفتح:27]، مع أن على التحقيق سندخل. وأيضًا دعاء القبور: [السَّلَامُ عَلَيْكُم دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ، أنتم السابقون ونحن إن شاء الله بكم لاحقون] فقالوا "إن شاء الله" مع أن على التحقيق لابد أن الكل سيموت. وقول النبي ﷺ: [إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ] و"أرجو" هذا استثناء؛ هذا في حديث الثلاثة الذين دخلوا

يسألون عن عبادة النبي ﷺ. وهنا "أرجو" أتى بها المؤلف أيضًا على سبيل الاستثناء. فقالوا إذًا الاستثناء وَرَد، لكن إما أن يرد على سبيل عدم تزكية النفس، وهذا يُجعَل مع القول الذي قلناه الآن في مسألة الأعمال، أو أنه يقال الاستثناء في "أنا مؤمن إن شاء الله" لأنه لا يعلم عاقبة الخاتمة، لا يعلم على ماذا سيُختَم له، لذلك قالوا لعدم علمه بالعاقبة والعاقبة لا يعلمها إلا الله عز وجل فلا بأس بالاستثناء، إذًا هذا وجه ثاني في جواز الاستثناء.

وجه ثالث في جواز الاستثناء هو التبرك بذكر اسم الله عز وجل وهذا لا بأس به، وهناك آيات جاءت وأحاديث على جواز التبرك باسم الله عز وجل.

كل هذا أهل السنة، فالمرجئة قالوا فقط بعدم الاستثناء، لكن أهل السنة والجماعة قالوا بجواز الاستثناء لأنه في باب الأعمال، وأيضًا يجوز الاستثناء لمن أراد أن يقول أنه لا يعلم العاقبة فيستثني على أنه لا يعلم عاقبته، أو يستثني للتبرك بذكر اسم الله عز وجل أيضًا. فالفارق أن مرجئة الفقهاء جعلوا الاستثناء في أصل الإيمان لأن عندهم الإيمان واحد، وهذا يرجع لتعريفهم للإيمان أن الإيمان عندهم واحد وهو التصديق، فالشك سيكون في التصديق لأن أعمال القلوب في القلب أيضًا، فهم جعلوا الاستثناء في أصل الإيمان، فالفارق أن أهل السنة والجماعة جعلوا الاستثناء في الأعمال ليس في الأصل، لذلك قال هنا الشيخ ليس في التصديق ولا في القول؛ أي لا يجوز الاستثناء في القول باللسان ولا في تصديق القلب. لكن أيضًا من وجوه الاستثناء أن تحمله على عدم علمك بالعاقبة، أو تحمله على التبرك بذكر اسم الله عز وجل، لأن جاءت الأدلة في ذلك؛ الذي ذكره المؤلف في الإيمان.

إذًا الفارق أيضًا أن أهل السنة والجماعة لا يجزمون لأنفسهم بالإيمان المطلق، لذلك قالوا بالاستثناء، لكن فصلوا؛ قالوا لا نقول بالاستثناء لو كنت شاك لأن هذا قدح في أصل الإيمان والتصديق وهذا يكون شكًا لا يستقيم مع الإيمان، لكن نقول بالاستثناء في الأعمال لأننا نفرق بين مطلق الإيمان والإيمان المطلق، **وهذا ضابط لابد أن تتقنوه** أهل السنة والجماعة استثنوا في الإيمان المطلق – وهو الكامل – قالوا لا يمكن أحد أن يقول بأنه مؤمن وأتى بالإيمان الكامل لكن لا نستثني في أصل الإيمان وهو مطلق الإيمان، وهذا الفارق بيننا وبينهم.

إذًا أهل السنة والجماعة لا يجزمون لأنفسهم بالإيمان المطلق؛ لأنك عندما تجزم بالإيمان المطلق معنى ذلك أنك فعلت جميع الطاعات وتركت جميع المنهيات، ولا يمكن لأحد أن يكون فعل ذلك، لذلك على هذا التوجيه لابد لك أن تستثني.

لكن هم قالوا كما قال الشيخ أن هذا الكلام أصلًا لم يكن موجود عند السلف، أهل السنة والجماعة يرون أن السؤال: "هل أنت مؤمن؟" هذه بدعة وأحدثتها مرجئة الفقهاء، لذلك ذكر لنا هنا الشيخ لما قال في أول حديث: **أَنَّ رَجُلًا قَالَ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ: أَنَا مُؤْمِنٌ فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: أَفَأَنْتَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ: أَرْجُو**، و"أرجو" هذا استثناء، **فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: " أَفَلَا وَكِلْتَ الْأُولَى كَمَا وَكِلْتَ الْأُخْرَى؟** فبين ابن مسعود رضي الله عنه أن توكل الأولى كما وكلت الثانية؛ فكما أنك لا تجزم لنفسك أنك من أهل الجنة، كذلك لا تجزم لنفسك بأنك مؤمن. فلما تقول "أنا مؤمن" فقد جزمت بالإيمان الكامل أو المطلق، وهذا سيستلزم الجنة، فلذلك لما قال لهم اسألوه هل هو من أهل الجنة؟ قال أرجو، قال **أَفَلَا وَكِلْتَ الْأُولَى كَمَا وَكِلْتَ الْأُخْرَى؟**

وأيضًا كما قال **رَجُلٌ لِعَلْقَمَةَ: أَمُؤْمِنٌ أَنْتَ؟ قَالَ: أَرْجُو إِنْ شَاءَ اللَّهُ** . إذًا هذا يبين لك أصلًا بأن هذه المسألة عند أهل السنة والجماعة يرون هذا السؤال من سؤال المبتدعة، ما يصح أنك تأتي لأحد وتسأله هذا السؤال، هذه بدعة وليست عند أهل السنة والجماعة لكن نبينها لأنها كان لها مأرب عند هؤلاء أيضًا، وأرادوا أن ينكروا على أهل السنة والجماعة، حتى أن هناك نكتة فقهية؛ الأحناف مرجئة الفقهاء يرون بعدم وجوب الاستثناء، والشافعية يرون بالاستثناء، وطبعًا هذا عند الاخناف شك في الإيمان وكفر، لذلك يقولون كلام شديد، يقولون يجوز للحنفي أن يتزوج الشافعية، قياسًا على أهل الكتاب، تعصب شديد في المسألة هذه، طبعًا هم كلامهم في المرجئة، فيقول يجوز للحنفي يتزوج الشافعية قياسًا على أهل الكتاب، وهذا الكلام طبعًا باطل لا يصح! لأن هم قولهم أصلًا مطروح في هذه المسألة.

فنقول هذا بيان تأصيل مسألة الاستثناء عند أهل السنة والجماعة، وترجع كما قلنا فيها على مسألة الإيمان المطلق.

هنا ذكر لنا الأدلة على ذلك؛ أيضًا حديث الملكين لما قال: **عَلَى الْيَقِينِ كُنْتَ، وَعَلَيْهِ مِتَّ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَيُقَالُ لِلْكَافِرِ وَالْمُنَافِقِ: عَلَى شَكٍّ كُنْتَ، وَعَلَيْهِ مِتَّ وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.** هذه كلها فيها دلالة على أن الاستثناء موجود، مع أن الاستثناء هنا ليس المقصود به الشك، لا، هذا على التحقيق أصالة.

ومنها قول الله عز وجل:{ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ} [المائدة:64]، فلا يمكن أن تقول أن هناك شك بدخول المسجد الحرام كما جاء في صلح الحديبية ولا يمكن أن يكون هناك شك في سؤال الملكين في القبر، إلى غير ذلك.

وأيضًا حديث النبي ﷺ قال: [لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وإنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفاعَةً لِأُمَّتِي يَومَ القِيامَةِ، فَهي نائِلَةٌ إنْ شاءَ اللَّهُ مَن ماتَ مِن أُمَّتِي لا يُشْرِكُ باللَّهِ شيئًا] وهذا تحقيقًا، لأن النبي ﷺ الشفاعة أُخرت له يوم القيامة وسيشفع للمسلمين من أهل القبلة.

إجابة فضيلة الشيخ على سؤال أحد الطلبة: الذين قالوا بوجوب الاستثناء في الإيمان هم الكلابية، ومن قالوا بتحريم الاستثناء هم المرجئة، ومن قال بالتفصيل هم أهل السنة والجماعة.

إذًا ملخص الاستثناء عندنا قلنا بالاستثناء بالإيمان باعتبار كمال الإيمان، باعتبار العاقبة، باعتبار التبرك باسم الله عز وجل.

هنا أيضًا نقل لنا قول الإمام أحمد بن حنبل عن الاستثناء في الإيمان فقال: أَمَّا أَنَا فَلَا أُعِيبُهُ. يبين لنا، ثم ذكر الآية في مسألة دخول المسجد الحرام، وقال: فَهَذَا اسْتِثْنَاءٌ بِغَيْرِ شَكٍّ، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَخْشَاكُمْ. هذا كله كما قال: تَقْوِيَةٌ لِلِاسْتِثْنَاءِ فِي الْإِيمَانِ.

انتبهوا.. كيف تتعامل مع من قال لك "أنا مؤمن إن شاء الله"؟ بين لنا بعض الإجابات الآن، قال – كما نُقل عن سفيان قال: إن شاء لم يجبه، إذًا تمتنع عن الإجابة. وإن شاء قال: سُؤَالُكَ إِيَّايَ بِدْعَةٌ، وَلَا أَشُكُّ فِي إِيمَانِي – هذا الأمر الثاني، وسيأتي أيضًا أن يقول آمَنْتُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ. ومنهم أيضًا يقول: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ يذكر الشهادتين.

لكن الذي ذُكر معنا الآن نقلًا عن سفيان بن عيينة بأنه إذا سئل هل أنت مؤمن؟ إن شاء لم يجبه، وإن شاء قال سُؤَالُكَ إِيَّايَ بِدْعَةٌ، وَلَا أَشُكُّ فِي إِيمَانِي.

ثم بين: وَسَمِعْتُ أَحْمَدَ قَالَ: سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ قَالَ: " مَا أَدْرَكْتُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِنَا، وَلَا بَلَغَنِي إِلَّا عَلَى الِاسْتِثْنَاءِ. ثم ذكر أحمد قال: حدثنا وَكِيعٌ قَالَ: قَالَ سُفْيَانُ: «النَّاسُ عِنْدَنَا مُؤْمِنُونَ فِي الْأَحْكَامِ وَالْمَوَارِيثِ، فَنَرْجُو أَنْ نَكُونَ كَذَلِكَ، وَلَا نَدْرِي حَالَنَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى». إذًا هنا يبين بأن في الظاهر الأحكام على أهل الإسلام، وفي المواريث على الظاهر يورثون كمسلمين، لكن قال: «وَلَا نَدْرِي حَالَنَا عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»، في الظاهر نقر لهم بالإسلام ونعاملهم على ذلك، وفي الباطن لا نعلم الحال.

280 - وَحَدَّثَنَا ابْنُ مَخْلَدٍ قَالَ: نَا أَبُو دَاوُدَ قَالَ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ قَالَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ يَقُولُ: " إِذَا سُئِلَ أَمُؤْمِنٌ أَنْتَ؟ إِنْ شَاءَ لَمْ يُجِبْهُ، أَوْ يَقُولُ لَهُ: سُؤَالُكَ إِيَّايَ بِدْعَةٌ، وَلَا أَشُكُّ فِي إِيمَانِي وَقَالَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَيْسَ يَكْرَهُ، وَلَيْسَ بِدَاخِلٍ فِي الشَّكِّ "

قَالَ: وَسَمِعْتُ أَحْمَدَ قَالَ: سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ قَالَ: " مَا أَدْرَكْتُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِنَا، وَلَا بَلَغَنِي إِلَّا عَلَى الِاسْتِثْنَاءِ، وَقَالَ: قَالَ يَحْيَى: الْإِيمَانُ: قَوْلٌ وَعَمَلٌ "

وَسَمِعْتُ أَحْمَدَ قَالَ: نَا وَكِيعٌ قَالَ: قَالَ سُفْيَانُ: «النَّاسُ عِنْدَنَا مُؤْمِنُونَ فِي الْأَحْكَامِ وَالْمَوَارِيثِ، فَنَرْجُو أَنْ نَكُونَ كَذَلِكَ، وَلَا نَدْرِي حَالَنَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى»

وَسَمِعْتُ أَحْمَدَ قَالَ: قَالَ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ: كَانَ سُفْيَانُ "يُنْكِرَ أَنْ يَقُولَ: أَنَا مُؤْمِنٌ "

281 - وَحَدَّثَنَا جَعْفَرٌ الصَّنْدَلِيُّ قَالَ: نَا الْفَضْلُ بْنُ زِيَادٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: حَدَّثَنِي مُؤَمَّلٌ قَالَ: نَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ هِشَامًا، يَذْكُرُ قَالَ: كَانَ الْحَسَنُ وَمُحَمَّدٌ: يَهَابَانِ أَنْ يَقُولَا: مُؤْمِنٌ، وَيَقُولَانِ: مُسْلِمٌ

وهنا يبين في أثر حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ هِشَامًا، يَذْكُرُ قَالَ: كَانَ الْحَسَنُ وَمُحَمَّدٌ: يَهَابَانِ أَنْ يَقُولَا: مُؤْمِنٌ، وَيَقُولَانِ: مُسْلِمٌ، إذًا هناك فارق بين الإسلام وبين الإيمان، وهذه دلالة على أنك إن قيل لك مسلم تقول نعم مسلم، وليس هناك استثناء - كما سيأتي - في الإسلام، ليس دون الإسلام استثناء، بل أن الاستثناء في الإسلام سيكون شكًا لأن الإسلام أصلًا دخول بالقول، لذلك هو قال القول لا استثناء فيه، والتصديق لا استثناء فيه، والاستثناء في الأعمال. لذلك جعل الاستثناء في الإيمان على غير الشك، لكن في الإسلام لا يمكن؛ على القول بعدم التفاوت في الإسلام، مع أننا رددنا على هذا القول، لكن هو يقصد بـ يَهَابَانِ أَنْ يَقُولَا: مُؤْمِنٌ، وَيَقُولَانِ: مُسْلِمٌ على أن المؤمن كما قلنا فيها التزكية، وفيها الأعمال كاملة، والإسلام ليس فيها ذلك؛ لابد أن تكون أنت مسلم؛ وإلا نقيض الإسلام الكفر، لكن نقيض الإيمان أن تنزل درجة من الإيمان للإسلام؛ كما عندنا المسألة ثلاث درجات: إسلام، وإيمان، وإحسان. فلك أن تقول لست بمحسن، ولست بمؤمن، لكن لابد أن تقول أنك مسلم ليس فيها ذلك. لذلك سيأتي الذي بعده الآن:

282 - وَحَدَّثَنَا أَبُو نَصْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ كُرْدِيٍّ قَالَ: نَا أَبُو بَكْرٍ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: قِيلَ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ: يَقُولُ: نَحْنُ الْمُؤْمِنُونَ؟ قَالَ: يَقُولُ: نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ، ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: " الصَّوْمُ وَالصَّلَاةُ

وَالزَّكَاةُ مِنَ الْإِيمَانِ، قِيلَ لَهُ فَإِنِ اسْتَثْنَيْتُ فِي إِيمَانِي أَكُونُ شَاكًّا؟ قَالَ: لَا

283 - وَحَدَّثَنَا أَبُو نَصْرٍ قَالَ: نا أَبُو بَكْرٍ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ بَحْرٍ قَالَ: سَمِعْتُ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ الْحَمِيدِ يَقُولُ: " الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ قَالَ: وَكَانَ الْأَعْمَشُ، وَمَنْصُورٌ، وَمُغِيرَةُ، وَلَيْثٌ، وَعَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ، وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ، وَعُمَارَةُ بْنُ الْقَعْقَاعِ، وَالْعَلَاءُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، وَابْنُ شُبْرُمَةَ، وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، وَأَبُو يَحْيَى صَاحِبُ الْحَسَنِ وَحَمْزَةُ الزَّيَّاتُ يَقُولُونَ: «نَحْنُ مُؤْمِنُونَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَيَعِيبُونَ عَلَى مَنْ لَمْ يَسْتَثْنِ» قَالَ أَبُو بَكْرٍ الْمَرْوَزِيُّ: سَمِعْتُ بَعْضَ مَشْيَخَتِنَا يَقُولُ: سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مَهْدِيٍّ يَقُولُ: «إِذَا تُرِكَ الِاسْتِثْنَاءُ، فَهُوَ أَصْلُ الْإِرْجَاءِ»

وهذا هو أهم شيء، ويبين لك أن هذه المسألة كلها كما قلت راجعة للمرجئة في مسألة الاستثناء؛ إذا قال أنا مؤمن تحقيق هكذا فهذا أصل مسألة الإرجاء.

284 - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: نَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى أَبُو مُوسَى الزَّمِنُ قَالَ: نا عَبْدُ الْأَعْلَى قَالَ: نا يُونُسُ، عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ رَجُلٌ عِنْدَ ابْنِ مَسْعُودٍ: إِنِّي مُؤْمِنٌ قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، يَزْعُمُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ قَالَ: فَسَلُوهُ، أَهُوَ فِي الْجَنَّةِ أَوْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ اللَّهُ أَعْلَمُ فَقَالَ: " أَلَا وُكِّلْتَ الْأُولَى كَمَا وُكِّلْتَ الْآخِرَةَ

وهذا السند هو عند ابن بطة في الإبانة، والشيخ الألباني قال فيه انقطاع، والحق أن فيه انقطاع بين الحسن وبين ابن مسعود، لأن الحسن روى عن ابن مسعود والأصل أن الحسن لا يروي عن ابن مسعود، ففيه انقطاع بين الحسن وابن مسعود، وإن كان ثبت المتن من رواية أخرى، لكن هذه الرواية فيها انقطاع بين الحسن وبين ابن مسعود. لكن هو بين فيها المسألة بأن ابن مسعود رجَّعه؛ كما أنه لم يقر بالجنة فأيضًا لا يقر بالإيمان ولا بد أن يستثني لأنه لا يعلم، وهذه تدل على مسألة العاقبة، أو أنه لا يعلم إن كان أتى بالإيمان الواجب ككل.

285- وَحَدَّثَنَا أَيْضًا أَبُو بَكْرٍ قَالَ: نَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى قَالَ: نَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: قِيلَ لِعَلْقَمَةَ: أَمُؤْمِنٌ أَنْتَ؟ قَالَ: «أَرْجُو إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى»

286 - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ أَيْضًا قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِعَلْقَمَةَ: أَمُؤْمِنٌ أَنْتَ؟ قَالَ: «أَرْجُو»

287- حَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى الْمَقْبَرَةَ فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ» وَذَكَرَ الْحَدِيثَ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: فِيمَا ذَكَرْتُ مِنْ هَذَا الْبَابِ مُقْنِعٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِهِ

هنا توجد لفتة مهمة جدًا؛ لماذا أتى المصنف في آخر هذا الباب بحديث: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ» ما الحكمة أنه يأتي بهذا الحديث وفيه استثناء بالمشيئة؟ لماذا المؤلف أتى بهذا الحديث ختامًا في الباب؟ هو طبعًا توجد تكمله للباب بباب آخر نفس الموضوع، لكن لماذا أتى بهذا الحديث، ما الحكمة؟ هو يتكلم عن الاستثناء في الإيمان ويرد على المرجئة بجواز الاستثناء، لماذا أتى بهذا الحديث؟ يبين مع أن الموت محقق وبرغم هذا استثنى، لأنه يريد أن يقول ورد الاستثناء في الشرع وليس كل الاستثناء في الشرع معناه الشك – فعمدة الكلام عند المرجئة أن الاستثناء شك، فلو كان شكًا يكون كفرًا إذًا لابد ألا تستثني، فهو يريد أن يقول لا؛ فقد وُجِد الاستثناء في الشرع؛ سواء بالحديث أو بالآية؛ آية "المسجد الحرام" أو حديث "إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَخْشَاكُمْ" فهو يريد أن يبين بأن الموت محقق وجاء الاستثناء، إذًا ليس كل استثناء معناه شك، إذًا يمكن أن يأتي الاستثناء ولا يراد به الشك، فيكون على أصلنا بأنه يراد به كذا وكذا وكذا. هذا هو وجه إتيان المؤلف بالحديث.

فقد وُجِد الاستثناء وجاء مع التحقيق إذًا لا يراد بكل استثناء الشك، ممكن يراد بالاستثناء عدم فعل كل شيء كما قال، أو العاقبة، أو التبرك، هذا هو الذي يقصده. المهم تعلم لماذا المؤلف أتى بالأدلة هذه في كتابه.

وعلى حسب السياق؛ لو كان قول الله عز وجل: {لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ} [الفتح:27]، هذا تحقيق، لكن لما أقول لك سيأتيك غدًا إن شاء الله ممكن تحتمل بأني لا أعلم إذا كنت سأستطيع أن آتيك غدًا أم لا، علقت المسألة على مشيئة الله عز وجل، وممكن يكون أني أقصد بها تحقيقًا أنا سآتيك إن كنت أستطيع أن أنت سآتيك، فتُحمل على حسب السياق من القائل، وإلا قول الله عز وجل في سورة الكهف لما قال الرجل: {وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا * إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ} [الكهف:23-24]، فلو كانت المسألة تحقيقًا ما قال الله عز وجل

لابد أن تقدم المشيئة في الفعل. إذًا المسألة على حسب السياق؛ لو كان من الله عز وجل أو كان من غير الله عز وجل.

28- بَابٌ فِيمَنْ كَرِهَ مِنَ الْعُلَمَاءِ لِمَنْ يَسْأَلُ لِغَيْرِهِ، فَيَقُولُ لَهُ: أَنْتَ مُؤْمِنٌ؟ هَذَا عِنْدَهُمْ مُبْتَدِعٌ رَجُلُ سُوءٍ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِذَا قَالَ لَكَ رَجُلٌ: أَنْتَ مُؤْمِنٌ؟ فَقُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَوْتِ وَالْبَعْثِ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ لَا تُجِيبَهُ تَقُولُ لَهُ: سُؤَالُكَ إِيَّايَ بِدْعَةٌ، فَلَا أُجِيبُكَ، وَإِنْ أَجَبْتَهُ، فَقُلْتَ: أَنَا مُؤْمِنٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى النَّعْتِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ فَلَا بَأْسَ بِهِ، وَاحْذَرْ مُنَاظَرَةَ مِثْلِ هَذَا، فَإِنَّ هَذَا عِنْدَ الْعُلَمَاءِ مَذْمُومٌ، وَاتَّبِعْ مَنْ مَضَى مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ تَسْلَمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

288 - حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ أَيُّوبَ السَّقَطِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ لُوَيْنٌ قَالَ: قِيلَ لِسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ: الرَّجُلُ يَقُولُ: مُؤْمِنٌ أَنْتَ؟ فَقَالَ: فَقُلْ: "مَا أَشُكُّ فِي إِيمَانِي، وَسُؤَالُكَ إِيَّايَ بِدْعَةٌ، وَقَالَ: مَا أَدْرِي أَنَا عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، أَمَقْبُولُ الْعَمَلِ أَوْ لَا؟"

289 - وَحَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ أَيُّوبَ قَالَ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّوْرَقِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ لِي إِبْرَاهِيمُ: "إِذَا قِيلَ لَكَ: أَمُؤْمِنٌ أَنْتَ؟ فَقُلْ: أَرْجُو

290 -حَدَّثَنَا أَبُو نَصْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنِي سُفْيَانُ، عَنْ مُحِلِّ بْنِ خَلِيفَةَ قَالَ: قَالَ لِي إِبْرَاهِيمُ: «إِذَا قِيلَ لَكَ» أَمُؤْمِنٌ أَنْتَ؟ فَقُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ"

قَالَ: وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنِي سُفْيَانُ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ، مِثْلَهُ

وَبِإِسْنَادِهِ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ عَتِيقٍ، وَحَبِيبِ بْنِ الشَّهِيدِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ: "إِذَا قِيلَ لَكَ: أَمُؤْمِنٌ أَنْتَ؟ فَقُلْ: {آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ}

وَبِإِسْنَادِهِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: "إِذَا قِيلَ لَكَ: أَمُؤْمِنٌ أَنْتَ؟ فَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ"

291 - حَدَّثَنَا أَبُو نَصْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا حَسَنُ بْنُ عَيَّاشٍ، عَنْ مُغِيرَةَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: "سُؤَالُ الرَّجُلِ الرَّجُلَ: أَمُؤْمِنٌ أَنْتَ؟ بِدْعَةٌ"

قال بَابٌ "فِيمَنْ كَرِهَ مِنَ الْعُلَمَاءِ لِمَنْ يَسْأَلُ لِغَيْرِهِ، فَيَقُولُ لَهُ: أَنْتَ مُؤْمِنٌ؟ هَذَا عِنْدَهُمْ مُبْتَدِعٌ رَجُلُ سُوءٍ". يبين لك كلام أهل السنة والجماعة أو علماؤنا في مسألة من قال ذلك يعتبرون هذا رجل مبتدع ورجل سوء، لذلك جاءت الآثار تبين كيفية التعامل معه.

طبعًا من قبل جاء عن سفيان قال: لَا تُجِيبَهُ ؛ إذًا أول رد أنك لا تجبه، أو تقول له: "هذه بدعة". ثم هنا ذكر الإمام الآجري في المقدمة قال: إذا قيل لك أَنْتَ مُؤْمِنٌ؟ فَقُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَوْتِ وَالْبَعْثِ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ لَا تُجِيبَهُ تَقُولُ لَهُ: سُؤَالُكَ إِيَّايَ بِدْعَةٌ، فَلَا أُجِيبُكَ. فإما أنك لا تجيبه أو إن سألك فتذكر له الإيمان بأركان الإيمان الستة؛ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والبعث، هذا الأول والثاني. وذكر الثالثة أيضًا قال: أَمُؤْمِنٌ أَنْتَ؟ فَقُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وهذه أيضًا تدخل في الثانية عمومًا. أو: أَرْجُو إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وهذه الثالثة. والرابعة قل: {آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ} . كأن هذه أجوبة يذكرها المؤلف عن السلف في من قال لك: "هل أنت مؤمن؟ أو أيضًا قال أن تقول: :لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وأخيرًا قال: أَمُؤْمِنٌ أَنْتَ؟ بِدْعَةٌ. وكل هذا قرأناه الآن مما ذكره المؤلف يبين كيف ترد على من قال لك ذلك.

وذكر: فَقُلْتُ: أَنَا مُؤْمِنٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى النَّعْتِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ فَلَا بَأْسَ بِهِ، وَاحْذَرْ مُنَاظَرَةَ مِثْلِ هَذَا، فَإِنَّ هَذَا عِنْدَ الْعُلَمَاءِ مَذْمُومٌ. لو تذكروا باب (المناظرة والمراء) فيحذرنا الإمام من مناظرة هؤلاء على أنه مذموم عند العلماء، وهو مبتدع، وقلنا من قبل بأننا حُذرنا من المناظرة مع المبتدعة إلا من أراد أن يدحض البدعة التي انتشرت وأراد أن يرد عليه، لكنه هنا قال: وَاحْذَرْ مُنَاظَرَةَ مِثْلِ هَذَا، فَإِنَّ هَذَا عِنْدَ الْعُلَمَاءِ مَذْمُومٌ، وَاتَّبِعْ مَنْ مَضَى مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ تَسْلَمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، على أنه يردك للأصل الذي بينه من قبل؛ على أنك لا تدخل في

المناظرة مع المبتدعة ولا تجادلهم ولا تدخل في المراء معهم لأنه لا فائدة من ذلك، هذه النقطة الأهم التي بين فيها المؤلف.

292 - وَحَدَّثَنَا أَبُو نَصْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ: وَتَكَلَّمَ عِنْدَهُ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ بِكَلَامٍ كَرِهَهُ فَقَالَ عَلْقَمَةُ {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا} [الأحزاب: ٥٨] فَقَالَ لَهُ الْخَارِجِيُّ: أَوَ مِنْهُمْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: «أَرْجُو»

هنا يتكلم عن خارجي تكلم بكلام كرهه، هو طبعًا الخارجي لو تكلم سيتكلم في السلف، يتكلم في الصحابة، يتكلم في كذا، و"علقمة" من التابعين، قال: وَتَكَلَّمَ عِنْدَهُ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ بِكَلَامٍ كَرِهَهُ، لذلك قال:{وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ..} [الأحزاب: 58] لأنه ممكن يتكلم عن السلف، عن الصحابة، عن المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، فألقى عليه الآية: {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ..} [الأحزاب: 58] أي أنت الآن كلامك هذا يؤذي لا شك بما تفعله، {بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا} [الأحزاب: 58] وهو مبتدع وضال، ومعلوم الخوارج من المبتدعة الضلال، فقال له: أَوَ مِنْهُمْ أَنْتَ؟ طبعًا المسألة أن هل أنت من المؤمنين؟ هو أذى علقمة وأذى من تكلم عنه، فقال: «أَرْجُو»، وهذا يبين لك أنه استثنى في الإيمان. لكن الإشكال بأن الخارجي هذا كان يلقي عليه شبهة: أوأنت من المؤمنين؟ فلذلك هو قال له: "أرجو ذلك".

حَدَّثَنَا أَبُو نَصْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ قَالَ حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّهُ كَانَ إِذَا قِيلَ لَهُ: أَمُؤْمِنٌ أَنْتَ؟ قَالَ: «آمَنْتُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، لَا يَزِيدُ عَلَى هَذَا»

وَبِإِسْنَادِهِ عَنْ أَحْمَدَ قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ فُضَيْلٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: "إِذَا سُئِلْتَ: أَمُؤْمِنٌ أَنْتَ؟ فَقُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنَّهُمْ سَيَدَعُونَكَ"

294 - حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ قَالَ: حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ الْفَزَارِيِّ قَالَ: قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ فِي الرَّجُلِ سُئِلَ: أَمُؤْمِنٌ أَنْتَ؟ فَقَالَ: إِنَّ الْمَسْأَلَةَ عَمَّا سُئِلَ بِدْعَةٌ، وَالشَّهَادَةُ بِهِ تَعَمُّقٌ لَمْ نُكَلَّفْهُ فِي دِينِنَا وَلَمْ يُشَرِّعْهُ نَبِيُّنَا لَيْسَ لِمَنْ يَسْأَلُ عَنْ ذَلِكَ

فِيهِ إِمَامٌ , الْقَوْلُ بِهِ جَدَلٌ، وَالْمُنَازَعَةُ فِيهِ حَدَثٌ، وَلَعَمْرِي مَا شَهَادَتُكَ لِنَفْسِكَ بِالَّتِي تُوجِبُ لَكَ تِلْكَ الْحَقِيقَةَ إِنْ لَمْ تَكُنْ كَذَلِكَ وَلَا تَرْكُكَ الشَّهَادَةَ لِنَفْسِكَ بِهَا بِالَّتِي تُخْرِجُكَ مِنَ الْإِيمَانِ، إِنْ كُنْتَ كَذَلِكَ، وَإِنَّ الَّذِي سَأَلَكَ عَنْ إِيمَانِكَ، لَيْسَ يَشُكُّ فِي ذَلِكَ مِنْكَ، وَلَكِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُنَازِعَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عِلْمَهُ فِي ذَلِكَ، حِينَ يَزْعُمُ أَنَّ عِلْمَهُ وَعِلْمَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ سَوَاءٌ، فَاصْبِرْ نَفْسَكَ عَلَى السُّنَّةِ، وَقِفْ حَيْثُ وَقَفَ الْقَوْمُ، وَقُلْ فِيمَا قَالُوا، وَكُفَّ عَمَّا كَفُّوا عَنْهُ، وَاسْلُكْ سَبِيلَ سَلَفِكَ الصَّالِحِ، فَإِنَّهُ يَسَعُكَ مَا وَسِعَهُمْ وَقَدْ كَانَ أَهْلُ الشَّامِ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذِهِ الْبِدْعَةِ، حَتَّى قَذَفَهَا إِلَيْهِمْ بَعْضُ أَهْلِ الْعِرَاقِ مِمَّنْ دَخَلَ فِي تِلْكَ الْبِدْعَةِ، بَعْدَ مَا رَدَّ عَلَيْهِمْ فُقَهَاؤُهُمْ وَعُلَمَاؤُهُمْ، فَأَشْرَبَتْهَا قُلُوبُ طَوَائِفَ مِنْهُمْ، وَأَسْلَحَتْهَا أَلْسِنَتُهُمْ، وَأَصَابَهُمْ مَا أَصَابَ غَيْرَهُمْ مِنَ الِاخْتِلَافِ، وَلَسْتُ بِآيِسٍ أَنْ يَدْفَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ شَرَّ هَذِهِ الْبِدْعَةِ، إِلَى أَنْ يَصِيرُوا إِخْوَانًا فِي دِينِهِمْ , وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: لَوْ كَانَ هَذَا خَيْرًا مَا خُصِصْتُمْ بِهِ دُونَ أَسْلَافِكُمْ، فَإِنَّهُ لَمْ يُدَّخَرْ عَنْهُمْ خَيْرٌ خُبِّئَ لَكُمْ دُونَهُمْ لِفَضْلٍ عِنْدَكُمْ، وَهُمْ أَصْحَابُ نَبِيِّنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَالَّذِينَ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَبَعْثَهُ فِيهِمْ، وَوَصَفَهُ بِهِمْ فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ} [الفتح: ٢٩] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ

وهذا الكلام الذي قاله الأوزاعي حقيقة كلام بديع جدًا، كلام متين من عالم قدير القدر، والأوزاعي هذا عالم أهل الشام، ولما **قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ فِي الرَّجُلِ سُئِلَ: أَمُؤْمِنٌ أَنْتَ؟** أصّل المسألة تأصيل مسك الختام في هذا الكلام، قال أولًا المسألة عما تسأل عنه **بِدْعَةٌ**، إذًا هذا السؤال أصالة هو من البدع، **وَالشَّهَادَةُ بِهِ تَعَمُّقٌ لَمْ نُكَلَّفْهُ فِي دِينِنَا**، أي أنت أن تشهد بذلك تعمق، أنت لم تتكلف بذلك بأنك تشهد سواء مؤمن أو غير مؤمن إلى غير ذلك، لست مطالب بذلك، **وَلَمْ يُشَرِّعْهُ نَبِيُّنَا لَيْسَ لِمَنْ يَسْأَلُ عَنْ ذَلِكَ فِيهِ إِمَامٌ**، أي ليس له في هذه المسألة سلف؛ أي هذه المسألة مبتدعة، ثم قال: **الْقَوْلُ بِهِ جَدَلٌ، وَالْمُنَازَعَةُ فِيهِ حَدَثٌ**، كما قال الإمام الآجري لا تنازع فيه أحد ولا تماري ولا تناظر لأن هؤلاء أهل سوء الذين قالوا ذلك. ثم بين: **وَلَعَمْرِي مَا شَهَادَتُكَ لِنَفْسِكَ بِالَّتِي تُوجِبُ لَكَ تِلْكَ الْحَقِيقَةَ**، أي أنت حتى إن شهدت لنفسك هل أنت لو شهدت بذلك أصبحت حقيقة أنت مؤمن ولم تكن مؤمنًا؟! وإن لم تشهد بذلك، هل نُزع عنك الإيمان إن كنت مؤمنًا؟! إذًا المسألة ليست فيها لا اثبات شيء يُجلَب إليك ولا ينزع عنك شيئًا،

الأمر كله الله مطلع على ما عندك؛ إن كنت مؤمنًا فهو يعلم أنك مؤمن سواء أنت قلت أو لم تقل، فليس قولك اثبات لشيء هو ليس في الحقيقة ستثبته، وليس عدم قولك نزع لشيء هو ليس عندك فيخرجك من الإيمان. لذلك قال: **وَإِنَّ الَّذِي سَأَلَكَ عَنْ إِيمَانِكَ، لَيْسَ يَشُكُّ فِي ذَلِكَ مِنْكَ**، انظر.. هو يريد أن يقول لك الذي يسألك عن هذا السؤال.. وهذا يبين لك خبث أصحاب هذا السؤال، لذلك نحن قلنا بأن المسألة أصالة هي ما جاءت إلا بسبب مرجئة الفقهاء أرادوا أن يؤصلوا للتأصيل؛ هو لم يسألك ليس ليشك في إيمانك، هو فقط – كما قال – **يُرِيدُ أَنْ يُنَازِعَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عِلْمَهُ فِي ذَلِكَ حِينَ يَزْعُمُ أَنَّ عِلْمَهُ وَعِلْمَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ سَوَاءٌ، فَاصْبِرْ نَفْسَكَ عَلَى السُّنَّةِ.**

إذًا المسألة أنه لا يسألك شكًا في إيمانك، لا بل هو يريد أن يُثَبِّت أمرًا مبتدعًا عنده في مسألة الإيمان والتصديق، لأن الإيمان عنده هو تصديق فقط، لذلك قال: **فَاصْبِرْ نَفْسَكَ عَلَى السُّنَّةِ، وَقِفْ حَيْثُ وَقَفَ الْقَوْمُ**، هذه من أعظم الكلمات التي ستأتي، والجملة التي ختم بها قال: **فَاصْبِرْ نَفْسَكَ عَلَى السُّنَّةِ**، انظر.. أن يلزم المرء السنة، **وَقِفْ حَيْثُ وَقَفَ الْقَوْمُ، وَقُلْ فِيمَا قَالُوا، وَكُفَّ عَمَّا كَفُّوا عَنْهُ، وَاسْلُكْ سَبِيلَ سَلَفِكَ الصَّالِحِ، فَإِنَّهُ يَسَعُكَ مَا وَسِعَهُمْ**، وهذه حقيقة كلمات تبين لك بأنك في مسائل الدين لابد ترجع لزمن النبوة وزمن القرون الخيرية – خاصة في العقيدة – فتلزم ما كانوا عليه، هذا هو الأصل، وكل ما استُحدث من بعد ذلك فهو بدعة، لذلك قال: **فَاصْبِرْ نَفْسَكَ عَلَى السُّنَّةِ، وَقِفْ حَيْثُ وَقَفَ الْقَوْمُ، وَقُلْ فِيمَا قَالُوا، وَكُفَّ عَمَّا كَفُّوا عَنْهُ، وَاسْلُكْ سَبِيلَ سَلَفِكَ الصَّالِحِ، فَإِنَّهُ يَسَعُكَ مَا وَسِعَهُمْ**. وهذه قريبة من قول الرجل الذي ناظر ابن أبي دؤاد عند الإمام الواثق، الرجل الشيخ لما قال له وسعك كما وسعهم هل قال الكلام النبي ﷺ ؟ هل قال به غيره؟ إلى آخر ما جاء في ذلك. فهذا تأصيل عند سلفنا الصالح بكيف تتبع ما كان عليه العلماء.

ثم بين أن هذا الأمر كان في العراق، وانتقل من العراق إلى الشام، ولكن كأنه قُيِّد لأهل العراق من العلماء من يدفع هذه البدعة، فردوا الفقهاء والعلماء، لكنها أُشربت في قلوب طوائف منهم واستحلتها ألسنتهم وأصابهم ما أصاب غيرهم من الاختلاف.

لكنه قال كلامًا جميلًا نتعلق به أيضًا – بمعنى هذا الكلام –: **وَلَسْتُ بِآيِسٍ أَنْ يَدْفَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ شَرَّ هَذِهِ الْبِدْعَةِ**، إذًا يبين لك بأن لابد أن يكون للعالِم حسن ظن بالله عز وجل، وأنه لا ييأس حتى لو انتشرت البدعة وكانت البدعة قوية، لكنه يعلم أنه على الحق، فلا ييأس من دفع

البدعة هذه بالحق. انظر.. الإمام أحمد جلس سنوات ولم ييأس لحظة واحدة بأن يظل على موقفه مع أن كل من كان حوله كان ضده، إلى أن فرج الله عز وجل عنه وانتشرت السنة وأميتت هذه البدعة وأصبحت ميتة من بعد ذلك. فهذا يدل على أن العالِم بالحق لا ييأس، فلابد أن يدافع عن الحق ولا يهمه لو كانت الكثرة كلها على البدعة وانتشرت المذاهب المبتدعة وانتشرت الأفكار المبتدعة أنك لا تيأس بأن الله عز وجل يرد ذلك.

قال: **وَلَسْتُ بِآيِسٍ أَنْ يَدْفَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ شَرَّ هَذِهِ الْبِدْعَةِ، إِلَى أَنْ يَصِيرُوا إِخْوَانًا فِي دِينِهِمْ**، أي ما دام الأخوة في الدين قائمة على معتقد أهل السنة والجماعة، إلى أن يصيروا إخوانهم في الدين. طبعًا نحن تكلمنا عن مسألة الإخوان في الدين وطبعًا ترجع إلى إن كانت البدعة مكفرة أو البدعة مفسقة، لكنهم حتى لو نقول أن هو يرجع ويكون إخوان في الدين يُقبل بذلك، ولكنه إن لم يكن على الهدي فليس بإخوان لنا؛ أي إما يكون على الكفر أو حتى على الفسق أو مبتدعة فهنا لابد من تركهم وهجرهم وذمهم على ذلك لأنهم ليسوا على نفس عقيدة أهل السنة والجماعة.

ثم قال هذه الجملة حقيقة تكتب بماء الذهب أو بماء العين؛ قال: **لَوْ كَانَ هَذَا خَيْرًا مَا خُصِصْتُمْ بِهِ دُونَ أَسْلَافِكُمْ**، أي لو كان هذا خير أيُترَك زمن الصحابة وزمن النبي ﷺ وتُخصوا أنتم به دون أسلافكم؟! لا يمكن لو كان خيرًا. قال: **فَإِنَّهُ لَمْ يُدَّخَرْ عَنْهُمْ خَيْرٌ خُبِّئَ لَكُمْ دُونَهُمْ لِفَضْلٍ عِنْدَكُمْ**، أي لا يمكن أن يكون هناك خير لم يصيبه هؤلاء الأفاضل الأماجد الأكارم وخُبئ عنهم لكم أنتم وأنتم دونهم من بعدهم. كلام عظيم جدًا يحتاج إلى أن يُكتب فيه رسائل كا يقال، **فَإِنَّهُ لَمْ يُدَّخَرْ عَنْهُمْ خَيْرٌ خُبِّئَ لَكُمْ دُونَهُمْ لِفَضْلٍ عِنْدَكُمْ، وَهُمْ أَصْحَابُ نَبِيِّنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَالَّذِينَ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَبَعْثَهُ فِيهِمْ، وَوَصَفَهُ بِهِمْ**. إذًا كما قال الإمام ما لم يكن دينًا في زمان النبي ﷺ وزمان الصحابة فهو ليس بدين – أو في معنى الكلام عن الإمام مالك، وهذا حقيقة يقتل أي أحد يدعي خاصة في مسائل العقيدة والعبادات كما يُنشأ عبادات الآن في مواسم ليس لها أصل ويتعلقون بأدلة إما عامة جدًا، انظر إلى التعلق بالعبادات في رجب أو في ليلة النصف من شعبان والقيام، حتى أصبحت الآن في أعياد الكفار يدعون الناس إلى الاجتهاد في العبادة! وكل هذا باطل، كل هذا كان موجودًا في زمن الصحابة وفي زمن القرون الخيرية ولو كان خيرًا لبُيِّن ولعلمنا، فهم كانوا أحرص على الخير منا. أنا أتكلم في مسائل العبادات التوقيفية وإلا في مجال الاجتهاد في غير ذلك فهو

مفتوح، لكن نتكلم عن ما كان دينًا في وقت هؤلاء ولو كان خيرًا فلا يمكن أن نُفضَّل نحن عليهم دونهم.

فهذا الكلام عظيم جدًا من الإمام الأوزاعي – رحمة الله عليه – قال: : لَوْ كَانَ هَذَا خَيْرًا مَا خُصَصْتُمْ بِهِ دُونَ أَسْلَافِكُمْ، فَإِنَّهُ لَمْ يُدَّخَرْ عَنْهُمْ خَيْرٌ خُبِّئَ لَكُمْ دُونَهُمْ لِفَضْلٍ عِنْدَكُمْ، وَهُمْ أَصْحَابُ نَبِيِّنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَالَّذِينَ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَبَعْثَهُ فِيهِمْ، وَوَصَفَهُ بِهِمْ فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا } [الفتح: ٢٩] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ. هو يقول: الَّذِي سَأَلَكَ عَنْ إِيمَانِكَ، لَيْسَ يَشُكُّ فِي ذَلِكَ مِنْكَ، وَلَكِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُنَازِعَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عِلْمَهُ فِي ذَلِكَ، أي هو لما بيقول لك أنت مؤمن فكأنه ينفي أنك تستثني ظنًا أن هذا شكًا، فكأنه بينازع الله عز وجل علمه في معرفة ما في قلبك، لأن هو لا يشك، هو لا يسألك شكًا، لكن هو يريد أن يقرر أمرًا هو ليس له أصلًا أن يقرره، هو يريد أن يقول لك: "قل أنا مؤمن"، ومعنى أنك تقول أنا مؤمن فقد حققت الإيمان المطلق، فمن أين علمت؟ فكأنه ينازع الله، وهو سبحانه الذي يعلم حقًا من الذي أتى بالإيمان الكامل، فهذا هو معنى ما يقصده الآن؛ أنه يزعم أن علمه وعلم الله في ذلك سواء. فهو يبين لك بأنه ما يريد منك الاستثناء ولا الشك، لا، هو يريد أن يثبت أمرًا ليس له أصالة، انظر فيها كلام مهم جدًا كأنه هذا المرجئ ينازع الله عز وجل في علم اختص الله به نفسه وهو معرفة ما في القلب وتحقيق الإيمان، لذلك النبي ﷺ لما جاءه سعد رضي الله عنه ويقول اعط فلان فإني أراه مؤمنًا، قال هو مسلم، ثم يقولها ثلاثة إني أراه مؤمنًا فيقول هو مسلم، إذًا لم يقبل حتى النبي ﷺ من سيدنا سعد أن يثبت الإيمان للرجل، فرجعه للإسلام لأن هذه ليست لنا، وأنت تأتي الآن كمرجئ تريد أن تثبت الإيمان بدون استثناء، وليس شكًا. فالإمام الاوزاعي نظر نظرة بعيدة جدًا لأنه عالِم؛ أن المسألة ليست شكًا عنده، لا، لذلك أنا قلت لك أن أصل الباب هو تأصيل من المرجئة بهذا الكلام ليُثَبِّتوا التصديق في الإيمان وليخرجوا الأعمال، هو الذي يريده في كل هذا أنه يخرج الأعمال من الإيمان، فيدعوك لهذه المسألة حتى يُثبِّت لك مثلما يحدث في الإعلام عندما يريد أن يوجهك لشيء فيأتي كل يوم يعطيك نفس الرسالة حتى تقتنع بشيء معين، هو الآن يريد أن يؤصل تعريفًا عنده فيريد أن يلقي عليك شبهات في المسائل حتى يؤصل لك ذلك.

نقف عند هذا.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب اليك.

المحاضرة الثامنة والثلاثون

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام على موعد مع شرح كتاب الشريعة للإمام الآجري -عليه رحمة الله تعالى – واليوم إن شاء الله ننتهي من الكلام في باب المرجئة، وندخل في باب القدرية، وقد أفرد لنا المؤلف – عليه رحمة الله تعالى – الكلام في الإيمان وفصول الإيمان، وتكلم عن الإرجاء وبدعتهم في تعريفهم للإيمان، ويختم اليوم إن شاء الله هذا الجزء بباب في المرجئة وسوء مذاهبهم عند العلماء.

سندخل الآن على بَابٌ فِي الْمُرْجِئَةِ، وَسُوءِ مَذَاهِبِهِمْ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ

الكتاب هذا من أمتع الكتب صدقوني والله من أفضل الكتب وأمتع الكتب في كتب السلف في العقيدة؛ كتاب الشريعة للآجري، فمن فاته هذا الكتاب فاته خير كثير، ومن ركز في هذا الكتاب وقرأه وسمعه كثيرًا سيضبط له أصول مهمة جدًا ضلت فيها فرق وضل فيها أفكار ناس إلى الآن، وهو لأن الشيخ استعرض من بداية الكتاب أصول كلها وثوابت عند أهل السنة

والجماعة فمن أتقنها وضبطها فسيكون معه أصل مهم جدًا جدًا، فهو من أهم الكتب حقيقة التي فيها التأصيل، ممكن ألا يكون فيه مواضيع فرعية كثيرة لكن سيأتي مواضيع فرعية لكن فيه تأصيل في كل باب من الأبواب، انظروا.. الإيمان كله أخذه وبين فيه، قبلها تكلم عن الخوارج، تكلم عن القرآن، وتكلم عن السنة، تكلم عن البدعة، كلها أصول في العقيدة مهمة جدًا، والكتاب ميزته أنه يبني على الآثار كلها، فهذه من كتب السلف الذي تجده تعليق وشرح على آثار هو بيذكرها، فبالتالي معك الدليل وليس مجرد كتاب مكتوب مؤلف بيكتبه، لا، من قيمة هذا الكتاب أنه مبني على الآثار والأحاديث أصالة، فمعك الأدلة مع التعليقات، وبينقل لك إجماعات أحيانًا أيضًا كما بيَّن في مسألة ترك الصلاة وغير ذلك عند الصحابة إلى غير ذلك، فقول الكتاب هذا اهتموا به جدًا، صدقًا من أهم الكتب التي لابد أن يُهتم بها.

29- بَابٌ فِي الْمُرْجِئَةِ، وَسُوءِ مَذْاهَبِهِمْ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ

295 - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: "مَا ابْتُدِعَتْ فِي الْإِسْلَامِ بِدْعَةٌ أَضَرُّ عَلَى الْمِلَّةِ مِنْ هَذِهِ يَعْنِي: أَهْلَ الْإِرْجَاءِ"

296 - حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ أَبِي حَسَّانَ الْأَنْمَاطِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ الدِّمَشْقِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا شِهَابُ بْنُ خِرَاشٍ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ الثُّمَالِيِّ الْأَعْوَرِ قَالَ: قُلْتُ لِإِبْرَاهِيمَ: مَا تَرَى فِي رَأْيِ الْمُرْجِئَةِ؟ فَقَالَ: «أَوَّهْ، لَفَّقُوا قَوْلًا، فَأَنَا أَخَافُهُمْ عَلَى الْأُمَّةِ، وَالشَّرُّ مِنْ أَمْرِهِمْ كَثِيرٌ، فَإِيَّاكَ وَإِيَّاهُمْ»

297 - حَدَّثَنَا أَبُو نَصْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ كُرْدِيٍّ قَالَ ثنا أَبُو بَكْرٍ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ يَعْنِي أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ حَكِيمِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ إِبْرَاهِيمُ: «الْمُرْجِئَةُ أَخْوَفُ عِنْدِي عَلَى الْإِسْلَامِ مِنْ عِدَّتِهِمْ مِنَ الْأَزَارِقَةِ»

298 - حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ قَالَ: حَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ مُوسَى الْقَطَّانُ قَالَ: حَدَّثَنَا الضَّحَّاكُ بْنُ مَخْلَدٍ، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي عَمْرٍو السَّيْبَانِيِّ قَالَ: قَالَ حُذَيْفَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: "إِنِّي لَأَعْرِفُ أَهْلَ دِينَيْنِ، أَهْلُ ذَلِكَ الدِّينَيْنِ فِي النَّارِ، قَوْمٌ يَقُولُونَ الْإِيمَانُ: كَلَامٌ وَإِنْ زَنَى وَقَتَلَ، وَقَوْمٌ يَقُولُونَ: إِنْ أُولِينَا الضُّلَّالَ مَا بَالُ خَمْسِ صَلَوَاتٍ، وَإِنَّمَا هُمَا صَلَاتَانِ: {أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ} [الإسراء: ٧٨]"

299- وَحَدَّثَنَا أَبُو نَصْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرٍو، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي عَمْرٍو السَّيْبَانِيِّ، عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: "إِنِّي لَأَعْلَمُ أَهْلَ دِينَيْنِ هَذَيْنِ الدِّينَيْنِ فِي النَّارِ، قَوْمٌ يَقُولُونَ: الْإِيمَانُ كَلَامٌ، وَقَوْمٌ يَقُولُونَ: مَا بَالُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ؟ وَإِنَّمَا هُمَا صَلَاتَانِ"

قال **بَابٌ فِي الْمُرْجِئَةِ، وَسُوءِ مَذْاهَبِهِمْ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ** ، هو يبين لك في التبويب أولًا سوء مذاهب المرجئة، وقلنا أن المرجئة على تقسيم أربع مذاهب، أو أربع شرائح، أو أربع أقسام؛ أقربهم مرجئة الفقهاء، النزاع كان بيننا وبينهم في الأعمال، وأما من تفاوتت البدعة والضلالة عندهم ممن قال بالقول فقط، وممن قال قبله بالمعرفة أقصد، ولما أقول القول مع المرجئة فيكون قول القلب ليس قول اللسان، حتى تعلموا أحيانًا بعض المرجئة يقولون القول فيقصد به قول القلب أي التصديق، فليس قول اللسان كما قالت الكرامية، فهم يقصدون قول القلب أي التصديق، ويقصدون أيضًا المعرفة، ومنهم من قال كما قلنا مرجئة الفقهاء.

قال الزهري "**ما ابتدعت في الإسلام بدعة أضر على الملة من هذه" أي أهل الإرجاء،** والزهري إمام المؤمنين في الحديث، والزهري أول من دوَّن السنة في عهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، فيقول ضرر بدعة وحقًا هذا الكلام تجده عند علماء السلف يرون بأن بدعة المرجئة أضر على الأمة من بدعة الخوارج، أي أن الشر الذي جاء من بدعة الإرجاء أشر من مما جاء للأمة من بدعة الخوارج، مع أن الخوارج قتلوا أو سفكوا دماء، لكن انظر إلى الزهري يقول "ما ابتدعت في الإسلام بدعة أضر على الأمة من هذه البدعة وهي أهل الإرجاء" **لماذا أهل الإرجاء أضل بدعة؟** أحد ممكن يتصور لماذا قال العلماء بأن بدعة أهل الإرجاء أضل بدعة؟

مشاركة من أحد الطلبة: "لأنها تضييع الدين وعاقبتها في الآخرة أشد وتهاون في الدين، أما الخوارج فهم يعظمون أمور الدين وإن كانت فتنتهم في الدنيا أشد في القتل والسفك".

الخوارج مهما كان عظموا الدين، لكن انظر هنا البدعة، هو لا شك أنك لما تنظر إلى الكتاب تجد الكتاب كله الإيمان والعمل الصالح، الإيمان والعمل الصالح، الإيمان والعمل الصالح، ما تجد آية في آيات القرآن إلا قرن الله عز وجل فيها الإيمان مع العمل الصالح، وهؤلاء جاؤوا فهدموا الدين، لما تقول الآن للمرء أنك لا تُكثر في العبادة، لا تصلي، لا تصوم، لا تتصدق، وإن فعلت ذلك فهذا ليس له علاقة بالإيمان، فأي شيء يبقى للمرء بعد ذلك! إن قلت له الآن

وتأتي إلى الناس فتقول له إيمانك شيء وأعمالك شيء آخر، فإن لم تفعل شيء فأنت مؤمن! فهذا هدم لأصل الدين الذي جاء به، والله عز وجل قال:{ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ} [النحل:97]، فيأتي العمل مع الإيمان هو الذي سيدخلك الجنة، وأنت تقول له ستدخل الجنة بدون عمل! فكان هدمًا للدين، هدمًا لمقصود الشرع؛ أن الله عز وجل لما خلق الجن والإنس خلقهم للعبادة، للعمل، فأن تقول له ذلك فأنت تهدم هذا الأصل، لذلك فتنتهم هي أشد وأضر على الأمة من باقي الطوائف، حتى وإن كان الخوارج سفكوا دماء لكنهم جاءت لهم الضلالة من أمر معين، لكنهم عظموا الدين وقالوا بالأمر والنهي، بل رأوا بأن الذي يرتكب الكبيرة من شده مخالفته لله كفَّروه، وإن كان هذا ضلال، لكنه تعظيم للأمر والنهي، وهؤلاء لم يعظموا لا أمرًا ولا نهيًا أصالة، فكانت الفتنة فيها أشد. والناس بالطبع تميل إلى عدم عمل، فأنت تأتي للناس وتميل أصلًا استجابة للشيطان وعدم العمل فأنت تأتي على هوى الناس وعلى هوى الشيطان، لذلك كانت هي أشد فتنة كما قال العلماء.

في الحديث: لما قال النبي ﷺ (لا تخبرهم) عن أبو بكر وعمر رضي الله عنهما- أنهما من أهل الجنة، لكن هو طبعًا يوجد توجيهين للمسألة هذه؛ فهناك حديث للعوام بقول (لا يتكلوا)، وهناك حديث لما قال النبي ﷺ لأبي موسى عندما طرق الباب أبو بكر ثم عمر قال (بشرهما بالجنة)، قال (أخبرهم؟) فقال (لا)، هنا الشراح قالوا خافوا أن يعلموا بأنهم من أهل الجنة فيشتدوا في العبادة على أنفسهم شكرًا لله عز وجل، رحمة بهم لأنه يعلم من همتهم، كما أن النبي ﷺ لما كان يقف يصلي طول الليل والسيدة عائشة تقول له غفر لك ما تقدم من ذنبك قال [أفلا أكونُ عبدًا شكورًا؟] فهو يعلم من حال أبو بكر وعمر إذا أُخبروا بذلك سيسارعوا إلى مرضاة الله فيشتدوا. فأهل العلم قالوا لماذا لا يخبرونهم؟ مع أنه هناك قال في حديث آخر عن العوام (لا يتكلوا)، فهناك على العوام ممكن يتكلوا ويميلوا إلى ذلك.

قال: مَا تَرَى فِي رَأْيِ الْمُرْجِئَةِ؟ فَقَالَ: «أَوَّهُ، لَفَّقُوا قَوْلًا، فَأَنَا أَخَافُهُمْ عَلَى الْأُمَّةِ، وَالشَّرُّ مِنْ أَمْرِهِمْ كَثِيرٌ، فَإِيَّاكَ وَإِيَّاهُمْ» هذا طبعًا واضح كما قال أيضًا إِبْرَاهِيمُ: «الْمُرْجِئَةُ أَخْوَفُ عِنْدِي عَلَى الْإِسْلَامِ مِنْ عِدَّتِهِمْ مِنَ الْأَزَارِقَةِ» طبعًا الأزارقة طائفة من طوائف الخوارج، فهو يقول أنهم أخوف على الإسلام من الخوارج. ثم قال: إِنِّي لَأَعْرِفُ أَهْلَ دِينَيْنِ، أَهْلُ ذَلِكَ الدِّينَيْنِ فِي النَّارِ قَوْمٌ يَقُولُونَ الْإِيمَانُ: كَلَامٌ .. وانتبه.. أخذ المعنى الثاني من حديث النبي ﷺ حديث أبي ذر قال [وإنْ زَنَى وإنْ سَرَقَ؟] فقال: الْإِيمَانُ: كَلَامٌ وَإِنْ زَنَى وَقَتَلَ، أي هم جعلوا الإيمان كلام، إما قول القلب أو على القول الآخر الكرامية الذين قالوا بقول اللسان فقط، فقال:

الْإِيمَانُ: كَلَامٌ وَإِنْ زَنَى وَقَتَلَ، فأخذوا المعنى الثاني البعيد الذي هو ليس من الحديث لما النبي ﷺ بين بأنهم من أهل القبلة لكنهم ليسوا كفار، ليبين – على الخوارج – بأن الزنا والقتل ليس مخرج من الملة، قال وَإِنْ زَنَى وَقَتَلَ . هم هنا أخذوا بأن الإيمان كلام فقط أي تصديق فقط، وَإِنْ زَنَى وَقَتَلَ فهذا لا ينقص من الإيمان! وهذا خطأ، لأن ابن عباس رضي الله عنهما بيَّن في تعريف الإيمان بأن الإيمان يرتفع فوق المرء كالظلة لما يفعل الكبيرة فيرتفع عنه الإيمان فيظل معه أصل الإيمان وهو الإسلام، ثم يعود إليه بعد التوبة والمغفرة، وهم أخذوا بأنه كأن الإيمان لا ينقص فيه شيئًا، على أصولهم طبعًا.

وَقَوْمٌ يَقُولُونَ: إِنْ أُولِينَا الضُّلَّالَ مَا بَالُ خَمْسِ صَلَوَاتٍ يتأولون قول الله عز وجل: {أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ} [الإسراء: 78] فجعلوا بأن الصلاة صلاتان فقط؛ صلاة الشمس إلى غسق الليل، حتى أنا ما أذكر اسم هذه الطائفة لكن قال: إِنْ أُولِينَا الضُّلَّالَ مَا بَالُ خَمْسِ صَلَوَاتٍ، وَإِنَّمَا هُمَا صَلَاتَانِ ، أي ينكرون على السلف أو على السنة على أنهم خمس صلوات.

300 – وَحَدَّثَنَا أَبُو نَصْرٍ قَالَ: ثنا أَبُو بَكْرٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنِي حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: "مَثَلُ الْمُرْجِئَةِ مَثَلُ الصَّابِئِينَ

301– وَحَدَّثَنَا أَبُو نَصْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: حَدَّثَنَا مُؤَمَّلٌ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَيُّوبُ قَالَ: قَالَ لِي سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: أَلَمْ أَرَكَ مَعَ طَلْقٍ قُلْتُ: بَلَى، فَمَالُهُ؟ قَالَ: لَا تُجَالِسْهُ فَإِنَّهُ مُرْجِئٌ. قَالَ أَيُّوبُ: وَمَا شَاوَرْتُهُ فِي ذَلِكَ، وَيَحِقُّ لِلْمُسْلِمِ إِذَا رَأَى مِنْ أَخِيهِ مَا يَكْرَهُ أَنْ يَأْمُرَهُ وَيَنْهَاهُ"

هنا الأول قال مَثَلُ الْمُرْجِئَةِ مَثَلُ الصَّابِئِينَ يبين شدة الإنكار من أهل العلم على المرجئة، إنكار شدة الذم فيهم، فهم صبئوا عن قول أهل السنة والجماعة في الإيمان، فمنهم طبعًا يخرج ومنهم ما لا يخرج، أي أن الذي يقول أن الإيمان معرفة فقط كالجهمية فهذا ليس بإيمان ولا بإسلام، أي لم يشترط الشهادتين ولا تصديق القلب، قال أن تعرف، طيب إبليس كان يعرف، بل إبليس كان عنده توحيد ربوبية لكنه عصى واستكبر، لم يطع في توحيد الألوهية، فهذا ليس بإسلام.

ثم هنا قال حَدَّثَنَا أَيُّوبُ قَالَ: قَالَ لِي سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ هنا أيوب السختياني وقال: قال لي سعيد بن جبير، وطبعًا سعيد بن جبير معلوم من أعلم التابعين الذي قتله الحجاج – عليه من الله ما يستحق – قال: أَلَمْ أَرَكَ مَعَ طَلْقٍ قُلْتُ: بَلَى. فَمَالُهُ؟ و"طلق" هذا كان من العباد الزهاد أيضًا من أهل العلم له روايات في الحديث، قَالَ: لَا تُجَالِسْهُ فَإِنَّهُ مُرْجِئٌ ، رآه مع أحد من الذين يقولون بالإرجاء فقال له أيوب: وَمَا شَاوَرْتُهُ فِي ذَلِكَ، من الذي لم يشاور من؟ باقي الكلام: وَيَحِقُّ لِلْمُسْلِمِ إِذَا رَأَى مِنْ أَخِيهِ مَا يَكْرَهُ أَنْ يَأْمُرَهُ وَيَنْهَاهُ، سعيد بن جبير ينهاه عن الجلوس مع طلق لأنه يقول بالإرجاء. أولًا انظر.. لو قلنا شيخ له، قرين له، صاحب له لأن هو ماذا قال؟ وَيَحِقُّ لِلْمُسْلِمِ إِذَا رَأَى مِنْ أَخِيهِ مَا يَكْرَهُ أَنْ يَأْمُرَهُ وَيَنْهَاهُ، لذلك قال: : وَمَا شَاوَرْتُهُ فِي ذَلِكَ . فلم يقل له: وما الذي يقوله طلق؟! لا، قال: وَمَا شَاوَرْتُهُ فِي ذَلِكَ أي أخذ كلامه لأن هو رجل ثقة يحبه، ويعلم دينه. وأنا حقيقة لست متتبع هل هو شيخ له أم لا، لكنه قال: وَيَحِقُّ لِلْمُسْلِمِ كأنه من باب الأقران، لكن هنا ما قصدته من قول بأن أيوب قال: وَمَا شَاوَرْتُهُ فِي ذَلِكَ على أنه ما دامت جاءتك النصيحة ممن تثق فيه وتعلم علمه وقدره فهنا تعمل بها وتأخذها، لا أن تجادل فتقول له من أدراك بأنه مرجئ أو كذا أو كذا! قال: وَمَا شَاوَرْتُهُ فِي ذَلِكَ هذا دلالة على أنك إن جاءتك النصيحة ممن تعلم علمه أو قدره أو فضله أو صلاحه وينصحك في شيء ويخبرك عن أحد فعليك أن تسمع، لذلك قال: وَيَحِقُّ لِلْمُسْلِمِ إِذَا رَأَى مِنْ أَخِيهِ مَا يَكْرَهُ أَنْ يَأْمُرَهُ وَيَنْهَاهُ وهذا من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. طبعًا هي فيها درجات وفيها طبقات لكن نقول أنك إذا رأيت أخيك مثلًا يجلس مع أحد عنده إشكال في العقيدة فلا تتركه، بل تبين له وتخبره، وهذه مسألة مهمة جدًا؛ التناصح، خاصة في أمر العقيدة، لما رآه فقط يسير مع من عنده إرجاء أو يقول برأي المرجئة ما تركه، لابد أن ينبهه.

وهذه مسألة لابد أيضًا أن يتعهد الإخوة مع بعضهم، والأخوات، نصيحة لله عز وجل حفاظًا على عقيدة المسلمين والمسلمات في ذلك.

قَالَ: وَحَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ قَالَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ: وَذَكَرَ الْمُرْجِئَةَ فَقَالَ: «رَأْيٌ مُحْدَثٌ، أَدْرَكْنَا النَّاسَ عَلَى غَيْرِهِ»

قَالَ: وَحَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ يَعْنِي الْفَزَارِيَّ قَالَ: قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: قَدْ كَانَ يَحْيَى وَقَتَادَةُ يَقُولَانِ: «لَيْسَ مِنْ هَؤُلَاءِ شَيْءٌ أَخْوَفُ عِنْدَهُمْ عَلَى الْأُمَّةِ مِنَ الْإِرْجَاءِ»

قَالَ: وَحَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ، عَنْ جَعْفَرٍ الْأَحْمَرِ قَالَ: قَالَ مَنْصُورُ بْنُ الْمُعْتَمِرِ فِي شَيْءٍ: «لَا أَقُولُ كَمَا قَالَتِ الْمُرْجِئَةُ الضَّالَّةُ الْمُبْتَدِعَةُ»

انظر هذه الأوصاف كلها: "أَخَوَفُ عِنْدَهُمْ عَلَى الْأُمَّةِ مِنَ الْإِرْجَاءِ"، "قَالَتِ الْمُرْجِئَةُ الضَّالَّةُ الْمُبْتَدِعَةُ". والحق أن رأي الإرجاء موجود ومنتشر، فالقول بينتشر أحيانًا بدون أن ترى ظاهر له، أي أن سياق الكلام يبين لك عندما يأتيك مثلًا يتكلم على أن الفاجر كالمتقي – كما سيأتي الآن في بعض الآثار – فهو عندما يُصدِّر لك أن الفاسق كالمؤمن، الفجار كالمسلمين، وأنه لا فرق وأنه حتى لو فعل ذلك فأنت لا تدري أيهما أفضل عند الله عز وجل، وتجد كلام يريد يساوي مثلًا بين المتبرجة ظاهرًا والمحجبة ويقول لا تدري من أقرب إلى ربنا! فهو ماذا يريد أن يقول؟ أن العمل هذا غير مؤثر في الإيمان، الإيمان ليس له علاقة بالظاهر، وهذا قد لا تراه، ممكن أحد لا ينضبط، هو نوع من الإرجاء، نعم نحن لا نحكم على الناس، ليس لنا الحكم، لكن لنا الظاهر، فكيف أنت في الظاهر يريد أن يخرج هذا الظاهر ويرده إلى الباطن الذي لا يعلمه أحد ويقول لك إذًا هذا معناه أن الملتزم كغير الملتزم، والعياذ بالله الذي يرتكب الفاحشة كالذي يصلي {أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ* مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ} [القلم:35-36]، فهو فيه نوع من تصدير الإرجاء للناس على أنك تظن بأن المسألة كلها قلبية وانتهت، وأنت لا تعلم، ممكن تجد الرجل على الصلاح وأنت تريد أن تشكك فيما يفعله، وعلى الناحية الثانية الرجل على الفسق وأنت تقول لعله عند الله مقبول. نحن ليس لنا علاقة القبول عند ربنا هذا ليس لنا، لكن نحن لابد أن نقول بأن الطائع طائع، والعاصي عاصي، والفاسق فاسق، والمسلم مسلم، وهذا لن يكون إلا بالعمل، لا، فالباطن ينضح على الظاهر، والظاهر يستلزم من الباطن، فأنت لا تأتي وتصدر للناس على أنه لا فرق بين هذا وهذا! إذًا أنت حصرت المسألة في القلب ورجعنا إلى قول الإرجاء بدون أن تقول بأن هذا اسمه إرجاء، فهو ليس بالضروري أن يأتيك القول فِرَق كما بندرسها الآن، لكن ممكن يأتيك في السياق وفي الكلام وأنت لا تشعر، لكن متى تشعر؟ لما تكون درست فتستطيع أن تستخلص فتنقد هذا الكلام وحتى لو لم تقل له التأصيل هذا لكن ستنقده لأنك عندك تأصيل فتستطيع أن ترد عليه. وهذا تطبيق لأن أمور العقيدة قد تكون كتب لكن هو في الواقع لو فتشت وقرأت ونظرت ستجد بأن ما كان يُحذَّر منه في الكتب هو موجود في واقعنا أصالة.

قَالَ: وَحَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ قَالَ: سَمِعْتُ شَرِيكًا: "وَذَكَرَ الْمُرْجِئَةَ، قَالَ: هُمْ أَخْبَثُ قَوْمٍ وَحَسْبُكَ بِالرَّافِضَةِ خُبْثًا وَلَكِنِ الْمُرْجِئَةَ يَكْذِبُونَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

من أين كذب المرجئة؟ طبعًا هو أكثر الناس كذبًا الرافضة معلوم ذلك، لكنه هو يقول المرجئة كذبوا على الله، كيف كذبوا على الله؟ في أنهم أخرجوا الأعمال من الإيمان، كذبوا على الله بأن كل الآيات التي جاءت في القرآن {وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ} أزالوا العمل وجعلوا الإيمان تصديق في القلب! هذا كذب على الله عز وجل.

302 - حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّنْدَلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ زِيَادٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ: وَسُئِلَ عَنِ الْمُرْجِئِ فَقَالَ: "مَنْ قَالَ: إِنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ"

303- حَدَّثَنَا جَعْفَرٌ قَالَ: حَدَّثَنَا الْفَضْلُ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ نُبَيْطٍ، عَنِ الضَّحَّاكِ بْنِ مُزَاحِمٍ قَالَ: ذَكَرُوا عِنْدَهُ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ فَقَالَ: "هَذَا قَبْلَ أَنْ تُحَدَّ الْحُدُودُ، وَتَنْزِلَ الْفَرَائِضُ

304 - أَخْبَرَنَا خَلَفُ بْنُ عَمْرٍو الْعُكْبَرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ وَكِيعًا يَقُولُ: "أَهْلُ السُّنَّةِ يَقُولُونَ: الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، وَالْمُرْجِئَةُ يَقُولُونَ: الْإِيمَانُ قَوْلٌ، وَالْجَهْمِيَّةُ يَقُولُونَ: الْإِيمَانُ الْمَعْرِفَةُ"

قال الأول عن المرجئة الفضل بن زياد قال: "مَنْ قَالَ: إِنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ" لذلك لابد تضبطها؛ هنا "الإيمان قول" هو يقصد به قول القلب ليس قول اللسان، وقول القلب هو التصديق، ونعم نحن عندنا في الكرامية من قالوا القول، لكن ليس المقصود هنا هذا القول بقول اللسان لكن المقصود هنا هو قول القلب الذي هو التصديق فقط .

والثانية قَالَ: ذَكَرُوا عِنْدَهُ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ فَقَالَ: "هَذَا قَبْلَ أَنْ تُحَدَّ الْحُدُودُ، وَتَنْزِلَ الْفَرَائِضُ وهذه بيناها من قبل في أول باب الإيمان؛ على أنه "من قال لا إله إلا الله دخل الجنة" مطلقة، وجاءت أيضًا فيها "من قال لا إله إلا الله مخلصًا"، "من قال غير شاك" مقيدة، ثم قالوا أن هذه كانت الشهادتين لدخول الإسلام ولا بد بعد ذلك من الالتزام بأركان الإسلام أو الفرائض أو الحدود، فحتى يدخل الجنة لابد أن يؤدي ما أمر الله عز وجل به؛ أي الأعمال.

ثم ذكر في الثالث في الخبر الأخير قال: سَمِعْتُ وَكِيعًا، وهو وكيع بن الجراح ولقب بـ "التنين" وكان مفخرة للمصريين، وقال: " أَهْلُ السُّنَّةِ يَقُولُونَ: الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، وَالْمُرْجِئَةُ يَقُولُونَ: الْإِيمَانُ قَوْلٌ، وَالْجَهْمِيَّةُ يَقُولُونَ: الْإِيمَانُ الْمَعْرِفَةُ ". لخص لك الآن، قول الجهمية الإيمان المعرفة؛ معرفة القلب، وهذا أكفر الأقوال لأنه لم يشترط أصلًا الدخول في الشهادتين، قال المعرفة فقط. ثم المرجئة يقولون الإيمان قول، ثم قول أهل السنة والجماعة قالوا قول وعمل.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: مَنْ قَالَ: الْإِيمَانُ قَوْلٌ دُونَ الْعَمَلِ، يُقَالُ لَهُ: رَدَدْتَ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ، وَمَا عَلَيْهِ جَمِيعُ الْعُلَمَاءِ، وَخَرَجْتَ مِنْ قَوْلِ الْمُسْلِمِينَ، وَكَفَرْتَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ فَإِنْ قَالَ: بِمَاذَا؟ قِيلَ لَهُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ أَنْ صَدَقُوا فِي إِيمَانِهِمْ: أَمَرَهُمْ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ وَالْجِهَادِ، وَفَرَائِضَ كَثِيرَةٍ، يَطُولُ ذِكْرُهَا، مَعَ شِدَّةِ خَوْفِهِمْ , عَلَى التَّفْرِيطِ فِيهَا , النَّارَ وَالْعُقُوبَةَ الشَّدِيدَةَ، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مَا ذَكَرْنَا، وَلَمْ يُرِدْ مِنْهُمُ الْعَمَلَ، وَرَضِيَ مِنْهُمْ بِالْقَوْلِ، فَقَدْ خَالَفَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا تَكَامَلَ أَمْرُ الْإِسْلَامِ بِالْأَعْمَالِ قَالَ: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: ٣] وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ» ، وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ فَقَدْ كَفَرَ»

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: وَمَنْ قَالَ: الْإِيمَانُ: الْمَعْرِفَةُ، دُونَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، فَقَدْ أَتَى بِأَعْظَمِ مِنْ مَقَالَةِ مَنْ قَالَ: الْإِيمَانُ: قَوْلٌ وَلَزِمَهُ أَنْ يَكُونَ إبليس عَلَى قَوْلِهِ مُؤْمِنًا؛ لِأَنَّ إبليس قَدْ عَرَفَ رَبَّهُ: قَالَ {رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي} [الحجر: ٣٩] وَقَالَ: {رَبِّ فَأَنْظِرْنِي} [الحجر: ٣٦] وَيَلْزَمُ أَنْ تَكُونَ الْيَهُودُ لِمَعْرِفَتِهِمْ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ أَنْ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ} [البقرة: ١٤٦] فَقَدْ أَخْبَرَ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ اللَّهَ تَعَالَى وَرَسُولَهُ، وَيُقَالُ لَهُمْ: إِيشِ الْفَرْقُ بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ؟ وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ أَهْلَ الْكُفْرِ قَدْ عَرَفُوا بِعُقُولِهِمْ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا وَلَا يُنَجِّيهِمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِذَا أَصَابَتْهُمُ الشَّدَائِدُ لَا يَدْعُونَ إِلَّا اللَّهَ، فَعَلَى قَوْلِهِمْ إِنَّ الْإِيمَانَ الْمَعْرِفَةُ كُلُّ هَؤُلَاءِ مِثْلُ مَنْ قَالَ: الْإِيمَانُ: الْمَعْرِفَةُ عَلَى قَائِلِ هَذِهِ الْمَقَالَةِ الْوَحْشِيَّةِ لَعْنَةُ اللَّهِ بَلْ نَقُولُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ

قَوْلًا يُوَافِقُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَعُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ لَا يُسْتَوْحَشُ مِنْ ذِكْرِهِمْ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا لَهُمْ: إِنَّ الْإِيمَانَ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ تَصْدِيقًا يَقِينًا، وَقَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ، وَلَا يَكُونُ مُؤْمِنًا إِلَّا بِهَذِهِ الثَّلَاثَةِ، لَا يُجْزِئُ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ

هنا الشيخ – رحمة الله عليه – الإمام الآجري حقيقة مؤصل تأصيلًا عظيمًا جدًا في الرد عليهم، كلام بديع يحتاج إلى حفظ، لابد يُحفَظ هكذا ويُرتَّب هذا الترتيب في الاستدلال عليهم.

ذكر لنا أولًا الخلاف مع هؤلاء الذين قالوا القول دون العمل، والذين قالوا بالمعرفة فقط. بدأ يرد على الذين قالوا القول دون العمل وبين أن من قال ذلك فقد خالف ما جاء في الكتاب والسنة، ثم ذكر الآية وهي قول الله عز وجل: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: 3] الاستشهاد هنا كيف يكون؟ قبلها قال فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا تَكَامَلَ أَمْرُ الْإِسْلَامِ بِالْأَعْمَالِ الآية تقول: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} فإذا كنتم أنتم تقولون الإيمان تصديق، إذًا الإيمان كان كاملًا، فكيف يقول الله عز وجل في نهاية نزول الوحي: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ}؟ إذًا الدين اكتمل بنزول الأعمال وبنزول الأوامر والنواهي، هذا الذي حدث به اكتمال الدين، فهو لم يحدث اكتمال الدين قبل ذلك، أما على قولكم الآن بإخراج الأعمال فالدين كان كامل عندكم لأن هو تصديق فقط، فهذا ينافي ما قاله الله عز وجل.

انظر هو كيف أتى بالآية واستدل بها عليهم؛ على أنكم الآن تقولوا بأن الإيمان قول فقط عندكم، وكيف هذا والله يقول {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا}؟ وأيضًا قال النبي ﷺ: [بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ] والبناء على أعمال، فالإسلام بناء على أعمال، إذًا بدون هذا البناء لا يكون إسلامًا. وقال [مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ فَقَدْ كَفَرَ] وهذا طبعًا يتكلم على أن الفاصل بين الإيمان والكفر هو ترك الصلاة.

إذًا الشاهد من الآية الأولى وهي تبين لك لماذا استدل بها الإمام الآجري ليرد على المرجئة على أن الدين ما اكتمل إلا بنزول الأوامر والنواهي من عند الله عز وجل، فهذا دلالة على أن الأعمال هي المكملة لهذا الدين، وهو الذي بُني عليها الدين كما بُني الإسلام على خمس. هذا في الأول؛ رد على أصحاب الأعمال.

ثم رد بعد ذلك على الذين قالوا الإيمان معرفة، في الفقره الثانية قال: وَمَنْ قَالَ: الْإِيمَانُ: الْمَعْرِفَةُ، دُونَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، فَقَدْ أَتَى بِأَعْظَمِ مِنْ مَقَالَةِ مَنْ قَالَ: الْإِيمَانُ: قَوْلٌ أي المقالة هذه أعظم، لذلك أنا قلت "الإيمان معرفة" أن هذا كفر، هذا أصلًا لم يدخله في الإسلام أصالة. وَلَزِمَهُ أَنْ يَكُونَ إبليس عَلَى قَوْلِهِ مُؤْمِنًا لأن إبليس مُقِّر، قال: لِأَنَّ إبليس قَدْ عَرَفَ رَبَّهُ: قَالَ {رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي} [الحجر: 39]، طبعًا أنا للأسف سمعت – قديمًا ليس الآن– بعض الدعاة وهذا الإشكال لما يكون داعية وليس متقن في العلم فكان يتكلم عن إبليس قال "إبليس مؤمن"! واستدل قال: ألم يقل: {رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي} فهو الآن أقر بالربوبية. ولا يعلم أن المسألة ليست في الربوبية أصالة، وطبعًا هذا جهل – أسأل الله أن يغفر له وأن يرجعه للصواب – كأنه قال لازم قولهم الآن، لأنه جعل الإيمان فقط هو الاعتراف بالربوبية، قال لأن إبليس قال: {رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي} وقال: {رَبِّ فَأَنْظِرْنِي} [الحجر: 36].

قال: وَيَلْزَمُ أَنْ تَكُونَ الْيَهُودُ لِمَعْرَفَتِهِمْ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ أَنْ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ لأن اليهود عرفوا الله والنصارى عرفوا الله، لكن هل عرفوا النبي ﷺ أم لا؟ بل بعضهم قال أن اليهود كانوا يأتوا للنبي ﷺ ويقولون نعلم أنك رسول الله ﷺ لكن لا يؤمنون به استكبارًا وجحودًا، فهل هؤلاء مسلمين؟! إذًا المعرفة كانت تلزمهم بأن يدخلوا في الإسلام. وأكثرها أبو طالب، فقد علم بأن النبي ﷺ رسول وأقر له بذلك، لكن منعه الكِبر أن يترك دين آبائه ويدخل في الإسلام. قال: {يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ} [البقرة: 146] الله عز وجل أقر بأنهم يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبنائهم ويعرفون أنه على الحق، لكن هم كفار، فلو كانت المعرفة تكفي لكان كل هؤلاء مسلمين ولا يمكن أحد يقول بأن إبليس مسلم، فهذا كفر لوحده مستقل من قال بأن إبليس مسلم أو مؤمن أصالة.

وَيُقَالُ لَهُمْ: إِيشِ الْفَرْقُ بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ؟ وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ أَهْلَ الْكُفْرِ قَدْ عَرَفُوا بِعُقُولِهِمْ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا وَلَا يُنَجِّيهِمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبِرِّ وَالْبَحْرِ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، الآن لما تقول بأن الإيمان معرفة فقط، فكيف ستفرقون بين الإسلام والكفر؟! فأهل الكفر يعلمون بأن الله عز وجل خلق السماوات والأرض، بل لو كانوا في البحر { دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ } [العنكبوت: 65]. فهم يعرفون ذلك ومع ذلك هذه المعرفة لم تنجيهم من الكفر الذي قد وقعوا فيه. فَعَلَى قَوْلِهِمْ إِنَّ الْإِيمَانَ الْمَعْرِفَةُ كُلُّ هَؤُلَاءِ مِثْلُ مَنْ قَالَ: الْإِيمَانُ: الْمَعْرِفَةُ عَلَى قَائِلِ هَذِهِ الْمَقَالَةِ الْوَحْشِيَّةِ لَعْنَةُ اللَّهِ

فهو رَدَّ على الذين قالوا الإيمان قول – وهو التصديق– ورَدَّ على الذين قالوا الإيمان معرفة، ذلك ثم بين عقيدة أهل السنة والجماعة على أن الْإِيمَانَ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ تَصْدِيقًا يَقِينًا، وَقَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ، وَلَا يَكُونُ مُؤْمِنًا إِلَّا بِهَذِهِ الثَّلَاثَةِ، لَا يُجْزِئُ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ.

305 – حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ صَاعِدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا يُوسُفُ الْقَطَّانُ قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ لِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ: الْحَدِيثُ الَّذِي جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ» قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: أَيْنَ يَذْهَبُ بِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ «هَذَا قَبْلَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَقَبْلَ الْفَرَائِضِ» قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: احْذَرُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ قَوْلَ مَنْ يَقُولُ إِنَّ إِيمَانَهُ كَإِيمَانِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ، وَمَنْ يَقُولُ: أَنَا مُؤْمِنٌ عِنْدَ اللَّهِ، وَأَنَا مُؤْمِنٌ مُسْتَكْمِلُ الْإِيمَانِ هَذَا كُلُّهُ مَذْهَبُ أَهْلِ الْإِرْجَاءِ

306 – حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ أَبِي حَسَّانَ الْأَنْمَاطِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ الدِّمَشْقِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ قَالَ: "ثَلَاثٌ هُنَّ بِدْعَةٌ: أَنَا مُؤْمِنٌ مُسْتَكْمِلُ الْإِيمَانِ، وَأَنَا مُؤْمِنٌ حَقًّا، وَأَنَا مُؤْمِنٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى"

307 – حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ مُوسَى الْقَطَّانُ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سُلَيْمٍ الطَّائِفِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا نَافِعُ بْنُ عُمَرَ الْقُرَشِيُّ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ فَقَالَ لَهُ جَلِيسٌ لَهُ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، إِنَّ نَاسًا يُجَالِسُونَكَ يَزْعُمُونَ أَنَّ إِيمَانَهُمْ كَإِيمَانِ جِبْرِيلَ، وَمِيكَائِيلَ؟ فَغَضِبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ فَقَالَ: مَا رَضِيَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِجِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى فَضَّلَهُ بِالثَّنَاءِ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ، مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ} [التكوير: ٢٠] يَعْنِي مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: أَفَأَجْعَلُ إِيمَانَ جِبْرِيلَ، وَمِيكَائِيلَ كَإِيمَانِ فَهْدَانَ؟ لَا وَلَا كَرَامَةَ وَلَا حُبًّا قَالَ نَافِعٌ: قَدْ رَأَيْتُ فَهْدَانَ كَانَ رَجُلًا لَا يَصْحُو مِنَ الشَّرَابِ

يوجد إشكال في كلام عبد الله بن مُليكة في تفضيل جبريل على النبي ﷺ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: مَنْ قَالَ هَذَا فَلَقَدْ أَعْظَمَ الْفِرْيَةَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَتَى بِضِدِّ الْحَقِّ، وَبِمَا يُنْكِرُهُ جَمِيعُ الْعُلَمَاءِ؛ لِأَنَّ قَائِلَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ يَزْعُمُ أَنَّ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ: لَمْ تَضُرَّهُ الْكَبَائِرُ أَنْ يَعْمَلَهَا، وَلَا الْفَوَاحِشُ أَنْ يَرْتَكِبَهَا، وَأَنَّ عِنْدَهُ أَنَّ الْبَارَّ التَّقِيَّ الَّذِي لَا يُبَاشِرُ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، وَالْفَاجِرَ يَكُونَانِ سَوَاءً، هَذَا مُنْكَرٌ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} [الجاثية: ٢١] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: {أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ} [ص: ٢٨] فَقُلْ لِقَائِلِ هَذِهِ الْمَقَالَةِ النَّكِرَةِ: يَا ضَالُّ يَا مُضِلُّ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُسَوِّ بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ، حَتَّى فَضَّلَ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ دَرَجَاتٍ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [الحديد: ١٠] فَوَعَدَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كُلَّهُمُ الْحُسْنَى، بَعْدَ أَنْ فَضَّلَ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ {لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرِ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً} [النساء: ٩٥] ثُمَّ قَالَ: {وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى} [النساء: ٩٥] وَكَيْفَ يَجُوزُ لِهَذَا الْمُلْحِدِ فِي الدِّينِ أَنْ يُسَوِّيَ بَيْنَ إِيمَانِهِ وَإِيمَانِ جِبْرِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ حَقًّا؟

ذكر هنا حديث الزهري لما قال له عبد الملك بن مروان كأنه استشكل عليه حديث أبي ذر عن النبي ﷺ قال [مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ] الحديث صحيح والمعنى وجهناه من قبل، لكن كأن الزهري من فطنته ومن حكمته ظن ما يقصده عبد الملك بن مروان، فقال أَيْنَ يَذْهَبُ بِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ «هَذَا قَبْلَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَقَبْلَ الْفَرَائِضِ» لكن هو طبعًا كأنه يريد أن يرده على أن لا تظن بأن [مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ] طبعًا هذا الحديث، وقال [وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ] لو كان أتى بالحديث [وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ] كان لابد المعنى يكون واضح له بأن الزنا والسرقة أنزلته درجة في الإيمان لكنه سيدخل الجنة على أنه من أهل القبلة، لكن كأنه الزهري يريد أن يزيل عنده إشكالية على أن هذا الحديث لا يُستدل به كما يستدل به أهل الإرجاء؛ على أن الزنا والسرقة لا تؤثر في الإيمان وأنه سيدخل الجنة، فقال: «هَذَا قَبْلَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ» أي إن جاءهم الأمر والنهي بفعل الطاعات وعدم فعل هذه الكبائر فسيسألون عنها، وهذا لا يمانع من دخولهم الجنة، لكنه ليس كالذي لم يفعلها، فكأنه

يُذكِّره، أخذه من هذا الوجه على أنه وقع في قلبه على أنه إن فعل كل ما فعل سيدخل الجنة، إذًا الأعمال غير مؤثرة؛ غير مؤثرة لا في العقاب ولا مؤثرة في الثواب. فأراد أن يؤكد له هذا المعنى.

ثم ذكر محمد بن الحسين قال: احْذَرُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ يبين لنا كيف تعلم هؤلاء من أقوالهم، وهذا الذي كنا نتكلم عنه الآن لما يقول لك احْذَرُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ قَوْلَ مَنْ يَقُولُ إِنَّ إِيمَانَهُ كَإِيمَانِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ. وطبعًا بعض الصوفية – وسيأتي في مسألة القدرية غلاة الصوفية وغير ذلك– البعض يقول أنهم أيضًا يرون الجبر – كما سيأتي في القدرية – فيرون بأن إيمان أبو بكر كإيمان آحاد الأمة، وهذا جزء فيه جبر مع الإيمان – سيأتي في باب القدرية – أن هو يرى بأن الناس جميعًا واحد؛ إيمانهم واحد لأنهم مجبورين– وإن كان سيأتي تفصيلها في القدر – لكن فيه معنى غلاة الصوفية يرون بأن كل هؤلاء إيمانهم واحد، بل يرى بعضهم – وهذا من الكفر المبين – بأن فعل المعاصي عندهم محبوب إلى الله عز وجل! لماذا؟ لأن وافق فعل المعاصي أمر الله الكوني وكل ما قدره الله عز وجل كونًا فهو يحبه! – هم يقولون ذلك – ولم يفرقوا بين الأمر الكوني والأمر الشرعي، وهؤلاء غلاة الصوفية سيأتي تفصيلهم في القدر، لكن يقولون كل ما يفعله صاحب المعصية حتى هذا محبوب إلى الله لأنه وافق مراد الله، وهم لا يفرقون بين مراد الله الكوني ومراد الله الشرعي، هو كونًا وافق لكن خالف أمر الله الشرعي، فيأخذون بالكوني فقط، **وهذه آفة كل مبتدع، يأخذ جانب من الأدلة ويترك جانب**؛ يأخذ أحاديث الوعيد ويترك الوعد، يأخذ الوعد ويترك الوعيد، وهكذا. فهؤلاء أيضًا هم الذين يقولون إيمانه كإيمان جبريل وميكائيل، أو إيمان أبو بكر كإيمان آحاد الأمة، أو إيمان كذا، سمة ذلك هؤلاء منهم أهل الإرجاء كما قال. أو أَنَا مُؤْمِنٌ مُسْتَكْمِلُ الْإِيمَانِ، وهنا "مستكمل الإيمان" لا يقصد به العمل، هو يقصد بـ "مستكمل الإيمان" التصديق، إذًا من سيكون مستكمل الإيمان؟ هم الإرجاء ليس عندهم أعمال أصلًا، هو يقصد مستكمل الإيمان أي إيمانه كامل، كأنه مصدق تصديقًا كاملًا، فهو يرى ذلك وليس كما تظن أن هو من باب من يقول بالأعمال ويرى بأنه قد استكمل من باب التزكية، لا، هو يتكلم من باب آخر؛ وهو من باب أن الإيمان تصديق فقط، فهو قد أتى بالتصديق، وأن التصديق ليس عنده درجات فيه وليس عنده فيه تفاوت، فهو مستكمل إيمانه لأنه مصدق غير شاك.

ثم ذكر قصة عبد الله ابن أبي مليكة، وهي فيها دلالة على مسألة كما ترائى لأغلبكم، كلام ابن أبي مليكة فيه اشارة على أن إيمان جبريل أفضل من إيمان النبي ﷺ ، وهذا تنازع في مسألة

الملائكة والرسل، من أفضل الملائكة أم الرسل؟ وهو ليس مبحثنا، لكن فيه اشارة أنه يرى بأن جبريل مفضل إيمانًا عن النبي ﷺ في الآيات: {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ * وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ} [التكوير: 19-22] فقال هنا أي محمدًا ﷺ ، لذلك هو يريد أن يستدل بأنه إذا كان جبريل فُضل على النبي ﷺ في الإيمان فكيف أنتم تقولون إيمانكم كإيمان جبريل وأنتم لن تصلوا إلى إيمان النبي ﷺ !

قال محمد بن الحسين: **مَنْ قَالَ هَذَا فَلَقَدْ أَعْظَمَ الْفِرْيَةَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَتَى بِضِدِّ الْحَقِّ، وَبِمَا يُنْكِرُهُ جَمِيعُ الْعُلَمَاءِ؛ لِأَنَّ قَائِلَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ يَزْعُمُ أَنَّ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ: لَمْ تَضُرَّهُ الْكَبَائِرُ أَنْ يَعْمَلَهَا، وَلَا الْفَوَاحِشُ أَنْ يَرْتَكِبَهَا** انظر.. إذًا هو لازم القول الذي قلناه أولًا عند أهل الإرجاء بأنك لما تقول هذا الكلام أن إيمان جبريل وميكائيل كإيمان آحاد الناس فكأنك تقول بأن من يفعل الكبائر والمعاصي لن يضره ذلك في الإيمان شيئًا، وهذا يناقض ما ذكره المؤلف من الآيات، وهذه الآيات واضحة صريحة جدًا، وهذا فيه رد على المسائل التي تثار لأن المسألة هذه بتثار كل فترة عند موت بعض الناس، ويتكلمون في مسألة جواز الترحم عليهم وعدم الترحم، والحق أن فيها افراط وفيها تفريط، فيها غلو وفيها جفو، فيها بعض الناس يخالف الشرع من وجه ومن وجه آخر، أي لا يتكلمون بكلام وسط وهو كلام أهل السنة والجماعة، بعضهم يغالي حتى أنهم يجعلون هؤلاء كفار على أن جهر بالمعصية، يجعلوه من الفسق إلى الكفر، وبعضهم يقول لا يجوز الترحم عليهم، وبعضهم يلعنهم، وهذا غلو، لأنهم ما زالوا من أهل القبلة، أهل المعاصي والفسق والذين حتى يجاهرون بالمعصية والفسق هم أهل القبلة فكيف أنت تخرجهم وتقول لا يجوز الترحم عليهم وتلعنهم إلى غير ذلك! وهذا قلت غلو.

وأيضًا الجفو على الجانب الآخر أو تفريط الذين يتكلمون عنهم كأنهم لهم أعمال خير ولهم أعمال كذا وكذا، وأن الله غفور ورحيم ويغفر ولا ندري ما في قلوبهم فيها وغير ذلك! هذا أيضًا فيه نوع من الإرجاء في الكلام كما بيّنا، لأن نحن ليس لنا الآن باطنهم، والبعض يقول لك الناس بتحبهم وأنتم شهداء الله في الأرض! أين الشهداء! الشهداء هم أهل الصلاح، النبي ﷺ لما قال أنتم الشهداء تكلم عن الصحابة، شهدوا لهم بالخير، وليس بيحبوهم لأنهم بيضلوهم، أو بيحبوهم لأنهم بيضحكوهم، أو بيحبوهم لأن هم مثلًا بيمتعوهم في المعاصي! هذا ليس شهداء، الموجود هذا تضليل، فهذا تفريط أيضًا لأن هذا لا يصح ولأن هذا فيه نوع من الإرجاء، أنت الآن ستسوي بين هذا وبين مثلًا الأخ الذي مات وكان مثلًا معلوم عنه الصلاح وممن يصلون في المسجد، أو أخت معلمة قرآن أو أخت طالبة علم، أو حتى ليس هذا ولا

هذا، يا أخي على الالتزام؛ يقيمون الصلوات ويصلون الفرائض ويربون أبنائهم على الالتزام وليسوا من أهل العلم أصالة، أليس هؤلاء التزموا بفرائض الله عز وجل وهم يُقَدَّمون على من يجاهر بالمعصية؟ فكيف نجعل هذا مثل هذا ونقول ليس لنا أن نتكلم! جيد ليس لنا أن نتكلم، وهذه أيضًا رسالة للذين يريدون أن يجاهرون على هؤلاء، الصحيح أنك تسكت عن ذلك، أنت لماذا تثير هذا الأمر؟ لا تذم ولا تمدح، من مات مات، الله عز وجل يتولاه بعد ذلك، فلا تتكلم في جواز الرحمة ولا عدم الجواز ولا اللعن ولا تتكلم على أننا لا ندري حالهم عند ربهم، هذا ليس لنا، ما دام قد مات فقد أفضى إلى ما قدم، فالصحيح هنا بأننا لابد نضبط هذه المسائل ولا نقع فيها.

هو يبين لنا الآن من هذه الآيات أن هناك تفرقة كما قال سبحانه وتعالى: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} [الجاثية: 21] طبعًا هذا عند الله، ليس لنا، الله عز وجل هو الذي يحاسب لكن نحن لنا فقط بأننا نقول الظاهر لنا لكن ليس لنا هذا، لكن الله يبين لنا أنه لا يمكن أن يكون هذا مثل هذا، لا يمكن، إلا ان يشاء الله عز وجل ويغفر لمن يشاء ويرحم من يشاء. {أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ} [ص: 28] لا يمكن أن يكون هذا مثل هذا، وهذا تأصيل مهم جدًا لأنه بينتشر هذه الأيام، قلت الإفراط موجود والتفريط موجود، الغلو موجود والجفو موجود، فلابد ننضبط بضوابط الشرع في ذلك.

ثم بيَّن قياس جميل جدًا وأتى به مع المؤمنين؛ بأن الله عز وجل فاضل أهل الإيمان في درجاتهم وفي أعمالهم، فذكر لنا التفاضل الذي بينه الله عز وجل ولم يسوي بين الطائفتين من المؤمنين {لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى} [الحديد: 10] هنا الله عز وجل وعد الإثنين الحسنى، لكن هل يستوي هذا مع هذا؟! لا، إذا كان هذا في الأعمال لا يستوي؛ من أنفق وهاجر مع النبي ﷺ وترك أهله وماله وكل هذا، هل يستوي بعد ما قدم من بعد الفتح؟ لا يستوي، لكن {وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى} فهذا تفاوت في الأعمال، فما بالك بالذي عمل ولم يعمل! فإذا كان في الأعمال الصالحة هناك تفاوت، وذكر: {لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرِ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى} [النساء: 95] انظر.. إذًا أثبت أن الإثنين لهم الحسنى، لكن تفاضل في الأعمال. فمن باب أولى أن الذي عمل ليس كالذي لم يعمل، إذا

كان الذي عمل يتفاضل مع الذي عمل أفضل منه، وأيضًا:{ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ } [البقرة:253]، حتى في الرسل الله عز وجل فضل بعضهم على بعض، جعل لهم درجات تختلف، منهم من كلم الله ومنهم لم يكلم الله عز وجل إلى غير ذلك مما جاءت الآيات تفاضل بينهم. وَكَيْفَ يَجُوزُ لِهَذَا الْمُلْحِدِ فِي الدِّينِ أَنْ يُسَوِّيَ بَيْنَ إِيمَانِهِ وَإِيمَانِ جِبْرِيلَ.

308- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْحُلْوَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا شِهَابُ بْنُ خِرَاشٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا قَبْلِي، فَاسْتَجْمَعَتْ لَهُ أُمَّتُهُ، إِلَّا كَانَ فِيهِمْ مُرْجِئَةٌ وَقَدَرِيَّةٌ يُشَوِّشُونَ أَمْرَ أُمَّتِهِ مِنْ بَعْدِهِ، أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَعَنَ الْمُرْجِئَةَ وَالْقَدَرِيَّةَ عَلَى لِسَانِ سَبْعِينَ نَبِيًّا أَنَا آخِرُهُمْ، أَوْ أَحَدُهُمْ»

الحديث ضعيف وضعفه حتى الشيخ الالباني، هو عند ابن بطه عندكم تخريج له.

309 - أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ قَالَا: أَخْبَرَنَا ابْنُ نِزَارٍ عَلِيٌّ أَوْ مُحَمَّدٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي لَيْسَ لَهُمَا فِي الْإِسْلَامِ نَصِيبٌ: الْمُرْجِئَةُ، وَالْقَدَرِيَّةُ"

الرواية عند الترمذي ولكن أيضًا الحديث فيه ضعف.

310 - حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ شُعْبَةَ الْأَنْصَارِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْمُنْذِرِ الطَّرِيقِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي وَعَلِيُّ بْنُ نِزَارٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي لَيْسَ لَهُمَا فِي الْإِسْلَامِ نَصِيبٌ: الْمُرْجِئَةُ، وَالْقَدَرِيَّةُ"

انظر هو فيما أعلم أنه لم يثبت حديث فيه تسميه الطوائف المبتدعة، لكن الذي أشير إليهم هم الخوارج؛ قال النبي ﷺ:[إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا] ، ولكن الأحاديث التي جاءت في اثبات أسماء الطوائف المبتدعة لم يثبت فيها – فيما أعلم – شيء على هذه الأسماء.

الشيخ ختم الكلام لكن طبعًا التحذير واضح كما بيّنا، وهذا من بديع الترتيب، لأنه بعد أن ختم فختم بالمرجئة والقدرية، لأنه سيبدأ الباب الجديد بالقدرية، فكأنه بعد أن أنهى المرجئة أراد أن

يجهزك على أننا سنتكلم عن القدرية وما فيها من بدعة أيضًا، وثنى بالمرجئة والقدرية، وإن كان الأحاديث فيها ضعيفة لكن كأنه تجهيز نقول، وهذه من براعة التأليف للإمام الآجري – عليه رحمة الله تعالى.

نكون قد انتهينا بفضل الله تعالى من أبواب الإيمان، سندخل إن شاء الله **بَابُ الرَّدِّ عَلَى الْقَدَرِيَّةِ** وهذا عند بعض الطبعات نهاية الجزء الثالث، فندخل بإذن الله تعالى في الجزء الرابع من أجزاء الكتاب الذي قسمها الإمام نفسه، وهو **بَابُ الرَّدِّ عَلَى الْقَدَرِيَّةِ** إن شاء الله هذا نرجئه للأسبوع القادم.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب اليك

المحاضرة التاسعة والثلاثون

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام على موعد مع شرح درس جديد من دروس كتاب الشريعة للإمام الآجري محمد بن الحسين – رحمه الله تعالى – وعلى طبعات الكتاب هذا الجزء الرابع الذي ندخل فيه والباب الثلاثون، وندخل في باب جديد وفيه رد الشيخ على القدرية. قد انتهى من الكلام عن المرجئة وتعرض للمرجئة في باب الإيمان، هو أصالة أفرد أبوابًا يبين عقيدة أهل السنة والجماعة في الإيمان، وتعريفه، ومباحثه، وبيَّن الطوائف المبتدعة في ذلك وأشدهم المرجئة. اليوم يتكلم عن القدر إن شاء الله في عدة أبواب في ذلك، ويتكلم في الرد على القدرية.

والحق أن القدر من الموضوعات الكبرى التي خاض فيها الناس، وشغلت أذهانهم في القديم وفي الحديث، لأن القدر مرتبط بحياة الناس، وفيه ما فيه من التقلبات التي تصيب المرء من الصحه والمرض والغنى والفقر والموت والحياة والسعادة والشقاوة، فتجد أن جميع الطوائف

والمذاهب التي صنفت وكانت لها أفكار تكلموا في القدر، مع أنه لم يكن محل كلام طبعًا في زمن النبي ﷺ ، أو قبل ذلك حتى عند المشركين إلا في مسائل يسيرة، لكن لو رجعت إلى الطوائف والمذاهب المختلفة تجد عندهم كلام في القدر؛ فالفلاسفة تكلموا في القدر، وأهل الكلام يتكلموا في القدر، بل بعض الطوائف المشركة تكلموا في القدر، اليهود والنصارى أيضًا لهم كلام في القدر يخالف عقيدة أهل السنة والجماعة، وفلاسفة العرب أو ما يسموا أنفسهم بفلاسفة المسلمين وهم ليسوا من المسلمين، أو حتى فلاسفة الغرب أيضًا تكلموا؛ أرسطو وأفلاطون إلى غير ذلك.

عمومًا الأقوال في القدر سترجع جميعها إلى ثلاثة أقوال حتى باختلاف الطوائف التي قلناها كلها اختلفت؛ سواء الفلاسفة، سواء المعتزلة، الجهمية، الأشاعرة، الصوفية، غلاة الصوفية، الشيعة، اليهود والنصارى، الوثنيين، كل هؤلاء **لن يخرج الكلام في القدر عن ثلاثة أقوال:**

- **القول الأول:** وهو قول الجبر؛ أهل الجبر الذين يقولون أن الإنسان مجبور على أفعاله، أي ليس له إرادة ولا قدرة، ما يفعل شيء، هو كالريح، كالريشة في الهواء، طبعًا أشهر من قالوا بمذهب الجبر هم **الجهمية**؛ أتباع جهم بن صفوان الذين قالوا في الجبر، وأحيانًا يسموا في بعض الكتب الحديثة (المذهب الحتمي)؛ من الحتم أو الجبر، وتجد بعض الفرق اقتربت من قولهم بالكلية والبعض ابتعدت عنهم لكن مضمونه أنهم قالوا بالجبر هذا؛ أن العبد ليس له إرادة ولا مشيئة وليس مستقلًا في أفعاله وليس له قدرة ولا تأثير وأنه مجبور على الأفعال.

- وعلى النقيض؛ تجد **القول الثاني** الذين قالوا بحرية الإرادة هذه والاستقلال؛ والذين سُموا **بالقدرية** بعد ذلك، لكن المعنى العام سواء سميناهم القدرية أو غير ذلك هو من يقول بحرية الإرادة والاستقلال، وأن الإنسان له حرية الإرادة والاستقلال، وله المشيئة المستقلة في أفعاله، وأن الله عز وجل فقط خلق الإنسان وأن الإنسان هو الذي خلق أفعاله وأن له إرادة مستقلة. وأشهر من قالوا بذلك هم **المعتزلة** الذين كانت بدايتهم من معبد الجهني ثم من غيلان، وسنبين أن بعضهم قال أن معبد الجهني أخذه من نصراني كان يسمى في بعض الروايات سوسن، والبعض سيسويه، والبعض سنسويه، هذه كلها ألفاظ ذكرها الأوزاعي لما ذكر عن بداية نشأة القدرية، سنبينها، لذلك بعضهم قالوا بأن أصل الكلام في القدرية يؤخذ من بعض كلام النصارى، مع أن النصارى عندهم طائفتين؛ بعضهم يقول بالجبر وبعضهم يقول بالقدر، لكن نشاة ما أخذه معبد الجهني كان في البصرة كان من نصراني كان أسلم ثم تنصر بعد ذلك يقال له سوسن، فمعبد الجهني هو أول من قال بذلك في البصرة لما جاءوا

حميد ويحيى بن يَعْمُرَ إلى ابن عمر في المدينة فقالوا له بأنه يقال عندنا في البصرة أو ظهر قول، فهذا القول الثاني الذي اشتهر على المعتزلة الذي سُمي "القدرية".

هم لماذا سموا القدرية؟ مع أنهم بينفوا القدر لكن جعلوا القدر للإنسان، هم سموا القدرية مع أنهم يقولون أن الإنسان يخلق أفعاله بنفسه وله إرادة مستقلة، فكأنهم قالوا أن الإنسان هو الذي يقدر أموره، وأن الله خلق الإنسان فقط والإنسان خلق أفعاله، فنُسِب القدر هنا إلى الإنسان، لذلك سموا القدرية لأنهم يقولون بأنهم يحملون أقدار أنفسهم في ذلك. هذا القول عمومًا الذي نقوله الآن وممكن ندخل تفصيلًا، وقد بينا ذلك في الكلام في حديث جبريل- لو ترجعوا - كنا تكلمنا عن الإيمان بالقدر خيره وشره. لكن نقول أنه لن يخرج الكلام في القدر عن ذلك، هذا القول الثاني.

- **القول الثالث**؛ هو قول الوسط بين هؤلاء، وهو **قول أهل السنة والجماعة**، وهو أن الله عز وجل خالق كل شيء؛ خلق الإنسان وخلق أفعال الإنسان، لكن أيضًا الإنسان له قدرة وله إرادة وله مشيئة، لكن قدرته ومشيئته وإرادته التي يختار بها العبد أفعاله لا يمكن أن تخالف قدر ومشيئة الله عز وجل وإرادة الله عز وجل،{وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ } [التكوير:29].

وطبعًا نحن فصلنا في حديث جبريل هذا الكلام، لكن نحن سنأخذه من جانب التفصيل هنا الذي سيورده لنا المؤلف، لكن لابد أن نقدم هذه المقدمة لنبين للمستمع أن الأقوال في القدر لن تخرج عن هذه الثلاثة أقوال.

والقول الثالث هذا هو قول الحق؛ قول مذهب أهل السنة والجماعة، وهو الذي بينه جبريل عليه السلام للنبي ﷺ لما قال: **[ما الإيمان؟ قال: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ]**، فهذا هو الإيمان بالقدر خيره وشره.

لذلك تجد أن **الإيمان بالقدر النزاع فيه كله سيكون في أمرين**؛ أي النزاع الذي سيكون بين المذاهب وأهل السنة والجماعة، إما في مراتب القدر الأربعة: (علم فكتب أراد وشاء فخلق) هذه المراتب الأربعة. والنزاع في الأمر الثاني مسألة الحرية والإرادة والاختيار وعدم الاختيار للمرء.

فكل النزاع في أمور القدر - حتى نجمل الكلام - ستجده في من أثبت هذه المراتب الأربعة، فأهل السنة والجماعة يثبتون القدر، ولن تكون مثبت القدر إلا أن تثبت الأربع مراتب؛ بأن الله عز وجل **علم** ما كان، وعلم ما سيكون، وعلم ما لم يكن لو كان كيف سيكون، كقوله تعالى: {وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ} قال

الله عز وجل: {بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ} [الأنعام:27-28]، أي لو رددناهم إلى الدنيا – مع أن هذا لن يحدث – لكن هو ممكن يحدث، فلو رجعوا للدنيا لعادوا لما نهوا عنه من التكذيب وعدم الإيمان، هذا علم ما لم يكن لو كان كيف سيكون؛ من باب الممكنات. ولكن من باب المستحيلات من قوله تعالى:{ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا } [الأنبياء:22]، وهذا طبعًا لا يمكن أن يكون هناك إله غير الله، لكن لو كان فيه ستفسد السماوات والأرض، هذا علم ما لم يكن لو كان كيف سيكون بشقيه الممكن والمستحيل.

وعلم ما كان في القرون الماضية التي أخبرنا الله عز وجل بها، وعلم ما سيكون إلى قيام الساعة وبعد قيام الساعة حتى ينزل الناس منازلهم في الجنة أو في النار– نعوذ بالله من ذلك– نسأل الله أن نكون جميعًا من أهل الجنة مع النبي ﷺ. فهذا كله أخبرنا به الله عز وجل ويعلمه سبحانه وتعالى.

والكتابة أن تؤمن مع العلم **بالكتابة**؛ أن الله كتب كل شيء في اللوح المحفوظ، وكتب في صحف الملائكة، وكتب الكتابة الحولية، والكتابة اليومية إلى غير ذلك من أنواع الكتابة.

وتؤمن أيضًا **بإرادة الله ومشيئته**؛ وأنه ما شاء سيكون، وما لم يشأ لن يكون، وأيضًا على حديث عبد الله بن عباس: [واعلَم أنَّ الأمَّةَ لو اجتَمعت علَى أن ينفَعوكَ بشَيءٍ لم يَنفعوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ لَكَ ، ولو اجتَمَعوا على أن يضرُّوكَ بشَيءٍ لم يَضرُّوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ عليكَ]فهذا باب الإرادة أو المشيئة، وطبعًا فيها الإرادة الكونية والإرادة الشرعية – أنا أراجع فقط لكن أبين لكم أين بيكون النزاع.

ثم آخر شيء **الخلق** بعد الإرادة والمشيئة، وخلق الله عز وجل {ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ} [الزمر:62]، خلق الإنسان، وخلق أفعال الإنسان، خلق السماوات والأرض وكل شيء.

الذين يثبتون القدر كما هو مطلوب منك في الإيمان لابد تثبت هذه الأربعة المراتب التي قلناها.

النزاع يأتي مع من يخالف هذه المراتب؛ فتجد غلاة المعتزلة لا يثبتون الأولى والثانية ولا الثالثة ولا الرابعة؛ لم يثبتوا العلم والكتابة ولم يثبتوا الإرادة والمشيئة ولا الخلق، لا يثبتون بأن الله عز وجل علم ولا كتب، يقولون بأن الخلق تخلق أفعالهم بأنفسهم، وهذا كفر مبين. فإذًا النزاع في المراتب الأربعة.

ومن بعدهم أثبت الأولى والثانية لكنه نازع في الثالثة والرابعة. فالأول وهم الغلاة لم يثبتوا هذه المراتب الأربعة، لكن الذين **دون الغلاة** أثبتوا العلم والكتابة ولم يثبتوا الإرادة والمشيئة والخلق لله عز وجل، في الأفعال طبعًا، لكن يقولوا الله خلق الإنسان وخلق ما غير أفعال الإنسان، وكل هؤلاء نقول النزاع هنا ستجده في مراتب القدر.

ثم **النزاع الثاني** في مسألة الحرية والإرادة للمرء؛ أي مسألة الاختيار والجبر. فهذا ملخص النزاع الذي حدث أو الذي تجده في الطوائف التي خالفت القدر، وأيضًا ملخص الأقوال التي جاءت في القدر ما بين الجبر وما بين الحرية والإرادة، والقول الثالث القول الوسط.

فتجد لو قلنا بداية ظهور القدر كان في زمن السلف، ولم يكن طبعًا موجود في زمن النبي ﷺ إلا بعض المخاصمات ما بين المشركين واليهود مع النبي ﷺ في بعض الأسئلة، وقد يجيب عنها النبي ﷺ ، لكن المخالفة في القدر كمذهب أو منهجية لم تظهر إلا في أواخر زمن ابن عمر وابن عباس رضي الله عن الجميع، لما زار معبد الجهني البصرة وقال بمسألة القدرية؛ بمسألة أن العبد يخلق أفعاله بنفسه، فلما سمع ذلك يحيى بن يعمر وحميد جاؤوا إلى المدينة، فقالوا لعلنا نجد أحد من أصحاب النبي ﷺ فنسأله عن هذا الأمر، يحيى بن يعمر وحميد الحميري، فجاءوا حاجين أو معتمرين فجاؤوا إلى المدينة. والإمام الأوزاعي – إمام أهل الشام – قال بأن أول ما نطق بالقدر هو النصراني قالوا يسمى سوسن، أو البعض قالوا سيسويه، وأخذ هذا الكلام عنه معبد الجهني، ثم أخذ غيلان عن معبد، وظهر بعد معبد وغيلان فرقة المعتزلة التي هي رأسها واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد، لكن طبعًا أول من قال به معبد الجهني، كما جاء في حديث جبريل في صحيح مسلم في الرواية عن يحيى بن يعمر قال: **[كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبدالرحمن الحميري حاجين أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوفق لنا عبدالله بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي، أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الأمر إلي، فقلت: أبا عبد الرحمن، إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم (وذكر من شأنهم) وأنهم يزعمون ألا قدر، وأن الأمر أنف..]** الحديث عند مسلم، فلما علم ذلك ابن عمر قال: **[أخبرهم أني بريئ منهم]** – أن ابن عمر بريء – ثم ذكر له حديث جبريل الإسلام والإيمان والإحسان وبين له بأنه لن يصح إيمان عبد إلا بالإيمان بالقدر خيره وشره.

فنقول هذا كان بداية لظهور القدرية، وأخذ هذا الكلام بعد ذلك واصل بن عطاء ومن معه، وظهرت فرقة المعتزلة التي قالت بقول القدرية في القدر، وهو قوله في القدر أن العبد مستقل بعمله في الإرادة وفي القدرة، وأنه ليس لمشيئة الله عز وجل وقدرته في ذلك أثر. هذا المذهب الذي قلناه في الأول الذي يسمونه "الحرية والاختيار"، ويقولون أن أفعال العباد ليست مخلوقة لله عز وجل، إنما العباد هم الخالقون، لذلك سميوا هؤلاء **بالمجوس؛ مجوس الأمة**.

لو ترى الإمام الآجري في نهاية الباب الماضي ذكر عن المرجئة والقدرية، وقال بعض الأحاديث الضعيفة على أنهم مجوس الأمة، لماذا المجوس؟ لأن المجوس جعلوا خالقين؛ خالق للنور والظلمة، وخالق للخير والشر، هؤلاء القدرية جعلوا أيضًا الله خلق العباد وجعلوا العباد يخلقون أفعالهم، فجعلوا هناك أكثر من خالق؛ أن الله خالق العباد وأن العباد يخلقون أفعالهم، لذلك شبهوا بالمجوس في ذلك.

طبعًا هم أيضًا على طبقتين؛ الغلاة منهم وهؤلاء قد أجمع أهل العلم على كفرهم، وإن كانوا لن تجدهم في زماننا؛ الذين أنكروا علم الله عز وجل، أي أنكروا أن الله يعلم أفعال العباد قبل حدوثها، وهذا كفر. والطائفة الثانية التي هي غالب القدرية وهي المعتزلة، ليس الغلاة، فقد أثبتوا العلم والكتابة ولكن قالوا بأن هو مستقل بالإرادة والمشيئة والخلق. وقد جاءت أحاديث – كما قلت فيها ضعف حقيقة – على أنهم وُصفوا بمجوس الأمة، وجاء الذم فيهم، سواء الأحاديث التي ذكرها الإمام الآجري قبل هذا الباب الذي معنا، هذا كان بداية النشأة.

لكن على هذه النشأة قلنا بأن نشأة المعتزلة القدرية كان على النقيض **الذين قالوا بالجبر؛ وهم الجهمية**، انظر هنا الجهمية خالفت المعتزلة، مع أن المعتزلة وافقت الجهمية في باب الأسماء والصفات، الجهمية والمعتزلة واحد، الجهمية عطلوا بالكلية لا اسم ولا صفة، والمعتزلة أثبتوا الاسم بدون صفة، انظر.. جاؤوا في القدر على النقيض؛ المعتزلة القدرية وجاءوا أصحاب جهم بن صفوان قالوا بالجبر، فتجد أن الجهمية أو جهم بن صفوان قالوا بالجبر؛ بأن العبد ليس له إرادة مستقلة ومجبور، وليست له أفعال، ليس له فعل وليس له قدرة، فيقول لك طلعت الشمس، لا الشمس ما طلعت وأن هذا مجاز، يقول سرق المال ما سرقه، أكل الطعام ما أكله، كل الأفعال المنسوبة للمخلوقين يقولون هذه على سبيل المجاز، هو لم يفعل شيئًا لأنهم ينسبون الفعل كله لله، ويجعلون أن العبد مجبر على ذلك. فهذا كان قول الجهمية، اتباع جهم، وهو قول الجبرية ومن وافقهم على ذلك.

ولتعلم أن الباطل ليس له أرجل، فهم اتفقوا في الأسماء والصفات على بدعة واحدة في التعطيل، وجاؤوا في القدر على النقيض؛ فالجهمي يقول بالجبر، والمعتزلي يقول بالقدر، وستجدهم أيضًا في الإيمان خالفوا. المهم أن من كان على بدعة ستجد أن ليس عنده أصول ثابتة، فأحيانًا يلتقوا وأحيانًا يتناقضوا.

فهنا كان مذهب الجهم كما قلت بأن الإنسان لا يقدر على شيء، ليس له استطاعة، مجبور في أفعاله، لا قدرة، لا اختيار، لا إرادة، بل أن الله عز وجل يخلق كل شيء حتى يخلق أفعال العبد أي أن العبد لا يأكل، ولا يشرب، ولا يسرق، لا يزني – والعياذ بالله – لا يفعل هذا، لا، نسبوا كل ذلك لله عز وجل– حاشاه– وقالوا كل ما يقال من أفعال؛ نبت الشجر، جري الماء، نزل المطر، كل هذا قالوا على سبيل المجاز لأن الكل لا يفعله المرء، هؤلاء أصحاب الجبر أو الجبرية.

وانظر **لغلاة الصوفية** في قولهم في القدر ارتقوا وعلوا عن الجهمية الجبرية؛ – وخذوا طائفة بعد ما انتهينا من القدرية المعتزلة ثم الجهمية الجبرية، انظر إلى غلاة الصوفية – غلاة الصوفية قالوا بالجبر لكن غلوا في الجبر غلوًا شديدًا جدًا خاصة الذين تكلموا عن مقام الشهود، الحقيقة الكونية والربوبية الشاملة، قالوا.. وانظر إلى كفرهم في القول، هذا قول كفري كما قال شيخ الإسلام بن تيمية في ذلك، يرون أن كل ما يصدر من العبد من ظلم؛ كسرقة، كزنا، كقتل، كفسوق، إلى غير ذلك، قالوا هذا كله عندهم طاعة محضة لله عز وجل، أي جعلوا ما يفعله المرء من معاصي وفسوق قالوا هذه طاعة لله عز وجل، قالوا لماذا طاعة؟ قالوا لأنه وافق فيه مراد الله الكوني، قالوا لأن ما يجري منه يجري وفق ما قضاه الله عز وجل وقدَّره، إذًا لو وافق قضاء الله وقدره فهو محبوب، فلما كان محبوبًا لله وافق قدر الله وقدره، فجعلوا هذه المعاصي وهذه الذنوب جعلوها طاعة بل هي محبوبة إلى الله عز وجل! بل يقولون أنه حقق العبودية لأنه فعل ما قدره الله وقضاه كونًا، وانظر إلى الكفر.. فالكل عنده مطيع، لا فرق عنده بين إبليس وبين جبريل، لا فرق عنده بين المطيع وبين الفاسق، لا بين فرعون وهامان وبين أبو بكر وعمر، لا بين يهودي ونصراني مجوسي ولا بين مسلمًا، وهذا الكلام قاله ابن عربي هذا النكرة الصوفي الذي كفر بقوله هذا الكلام أصالة.

فهذا مذهبهم هؤلاء غلاة الصوفية في مسألة القدر، أخبث المذاهب، وهذا لا يُشَك في كفر أصحابه، فهذا أقبح أنواع الكفر أصالة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فإن من احتج بالقدر، وشهود الربوبية العامة لجميع المخلوقات، ولم يفرق بين المأمور، والمحظور، والمؤمنين،

والكفار، وأهل الطاعة، وأهل المعصية؛ لم يؤمن بأحد من الرسل، ولا بشيءٍ من الكتب... فلا يشك عاقلٌ في كفره) فهم جعلوا كل هذا طاعة.

لماذا هم وقعوا في ذلك؟ لأنهم لم يفرقوا بين المشيئة الكونية والشرعية، جعلوا المسألة واحدة، وأن ما فعله العبد وافق كون ما أراده الله عز وجل، ولم ينظروا أنه خالف ما أراده الله عز وجل شرعًا، لكن بقولهم هذا جعلوا المطيع كالفاسق وكالكافر، جعلوا المسلم كالكافر ولم يفرقوا، بل الكل عندهم مطيع، لذلك بعضهم يقول إبليس مؤمن، حتى قالوا في عصيانه لربه فقد وافق ما قدره ربه! انظر إلى الكفر المبين! أي في عصيانه لأمر ربه في السجود لآدم قد وافق ما قدره ربه وكونه بأن ابليس لم يسجد وسيكون من العاصين. وهذا غلو في الجبر.

ثم جاء **الأشاعرة**، والأشاعرة أرادوا أن يفروا من الكلام الذي قاله المعتزلة بمسألة القدرية وهو استقلال العبد، وأرادوا أن يفروا من كلام الجهمية بالجبر وأن العبد ليس له إرادة مستقلة، فماذا قالوا؟ انظر هم أرادوا أن يكونوا من أهل النصح، أي لن نكون قدرية ولن نكون جبرية، يقولون أن الله خالق أفعال العباد – وهذا يرد فيه على القدرية لأن القدرية يقولون أن العبد هو الذي يخلق – فيثبتون في مراتب القدر المشيئة والخلق، طبعًا لا أحد ينكر الآن الكتابة والعلم لأن هذا كفر مبين، الخلاف كله في المشيئة والخلق، غلاة القدرية قلنا كانوا بينكروا وليسوا موجودين الآن، لكن القدرية الآن سيثبتوا الكتابة والعلم ويخالفوا في المشيئة والخلق. فهم يقولوا نثبت المشيئة والخلق لله ونقول بأن الله خالق أفعال العباد، لكن نقول أيضًا – حتى لا يُظَنون جبرية – يقولون أن أفعال العباد اختيارية، لكن انظر ماذا قالوا؟ قالوا أفعال العباد اختيارية لكن أتوا بجملة خربت الدنيا كلها؛ قالوا أفعال العباد اختيارية لكن واقعة بقدرة الله وحده وليس لقدرتهم – أي العباد – تأثير فيها، إذًا قالوا أفعال العباد اختيارية، نعم، لكن ليس للعبد قدرة ولا تأثير، لكن هي واقعة بقدرة الله وحده، والعبد ليس له تأثير. طيب ما الذي بيحدث؟ قال: لا، الله عز وجل أجرى عادته أن يوجَد في العبد قدرة واختيار؛ أي أن الله عز وجل جعل في العبد قدرة واختيار لكن القدرة والاختيار هذه ليس لها تأثير، فأنت لو مسكت السكين وتقطع اللحم فيقول أنت عندك قدرة واختيار لكن هل أنت الذي قطعت اللحم؟ لا، وهل السكينة هي التي قطعت اللحم؟ لا، فيقولون أنه حدث القطع عند مرور السكين على اللحم وأن الله عز وجل هو الذي قطع! فاخترعوا مسمى يسمى (الكَسْب).

فهم أرادوا أن يفروا من كلام المعتزلة فأثبتوا أن الله خلق الأفعال، وأرادوا أن يفروا من كلام الجبرية بأن العبد ليس له تأثير فقالوا أن العبد له اختيار لكن ما استطاعوا أن يخرجوا من الجبر، لذلك هم أقرب للجبرية، لماذا؟ لأنهم قالوا في الآخر أن العبد اختياره هذا وفعله ليس له

تأثير في الشيء، وأن التأثير من عند الله عز وجل. طيب ما الذي بيفعله العبد؟ قالوا لا، هو له اختيار لكن غير مؤثر. طيب عندما قلتم غير مؤثر أصبح الآن لا قيمة لهذا الاختيار، ما الذي سيفعله لما هو يرفع السكين إن كان السكين لم تقطع وأن الذي قطعه هو الله عز وجل أو خلق الله القطع مع مرور السكينة على اللحم؟! بل الحجارة لما تأتي على الزجاج فنحن نقول الله عز وجل أوجد في الحجارة تأثير لكسر الزجاج، فيقولوا: لا، كُسِر الزجاج عند اقتراب الحجر من الزجاج. لماذا كل ذلك؟ حتى لا يقول بأن للعبد تأثير، قالوا لو قلنا بأن للعبد تأثير فسيكون إله. قلنا من قال ذلك؟ العبد له تأثير لكن لا يمكن لتأثيره وإرادته أن تخالف ما أراده الله عز وجل.

فهم أرادوا أن يفروا من الجبر وما استطاعوا فاخترعوا شيء اسمه "الكسب" وهو أصالة لو نظرت لكلامهم فإن العبد ليس له لا قدرة ولا تأثير وإن قالوا له اختيار وإن قالوا له إرادة لكنها غير مؤثرة، لا تؤثر في شيء.

فما معنى الكَسْب؟ ظلوا يخترعوا تعريفات للكسب وهم لا يفهمونها، أي يخترعونها في كتبهم، يقولون مثلًا الكسب: "ما يقع به المقدور من غير صحة انفراد القادر به"، أي أن الذي بيحدث أثناء وضع السكين هو القطع لكن ليس علاقة بانفراد الفاعل بالسكين. كل هذا يريدوا أن يثبتوا إرادة ولكن ليست لها تأثير، فتقول له كيف؟ يقول لك عندي مثال أقوله لك: لو عندك حجر كبير الآن وأنت ليس بقوي، فأردت أن ترفع الحجر ما استطعت لوحدك، فقلت سآتي بفلان هذا ضخم يستطيع أن يرفع الحجر منفردًا، فأنت أتيت به ليرفع الحجر، وأدخلت نفسك معه؛ وضعت يدك معه، فهو منفردًا يستطيع أن يرفع الحجر وأنت وضعت يدك معه، فيقول لك أنت ستقول لي نحن الإثنين رفعنا الحجر، نعم أقول، وأنا أقول أنا كعبد لي اختيار وضعت نفسي أنا الأضعف لكن الله عز وجل – ولله المثل الأعلى – هو القادر، فالله عز وجل منفردًا يستطيع أن يفعل كل شيء، وأنا كأني أحضرت هذا صاحب القوة سيرفع الحجر منفردًا كان ممكن لكن أنا اشتركت معه. فهم يعتبرون الآن أن صاحب الحجر هو الذي رفع لأنه له القوة، لكن لا ينفي عن الثاني أنه اشترك معه، لكن ليس له قدرة! انظر المثال! يقول لك عندنا مثال من الواقع، لكن في الآخر تقول له: طيب في النهاية من الذي كان صاحب القوة والتأثير؟ الرجل القوي، وأنت جعلت أن الله عز وجل هو الذي يفعل كل شيء، إذًا أنت قلت بقول الجبر، نهاية كلامك وصلت للجبر، واختراعك لمسألة الكسب هذه لا قيمة له أن تقول له اختيار وله حرية لكن ليس له تأثير. إذًا هذا هو ملخص كلام الأشاعرة في مسألة الجبر، وما اخترعوه من مسألة الكسب.

هذا هو الأهم، لأن بعد ذلك لا يهم أن نتعرض للشيعة فالشيعة لهم كلام ليسوا مذهب في القدر، فبعضهم قال بقول أهل السنة، بعضهم قال بالجبر، بعضهم قال بالقدرية. والزيدية معتزلة؛ الذين هم في اليمن أغلبهم، فتجد في القدر قولهم موافق للمعتزلة، وبعض الشيعة تجد لهم قول موافق للجبرية أصالة، فلا يهم الدراسة نحن بنعرج في هذه.

الفلاسفة مثلًا أيضًا هم الذين قالوا بما يسمى بـ (العقل الفعال)، وقول ابن سينا في القدر هو قول جبري، وطبعًا هو يدعى أن هو من فلاسفة المسلمين، وهو ليس إسلاميين ولا شيء. وابن سينا يقول أن الله عز وجل يعلم الكليات؛ أي يعلم الأشياء على وجه كلي ثابت ولا يعلم الجزئيات، وهذا كفر، ولو قال ذلك إذًا الله لا يعلم شيئًا! لأن أكثر الأمور كلها في الجزئيات، هذا ابن سينا.

وفلاسفة الغرب ليس عندهم منهج؛ فأفلاطون غير أرسطو، أفلاطون لما تكلم تكلم بالجبر، وأرسطو لما تكلم تكلم بالقدر، لذلك لا تجد منهج ثابت عند فلاسفة الغرب في هذه المسألة، فبعضهم يميل إلى الجبر وبعضهم يميل إلى القدر، وهذا لا يعنينا عمومًا في شيء.

تعريف الكَسْب: له أكثر من تعريف، فهناك تعريف: " ما يقع به المقدور من غير صحة انفراد القادر به" . وهناك تعريف آخر: "ما يقع به المقدور في محل قدرته" أي يقع القطع عند إمرار السكين على اللحم. فهم عندهم أكثر من تعريف واختلفوا، لذلك لما تتكلم مع بعضهم وتقول لهم ذلك، فالوحيد الذي لم يقل بقولهم في القدر فيما أعلمه "أبو بكر البقلاني"، أبو بكر البقلاني لم يرتض هذا القول في الكسب، بل رد مسألة الجبر وقال أن العبد لا يقدر على الانفراد بفعله، وأيضًا نقض النظرية الجبرية عندهم وأقر بمسألة القدر الصحيحة. فعندما تأتي وتتكلم معه يقول لك عندنا أقوال أبو بكر البقلاني! ما هو أبو بكر البقلاني غير معترف بقولكم! ما هو هذا من الكذب، فعلمائهم عندهم أقوال متعددة، لكن هناك مذهب لهم. وأبو بكر البقلاني أشعري طبعًا ومن علمائهم لكن في القدر لم يقل بمسألة الكسب، نقض لهم نظرية الكسب لأنه وجد أنها غير حقيقية، ما تحدث، وهم اختلفوا بالتعريف ولا يمكن أن تتحقق، كيف تقول لي بأن العبد له اختيار وإرادة لكن غير مؤثر أصالة! فقلنا هذا قول باطل.

هذا كان اجمالًا للكلام في القدر، الآن سيدخل علينا المؤلف على أن باب الإيمان بالقدر من أعظم الأبواب وهو لا يصح إيمان العبد إلا به، بل أن يتقن المرء باب الإيمان بالقدر ويعلم طالب العلم أقوال هذه الفرق التي لخصتها لأنها لن تخرج عن ذلك، أنت ممكن تجد من يتكلم

بقول الجبرية وهو لا يقول أنه جبري؛ لما يقول لك بأن العاصي وافق قدر ربنا! فغلاة الصوفية يقولون ذلك، وستجد منهم الآن ينظر إلى العاصي بأنه طائع عنده ولا ينظر إلى المعصية أن هي مخالِفة لأمر الله عز وجل، فلا يفرق بين الكوني وبين الشرعي، ويقول لك وافقته في مراده الكوني! لذلك مهم جدًا أن يضبط هذه المسائل.

ندخل إن شاء الله تعالى في الكلام ونبدأ فيما ذكره المؤلف، أردنا فقط أن نقدم لهذه المقدمة حتى تكون عندكم تغذية فيما سيأتينا بعد ذلك في مسألة الكلام في القدر.

30- بَابُ الرَّدِّ عَلَى الْقَدَرِيَّةِ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَكَفَى وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَهْلِ الْحَمْدِ وَالثَّنَاءِ، وَالْعِزَّةِ وَالْبَقَاءِ، وَالْعَظَمَةِ وَالْكِبْرِيَاءِ، أَحْمَدُهُ عَلَى تَوَاتُرِ نِعَمِهِ، وَقَدِيمِ إِحْسَانِهِ وَقَسْمِهِ، حَمْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ مَوْلَاهُ الْكَرِيمَ يُحِبُّ الْحَمْدَ، فَلَهُ الْحَمْدُ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَصَلَوَاتُهُ عَلَى الْبَشِيرِ النَّذِيرِ، السِّرَاجِ الْمُنِيرِ، سَيِّدِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، ذَلِكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ، وَعَلَى أَصْحَابِهِ الْمُنْتَخَبِينَ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ سَائِلًا سَأَلَ عَنْ مَذْهَبِنَا فِي الْقَدَرِ؟ فَالْجَوَابُ فِي ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نُخْبِرَهُ بِمَذْهَبِنَا أَنَّا نَنْصَحُ لِلسَّائِلِ، وَنُعَلِّمُهُ أَنَّهُ لَا يَحْسُنُ بِالْمُسْلِمِينَ التَّنْقِيرُ وَالْبَحْثُ عَنِ الْقَدَرِ؛ لِأَنَّ الْقَدَرَ سِرٌّ مِنْ سِرِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، بَلِ الْإِيمَانُ بِمَا جَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ وَاجِبٌ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ، ثُمَّ لَا يَأْمَنُ الْعَبْدُ أَنْ يَبْحَثَ عَنِ الْقَدَرِ فَيُكَذِّبُ بِمَقَادِيرِ اللَّهِ الْجَارِيَةِ عَلَى الْعِبَادِ، فَيَضِلُّ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا هَلَكَتْ أُمَّةٌ قَطُّ إِلَّا بِالشِّرْكِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَا أَشْرَكَتْ أُمَّةٌ حَتَّى يَكُونَ بَدْوُ أَمْرِهَا وَشِرْكُهَا: التَّكْذِيبُ بِالْقَدَرِ"

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلَوْلَا أَنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لَمَّا بَلَغَهُمْ عَنْ قَوْمٍ ضُلَّالٍ شَرَدُوا عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ، وَكَذَّبُوا بِالْقَدَرِ، فَرَدُّوا عَلَيْهِمْ قَوْلَهُمْ، وَسَبُّوهُمْ وَكَفَّرُوهُمْ، وَكَذَلِكَ التَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ سَبُّوا مَنْ تَكَلَّمَ بِالْقَدَرِ وَكَذَّبَ بِهِ وَلَعَنُوهُمْ وَنَهَوْا عَنْ مُجَالَسَتِهِمْ، وَكَذَلِكَ أَئِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ يَنْهَوْنَ عَنْ مُجَالَسَةِ الْقَدَرِيَّةِ وَعَنْ مُنَاظَرَتِهِمْ وَبَيَّنُوا لِلْمُسْلِمِينَ قَبِيحَ مَذَاهِبِهِمْ فَلَوْلَا أَنَّ هَؤُلَاءِ رَدُّوا عَلَى الْقَدَرِيَّةِ لَمْ يَسَعْ مَنْ بَعْدَهُمُ الْكَلَامُ عَلَى الْقَدَرِ، بَلِ الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ: خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَاجِبٌ قَضَاءٌ وَقَدَرٌ، وَمَا قُدِّرَ يَكُنْ، وَمَا لَمْ يُقَدَّرْ لَمْ يَكُنْ، فَإِذَا عَمِلَ الْعَبْدُ

بِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، عَلِمَ أَنَّهَا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ لَهُ فَيَشْكُرُهُ عَلَى ذَاكَ وَإِنْ عَمِلَ بِمَعْصِيَتِهِ نَدِمَ عَلَى ذَلِكَ، وَعَلِمَ أَنَّهَا بِمَقْدُورٍ جَرَى عَلَيْهِ، فَذَمَّ نَفْسَهُ وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، هَذَا مَذْهَبُ الْمُسْلِمِينَ وَلَيْسَ لِأَحَدٍ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حُجَّةٌ، بَلْ لِلَّهِ الْحُجَّةُ عَلَى خَلْقِهِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ، فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ} [الأنعام: ١٤٩]

الإمام – رحمة الله عليه – في هذا الباب افترض سؤالا، طبعًا المقدمة هذه يبين لك أن هذا جزء جديد، لذلك هو بدأ قال: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ والدعاء الذي قاله، ثم قال: أَمَّا بَعْدُ، وهذا كله يبين بأن هذا كأنه جزء جديد في كتابه، ثم افترض بأن سائل يسأله عن مَذْهَبِنَا فِي الْقَدَرِ فأراد أن يبين أولًا بأنه ليس من عمل السلف الصالح أنهم يسألون، كما قال: وَنُعَلِّمُهُ أَنَّهُ لَا يَحْسُنُ بِالْمُسْلِمِينَ التَّنْقِيرُ وَالْبَحْثُ عَنِ الْقَدَرِ؛ لِأَنَّ الْقَدَرَ سِرٌّ مِنْ سِرِّ اللَّهِ . إذًا الأصل أنك تؤمن بالقدر كما جاء، لكنه يبين بأن لم يكن أهل الإسلام يبحثون في مسألة القدر، بل كما قال: الْإِيمَانُ بِمَا جَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ وَاجِبٌ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ . لكن لو تسأل مدارسة، تسأل لمعرفة عقيدة أهل السنة والجماعة، لكن الأصل أن لم يكن هذا السؤال موجود في زمن السلف الصالح، بل كانوا يؤمنون بالقدر خيره وشره، يؤمنون بالمقادير؛ أن الله عز وجل قدر ذلك؛ سواء كانت من الخير أو من الشر، لذلك قال: ، ثُمَّ لَا يَأْمَنُ الْعَبْدُ أَنْ يَبْحَثَ عَنِ الْقَدَرِ فَيُكَذِّبُ بِمَقَادِيرِ اللَّهِ الْجَارِيَةِ عَلَى الْعِبَادِ . إذًا لماذا كانوا لا يفعلون؟ خوفًا من أنه يُفتَن عند البحث أو غير ذلك فيؤدي منه أن يكذب بمقادير الله عز وجل، فيضل عن طريق الحق.

إذًا هم منعوا السؤال في ذلك لأنه ليس فيه فائدة، وأن هذا سر كما قال علماؤنا (القدر سر من أسرار الله عز وجل) فالمرء لا يسأل عن هذه الأمور، لكنه يؤمن بها كما نزلت، ويؤمن بأن كل شيء بقدر من الله عز وجل، ولا يسأل عن أمور السر هذه، كما لا يسأل عن الغيبيات. إذًا ما جاء من الغيب أنبأنا به الله عز وجل في كتابه أو في سنة النبي ﷺ آمنا به، وما لا نعلمه لا نسأل عنه ولا عن كيفيته، كذلك القدر كما قلت القدر سر، لذلك هو بيَّن لنا لماذا لم يكن يُسئل عنه؛ مخافة أن يقع المرء في الفتنة إن سار في هذا الطريق، وإن استشهد بحديث حقيقة فيه ضعف: [مَا هَلَكَتْ أُمَّةٌ قَطُّ إِلَّا بِالشِّرْكِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَا أَشْرَكَتْ أُمَّةٌ حَتَّى يَكُونَ بَدْوُ أَمْرِهَا وَشِرْكُهَا: التَّكْذِيبُ بِالْقَدَرِ] الحديث فيما أعلم أنه حديث ضعيف لكن المعنى لا إشكال فيه.

ثم بيَّن: "وَلَوْلَا أَنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لَمَّا بَلَغَهُمْ عَنْ قَوْمٍ ضُلَّالٍ.." هذا الذي قلناه لما جاء يحيى بن يعمر مع حميد إلى المدينة فسألوا ابن عمر وكان في أواخر زمان ابن عمر وابن عباس، فلما علموا الصحابة بظهور ذلك قال: "لَمَّا بَلَغَهُمْ عَنْ قَوْمٍ ضُلَّالٍ شَرَدُوا عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ، وَكَذَّبُوا بِالْقَدَرِ، فَرَدُّوا عَلَيْهِمْ قَوْلَهُمْ"، إذًا ما قام الصحابة بالرد إلا لما وجدوا البدعة قد ظهرت، فأرادوا أن يميتونها لأن هذا من أصول الدين، هذا من أركان الإيمان الستة؛ الإيمان بالقدر،" فَرَدُّوا عَلَيْهِمْ قَوْلَهُمْ، وَسَبُّوهُمْ وَكَفَّرُوهُمْ، وَكَذَلِكَ التَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ سَبُّوا مَنْ تَكَلَّمَ بِالْقَدَرِ وَكَذَّبَ بِهِ وَلَعَنُوهُمْ وَنَهَوْا عَنْ مُجَالَسَتِهِمْ" .

إذًا هذا يبين لك بأن إن ظهرت البدعة انبرى لها الصحابة الكرام وانبرى لها التابعون ومن بعدهم من أهل العلم، وهذا هو الحق؛ إن كان الأمر لا يُتكَلم فيه فلا يُسئَل عنه، لكن لما يظهر وكان فيه البدعة وكان فيه المخالفة لا يصح السكوت هنا، لابد أنك تدافع عن الحق، وتبين البدعة وترد على البدعة بالسنة حتى تموت البدعة، وإلا لو تركت البدعة كما قال "مع كل اظهار للبدعة موت للسنة" فلا يمكن أن تترك البدعة تعلو. لذلك كان هذا منهج الصحابة الكرام، وهذا المفترض أن يقوم به أهل العلم من بعدهم إلى قيام الساعة؛ والله عز وجل سيقيد في الأمة من يقوم لرد البدعة وإحياء السنة.

قال: وَكَذَلِكَ أَئِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ يَنْهَوْنَ عَنْ مُجَالَسَةِ الْقَدَرِيَّةِ وَعَنْ مُنَاظَرَتِهِمْ وَبَيَّنُوا لِلْمُسْلِمِينَ قَبِيحَ مَذَاهِبِهِمْ. لذلك نقوم نحن بالدراسة، هذا يبين لك لماذا نحن ندرس هذه الأمور؛ لأن القول موجود، والطائفة موجودة، وفي كل زمان هي موجودة، وإن لم يكن التصريح بالقول لكن هناك لوازم لهذا القول، فأصبح لابد أنك تعلم أقوال هؤلاء القوم والرد عليهم وكيفيه الصد عن هذه البدع حتى تبين السنة، وهذا هو دأب أئمة المسلمين.

وأيضًا تكلم في مسألة النهي عن المناظرة، لما تكلمنا في مسألة المناظرة والجدال والمراء، إلا إذا كان فيه اظهارًا للحق وموتًا للباطل، وذلك بالضوابط التي تكلمنا عنها في أبواب المراء والجدال وغير ذلك ، وأما غير ذلك فلا يحسن أنك تتناظر وتجادل معهم في هذا الأمر.

فَلَوْلَا أَنَّ هَؤُلَاءِ رَدُّوا عَلَى الْقَدَرِيَّةِ لَمْ يَسَعْ مَنْ بَعْدَهُمُ الْكَلَامُ عَلَى الْقَدَرِ، ردوا، لكن لو كان هم لم يردوا ولم يضع الله لنا هذا المنهج ما كنا سنتكلم، كنا سنسكت اتباعًا لسنة من قبلنا، لكن لما هم فعلوا ذلك فوجوبًا علينا أيضًا أننا نفعل ذلك، ونتعلمه. وهذا يرد لك على الذي يقول لماذا تتعلم التوحيد، فالأمة بفطرتها على التوحيد؟ وينكرون على أهل العلم الذين يُدَرِّسون كتب

العقيدة سواء في الاسماء والصفات، أو في القدر، أو في الإيمان، أو في الشرك، يقول لك الأمة فطرتها على التوحيد، لا يوجد شرك في الأمة، بل ينكر عليك أنك تدرس العقيدة، والأمة يمتلئ فيها الشرك، والبدعة موجودة، والشرك موجود، والمخالفة في الإيمان موجودة، والمخالفة في القدر موجودة، وهو لا يريدك أن تفعل ذلك لأن هو عنده مأرب؛ هو أصلًا على مخالفة وهو لا يريدك أن تنشر عقيدة أهل السنة والجماعة، ويرموك بألفاظ تشددية وهابية،... كل الكلام الذي يخالف مذهبهم يرموا به أهل السنة والجماعة.

لكن الحق أن أهل السنة لابد أن يثبتوا على ما هم عليه، ويبلغون هذا المنهج وينشرونه ولا يقفون، ولا يصح السكوت حاليًا خاصة مع محاولة نشر مذهب الأشاعرة على أنه مذهب من أهل السنة والجماعة! والعجيب أن بعض الناس من نظن بهم الخير يتكلمون على أن الأشاعرة والماتريدية من أهل السنة والجماعة مع أهل الحديث! وهذا كلام باطل ما يصح! نحن نقول هم من أهل القبلة نعم لكن هم ليسوا من أهل السنة والجماعة، هم يخالفوا، هم ضلال عن أهل السنة والجماعة، فالمسألة ليست فقط في الأسماء والصفات، لكن المسألة في أسماء وصفات وفي قدر وفي إيمان وفي أصول وفي عقل قبل النقل عندهم إلى غير ذلك، فكيف يكون هم من أهل السنة والجماعة وأصولهم تخالف أصول أهل السنة والجماعة؟! حتى في الصفات التي يتكلموا عنها في ردهم لكلام الله والقرآن وغير ذلك.

فنقول في هذه المسألة أن لنا سلف ولله الحمد في كلام الإمام – رحمة الله عليه – بأننا لما وجدنا ائمتنا قد قاموا وردوا فيجب علينا أن نقوم نرد ونبين ذلك، ويُنشر تعلم كتب عقيدة السلف وأيضًا نشرها بين الناس، ونقل هذه العقيدة، لابد أن تنقل هذه العقيدة للناس جميعًا.

قال: الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ: خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَاجِبٌ قَضَاءٌ وَقَدَرٌ، وَمَا قُدِّرَ يَكُنْ، وَمَا لَمْ يَقَدَّرْ لَمْ يَكُنْ، القضاء ممكن يأتي بمعنى الأوامر والنواهي، وإحياء الشيء أو انعدامه أو تغييره، والقدر تقديره، لذلك ممكن يقال أن القدر سابق على القضاء {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا} [الفرقان:2]، والقدر يثبت بالكتاب وبالسنة{ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} [القمر:49] فآيات وأحاديث الإيمان بالقدر ثابتة.

قال: "بَلِ الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ: خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَاجِبٌ قَضَاءٌ وَقَدَرٌ، وَمَا قُدِّرَ يَكُنْ، وَمَا لَمْ يَقَدَّرْ لَمْ يَكُنْ، فَإِذَا عَمِلَ الْعَبْدُ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، عَلِمَ أَنَّهَا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ لَهُ فَيَشْكُرُهُ " هنا انظر.. من الأصول وستأتي أبواب تفصيلية في الكتاب " إِذَا عَمِلَ الْعَبْدُ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، عَلِمَ أَنَّهَا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ لَهُ فَيَشْكُرُهُ عَلَى ذَاكَ وَإِنْ عَمِلَ بِمَعْصِيَتِهِ نَدِمَ عَلَى ذَلِكَ، وَعَلِمَ أَنَّهَا بِمَقْدُورٍ جَرَى

عَلَيْهِ، فَذَمَّ نَفْسَهُ وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ" يبين أن أهل السنة يعلمون بأن القدر خيره وشره من عند الله عز وجل، لكن لو جاء الخير علم أنه بتوفيق الله وتسديده له فهذا من نعمة الله عز وجل عليه، وإن فعل الشر فهذا من فعله فاستغفر لأنه أساء بذلك، لكنه يعلم أن كله مخلوق؛ القدر الخير والشر كله من عند الله عز وجل، وكله بتوفيق الله إن كان خيرًا، ومن العبد وهو يُسئل عن الشر، كما قال النبي ﷺ [والشر ليس إليك] إذًا هو خلقًا وايجادًا من الله، وفعلًا وكسبًا من العبد، فالله خالق كل شيء؛ الخير والشر، ولكن الشر هذا يكون كما قال تأدبًا في القرآن: {وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا} [الجن:10] انظر.. جعله مبني للمجهول، فهذا تأدبًا، كما قال النبي ﷺ: [والشَّرُّ ليس إليكَ]. لكن هنا يعلم بأن التوفيق والثبات في الطاعة من الله، والشر يستغفر ويعلم أنها بقدر من الله عز وجل لكن يستغفر على ذلك.

هَذَا مَذْهَبُ الْمُسْلِمِينَ وَلَيْسَ لِأَحَدٍ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حُجَّةٌ، بَلْ لِلَّهِ الْحُجَّةُ عَلَى خَلْقِهِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ، فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ} [الأنعام: ١٤٩] {يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَـٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَـٰنِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ} [الحجرات:17] إذًا الله عز وجل هو الذي يمن على الناس أن هداهم للإيمان، كما جاء [يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟] الله يبين أن الله هو الذي يمن علينا بأن هدانا، وهذا الحق، انظر الآن إلى المليارات التي في الأمة، كم منهم من المسلمين وكم منهم من الكفار؟ لتعلم أين أنت من هؤلاء، ما تجد أعداد المسلمين خُمس العالم ولا أقل، بل وتجد من المسلمين أيضًا من هم ليسوا على أهل السنة والجماعة يمكن اسمًا فقط، ثم الله يصطفيك من هؤلاء ثم يصطفيك أيضًا من هؤلاء أن تكون من أهل الطاعة ومن أهل التزام والاستقامة، ويصطفيك أكثر أن تكون من أهل العلم ويفتح لك أبواب العلم، فهذه منة من الله عز وجل عليك، أنت لا تمن على الله بشيء، لكن الله هو الذي يمن عليك بأنه أراد لك هذا الخير ووفقك وسددك إلى ذلك، وهذا هو فقه الإيمان بالقدر.

لذلك حقًا دراسة الإيمان بالقدر كما البعض يقول: "ما ازدت إيمانًا إلا بعد أن تعلمت باب الإيمان بالقدر، وما ازداد علو الإيمان في قلبي إلا بعد أن تعلمت باب الإيمان بالقدر" فنعم {ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ} [الأعراف:43] نعم هذه نعمة والله نحن ما نستشعرها. لذلك أقول دراسة باب الإيمان بالقدر يجعل المرء يشعر بإيمانات عالية جدًا ومرتفعة وتدفعه أصلًا لاستدامة ذلك، كما جاء عن النبي ﷺ كما قلنا الأسبوع

الماضي لما جاء في الحديث بأن النبي ﷺ يقول: [**بشرهما بالجنة**] أي أبو بكر وعمر، خشي عليهما من كثرة الهمة في ذلك إذا علما.

فالمرء لما ينظر إلى الإيمان بالقدر ويعلم أن ما فيه من طاعة فهو من فضل الله عليه فتجد نفسه في نعمة يريد أن يشكر الله عز وجل عليها فيجتهد أكثر لينال ما عند الله أكثر، وهذه حقيقة من أفضل النعائم التي يجدها المرء ثمرة في دراسة الإيمان بالقدر، المسألة ليست دراسة منهجية فقط، لا، بل الإيمان بالقدر هذا يجعلك في مرتبة عليا جدًا عن غيرك ممن لا يفقه هذا الباب.

قال المصنف – رحمه الله تعالى –:

ثُمَّ اعْلَمُوا رَحِمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ أَنَّ مَذْهَبَنَا فِي الْقَدَرِ أَنَّ الْقَدَرَ أَنْ نَقُولَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ الْجَنَّةَ وَخَلَقَ النَّارَ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا أَهْلًا، وَأُقْسِمُ بِعِزَّتِهِ أَنَّهُ يَمْلَأُ جَهَنَّمَ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، ثُمَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَاسْتَخْرَجَ مِنْ ظَهْرِهِ كُلِّ ذُرِّيَّةٍ هُوَ خَالِقُهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ جَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ فَرِيقًا فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقًا فِي السَّعِيرِ وَخَلَقَ إِبْلِيسَ، وَأَمَرَهُ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَسْجُدُ لِلْمَقْدُورِ، الَّذِي قَدْ جَرَى عَلَيْهِ مِنَ الشِّقْوَةِ الَّتِي قَدْ سَبَقَتْ فِي الْعِلْمِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لَا مُعَارَضَ لِلَّهِ الْكَرِيمِ فِي حُكْمِهِ، يَفْعَلُ فِي خَلْقِهِ مَا يُرِيدُ عَدْلًا مِنْ رَبِّنَا قَضَاؤُهُ وَقَدَرُهُ، وَخَلَقَ آدَمَ وَحَوَّاءَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، لِلْأَرْضِ خَلَقَهُمَا، وَأَسْكَنَهُمَا الْجَنَّةَ، وَأَمَرَهُمَا أَنْ يَأْكُلَا مِنْهَا رَغَدًا مَا شَاءَا، وَنَهَاهُمَا عَنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ أَنْ لَا يَقْرَبَاهَا، وَقَدْ جَرَى مَقْدُورُهُ أَنَّهُمَا سَيَعْصِيَانِهِ بِأَكْلِهِمَا مِنَ الشَّجَرَةِ، فَهُوَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الظَّاهِرِ يَنْهَاهُمَا، وَفِي الْبَاطِنِ مِنْ عِلْمِهِ: قَدْ قَدَّرَ عَلَيْهِمَا أَنَّهُمَا يَأْكُلَانِ مِنْهَا: {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} [الأنبياء: ٢٣] لَمْ يَكُنْ لَهُمَا بُدٌّ مِنْ أَكْلِهِمَا، سَبَبًا لِلْمَعْصِيَةِ، وَسَبَبًا لِخُرُوجِهِمَا مِنَ الْجَنَّةِ، إِذْ كَانَا لِلْأَرْضِ خُلِقَا، وَأَنَّهُ سَيَغْفِرُ لَهُمَا بَعْدَ الْمَعْصِيَةِ، كُلُّ ذَلِكَ سَابِقٌ فِي عِلْمِهِ، لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ يَحْدُثُ فِي جَمِيعِ خَلْقِهِ، إِلَّا وَقَدْ جَرَى مَقْدُورُهُ بِهِ، وَأَحَاطَ بِهِ عِلْمًا قَبْلَ كَوْنِهِ أَنَّهُ سَيَكُونُ خَلَقَ الْخَلْقَ كَمَا شَاءَ لَمَّا شَاءَ، فَجَعَلَهُمْ شَقِيًّا وَسَعِيدًا قَبْلَ أَنْ يُخْرِجَهُمْ إِلَى الدُّنْيَا، وَهُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ، وَكَتَبَ آجَالَهُمْ، وَكَتَبَ أَرْزَاقَهُمْ، وَكَتَبَ أَعْمَالَهُمْ، ثُمَّ أَخْرَجَهُمْ إِلَى الدُّنْيَا، وَكُلُّ إِنْسَانٍ يَسْعَى فِيمَا كَتَبَ لَهُ وَعَلَيْهِ، ثُمَّ بَعَثَ رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ وَحْيَهُ، وَأَمَرَهُمْ بِالْبَلَاغِ لِخَلْقِهِ، فَبَلَّغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ، وَنَصَحُوا قَوْمَهُمْ، فَمَنْ جَرَى فِي مَقْدُورِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُؤْمِنَ آمَنَ، وَمَنْ جَرَى فِي مَقْدُورِهِ أَنْ

يَكْفُرَ كَفَرَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [التغابن: ٢] أَحَبَّ مَنْ أَرَادَ مِنْ عِبَادِهِ، فَشَرَحَ صَدْرَهُ لِلْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ، وَمَقَتَ آخَرِينَ، فَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا، يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ: {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} [الأنبياء: ٢٣] الْخَلْقُ كُلُّهُمْ لَهُ يَفْعَلُ فِي خَلْقِهِ مَا يُرِيدُ، غَيْرَ ظَالِمٍ لَهُمْ، جَلَّ ذِكْرُهُ أَنْ يُنْسَبَ رَبُّنَا إِلَى الظُّلْمِ مَنْ يَأْخُذُ مَا لَيْسَ لَهُ بِمِلْكٍ، وَأَمَّا رَبُّنَا تَعَالَى فَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَمَا تَحْتَ الثَّرَى، وَلَهُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ، جَلَّ ذِكْرُهُ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ، أَحَبَّ الطَّاعَةَ مِنْ عِبَادِهِ وَأَمَرَ بِهَا، فَجَرَتْ مِمَّنْ أَطَاعَهُ بِتَوْفِيقِهِ لَهُمْ، وَنَهَى عَنِ الْمَعَاصِي، وَأَرَادَ كَوْنَهَا مِنْ غَيْرِ مَحَبَّةٍ مِنْهُ لَهَا، وَلَا لِلْأَمْرِ بِهَا، تَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ عَنْ أَنْ يَأْمُرَ بِالْفَحْشَاءِ، أَوْ يُحِبَّهَا وَجَلَّ رَبُّنَا وَعَزَّ مِنْ أَنْ يَجْرِي فِي مُلْكِهِ مَا لَمْ يُرِدْ أَنْ يَجْرِيَ، أَوْ شَيْءٌ لَمْ يَحُطْ بِهِ عِلْمُهُ قَبْلَ كَوْنِهِ، قَدْ عَلِمَ مَا الْخَلْقُ عَامِلُونَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ، وَبَعْدَ أَنْ خَلَقَهُمْ، قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا قَضَاءً وَقَدَرًا قَدْ جَرَى الْقَلَمُ بِأَمْرِهِ تَعَالَى فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ بِمَا يَكُونُ، مِنْ بِرٍّ أَوْ فُجُورٍ، يُثْنِي عَلَى مَنْ عَمِلَ بِطَاعَتِهِ مِنْ عَبِيدِهِ، وَيُضِيفُ الْعَمَلَ إِلَى الْعِبَادِ، وَيَعِدُهُمْ عَلَيْهِ الْجَزَاءَ الْعَظِيمَ، وَلَوْلَا تَوْفِيقُهُ لَهُمْ مَا عَمِلُوا بِمَا اسْتَوْجَبُوا بِهِ مِنْهُ الْجَزَاءَ، {ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [الحديد: ٢١] , وَكَذَا ذَمَّ قَوْمًا عَمِلُوا بِمَعْصِيَتِهِ، وَتَوَعَّدَهُمْ عَلَى الْعَمَلِ بِهَا وَأَضَافَ الْعَمَلَ إِلَيْهِمْ بِمَا عَمِلُوا، وَذَلِكَ بِمَقْدُورٍ جَرَى عَلَيْهِمْ، يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذَا مَذْهَبُنَا فِي الْقَدَرِ الَّذِي سَأَلَ عَنْهُ السَّائِلُ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: مَا الْحُجَّةُ فِيمَا قُلْتَ؟ قِيلَ لَهُ: كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَسُنَّةُ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَسُنَّةُ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَقَوْلُ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ قَالَ: فَاذْكُرْ مِنْ ذَلِكَ مَا نَزْدَادُ بِهِ عِلْمًا وَيَقِينًا، قِيلَ لَهُ: نَعَمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَاللَّهُ الْمُوَفِّقُ لِكُلِّ رَشَادٍ، وَالْمُعِينُ عَلَيْهِ بِمَنِّهِ

هذا ملخص المقدمة الذي قالها الإمام، كلام بديع جدًا لخص فيه عقيدة السلف في مسألة الإيمان بالقدر بيَّن فيه الإمام بداية من خلق الله عز وجل لآدم، بيَّن أولًا الإيمان بالقضاء والقدر، مَا قُدِّرَ يَكُنْ، وَمَا لَمْ يَقَدَّرْ لَمْ يَكُنْ. وبينا قلنا بأن العبد إذا علم بطاعة الله علم أنها بتوفيق من الله، وإذا عمل بمعصيته علم أنها بمقدور جرى عليه فذم نفسه واستغفر الله. ثم بيَّن بأن الله عز وجل خلق الجنة، وخلق النار، وخلق الناس منهم كافر ومنهم مسلم،{هُوَ الَّذِي

خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [التغابن: 2] والله عز وجل خلق أناس وقدَّر عليهم أنهم من أهل الإيمان، وخلق أناس وقدَّر عليهم أنهم من أهل الكفر، هذا يبين أن الناس على قسمين؛ إيمان وكفر لا ثالث لهما. وبدأ كما ذكر بداية من خلق الله عز وجل لآدم أنه خلق آدم واستخرج من ظهره كل ذرية هو سيخلقها ليوم القيامة ميثاق الذر وأخذ عليهم الميثاق بعد ذلك، وسبحانه وتعالى خلق آدم لينزل إلى الارض فلما طلب منه ألا يأكل من الشجرة وجاء الشيطان فوسوس إليه فأكل فبدت السوءات، ثم غفر الله عز وجل لآدم وزوجه، ولأنه قد كتب الله عز وجل أنه لابد أنه من أهل الأرض فنزل إلى الأرض، كما قدَّر الله ذلك سبحانه وتعالى من أول خلق آدم وحواء أنهما خُلقا للأرض وقدر المقدور عليهما بأنه أنزلهم إلى الأرض وأنزل الرسل بعد ذلك تتتابع إلى الناس بدعوتهم إلى شريعة الله عز وجل، وكل هذا كان بقدر مقدور من الله عز وجل.

وكذلك كل من خُلِق بعد ذلك؛ منهم من يكون شقيًا ومنهم من يكون سعيدًا، قدَّر الله عز وجل عليه ذلك؛ منهم من قدَّر عليهم الشقاء ومنهم من قدَّر عليهم السعادة، كتب الآجال وكتب الأرزاق – كما يأتي في حديث المَلَك عندما ينزل في الجنين إلى غير ذلك – وكتب أعمالهم وكتب موعد خروجهم من الدنيا – وهو الموت – وكل إنسان سيسير على هذا الكتاب الذي قد كتبه الله عز وجل له. فمن أحبه من عباده شرح صدره للإيمان ومن كره من عباده شرح صدره للكفر، كما جاء من قوله تعالى: {وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ} [الحجرات:7]، والله عز وجل هو الذي حبب لأهل طاعته الإيمان وزينه في قلوبهم وكرَّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان لِما علم سبحانه وتعالى من سابق علمه بأن هؤلاء من أهل الجنة أو من أهل الطاعة، وكذلك لِما سبق من علمه أن هؤلاء من أهل الكفران أو أهل الجحيم فلم يحبب إليهم الإيمان ولم يزينه في قلوبهم وحبب إليهم الكفر والعصيان.

يوجد كلام هنا سنشير إليه ذكره الإمام وفيه نظر؛ وهو عندما قال في الجملة في مسألة الظلم لما قال بعد أن قال قوله تعالى: {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} [الأنبياء: 23] قال:" الْخَلْقُ كُلُّهُمْ لَهُ يَفْعَلُ فِي خَلْقِهِ مَا يُرِيدُ، غَيْرَ ظَالِمٍ لَهُمْ" حتى هنا لا إشكال، "جَلَّ ذِكْرُهُ أَنْ يُنْسَبَ رَبُّنَا إِلَى الظُّلْمِ مَنْ يَأْخُذُ مَا لَيْسَ لَهُ بِمِلْكٍ"، الإشكال كله الآن أنه عرَّف الظلم أنه "مَنْ يَأْخُذُ مَا لَيْسَ لَهُ بِمِلْكٍ" الإشكال عندنا أن هذا تعريف الظلم عند الأشاعرة؛ أن **الأشاعرة** لما يعرفون الظلم يقولون: "هو التصرف في ملك الغير" وهذا تعريف الأشاعرة للظلم ، وهنا كلام الشيخ

يوافق ذلك، لأن **أهل السنة والجماعة** لمَّا يعرفون الظلم حقيقة لا يعرفون الظلم هكذا، لا يقولون بأن الظلم التصرف في ملك الغير، لكن يقولون: "الظلم: وضع الشيء في غير موضعه"، هذا فارق في تعريف الظلم عندنا؛ أهل السنة يقولون أن الظلم "وضع الشيء في غير موضعه"، لذلك يقولون أن الله قادر على الظلم لكن منزه عنه، أما عند الأشاعرة يعرفون الظلم بأنه التصرف في ملك الغير. فلماذا عند الأشاعرة يقولون بأن الله عز وجل يمتنع عليه الظلم؟ لأن عندهم الله مالك كل شيء، فهو كل ما يُقَدَّر في الذهن من الممكنات ليس بظلم، أي كل ما تقدره أنت في ذهنك من الممكن يحدث – وإن فعله الله عز وجل – ليس بظلم لأن الله يفعل في ملكه، هم يقولون أن الله مالك كل شيء، ونعم الله مالك كل شيء، لكن هم يقولون بأن مادام هو مالك إذًا له الحق أن يفعل ما يريد. وهذا الذي قاله المؤلف هنا؛ قال: "جَلَّ ذِكْرُهُ أَنْ يُنْسَبَ رَبُّنَا إِلَى الظُّلْمِ مَنْ يَأْخُذُ مَا لَيْسَ لَهُ بِمِلْكٍ" الكلام النظر فيه بأنه وافق قول الأشاعرة في تعريف الظلم، أما أهل السنة يقولون بأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه، فيقولون أن الله سبحانه وتعالى قادر على الظلم من حيث القدرة لكن منزه سبحانه وتعالى، قال: {وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا} [طه:112]، "فلا يخاف ظلمًا" أي لا يخاف أن يُحَمَّل عليه سيئات غيره، هذا الظلم هنا، "ولا هضمًا" أي لا نهضم حقه من حسناته فنأخذها منه، والله عز وجل يقول:{ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ } [النساء:40]، وقال سبحانه وتعالى:{وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ} [فصلت:46]، و{فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا } [الأنبياء:47]، كل هذه آيات نفى الله عز وجل فيها الظلم عن نفسه. وأيضًا جاء في صحيح مسلم من حديث أبي ذر أن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه قال:[**يا عِبادي، إنِّي حَرَّمتُ الظُّلمَ على نَفسي، وجَعَلتُه بينَكُم مُحَرَّمًا، فلا تَظالَموا**]. إذًا كل الآيات والأحاديث تبين أن الله نزه نفسه عن الظلم مع قدرته عليه، فهو لا ينزه نفسه عن شيء ممتنع عليه، بل الله عز وجل حرَّم على نفسه الظلم، فهو قادر نعم، لكنه حرَّم على نفسه الظلم.

لذلك حتى الطوائف كما ذكر شيخ الإسلام بن تيمية في الفتاوى قال اتفق المسلمون على أن الله منزه عن الظلم لكن تنازع الناس في معنى الظلم، فذكر قول الأشاعرة بأنهم يقولون بأن الظلم عندهم هو التصرف في ملك الغير، والمعتزلة أيضًا لما عرفوا الظلم وقعوا في إشكالية أنهم جعلوا الظلم الذي يُنزَّه عنه الله كالظلم الذي يُنزَّه عنه العباد؛ أي أنهم شبهوا الخالق بالمخلوق في مسألة الظلم هذه. ثم ذكر أيضًا قول الأشاعرة وبعض العلماء الذين قالوا أيضًا نفس هذا التعريف بأن الظلم هو التصرف في ملك الغير، قالوا: "التصرف في ملك الغير أو الخروج عن طاعة من تجب طاعته" فهذا يعد ظلمًا.

فالأشاعرة يريدون أن يقولوا أن كل ما تتخيل أنه ممكن أن يكون ظلم لن يكون ظلم لأنه يفعل ما يريد في ملكه، فهو يقول كأن الذي يريد أن يفعله سيفعله لكن لأنه في ملكه فلا يعد سوءًا، بخلاف لو فعله غيره فيعد سوءًا. نقول: لا، ليس هذا هو الظلم، لكن الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، الله عز وجل قادر أن يفعل نعم لكنه لا يمكن أن يفعل هذا لأنه نزه نفسه عن ذلك.

فالشاهد أن تعريف أهل السنة أضبط وليس بسبب أنه يملك فإنه لن يظلم، أي كأنك أنت مالك هذا المكان فتفعل فيه ما تريد لأنه ملكك، هذا ليس تأدب، لكن أقول: لا، الله لا يفعل الظلم لأنه نزه نفسه عن الظلم، لأن الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه والله عز وجل لا يمكن أن يفعل شيء في غير موضعه، ليس لأنه يملك! هذا هو الفارق.

ولذلك لما تجد الآيات والأحاديث كحديث البطاقة الرجل الذي وُضعت سجلاته كلها من السيئات ثم سُئل هل لك فيها كلام؟ قال: لا، أُقر، قال: لك عندنا حسنات؟ قال ما تفعل حسنات في هذا؟ قال "لا تُظلم"، فوضعت الحسنات ومنها البطاقة، فهنا يبين بأن هذا هو العدل الذي يقصد به. وقوله تعالى أيضًا: {ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ} [غافر:17]، وقوله تعالى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا} [الإسراء:15]، أي لا يعاقِب الله عز وجل إلا بعد إرسال الرسل وبعد إقامة الحجة عليهم،{وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبۡعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا كُنَّا مُهۡلِكِي ٱلۡقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهۡلُهَا ظَٰلِمُونَ} [القصص:59].

هذا ما أردته في المسألة الإشارة فقط إلى ما قاله المؤلف في مسألة تعريفه للظلم، وأنه فيه نظر في هذه المسألة على أنه يوافق فيه قول الأشاعرة.

ونختم بهذا... أن من أراد أن يحتج بقول الأشاعرة يُشكل في حديث ابن ديلمي في السنن الذي قال فيه: [أتيت أُبَيَّ بنَ كعبٍ ، فقلتُ له : وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيءٌ مِن القدَرِ ، فَحَدِّثْنِي بِشيءٍ ، لَعَلَّ اللَّهَ يُذْهِبُه مِن قَلبِي] فقال أبي بن كعب: [لو أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَوَاتِه وأَهْلَ أَرْضِهِ لَعَذَّبَهم غَيْرَ ظَالِمٍ لَهُمْ ، ولو رَحِمَهم كَانَتْ رَحْمَتُه خَيْرًا لَهم مِن أَعْمَالِهم ، وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُد ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبِلَهُ اللَّه مِنك حَتَّى تُؤْمِنَ بالقَدَر ، وتعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَك لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَك ، وأَنَّ ما أَخْطَأَك لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَك ، وَلَوْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هذا لَدَخَلْتَ النَّارَ] . قال: [ثم أتيتُ عبدَ اللهِ بنَ مسعودٍ ، فقال مِثلَ ذلك . قال: ثم أتيتُ حُذيفةَ بنَ اليمانِ فقال مِثلَ ذلك . ثم أتيتُ زيدَ بنَ ثابتٍ ، فحدَّثني عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مِثلَ ذلك] والحديث صحيح في صحيح الجامع وصححه الشيخ الألباني، فأصبح هذا مرفوعًا

للنبي ﷺ. ممكن يأتي الأشاعرة ويقولون هنا في الحديث أوله: [لو أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَوَاتِه وأَهْلَ أَرْضِهِ لَعَذَّبَهم غَيْرَ ظَالِمٍ لَهُمْ، ولو رَحِمَهم كَانَتْ رَحْمَتُه خَيْرًا لَهُم] فقالوا هنا لماذا سيعذبهم؟ لأنه يملكهم، بعض الأشاعرة ممكن يستدلون بهذا؛ قال في الحديث: [لَعَذَّبَهم غَيْرَ ظَالِمٍ لَهُمْ]، فهو يقول "بحق الملك أنه يملكهم" وهذا ادعاء للأشاعرة. لكن هذا الكلام لا يستقيم، لأن معنى الحديث أن لو عذبهم لكانوا يستحقون هذا العذاب لأن أعمالهم لم تفي بنجاتهم. طيب من أين هذا الكلام؟ لابد يأتي بدليل، فتقول: جاء في الصحيح أن النبي ﷺ قال: [لَن يُنَجِّيَ أَحَدًا منكم عَمَلُه، قالوا: ولا أنتَ يا رَسولَ اللهِ؟ قال: ولا أنا، إلَّا أن يَتَغَمَّدَنِي اللهُ برَحمةٍ] إذًا سبب عدم النجاة العمل. إذًا هنا سنرجع لتعريف الظلم عند أهل السنة: "وضع الشيء في غير موضعه"، وليس مسألة الملكية في المسألة.

وفي الحديث أيضًا: [ولو رَحِمَهم كَانَتْ رَحْمَتُه خَيْرًا لَهُم مِن أَعْمَالِهِم] لأن الرحمة أعلى في الأجر من الأعمال، ولما عذبهم في الأول عذبهم لأن أعمالهم كانت قاصرة، وأيضًا من الحديث الثاني الذي قلناه: [لَن يُنَجِّيَ أَحَدًا منكم عَمَلُه] لكن هنا يبين أن المسألة ليست على الملكية، بل المسألة على العمل. فنقول فقط إشارة حتى تنضبط، لأن البعض ممكن يقول التعريف هذا فتعلم أنه أصالة من تعريفات الظلم عند الأشاعرة، أما أهل السنة والجماعة فيقولون: "وضع الشيء في غير موضعه".

لذلك الرحمة ليست مقابلة الأعمال ولا ثمن للأعمال كما تقول المعتزلة، لكن الرحمة هذا فضل من الله عز وجل، قال: [لو رَحِمَهم كَانَتْ رَحْمَتُه خَيْرًا لَهُم مِن أَعْمَالِهِم] فجمع بين الأمرين في الحديث، ولو عذبهم لاستحقوا العذاب بسبب الأعمال ولم يكن ظالمًا لهم لأن أعمالهم لم تكفي، ولو رحمهم كان فضل من الله عز وجل.

سنقف عند هذا القدر وهو: بَابُ ذِكْرِ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ يَخْتِمُ عَلَى قُلُوبِ مَنْ أَرَادَ مِنْ عِبَادِهِ، سيُفَصِّل الشيخ وسيأتي بأبواب كثيرة فيها ذكر آيات فقط ليبين مسائل القدر، إن شاء الله نكمل في هذا الكلام، وسيطول معنا أبواب القدر، ونسأل الله عز وجل أن يفتح علينا وأن ييسر لنا.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب اليك

المحاضرة الأربعون

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام على موعد مع شرح كتاب الشريعة للإمام الآجري – عليه رحمة الله تعالى – وقد بدأنا الأسبوع الماضي في الكلام على القدر والجزء الرابع من هذا الكتاب المبارك، وبدأنا بباب الرد على القدرية، وبينا مراجعة لما قد ذكرناه في شرح حديث جبريل في هذا الكتاب أيضًا – في الإيمان – عن مسألة الإيمان بالقدر، تكلمنا اجمالًا في الأقوال في مسألة القدر، وبينا ثلاث أقوال مجملة؛ قول الجبرية، وقول أهل حرية الإرادة أو القدرية، والقول الوسط. وبينا أيضًا أن الخلاف في هذه المسألة يرجع لاثبات مراتب القدر الأربعة، وأيضًا على مسألة إرادة ومشيئة المخلوق، ومسألة عدم الجبر؛ أي التيسير والتخير.

اليوم إن شاء الله ندخل في الباب الذي يليه، وهي أبواب تفصيلية لبعض مسائل القدر ذكرها المؤلف من **بَابُ ذِكْرِ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ يَخْتِمُ عَلَى قُلُوبِ مَنْ أَرَادَ مِنْ عِبَادِهِ فَلَا يَهْتَدُونَ إِلَى الْحَقِّ، وَلَا يَسْمَعُونَهُ، وَلَا يُبْصِرُونَهُ، لِأَنَّهُ مَقَتَهُمْ فَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ.** وهذا الباب والذي سيليه

حقيقة باب عظيم جدًا؛ عظيم من ناحية أنه سيبين لنا في هذا الباب والذي يليه الآيات، والمصنف هنا حقيقة يبين لنا كأنه يفتح القرآن ويذكر لنا من القرآن تباعًا بترتيب بديع الآيات التي يبين فيها كما ذكر في تسمية الباب أن الله عز وجل أراد سبحانه وتعالى أن **يَخْتِمُ عَلَى قُلُوبِ مَنْ أَرَادَ مِنْ عِبَادِهِ فَلَا يَهْتَدُونَ إِلَى الْحَقِّ، وَلَا يَسْمَعُونَهُ، وَلَا يُبْصِرُونَهُ، لِأَنَّهُ مَقَتَهُمْ فَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ.**

وهذه المسألة وهذا المبحث والذي يليه أيضًا **بَابُ ذِكْرِ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَا يَهْدُونَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنَّهُ يَهْدِيهِ** هذا الباب التالي وهذا الباب الذي معنا يتعرض لمسألة كثير من الناس يتكلمون عنها؛ وهي مسألة الحكمة من خلق المعاصي والمصائب وتقديرها، وأن الله عز وجل لو أراد ألا يُعصى في الأرض لفعل، كما قال عمر بن عبد العزيز "لو أراد الله عز وجل ألا يُعصى ما خلق إبليس". فلذلك الله عز وجل خلق المعاصي وخلق المصائب، وكثير من الناس يسألون عن هذه المسألة، ويضلون في هذه المسألة؛ ما الحكمة من خلق الله عز وجل للمعاصي؟ وما الحكمة من خلق الله عز وجل وقضائه وتقديره للمصائب؟

نقول أن هذا السؤال أصل الإجابة عليه لابد أن يعتقد المرء أولًا اعتقادًا صحيحًا في الإيمان بالقدر، لأنه لا يُتصَور أن يسأل هذا السؤال رجل مثلًا يقول بالقدرية، لأن بالقدرية هو لا يرى أصلًا أفعال العباد مخلوقة من خلق الله عز وجل، ولا يمكن أيضًا أن يستشكل هذا الاستشكال من يقول بالجبر، لأنه يرى بأن الله عز وجل يفعل كل شيء وأنه لا حكمة في أفعاله أصلًا.

إذًا هذا السؤال أصالة لا يتدبره حقيقة ويغوص في معانيه إلا من آمن الإيمان الصحيح وهو إيمان اعتقاد أهل السنة والجماعة في مسألة القضاء والقدر، فيعلم بأن الله عز وجل قدَّر ذلك، وقدَّر المصائب والشرور والمعاصي. والحقيقة أن الذين اجتهدوا في بيان الحِكَم من ذلك من أهل العلم ليس بكثير، كما قال ابن القيم، وهو من الذين غاصوا في هذه المسألة وسنبين بعض الحِكَم الذي قالها وبعض التدبرات في مسألة الحكمة من خلق الله عز وجل للمعاصي والمصائب، بيَّن بأن كثير من أهل العلم تكلموا في الحكمة من الأمر والنهي، وتكلموا أيضًا من الحكمة في المخلوقات وخلق الله عز وجل للخلق عمومًا، لكن جاءوا عند هذا الباب ولم يغوص فيه كثير من أهل العلم.

طبعًا الإمام ابن القيم تكلم فيه كلامًا بديعا جدًا في كتابه "مفتاح دار السعادة"، وتكلم أيضًا في كتاب "القضاء والقدر"، وسنحاول أن نتكلم عن هذه المسألة بعد أن نقرأ هذه الآيات، لأن

مناسبة هذا الباب أننا نستشعر ونعلم – كما بوَّب المؤلف وجاءت الآيات – ما الحكمة أن الله عز وجل يطبع على قلوب هؤلاء، ويختم على قلوب هؤلاء، وأن الله يقدر المعاصي على هؤلاء، ويقدر فعل الذنوب منهم؟ ما الحكمة من ذلك؟ سنجد أن هناك حكم عظيمة جدًا، وفيها التفرقة أولًا بين من قدَّر الله عز وجل عليه ذلك وعلم في سابق علمه أن هذا من أهل السعادة فسيعود بعد أن قُدِّر عليه ذلك، ومن قدَّر الله عز وجل عليه ذلك وعلم في سابق علمه أن هذا من أهل الشقاوة، فلن ينتفع بهذه الحكم فلا يعود إلى ربه.

وهذه الحِكَم سنحاول إن شاء الله بعد ما ننتهي من قراءة الآيات أن نبينها ما استطعنا، لكن أيضًا لابد أن نبين بأن هذا الباب والأبواب التي تليها– أبواب القدر عمومًا – لابد فيها من استحضار الإيمان بالقدر كما جاء عن أهل السنة والجماعة، وان الأمور كلها بمشيئة الله عز وجل، وأن الله عز وجل ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن سبحانه وتعالى، إن شاء الهداية، إن شاء الرزق، إن شاء العافية، إن شاء الولد، إن شاء الضلالة، إن شاء العزة، إن شاء الذلة، إن شاء الموت، إن شاء الحياة، لابد سيكون هذا بقدر من الله عز وجل، بقضاء وبحكمة من الله.

وقد بين الله عز وجل في كثير من الآيات أن الله شاء ذلك، وأراد ذلك، كل هذه الأنواع التي قد بيناها، وسيأتي كما في الباب الذي يليه بأن الأنبياء لا يملكون الهداية ولا يملكون الضلالة كما قال الله عز وجل للنبي ﷺ: {إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ} [القصص:56]، ثم بيَّن: {وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [الشورى:52] على تفرق بين هداية التوفيق والسداد وهذه لا تكون إلا لله عز وجل، وأما هداية البيان والارشاد فهذه للرسل والعلماء من بعدهم إلى قيام الساعة، لكن الله عز وجل هو الذي يملك الهداية سبحانه وتعالى، وهو الذي يملك الضلالة أيضًا سبحانه وتعالى، وأن الهداية والرشاد وحدها لله بإرادة ومشيئة الله سبحانه وتعالى ولا معقب لحكمه، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

كل هذه الأمور لابد أن تلامس القلوب، ولابد أن يستحضرها المرء وهو يسير في هذه الحياة، لأنك عندما تسير في الحياة حتمًا ولابد ستصاب بمصائب، وستقع في الذنوب والمعاصي، وستأتي لك الابتلاءات، فإن لم تكن تطبق الإيمان بالقدر وتستخلص حكم من هذا الذي يحدث فلن تكون قد آمنت بالقدر حق الإيمان، بل هو إيمان ظاهريًا فقط. لذلك كما قال علماؤنا وسلفنا الصالح: (ما ازددت إيمانًا بالله عز وجل إلا بعد أن تعلمت أبواب القدر)، لأنه سيعلم، والقدر سر من أسرار الله عز وجل وأنت فقط حاول أنك تتلمس الحِكَم من أقدار الله عز وجل، وهذه حقيقة تتطلب من المرء بأنه لا يمر هكذا عليه ما يحدث في الكون، ولا يمر عليه ما

يحدث من مصائب أو ابتلاءات أو حتى نعائم تنزل عليه أو أمور فلابد من أن يستحضر حكمة الله في كل شيء، وتقدير الله في هذه الأمور، وأن يعلم أن ما يكون شيء إلا له حكمة عند الله، وأن الله أيضًا عدل، لأن هذه المسألة لابد أن تُضاف؛ بأنه لابد أن يؤمن إيمانًا تامًا بعدل الله عز وجل، وأن الله عز وجل ليس بظلام للعبيد كما قال سبحانه وتعالى في أكثر من آية، لأن البعض عندما لا يضبط هذه المسألة في الإيمان بالقدر يجنح؛ فإما أنه يقدح في ذلك أو يقع منه ما يقع.

فسنبين بإذن الله تعالى قدر ما نستطيع بعد أن نقرأ هذه الآيات الحكمة فيما سبق.

31- بَابُ ذِكْرِ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ يَخْتِمُ عَلَى قُلُوبِ مَنْ أَرَادَ مِنْ عِبَادِهِ فَلَا يَهْتَدُونَ إِلَى الْحَقِّ، وَلَا يَسْمَعُونَهُ، وَلَا يُبْصِرُونَهُ، لِأَنَّهُ مَقَتَهُمْ فَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَعَلَى سَمْعِهِمْ، وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ، وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [البقرة: ٧] وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ النِّسَاءِ {فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ، وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ، بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ، فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا} [النساء: ١٥٥] وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: {وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [المائدة: ٤١]، وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا} [الأنعام: ٢٥] الْآيَةَ وَقَالَ تَعَالَى فِي هَذِهِ السُّورَةِ: {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ، وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا، كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ، كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} [الأنعام: ١٢٥] وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: {إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ النَّحْلِ {مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ، وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا، فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ، وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [النحل: ١٠٦] إِلَى قَوْلِهِ {أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ

عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ} [النحل: ١٠٨] وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ {وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا، وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا} [الإسراء: ٤٥] الْآيَةَ، وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْكَهْفِ: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ، وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا} [الكهف: ٥٧] وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الشُّعَرَاءِ: {وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ} [الشعراء: ١٩٨] وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ يس: {لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ، فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ، وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا، فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ، وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} [يس: ٧] وَقَالَ تَعَالَى فِي حم الْجَاثِيَةِ: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ، وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ، وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً، فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} [الجاثية: ٢٣] وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ، حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ} [محمد: ١٦] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ الْمُنَافِقِينَ: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا، فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ، فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ} [المنافقون: ٣]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: جَمِيعُ مَا تَلَوْتُهُ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ يَدُلُّ الْعُقَلَاءَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَتَمَ عَلَى قُلُوبِ قَوْمٍ، وَطَبَعَ عَلَيْهَا، وَلَمْ يُرِدْهَا لِعِبَادَتِهِ، وَأَرَادَهَا لِمَعْصِيَتِهِ، فَأَعْمَاهَا عَنِ الْحَقِّ فَلَمْ تُبْصِرْهُ، وَأَصَمَّهَا عَنِ الْحَقِّ فَلَمْ تَسْمَعْهُ، وَأَخْزَاهَا وَلَمْ يُطَهِّرْهَا، يَفْعَلُ بِخَلْقِهِ مَا يُرِيدُ لَا يَجُوزُ لِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ: لِمَ فَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ؟ فَمَنْ قَالَ ذَلِكَ، فَقَدْ عَارَضَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي فِعْلِهِ، فَضَلَّ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ، ثُمَّ اخْتَصَّ مِنْ عِبَادِهِ مَنْ أَحَبَّ، فَشَرَحَ قُلُوبَهُمْ لِلْإِيمَانِ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِهِمْ، {وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [الحجرات: ٧].

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ : اعْقِلُوا يَا مُسْلِمِينَ مَا يُخَاطِبُكُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ يُعَلِّمُكُمْ أَنِّي مَالِكٌ لِلْعِبَادِ، أَخْتَصُّ مِنْهُمْ مَنْ أُرِيدُ، فَأُطَهِّرُ قَلْبَهُ، وَأَشْرَحُ صَدْرَهُ، وَأُزَيِّنُ لَهُ طَاعَتِي، وَأُكَرِّهُ إِلَيْهِ مَعْصِيَتِي، لَا لِيَدٍ تَقَدَّمَتْ مِنْهُ إِلَيَّ، أَنَا الْغَنِيُّ عَنْ عِبَادِي، وَهُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَيَّ {ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [الحديد: ٢١] وَالْمِنَّةُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى مَنْ هَدَاهُ لِلْإِيمَانِ، أَلَمْ تَسْمَعُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ إِلَى قَوْلِ مَوْلَاكُمُ الْكَرِيمِ حِينَ امْتَنَّ قَوْمٌ بِإِسْلَامِهِمْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [الحجرات: ١٧]

هذا الباب كما بينا في المقدمة ذكر فيه المؤلف – جزاه الله خيرًا – كأنه يفتح القرآن وجاء بترتيب الآيات كما جاءت في القرآن، يبين أن بعض الآيات جاءت بالختم على القلوب والبعض جاءت بالطبع على القلوب، وأيضًا جاءت في بعض الآيات: {لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ} [المائدة: 41]، وبعض أرادها للمعصية ولم يردها للعبادة، وأيضًا آيات أخرى ذكر فيها بأن الله عز وجل أعمى أبصارهم عن الحق وأصمهم عن الحق أيضًا فلم يسمعوه، وآيات أخرى أن سبحانه وتعالى يفعل بخلقه ما يريد.

هذا مجموع الآيات التي ذكرها المؤلف في هذا الباب، وكلها تدور حول مسألة أن الله عز وجل قضى وقدر على بعض عباده بما علم في سابق علمه الضلالة ولم يرد لهم الهداية، فختم، وطبع، ولم يرد لهم، إلى غير ذلك. وهذا كما قلنا لابد له من حكمة، لأن الله عز وجل لم يفعل ذلك إلا لحكمة عظيمة، وهذه الحكمة أعلم الله عز وجل بها بعض العباد، فلما علموا ذلك رجعوا وتابوا إلى الله عز وجل، وهذا أيضًا كان في سابق علمه سبحانه وتعالى؛ أن هؤلاء سيبتليهم الله عز وجل ويصيبهم، ثم يعودون إلى الله عز وجل فكُتبوا من أهل السعادة، ومنهم من أصابهم الله عز وجل وابتلاهم وقد قدر في سابق علمه أنهم لن يعودوا إلى ربهم ولم يتوبوا ولم يستغفروا ولم يتدبروا الحكم فكانوا من أهل الشقاء.

إذًا لابد أن نعلم ونعرج على مسألة الحِكَم من خلق المعاصي؛

ما الحكمة أن الله عز وجل قد خلق المعاصي وأنزل المصائب؟

الإمام ابن القيم ذكر ذلك في عدة كتب له؛ خاصة في كتاب القضاء والقدر أو كتاب مفتاح دار السعادة، وذكر حكم متعددة في مسألة خلق الله عز وجل للمعاصي، ممكن نوجز ذلك على قدر ما نستطيع؛

1- **أن الله عز وجل يستجلب محبته عن طريق أهل التوبة**؛ فالله عز وجل لما يقدر المعاصي على بعض الناس ثم يتوب هؤلاء من المعصية فيكون هذا سببًا لمحبة الله عز وجل لهم، بل أن الله عز وجل لم يذكر في كتابه أو في سنة النبي ﷺ أنه أشد فرحا بعبادة أحد أكثر من توبة التائب، فالله عز وجل يحب التوابين، بل هو يفرح بتوبة أحدهم كما جاء في معنى الحديث الذي كان عنده راحلة وعليها طعامه وشرابه في أرض مهلكة، فقدها وأيس منها، فنام تحت شجرة ينتظر الهلاك، فرفع رأسه واستيقظ وجد راحلته عند رأسه فيها من الطعام والشراب حتى أنه قال القول التي أخطأ فيها قال: "اللهم أنا ربك وأنت عبدي" إلى آخر معنى الحديث. فقال في هذا الحديث: [لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوبَةِ عَبدِهِ مِن رَجُلٍ...].

فبيَّن بأن الله عز وجل لم يجئ هذا الفرح في شيء من الطاعات سوى التوبة، وهذا الفرح له تأثير عظيم جدًا في حال التائب وقلبه؛ فلما يكون التائب الله يفرح به فلابد أن الله عز وجل سيبين ذلك في حاله وفي قلبه بعد ذلك. وسبب التوبة هو الذنب أصلًا الذي جاءه أو المعصية. فلذلك من حِكَم الذنوب والمعاصي أن الله عز وجل يحب أن من يفعل الذنب والمعصية أن يتوب، فإذا تاب فكان أحب إلى الله عز وجل، والله يفرح بهذه التوبة.

إذًا من أراد أن ينال فرح الله عز وجل به ومحبة الله عز وجل به فكأن الله عز وجل يخلق هذه المعاصي والذنوب لمن يعلم في سابق علمه بأنه سيرجع بعد أن يفعل المعصية فيتوب، فيكون سبب لمحبة الله وفرح الله له.

2- **أن الله عز وجل يحب أن يتفضل على عباده ويتم نعمه عليهم**؛ فالمرء إذا تاب ثم رجع فتجد الله عز وجل يحسن إلى من أساء إذا رجع، ويعفو عن من ظلم إذا رجع، ويغفر لمن أذنب إذا رجع، ويتوب على من تاب، وهذه كلها تكون أولًا بفعل الذنوب والمعاصي ثم الرجوع إلى الله عز وجل، فيقبل الله عز وجل عذر هؤلاء، فالله عز وجل يفعل ذلك ليبين للناس تفضله على عباده ونعمه عليهم بأنه يقبل منهم التوبة ويعفو عن الإساءة ويقبل منهم العفو عن الظلم إلى غير ذلك.

3- **أن الله عز وجل يستجلب من العبد العبادات المتنوعة**؛ فالمرء إذا أذنب وأراد أن يعود إلى رب العالمين فلابد له من استغاثة بالله عز وجل، واستعانة بالله عز وجل، دعاء، تضرع، وهذه كلها عبادات، فكأن من حِكَم هذه المعاصي والذنوب أن المرء لما يريد أن يرجع فيريد أن يستجلب هذه العبادات ليعود إلى الله فتكون سببًا له في طاعات تُكتب له ودرجات تُرفع له عند ربه إذا أتى بهذه العبادات، فالله يحب الاستغاثة به، والدعاء له، ويحب الاستعانة به،

والتذلل والخضوع، إلى غير ذلك، وهذه لا تكون إلا بعد أن يصيب المرء ما يصيبه من ذنوب ومعاصي.

4- **استخراج تمام العبودية**؛ لأن المرء عندما يعصي ويريد أن يتوب لابد أن يحقق كمال الذل والخضوع والانقياد، وهذه تجدها عند عودة المخلوق بعد فعله للمعصية أو للذنب، فالله عز وجل يستخرج منه تمام العبودية.

5- **أن يعرف المرء حقيقة نفسه مما هو عليه من الظلم ومن الجهل**؛ {إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} [الأحزاب:72]، وأن المرء أيضًا خُلِق بجهل وبظلم، فلما يقع في الذنوب أو في المعاصي يعرف حقيقة نفسه وأن الذي أوقعه في الذنوب والمعاصي هو الظلم والجهل، فكل شر يصدر من أحد يكون بسبب الجهل أو بسبب الظلم، فمنبع الشر كله هو الجهل والظلم، ومنبع الخير العلم والهدى؛ فأصحاب العلم والهدى يأتي منهم الخير، وأصحاب الجهل والظلم لا يأتي منهم إلا الشر. فلما الله عز وجل يقدر هذه المعاصي وهذه الابتلاءات فيعلم المرء حقيقة نفسه ممن هو عليه من الظلم والجهل، فيعود فيرفع عن نفسه هذا الظلم ويرفع عن نفسه هذا الجهل، فيتعلم ويهتدي حتى لا يقع مره أخرى في هذه الذنوب والمعاصي.

6- **أن الله عز وجل يبين لعباده كرمه، وستره، وسعة حلمه**؛ لأن المرء يعصي الله ليلًا نهارًا، ويفعل ما يفعله من الذنوب والمعاصي، فلو شاء الله عز وجل لعجَّل عليه الحساب من هذا الذنب، لكن الله عز وجل ستر عليه، وكان يمكن أن يهتك ستره ويفضحه ووقتها لن يعيش عيشه هنية أبدًا لأنه قد فُضِح، لكن الله عز وجل ستير سبحانه وتعالى، حليم، فتجد الناس يبارزونه بالمعاصي وبالآثام ومع ذلك الله عز وجل يحرصهم سبحانه وتعالى ويستر عليهم حتى يعودوا مره أخرى. فهنا لا شك فيه بأن المرء يستشعر كرم الله عز وجل عليه وستره وسعة حلمه.

7- **إقامة الحجة على العبد**؛ أن الله عز وجل بتقديره لهذه المعاصي والذنوب التي يفعلها العباد لابد تعلم بأن الله قدَّر ذلك لكن الذي فعل ذلك هو العبد بإرادة وحرية واختيار، فالله عز وجل يقيم الحجة على العبد بذلك، لماذا؟ لأنه إذا أصابه ما أصابه بعد ذلك من عقاب من الله عز وجل فلا يقول من أين أوتيت ولا بأي ذنب أُصِبت! لا، {مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ} [النساء:79]. فهذه إقامة حجة؛ وإن شاء الله عز وجل غفر له ورفع عنه، وإن شاء عذبه، فكان هذا عدل من الله عز وجل وهذا يكون مما كسبت يديه.

8-أن الله عز وجل يفتح لمن يقع في الذنوب والمعاصي بابًا في كيف يعامل الناس من بني جنسه؛ لأن من يفعل الذنوب والمعاصي فقد وقع في الزلل، وقع في الذنب، فهو لما يقع في ذلك ويستشعر بما وقع فيه فيعلم بأن من يقع فيه من بني جنسه أيضًا هو مثله، فيُحسِن التعامل معهم، فلا يزدريهم إن وقعوا في المعاصي والذنوب لأنه مثلهم وقع مثلهم، فكما أنه يحب أن الله عز وجل يستر عليه ويتوب عليه ويعفو عنه ويكرمه فتكون أيضًا هذه المعاملة بينه وبين الخلق، فإذا رأى من خلقه من بني جنسه من يذنب أو يعصي فحريّ به أيضًا أن يستر عليه، أن يكون حليمًا معه، أن يدعو له، أن يحب أن يفعل كما يُفعَل به من الله عز وجل سيفعل هو مع بني جنسه أيضًا لأنه وقع في نفس ما وقعوا فيه، فأراد من الله عز وجل أن يستر عليه، أن يحفظه، أن يُرجِعه، أن يكون حليمًا، فهذا يتطلب من المرء أيضًا بأنه يتعامل مع بني جنسه بنفس هذه المعاملة.

وهذه مسألة مهمة جدًا لبعض الناس لأن لا أحد لا يعصي الله، لكن انظر إلى حال بعض الناس الذين يظنون نفسهم على الالتزام والطاعة عندما يرون معاصي الناس الأخرى كيف يتعاملون معهم! لكن لو وقع هو في المعصية سيعلم بعد ذلك كيف يتعامل مع من يقع في نفس المعصية من بين جنسه، لأنه أحب أن الله يعامله بذلك، فهو عليه أن يعامل الخلق بمثل ما يحب الله عز وجل. بل ممكن أن يقال أيضًا أن فيها إقامة المعاذير للخلائق؛ فأنت لما تقع في الذنب والمعصية فيترتب على ذلك بأنك تستطيع أن تقيم المعاذير للخلائق، لأن هم يقعون وأنت وقعت فتستطيع أن تعتذر لهم، وهذا طبعًا يدل على الذين يشتدون جدًا على أصحاب المعاصي ويغمزون عليهم وليس أحد منا لا يعصي الله عز وجل.

فتقدير الله عز وجل لذلك على العباد يجعل أيضًا بأن العبد يستطيع أن يعذر غيره من الخلائق، وطبعًا يُفرِّق بين عين القدر وعين الشرع بأنه ينظر إلى أصحاب المعاصي مثله أيضًا بعين القدر وبعين الشرع؛ **بعين القدر** ففيه نوع من الشفقة والرحمة على ما وقعوا فيه لأن هذا بقدر من الله، **وبعين الشرع** الكره لما أذنبوا وبما خالفوا أوامر الله عز وجل، فيجمع بين عين القدر وعين الشرع فلا يكون فيه لا افراط ولا تفريط، ولا غلو ولا جفو، فيحسن معاملته للخلائق ويستطيع أن يقيم المعاذير لهم، وقلنا هذه من أعظم الحِكَم.

9-أن الله عز وجل يخلع من العبد صولة الطاعة من قلبه؛ أي لما يقع في المعاصي والذنوب، وإن كان من أهل الطاعة فهو لابد يقع، لا أحد معصوم إلا من عصم الله عز وجل، فلما يقع ويُقدَّر ذلك عليه ستُنزَع من قلبه صولة الطاعة. وصولة الطاعة هذه هي الناس الذين

يرون أنهم على الطاعة من أهل العلم، من أهل القرآن، من أهل العبادات، من أهل قيام الليل، تجد عنده في قلبه صولة للطاعة؛ أي كبر فيها أو نوع من العظمة، وأن ليس أحد مثله، فلما يُقدر عليهم ذلك تجد الإنكسار والذلة عنده، تجد الفقر، وهذه من حكم الله عز وجل بتقديره للذنوب والمعاصي على الناس لمن كان حتى من أهل الطاعة ويقع في ذلك فتُكسر عنده صولة الطاعة هذه في قلبه، حتى أن بعض من الناس الذين تنزهوا حقًا عن الكبائر الظاهرة، هم لا يفعلونها نعم لكنهم يقعون بدون أن يشعروا في أعظم من هذه الكبائر الظاهرة فيما يقع في قلوبهم من تحقيرهم بقلوبهم لغيرهم من الناس، هم قد يقعوا في ذنوب ولا يشعروا أنهم يقعوا فيها وهي ليست ظاهرة، وهي كبائر، لكنها من أعظم الذنوب ولا تخطر ببالهم وهي في قلوبهم؛ من نظرهم بالازدراء لأهل الكبائر، احتقار الناس بذنوبهم، لما ينظر لواحد عنده معصية وذنب فينظر له باحتقار، ينظر له بازدراء ينظر له بتكبر وتعالي وكأنه يرى بأن صولة الطاعة التي عنده هي التي تحفظه، فهنا لما يصاب بمعصية أو ذنب ينكسر عنده هذا، وينظر إلى الناس على أن كل منا ممكن أن يعصي ويذنب، وهذا كان دأب النبي ﷺ ودأب الصحابة.

وأنا دائمًا أحب أردد بحديث النبي ﷺ ؛ الرجل الذي كان أكثر ما يؤتَى به ويشرب الخمر وكان يُدعى "حمارًا"، وجاء في إحدى المرات صحابي وهم يضربونه بالسوط فقال: [**اللهُمَّ العَنْه، ما أكثَرَ ما يُؤتى بِهِ!**]، فكان يُكثِر من شرب الخمر فكان يقام عليه الحد، فالنبي ﷺ وهو واقف معه قال: [**لا تَلْعَنُوه، فوالله ما عَلِمْتُ إلَّا أنه يُحِبُّ اللهَ ورسولَه**] ، [**لا تعينوا عليه الشيطان**] . فانظر في مقام إقامة حد شرب، والصحابي قال لعنك الله ما أكثر ما يؤتى بك، والنبي ﷺ يقول لا تلعنه، بل أَثبت له حبه لله ورسوله وهو يُحَد في كبيرة من الكبائر.

فلا تزدري أحد، فلذلك خُلق الذنب والمعصية؛ فلما تأتي أنت بالذنب والمعصية فتعلم بأنك كما أنت وقعت فغيرك عندما يقع أيضًا فلا تنظر إليه هذه النظرة حتى لا يُنظَر إليك أيضًا مثل ذلك.

10- أن العبد يعرف نعمة الله عز وجل عليه، وفضل الله عز وجل عليه وتوفيقه له وحفظه له؛ وذلك عندما يشعر بالنقيض؛ عندما يقع في المعصية أو يُقدَّر على غيره المعاصي ويراها في غيره فيستشعر نعمة الله عز وجل عليه من المعافاة؛ فأنت لا تستطيع أن تعلم قدر المعافاة وقدر النعم إلا عندما تقع في النقيض أو ترى النقيض عينًا، لكن لو وقعت أنت فيه فستعلم الفرق بين كيف كانت المعافاة لك من الله وحفظ الله عز وجل لك وتوفيقك وأنت على الطاعة،

وكيف ما حدث منك وأنت على من المعصية، فلن تستطيع أن تُقدِّر عافية الله عز وجل إلا بأن تبتلى بهذه الأمور؛ وهي المعاصي والذنوب التي يقع فيها المرء، فهذه من أهم الحكم أن المرء يعرف نعمة الله عز وجل عليه ومعافاته.

11- **بأن تقدير الذنوب والمعاصي ثم تأتي بالتوبة فالتوبة بتجلب للمرء آثار عظيمة**؛ كأن الله عز وجل يبتلي العبد بذلك وقد علم في سابق علمه أنه سيتوب، فلما يتوب تجد الآثار العظيمة التي تعود على المرء بعد التوبة؛ فتجد محبة لله، تجد لطف بينه وبين ربه سبحانه وتعالى، شكر له أيضًا؛ هو يقوم بشكر الله عز وجل والله عز وجل يكافئه على هذه التوبة لأن الله عز وجل يحب توبة التائب جدًا. فنقول بأن من الآثار بأنك تزداد محبة ولطفًا وشكرًا لله عز وجل من آثار التوبة التي تكون بعد فعل المعصية.

12- **الذي يُقدَّر عليه الذنب أو المعصية يستكثر القليل من النعم**؛ وهذه من أعظم الحكم، وهذه نحتاج إليها جميعًا حقًا فقد تجاوزنا الحدود مع رب العالمين في النعم، فنعم الله عز وجل تنزل علينا تترا، ونحن لا نقدر نعم الله عز وجل علينا، فالذي يُقدَّر عليه الذنب أو المعصية يستكثر القليل من النعم، وهذا واقع، فالذي يقدر عليه هذا الأمر فهو عندما ينظر إلى حاله ومعصيته وذنبه الذي قد شهده وفعله بنفسه والتفريط في حق الله عز وجل فيجد بأن ما يُنعم به الله عز وجل عليه وإن كانت النعم قليلة – وليست هناك نعم قليلة بل كل نعم الله كثيرة لكن نقول تجاوزًا – فهو يشعر لما يعلم من حاله من تفريط، ويعلم الذنوب والمعاصي التي هو عليها، فيستشعر بأن ما يعطيه الله عز وجل من نعم كثيرة جدًا هو لا يستحقها، بخلاف غيره الذي يستقل نعم الله عز وجل عليه وإن كانت كثيرة، لكن الذي يبتلى بهذا الأمر فحقًا تجد نعم الله القليلة عنده كأنها كثيرة جدًا لأنه يعلم أنه لا يستحق لأنه من أهل الذنوب ومن أهل المعاصي، فهذه النعم القليلة – وهي ليست بقليلة أقول – يستكثرها، وهذا فضل من الله عز وجل أن يشعر المرء بأنه وإن كان عنده القليل لكنها كثيرة جدًا.

13- **أن المذنب أو العاصي أو الذي قُدِّر عليه ذلك فإن هذه المعاصي توجب عنده بعد أن يتوب التحرز والتيقظ من مصائد الشيطان وأعدائه**؛ فالمرء لا يستطيع أن يحتاط من أحد أو يصد عن نفسه هذه الأساليب أو العداوات إلا بعد أن يقع فيها أولًا، فكأن وقوعه في الذنب والمعصية تُقوي عنده بعد ذلك آلات الدفع، أو كيف يصد بعد ذلك عندما يأتيه الشيطان يغويه مرة أخرى، أو يأتيه غير الشياطين، فهو يكون عنده تحرز وتيقظ من مصائد الأعداء لأنه قد وقع فيما وقع فيه.

14- **مراغمة الشيطان واغاظته**؛ وهذه طبعًا تكون لمن ابتلي أو ارتكب الذنب ثم تاب، لأن الذي يتوب ويتوقف عن المعصية ويعود إلى الحق لا شك بأن هذا فيه مراغمة للشيطان واغاظة للشيطان، فالقلب التائب العائد المتوقف عن الذنوب والمعاصي الشيطان ينفر من ذلك، بل فيه ترغيم للشيطان، وفيه اغاظة له، وفيه مجاهدة عظيمة مع الشيطان، وهذه طبعًا تحتاج حقًا إلى توبة، وتحتاج أولًا إلى مجاهدة نفس، لكن لا يمكن أن تكون هذه المراغمة إلا مع من ابتُلي، لأن الذي في طاعة لا تجد عنده هذه المسألة كثيرًا، لكن الذي ابتُلي وعلم بمصائد الشيطان وعلم بحبائل الشيطان فتجد عنده المجاهدة والمراغمة لأنه يريد أن يدفع الشيطان حتى لا يقع في الذنب مره أخرى، فتجد عنده مراغمة الشيطان ومجاهدة أكثر، ويترتب عليها أثر عظيم أيضًا من الله عز وجل بدفعه للشيطان.

15- **أن المرء لما يبتلى بالمصائب يعرف الشر ويحذر الوقوع فيه**؛ لأنك لن تستطيع أن تعرف الشر ما لم تقع فيه؛ كأنك مثلًا الآن ائت لطبيب تحت التمرين أو جلس ثلاث أربع خمس سنوات في المستشفيات الجامعية وبيدخل عليه مثلًا آلاف الحالات في اليوم، كيف يكون خبرته؟ وطبيب آخر جالس في مركز أو جالس في مستشفى بيدخل عليه واحد أو ثلاثة كل يوم؟ الفارق في الخبرة وفي التعامل وفي الأداء. فكذلك أنت لما تقع في الشر فمن حِكَم الوقوع فيه بأنك تستطيع بعد ذلك أن يكون عندك خبرة في دفعه، بخلاف من لا يقع فيه فلا يعلم كيف أن يدفعه بعد ذلك.

16- **أعظم ما يكون في احساس المرء وكان عبدًا طائعًا قبل أن يقع في الذنب أنه لما بيقع في الذنب يشعر بالاحتجاب الذي بينه وبين ربه**؛ وهذه تستدعي أن من وقع في الذنب كان من أهل الطاعة أو من أهل العبادة أو كان له حال مع ربه فوقع وابتلي بالذنب والمعصية يشعر بإعراض الله عنه، وهذه لا يشعر بها كل الناس، فطبعًا المتمادي في الذنب والمعصية قد لا يشعر بذلك، لكن من كان مخالط بين الطاعة وبين المعصية فلما تُقدَّر عليه هذه الذنوب والمعاصي فيشعر هو في وقت بأن الله قد احتجب عنه أو بإعراض الله عز وجل عنه – إن صح هذا اللفظ – ولا يشعر بالأنس والمحبة والألفة التي كانت بينه وبين ربه، فكان تقدير الذنوب والمعاصي عليه بأن يشعر بهذا الفرق فيعود، لأنه لما يشعر بإعراض الله عز وجل عنه وضياع ما في قلبه من ألفة وأنس ومحبة لله عز وجل بسبب ما قدر عليه من المعاصي فيشعر بهذا الفرق فيعود سريعًا إلى ربه سبحانه وتعالى.

17- **لزوم التواضع وترك الترفع**؛ لأن العبد إذا شهد ذنوبه وخطاياه التي يفعلها فلا يرى لنفسه فضلًا على أحد ويعلم بأنه عاصي ومقصر في حق نفسه وفي حق ربه، فأولًا لن يتكبر على أحد، ولن يتعالى على أحد، ولن يشعر بالعلو على غيره، بل هو ممكن يكون يصل بأنه يحتقر ما هو عليه من ذنب ومعصية ولا يحتقر أحدًا غيره لأنه يعلم بأن هو أدنى من هؤلاء، فيرجعه هذا إلى التواضع خاصة لمن كان عنده كِبر في مسألة أنه كان عنده طاعة أو عنده شيء فلما يبتلى بذلك ويرى بأنه قد وقع فيما وقع فيه فقد تكون سببًا لكسر هذا الكبرياء عنده وأن يرزقه الله عز وجل التواضع وترك الترفع.

18- **أن المرء يشتغل بعيوب نفسه لا بعيوب الآخرين**؛ وأنا حقيقة أرى أن هذا من أهم الأمور في حكمة الله عز وجل في تقدير الذنوب والمعاصي، فإن كانت هذه الحكمة الوحيدة فكفى بها؛ أن المرء يشتغل بعيوب النفس ويمسك عن عيوب الناس، الذنب الذي يقع فيه المرء يوجب له أن يمسك عن عيوب الناس وينظر إلى نفسه وما يقع فيه من عيوب فيشتغل بنفسه وبتحسين ما فيه من أمراض في قلبه حتى يعود سالمًا إلى ربه صحيح القلب وصحيح العمل.

19- **الاستغفار للخطائين**؛ لأن إذا وقع الذنب من العبد فهو يرى نفسه مثل اخوانه الآخرين الخطائين، فكما أنه يحب من غيره أن يدعون له ويستغفرون له ويرجون الله عز وجل أن يعفو عنه فتجده هو أيضًا يستشعر بإخوانه الخطائين، فتجده يدعو لهم كما يدعو لنفسه، فكأن من الحكمة في تقدير الذنوب والمعاصي على المرء أنه يستشعر بحاله وبحال من مثله فيدعو لهم ويدعو لنفسه، فكأنه في هذه أيضًا فيه طاعة ممكن يستخرجها بأنه يستغفر ويدعو لإخوانه الخطائين بأن الله عز وجل يغفر له ويغفر لهم ويرحم الجميع، وكأن فيه بيان استغفار المرء لأخيه المسلم، ومنه أيضًا أنه [لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُم حتَّى يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنَفسِه] فكما يحب لنفسه أن الناس تدعو له وأن الله عز وجل يغفر له فأيضًا تجده يدعو ويستغفر لإخوانه من أهل الذنوب والمعاصي.

فهذا مجمل الحكم التي يمكن أن يستشعرها المرء، والحق أن هذا باب عظيم جدًا قلت لمن أراد أن يرجع فيرجع لكتاب القضاء والقدر للإمام ابن القيم. فهذه الحكم يحتاج حقيقة أن يُزاد منها لأن كثير من الناس عندهم مشكلة في مسألة القدر؛ يقول لك لماذا ربنا خلق الشر؟ ولماذا خلق الله عز وجل المعاصي والذنوب؟ فلو استشعرنا بعض هذه الحكم التي استخرجها علماؤنا من هذه التقادير فتعلم بأن الله عز وجل لم يقدر شيء ولم يُنزِل شيئًا إلا بحكمة؛ علمها من علمها وجهلها من جهلها.

فبعض الناس بتضل بسبب عدم معرفة هذه الحِكَم، لذلك حقيقة في هذا الزمان يوجد ظلم، وهناك أيضًا كثرة ذنوب ومعاصي، ويوجد ذل لبعض المسلمين قد كتبه الله عز وجل بما كسبت أيديهم، فبعض الناس لا تفهم هذه الحكمة وتستعجل؛ لماذا نحن ذلك؟ فلابد له أن يعلم بأن لله حكم في هذه الأمور، وأن يتدبر، فيستقيم القلب، لأن هذه تحتاج لإيمان منضبط بالقضاء والقدر؛ لا إيمان الجبرية ولا إيمان القدرية، لأن هذا لا ينفي بأن العبد هو الذي فعل، وأن العبد له إرادة ومشيئة، وأن الله وإن كان قدر ذلك وكتبه لكن ليستخرج ذلك من العبد، وهذه هي الحكمة التي لابد أن يستشعرها الناس ويحاول تبسيط ذلك للعوام ليفهموا ذلك.

20- **هناك حِكَم في مسألة الآلام التي تصيب المرء**؛ فالله عز وجل يبتلي المرء بالآلام والكربات، لماذا؟ إما تطهير للذنوب – كما هو معلوم– أو رفعة له في الدرجات، أو أنه يعود؛ فقد يكون على ذنب لا يعلمه فلما يبتلى بذلك يعود مرة أخرى ويتذكر فيرجع لله عز وجل.

وبعضهم قال أيضًا بأن الآلام هذه والأمور التي تصيب الناس أيضًا بتظهر آثار أسماء الله عز وجل؛ فهناك أسماء لله عز وجل مثل الرافع والخافض، المعز والمذل، والحكم والعدل مثلًا، فهذه تحتاج لقضاء وقدر حتى تستشعر آثار أسماء الله عز وجل؛ يعز من يشاء ويذل من يشاء، يرفع ويخفض، أو يحكم أو يعدل. فلو كان كل الخلق مطيعين فالله عز وجل سيعز من ويذل من؟ ويرفع من ويخفض من؟ إذًا لابد من مطيع ولابد أيضًا من عاصي لتظهر آثار أسماء الله عز وجل.

21- **أن تقدير ذلك يظهر طبائع الناس من الخير ومن الشر**، لذلك الله عز وجل لما خلق إبليس خلقه ليُظهر الشر، وخلق الرسل لتُظهر الخير.

22- **استخراج عبودية الضراء**؛ كما أن هناك عبودية للسراء فهناك عبودية للضراء، فاستخراج عبودية الضراء هي عبودية الصبر {وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} [الأنبياء:35]، فهناك بلاء بالشر وبلاء بالخير، وهناك ابتلاء في الشكر، وأنا أقول أن ابتلاء النعائم أعظم من ابتلاء المصائب والله أحيانًا، فابتلاء المصائب تحتاج فيه لصبر، ولأن المقام مقامنا في المصائب فنقول بأن الله عز وجل في تقديره للمصائب والذنوب يستخرج عبودية الضراء، لكن هناك عبودية السراء وهذه أعظم لأن كثير من الناس في عبودية النعائم لا يشكرون الله، ففي الضر الناس بتقترب من الله عز وجل وتنكسر وتتذلل وأما في النعماء فلا تجده يشكر الله عز

وجل ويبتعد عن ذلك، لذلك الابتلاء فيها أشد. لكن بما أننا الآن في مقام المعاصي والذنوب فنقول بأن الله عز وجل يقدر ذلك ليستخرج من المرء عبودية الضراء.

23- **أن الآلام والمعاصي التي تصيب القلب تطهر القلب وتخلصه من الخصال القبيحة؛** لأن الآلام والمعاصي بتفيد في رجوع المرء إلى الله، فتفيد الإنكسار، فيخرج الكِبر كما قلنا، ويخرج الاعجاب بالنفس، يخرج البطر، الأشر، هذه الأمور كلها التي هي موجودة لصفات قبيحة فلما يبتلى المرء بالمعصية أو بالذنب أو بالمصيبة فقد يطهر قلبه من ذلك.

24- **تقوية المؤمن؛** وهذه خلاف للعاصي؛ فالمؤمن يصاب؟ نعم، المؤمن يقع في المعصية؟ نعم، المؤمن قد يقدر عليه؟ نعم، لكن فيها تقوية للمؤمن لأن المؤمن في المصائب يشتد عوده ويرجع مره أخرى، يعلم بأن هذه كأنها إنذار من رب العالمين له فتقويه وترجعه أقوى مما كان.

25- **أن المرء بحضور المصائب هذه يحصل له الإخلاص في الدعاء؛** حقيقة تجد أكثر أنواع الإخلاص عندما يُبتلى المرء، لأنه حقًا يتجرد ويريد الإنكسار والذل والخضوع، فيأتي الإخلاص في الدعاء، ليس له مأرب غير أن ينجيه الله عز وجل مما فيه، فكأن هذه من الحِكَم بأن فيه زيادة الإخلاص في الدعاء.

26- **إيقاظ المبتلى من غفلته؛** فكم من مبتلى لما يفقد العافية أو يفقد أمور معينة فيحصل له توبة حقيقية شافية إلى الله عز وجل، فيوقَظ حتى وإن ذهب منه ما ذهب لكنه فيها إيقاظ له، فأن يعود إلى ربه هذا أعظم مما يستمر في غفلته حتى وإن كانت هذه التقديرات التي عليه فيها ضياع لبعض الأمور المادية؛ كصحة أو مال أو غير ذلك، ولكن المصيبة كلها أن يكون ضياع في الدين، فإنه لما يعود هذا هو الأهم، فضياع الدنيا لا تهم، لكن ضياع الدين هو الذي يهمه.

27- **معرفة قدر العافية؛** فالمرء لما يبتلى بذلك ويصاب بالآلام والمعاصي أو الذنوب أو هذه التقديرات فيعرف قدر العافية التي كان فيها، لأنه يشعر بالفرق، يشعر بقدر العافية.

28- **أن المرء إن رجع إلى رب العالمين تحصل له الرحمة والهداية؛** أي أن النتيجة والثمرة من تقدير الذنوب والمعاصي الرحمة والهداية لقوله تعالى:{ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ * ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ} [البقرة:155-157]، فانظر.. جاء البلاء أولًا فبعد أن صبروا نالوا بعد ذلك الرحمة من الله عز وجل والصلاة.

29- حصول الأجر؛ الله عز وجل قد يبتلي المرء بالذنوب والمعاصي وبالمصائب ليحصل له الأجر بعد ذلك، قال النبي ﷺ: [ما مِن شيءٍ يُصيبُ المُؤمِنَ حتَّى الشَّوكةِ تُصيبُه، إلَّا كَتَبَ اللهُ له بها حَسَنةً، أو حُطَّت عنه بها خَطيئةٌ] كما روى الإمام مسلم، لذلك قال بعض السلف: (لولا مصائب الدنيا لوردنا يوم القيامة مفاليس) ليس عندنا شيء فهي مصائب الدنيا التي تنقينا من الذنوب والمعاصي؛ إما بصبرك على المصيبة يزداد حسناتك وإما بهذه المصيبة يُرفع عنك من الذنوب التي فعلتها في الدنيا، فلما تُرَد إلى الله عز وجل إما ستُزَد بلا ذنوب أو تُزَد بزيادة حسنات لصبرك على ما أصابك في الدنيا، وإلا لولا ذلك لرجعنا إلى ربنا ويوم القيامة مفاليس كما يقال.

30- أن المرء يعلم حقارة الدنيا؛ وأن الدنيا هذه لا تساوي شيء لا عند الله عز وجل ولا للمرء أن يتعلق بها، لأن أدنى مصيبة تصيب المرء تجدها تعكر صفوه، وتؤثر فيه، وتنغص حياته، وتجعله كأنه لا يريد أن يعيش، وهذه فقط لمن؟ لغير المؤمن، غير المؤمن هو الذي يشعر بهذا عندما تصيبه المصيبة يأتيه مثلًا خبر، أو يُحرم من رزق، أو يحصل شيء فتجده منغص عليه طول اليوم وهو منغص عليه؛ إما بسماع كلمة هنا، أو بأنه ضاع منه رزق هنا، أو ضاع منه شيء هنا، وهذا ليس بخلق المؤمن، المؤمن الكيِّس الفطن لا يهتم بالدنيا، ما دام الأمر في الدنيا فلا يحزن على شيء، لكن يحزن عندما يكون الأمر في الدين؛ لما يمس دينه شيء، لما ينقص من إيمانه شيء، لما يحدث في دينه شيء معين هذا الذي يموت فيها كمدًا، لكن أمر من أمور الدنيا فلا يهمه منها شيء لأن الدنيا لا تساوي شيء، الدنيا أصلًا مزرعة للآخرة.

هذه بعض الحكم التي قد نستنبطها من هذه الآيات. نقف عند **بَابُ ذِكْرِ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**، وهذه تتمة للذي قلناه لكن إن شاء الله نعرج عليه الأسبوع القادم هو وما يتلوه بعد ذلك من **باب ذكر ما أخبر الله تعالى أنه أرسل الشياطين على الكافرين**.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

المحاضرة الحادية والأربعون

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام على موعد مع شرح كتاب الشريعة للإمام الآجري – عليه رحمة الله تعالى – كنا قد دخلنا في أبواب القدرية والرد على القدرية، نقرأ..

32- بَابُ ذِكْرِ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَا يَهْدُونَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنَّهُ يَهْدِيهِ

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ {فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا} [النساء: ٨٨] وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، وَقَدْ ذَكَرَ الْمُنَافِقِينَ فَقَالَ: {مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ، وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ، وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا} [النساء: ١٤٣] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ:

{وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: {قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ، فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ} [الأنعام: ١٤٩] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: {مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} [الأعراف : ١٨٦] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ الرَّعْدِ: {وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ} [الرعد: ٢٧] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي هَذِهِ السُّورَةِ {أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا، أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا} [الرعد: ٣١] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي هَذِهِ السُّورَةِ: {بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ، وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} [الرعد: ٣٣] وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ، فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [إبراهيم: ٤] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: {وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ} [النحل: ٩] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ} [النحل : ٣٧] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ: {مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ} وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ: {إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا، لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا} وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: {ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا} وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ الْحَجِّ: {وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ، وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ} [الحج: ١٦] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ النُّورِ: {يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ} [النور: ٣٥] ثُمَّ قَالَ {وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ} [النور: ٤٠] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: {لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ، وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [النور: ٤٦] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ الْقَصَصِ: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ الرُّومِ: {بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ} [الروم: ٢٩] وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ

وَجَلَّ فِي سُورَةِ السَّجْدَةِ: {وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا، وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} [السجدة: ١٣] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ الْمَلَائِكَةِ: {أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} [فاطر: ٨] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ الزُّمَرِ: {فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ} وَقَالَ تَعَالَى فِي هَذِهِ السُّورَةِ: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ، ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ، ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} [الزمر : ٢٣] وَقَالَ تَعَالَى فِي هَذِهِ السُّورَةِ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ} [الزمر: ٣٦] وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ حم الْمُؤْمِنُ: {يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ، وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} [غافر: ٣٣] وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْمُدَّثِّرِ: {كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} [المدثر: ٣١] قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: اعْلَمُوا يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ مَوْلَاكُمُ الْكَرِيمَ يُخْبِرُكُمْ أَنَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، فَيُوَصِّلُ إِلَى قَلْبِهِ مَحَبَّةَ الْإِيمَانِ، فَيُؤْمِنُ وَيُصَدِّقُ، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، فَلَا يَقْدِرُ نَبِيٌّ وَلَا غَيْرُهُ عَلَى هِدَايَتِهِ بَعْدَ أَنْ أَضَلَّهُ اللَّهُ عَنِ الْإِيمَانِ

هذا الباب الذي ذكره المؤلف – عليه رحمة الله تعالى – تكلمنا عنه يبين مسألة بأن الهداية تكون من عند الله، ذلك من قوله تعالى: {إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ} [القصص:56]، وهذه كان يخاطب بها الله عز وجل النبي ﷺ لما أراد هداية عمه أبو طالب فمات فأراد أن يستغفر له إلى غير ذلك، فبين الله عز وجل بأن هداية التوفيق والسداد هذه لا تكون إلا لله عز وجل، الله عز وجل هو الذي يُقدِّر ذلك؛ من يهديه الله ومن يضله الله عز وجل، وهذه طبعًا تخالف الهداية الأخرى هداية البيان والارشاد {وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [الشورى:52].

لكن المقصود هنا من هذا الباب في مسألة القدرية يبين الإمام بأن الهداية والضلالة من عند الله، كلهم بقدر من الله عز وجل، وهي بمشيئة الله عز وجل، وهذا طبعًا لا ينافي بأن المرء هو الذي يباشر أسباب الهداية وأسباب الضلالة، لكن كتابة الهداية والضلالة هي من الله عز

وجل، وهذا هو مقصد المؤلف من الإتيان بهذا الباب، وطبعًا هناك مقاصد أخرى قد بيناها الأسبوع الماضي، وهذه تتمة القراءة فقط للحِكَم في خلق الله عز وجل للمصائب والمعاصي والضلالات وقد بيناها فيُرجَع إلى ذلك. هذه كانت قراءة لما قد سبق بيانه الأسبوع الماضي.

لكن المسألة المهمة هنا هو كما بوَّب لها المؤلف وختم بها الباب: "اعْلَمُوا يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ مَوْلَاكُمُ الْكَرِيمَ يُخْبِرُكُمْ أَنَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ"، هذا هو المقصود؛ أن الهداية من عند الله عز وجل، "فَيُوَصِّلُ إِلَى قَلْبِهِ مَحَبَّةَ الْإِيمَانِ" ويحببه إلى قلبه ويزينه، كما يكره الكفر والفسوق والعصيان إلى أهل الإيمان فيحبب إليهم الإيمان ويزينه في قلوبهم، قال: "فَيُؤْمِنُ وَيُصَدِّقُ، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، فَلَا يَقْدِرُ نَبِيٌّ وَلَا غَيْرُهُ عَلَى هِدَايَتِهِ بَعْدَ أَنْ أَضَلَّهُ اللَّهُ عَنِ الْإِيمَانِ" هذه مسألة مهمة جدًا أن المرء يعلم؛ خاصة لمن يعمل في مجال دعوة الناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أنه ما عليك إلا البلاغ فقط، المرء ليس عليه إلا البلاغ، وأما النتيجة والثمرة فليست على المرء، يأتي يوم القيامة النبي وليس معه شيء، ويأتي يوم القيامة النبي ومعه الواحد أو الإثنين ويأتي ومعه الأمة، ولكن هل يقال بأن النبي لم يؤدي؟! كل نبي أدى ما عليه بما أمره الله عز وجل، أما الثمرة والنتيجة هذه ليست لأحد.

لذلك المسألة كلها من عند الله عز وجل، أنت تدعو إلى دين الله، تبين الأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وأن الهداية لا تكون بأحد ولا حتى بالرسل، النبي ﷺ لم يستطع أن يهدي عمه، نوح لم يستطع أن يهدي ابنه، – عليه كلهم صلاة الله عز وجل وسلامه – إبراهيم لم يستطع أن يهدي أباه. فنقول الهداية من عند الله عز وجل، كتبها على من علم في سابق علمه بأن هذا يستحق الهداية، وحجبها عن ما استحق في سابق علمه أن هذا يستحق الضلالة.

ندخل في الباب الذي يليه؛

33- باب ذِكْرِ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ أَرْسَلَ الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ يُضِلُّونَهُمْ وَلَا يُضِلُّونَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ فِي عِلْمِهِ أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ وَلَا يَضُرُّونَ أَحَدًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَكَذَلِكَ السَّحَرَةُ لَا يَضُرُّونَ أَحَدًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: {وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا} [البقرة: ١٠٢] إِلَى قَوْلِهِ: {فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ

وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ} [البقرة: ١٠٢] وَقَالَ تَعَالَى: فِي سُورَةِ مَرْيَمَ: {أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا} [مريم: ٨٣] وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ وَالصَّافَاتِ: {فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ، مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ} [الصافات: ١٦٢]

311 - أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفِرْيَابِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُقَدَّمِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ خَالِدٍ الْحَذَّاءِ، عَنِ الْحَسَنِ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ} [الصافات: ١٦٣] قَالَ: الشَّيَاطِينُ لَا يَفْتِنُونَ بِضَلَالَتِهِمْ إِلَّا مَنْ أَوْجَبَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ أَنْ يَصْلَى الْجَحِيمَ

312 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ عُمَرَ بْنِ ذَرٍّ قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: " لَوْ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ لَا يُعْصَى مَا خَلَقَ إِبْلِيسَ، وَهُوَ رَأْسُ الْخَطِيئَةِ، وَإِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِلْمًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ جَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ، وَعَرَفَهُ مَنْ عَرَفَهُ ثُمَّ قَرَأَ: {فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ، مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ، إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ} [الصافات: ١٦٢] قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: وَقَالَ تَعَالَى: {وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ} [فصلت: ٢٥] وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الزُّخْرُفِ: {وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ، وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ} [الزخرف: ٣٦] قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: قَدْ أَخْبَرَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى يَا مُسْلِمُونَ أَنَّهُ يُرْسِلُ الشَّيَاطِينَ عَلَى مَنْ لَمْ يَجْرِ لَهُ فِي مَقْدُورِهِ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ، فَيُضِلُّهُمْ بِالشَّيَاطِينِ، فَيُزَيِّنُونَ لَهُمْ قَبِيحَ مَا هُمْ عَلَيْهِ، وَقَدْ أَخْبَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ هُوَ الَّذِي فَتَنَ قَوْمَ مُوسَى، حَتَّى عَبَدُوا الْعِجْلَ بِمَا قَبَضَ لَهُمُ السَّامِرِيُّ، فَأَضَلَّهُمْ بِمَا عَمِلَ لَهُمْ مِنَ الْعِجْلِ، أَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِهِ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: {فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ} [طه: ٨٥] وَقَالَ تَعَالَى: فِي سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ: {وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} [الأنبياء: ٣٥] وَقَالَ تَعَالَى: فِي سُورَةِ حم الْمُؤْمِنُ: {وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ، وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ} [غافر: ٣٧]

هذا الباب ذكره المؤلف **بَابُ ذِكْرِ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ أَرْسَلَ الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ يُضِلُّونَهُمْ وَلَا يُضِلُّونَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ فِي عِلْمِهِ أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ وَلَا يَضُرُّونَ أَحَدًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَكَذَلِكَ السَّحَرَةُ لَا يَضُرُّونَ أَحَدًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ**، فحتى خَلْق الله عز وجل وإرسال الله عز وجل للشياطين على الكافرين لإضلالهم هذا أيضًا ليس محض إرادة ومحض مشيئة للشيطان، بل هذا لا يكون إلا بأمر قد كتبه الله عز وجل، علم بأن هؤلاء الخلق كتب عليهم الضلالة فيرسل لهم الشياطين، لكن **الشيطان لا يضر بنفسه، وهذه مسألة عقائدية مهمة جدًا وكذلك الساحر لا يضر أحدًا إلا بإذن الله عز وجل**. ثم بيَّن وذكر الآيات في ذلك؛ قوله تعالى: {وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا} [البقرة: 102] إِلَى قَوْلِهِ: { وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ} [البقرة: 102] .

إذًا لا يمكن أن يُظَن بأن الشيطان يستطيع أن يضر من نفسه، ولا يمكن أن يُظَن بأن الساحر يستطيع أن يفعل ذلك من نفسه! لا يكون شيئًا في الكون إلا بإذن من الله عز وجل، لذلك قال: {فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ، مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ} [الصافات: 162] ماذا يقصد؟ بأن الشياطين – كما قال – لا يمكن أن يفتنون بضلالتهم من أنفسهم، بل لا يفتنون إلا من أوجب الله عز وجل عليه أنه سيصلى الجحيم، او سيستجيب للشيطان، أو يكون للشيطان تأثيرًا عليه. لذلك قال عمر بن عبد العزيز: (لو أراد الله عز وجل أن لا يُعصَى ما خلق إبليس).

إذًا خلق إبليس له حِكَم، فإبليس هو مادة الشر، ومادة الفساد في الأرض، فالله عز وجل من خلقه لإبليس له فيه حكمة؛

الحكمة من خلق الله عز وجل لإبليس:

1- **بيان لقدرة الله عز وجل بأن الله عز وجل يخلق النقيضين**؛ أي كما أن الله عز وجل خلق إبليس ومادة الشر والإفساد في الأرض فخلق الله عز وجل أيضًا جبريل عليه السلام وهو من أنقى وأذكى وأشرف الذوات التي خلقها الله عز وجل. فكأن من الحِكَم أن الله يبين خلق المتناقضين كما خلق الليل والنهار، والشمس والقمر، والحر والبرد، والموت والحياة، وخلق الداء والدواء، خلق الحسن والقبيح، فهذا يدل على كمال قدرة الله عز وجل. فمن حِكَم خلق إبليس أن الله خلق الشر وخلق الخير، خلق الملائكة وخلق الشياطين، ففيه بيان كمال قدرته وكمال قوته سبحانه وتعالى، وأيضًا فيه كمال عزته، وكمال سلطانه وملكه سبحانه وتعالى أنه

يستطيع أن يخلق هذه المتضادات، ويستطيع سبحانه وتعالى أن يحكم في ذلك ويقدر متى يكون الخير ومتى يكون الشر، متى يستعمل الشيطان هنا ومتى يستعمل المَلَك هنا، فهذه من حكم خلق الله عز وجل لإبليس.

2- **أنه يُكمّل لأوليائه مراتب العبودية**؛ فمن حكمة خلق إبليس أن الله عز وجل يكمل لأوليائه الصالحين المراتب، كيف تكون من خلق إبليس؟ سيأتي إبليس سيراود هؤلاء؛ سيريد أن يعيقهم وهم يجاهدون إبليس في ذلك؛ يجاهدونه بأنواع الطاعات؛ بالاستعاذة بالله عز وجل منه، بالاستعانة بالله عز وجل، بالاستغاثة، بكثير من الطاعات؛ بالمحبة إلى الله، بالتوكل إلى الله عز وجل، بالرضا بما يقدره الله عز وجل من الأمور التي فيها المصائب التي يكون إبليس طرفًا فيها، فهذه الأمور كلها تجعل لهؤلاء الأولياء الصالحون أنهم يجاهدون النفس ويبذلون الكثير من أوقاتهم ومن أنفسهم في نيل محبة الله ودفع هذه المصائب. فكأن من خلق إبليس سببًا لوجود هذه العبادات والطاعات عند هؤلاء، فترتفع مقاماتهم عند ربهم وتكون لهم أعلى المقامات في مقامات العبودية بدفعهم ومجاهدتهم لهذا الشيطان، فهذه حكمة أيضًا من حِكَم خلق الله عز وجل لإبليس.

3- **أصول الابتلاء**؛ فإبليس لا شك بأنه خُلِق ليكون امتحانًا للناس، فالله عز وجل يمتحن به الخلق، والله عز وجل يرسل أحيانًا إبليس ليتبين الخبيث من الطيب – وهو أعلم بهم – لكن الله عز وجل من حكمته أن يُظهِر للناس حقيقتهم، فلذلك يرسل إبليس؛ منه من يستجيب ومنه من يدفع، فيظهر لك الخبيث ويظهر لك الطيب. فكان في إرسال إبليس أو الشياطين أن يكون الابتلاء والامتحان من الله عز وجل.

4- **أنك تستشعر بعض آثار أسماء الله عز وجل ومقتضياتها في خلق إبليس**؛ بمعنى؛ الله عز وجل لما بيخلق إبليس هناك من يستجيب وهناك من يدفع، فتجد الله عز وجل يظهر لك اسمه الرافع والخافض، المعز المذل، الحكم العدل، لأن الله عز وجل يرفع من دفع إبليس وأطاع الله عز وجل ويخفض من اتبع إبليس، ويعز الله عز وجل أوليائه ويذل أعدائه الذين يتبعون إبليس، فتجد فيه حكمة الله عز وجل، وهذا يظهر فيه اسم الله عز وجل الحكيم والعدل لأن الله عز وجل يجازي من يتبع إبليس وهذا من كمال عدله أيضًا، ويظهر الله عز وجل الفرق بين الخبيث والطيب وهذا من كمال حكمته، فهذه كلها تحقيق لآثار أسماء الله عز وجل ومتعلقاتها.

5- **استخراج ما في طبائع البشر من الخير والشر**؛ لأن كل طبيعة بشرية خلقها الله عز وجل فيها من الخير وفيها من الشر، فيها من الطيب وفيها من الخبيث، فكأن خلق إبليس وإرساله يستخرج ما في طبائع أهل الشر كما أن إرسال الله عز وجل للرسل وللرسالات يستخرج ما في طبائع أهل الخير من ذلك، فكأن إبليس يستخرج الشر الكامن في النفس البشرية، وأيضًا الرسل تستخرج الخير الكامن في النفس البشرية.

6- **ما سمعناه أو قرأناه أو علمناه من آيات الله عز وجل، وعجائب صنع الله عز وجل التي حدثت بسبب الكفر والإيمان**؛ أي أنك لما تقرأ في القرآن قصص أقوام الرسل الذين كفروا بالرسل كقوم ثمود وقوم عاد وقوم لوط وقوم موسى وإلى غير ذلك وتقرأ الآيات التي أنزلها الله عز وجل كآية الطوفان، آية الريح، آية إهلاك ثمود، قوم لوط، انقلاب النار على إبراهيم بردًا وسلامًا، والآيات التي أجراها الله عز وجل على يد موسى عليه السلام أو على يد عيسى عليه السلام هذه كلها الآيات ظهرت بسبب التفرقة بعد إرسال الله عز وجل للرسل ولإبليس، فلما أطاعوا إبليس ولم يطيعوا الرسل أنزل الله عز وجل هذه الآيات. فكان من حكمة خلق الله عز وجل لإبليس أن يُظهِر الله عز وجل بعد ذلك آيات وعجائب لم تكن تنزل إلا بسبب طاعة هؤلاء لإبليس وللشياطين وكفرهم بما أنزل الله عز وجل.

الناس تسأل طيب لماذا الله خلق الشر؟ بينا ذلك الأسبوع الماضي، طيب لماذا خلق الله عز وجل إبليس وخلق الشياطين؟ هذه من الحكم. وكما هو معلوم أيضًا أن الله عز وجل قد أنظر إبليس إلى يوم القيامة، قال: {قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ} [الأعراف:14-15]، فهذا الإنظار من الله عز وجل لإبليس ليس إكرامًا له، بل إهانة له؛ فبإمهال إبليس إلى يوم القيامة سيزداد في الغي، ويزداد في الظلم، ويزداد في إغواء الناس فيزداد في الشر، فكان هذا زيادة له في الإهانة وفي العذاب يوم القيامة.

وأيضًا كما بينا بأن إمهال الله عز وجل لإبليس ليوم القيامة لأنه امتحان مستمر إلى قيام الساعة ليميز الله عز وجل الخبيث من الطيب، ويبين الشر من الخير.

فهذه كلها من الحكم التي استنبطها علماؤنا من خلق الشياطين.

ولكن كما قلنا وقال المؤلف بأن هؤلاء الشياطين كلها نزلت ولا تضر إلا بإذن الله، هذه المسألة مهمة جدًا في الإيمان بالقدر؛ بأن المرء يعلم بأن لا الشيطان ولا الساحر ولا الكاهن ولا أيًا من كان من خلق الله عز وجل يستطيع أن يضر أحد إلا إذا كان الله عز وجل قد كتب ذلك كما

جاء في الحديث على [أَنَّ الأُمَّةَ لو اجتَمَعَت على أَنْ يَنفَعوك بشَيءٍ، لم يَنفَعوك إلَّا بشَيءٍ قدْ كَتَبَه اللهُ لك، ولو اجتَمَعوا على أَنْ يَضُرُّوكَ بشَيءٍ، لم يَضُرُّوك إلَّا بشَيءٍ قدْ كَتَبَه اللهُ عليك].

ندخل في الباب الذي يليه؛

34- بَابُ ذِكْرِ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ مَشِيئَةَ الْخَلْقِ تَبَعٌ لِمَشِيئَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَمَنْ شَاءَ اللَّهُ لَهُ أَنْ يَهْتَدِيَ اهْتَدَى، وَمَنْ شَاءَ أَنْ يُضِلَّ لَمْ يَهْتَدِ أَبَدًا

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً، فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ، لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ، وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ، بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ، وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [البقرة: ٢١٣] وَقَالَ تَعَالَى فِيهَا: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ} [البقرة: ٢٥٣] وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: {وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأرض أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ} [الأنعام: ٣٥] وَقَالَ تَعَالَى فِي هَذِهِ السُّورَةِ: {وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} وَقَالَ تَعَالَى: {اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ} [الأنعام: ١٠٧] وَقَالَ تَعَالَى: {وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ، وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا، مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ} [الأنعام: ١١١] وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ هُودٍ: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} [هود: ١١٨]

313 - أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: نَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُلَيَّةَ، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: قُلْتُ لِلْحَسَنِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ} [هود: ١١٩] قَالَ: وَمَنْ رَحِمَ رَبُّكَ غَيْرُ مُخْتَلِفِينَ وَقُلْتُ: وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ؟ قَالَ: نَعَمْ، خَلَقَ هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ، وَخَلَقَ هَؤُلَاءِ لِلنَّارِ، وَخَلَقَ هَؤُلَاءِ لِلرَّحْمَةِ، وَخَلَقَ هَؤُلَاءِ لِلْعَذَابِ

314 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ خَالِدٍ الْحَذَّاءِ قَالَ: قَدِمَ عَلَيْنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، وَكَانَ مُجَانِبًا لِلْحَسَنِ، لِمَا كَانَ يَبْلُغُهُ عَنْهُ فِي الْقَدَرِ، حَتَّى لَقِيَهُ، فَسَأَلَهُ الرَّجُلُ أَوْ سُئِلَ، عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ {وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ} [هود: ١١٩] قَالَ: لَا يَخْتَلِفُ أَهْلُ رَحْمَةِ اللَّهِ , قَالَ: {وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ} [هود: ١١٩] ؟ قَالَ: خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى أَهْلَ الْجَنَّةِ لِلْجَنَّةِ، وَأَهْلَ النَّارِ لِلنَّارِ قَالَ: فَكَانَ الرَّجُلُ بَعْدَ ذَلِكَ يَذُبُّ عَنِ الْحَسَنِ وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [إبراهيم: ٤] وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ النُّورِ: {لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [النور: ٤٦] وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْقَصَصِ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} وَقَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سُورَةِ الْمَلَائِكَةِ: {إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ، وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ، إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ} [فاطر: ٢٢] وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ حم عسق: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ} [الشورى: ٨] وَقَالَ فِي سُورَةِ الْمُدَّثِّرِ: {كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ، هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ} [المدثر: ٥٤] وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ: {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا} [الإنسان: ١] بَعْدَ أَنْ حَذَّرَ مِنَ النَّارِ، وَشَوَّقَ إِلَى الْجَنَّاتِ مِمَّا أَعَدَّ فِيهَا لِأَوْلِيَائِهِ، فَقَالَ بَعْدَ ذَلِكَ: {إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا} [المزمل: ١٩] ثُمَّ قَالَ: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ: {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ، وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}

هذا الباب فيه إضافة في التسمية من المؤلف أنه قال بَابُ ذِكْرِ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ مَشِيئَةَ الْخَلْقِ تَبَعٌ لِمَشِيئَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَمَنْ شَاءَ اللَّهُ لَهُ أَنْ يَهْتَدِيَ اهْتَدَى، وَمَنْ شَاءَ أَنْ يُضِلَّ لَمْ يَهْتَدِ أَبَدًا، طبعًا هنا المؤلف يتدرج في إثبات والرد على القدرية، ومعلوم بأن القدر بيناه من قبل أربع مراتب (علم فكتب فشاء فخلق)، وجُل الإشكاليات عند القدرية مسألة المشيئة والخلق؛ هم يقولون بأن العباد لهم مشيئة مستقلة ويخلقون أفعالهم بعد ذلك، شاؤوا مشيئة مستقلة ثم خلقوا أفعالهم، وعلى خلاف بين الغلاة منهم الذين نفوا علم الله عز وجل بأفعال

العباد قبل أن تقع، والذين ليسوا من الغلاة الذين أثبتوا العلم لله عز وجل لكنهم قالوا بأن للعبد مشيئة مستقلة، لذلك هؤلاء هم مذهب الحرية أو الاستقلال أو الاختيار. فهنا هذا الباب فيه رد على هؤلاء بأنه اثبات أن للعباد مشيئة.

وطبعًا التبويب ممكن يُرَد به على الجبرية لكن هو يُرَد به على القدرية أصالة لأنه يقول: **أَنَّ مَشِيئَةَ الْخَلْقِ تَبَعٌ لِمَشِيئَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَمَنْ شَاءَ اللَّهُ لَهُ أَنْ يَهْتَدِيَ اهْتَدَى، وَمَنْ شَاءَ أَنْ يُضِلَّ لَمْ يَهْتَدِ أَبَدًا**، إذًا هذا فيه رد واضح على القدرية بأن مشيئة الخلق لابد أنها تكون تحت مشيئة الله عز وجل، وأن ليس للعبد مشيئة مستقلة عن مشيئة الله عز وجل، التبويب ظاهر من ذلك بالرد على القدرية. وممكن أن يكون أيضًا رد على الجبرية لأنه يثبت بأن للعبد مشيئة والجبرية لا تثبت ذلك وتقول أن ليس للعبد مشيئة. لكن المقام هنا مقام القدرية، فنحن سنركز على ذلك.

والوقوع في المخالفة، إما الجبرية الذين غلوا في ذلك وجعلوا أنه لا مشيئة للعبد، أو القدرية النفاة الذين نفوا بأن مشيئة العبد تكون تحت مشيئة الله وجعل للعبد مشيئة مستقلة. فهذا التبويب يرد على مسألة المشيئة.

والمشيئة هي المرتبة الثالثة من مراتب الإيمان بالقدر، وأن تؤمن بمرتبة المشيئة تقتضي بأنك تؤمن بأن مشيئة الله نافذة، وأن قدرة الله عز وجل شاملة؛ فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا حركة ولا سكون ولا هداية ولا إضلال إلا بمشيئته سبحانه وتعالى.

وهذه المشيئة التي نقولها دل عليها إجماع الرسل؛ ما في رسول أو كتاب أنزله الله عز وجل، بل الفطرة التي فطر الله عز وجل عليها العباد، إلا وتدل على ذلك، بل العقل يدل على ذلك، والبيان يدل على ذلك، والنصوص كثيرة جدًا. لذلك قرأنا إلى الآن عدة نصوص في مسألة إثبات المشيئة لله عز وجل؛ بأن الله عز وجل يثبت بأن الهداية له سبحانه وتعالى، بأن المشيئة له؛{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ} [الأنعام: 35] ، و {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ} [البقرة: 253]، هذا كله مشيئة. وأيضًا الآيات التي قبلها {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً، فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ، لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ، وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ، بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ، وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [البقرة: 213] يبين بأن لو شاء الله عز وجل لأبقى الناس على أمة واحدة لكن الله عز وجل جعل في الأمة التفرقة والاختلاف، وجعل لهذه الهداية ولهذه الضلالة.

فكل هذه الآيات تبين مسألة المشيئة، والنصوص كثيرة؛ قال سبحانه وتعالى:{ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُۗ } [القصص:68]، فهنا (يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ) عموم، (وَيَخْتَارُۗ) دلالة على العموم، إذًا دلالة على عموم خلقه سبحانه وتعالى ونفوذ مشيئته أيضًا (وَيَخْتَارُۗ) كل شيء.

ثم أيضًا ذكر آيات أخرى:{ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ} [التكوير:29]، أثبت المشيئة للعباد لكن مشيئتهم لابد أن تكون دون مشيئة الله عز وجل. وأيضًا {وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا* إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ } [الكهف:23-24]، إذًا لا يمكن أن تفعل شيء لم يرده الله عز وجل ولم يشاءه. ثم أتى بآية الأنعام: {وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ، وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا، مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ} [الأنعام: 111] وقلنا الآيات على ذلك كثيرة.

ومنها أيضًا من السنة قول النبي ﷺ:[كلَّ قلبٍ من قلوبِ بني آدمَ فهو بين أُصبعين من أصابعِ الرحمنِ يقلبُه كيف يشاءُ]، وأيضًا جاءت السنة من حديث أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا جاء السائل أو طلب منه حاجة فقال النبي ﷺ: [اشفَعُوا تُؤجَروا، ويَقضي اللهُ على لسانِ نَبيِّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ما شاءَ] إذًا (اشفَعُوا تُؤجَروا) هذا عمل، ثم بيَّن (ويَقضي اللهُ على لسانِ نَبيِّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ما شاءَ) أي أن الله عز وجل هو الذي سيقضي وأن لكم الشفاعة وأن تشفعوا للناس لكن نهاية الأمر كله من عند الله عز وجل.

إذًا لابد أن نؤصل دائمًا وأن نرد لأن هذا الرد على القدرية هو تأصيلًا لعقيدة أهل السنة والجماعة بأن مشيئة الله عز وجل نافذة، وأن قدرته شاملة، فيجتمعان بما كان وما سيكون، ويفترقان فيما لم يكن ولا هو كائن، لأن هذا من تمام قدرته سبحانه وتعالى، قال تعالى: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ} [البقرة: 253] لو شاء الله عز وجل لم يقتتلوا ولكن الله شاء أن يقتتلوا، وقد اقتتلوا. وهذه كما سنبين فإن الإرادة إرادة كونية وإرادة شرعية.

قال تعالى أيضًا: { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى} [الأنعام: 35] ، وأيضًا {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا} [الأنعام: 107] وهناك من أشرك. هذه كلها إرادة كونية. { وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ} [يونس: 99].

إرادة الله عز وجل على قسمين؛

1- إرادة كونية قدرية؛ وهي المرادفة لكلمة المشيئة؛ أي أن المشيئة مرادفة للإرادة الكونية القدرية، وهذه الإرادة لا تخرج عن مرادها الكوني أبدًا، فالكافر والمسلم تحت هذه الإرادة الكونية سواء بالطاعات أو بالمعاصي كلها بمشيئة الله عز وجل، لذلك قوله تعالى:{ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ} [الرعد:11]، هذه إرادة كونية. وقال: {فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ} [الأنعام:125]، فهنا هذه إرادة كونية أيضًا.

2- إرادة شرعية دينية؛ وهي التي بمعنى محبة الرب ورضاه، وهذه كثيرة أيضًا؛ قوله تعالى: {يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ } [البقرة:185]، و {وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ} [النساء:27]، وأيضًا{ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ} [المائدة:6]، هذه إرادة شرعية.

إذًا الإرادة الربانية على قسمين؛ إرادة كونية قدرية وإرادة شرعية.

وهناك فروقات بين الإرادة الكونية وبين الإرادة الشرعية؛

1- أولًا أن **الإرادة الكونية** تقع فيما يحبه الله عز وجل وفيما لا يحبه الله؛ أي تقع الإرادة الكونية فيما يحبه الله ويرضاه وتقع الإرادة الكونية فيما لا يحب الله عز وجل ويرضاه، هذه الإرادة الكونية، بخلاف **الإرادة الشرعية** لا تقع إلا فيما يحبه الله عز وجل فقط.

2- حتمية وقوع **الإرادة الكونية**؛ أي أن الإرادة الكونية لابد ستقع؛ {وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ، وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ} [البقرة: 253]، هو شاء أن يقتتلوا فلابد أن يقع الاقتتال. لكن **الشرعية** قد تقع ولا قد لا تقع؛ يقول الله عز وجل: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ } [البقرة: 21] ليس كل الناس عبدوا الله. إذًا الإرادة الشرعية قد تقع وقد لا تقع،{وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ} [الإسراء: 23]، وهذا قضاء شرعيًا لأن هناك من استجاب فعبد الله عز وجل، وهناك من لم يستجب فلم يعبد الله عز وجل أو عبد مع الله عز وجل. فأصبحت الإرادة الكونية حتمية الوقوع لابد ستقع، والإرادة الشرعية قد تقع وقد لا تقع، قد يريدها الله لكن قد تقع وقد لا تقع، أما الإرادة الكونية لابد من وقوعها. والإرادة الكونية كالإحياء، كالإماتة إن ارادها الله لابد ستكون؛ سيحيي من يريد ويميت من يريد. لكن الشرعية مثل "الإسلام"؛ يريد الإسلام

للناس{وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ} [آل عمران:85]، و {إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ} [آل عمران:19] لكنه لا يلزم من وقوعه؛ لا يلزم أن الناس كلهم دخلوا الإسلام.

3- **الإرادة الكونية** تجدها متعلقة بربوبية الله عز وجل؛ دلالة على ربوبية الله وقدرة الله وأن هو الرب الخالق المتحكم القادر، أما **الإرادة الشرعية** تتعلق بألوهية الله لأن هو الذي أنزل الشرائع وفي افراده بالعبادة، فتجد معنى الإرادة الشرعية في الألوهية لله؛ تدل على ألوهية الله عز وجل لأن هو المراد باتباعه، أما الإرادة الكونية ففيه بيان ربوبية الله عز وجل.

4- **الإرادة الكونية** قد تكون مقصودة لغيرها؛ كما قلنا الآن كخلق إبليس وسائر الشرور، هي ليست مقصودة لذاتها، الله لم يخلق إبليس قاصدًا لإبليس، أو الشر للشر، لا، هو خلق إبليس لحِكَم لغيرها. إذًا الإرادة الكونية مقصودة لغيرها لكن قدَّر ذلك وأراده كونًا مقصودًا لغيره، فيخلق الشرور لتتوب الناس، لتجاهد نفسها، لترتفع مقامات العبودية- كما بينا -. أما **الشرعية** دائمًا مقصودة لذاتها، لأن الله عز وجل أراد الطاعة وأحبها ورضيها لذاتها.

5- الإرادتان الكونية والشرعية قد يجتمعان وقد يختلفان؛ أي الإرادة الكونية والشرعية تجتمع في المطيع؛ فالذي أدى الصلاة جمع بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية؛ فالصلاة محبوبة وأمر بها الله عز وجل إرادة شرعية، وكونها وقعت فدلت على إرادة كونية، فالله أرادها كونًا أن تقع، فاجتمع في المطيع إرادة الله الكونية وإرادة الله الشرعية. وتنفرد الكونية في حق الكافر ومعصية العاصي، لماذا؟ لأن إرادة الله الكونية وقعت في كفر الكافر ومعصية العاصي لكن الشرعية لم تقع، فهنا كان في كفر الكافر ومعصية العاصي تحقق الإرادة الكونية ولم تحقق فيه الإرادة الشرعية. وقد تنفرد الإرادة الشرعية في إيمان الكافر وطاعة العاصي؛ إيمان الكافر محبوب وطاعة العاصي محبوب لله عز وجل، انفردت الإرادة الشرعية لكن لم توجد الإرادة الكونية لأنه لم يقع. هو يريد أن يقول بأن كما انفردت الكونية وتحققت لأنها تقع أو لا تقع فالإرادة الشرعية مطلوبة منه لكنها لم تتحقق لأن الإرادة الكونية لم تحدث، فانفردت في حقه، لكنه لم يفعلها لكنها محبوبة إلى الله؛ أي لو فعلها يقبلها الله بدليل العاصي لو فعل الطاعة سيقبلها الله عز وجل مع أنه عاصي سيقبلها، والكافر إيمانه سيقبله الله عز وجل منه إن فعله لأنه محبوب إلى الله عز وجل.

هذا الكلام الذي قلناه في الإرادة ممكن ينسحب على غير الإرادة؛ أي ينسحب على **الكتابة**؛ فهناك كتابة قدرية وكتابة شرعية، **والأمر**؛ هناك هناك أمر كوني وأمر شرعي، **والإذن**؛ هناك

إذن كوني وإذن شرعي، **والكلمات**؛ هناك كلمات كونية وكلمات شرعية، **والبعث والإرسال والتحريم** كل هذه فيها التقسيم، وتوجد آيات في القرآن على الكونية والشرعية.

- **الكتابة الكونية والكتابة الشرعية:**

قال سبحانه وتعالى:{ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ} [المجادلة:21]، هذه كونية. والشرعية مثل: {كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ} [البقرة:183]، لكن ليس كل الناس صاموا، على الضوابط التي قلناها في الإرادة الكونية والشرعية تجدها في الكتابة.

- **الأمر الكوني والأمر والشرعي:**

الأمر الكوني: {وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ} [القمر:50]، هذا كوني. والشرعي كقوله تعالى:{ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ} [النحل:90].

- **الإذن الكوني والإذن الشرعي:**

{وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ} [البقرة:102]، هذا الإذن الكوني كما ذكر هنا المؤلف. أما الشرعي:{ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ} [يونس:59]، هذا إذن شرعي. وأيضًا من الشرعي:{ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ} [الشورى:21]، والله لم يأذن شرعًا بذلك، فهذا إذن شرعي.

- **الجعل الكوني والجعل الشرعي:**

الجعل الكوني: {كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ} [الأنعام:125]، هذا جعل كوني "الرجس". وأيضًا: {مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ} [المائدة:103]. وأيضًا:{ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ} [المائدة:97] هذا جعل شرعي.

- **الكلمات الكونية والكلمات الشرعية:**

[أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ] كلمات شرعية، لكن: {كَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ} [يونس:33] هذه كلمات كونية. والكلمات الشرعية كما في قوله تعالى: {فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ} [التوبة:6] هذا شرعي يسمع كلام الله القرآن، هذا شرعي؛ كلمات شرعية. أما: {وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا} [التحريم:12] هذه اجتمع فيها الإثنين؛ صدقت بكلمات ربها كونًا وشرعًا، جمعت الإثنين لأن هي استجابت وصدقت وأيضًا قدَّر الله عز وجل الكلمات هذه.

- **البعث الكوني والبعث الشرعي:**

البعث الشرعي: {فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ} [البقرة:213]، هذا بعث شرعي. وفي سوره الإسراء البعث الكوني: {بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَـٰلَ ٱلدِّيَارِ} [الإسراء:5]، هذه كوني لأن هذا واقع كوني على بني إسرائيل ما سيحدث، لكن الشرعي بعث الله النبيين منهم استجابوا ومنهم من لم يستجب لهم.

- **الإرسال الكوني والإرسال الشرعي:**

إرسال كوني كقوله تعالى:{ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ } [الأعراف:57].

والإرسال الشرعي:{ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ} [التوبة:33].

- **التحريم الكوني والتحريم الشرعي:**

التحريم الكوني: {وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ } [القصص:12]. وأما التحريم الشرعي: {وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا} [المائدة:96].

- **الكُره الكوني والكُره الشرعي:**

قال تعالى في الكره الكوني:{ وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ} [التوبة:46]، المنافقين كره الله انبعاثهم هذا كره كوني من الله عز وجل، لا يقبل الله عز وجل من المنافق والكافر. لكن الشرعي كما في آيات سورة الإسراء لما حرَّم الله عز وجل التحريمات: {وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ} [الإسراء:32]،{وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ } [الإسراء:33] قال: {كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا} [الإسراء:38]، فأصبح هذا كره شرعي لأن الله عز وجل نهانا عن فعل ذلك.

وحتى نختم الكلام، ذكر هنا الكلام الذي قاله الحسن البصري، وطبعًا لها قصة أنه لما جاء الحسن البصري رحمه الله وذكر له: {وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ} [هود:118-119]، قال ومن رحم ربك غير مختلفين ولذلك خلقهم، قال نعم خلق هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار، وخلق هؤلاء للرحمة وخلق هؤلاء للعذاب. ثم ذكر في الرواية التي تليها: "عَنْ خَالِدٍ الْحَذَّاءِ قَالَ: قَدِمَ عَلَيْنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، وَكَانَ مُجَانِبًا لِلْحَسَنِ، لِمَا كَانَ يَبْلُغُهُ عَنْهُ فِي الْقَدَرِ " وهذا الذي نريده: "كَانَ مُجَانِبًا لِلْحَسَنِ، لِمَا كَانَ يَبْلُغُهُ عَنْهُ فِي الْقَدَرِ" فلقي الحسن فسأله. والحسن نُقِل عنه والحسن إمام من أهل السنة لكن ظهر منه بعض الكلمات في مسألة القدر فظُن به بأنه يقول في القدر شيئًا لذلك الرجل كان يجانبه حتى لقيه وسأله عن قول الله عز وجل: {وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ} [هود: 118-119] فقال

الحسن: "لَا يَخْتَلِفُ أَهْلُ رَحْمَةِ اللَّهِ". فلو قلنا: {وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ} هذه على المنطوق، فالكل مختلف، و(إلا) للإستثناء {إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ}، لذلك قال: "لَا يَخْتَلِفُ أَهْلُ رَحْمَةِ اللَّهِ". {وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ} هنا هذا المقصود.. لماذا؟ لأنه لما قال الحسن: "خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى أَهْلَ الْجَنَّةِ لِلْجَنَّةِ، وَأَهْلَ النَّارِ لِلنَّارِ قَالَ: فَكَانَ الرَّجُلُ بَعْدَ ذَلِكَ يَذُبُّ عَنِ الْحَسَنِ" لماذا؟ ظهر له كلام الحسن في القدر أنه منضبط؛ بأن الله الذي خلق أهل الجنة للجنة وخلق أهل النار للنار، ليس أهل الجنة الذين هم بأعمالهم – كما تقول المعتزلة والقدرية – أنهم يذهبون إلى الجنة بأعمالهم، وهؤلاء ثمانية، وإلى النار بأعمالهم ثمانية أيضًا، فهؤلاء يقولون بأن العبد مستقل! لا، هنا يثبت بأن الله عز وجل كتب على هؤلاء – وهنا المقصود – وشاء لهؤلاء أن يعملوا بعمل أهل الجنة فكانوا من أهل الجنة، وهؤلاء الذين يعملوا بعمل أهل النار.. لذلك قال: "فَكَانَ الرَّجُلُ بَعْدَ ذَلِكَ يَذُبُّ عَنِ الْحَسَنِ" لماذا؟ لأن أظهر الحسن – رحمه الله – أنه على العقيدة، وإن كان حتى بُلِغ عنه في بعض الأمور كلامًا فعلًا فيه مؤاخذة، لكنه على الجادة؛ على عقيدة أهل السنة والجماعة، إلا فيما ورد عنه من زلل أو بعض الكلام، لكنه هنا أثبت بأن الكلام هذا ليس بكلام القدرية، وهذا المقصود من الرواية الأولى والرواية الثانية التي ذكر فيها ذلك.

حقيقة هي فيها مسألة مهمة جدًا – وهذه من الفوائد المستنبطة حتى نختم بذلك – على أن لابد للمرء في تعامله مع العلماء ومع أهل الفضل والصلاح أولًا من العذر لهم ومن التَثَبُّت، وثانيًا من المراجعة له حتى يستوثق المرء ممن قاله، لأنه أحيانًا يُنقَل عن العلماء شيء وهو ليس بقول له؛ سواء فهمًا من أحد الطلاب أو فهمًا من الكلام، فإن كان هو أصلًا يُعلَم عنه أنه على الجادة وأنه من أهل السنة والجماعة وأنه على الحق فهنا لابد أن يُستوثَق أولًا من هذا الكلام، وأفضل ما يستوثق منه أن يُسأل هو نفسه أو يُسمَع الكلام الذي قاله سماعًا أي بتفصيل حتى يُعلَم.

ثانيًا هب أن المرء كلامه يُحمَل على أوجه، فالصحيح عند أهل السنة والجماعة أن يُحمَل على الحق إلا أن يتبين لك مقصد غير ذلك. الإمام أحمد يقول: (لو وجدت الرجل على تسعة وتسعين بابًا من الكفر وبابًا من الإيمان لحملته على هذا الوجه)، وليس كما يحدث الآن كل كلمة بتخرج علطول فالكلمة قد تحتمل وقد لا تكون أصلًا في الباب لكن هو لابد يسارع إلى أن يجعلها في فتح لأبواب الكفر! فأنت انظر العلماء كيف كانوا يتعاملون. فالكلام لو يحتمل لابد أن تحمل الأصل على الإسلام إلا أن يتبين لك خلاف ذلك.

ثالثا بأنك لابد أن تحفظ للعلماء قدرهم، حتى إن جاء إلى ذهنك أن فلان قد قال فلا أحد معصوم، ارجع لأقوال العلماء الأئمة كلهم؛ مالك، وأبي حنيفة، والشافعي، وأحمد ستجد أقوال فيها شذوذ أحيانًا في بعض المسائل، لا تقول أن الإمام الشافعي يقول ذلك ولا الإمام مالك ولا الإمام أبو حنيفة ولا الإمام أحمد، لأن لا أحد معصوم، لكن هل هذا يقدح في قدرهم؟! يقدح في دينهم أو في طاعتهم أو في أعمالهم؟! يقدح في ذاتهم؟! نحن لسنا مسؤولين عن الذات في شيء، ليس لنا أن نتكلم عن ذوات الناس فنحن نتكلم عن أقوالهم وأفعالهم، فإن كان وقع في زلل أو وقع في خطأ في مسألة ما فيُرَد عليه بحسن وبأدب في هذه المسألة ولا يُقدَح فيه خاصة أنه يُعلَم أنه من أهل السنة والجماعة وليس من المبتدعة الذين يراد أن يُرد عليهم.

فهذه المسألة مهمة جدًا، وهذه من الفوائد التي تُستَنبط من تعامل الراوي مع "الحسن" لما سمع منه ذلك فأراد أن يستوثق منه بل ذبَّ عنه بعد ذلك عما يقال، وهذا لابد أن يكون خلق خاصة بين طلاب العلم مع العلماء ومع الشيوخ، وليست المسألة كما ابتلينا بها؛ مسألة الجرح والتعديل هذه التي أصبحت مشاعًا لأي أحد خالفه أن يقول في من خالفه كل ما يحب أن يقوله!

هو نهاية لما قال: {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ* وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير: 28-29] فصل في مسألة اثبات المشيئة، وهو سيفصل في الرد على الجبرية وعلى القدرية باثبات أن له مشيئة ولكن المشيئة تحت مشيئة الله عز وجل.

نقف عند هذا القدر إن شاء الله نكمل الأسبوع القادم هذه الأبواب العظيمة في القدر.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

المحاضرة الثانية والأربعون

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام على موعد مع شرح كتاب الشريعة للإمام الآجري – عليه رحمة الله تعالى– وما زلنا في أبواب القدرية والرد على القدرية وكلام الإمام وتبويبه في الرد على الطائفة المبتدعة القدرية بعد أن رد كما بينا في الأجزاء السابقة على المرجئة. فما زلنا في الردود على القدرية ومعنا أبواب في ذلك يُجلِّي لنا الإمام – عليه رحمة الله تعالى – المسائل التي خالف فيها القدرية ويرد عليهم بالكتاب وبالسنة وبتأصيل كلام أهل السنة والجماعة في هذه المباحث، وكنا قد وقفنا عند باب ذكر ما أخبر الله عز وجل أن مشيئة الخلق تبع لمشيئته سبحانه وتعالى فمن شاء الله له أن يهتدي اهتدى ومن شاء أن يضل لم يهتد أبدًا، وكنا قد تكلمنا في مسألة الإرادة الكونية والإرادة الشرعية وبينا الفروقات بينهم.

ونكمل القراءة؛؛

قال المصنف رحمه الله:

315 - أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أَنَسٍ مَالِكُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ: نا بَقِيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ، عَنْ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: "لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ} [التكوير: ٢٨] قَالُوا: الْأَمْرُ إِلَيْنَا، إِنْ شِئْنَا اسْتَقَمْنَا، وَإِنْ شِئْنَا لَمْ نَسْتَقِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: اعْتَبِرُوا يَا مُسْلِمُونَ، هَلْ لِقَدَرِيٍّ فِي جَمِيعِ مَا تَلَوْتُهُ حُجَّةٌ؟ إِلَّا خُذْلَانًا وَشِقْوَةً

316- أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأُوَيْسِيُّ قَالَ: قَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ: "مَا أَضَلَّ مَنْ كَذَّبَ بِالْقَدَرِ لَوْ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِمْ فِيهِ حُجَّةٌ إِلَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ} [التغابن: ٢] لَكَفَى بِهَا حُجَّةً

317 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نَا أَبُو أَنَسٍ مَالِكُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ: حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ، يَعْنِي ابْنَ الْوَلِيدِ، عَنْ مُبَشِّرِ بْنِ عُبَيْدٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: وَفِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ، فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ} [الأعراف: ٣٠] «وَكَذَلِكَ خَلَقَهُمْ حِينَ خَلَقَهُمْ، فَجَعَلَهُمْ مُؤْمِنًا وَكَافِرًا، وَسَعِيدًا وَشَقِيًّا، وَكَذَلِكَ يَعُودُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُهْتَدِينَ وَضُلَّالًا»

استدل الإمام لما قال: "اعْتَبِرُوا يَا مُسْلِمُونَ، هَلْ لِقَدَرِيٍّ فِي جَمِيعِ مَا تَلَوْتُهُ حُجَّةٌ؟ إِلَّا خُذْلَانًا وَشِقْوَةً". كذلك من قوله تعالى: {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير: 28-29] أين في هذه الرد على القدرية؟ لأنه قال: "هَلْ لِقَدَرِيٍّ فِي جَمِيعِ مَا تَلَوْتُهُ حُجَّةٌ؟ إِلَّا خُذْلَانًا"؟ إذًا هو يستدل من قوله تعالى: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير: 29] في الرد على القدرية.

وأنا قلت قبلها {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ} [التكوير: 28] فيها رد على الجبرية. الآية الأولى فيها رد على الجبرية وإن كان ليس المقام الكلام في الجبرية وإن كان كله في القدر؛ فمنهم طوائف من قالوا بالجبر - وهو من القدر - ومنهم من كذبوا ونفوا القدر وهم النفاة القدرية

الذي يتكلم عنهم المؤلف الآن، فأتى بـ {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير: 29] **فمن هذه الآية يرد بها على القدرية.. كيف الرد؟**

أثبت أن مشيئة العبد تابعه لمشيئة الرب، فالقدرية يجعلون الإرادة والمشيئة مستقلة في أفعال العباد، وأن العباد يخلقون أفعالهم، وطبعًا الغلاة منهم ينفرون علم الله عز وجل وكتابته لأفعال العباد، هؤلاء غلاة القدرية منهم وغلاة الجهمية، وهو يستدل هنا بـ {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} أي أن مشيئة العبد لا يمكن أن تجاوز مشيئة الله عز وجل، هذا هو الرد هنا.

لذلك هو أتى بعد ذلك أيضًا بحديث مالك بن أنس: " مَا أَضَلَّ مَنْ كَذَّبَ بِالْقَدَرِ لَوْ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِمْ فِيهِ حُجَّةٌ إِلَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ} [التغابن: 2] لَكَفَى بِهَا حُجَّةً" هذا أيضًا دليل آخر عليهم؛ على أن الله عز وجل أولًا هو الذي خلقكم، وخلقكم وما تعملون؛ خلقكم وخلق أفعالكم، ثم أكد: {فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ}، إذًا خلق بعضكم كفارًا وبعضكم مؤمنين. إذًا هذه بإرادة ومشيئة الله عز وجل؛ وطبعًا خلقًا وإيجادًا، وفعلًا وكسبًا من العباد. فدل ذلك على أن الخلق إيمان وكفر هو من عند الله عز وجل.

لذلك قال في الثانية: {كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ، فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ} [الأعراف: 30] «وَكَذَلِكَ خَلَقَهُمْ حِينَ خَلَقَهُمْ، فَجَعَلَهُمْ مُؤْمِنًا وَكَافِرًا، وَسَعِيدًا وَشَقِيًّا، وَكَذَلِكَ يَعُودُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُهْتَدِينَ وَضُلَّالًا». هذه كلها أدلة الرد على القدرية النفاة الذين ينفون ذلك، فالله عز وجل يبين: {فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ} [الأعراف: 30]. إذًا كتابة وعلمًا من الله عز وجل، وخلقًا أيضًا ومشيئة، فهو لما يقول: {كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ، فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ} [الأعراف: 30] هذه إرادة ومشيئة لله عز وجل. قال وكذلك خلقهم فمنهم مؤمن ومنهم كافر، ومنهم سعيد ومنهم شقي، وكذلك يعودون يوم القيامة.

318- وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ يَعْنِي الثَّوْرِيَّ، عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ: فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} [القمر: ٤٩] قَالَ: نَزَلَتْ تَعْيِيرًا لِأَهْلِ الْقَدَرِ

319 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ عِيَاضٍ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا} [الشمس: ٨] قَالَ: فَالتَّقِيُّ أَلْهَمَهُ التَّقْوَى، وَالْفَاجِرُ أَلْهَمَهُ الْفُجُورَ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: وَقَدْ قَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: "وَاللَّهِ مَا قَالَتِ الْقَدَرِيَّةُ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى، وَلَا كَمَا قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَلَا كَمَا قَالَ النَّبِيُّونَ، وَلَا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْجَنَّةِ، وَلَا كَمَا قَالَ أَهْلُ النَّارِ، وَلَا كَمَا قَالَ أَخُوهُمْ إِبْلِيسُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: {سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا} [البقرة: ٣٢] وَقَالَ النَّبِيُّونَ مِنْهُمْ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: {وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا} [الأعراف: ٨٩] وَقَالَ أَهْلُ الْجَنَّةِ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ} [الأعراف: ٤٣] وَقَالَ أَهْلُ النَّارِ: {رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا} [المؤمنون: ١٠٦] وَقَالَ أَخُوهُمْ إِبْلِيسُ {رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي} [الحجر: ٣٩]

هنا مازال في الآيات الأولى {ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ * إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} [القمر: 48-49] طبعًا دلالة على العموم؛ أن كل شيء قد خلقه الله عز وجل بقدر، وهو قدَّر كل ما كان، وكل ما سيكون إلى قيام الساعة، حتى كل من لم يكن لو كان كيف سيكون، هذا كله من قدر الله عز وجل، وهذا اثبات أن لا شيء يقع في الكون إلا بقدر من الله، وهذا كله رد على القدرية النفاة الذين يقولون بأن أفعال العباد يخلقها العباد وأن لهم مشيئة مستقلة، فقال هنا: {ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ * إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} [القمر: 48-49] ما في شيء في هذا الكون يخرج عن قدر الله عز وجل.

وأيضًا {فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا} [الشمس: 8] من الذي ألهمها؟ الله عز وجل. إذًا التقوى والفجور، الهداية والضلالة هذه من عند الله عز وجل. فهذا يبين بأن هذا أيضًا ليس من نفسه، هم يقولون بأن الطائع هو الذي خلق الطاعة من نفسه والعاصي هو الذي عصى بنفسه، ونقول أن هذا كله تقديرًا من الله عز وجل، وفعلًا أو مباشرة هو من العبد. هم يريدون أن ينفوا بأن الله عز وجل قد خلق ذلك أو قدرة. فهنا نسبة (فَأَلْهَمَهَا) الله عز وجل هو الذي ألهم سبحانه وتعالى التقوى والفجور، فدل ذلك على أن الأمر كله بقدر من الله عز وجل.

ثم أنكر عليه إنكارًا شديدًا؛ يبين أن قول القدرية خالفوا فيه كل الأقوال؛ خالفوا فيه بالأصل طبعًا قول الله عز وجل، وقول النبيون، وأيضًا قول الملائكة، قول أهل الجنة، وقول أهل النار، حتى قول إبليس، واستشهد بذلك وقال: "وَاللَّهِ مَا قَالَتِ الْقَدَرِيَّةُ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى، وَلَا كَمَا قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ... " طبعًا قول الله عز وجل ما سبق. قال الله عز وجل: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير: 29] هذا واضح؛ الله عز وجل بيَّن أن المشيئة له.

والملائكة قالت: {سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا} [البقرة: 32] نسبوا العلم لله عز وجل. إذًا تعلُّم العلم ومعرفته نسبوه إلى الله عز وجل؛ الله هو الذي خلق لهم هذا العلم، وهو الذي قدره عليهم، ليس هو من أنفسهم.

وأيضًا النبيون؛ قال النبيون عليهم السلام: {وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا} [الأعراف: 89]. فهذا قول شعيب عليه السلام أيضًا يثبت فيه مشيئة الله عز وجل. فكل هذا رد عليهم.

وقال أهل الجنة: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ} [الأعراف: 43]. إذًا هنا يبين أيضًا أهل الجنة بأن الهداية جاءت من عند الله عز وجل.

وأيضًا أهل النار: {رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا} [المؤمنون: 106] الشاهد هنا من الآيات: (غَلَبَتْ عَلَيْنَا). (غَلَبَتْ) إذًا قدَّر الله عز وجل عليهم هذه الشقاوة، وصحيح الشقاوة حدثت بفعلهم لكن بتقدير من الله عز وجل أولًا.

وقال أخوهم إبليس: {رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي} [الحجر: 39]جعل الغواية تقديرًا، **وانتبهوا**... لأن هناك مسألة مهمة فقد وقع الإشكال عند كثير من الناس في أنهم **لا يفرقون بين الشيء كتابة وتقديرًا، وبين الشيء ايجادًا وحقيقة**. هو قال هنا: {رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي} [الحجر: 39] أي هو جعل تقدير الغواية من الله عز وجل.

وحتى تبين المسألة هذه؛ الله عز وجل قدَّر وكتب أن فلان سيكون له أولاد محمد وأحمد وعلي وشيماء وعائشة، لكن نقول الآن كيف سيكون له أولاد؟ لابد من زواج ثم يأتي الولد، فهذا معنى الأمر أن يكون ايجادًا وحقيقة. أنا لماذا أتيت بالمثال؟ لأننا قلنا هو كتب هذا؛ سيكون له أولاد، لكن من الذي سيجعل حقيقة الولد موجودة وايجادًا؟ أن الرجل سيتزوج وينجب. فلما تُفهَم هذه المسألة بيزول الإشكال عند كثير من العوام والناس عندما يقولوا: "أن الله هو الذي كتب الهداية والشقاوة، طيب ففي النهاية هم لن يفعلوا شيء". فنقول لا، نفرِّق بين الكتابة والتقدير وبين الحقيقة والإيجاد. فلماذا هذا الربط مهم؟ لأنه ما دام كتب الله عز وجل أن سيكون لفلان ولد – وهذا كونًا – فلابد من الوسيلة التي ستؤدي لتحقيق ذلك، وهذه الذي سيباشرها العبد؛ هو الذي سيتزوج، وهو الذي سيطأ، وهو الذي سيكون له أولاد. وهنا ينجلي الإشكال عند كثير من الناس عندما يفرق بين الأمر كتابة وتقديرًا، وبين ايجادًا وحقيقة.

فما دام كتب إذًا لابد سيكون، لكن الذي سيباشر ويفعل ذلك هو العبد مادام قد كتب. لكن هل ممكن أحد يقول بأنه قد كتب الله لي الولد فأنا أجلس ولن أتزوج والولد سيأتي؟! لا يمكن، فنبين هذا التفكيك للذي عنده إشكال في مسألة القدر، نقول لا يمكن لو جلست طول عمرك أن سيكون لك الولد إلا أنك تفعل الوسيلة التي قد كتبها الله عز وجل وقدرها لك. فهذا هو حاصل المسألة. لذلك قال: {رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي} [الحجر: 39] طبعًا الغواية بسبب إبليس أصالة، هو الذي اكتسبها لأنه خالف أمر الله عز وجل، لكن هنا ينسف بأن الكتابة والتقدير هي من عند الله عز وجل، نعم، بما كتب عليه ذلك، لكن من الذي باشر الغواية ومن الذي أوجدها حقيقة؟ هو إبليس.

320 أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ بِذَلِكَ قَالَ: حَدَّثَنَا خَلَفُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْوَاسِطِيُّ الْمَعْرُوفُ بِكُرْدُوسٍ قَالَ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ خُبَيْبٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ أَنَّهُ قَالَ هَذَا قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: وَصَدَّقَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، وَنَحْنُ نَزِيدُ عَلَى مَا قَالَهُ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، مِمَّا قَالَتْهُ الْأَنْبِيَاءُ، مِمَّا هُوَ حُجَّةٌ عَلَى أَهْلِ الْقَدَرِ، وَمِمَّا قَالَهُ أَهْلُ النَّارِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، مِمَّا فِيهِ حُجَّةٌ عَلَى أَهْلِ الْقَدَرِيَّةِ فَأَوَّلُ مَا أَبْدَأُ بِذِكْرِهِ هَاهُنَا بَعْدَ ذِكْرِنَا لِمَا مَضَى زِيَادَةً عَلَى مَا قَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ ذَكَرْنَا عَنِ اللَّهِ تَعَالَى مَا قَالَهُ، مِمَّا يَفْتَضِحُ بِهِ أَهْلُ الْقَدَرِ، وَنَذْكُرُ مَا قَالَتْهُ الْأَنْبِيَاءُ مِمَّا هُوَ رَدٌّ عَلَى أَهْلِ الْقَدَرِ، الَّذِينَ خطا بِهِمْ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ، وَالَّذِي قَدْ لَعِبَ بِهِمُ الشَّيْطَانُ وَاسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمْ، وَخَالَفُوا سَبِيلَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي قَوْمٍ أَشْقَاهُمْ وَأَضَلَّهُمْ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ، فَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: {وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ} [الأنعام: ١١١]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: هَكَذَا الْقَدَرِيُّ يُقَالُ لَهُ: قَالَ اللَّهُ كَذَا، وَقَالَ: كَذَا وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَذَا وَقَالَ: كَذَا، وَقَالَتِ الْأَنْبِيَاءُ: كَذَا، وَقَالَتْ صَحَابَةُ نَبِيِّنَا: كَذَا، وَقَالَتْ أَئِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ: كَذَا، فَلَا يَسْمَعُ وَلَا يَعْقِلُ إِلَّا مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ مَذْهَبِهِ الْخَبِيثِ، أَعَاذَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ سُوءِ مَذْهَبِهِمْ، وَرَزَقَنَا وَإِيَّاكُمُ التَّمَسُّكَ بِالْحَقِّ، وَثَبَّتَ قُلُوبَنَا عَلَى شَرِيعَةِ الْحَقِّ، إِنَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ، وَأَعَاذَنَا مِنْ زَيْغِ الْقُلُوبِ، فَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمُوا أَنَّ قُلُوبَهُمْ بِيَدِ اللَّهِ، يُزِيغُهَا إِذَا شَاءَ عَنِ الْحَقِّ، وَيَهْدِيهَا إِذَا شَاءَ إِلَى الْحَقِّ، مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهَذَا كَفَرَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيمَا أَرْشَدَ أَنْبِيَاءَهُ إِلَيْهِ وَالْمُؤْمِنِينَ مِنَ الدُّعَاءِ، أَرْشَدَهُمْ فِي كِتَابِهِ أَنْ يَقُولُوا: {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ} [آل عمران: ٨]

هنا أيضًا أراد أن يضيف الإمام الآجري بعد ما نقله عن زيد بن أسلم من قول الله عز وجل وقول الملائكة وقول النبيون وقول أهل الجنة وأهل النار وإبليس فيما كان فيه حجة على القدر استدل من قوله تعالى بآية الأنعام: {وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ} [الأنعام: 111] هنا أيضًا (مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) إذًا مسألة الإيمان والهداية والضلالة كلها بمشيئة الله عز وجل. فهذه الآية رد أيضًا على القدرية على أن الهداية والضلال هي من عند الله عز وجل.

وانظر الإمام محمد بن الحسين يبين لك أصلًا مهمًا جدًا عند أهل السنة والجماعة؛ دائمًا أهل السنة والجماعة عندما يتكلمون في المسائل يقولون: "قال الله عز وجل"، "قال النبي ﷺ "، "قال الصحابة"، وهذا هو الأصل، وهذا المعيار والضابط بين أصحاب السنة حقًا – السلف الصالح – وبين المبتدع. صاحب السنة عندما يستدل فإنه يستدل بالكتاب والسنة وقول الصحابة وفهم الصحابة لذلك، وأما المبتدع فتجده يطرح الأدلة وإما يستدل بأصوله من عند نفسه كمبتدع في العقيدة هنا مسألة مثلًا الذين يقدمون العقل على النقل، فتجده يقدم العقل على النقولات، وإن أتيت بكل النقولات من الكتاب والسنة فهو يقدم الأصل الذي عنده وهو العقل. وهذا يبين لك الفرق بين طريقة استدلال أهل السنة والجماعة وطريقة استدلال المبتدعة؛ فأهل السنة والجماعة لا يقدمون شيء على الكتاب والسنة، يسيرون خلف الكتاب والسنة، ويعتقدون بعد أن يستدلون من الكتاب والسنة أو قول الصحابة فيما فهموه عن الكتاب وعن السنة. وأما المبتدعة كما قال: "فَلَا يَسْمَعُ وَلَا يَعْقِلُ إِلَّا مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ مَذْهَبِهِ الْخَبِيثِ"، فمهما تأتي له بالأدلة فهو يريد أن يجعل أصوله هي المقدمة عنده ويستدل بها. ونقول هذه دائمًا تجدها عند المناقشة والمناظرة مع المبتدع.

ثم أيضًا بيَّن بأن هذا الدعاء الذي في سورة آل عمران: {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ} [آل عمران: 8] قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيمَا أَرْشَدَ أَنْبِيَاءَهُ إِلَيْهِ وَالْمُؤْمِنِينَ مِنَ الدُّعَاءِ، أَرْشَدَهُمْ فِي كِتَابِهِ أَنْ يَقُولُوا هذا. وهذه سنة، تجد أن الكثير من العلماء ومن السلف عندما يتكلم في المسائل هذه ثم يختم بهذا الدعاء على أن الله عز وجل أرشدنا إلى ذلك أيضًا على أن ندعو بهذا الدعاء أن ربنا يثبت قلوبنا {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ} [آل عمران: 8] هذا أمر عظيم جدًا. وانظر هنا.. {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا} معنى الآية عظيم جدًا؛ أولًا بأن ندعو الله عز

وجل بألا يحولنا من الهداية إلى الزيغ – نعوذ بالله من ذلك – وأن يثبت لنا الهداية، وكل هذا منسوب إلى الله عز وجل؛ أن الهداية من الله عز وجل، وزيغ القلوب أيضًا من الله عز وجل. وكما قلنا فهذا تقديرًا وكتابة. وهذا دعاء كثير من أهل العلم يقولون به فِيمَا أَرْشَدَ أَنْبِيَاءَهُ إِلَيْهِ وَالْمُؤْمِنِينَ.

٣٢١ - أَخْبَرَنَا أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ الْحِنَّائِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ بْنِ حَسَّابٍ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا يُونُسُ، وَهِشَامٌ، وَالْمُعَلَّى بْنُ زِيَادٍ، عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: دَعْوَةٌ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَدْعُوَ بِهَا: " يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ قَالَتْ: قُلْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا دَعْوَةٌ أَسْمَعُكَ تُكْثِرُ أَنْ تَدْعُوَ بِهَا؟ فَقَالَ: «إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَلْبُهُ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ تَعَالَى إِنْ شَاءَ أَنْ يُقِيمَهُ أَقَامَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَنْ يُزِيغَهُ أَزَاغَهُ» قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: ثُمَّ نَذْكُرُ مَا قَالَتْهُ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ خِلَافَ مَا قَالَتْهُ الْقَدَرِيَّةُ قَالَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ لَمَّا قَالُوا: {يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} وَقَالَ شُعَيْبٌ لِقَوْمِهِ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا} الْآيَةَ وَقَالَ شُعَيْبٌ أَيْضًا لِقَوْمِهِ: {وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ، وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} [هود: ٨٨] وَقَالَ تَعَالَى فِي قِصَّةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ، وَهَمَّ بِهَا، لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ، كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ، إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} [يوسف: ٢٤] وَقَالَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: {رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ، وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ، وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ} [يوسف: ٣٣] قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ، فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [يوسف: ٣٤] وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: {رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا، وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ} [إبراهيم: ٣٥] وَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا دَعَا عَلَى قَوْمِهِ فَقَالَ: {رَبَّنَا إِنَّكَ

آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ، وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا} [يونس: ٨٩] وَقَالَ تَعَالَى فِيمَا أَخْبَرَ عَنْ أَهْلِ النَّارِ: {وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ} [إبراهيم: ٢١] قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: فَقَدْ أَقَرَّ أَهْلُ النَّارِ أَنَّ الْهِدَايَةَ مِنَ اللَّهِ لَا مِنْ أَنْفُسِهِمْ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: اعْتَبِرُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ قَوْلَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَقَوْلَ أَهْلِ النَّارِ، كُلُّ ذَلِكَ حُجَّةٌ عَلَى الْقَدَرِيَّةِ، وَاعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَ رُسُلَهُ، وَأَمَرَهُمْ بِالْبَلَاغِ، حُجَّةً عَلَى مَنْ أُرْسِلُوا إِلَيْهِمْ، فَلَمْ يُجِبْهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ إِلَّا مَنْ سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى الْهِدَايَةُ، وَمَنْ لَمْ يَسْبِقْ لَهُ مِنَ اللَّهِ الْهِدَايَةُ، وَفِي مَقْدُورِهِ أَنَّهُ شَقِيٌّ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ يُجِبْهُمْ، وَثَبَتَ عَلَى كُفْرِهِ، وَقَدْ أَخْبَرَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى يَا مُسْلِمُونَ بِذَلِكَ نَعَمْ، وَقَدْ حَرَصَ نَبِيُّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْأَنْبِيَاءُ مِنْ قَبْلِهِ، عَلَى هِدَايَةِ أُمَمِهِمْ، فَمَا يَقَعُ حِرْصُهُمْ، إِذَا كَانَ فِي مَقْدُورِ اللَّهِ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ،

الشيخ أتى بالحديث: [يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ] سئلت عائشة رضي الله عنها وأرضاها النبي ﷺ على هذا الحديث كثيرًا ما كان يقول به، فقال: [إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَلْبُهُ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ تَعَالَى إِنْ شَاءَ أَنْ يُقِيمَهُ أَقَامَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَنْ يُزِيغَهُ أَزَاغَهُ]، وهذه دلالة على أن مسألة الهداية والزيغ من عند الله عز وجل. وكل هذا طبعًا هو جيَّش الجيوش والأدلة للرد على القدرية. وطبعًا هو فيه الرد على القدرية من أكثر من وجه. الأول جاء من الكتاب، وهنا جاء من السنة. فمن الكتاب فرَّق بين قول الله عز وجل وقول أصحاب الجنة وأصحاب النار وقول الملائكة وقول النبيين وقول المسلمين. فهنا يبين بأن الهداية والزيغ من عند الله عز وجل؛ إن شاء الله أن يقيمه أقامه أو أزاغه،، فجعل المشيئة لله عز وجل.

ثم استدل بعد ذلك بآيات الأنبياء؛ منها نوح عليه السلام؛ وطبعًا هذه واضحة وصريحه جدًا: {قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ * وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [هود:33-34] وهذه الذي ختم بها الإمام الآجري الكلام في هذا الجزء على أن الأنبياء منهم من أراد الهداية لقومهم جميعًا، بل لأحبائهم أو اقربائهم، وهنا يقول: {وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ} إذًا المسألة كلها لو تعارضت فلابد أن تكون إرادة ومشيئة الله عز وجل هي

حاكمة على إرادة المخلوق ولو كان نبيًا، وهنا الرد على القدرية باثبات مشيئة الله عز وجل وأن الهداية بيده والغواية أيضًا من عنده سبحانه وتعالى.

وأيضًا ما جاء عن شعيب: {لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَ لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ} إلى أن قال: {وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا} إذًا أيضًا ليس عنده استقلال في المشيئة في مسألة العودة أو الهداية إلى غير ذلك. قال: {وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ} وهذا هو الشاهد: {وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} [هود: 88] أيضًا جعل التوفيق والسداد هو من عند الله. لذلك نقول دائمًا هداية التوفيق والسداد هي من عند الله، وأما هداية البيان والارشاد هذه للأنبياء والعلماء من بعدهم إلى غير ذلك.

وأيضًا استدل من قصة يوسف؛ قال: {كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ، إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} [يوسف: 24] من الذي سيصرف عنه السوء الفحشاء؟ الله عز وجل. وكذلك أيضًا: {فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ، فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [يوسف: 34] (فَاسْتَجَابَ) أي أن الله عز وجل هو الذي صرف كيد النساء عنه، وهذه دلالة أيضًا على أن الهداية والزيغ تكون من عند الله عز وجل.

أيضًا: {رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا} [إبراهيم: 35] هذا "الجعل" لو تذكروا قلنا أن هناك جعل قدري، وجعل شرعي، {رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا} [إبراهيم: 35] والله عز وجل كتب قدرًا أن هذا البلد آمنًا ومكة آمنة، نعم كتبها قدرًا في ذلك وشرعًا أيضًا أنه أمر بعد ذلك بذلك. {وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ} [إبراهيم: 35] لكن الحق أن{وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ} هذه ليست قدرية، ولكن شرعية، إلا أن نقول بأن (بَنِيَّ) يقصد بني إبراهيم أي سلالة إبراهيم عليه السلام من الأنبياء، أو نقول شرعًا لو قلنا أنه بني إبراهيم أي قوم إبراهيم، فليس الكل طبعًا قد عَبَد. لكن لو قلنا أن (بَنِيَّ) يقصد بني إبراهيم فنعم كلهم من الأنبياء ولم يقع فيهم أحد في الشرك.

قال موسى أيضًا لما دعا على فرعون، انظر هنا قال: {رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [يونس: 88] فالإتيان هو من عند الله عز وجل، وأيضًا قلنا الإتيان فيه كوني وفيه شرعي، {رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ، وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ} [يونس: 88] وطبعًا هذه دعوة موسى عليه السلام لما استيئس من إيمان فرعون فدعا عليه بأن يطمس الله عز وجل على أموالهم ويختم على قلوبهم

حتى قال: {فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ * قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا} [يونس: 88-89]وهنا أيضًا موسى طلب من الله عز وجل ذلك، فكل هذا اثبات لمشيئة الله عز وجل.

قال أيضًا في سورة إبراهيم: {وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ } [إبراهيم: 21] إذًا هنا أثبتوا أن الهداية تكون من عند الله عز وجل.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: "فَقَدْ أَقَرَّ أَهْلُ النَّارِ أَنَّ الْهِدَايَةَ مِنَ اللَّهِ لَا مِنْ أَنْفُسِهِمْ" ، فحتى أهل النار قد أقروا بذلك. ثم قال بعد ذلك: "أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَ رُسُلَهُ، وَأَمَرَهُمْ بِالْبَلَاغِ، حُجَّةً عَلَى مَنْ أُرْسِلُوا إِلَيْهِمْ، فَلَمْ يُجِبْهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ إِلَّا مَنْ سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى الْهِدَايَةُ" إذًا الذين أجابوا الرسل هم الذين كتب الله عز وجل من قبل أن هؤلاء هم من أهل الهداية، وأما من كتب الله عز وجل لهم بأنهم ليسوا من أهل الهداية وقدَّر ذلك وهم من أهل النار فهؤلاء الذين لم يستجيبوا إلى الرسل بل ثبتوا على الكفر.

لكنه بين بأن النبي ﷺ ومن قبله من الأنبياء حرصوا على هداية الأمم، لكن هذا الحرص – كما قال – لو صادم تقدير الله عز وجل على أن الله لن يُقدِّر لهؤلاء الإيمان ما كان لهم أن يؤمنوا، وهذه قد حدثت من نوح عليه السلام مع ابنه، قال: {يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ * قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ } [هود: 42-43] . ثم قال نوح لله عز وجل: {فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ } [هود: 45] فقال: {قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ} [هود:46] . فهنا أراد نوح الهداية لابنه ولم يستطع.

وإبراهيم عليه السلام:{ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ} [الأنعام:74]، الآيات. أو لما تودد إليه؛ قال: {إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا * يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا * يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا * يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا * قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا * قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا } [مريم:42-47]، إلى آخر الآيات، فأراد إبراهيم أيضًا إيمان أبيه ولم يُقدِّر الله عز وجل ذلك.

كذلك موسى عليه السلام أراد أيضًا لفرعون الإيمان والهداية أولًا، قال الله عز وجل لما أرسله: {اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ} [طه: 43-44]، فأرادوا له الهداية، والله عز وجل انظر.. يقول عن فرعون: {فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا} وهنا مسألة الدعوة كيف تكون،، فمع جبروته لكن بدأ معه باللين، إلى أن استيئس موسى عليه السلام أو وجد بأنه لن يؤمن دعا عليه بعد ذلك، فقدَّر الله عز وجل على أنه لن يؤمن، وآمن عند الغرق ولكنه لم يُقبَل منه إيمانه.

أيضًا النبي ﷺ أراد من عمه أبو طالب أن يؤمن، وكان حريصًا جدًا على أنه يؤمن، قال: [أي عَمِّ، قُل: لا إلَهَ إلَّا اللهُ، كَلِمةً أُحاجُّ لكَ بها عِندَ اللهِ] ولكنه لم يقلها، حتى أنه لما مات سيدنا "علي" جاء للنبي ﷺ قال: "مات عمك الضال" فقال النبي ﷺ له "اذهب فواريه". ثم جاء العباس رضي الله عنه وأرضاه يقول للنبي ﷺ ماذا فعلت لعمك فقد كان يؤويك ويحويك إلى غير ذلك، قال:[ولَولا أنا لَكان في الدَّرَكِ الأسفَلِ مِنَ النَّارِ] وفي رواية [لعلَّه تنفعُهُ شفاعتي يومَ القيامَةِ، فيُجعَلُ في ضَحضاحٍ من النارِ يبلُغُ كعبَيْهِ، يغلِي مِنْهُ أمُّ دِماغِهِ] وهذا أقل الناس عذابًا في النار، فكانت هذه الشفاعة الخاصة بالنبي ﷺ في عمه أبو طالب ومع ذلك أراد له الخير وأراد له الإيمان ولكنه لم يؤمن. لذلك قال: وَقَدْ حَرَصَ نَبِيُّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْأَنْبِيَاءُ مِنْ قَبْلِهِ، عَلَى هِدَايَةِ أُمَمِهِمْ، فَمَا نفع حِرْصُهُمْ، إِذَا كَانَ فِي مَقْدُورِ اللَّهِ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ.

طبعًا هناك فارق بأن النبي ﷺ كان أكثر الأنبياء حرصًا على الهداية؛ فأنت تجد أن نوح عليه السلام دعا على قومه، وموسى دعا على قومه أيضًا، والنبي ﷺ لما حدثت حادثة الطائف وجاء له ملك الجبال فقال: [بَل أرجو أن يُخرِجَ اللهُ مِن أصلابِهم مَن يَعبُدُ اللهَ وحدَه لا يُشرِكُ به شيئًا]. فكان النبي ﷺ حريصًا إلى فتح مكة؛ قاتلوه وقتلوا منهم ما قتلوا ومع ذلك لم يدعوا عليهم، إلا لما حدث بعض المواقف لكن لم يدعو عليهم الدعاء بالإبادة ونزول العذاب. فنقول هذا من رحمة النبي ﷺ وحرصه ﷺ على دخول أهل الكفر جميعًا إلى الإسلام.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: بَيِّنْ لَنَا هَذَا الْفَصْلَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّا نَحْتَاجُ إِلَى مَعْرِفَتِهِ، قِيلَ لَهُ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ النَّحْلِ: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ، فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} [النحل: ٣٦] ثُمَّ قَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ، وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ} [النحل: ٣٧] ثُمَّ قَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ، وَقَدْ أَحَبَّ هِدَايَةَ بَعْضِ مَنْ يُحِبُّهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} وَقَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيْضًا: {قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا، إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ، وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ، إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [الأعراف: ١٨٨] وَقَالَ تَعَالَى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ، فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [إبراهيم: ٤]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: كُلُّ هَذَا بَيَّنَ لَكُمُ الرَّبُّ تَعَالَى بِهِ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ إِنَّمَا بُعِثُوا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، وَحُجَّةً عَلَى الْخَلْقِ، فَمَنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ الْإِيمَانَ آمَنَ، وَمَنْ لَمْ يَشَأْ لَهُ الْإِيمَانَ لَمْ يُؤْمِنْ، قَدْ فَرَغَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، قَدْ كَتَبَ الطَّاعَةَ لِقَوْمٍ، وَكَتَبَ الْمَعْصِيَةَ عَلَى قَوْمٍ، وَيَرْحَمُ أَقْوَامًا بَعْدَ مَعْصِيَتِهِمْ إِيَّاهُ، وَيَتُوبُ عَلَيْهِمْ، وَقَوْمٌ لَا يَرْحَمُهُمْ، وَلَا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ: {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} [الأنبياء: ٢٣]

322 - أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: نا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ رُفَيْعٍ، عَمَّنْ سَمِعَ عُبَيْدَ بْنَ عُمَيْرٍ قَالَ: " قَالَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا رَبِّ أَرَأَيْتَ مَا ابْتَدَعْتُهُ: مِنْ قِبَلِ نَفْسِي أَوْ شَيْءٌ قَدَّرْتُهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ تَخْلُقَنِي؟ قَالَ: لَا، بَلْ شَيْءٌ قَدَّرْتُهُ عَلَيْكَ قَبْلَ أَنْ أَخْلُقَكَ قَالَ: فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} [البقرة: ٣٧]

323 - وَحَدَّثَنِي أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ بَكَّارٍ الْقَافِلَائِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى الْجُرْجَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ قَالَ: أَنْبَأَ الثَّوْرِيُّ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ رُفَيْعٍ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ: " قَالَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِرَبِّهِ تَعَالَى وَذَكَرَ خَطِيئَتَهُ: يَا رَبِّ، أَرَأَيْتَ مَعْصِيَتِي الَّتِي عَصَيْتُكَ: أَشَيْءٌ كَتَبْتَهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ تَخْلُقَنِي أَوْ شَيْءٌ ابْتَدَعْتُهُ مِنْ نَفْسِي قَالَ: بَلْ شَيْءٌ كَتَبْتُهُ عَلَيْكَ قَبْلَ أَنْ أَخْلُقَكَ قَالَ: فَكَمَا كَتَبْتَهُ عَلَيَّ فَاغْفِرْ لِي قَالَ: فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ} [البقرة: ٣٧] قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: قَدْ ذَكَرْنَا الْحُجَّةَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى فِيمَا ابْتَدَأْنَا بِذِكْرِهِ مِنْ أَمْرِ الْقَدَرِ، ثُمَّ نَذْكُرُ الْحُجَّةَ مِنْ سُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ؛ لِأَنَّ الْحُجَّةَ إِذَا كَانَتْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمِنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَيْسَ لِمُخَالِفٍ حُجَّةٌ، وَنَحْنُ نَزِيدُ الْمَسْأَلَةَ فَنَقُولُ: وَمِنْ سُنَّةِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَقَوْلِ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ التَّابِعِينَ وَغَيْرِهِمْ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: لَقَدْ شَقِيَ مَنْ خَالَفَ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ، وَهُمُ الْقَدَرِيَّةُ، فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: هُمْ عِنْدَكَ أَشْقِيَاءُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: بِمَ ذَا؟ قُلْتُ: كَذَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَسَمَّاهُمْ مَجُوسَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَقَالَ: «إِنْ مَرِضُوا، فَلَا تَعُودُوهُمْ، وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ»

وَسَنَذْكُرُ هَذَا فِي بَابِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

هو ختم هنا في الكلام بحديثين نفس المعنى؛ فيهم عن عبيد بن عمير، وطبعًا الإشكال أنه وقف في الإسناد عند عبيد بن عمير، ثم قال: (قال آدم عليه السلام) وأين من عبيد بن عمير لآدم؟! فثبوت السند فيه ما فيه، وإن كان الأول رواه ابن بطة في الإبانة، والثاني رواه ابن جرير الطبري في التفسير، لكن نقول أن المعنى ليس فيه إشكال وهذا الذي نريده؛ على أن آدم عليه السلام كأنه سأل الله عز وجل قال: "يَا رَبِّ أَرَأَيْتَ مَا ابْتَدَعْتُهُ – أي ما فعلته من أكلي من الشجرة – مِنْ قِبَلِ نَفْسِي أَوْ شَيْءٌ قَدَّرْتُهُ" أي هل أنا الذي فعلته هذا أنا ابتدعته فعلته من نفسي؟ أم شيء قد كُتِب عليّ من قبل؟ فقال الله عز وجل: "لَا، بَلْ شَيْءٌ قَدَّرْتُهُ عَلَيْكَ قَبْلَ أَنْ أَخْلُقَكَ".

إذًا هنا.. وانتبه لهذا الكلام لأن فيه رد على الجبرية والقدرية؛ طبعًا القدرية واضح، هو قال: "أَرَأَيْتَ مَا ابْتَدَعْتُهُ" هنا نفى بدء الابتداع لنفسه، إذًا هو فعل ذلك لكنه سأل الله عز وجل فقال: قال أمر كتبته؟ نعم، قدَّره وكتبه أولًا ثم فعله وباشره العبد. فطبعًا هي تفرقة كما قلنا بأن كتابة الشيء من الله عز وجل وتقديره فارق عن إيجاد الشيء حقيقة، فهذا رد على الجبرية ورد على القدرية؛ الجبرية الذين لا يجعلون هناك فرق بين الإثنين فيجعلون كله إلى الله عز وجل، قال: (ابْتَدَعْتُهُ)، وعلى القدرية تصريحًا من الله عز وجل أنه قد قدَّره عليه قبل أن يفعله. فهو يقول (ابْتَدَعْتُهُ)، أي كأني خلقته – عند هؤلاء – أو أنشأته، فيقول لا، الله عز وجل يبين لهم أن الأمر كله مكتوب من قبل. طبعًا رد صريح، لذلك قال: {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ} [البقرة: 37] هذه الكلمات التي قالها آدم عليه السلام لله عز وجل بعد أن فعل ذلك، فبما أنك قد كتبته علي وأنا قد فعلته فاغفره لي، فطلب المغفرة من الله عز وجل، وإن قلنا

طبعًا أن الأحاديث فيها نظر في مسألة الثبوت لكن المعنى فيه صحيح، وهذا رد على القدرية في اعتقادهم الباطل.

ثم – كما قلنا – الإمام الآجري يبين الاستدلالات بعد أن انتهى من الكتاب سيستدل بالآثار والسنن، ليبين بأن الحجة كل الحجة أن تكون من كتاب الله عز وجل والسنة، ولا نقول: "الكتاب ثم السنة" فلابد أن نبين بأن الكتاب والسنة صنوان؛ أي لا نريد حتى مسألة القول بأن الكتاب ثم السنة على سبيل الترتيب! لا، الكتاب والسنة هم الأدلة، هم الشرع، لأن الله عز وجل قال:{ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ } [النجم:3-4]، فالسنة وحي أيضًا، لكن نعم مع حفظ الفارق بين الكتاب والسنة؛ أن هذا كلام الله عز وجل ومسألة الثبوت لكن الإثنين معًا هم الأدلة التي يستدل بها شرعًا. لذلك هناك نظر في ثبوت حديث معاذ؛ النبي ﷺ لما أرسله إلى اليمن قاضيًا، قال: [قال: كيف تقضي إذا عرَضَ لكَ قضاءٌ؟ قال: أقضي بكِتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ، قال: فإنْ لمْ تجِدْ في كِتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ؟ قال: فبِسُنَّةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، قال: فإنْ لمْ تجِدْ في سُنَّةِ رسولِ اللهِ ولا في كِتابِ اللهِ؟ قال: أجْتَهِدُ رَأْيي ولا آلُو. قال: فضرَبَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في صَدْرِه]، الحديث – فضلًا عن مسألة السند – فيه إشكالية في المتن، لذلك البعض قالوا أن الحديث فيه نكارة في المتن؛ وهو قول النبي ﷺ: (فإنْ لمْ تجِدْ؟) قال (السنة) جعل الترتيب، وهذا الترتيب لا يقبله علماء الشريعة؛ يقولون بأن الكتاب والسنة واحد ليس هناك ترتيبًا، كيف لم تجد؟! ما في شيء لا يوجد في الكتاب ويكون في السنة، كما قال الشافعي في الرسالة؛ ما في مسألة في السنة حتى لو كانت خاصة أو كانت مُبينة إلا ولها أصل في الكتاب، لأنه تبيانًا لكل شيء. فلذلك يقولون أن الحديث فيه نكارة من هذه المسألة؛ مسألة (فإنْ لمْ تجِدْ؟) . ولذلك نقول عندنا الكتاب والسنة صنوان مع التفرقة طبعًا في حفظ الفرق كما قلنا.

الشاهد من ذلك نقول بأن أهل السنة والجماعة عندهم الكتاب والسنة واحد، لماذا؟ لأن ظهر بعد ذلك القرآنيين الذي تنبأ بها النبي ﷺ [لا ألفينَّ أحدَكم مُتَّكِئًا على أريكتِه ، يأتيه الأمرُ من أمري، ممَّا أمرتُ به أو نهيتُ عنه، فيقولُ : لا أدري، ما وجدنا في كتابِ اللهِ اتَّبعناه وإلَّا فلا] وهؤلاء هم الذين جاؤوا بعد ذلك إلى الآن وينكرون السنة ويجعلون الكتاب فقط. لذلك نحن لابد أن نقول أن الكتاب والسنة معًا، ليس هناك فرق بين الكتاب وبين السنة في مسألة الاستدلال. لذلك هو يقول هنا: "وَنَحْنُ نَزِيدُ الْمَسْأَلَةَ فَنَقُولُ: وَمِنْ سُنَّةِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" يزيد على ذلك سنة الصحابة لأن هم الذين فهموا الكتاب، "وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ

وَقَوْلِ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ التَّابِعِينَ" كأنه بعد أن يأتي بالسنة سيأتي للصحابة والتابعين وأئمة السلف.

ثم بيَّن أنهم أشقياء أم لا، واستدل بحديث قلنا فيه ضعف: «**إِنْ مَرِضُوا، فَلَا تَعُودُوهُمْ، وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ**» قلنا أن كل الأحاديث التي وردت في أن القدرية مجوس الأمة فيها نظر في ثبوتها عن النبي ﷺ ، وإن كانوا كان طبعًا ممكن يكون نبوءة لكنهم ظهروا في الكوفة في آخر زمان عبد الله بن عمر، وجاء ذمهم على أقوال الصحابة، لكن ثبوت الأحاديث عن النبي ﷺ فيها ما فيها.

نقف عند هذا القدر

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

المحاضرة الثالثة والأربعون

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد الكرام على موعد مع شرح كتاب الشريعة للإمام الآجري – عليه رحمة الله تعالى– وكما قلنا مرارًا وتكرارًا هذا من أنفع الكتب لطلاب العلم في عقيدة أهل السنة والجماعة، وأصل من أصول كتب المتقدمين، ولابد لطالب العلم الذي يدرس العقيدة أن يتعرض لهذا الكتاب للدراسة والتحقيق فيه والإتقان، لأنه قد حوى أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة، وميزة هذا الكتاب أنه يستند على الآيات والأحاديث والآثار، فكان بالتأصيل بأن الشيخ يأتي لنا بالتويب ثم يأتي بكلام له ويستدل مباشرة بالكتاب والسنة والآثار، فكان هذا تقوية للكتاب كما قلنا مرارًا، لأن أهل العلم يثنون على هذا الكتاب كثيرًا، وينصحون دائمًا في تدريس مناهج العقيدة بدراسة هذا الكتاب. فنسأل الله عز وجل أن ينفعنا بهذا الكتاب وأن نعمل بما تعلمنا فيه، وأن ننشر ذلك بين الناس تأكيدًا وتأصيلًا وتحقيقًا لعقيدة أهل السنة والجماعة.

وقفنا عند بَابُ ذِكْرِ السُّنَنِ وَالْآثَارِ الْمُبَيِّنَةِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ خَلْقَهُ، مَنْ شَاءَ خَلَقَهُ لِلْجَنَّةِ، وَمَنْ شَاءَ خَلَقَهُ لِلنَّارِ ، فِي عِلْمٍ قَدْ سَبَقَ ،وهو الجزء الخامس في بعض النسخ.

قال المصنف رحمه الله تعالى-:

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَيُقَالُ لِمَنْ خَالَفَ هَذَا الْمَذْهَبَ الَّذِي بَيَّنَّاهُ فِي إِثْبَاتِ الْقَدَرِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى: اعْلَمْ يَا شَقِيُّ أَنَّا لَسْنَا أَصْحَابَ كَلَامٍ , وَالْكَلَامُ عَلَى غَيْرِ أَصْلٍ لَا تَثْبُتُ بِهِ حُجَّةٌ، وَحُجَّتُنَا كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى وَسُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ ذَكَرْنَا مَا حَضَرَنَا ذِكْرُهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل: ٤٤] فَقَدْ بَيَّنَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأُمَّتِهِ مَا فَرَضَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ، مِنْ أَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَحَارِمِهِ، وَلَمْ يَدَعْهُمْ سُدًى لَا يَعْلَمُونَ، بَلْ بَيَّنَ لَهُمْ شَرَائِعَ دِينِهِمْ، فَكَانَ مِمَّا بَيَّنَهُ لَهُمْ: إِثْبَاتُ الْقَدَرِ عَلَى نَحْوٍ مِمَّا تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا لَهُ، وَهِيَ سُنَنٌ كَثِيرَةٌ سَنَذْكُرُهَا أَبْوَابًا، لَا تَخْفَى عِنْدَ الْعُلَمَاءِ قَدِيمًا وَلَا حَدِيثًا، وَلَا يُنْكِرُهَا عَالِمٌ، بَلْ إِذَا نَظَرَ فِيهَا الْعَالِمُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى زَادَتْهُ إِيمَانًا وَتَصْدِيقًا، وَإِذْ نَظَرَ فِيهَا جَاهِلٌ بِالْعِلْمِ، أَوْ بَعْضُ مَنْ قَدْ سَمِعَ مِنْ قَدَرِيٍّ جَاهِلٍ بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَسُنَنِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَسُنَنِ أَصْحَابِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَسَائِرِ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَإِنْ أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ خَيْرًا كَانَ سَمَاعُهُ لَهَا سَبَبًا لِرُجُوعِهِ عَنْ بَاطِلِهِ، وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ وَأَسْحَقَهُ

35- بَابُ ذِكْرِ السُّنَنِ وَالْآثَارِ الْمُبَيِّنَةِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ خَلْقَهُ، مَنْ شَاءَ خَلَقَهُ لِلْجَنَّةِ، وَمَنْ شَاءَ خَلَقَهُ لِلنَّارِ، فِي عِلْمٍ قَدْ سَبَقَ

324 - أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَبِي أُنَيْسَةَ أَنَّ عَبْدَ الْحَمِيدِ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخْبَرَهُ عَنْ مُسْلِمِ بْنِ يَسَارٍ الْجُهَنِيِّ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سُئِلَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدم مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ} [الأعراف: ١٧٢] فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْهَا: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا خَلَقَ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، مَسَحَ عَلَى ظَهْرِهِ بِيَمِينِهِ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّتَهُ، فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ، وَبِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَعْمَلُونَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّتَهُ فَقَالَ: هَؤُلَاءِ لِلنَّارِ، وَبِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ يَعْمَلُونَ فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَفِيمَ الْعَمَلُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلْجَنَّةِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلنَّارِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى يَمُوتَ وَهُوَ عَلَى عَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيُدْخِلُهُ بِهِ النَّارَ»

325- وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ الدِّمَشْقِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ عِيَاضٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَعْمَلُ فِي شَيْءٍ نَأْتَنِفُهُ، أَوْ فِي شَيْءٍ فُرِغَ مِنْهُ؟ قَالَ: «بَلْ فِي شَيْءٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ» قَالَ: فَفِيمَ الْعَمَلُ؟ قَالَ: «يَا عُمَرُ، لَا يُدْرَكُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْعَمَلِ» قَالَ: إِذًا نَجْتَهِدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ

326 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا شَبَابَةُ بْنُ سَوَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ مَا نَعْمَلُ فِيهِ: أَمْرٌ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ، أَوْ فِي أَمْرٍ مُبْتَدَعٍ، أَوْ مُبْتَدَأٍ؟ قَالَ: «بَلْ فِي أَمْرٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ» ، فَقَالَ عُمَرُ: أَفَلَا نَتَّكِلُ؟ فَقَالَ «اعْمَلْ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَإِنَّهُ يَعْمَلُ لِلسَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ، فَإِنَّهُ يَعْمَلُ لِلشَّقَاءِ» وَلِحَدِيثِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طُرُقٌ كَثِيرَةٌ اكْتَفَيْنَا مِنْهَا بِهَذِهِ

327 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الْحَمِيدِ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا فِي جِنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ قَالَ: فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ، وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ فَنَكَّسَ رَأْسَهُ، وَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ ثُمَّ قَالَ: " مَا مِنْكُمْ مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ، إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ، وَإِلَّا قَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا، وَنَدَعُ الْعَمَلَ؟ فَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ

أَهْلِ السَّعَادَةِ وَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَقَالَ: «اعْمَلُوا، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ، أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ» ، ثُمَّ قَرَأَ: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى} [الليل: ٦]

328 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مِنْجَابُ بْنُ الْحَارِثِ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ مِنْجَابٌ: أَخْبَرَنَا وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جِنَازَةٍ، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى بَقِيعِ الْغَرْقَدِ فَقَعَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ، فَأَخَذَ عُودًا فَنَكَتَ بِهِ الْأَرْضَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا قَدْ عُلِمَ مَكَانُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَشَقِيَّةٌ أَمْ سَعِيدَةٌ» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَدَعُ الْعَمَلَ وَنَقْبَلُ عَلَى كِتَابِنَا، فَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ صَارَ إِلَى السَّعَادَةِ , وَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ الشِّقْوَةِ صَارَ إِلَى الشِّقْوَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اعْمَلُوا، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشِّقْوَةِ، يُيَسِّرُ لِعَمَلِهَا، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ يُيَسَّرُ لِعَمَلِهَا» ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى} [الليل: ٦]

329 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا مِنْجَابُ بْنُ الْحَارِثِ قَالَ: نا ابْنُ مُسْهِرٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ نَحْوًا مِنْهُ وَلِحَدِيثِ عَلِيٍّ طُرُقُ جَمَاعَةٍ، اكْتَفَيْنَا مِنْهَا بِمَا ذَكَرْنَاهُ

330 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ بْنِ كَثِيرِ بْنِ دِينَارٍ الْحِمْصِيُّ قَالَ: نا بَقِيَّةُ يَعْنِي ابْنَ الْوَلِيدِ قَالَ: حَدَّثَنَا الزُّبَيْدِيُّ قَالَ نا رَاشِدُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ قَتَادَةَ النَّصْرِيِّ، عَنْ هِشَامِ بْنِ حَكِيمٍ أَنَّ رَجُلًا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُبْتَدَأُ الْأَعْمَالُ، أَمْ قُضِيَ الْقَضَاءُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخَذَ ذُرِّيَّةَ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ ظُهُورِهِمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، ثُمَّ أَفَاضَ بِهِمْ فِي كَفِّهِ، فَقَالَ هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ وَهَؤُلَاءِ لِلنَّارِ، فَأَهْلُ الْجَنَّةِ مُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ مُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ" وَلِهَذَا الْحَدِيثِ طُرُقٌ

331 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُصَفًّى قَالَ: نَا بَقِيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ قَالَ: حَدَّثَنِي مُبَشِّرُ بْنُ عُبَيْدٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى شَقِّ آدم الْأَيْمَنِ، فَأَخْرَجَ مِنْهُ ذَرًّا كَالذَّرِّ، فَقَالَ: يَا آدم، هَؤُلَاءِ ذُرِّيَّتُكَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ قَالَ: ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى شَقِّ آدم الْأَيْسَرِ، فَأَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً كَالْحِمَمِ، ثُمَّ قَالَ: هَؤُلَاءِ ذُرِّيَّتُكَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ"

332 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ حَمَّادٍ قَالَ: نا رَوْحُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَبُو رَجَاءٍ الْكَلْبِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ يَزِيدَ الرَّقَاشِيَّ قَالَ سَمِعْتُ غُنَيْمَ بْنَ قَيْسٍ قَالَ: كَانَ أَبُو مُوسَى يُعَلِّمُنَا الْقُرْآنَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ، وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رِجْلَيْهِ، يُعَلِّمُنَا آيَةً آيَةً، فَقَالَ أَبُو مُوسَى: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَوْمَ خَلَقَ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ قَبَضَ مِنْ صُلْبِهِ قَبْضَتَيْنِ، فَرَفَعَ كُلَّ طَيِّبٍ بِيَمِينِهِ، وَكُلَّ خَبِيثٍ بِشِمَالِهِ قَالَ فَقَالَ: هَؤُلَاءِ أَصْحَابُ الْيَمِينِ وَلَا أُبَالِي هَؤُلَاءِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ، وَهَؤُلَاءِ أَصْحَابُ الشِّمَالِ وَلَا أُبَالِي هَؤُلَاءِ أَصْحَابُ النَّارِ قَالَ: ثُمَّ أَعَادَهُمْ فِي صُلْبِ آدم، فَهُمْ يَتَنَاسَلُونَ عَلَى ذَلِكَ إِلَى الْآنَ"

333 - أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: نا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ أَبِي قَبِيلٍ، عَنْ شُفَيِّ بْنِ مَاتِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفِي يَدِهِ كِتَابَانِ، فَقَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا هَذَانِ الْكِتَابَانِ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِلَّا أَنْ تُخْبِرَنَا، فَقَالَ لِلَّذِي فِي يَدِهِ الْيُمْنَى: "هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ، ثُمَّ أُجْمِلَ عَلَى آخِرِهِمْ، فَلَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا، وَقَالَ لِلَّذِي فِي شِمَالِهِ: هَذَا كِتَابُ أَهْلِ النَّارِ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ، ثُمَّ أُجْمِلَ عَلَى آخِرِهِمْ، فَلَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا"، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: فَفِيمَ الْعَمَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ؟ فَقَالَ: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، فَإِنَّ صَاحِبَ الْجَنَّةِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ وَإِنَّ صَاحِبَ النَّارِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ» ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ فَنَبَذَهَا ثُمَّ قَالَ: "قَدْ فُرِغَ رَبُّكُمْ مِنَ الْعِبَادِ، {فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ} [الشورى: ٧]"

334 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: نا بَكْرُ بْنُ مُضَرٍ، عَنْ أَبِي قَبِيلٍ، عَنْ شُفَيٍّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «هَذَا كِتَابٌ كَتَبَهُ

رَبُّ الْعَالَمِينَ، فِيهِ تَسْمِيَةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَتَسْمِيَةُ آبَائِهِمْ، ثُمَّ أَجْمَلَ عَلَى آخِرِهِمْ، فَلَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ، وَهَذَا كِتَابٌ كَتَبَهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، فِيهِ تَسْمِيَةُ أَهْلِ النَّارِ، وَتَسْمِيَةُ آبَائِهِمْ، ثُمَّ أَجْمَلَ عَلَى آخِرِهِمْ، فَلَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يَنْقُصُ مِنْهُمْ» ، قَالُوا: فَفِيمَ الْعَمَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «إِنَّ عَامِلَ الْجَنَّةِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ، وَإِنَّ عَامِلَ النَّارِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ، فَرَغَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ خَلْقِهِ» ثُمَّ قَرَأَ: {فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ} [الشورى: ٧]

335- وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: نا عَلِيُّ بْنُ هَاشِمٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَامَ سُرَاقَةُ بْنُ مالك بن جُعْشُمٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنَا عَنْ أَعْمَالِنَا كَأَنَّا خُلِقْنَا السَّاعَةَ: أَشَيْءٌ ثَبَتَ بِهِ الْكِتَابُ، وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ أَمْ شَيْءٌ نستأنفهُ؟ قَالَ لَا بَلْ شَيْءٌ ثَبَتَ بِهِ الْكِتَابُ وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ " قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَفِيمَ الْعَمَلُ؟ فَقَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِعَمَلِهِ»

336- وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ قَالَ: نا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: نا يَزِيدُ الرِّشْكُ، عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعُلِمَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: فَفِيمَ يَعْمَلُ الْعَامِلُونَ؟ فَقَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ» أَوْ كَمَا قَالَ

337 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدِّمَشْقِيُّ قَالَ: نا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ: نا الْأَوْزَاعِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي رَبِيعَةُ بْنُ يَزِيدَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الدَّيْلَمِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ، وَأَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ، فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ اهْتَدَى بِهِ، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ» قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو: وَلِذَلِكَ أَقُولُ: جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ

338- وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي عَمْرٍو السَّيْبَانِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الدَّيْلَمِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ، فَأَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ

نُورِهِ، فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ اهْتَدَى، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ» وَلِذَلِكَ أَقُولُ: جَفَّ الْقَلَمُ عَلَى عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى

339- أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ الْبُخَارِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلْوَانِيُّ قَالَ: نا أَبُو تَوْبَةَ الرَّبِيعُ بْنُ نَافِعٍ, عَنْ بَقِيَّةَ بْنِ الْوَلِيدِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَرْطَاةُ بْنُ الْمُنْذِرِ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَوَّلُ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْقَلَمُ، فَأَخَذَهُ بِيَمِينِهِ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، فَكَتَبَ الدُّنْيَا وَمَا يَكُونُ فِيهَا مِنْ عَمَلٍ مَعْمُولٍ، بِرٍّ أَوْ فُجُورٍ رَطْبٍ أَوْ يَابِسٍ، فَأَمْضَاهُ عِنْدَهُ فِي الذِّكْرِ،» ثُمَّ قَالَ: "اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: {هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الجاثية: ٢٩] فَهَلْ يَكُونُ النَّسْخُ إِلَّا مِنْ شَيْءٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ"

الحديث طبعًا فيه لفتة حديثية لأن بقية بن الوليد مدلس، فقال: حدثنا أرطاة بن المنذر، فهو صرَّح بالتحديث، لذلك هناك لفتة الحديثية الشيخ الألباني قال فيه الإسناد حسن بسبب تصريح بقية بن الوليد في التحديث عن أرطاة بن المنذر.

340- أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا أَبُو أَنَسٍ مَالِكُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَلْهَانِيُّ الْحِمْصِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ، عَنْ أَرْطَاةَ بْنِ الْمُنْذِرِ، عَنْ مُجَاهِدِ بْنِ جَبْرٍ أَنَّهُ بَلَغَهُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى الْقَلَمُ، فَأَخَذَهُ بِيَمِينِهِ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ قَالَ: فَكَتَبَ الدُّنْيَا وَمَا يَكُونُ فِيهَا مِنْ عَمَلٍ مَعْمُولٍ، بِرٍّ أَوْ فُجُورٍ، رَطْبٍ أَوْ يَابِسٍ، فَأَحْصَاهُ عِنْدَهُ فِي الذِّكْرِ" ثُمَّ قَالَ: "اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: {هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ، إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الجاثية: ٢٩] فَهَلْ يَكُونُ النَّسْخُ إِلَّا مِنْ أَمْرٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ؟

وطبعًا هنا الحديث رتب الرواية التي فيها عنعنة بقية عن أرطأة؛ من صرح بالتحديث أتى بالرواية بالسند الثاني قال: حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ، عَنْ أَرْطَاةَ بْنِ الْمُنْذِرِ، لذلك هو أتى بالأولى. والصحيح أنه يأتي بالتصريح؛ حديثيًا أن يأتي بالأقوى ويستأنس بالذي يليه، لكن لما يأتي به لك بالعنعنة فأنت تمر لأنه أتى قبله بالتصريح.

هذا الباب الذي ذكره المؤلف وهو بَابُ ذِكْرِ السُّنَنِ وَالْآثَارِ الْمُبَيِّنَةِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ خَلْقَهُ، مَنْ شَاءَ خَلَقَهُ لِلْجَنَّةِ، وَمَنْ شَاءَ خَلَقَهُ لِلنَّارِ، فِي عِلْمٍ قَدْ سَبَقَ باب مهم جدًا في مسألة القدر يرد فيه الإمام الآجري على القدرية، وفيه أيضًا رد على الجبرية في عدة مسائل في

الأحاديث التي قرأناها، لكن أصل هذا الباب يبين فيه الإمام الآجري – وكما جاء في الكتاب وفي السنة – بأن الله عز وجل قد علم في سابق علمه سبحانه وتعالى مَن أهل النار ومَن أهل الجنة، بل قد أخرج ذرية آدم عليه السلام جميعًا، وبيَّن لنا أن هؤلاء إلى الجنة وهؤلاء إلى النار.

ثم بينت الأحاديث بأن كما سُئل النبي ﷺ أكثر من مرة من عمر بن الخطاب ومن غيره أن الأمر أُنف أم مستأنف؟ فبيَّن بأن الله قد فرغ من الأمر؛ فقد كُتِب أهل الجنة وكُتِب أهل النار، فلما سُئِل على ماذا إذًا يكون العمل؟ أفلا نتكل؟ فقال النبي ﷺ: [اعمَلوا، فكُلٌّ مُيَسَّرٌ لما خُلِقَ له]، فمن سيعمل بعمل أهل الجنة سيكون من أهل الجنة، ومن يعمل بعمل أهل النار سيكون من أهل النار.

هذه المسألة وهذا الباب والأحاديث التي فيه التي تبين بأن الله عز وجل قد فرغ من كل شيء، وقد بيَّن وقد علم سبحانه وتعالى من قبل من سيكون من أهل الجنة ومن يكون من أهل النار **فيه فوائد لابد أن يتدبرها المرء في معرفة أن الله عز وجل سبق في علمه من هم أهل النار ومن هم أهل الجنة؛**

أولًا؛ أن المرء يعتقد فيه تمام الاعتقاد بحكمة الله عز وجل، لأن الله عز وجل حكيم، فسبحانه وتعالى ما يفعل شيء إلا عن حكمة؛{لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ} [الأنبياء:23]، والله عز وجل عليم حكيم وتظهر هنا حكمة الله عز وجل لأن الله سبحانه وتعالى مع أنه هو خالق الخلق وهو مقدر الأمور لكن له حكمة في أنه يخلق الخلق ويرسل لهم الرسل ويبتليهم ويمتحنهم ثم يتركهم يعملون ثم يبين لهم مآلهم بعد ذلك إما إلى الجنة وإما إلى النار، فمن أصاب وأحسن واتبع الرسل واتبع الرسالات فكان من أهل الجنة وعمل لذلك، ومن رد الرسالة أو رد الرسول ولم يعمل بما أنزل الله عز وجل كان من أهل النار. فهنا تظهر حكمة الله عز وجل من خلقه للكون، ومن ارساله للرسل، ومن خلقه للعباد.

كذلك المرء لابد أن يعتقد بتمام عدل الله عز وجل؛ لأن الله عز وجل عدل، قد بيَّن سبحانه وتعالى:{ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ} [فصلت:46]، وقال سبحانه وتعالى:{ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [النحل:118]، أو{وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ} [هود:101] في آيات أخرى. وبيَّن الله عز وجل أيضًا في الحديث القدسي كما قال النبي ﷺ بأن الله عز وجل قال:[يا عِبادي، إنِّي حَرَّمتُ الظُّلمَ على نَفسي، وجَعَلتُه بينَكُم مُحَرَّمًا، فلا تَظالَموا]. فالله عز وجل من تمام عدله سبحانه وتعالى أنه بيَّن لنا مع أن هو خالق الخلق ومُقَدِّر الأمور وكاتب

كل شيء في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق السماوات والأرض لكن من تمام عدله أنه لن يحاسب الناس إلا بعد أن يرسل لهم رسولًا ويبين لهم الرسالات ويبين لهم ما يريده من أوامر ومن نواهي؛ فإن هم اطاعوه بذلك فكان من تمام عدله وكرمه وفضله أن يدخل هؤلاء إلى الجنة، ومن لم يطعه في ذلك ويتبع فكان من تمام عدله أنه إذا أدخلهم إلى النار أنه ليس عليه ظلم، لأن الله عز وجل قد بيَّن ذلك.

أيضًا فيه بيان رحمة الله عز وجل، وقد وصف الله عز وجل نفسه بالرحمة، هو الرحمن وهو الرحيم، وقال:{ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ } [الأعراف:156]، فالله عز وجل من تمام رحمته أنه لا يريد أن يترك الناس هكذا سُدى؛ {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا} [الإسراء:15]، فأراد أن يدعو الناس جميعًا للهداية، هو خلقهم نعم، وكتب عليهم ذلك بسابق علمه، لكنه يسر لهم الفعل، وأراد بهم بالرحمة، فكل من أذنب وعصى وأراد أن يعود قَبِل منه العودة والتوبة، ورحِمه، وقال سبحانه وتعالى: {إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ} [النساء:48]، فقد غفر كل شيء إلا الشرك بالله عز وجل. كذلك قد استقبل توبة التائبين، بل قد استقبل إسلام الكافرين ما داموا قد دخلوا في الإسلام وقد أحسنوا ذلك فإن الله عز وجل يقبل منهم، فهذا من تمام رحمة الله.

بل إن من تمام رحمة الله عز وجل أيضًا كما جاءت السنة: [لا أَحَدَ أَصبَرُ على أَذًى يَسمَعُه مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ، إنَّه يُشرَكُ به، ويُجعَلُ له الولَدُ، ثُمَّ هو يُعافيهم ويَرزُقُهم!] فمع أن الناس يشركون بالله ويعصون الله عز وجل ومع ذلك الله عز وجل يرزقهم ويعطيهم. لكن هذه مقيدة كما أقول، هي رحمة، لا شك بأنها رحمة لله عز وجل، وهذا من لوازم اسم الله الرحمن، بأنه يعطي الكافر والمسلم في الدنيا لكنها مقيدة بحيث إذا أخذهم لم يفلتهم، كما جاء عن ثمود: {وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ} [فصلت:17]، فانظر.. {فَهَدَيۡنَٰهُمۡ} أرسل لهم الهدى، {فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ} فكان لهم العذاب من الله عز وجل وأخذهم بكفرهم. فأقول هذه من تمام رحمة الله عز وجل.

لذلك تجد في هذا الباب لما سأل عمر بن الخطاب النبي ﷺ على أن الأمر قد كُتِب- كما سيأتي معنا في تعقيبنا على هذه الأحاديث- قال: فَفِيمَ الْعَمَلُ؟ قَالَ: «يَا عُمَرُ، لَا يُدْرَكُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْعَمَلِ» قَالَ: إِذًا نَجْتَهِدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. لذلك لما علم عمر رضي الله عنه وأرضاه بأن هذا الأمر لن يُدرَك إلا بالعمل قال: إِذًا نَجْتَهِدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ.

لذلك كان علماء السلف يقولون: (ما ازددت اجتهادًا أو يقينًا أو عملًا إلا بعد أن تعلمت أو أتقنت أبواب القدر). لذلك المرء إذا أتقن أبواب القدر وهو الذي قال فيه النبي ﷺ لما قال: «اعْمَلْ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَإِنَّهُ يَعْمَلُ لِلسَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ، فَإِنَّهُ يَعْمَلُ لِلشَّقَاءِ» . فالمرء هنا يتدبر هذه الأحاديث التي جاءت بأكثر من رواية؛ قال هنا: «أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَمُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَمُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ» ، هنا المرء إن استيقن – كما قلنا في أبواب القدر – وعلم أن الله عز وجل قد كتب ذلك، وعلم من هم أهل الجنة ومن هم أهل النار وقال النبي ﷺ فكل ميسر فمن يسر للسعادة كان من أهل السعادة، فالمرء ينظر في حاله؛ إن وفقه الله عز وجل وكان من أهل الطاعات؛ كان من أهل القرآن، أو من أهل الصلوات، أو كان فتح الله عز وجل عليه دروس العلم أنه يجلس في حلقات العلم، حلقات الذكر، يحفظ القرآن، فهذا لا شك أنه خير، فلو فقه المرء أن الله عز وجل يسره لهذه الطاعة فحَرِيّ به أن يعلم أنه ميسر لأهل السعادة وأنه من أهل الجنة، هذه علامات، وبشائر، وهذه أمارات يجعلها النبي ﷺ يبين قال: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ»، فإن علمت بأن الله فتح لك هذا الباب فاعلم أنك على الخير، واعلم بأن الله أراد بك خيرًا، فلذلك كان الصحابة الكرام يسارعون أكثر، ويجتهدون أكثر، لماذا؟ لأنه فقه بأن الله لما فتح له هذه الأبواب صار هو من أهل الخير، فإشارة وعلامات.

بعض الناس يقول أريد رؤية، أريد أن أعلم أنا على الحق أم لا! لا، تدبر حالك؛ أنت إذا علمت بأن الله اصطفاك لتكون من أهل العلم، أو من طلبة العلم، أو من أهل القرآن، أو من أهل الصلوات في المساجد أو غير ذلك فاعلم أنك على الخير، واعلم أن الله عز وجل ييسرك لأهل السعادة كما قال النبي ﷺ. إذًا حَرِيّ بك بأنك تجتهد. لذلك قال عمر:" إِذًا نَجْتَهِدُ" لماذا نجتهد؟ لأنك لو علمت بأنك اصطُفيت – فهذا اصطفاء– أنت هل تظن أن كل الناس يجلسون هذه المجالس، أو كل الناس يتعلمون العلم! – لا شك أن العلم الشرعي من أعظم القربات – أو يفتح الله عليهم بالقرآن، أو يفتح عليهم بقيام الليل، أو بأعمال خير! فهو لما يرى نفسه قد يسره الله لذلك، فلا يحتاج لرؤى ولا علامات قبول ولا غير ذلك، فأنت الآن مُيسَّر إلى طريق السعادة، إلى طريق الجنة، فامسك بهذا الطريق، لا تتركه، لذلك مغبون من يدخل في هذه الطرق وينصرف عنها.

لذلك نقول من يدخل في القرآن ويترك القرآن ويهجره، ومن يدخل في العلم ويترك العلم، من يفتح له باب رزق فالله يرزقه مالًا؛ **[نِعمَ المالُ الصَّالحُ للرَّجلِ الصَّالحِ]**، فيستعمل هذا المال في مرضاة الله عز وجل، في إعانة الناس، في بناء المساجد، في الإطعام، في غير ذلك، فهو يعلم بأنه وُفِّق لخير. والمضاعفة عند الله كثيرة، فهذا الباب عظيم جدًا.

والنقيض بالنقيض أو العكس بالعكس؛ من رأى نفسه على معصية، من رأى نفسه حُجِب عن ذلك يعلم بأنها اشارات من عند الله عز وجل بأنك لست من أهل السعادة (الآن)، لكن هذا ليس معناه بأنك تظل على هذا الطريق، لأن النبي ﷺ قد بيَّن، والله عز وجل قد بيَّن بأن كل ميسر لما خلق له الآن فأنت الآن ميسر، إذًا أنت مُيسَّر. ومُخيَّر في العبادة، أي مُخيَّر في الأوامر والنواهي، بمعنى: أي أنت الذي تختار الاتباع وعدم الاتباع، تختار فعل الأوامر أو عدم الفعل، تختار اجتناب النواهي أو فعلها، أنت مُخيَّر في هذا الأمر، وأنك مُسيَّر فقط في أجلك، في قدرك، في رزقك، في خلقك، في صفاتك، في ابتلاءاتك، انت مُسيَّر في ذلك نعم، الله عز وجل هو الذي يبتليك، هو الذي يصيبك بالأمراض، يصيبك بالمصائب، هو الذي يحدد لك الأجل؛ متى تحيا ومتى تموت، ويحدد لك الرزق، فهذه أنت لست فيها مُخيَّر، بل أنت مُسيَّر وأنت عليك فقط بالأخذ بالأسباب، لكنك مُخيَّر في الأمر الآخر وهو اتباع أمر الله، اتباع شرع الله، لأن البعض فهم هذه المسألة خطأ؛

فالبعض أثبت القدر فقط وضرب الشرع كما تقول الجبرية؛ تقول أن المسألة كلها قدرية وليس للمرء أن يعمل وأن كله مكتوب، ففيم العمل؟ وعلى النقيض؛ **القدرية ضربوا القدر بالشرع**؛ ويقولون الجنة ثمن للأعمال، ولم يقولوا باثبات القدر أصلًا، وقالوا الأمر ليس بأُنُف بل الأمر مستأنف، ماذا يعني مستأنف؟ أي أن العباد هم الذين يكتبون أعمالهم وهم الذي يخلقون أعمالهم وليس الأمر مُقدَّر من قِبَل الله، والذي سيعمل سيأخذ ثمن لهذا العمل بأنه يدخل الجنة، والذي لا يعمل يأخذ ثمن النار، وهذا كلام القدرية – الذين هم المعتزلة وغير ذلك – هؤلاء ضربوا القدر بالشرع؛ أي جعلوا الشرع هو عندهم الأصل ولم يعملوا بالقدر.

والجبرية ضربوا الشرع بالقدر لم يلتفتوا للأوامر والنواهي، وتقاعسوا عن العبادات والصلوات، بل وفعلوا المحرمات ظنًا بأنه قد كُتب أهل الجنة وكُتب أهل النار فقيم العمل؟! لكن **أهل السنة والجماعة لم يضربوا لا الشرع بالقدر ولا القدر بالشرع، بل عملوا بالقدر وبالشرع**؛ علموا بأن القدر قد كُتب عليهم نعم، وأن المصائب كُتبت عليهم نعم، لكن أيضًا الله عز وجل

قد بيَّن لهم طريق دفع المصائب وطريق دفع الابتلاءات،{ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ} [الروم:41].

والمرء لابد أن يعلم بأن **المصائب على قسمين:** قسم مصيبة بسبب المعصية، بسبب الذنب، وقسم مصيبة ليست بسبب المعصية بل ابتلاء من الله وامتحان له. ولذلك بين المعاصي وبين المصائب عموم الخصوص، أو نقول كل معصية مصيبة لكن ليست كل مصيبة معصية؛ لأن هناك مصائب تأتي بسبب الذنوب، وهناك مصائب كتبها الله عز وجل ابتلاء وامتحان، وإلا لم يكن الله عز وجل يصيب الأنبياء بالمصائب ويبتليهم وهم أبعد ما يكون عن الذنوب والمعاصي، لكن رفعة للأنبياء وبيان بأن الأمر هو من عند الله عز وجل، فإن صبروا فُتح لهم بعد ذلك.

إذًا المرء لابد أن يتدبر المصيبة عندما تأتي؛ قد تأتيه بسبب معصية فيرجع ويتوب ويؤوب إلى الله عز وجل، وقد تأتيه بسبب مصيبة فيقول قدر الله عليّ ذلك، [قدر اللهِ وما شاءَ فعَلَ] كما جاء عن النبي ﷺ لما قال: [إن أصابَكَ شَيءٌ فلا تَقُلْ: لو أنِّي فعَلتُ كان كَذا وكَذا، ولَكِن قُلْ: قَدَرُ اللهِ وما شاءَ فعَلَ] أو [قدَّرَ اللهِ وما شاءَ فعَلَ]. وقوله تعالى أيضًا:{ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ } [التغابن:11]، انظر.. {مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ} هذه عموم في كل المصائب؛ سواء ذنوب أو غير ذنوب، ثم بيَّن: {وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ } . إذًا المرء لابد هنا أن يستجيب ويؤمن بقدر الله عز وجل في هذه المسألة.

إذًا هذه المسألة التي بينها النبي ﷺ بأن الأمر فُرِغ، نعم فُرِغ وقد كتب الله عز وجل ذلك، لكن هذا لا يمنع من العمل، لأنك لن تدخل الجنة إلا بالعمل، قال سبحانه وتعالى:{ تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [الأعراف:43] بسبب العمل، هي ليست ثمنية – مقابلة – لكن لابد من العمل، لذلك قال النبي ﷺ: [اعمَلوا، فكُلٌّ مُيَسَّرٌ لما خُلِقَ له]. فإذا فقه المرء هذه المسألة ولم يضرب القدر بالشرع والشرع بالقدر فيأتي عند هذا الكلام يقول قد قدر كل شيء فلماذا العمل؟ قاله الصحابة الكرام، بل قاله الملهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه وسأل النبي ﷺ فبيَّن له ذلك، قال: «لَا يُدْرَكُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْعَمَلِ» أي لا يدرك الذي كُتِب عند الله عز وجل – وهذه طبعًا سيأتي الكتابة في الباب الذي يليه عن القلم، لكن هنا في العلم نتكلم لأن هو قال: "فِي عِلْمٍ قَدْ سَبَقَ"، وأقسام العلم أنا تكلمت عنها من قبل في القدر، قلنا أن الله عز وجل علم ما كان، وعلم ما سيكون، وعلم ما لم يكن لو كان كيف سيكون، وقوله تعالى: {وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ} [البقرة:29]، وهذا طبعًا رد على القدرية في العلم. هو لماذا أتى

بهذا الباب؟ ما مناسبته في الكتاب هنا ومناسبته في القدرية؟ لأنه يرد على القدرية الذين قالوا بأن الله لا يعلم أعمال العباد ولا يخلقها. في التبويب قال: "**خَلَقَ خَلْقَهُ، مَنْ شَاءَ خَلَقَهُ لِلْجَنَّةِ، وَمَنْ شَاءَ خَلَقَهُ لِلنَّارِ**"، إذًا الخلق من الله، هو الذي خلق من شاء للجنة ومن شاء النار، إذًا خلق العباد وأفعالهم مِن مَن؟ من الله عز وجل. هذا رد على القدرية الذين قالوا بأن العباد هم الذي يخلقون أعمالهم، وقال: "**فِي عِلْمٍ قَدْ سَبَقَ**"، إذًا أيضًا قد سبق في علم الله عز وجل، والله بكل شيء عليم، وقد أحاط بكل شيء علمًا بأن كل هذا سيكون.

ثم نقول،، أتى بأول شيء بحديث ميثاق الذر: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ} [الأعراف: 172] هذا يسمى عند أهل العقيدة وعلماء العقيدة **(ميثاق الذر)** وهو أن الله مسح على ظهر آدم وأخرج ذرية الجنة وذرية النار، وبيَّن ذلك ثم أدخلهم في صلب آدم بعد ذلك. أولًا هذا الحديث فيه دلالة على أن ميثاق الذر ليس بحجة، خلافًا لمن يقولون بحجة، لماذا؟ لأن الله عز وجل مع أنه أخرج من ظهر آدم ذريته وهؤلاء للجنة وهؤلاء للنار ومع ذلك لو كان ميثاق الذر حجة لما أرسل الرسل وأنزل الرسالات وما قال سبحانه وتعالى:{ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا} [الإسراء:15]، مع أن ميثاق الذر يبين بأن الله عز وجل خلق هؤلاء للجنة وخلق هؤلاء للنار ثم أدخلهم في أصلابهم لكن لا يؤاخذون بذلك، {وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا} [الأعراف: 172] هل الشهادة يحاسبون عليها؟ لا، لماذا لا يحاسبون؟ لأن الله عز وجل لن يدخلهم بها النار، لكن أرسل لهم الرسل ليقبلوا الرسالات فيكونوا من أهل الجنة، أو يرفضوها فيكونوا من أهل النار. فهنا هذا ميثاق الذر وهذه من الفوائد المستنبطة.

ثم قال أيضًا في هذا الحديث: «**إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلْجَنَّةِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ**». طبعًا بينَّا أصل الحديث والباب هو في الرد على القدرية؛ بأن الله عز وجل هو الذي علم أهل الجنة وعلم أهل النار، وهو الذي خلق أهل الجنة وخلق أهل النار، إذًا ليس لكم في كلامكم أن هم الذين يخلقون أفعالهم، بل الله علم ذلك من قبل. طبعًا غلاة القدرية يقولون بأن المرتبة الأولى والثانية – الكتابة والعلم – لم يعلمهم الله، وهذا كفر عند أهل السنة والجماعة وإن كان هم ليسوا موجودين الآن، لكن بداية غلاة القدرية قالوا بذلك؛ أن الله لا يعلم لا الكتابة ولا العلم، فضلًا طبعًا عن الخلق والإرادة. لكن بعضهم قال علم الكتابة والعلم ولم يخلق. وهنا يقول أن الله خلق كل شيء؛ خلق آدم وخلق الذرية من

ظهر آدم وقال هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار، إذًا الله عز وجل خلق العباد وأعمالهم. هذا رد على القدرية.

لكن هنا الحديث فيه رد على الجبرية، من أين؟ قال الرسول ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلْجَنَّةِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ». اضبط هنا توجد مسائل مهمة جدًا، قال: «اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ» هذا رد على الجبرية، فالجبرية تقول أن العبد لا يعمل شيئًا وأن الله الذي يعمل كل شيء، وفعل العبد غير مؤثر. لكن هنا الحديث يثبت أن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة، إذًا من الذي سيعمل؟ العبد هو الذي سيعمل، حتى يموت على عمل أهل الجنة. فالجبرية تقول بأن العبد لا يعمل أو عمله غير مؤثر حتى لمن قالوا الكَسْب كما قال الأشاعرة، لكن الفاعل المؤثر هو الله. وهنا الحديث يبين: «اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»، وهذه تحقيقًا لقوله تعالى: {تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [الأعراف:43] و {ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [النحل:32]. فهنا بسبب العمل، وهذا رد على الجبرية في اثبات العمل.

وفيه أيضًا أن الله عز وجل ما دام قد قدر عليك أنك من أهل الجنة فسيستعملك بعمل أهل الجنة – وهذه قلناها من قبل في مقدمة الكلام – بأنك إذا علمت بأن الله استعملك لطاعته، فاعلم أن هذه إشارة لك أنك من أهل الجنة، فامسك عليها وعض عليها ولا تتركها لأن هذه بيان من الله عز وجل بأنه أراد لك ذلك، لأنه قال: «وَإِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلنَّارِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى يَمُوتَ» لأن المسألة أيضًا على الخواتيم كما جاءت في الأحاديث الأخرى، لأن المسألة ليست في الاستعمال؛ أنك ترى المرء يعمل بعمل أهل الجنة حياته ثم – والعياذ بالله– يختم له بعمل أهل النار لو قدر الله عليه أنه من أهل النار، وهناك من يعمل بعمل أهل النار حياته لكن الله عز وجل يأتي في خواتيمه ليعمل بعمل أهل الجنة، لذلك في رواية أخرى في الحديث عظيمة جدًا – تحتاج إلى لفتة– قال النبي ﷺ: [إذا أراد الله عز وجل أن يعمل المرء بعمل أهل النار ثم قبل عام] – وهذه الزيادة في بعض الروايات – [قبل عام يوفقه إلى عمل من أعمال أهل الجنة ثم يقبضه عليه]، في الحديث إشارة على أن المرء إذا أراد الله عز وجل به أنه من أهل الجنة وكان حتى من العصاة فتجد في هذه الرواية زيادة [قبل عام] بأنه يوفقه لأعمال أهل الجنة ثم يقبضه بعد ذلك عليه.

وقد تجد هذا مُشاهَد؛ أن بعض الناس يكونوا من العصاة ثم تجلس سنوات ثم تجده التزم أو تاب، وتجلس فتره وتجده قبض، مات، سبحان الله تشعر بأن الله عز وجل أراد به الخير. هو

لابد أن يعلم شيء؛ ليس هناك شر محض؛ حتى الكافر؛ هو طبعًا الكافر شر لكن ممكن تجده يعمل أعمال خير هي ليست له إلا في الدنيا لكن عنده مع الشر الموجود – وهو الكفر– عنده أعمال خير، لذلك قال النبي ﷺ لحكيم بن حزام:[أسلَمتَ على ما أسلَفتَ من خيرٍ] أي جعل له خير مع الكفر الذي كان موجود ونُقِل معه إلى الإسلام. إذًا ليس هناك الشر المحض، لذلك هو لو أسلم فسيأخذ الخير معه الذي كان يفعله في حال كفره.

فكذلك العاصي؛ لابد ستجد معه خير؛ المرأة من بغايا بني اسرائيل كانت تضاجع كل يوم أحد – والعياذ بالله– ومع ذلك لما سقت الكلب الماء غفر الله عز وجل وأدخلها الجنة، سبحان الله. والرجل الذي كان على الكفر ثم أسلم فسمع النداء فدخل المعركة فقاتل وقُتِل، قال النبي ﷺ: [عَمِلَ قَلِيلًا، وأُجِرَ كَثِيرًا] لكن هو عمل، والجهاد عمل. إذًا هذه المسألة، هو قال هنا: " اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ"، وطبعًا هذا تقييد أن العبرة بالخواتيم. لكن قال: «يَا عُمَرُ، لَا يُدْرَكُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْعَمَلِ» قَالَ: إِذًا نَجْتَهِدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ.

فهنا بينا من الحديث الأول والثاني هذا بعض الفوائد في مسألة الرد على الجبرية.

والقدرية النفاة يعظمون الأوامر والنواهي لأنهم يعلمون بأنه لن يدخل الجنة إلا بثمن؛ أنه يفعل الأوامر ويجتنب النواهي، وضربوا القدر لأنهم لا يرون بالقدر، هم أصلًا ينفوا بأن الله عز وجل خلق أفعال العباد أو شاء لهم، فضربوا القدر وعظموا الأمر والنهي، فهم يقولون – وهذا طبعًا خطأ– أن الجنة ثمن للأوامر والنواهي، فتجده يجتهد جدًا في الأمر والنهي. لذلك من مغالتهم أيضًا التكفير الذي وصلوا له بعد ذلك؛ بأن من فعل الكبائر يرونه أنه خرج من الإسلام.

في حين أن **الجبرية** عظموا القدر وتركوا الأمر والنهي، لأنهم قالوا العبد لا يفعل؛ سواء عملنا أو لم نعمل فقد كتب الله عز وجل لنا الجنة وكتب لنا النار ففيم العمل؟ فتجدهم يعظمون القدر ويضربون الشرع.

أما **أهل السنة والجماعة** فعظموا القدر والشرع، وجعلوا القدر في مقام المصائب أنك تُسلِّم؛ ليس لك إلا أن تُسلِّم في المصائب، لكن لا تقول بالقدر في المعاصي لأن هذه ذنوب أنت تفعلها، لكن في المصائب كما قال النبي ﷺ للمرأة التي كانت تبكي على قبر ولدها: [اتَّقي اللهَ واصبِري، قالت: إليكَ عَنِّي؛ فإنَّكَ لَم تُصَبْ بمُصيبَتي] وكانت لا تعلم أنه النبي ﷺ ، فقيل لها أن هذا النبي ﷺ ، فجاءت إلى بيته على بابه تعتذر له، فقال النبي ﷺ:[إنَّما الصَّبرُ عِندَ

الصَّدمةِ الأولى]، وهذا هو الأصل؛ أن تختبر إيمانك بالقدر، لذلك المراتب موجودة أول شيء أن السخط مذموم، أو التعدي على القدر لما تأتي المصيبة كما يقول بعض الناس لماذا أنا؟ ألا يوجد غيري؟ وأنا كذا،.. وهذا كله تسخط على قدر الله عز وجل، وهذا كله مذموم. ثم أول درجات الإيمان عند المصائب **الصبر**؛ أن تصبر، ثم الأعلى **الرضا** بقضاء الله عز وجل؛ أنك ترضى بأن الله قد قدَّر ذلك عليك، وإن كنت في نفسك ترى أن المسألة قاسية لكنك ترضى، تقول أنا رضيت بما قدره الله عز وجل عليّ، ثم الأعلى أن **تفرح**، وهذا طبعًا مقام عالي جدًا؛ تفرح بالمصيبة، نعم، تقول: إما إن كانت ذنبًا فقد نُقيت منه، وأما إن كانت ابتلاء فأقول أن الله عز وجل يبتليني لأن أشد الناس ابتلاء هم الأنبياء وعلى قدر دينهم، فلما تجد المصيبة تفرح بأن الله اصطفاك؛ بأنه جعلك من أهل الابتلاء كأنك مثل الأنبياء في درجة الإيمانيات العالية. وهذه طبعًا مسألة حقيقة فيها ما فيها من أعلى درجات الإيمان؛ وهي مسألة الفرح. لكن هذا التي أنت مأمور به. لذلك هذا الفرق بين ضرب القدر بالشرع والشرع بالقدر والإيمان بالقدر والشرع.

في خبر عمر رضي الله عنه وأرضاه أيضًا فيه أنه يمكن للفاضل أو للمفضول ألا يعلم؛ عمر بن الخطاب وهو المُلهَم الذي وافق القرآن في أكثر من آية، ومع ذلك أراد أن يستفسر من النبي ﷺ عن أمر، فهذا دلالة على أن الصحابي قد يغيب عنه بعض الأمور ويسأل. وعائشة رضي الله عنها وأرضاها لما سارت خلف النبي ﷺ إلى للبقيع ورجعت وقال أنت سرتي خلفي، قال إن لم تخبريني يخبرني الله عز وجل، فقالت أويعلم الله عز وجل ما في قلوبنا؟ فضرب النبي ﷺ عليها أوكزها وقال لها أن الله عز وجل يعلم ما تخفي الصدور وما تعلن، وهي قالت: أويعلم الله ما تخفي الصدور؟ لذلك بعض أهل العلم يقولون أنه يُستدَل بهذا الحديث على أنه من أنكر صفة من صفات الله عز وجل لا يكفر إن كان جاهلًا طبعًا بذلك. فالنبي ﷺ لم يقل لها كفرتِ، لكن بيَّن لها بأن الله عز وجل يعلم كل شيء، وهذه مسألة أخرى، لكن بعضهم يستدل بذلك على أنه إن جهل صفة من صفات الله عز وجل فلا يكفر بها.

أيضًا في حديث قال:" أَتُبْتَدَأُ الْأَعْمَالُ، أَمْ قُضِيَ الْقَضَاءُ؟ " طبعًا هذا أيضًا على القدرية، "أَتُبْتَدَأُ الْأَعْمَالُ، أَمْ قُضِيَ الْقَضَاءُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخَذَ ذُرِّيَّةَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ ظُهُورِهِمْ" .هذا الحديث فيه طبعًا اثبات مسألة بأن الأمر قد قُضي من قبل، وأن الأمر أنف وليس مستأنف، في حديث (330) حديث هشام بن حكيم: "أَنَّ رَجُلًا أَتَى

رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُبْتَدَأُ الْأَعْمَالُ، أَمْ قُضِيَ الْقَضَاءُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخَذَ ذُرِّيَّةَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ ظُهُورِهِمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، ثُمَّ أَفَاضَ بِهِمْ فِي كَفِّهِ.." وأنا أردت هذه لنبين فيها اثبات صفة الكف لله عز وجل، والحديث طبعًا صحيح، بل قال الألباني رجاله كلهم ثقات، قد صرح فيه بَقِيَّةُ يَعْنِي ابْنَ الْوَلِيدِ قَالَ: حَدَّثَنَا الزُّبَيْدِيُّ فصرح بالتحديث وهو مدلس، وهذا فيه اثبات، قال: "فِي كَفِّهِ" وهنا إضافة الصفة إلى الموصوف؛ إلى الله عز وجل. والإضافة على نوعين؛ إضافة أعيان وإضافة صفات، وإضافة الأعيان كناقة الله، والكعبة بيت الله، وعيسى روح الله، هذه أعيان. والصفات مثل كفه، أو نفسه، أو يد الله، كل هذه إضافة صفة لموصوف. ففي الحديث إثبات صفة الكف لله عز وجل، فَقَالَ هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ وَهَؤُلَاءِ لِلنَّارِ، ثم بيَّن فَأَهْلُ الْجَنَّةِ مُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ مُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ.

أيضًا الحديث الذي يليه: "لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى شَقِّ آدَمَ الْأَيْمَنِ" هذه اثبات صفة اليد لله عز وجل كما بينا ذلك.

حديث (333): عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفِي يَدِهِ كِتَابَانِ، فَقَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا هَذَانِ الْكِتَابَانِ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِلَّا أَنْ تُخْبِرَنَا، فَقَالَ لِلَّذِي فِي يَدِهِ الْيُمْنَى: "هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ، ثُمَّ أَجْمَلَ عَلَى آخِرِهِمْ، فَلَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا، وَقَالَ لِلَّذِي فِي شِمَالِهِ: هَذَا كِتَابُ أَهْلِ النَّارِ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ، ثُمَّ أَجْمَلَ عَلَى آخِرِهِمْ، فَلَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يَنْقُصُ مِنْهُمْ أَبَدًا". طيب ماذا سنفعل في قول عمر رضي الله عنه وأرضاه لما قال: [اللَّهمَّ إن كنتَ كتَبْتَني شقيًّا فامحُني واكتُبْني سعيدًا] ؟ حديث ثابت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه. ما رأيكم؟ نقول الكلام في الكتابة الآن؛ هنا الحديث بيتكلم عن الله عز وجل في قال الكتابة التي كتبت في اللوح المحفوظ، فلابد تحمل كلام عمر بن الخطاب على صحف الملائكة، فنعم الدعاء يرد القدر لكن سيرد القدر الذي كُتب في صحف الملائكة لأنه يتغير لقوله تعالى:{ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ} [الرعد:39]، إذًا {يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُۖ} في صحف الملائكة، {وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ} . فهذا فقه من عمر رضي الله عنه، فعمر رضي الله عنه يعلم أن كل شيء مكتوب، وسأل النبي ﷺ قال ففيم العمل؟ قال اعملوا. فقال الدعاء من العمل، لذلك هو يدعو الله عز وجل بأنه يمحها من صحف الملائكة

ويكتبها عنده في اللوح المحفوظ، وهذا غير منافي للحديث الذي معنا، ليس إشكالًا فيه على التفرقة طبعًا. ممكن مراتب الكتابة سنبينها إن كان هناك وقت الأسبوع القادم، مراتب الكتابة الأربعة، وهي: اللوح المحفوظ، الكتابة الحولية، الكتابة العمرية، الكتابة في صحف الملائكة، وهذه لها أدلة سنتعرض لها لما ندخل في باب القلم إن شاء الله.

فهو أصلًا مكتوب في اللوح المحفوظ أنه سيكتب كذا، ثم يكتب الدعاء، ثم يكتب أنه كذا، كل هذا مكتوب في اللوح المحفوظ لكن هو عمر رضي الله عنه يعلم بأن اللوح المحفوظ لن يتغير، فهو لما بيقول "امحها واكتبها" أين؟ في صحف الملائكة:{يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُۖ} هذا تأويل الآية، {وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ}، تقتضي المغايرة، فـ {أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ} شيء غير {يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُۖ} ، وهذا كله في صحف الملائكة الذين لا يعلمون إلا ما ينزل عليهم.

لذلك في حديث الملك – الذي سيأتي معنا إن شاء الله أربعين وأربعين – فيقول:[أَيْ رَبِّ شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟] هذا في صحف الملائكة، لأن ممكن تقول طيب ما الملك نزل وكتب: [أَيْ رَبِّ شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟] الأربعة؛ رزقه، وأجله،.. [أَيْ رَبِّ شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟] هذا عند صحف الملائكة؛ فربنا قال للملائكة ماذا يكتبون، لكن هل يتغير؟ يتغير، ألم يعطي من عمر آدم أربعين سنة لداوود عليه السلام لما عُرِض عليه ؟. عمر رضي الله عنه يعلم بأن ما في اللوح المحفوظ لا يتبدل فلما بيقول امحها فذلك للآية لأنك لابد أن تجمع الأدلة؛ لما الله عز وجل يقول: {يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ} [الرعد:39] إذًا يمحو الله ويثبت في صحف الملائكة، والملائكة لا تعلم كل الموجود في اللوح المحفوظ إلا ما يأمرهم به.

إذًا ما نقصده هنا أنه لا تعارض؛ بأنه قد كُتب أصحاب الجنة وأصحاب النار نعم هذا في سابق علم الله عز وجل، هذا من التبويب؛ قال: "فِي عِلْمٍ قَدْ سَبَقَ" وعمر رضي الله عنه لما دعا دعا كما قال النبي ﷺ قال: [من أحبَّ أن يُبسطَ له في رزقِه وأن يُنسأَ له في أجلِه فليصِلْ رحِمَهُ]فيزاد في رزقه جيد، لكن كيف ينسأ في أجله؟ فليصل رحمة. إذًا صلة الرحم سبب في زيادة الأجل وزيادة الرزق الذي هم في صحف الملائكة. لكن في اللوح المحفوظ الله عز وجل في سابق علمه كتب. إذًا ممكن؟ نعم لك أنك تفعل ذلك فيزاد لك في الأجل أيضًا، لأن جاءت الأدلة تبين ذلك؛ أن هناك زيادة في الأجل وأنه هناك تغيير من شقي إلى سعيد، وكل هذا بالأعمال، وهذا معنى قول النبي ﷺ: [فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ]. فهذه من الأسباب ومن الأعمال الشرعية التي أباحها الشرع أنك تزيد فيها أو تغير فيها من القدر، لأن الدعاء كما قال

النبي ﷺ الدعاء يصعد إلى السماء ويعتلجان في السماء، أي القدر ينزل والدعاء يخرج، فيعتلجان في السماء بين الدعاء والقدر، والدعاء قد يرد القدر إن استجاب الله عز وجل لذلك.

هنا الحديث يقول: "سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، فَإِنَّ صَاحِبَ الْجَنَّةِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ"، انتبهوا لهذه المسألة مهمة جدًا، حتى تعلم كيف تنظر إلى العصاة، وكيف تنظر إلى أصحاب الطاعات نسأل الله عز وجل الثبات وأن لا يفتنا وأن يحسن خواتيمنا لأن المسألة حقًا العبرة بالخواتيم. وقد شاهدنا رجل سنوات عمره كان يقتل في الناس وبعض أهل العلم كفروه والشيخ ابن باز كان له فتوى بتكفيره، ثم الظاهر لنا في ختام عمره أنه كان يمسك المصحف وكان كذا وقال كذا كذا، فالعبرة بالخواتيم مع أنه جلس سنوات كان من أهل الظلم والفسق بل صدرت فتوى في تكفيره عند أهل العلم بأنه كان كذلك، لكن الله عز وجل ختم له. وهناك من تجده يُنظر له مثلًا بالصلاح لكن تجد خواتيم له عجيبة سبحان الله. لذلك العبرة ليس في عمله الآن، صاحب الجنة هو من يُختم له بالجنة، وكذلك صاحب النار هو من يُختم له بالنار.

إذًا المسألة أن العبرة بالخواتيم، لذلك قال النبي ﷺ: "وَإِنَّ صَاحِبَ النَّارِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ"، أي ممكن يكون من أهل الطاعة والدعوة والخير لكن قدر الله عز وجل ذلك. ولكن لا تظنوا ظنًا على الله عز وجل؛ قلنا الله حكيم وعدل، لماذا قدمت هذه المقدمة؟ لأنك لابد أن تؤصل دائمًا في القدر بحكمة الله عز وجل، وبعدل الله عز وجل، وبرحمة الله، لابد أن الذي كان يعمل هذه الأعمال التي هي ظاهرها للناس أن هناك شيء في قلبه، وفي إخلاصه أنها ليست لله عز وجل، وإلا ليس لنا إلا الظاهر، الله عز وجل لا ينظر إلا للقلوب، [إِنَّ اللهَ لا ينظرُ إلى أَجْسامِكُمْ، ولا إلى صُورِكُمْ، ولكنْ ينظرُ إلى قُلوبِكُمْ]. إذًا النظر للقلوب وأنت لا تعلم القلوب، فلا تغتر بالظاهر، نعم نحن ليس لنا إلا الظاهر فقط كمخلوقين، لكن الله عز وجل هو الذي يطلع على القلوب، إذًا لا تغتر؛ قد يكون هذا من أهل الصلاح في الظاهر لكن قلبه ليس فيه إخلاص لله عز وجل، فيه نفاق – والعياذ بالله – فخُتِم له على ما في قلبه.

ولا نذهب بعيدًا؛ ماعز رضي الله عنه والغامدية – رضي الله عن الجميع – أقيم عليهم الحد؛ أي ماتوا في الحد، ومع ذلك النبي ﷺ قال: [لقد تابتْ تَوبةً لو تابَها صاحبُ مَكْسٍ لغفرَ اللهُ له]، وقال عن ماعز أيضًا: [لقد رأيْتُه يتخضخَضُ في أنهارِ الجنَّةِ]، أي أثبت له قبول التوبة عند الله عز وجل.

والرجل الثاني الذي كان يقاتل مع النبي ﷺ قال: [هو مِن أهلِ النَّارِ] فارتقبه أحد الصحابة، النبي ﷺ يقول من أهل النار، فظل خلفه حتى رآه قد أصيب فإتكأ بالسيف على نصله فأخرجه من الخلف فمات، فقال شهدت أنك رسول الله ﷺ ، وجاء للنبي ﷺ قال: أشهد أنك رسول الله ﷺ ، لأن النبي قد بين له أمرًا استعجب الصحابة كيف هذا يكون من أهل النار! وطبعًا هذا لا يتستلزم الخلود، لأن قلنا المنتحر ليس بخالد، لكن قال هو من أهل النار إلا أن يشاء الله ويخرجه منها بإيمانه، إلا إن كان مبطن الكفر أو النفاق في في قلبه. لكن نقول العبرة هنا بالخواتيم تظهر لك ما قاله النبي ﷺ أنك لا تغتر بظاهر الأمر.

فالمسألة بتأتي عند الخواتيم، وهذه هي المصيبة؛ لأنك لا تعلم إلا عند الخواتيم، قد تغتر بنفسك وبعملك فهذه المشكلة، لذلك لابد للمرء أن يتعهد قلبه لأنه قد يكون على الطاعة فيصاب بالكبر وبالرياء وبالسمعة وغير ذلك، فتتقلب الأعمال من الإخلاص إلى غير الله عز وجل فيختم له – والعياذ بالله – بغير الخاتمة الصحيحة. المسألة حقيقة فيها ما فيها.

لكن لابد نتدبر أولًا بأن المرء لابد يوازن في مسألة القدر، فمسألة القدر فعلًا سر من أسرار الله عز وجل، لذلك المرء في القدر لابد أن يجمع شتات الأدلة؛ أي كما علم بأنه حتى يكون من أهل الجنة يسير إلى أهل الجنة فلابد أيضًا أنه لا يغتر بعمله؛ يعلم بأن ما سار إليه لأهل الجنة – وهذه فائدة عظيمة جدًا في الإيمان القدر– **أن الذي وفقك لذلك هو الله عز وجل،** قال: "**فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ**" من الذي يسَّرك؟ من الذي وفقك لهذا العمل؟ من الذي وفقك للعلم، للطاعة، للدعاء، للقرآن، لرفع اليد، للرزق؟ هو الله عز وجل، وإلا لو حدت عن ذلك وظننت بأن هذا كما قال قارون: {قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ} [القصص:78]، فجعل المسألة عنده، فهلك وهلك من معه. لذلك المسألة تحتاج حقيقة لتدبر وجمع كل الأدلة التي جاءت في ذلك.

الفوائد المستنبطة:

في حديث (335) حديث سراقة بن مالك لما قال: **أَخْبِرْنَا عَنْ أَعْمَالِنَا كَأَنَّا خُلِقْنَا السَّاعَةَ: أَشَيْءٌ ثَبَتَ بِهِ الْكِتَابُ، وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ أَمْ شَيْءٌ نستأنفه؟ قَالَ لَا بَلْ شَيْءٌ ثَبَتَ بِهِ الْكِتَابُ وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ**، "نستأنفه" أي نحن نقوم به، وطبعًا هو لا يقول بقول القدرية هنا، لكن معنى "نستأنف" أنه شيء سنقوم به. أم شيء قد كُتِب من قبل؟ فالنبي يعلمهم، وانظر.. هنا فائدة من فوائد هذه الأحاديث؛ أن أكثر من صحابي رضوان الله عليهم يسألون النبي ﷺ في أمر قد

تظن بأنه أمر يسير بالنسبة لك الآن؛ أي أنت الآن بتدرس وتقول ما هو لابد أن تكون الكتابة، لكن انظر.. وهم أفاضل الناس، وهم أفضل الخلق الذين اختارهم الله عز وجل لصحبة النبي ﷺ – طبعًا بعد الأنبياء والرسل – ومع ذلك جاؤوا يسألون النبي ﷺ ويتعلمون، والنبي ﷺ يعلمهم، مع أنه أمر من أصول الإيمان ولم ينكر، وليس كالآن يأتي أحد يسألك في مسألة من مسائل الإيمان أنت تظن أنها معلومة لك وسهلة وهو يسألك عنها فأنت تمسكه كأنك تريد أن تدفنه لأنه كيف يسأل هذا السؤال! يا أخي.. النبي ﷺ لما قالت عائشة رضي الله عنها: أويعلم الله ما في قلوبنا؟ ماذا قال لها؟ علَّمها. وهنا عمر قال **قَالَ**: **فَفِيمَ الْعَمَلُ؟** **قَالَ**: «**يَا عُمَرُ، لَا يُدْرَكُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْعَمَلِ**» . وهنا قال لسراقة: «**اعْمَلُوا**». إذًا هذا تعليم من النبي ﷺ ، حُسن التعليم، حتى في أمر قد تظنه أنت من المعلوم أو من أصول الدين لكن يجهله بعض الناس. وهذه مسألة مهمة جدًا في الدعوة؛ أنك لا تتكبر على أحد يأتي يسألك خاصة لو كانوا من العوام أو كانوا من الناس الذين يجهلون، حتى وإن كنت أنت ترى بأن هذا علم كيف أحد لا يعلمه! لا، هناك ناس لا يعلمون، هناك ناس يجهلون، وهناك شوش عليهم الناس وتعلموا الخطأ، سنين والناس درست في المدارس لما يقول لهم أين الله؟ يقول لك في كل مكان! فكبر وأصبح عنده ستين أو سبعين سنة وهو لا يعلم إلا أن الله في كل مكان! ولو قلت له لا ليس في كل مكان لكن الله رحمن على العرش استوى يقول أنت أتيت بدين جديد أم ماذا؟

هناك فائدة أخرى، أن الله عز وجل إذا أراد شيئًا أو قدر شيئًا هيأ الأسباب له. انظر ماذا أراد الله عز وجل في بدر؟ النبي ﷺ كان يريد العير، لكن الله عز وجل لم يكن يريد العير، قال: {وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ * لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ} [الأنفال:7-8]، فالآية تبين أن النبي ﷺ أراد العير، والله عز وجل أراد غير ذلك، لذلك هيأ الله عز وجل لنصرة المسلمين على الكافرين أن يخرج النبي ﷺ للعير، وأن يطلبوا العير، ثم تدب السمعة والكبرياء عند أبي سفيان فيصر فيهيأ الله الأسباب حتى ينصر بعد ذلك المسلمين على الكافرين، مع أن النبي لم يخرج للقتال، لكن أراد العير. هنا كذلك الله عز وجل إذا قدر أمرًا هيأ له أسبابه. فهذا هو الأصل؛ الله عز وجل قدَّر أمرًا، هيأ له الأسباب، قدَّر إما أنك من أهل الجنة هيأ لك الأسباب التي توصلك إلى الجنة، ولو كان قدَّر أن يكون من أهل النار هيأ الأسباب التي تؤدي إلى أن يكون من أهل النار.

حديث (338) «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ، فَأَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ، فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ اهْتَدَى، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ»، طبعًا "أخطأه" ليس عن جهل، بل أخطأه لأن الله عز وجل لم يرد له الهداية. أَقُولُ: جَفَّ الْقَلَمُ عَلَى عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى.

الحديث الذي يليه والذي بعده سنأخذ فقط الشاهد منه في مسألة الاستنساخ، لكن سنترك الكلام عن القلم لأن الباب الذي سيليه يتكلم فيه عن خلق العرش والقلم، وهل العرش قبل القلم، أم القلم قبل العرش؟ هذه مسألة أخرى سنتركها إن شاء الله للأسبوع القادم، لكن هنا قال: "أَوَّلُ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْقَلَمُ"، هذا طبعًا على من يقول بأن أول المخلوقات القلم، وهذا أحد أقوال أهل العلم، فَأَخَذَهُ بِيَمِينِهِ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، طبعًا إثبات أولًا اليدان لله عز وجل، وإثبات أن كلتا يدي الله عز وجل يمين، كما بيَّن ذلك. وهنا انظر.. فَكَتَبَ الدُّنْيَا وَمَا يَكُونُ فِيهَا مِنْ عَمَلٍ مَعْمُولٍ، بِرٍّ أَوْ فُجُورٍ، وهذا رد على القدرية؛ بأن{وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} [الصافات:96] هم يقولون طبعًا خلق الله عز وجل للعباد لا نتكلم فيه لكن هم يتكلمون في خلق الأعمال، وهنا يقول: فَكَتَبَ الدُّنْيَا وَمَا يَكُونُ فِيهَا مِنْ عَمَلٍ مَعْمُولٍ، بِرٍّ أَوْ فُجُورٍ رَطْبٍ أَوْ يَابِسٍ، فَأَمْضَاهُ عِنْدَهُ فِي الذِّكْرِ. فيها رد أيضًا على القدرية في مسألة عدم خلق الله عز وجل أفعال العباد خيرًا أو شرًا. ثم بيَّن: "اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: {هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الجاثية: 29] فَهَلْ يَكُونُ النسخ إِلَّا مِنْ شَيْءٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ؟ ". و"النسخ" كما قلنا في تعريف اللغة إما نسخت الظل الشمس أزالته، أو النسخ الذي هو النقل، يقول "نسخت الكتاب" أي نقلت الكتاب، خذ الكتاب الآن عند مكنة التصوير، طبعًا الأول نسخ الكتاب بالكتابة؛ بتنسخ ورقة، فهو هنا قال: {إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} "فَهَلْ يَكُونُ النسخ إِلَّا مِنْ شَيْءٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ؟" أي هذه نسخة، والأصل موجود عند الله عز وجل، أنتم تعملون ما كتبه الله عز عز وجل أصلًا، قال: {هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الجاثية: 29].

فالملائكة كتبت ما كنتم تعملونه، لكن الذي بتعملوه هذا هو نسخة من الذي فُرِغ منه، لذلك سُمِّي نسخ، أن الملائكة كتبت الذي فعلتوه، وهذا الذي كُتِب ليس بجديد، هذا نسخ من الذي عندنا في اللوح المحفوظ، فَهَلْ يَكُونُ النسخ إِلَّا مِنْ أَمْرٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ؟

هذا آخر الكلام في هذا الباب العظيم. والحقيقة أبواب القدر من أعظم الأبواب، نسأل الله عز وجل أن ييسر لنا حسن تدبرها، والعمل بها، والعمل أهم شيء في ذلك، وأن يختم الله عز وجل لنا بخاتمة أهل السعادة، هذا هو المبتغى من الدنيا جميعها، لأن المرء يجتهد ليل نهارًا

ويخلص لله عز وجل أن الله عز وجل يكتبه من أهل السعادة، فالعبرة بالخواتيم، ولكن الخاتمة لابد لها من بداية، فإذا أراد المرء أن يختم له بخاتمة أهل السعادة لابد أن يكون عمله في الدنيا كله من عمل أهل السعادة ولا يتكل، لأنه لا يضمن، لذلك البعض الذين يقولون نعصي الآن وعندما نكبر قليلًا سنتوب، وما أدراك أنك ستصل لذلك؟! لذلك المرء لا يضيع لحظة من لحظاته أو وقت من أوقاته إلا أن يكون في طاعة لله عز وجل، وإلا لا يضمن عندما سيأتيه الأجل هو على ماذا سيكون؟ لذلك من حرص المرء ومن حسن تطبيق وتحقيق الإيمان بالقدر أن يستحضر طول حياته وطول وقته مسألة إحسان العمل لله عز وجل، وأنه دائمًا يكون عمله من عمل أهل السعادة.

المحاضرة الرابعة والأربعون

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام على موعد مع شرح كتاب الشريعة للإمام الآجري – عليه رحمة الله تعالى – ما زلنا في أبواب القدر والرد على القدرية، وأيضًا اثبات بعض المسائل من عقيدة أهل السنة والجماعة في باب القدر. وقفنا عند **بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللَّهُ تَعَالَى قَدَّرَ الْمَقَادِيرَ عَلَى الْعِبَادِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ**، ومن العنوان يبين الإمام لنا مرتبة من مراتب القدر، فهنا الإمام بوَّب على أن **الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللَّهُ تَعَالَى قَدَّرَ الْمَقَادِيرَ عَلَى الْعِبَادِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ** هذا التقدير يقصد به هنا "الكتابة". وقد بيَّنا أن الله عز وجل علم وكتب، وأن كل شيء مكتوب قبل أن يخلق الله عز وجل السماوات والأرض.

قال النبي ﷺ: [**ما مِنكُم مِن نَفسٍ إلَّا وقد عُلِمَ مَنزِلُها مِنَ الجَنَّةِ والنَّارِ**] ، وأيضًا جاءت الآيات في مسألة الكتابة، وأجمع الصحابة والتابعون وجميع أهل السنة والحديث على أن كل كائن إلى يوم القيامة فهو مكتوب في أم الكتاب؛ الذي هو اللوح المحفوظ. "كل كائن" أي كل

ما سيكون وكل ما كان إلى يوم القيامة مكتوب في اللوح المحفوظ، وهو الإمام المبين، والكتاب المبين، واللوح المحفوظ، إلى غير ذلك، والأدلة على ذلك كثيرة من الكتاب ومن السنة.

قال سبحانه وتعالى: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ} [الحج:70] يبين أن كل شيء قد كتبه الله عز وجل، وأيضًا: {وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ} [يس:12] ، والإمام المبين هو اللوح المحفوظ. وقوله تعالى: {قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا} [التوبة:51] ، وكل شيء قدره الله عز وجل في اللوح المحفوظ؛ أي شيء سيصيب المرء قد كتبه وقدره الله عز وجل في اللوح المحفوظ. وقال سبحانه وتعالى عن موسى في دعائه:{ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً} [الأعراف: 156] ، أي كل العلم النافع والرزق،.. قد كتبه الله عز وجل وقدره على عباده.

وفي محاجاة موسى عليه السلام لفرعون لما قال له: { فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ * قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى} [طه: 51-52] ، أي أن الله عز وجل قد أحصى الأعمال جميعها؛ خير وشر، وكتبها سبحانه وتعالى في اللوح المحفوظ؛ الكتاب المبين، الإمام المبين. وقال سبحانه وتعالى:{ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ} [الأنبياء: 105] ، كتب الله عز وجل كل ذلك في اللوح المحفوظ.

وأيضًا بيَّن الله عز وجل ما حدث من أعمال وأفعال حتى في زمن النبي ﷺ كأسارى بدر وما قرر فيه النبي ﷺ في الفعل، قال:{ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ} [الأنفال: 68] لما قرر النبي ﷺ بأخذ الفدية من أسارى بدر فنزلت المعاتبة من الله عز وجل بعد ذلك قال:{ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [الأنفال: 68] ، ما هو الكتاب الذي سبق وما مناسبة هذه الكلمات من الله عز وجل؟ أي لولا أن الله قد قدر من قبل أنه سيعفو عن هذا الأمر الذي أنتم فعلتموه مخالفًا – فهناك أمر قدري وأمر شرعي – هو النبي ﷺ أخذ برأي أبي بكر وأخذ الفدية مخالفًا لرأي عمر رضي الله عنه وأرضاه، فالله عز وجل يقول: {لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [الأنفال: 68] ، أي لولا أن الله كتب من قبل بأنه سيغفر لكم ذلك ويعفو عن ذلك لأنه قال:{ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا} [الأنفال: 69] ، فهذا كله مقدر عند الله عز وجل، فهذا يدل على أن كل شيء مكتوب؛ ما أنتم استشرتم فيه بعضكم بعضًا قد كتبه الله عز وجل وقدره وقد عفى الله عز وجل عن ذلك وغفر لهذا الاجتهاد من النبي ﷺ، وأنزل الله عز وجل الآيات. لذلك البعض يقول هنا بأن فعل النبي

ﷺ وافق الكتابة القدرية؛ أن النبي ﷺ وافق قدر الله عز وجل لأن ربنا قال:{ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ} [الأنفال: 68] ، فالبعض يريد أن يقول أن النبي ﷺ يخالف فيها وإن كان اجتهد لأنه قد وافق ما قدره الله عز وجل من قبل، لكن هذا موافقة كونية وليست شرعية لأنه قد بينت الآيات بأن المراد كان أن يقول كما قال عمر بن الخطاب للنبي ﷺ: بل أن تسلم محمد لأبو بكر – فمحمد بن أبو بكر قاتل في بدر ضد أبو بكر – فيقتله، وتسلم عقيل لعلي – وعقيل كان أخو علي بن أبي طالب – فيقتله، وتسلم لي كذا ابن الخطاب – قريبًا لعمر بن الخطاب– فأقتله ليعلم الله بأن ليس لنا مودة أو محاباة بيننا وبين قومنا. وهذا كان رأي عمر رضي الله عنه وأرضاه، ولكن النبي ﷺ رأى أن يفاديهم كما قال أبو بكر بأنهم بنو قومهم فيأخذ المال ويتقرب إليهم بالإسلام بعد ذلك، فنزل قول الله عز وجل. الشاهد من الآية بأن هذا كتاب قد سبق من الله أي أن الله عز وجل قد كتب كل شيء وقدر كل شيء في اللوح المحفوظ.

وأما من السنة فقد روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: [كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبلَ أن يَخلُقَ السَّمَواتِ والأرضَ بخَمسينَ ألفَ سَنةٍ، قال: وعَرشُه على الماءِ]، سيأتي الآن هذا الكلام الذي نحن بصدده الآن.

وطبعًا الكتابة لها مراتب؛ كتابة في اللوح المحفوظ، وهناك الكتابة في صحف الملائكة، وهناك الكتابة الحولية والتي تنزل في كل عام في ليلة القدر {فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ} [الدخان: 4]، يفرق هنا أي يُقدَّر الكتابة الحولية، وهناك الكتابة اليومية [يتعاقبون فيكم ملائكةٌ باللَّيلِ وملائكةٌ بالنَّهارِ] ثم يصعدون بالصحف إلى الله عز وجل، فهذه الكتابة اليومية، وهناك الكتابة العمرية – الكتابة الأجلية – وهي التي تكون في الجنين؛ الملك لما يأتي إلى الله عز وجل فيقول أي ربي أكتب أشقي أم سعيد؟ رزقه، أجله، إلى غير ذلك، الأربع كلمات التي يؤمر بها الملك، هذه هي الكتابة العمرية. إذًا عندنا الكتابة في اللوح المحفوظ؛ وهذه لا تتبدل ولا تتغير، وعندنا الكتابة العمرية التي تكون للملك للجنين عند نفخ الروح، وهناك الكتابة الحولية التي تكون في ليلة القدر، وهناك الكتابة اليومية التي تكتبها الملائكة في صحائفهم إلى الله عز وجل، وكل هذا يتبدل ويتغير إلا ما كان في اللوح المحفوظ. هذه مرتبة الكتابة التي أراد أن يبينها المصنف في تعريف هذا الباب.

ندخل في الباب الذي معنا الآن؛؛

قال المصنف رحمه الله تعالى:

36- بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللَّهُ تَعَالَى قَدَّرَ الْمَقَادِيرَ عَلَى الْعِبَادِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ

341 - أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدِّمَشْقِيُّ قَالَ: نا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ قَالَ: نا أَبُو هَانِئٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيِّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «فَرَغَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ مَقَادِيرِ الْخَلْقِ، قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»

342 - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ النَّيْسَابُورِيُّ قَالَ: نَا يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو هَانِئٍ الْخَوْلَانِيُّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «كَتَبَ رَبُّكُمْ تَعَالَى مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ كُلِّهَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ» قَالَ: «وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»

343 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا صَفْوَانُ بْنُ صَالِحٍ قَالَ: نَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ: نَا ابْنُ لَهِيعَةَ، عَنْ أَبِي هَانِئٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَتَبَ اللَّهُ تَعَالَى مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ، وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»

344- وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نَا أَبُو مَرْوَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ حَبِيبٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ الْفَزَارِيُّ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ جَامِعِ بْنِ شَدَّادٍ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَهُ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ فَقَالُوا: أَتَيْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِنَتَفَقَّهَ فِي الدِّينِ، نَسْأَلُكَ عَنْ أَوَّلِ هَذَا الْأَمْرِ كَيْفَ كَانَ؟ فَقَالَ: «كَانَ اللَّهُ تَعَالَى، وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ كَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»

37- بَابُ الْإِيمَانِ بِمَا جَرَى بِهِ الْقَلَمُ مِمَّا يَكُونُ أَبَدًا

345 - أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا أَبُو مَرْوَانَ هِشَامُ بْنُ خَالِدٍ الْأَزْرَقُ الدِّمَشْقِيُّ قَالَ: نا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى الْخُشَنِيُّ، عَنِ الْحُسَيْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، مَوْلَى بَنِي أُمَيَّةَ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ الْقَلَمَ، ثُمَّ خَلَقَ النُّونَ، وَهِيَ الدَّوَاةُ، ثُمَّ قَالَ: اكْتُبْ قَالَ: وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَا يَكُونُ وَمَا هُوَ كَائِنٌ مِنْ عَمَلٍ أَوْ أَثَرٍ، أَوْ رِزْقٍ أَوْ أَجَلٍ، فَكَتَبَ مَا يَكُونُ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ} [القلم: ١] ثُمَّ خَتَمَ عَلَى الْقَلَمِ فَلَمْ يَنْطِقْ، وَلَا يَنْطِقُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"

346- وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ قَالَ: حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَيُّوبُ أَبُو زَيْدٍ الْحِمْصِيُّ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عُبَادَةَ وَهُوَ مَرِيضٌ يَرَى فِيهِ الْمَوْتَ، فَقَالَ: يَا أَبَةِ أَوْصِنِي وَاجْتَهِدْ، قَالَ: اجْلِسْ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ الْإِيمَانِ وَلَنْ تَبْلُغَ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، قُلْتُ: وَكَيْفَ لِي أَنْ أَعْلَمَ خَيْرَهُ وَشَرَّهُ؟ قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَإِنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "أَوَّلُ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اجْرِ، فَجَرَى تِلْكَ السَّاعَةَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَإِنْ مِتَّ وَأَنْتَ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ دَخَلْتَ النَّارَ"

347 - وَحَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ شَاهِينَ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ الْكُوفِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ يَحْيَى، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْقَلَمَ فَقَالَ: اكْتُبْ قَالَ: وَمَا أَكْتُبُ قَالَ: اكْتُبِ الْقَدَرَ، فَجَرَى تِلْكَ السَّاعَةَ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"

348 - أَخْبَرَنَا أَبُو عُبَيْدٍ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ حَرْبٍ الْقَاضِي قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْأَشْعَثِ أَحْمَدُ بْنُ الْمِقْدَامِ الْعِجْلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ: حَدَّثَنَا عِصْمَةُ أَبُو عَاصِمٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ مِقْسَمٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: "إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ شَيْءٍ الْقَلَمَ، فَخَلَقَهُ مِنْ هِجَاءٍ، فَقَالَ: قَلَمٌ؟ فَتَصَوَّرَ قَلَمًا مِنْ نُورٍ، ظِلُّهُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ،

فَقَالَ: اجْرِ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ قَالَ: يَا رَبِّ، بِمَاذَا؟ قَالَ: بِمَا يَكُونُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْخَلْقَ , وَكَّلَ بِالْخَلْقِ حَفَظَةً يَحْفَظُونَ عَلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ: عُرِضَتْ عَلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ، فَقِيلَ: {هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الجاثية: ٢٩] أَيْ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ قَالَ: فَعُورِضَ بَيْنَ الْكِتَابَيْنِ، فَإِذَا هُمَا سَوَاءٌ"

349 - وَحَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ شَاهِينَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو هِشَامٍ الرِّفَاعِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَطَاءٌ، عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: "أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْقَلَمَ، فَقَالَ: اكْتُبْ قَالَ: وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ خَلَقَ النُّونَ، وَكَبَسَ عَلَى ظَهْرِهِ الْأَرْضَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {ن، وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ} [القلم: ١] "

350 - أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مِنْجَابُ بْنُ الْحَارِثِ قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ مُسْهِرٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي ظَبْيَانَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: "إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْقَلَمَ فَقَالَ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ، وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبِ الْقَدَرَ، فَجَرَى بِمَا يَكُونُ فِي ذَلِكَ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ رَفَعَ بُخَارَ الْمَاءِ فَفُتِقَتْ مِنْهُ السَّمَوَاتُ، ثُمَّ خَلَقَ النُّونَ , فَدُحِيَتِ الْأَرْضُ عَلَى ظَهْرِ النُّونِ، فَتَحَرَّكَ النُّونُ فَمَادَتِ الْأَرْضُ، فَأُثْبِتَتْ بِالْجِبَالِ، وَإِنَّهَا لَتَفْخَرُ عَلَيْهَا"

351- أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مَرْوَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ حَبِيبٍ الْمِصِّيصِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ الْفَزَارِيُّ، عَنْ سُفْيَانَ يَعْنِي الثَّوْرِيَّ، عَنْ أَبِي هَاشِمٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: قِيلَ لِابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إِنَّ هَاهُنَا قَوْمًا يَقُولُونَ فِي الْقَدَرِ، فَقَالَ: "إِنَّهُمْ يُكَذِّبُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لَآخُذَنَّ بِشَعْرِ أَحَدِهِمْ فَلَأَنْصُوَنَّهُ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ شَيْئًا، ثُمَّ خَلَقَ، فَكَانَ أَوَّلُ مَا خَلَقَ الْقَلَمَ ثُمَّ أَمَرَهُ فَقَالَ: اكْتُبْ، فَكَتَبَ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، وَإِنَّمَا تَجْرِي النَّاسُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ

الباب الأول قلنا بأن الله قد قدر مقادير العباد قبل أن يخلق السماوات والأرض، وبينا مسألة الكتابة. وذكر العرش، والعرش هو عرش الرحمن وهو أعظم مخلوقات الله عز وجل، ويحمله ثمانية، وهو فوق السماوات السبع، وهنا الحديث الذي جاء بيَّن فيه المسألة التي معنا في هذا الباب والذي يليه في مسألة القلم؛ والخلاف بين أهل العلم في مسألة أي المخلوقات أولًا؛ هل

العرش أم القلم؟ وهذا اختلف فيه حتى أهل السنة والجماعة في أول ما خلقه الله عز وجل، وهذا ظاهر في الباب الأول لما قال حديث عبد الله بن عمرو – لابد أن نضبط الأحاديث التي يظهر فيها الخلاف – قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «فَرَغَ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ مَقَادِيرِ الْخَلْقِ، قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»، وفي رواية أخرى أيضًا: «كَتَبَ رَبُّكُمْ تَعَالَى مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ كُلَّهَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ» قَالَ: «وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ».

(كَتَبَ) ، وفي رواية هنا: (فَرَغَ)، وفي رواية أيضًا: (قدَّر) وكلها روايات عن عبد الله بن عمرو، فيها اثبات الكتابة؛ أن الله كتب المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: «وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»، وهذه إشارة على أن العرش كان موجود أولًا، والكتابة كانت مع وجود العرش، وهذا حديث لابد أن يُضبَط، مع الحديث في الباب الذي يليه حديث سواء عن أبي هريرة لكن الصحيح عبادة بن الصامت الذي قال فيه النبي ﷺ: (أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْقَلَمُ) ، لو قلنا (الْقَلَمُ) على ضم القلم، حديث (347) حديث عبادة بن الصامت قال: (دَخَلْتُ عَلَى أَبِي فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْقَلَمُ) – أنا قصدت الرواية التي فيها رفع القلم لنُبين– (فَقَالَ: اكْتُبْ قَالَ: وَمَا أَكْتُبُ قَالَ: اكْتُبِ الْقَدَرَ، فَجَرَى تِلْكَ السَّاعَةَ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)، فأصبح عندنا هنا حديث عبادة بن الصامت يستدل به أصحاب القول الثاني – والإثنين من أهل السنة والجماعة– على أن أول شيء خلقه الله عز وجل القلم، فالرواية تقول: (إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْقَلَمُ) فقال بعضهم أن هذا نص، (فَقَالَ: اكْتُبْ قَالَ: وَمَا أَكْتُبُ قَالَ: اكْتُبِ الْقَدَرَ) فكتب ما هو كائن إلى قيام الساعة.

فأصبح عندنا الآن خلاف؛ هل العرش أولًا؟ وطبعًا قول النبي ﷺ في رواية أخرى: [كان اللهُ ولَم يَكُنْ شيءٌ قَبلَه، وكان عَرشُه على الماءِ] وهذه أيضًا رواية يستدل بها أصحاب القول الأول الذين يقولون بأن خلق العرش أولًا، [كان اللهُ ولَم يَكُنْ شيءٌ قَبلَه، وكان عَرشُه على الماءِ] أي قبل أن يخلق أي شيء كان العرش موجود.

الخلاف كله في العمل بحديث عبادة بن الصامت هل هو على ظاهره أم لا؟ [إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْقَلَمُ] طبعًا هنا يظهر فيه أنه ظاهر، لأنه قال: [اكْتُبْ قَالَ: وَمَا أَكْتُبُ قَالَ: اكْتُبِ الْقَدَرَ، فَجَرَى تِلْكَ السَّاعَةَ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ] . فهنا حدث الخلاف؛؛

الجمهور يرون – وهذا رأي شيخ الإسلام ابن تيمية – بأن العرش أولًا؛

والقول الثاني من بعض المحققين يرون أن القلم أولًا.

طبعًا نحن لخصنا وتكلمنا في هذه من قبل وقلنا أن هناك خلاف أصلًا ما هي أول مخلوقات؟ العرش أم الماء أم القلم؟ واستبعدنا القول الرابع أنه النار، فقلنا أن العملية محصورة بين العرش وبين القلم؛ وإن كان ابن القيم له قول ثاني أيضًا في أن الماء قبل العرش والماء قبل القلم، وقول بأن العرش قبل القلم، وهذا يوافق قول شيخ الإسلام بن تيمية يرى أن العرش أولًا قبل القلم. والقول الثاني الذين يرون بأن القلم قبل العرش.

أين الإشكال؟ أن الحديث الأول حديث عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال أن الله [كَتَبَ]، طيب من الذي سيكتب؟ القلم،[كَتَبَ ..... وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ] ولازم أن الكتابة من القلم؛ التقدير من القلم، فلما يقول:[كَتَبَ ..... وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ] إذًا الكتابة جاءت بعد وجود العرش، والكتابة لا تكون إلا بالقلم. فالإشكال في من أخذ بحديث عبد الله بن عمرو وحديث عبادة الذي فيه: [إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْقَلَمَ فَقَالَ: اكْتُبْ] ، وجاءت الفاء على التعقيب، فأصبحت الكتابة تالية مباشرة لخلق القلم، فقالوا لما كانت الكتابة تالية لخلق القلم والحديث الأول: [كَتَبَ رَبُّكُمْ تَعَالَى مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ كُلِّهَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ» قَالَ: «وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»] إذًا دل ذلك أن العرش أولًا ثم القلم ثم الكتابة، هذا لمن أخذ بأن الرواية على "الفاء"، وأيضًا لابد أن يحمل رواية أن (أول ما خلق الله القلم) ليست على الرفع؛ لا يقصد به بأن القلم أول شيء خلق، لكن الحال؛ كأنك تقول: "أول ما خلق الله القلم قال له اكتب"، إذًا أول شيء أمر الله عز وجل به القلم أول لما خلقه أن يكتب، وليس معناه أن أول خلق كان القلم؛ أي أول فعل كلفه الله عز وجل للقلم بعد أن خلقه ان يكتب ولم يحمل الكلام على أن القلم أول شيء مخلوق.

فالذين قالوا العرش أول شيء نظروا بأن أحاديث النبي ﷺ ،[كَتَبَ ..... وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ] والكتابة من القلم والعرش موجود، إذًا الكتابة تالية لخلق العرش، إذًا القلم تالي. وجعلوا رواية عبادة بن الصامت في (فاء التعقيب)، ولماذا مهم الفاء؟ لأنه توجد رواية (ثم) ستكون حجة عليهم وليست لهم، هؤلاء قالوا : [إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْقَلَمَ فَقَالَ: اكْتُبْ]، إذًا حمل على أن أول فعل فعله القلم بعد خلقه أن قال له فاكتب؛ إذًا مُلازمة الخلق القلم مع الكتابة لأن الفاء التعقيب وهذا لم يُجمَع مع الحديث الأول بأن الكتابة جاءت والعرش موجود، فإذًا لابد أن يكون القلم مخلوق بعد العرش، وحتى أيضًا لم يقولوا بأن القلم على الرفع هنا أن المقصود أن

أول شيء خلقه الله القلم أي لم يحملوا ذلك على أن هذا دلالة على أن القلم أول شيء مخلوق، لا، بل أن أول شيء فعله القلم لما خلقه الله – كأنك تقول أن أول شيء لما وُلد عملت فيه كذا– هو يقصد أن أول ما خلق الله القلم قال له اكتب؛ أي أن أول أمْر أَمَر الله عز وجل به القلم هو الكتابة وليست معناه أن هذا أول خلق.

فالمسألة كلها قائمة على كيفية الجمع بين حديث عبادة بن الصامت وحديث عبد الله بن عمرو، فالذين قالوا العرش قالوا بالذي قلته الأول، والذين قالوا بالقلم أنه أول المخلوقات قالوا القلم جاء على الرف، [إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْقَلَمُ]، فهذه قالوا "نص"، طيب ماذا سنفعل في: [كَتَبَ رَبُّكُمْ تَعَالَى مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ كُلِّهَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ» قَالَ: «وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»]؟ قالوا يمكن الجمع، قالوا عندنا رواية: [أَوَّلُ ما خلقَ اللَّهُ القلمَ .... ثُمَّ قالَ لَهُ اكتُب]، فأصبحت (ثم) على التراخي، إذًا يصح أن نقول أن أول شيء الله عز وجل خلقه هو القلم، ثم خلق العرش، ثم قال للقلم اكتب، فلو جمعنا حديث عبادة مع حديث عبد الله بن عمرو فيكون كتب الله عز وجل مقادير السماوات والأرض قبل أن يخلق السماوات والأرض وكان عرشه على الماء لا يضر أن الكتابة جاءت بعد العرش، لكن الكتابة جاءت بعد العرش والقلم خُلِق أولًا قبل العرش، لأن هنا ليست الرواية على (فاء) التعقيب، بل الرواية على (ثم) التراخي، أي أن [إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْقَلَمُ] هذه قالوا أنها نصًا، إذًا أول شيء خلق القلم، (ثم) قال له اكتب، ف (ثم) هذه ليست على التعقيب بالفاء بل هذه على التراخي، فقالوا إذًا لما قال (ثم) فممكن أن نقول خلق القلم، ثم خلق العرش، ثم كتب القلم بأمر من الله عز وجل، وجعلوا رواية (ثم) صارفة للتعقيب الذي قال به أصحاب القول الأول الذين قالوا بأن العرش أولًا.

وطبعًا أصحاب القول الأول قالوا [كان اللهُ ولَم يَكُنْ شيءٌ قَبلَه، وكان عَرشُه على الماءِ] فأرادوا أن يقولوا بأن الكتابة لازمة للقلم، الإشكال كله في مسألة أن الكتابة لازمة للقلم، فلو قلت لازمة لخلق القلم إذًا لابد أن يكون العرش أولًا، ولو قلت بأن الكتابة ممكن تكون متراخية عن خلق القلم فيمكن الجمع بخلق القلم ثم العرش ثم الكتابة بعد ذلك.

وطبعًا الذي قال بالعرش؛ كـ "ابن القيم" قال العرش والماء، لأنه قال: [وكان عَرشُه على الماءِ] فقال العرش مخلوق والماء مخلوق أولًا ثم القلم التالي.

البعض قال – وهذا توجيه أيضًا للجمع يصب في مصلحة الذين قالوا بأن العرش خلق أولًا – قالوا لما نظرنا [قَالَ: اكْتُبِ الْقَدَرَ، فَجَرَى تِلْكَ السَّاعَةَ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ] فيقولون بأن

أول المخلوقات العرش، لكن القلم هو أول مخلوقات العالم الذي كتب به القلم مقاديره إلى قيام الساعة، قيام ساعة من؟ العالم الذي نحن فيه. هل هذا يمنع وجود عوالم أخرى؟ لا نعلم. فالبعض قال أن أول خلق للقلم من كتابة المقادير التي تخص هذا العالم المخصوص إلى قيام الساعة، وأن العرش خُلِق أولًا. طيب من أين استدلوا بأن هذا خاص بجنس العالم الذي فيه؟ بقول النبي ﷺ: [قَالَ: اكْتُبِ الْقَدَرَ، فَجَرَى تِلْكَ السَّاعَةَ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ] فجعلوا أن القلم خاص بهذا العالم المخصوص، لا بمطلق الأشياء، وأن العرش هو الذي خُلِق أولًا بمطلق الأشياء [كان اللهُ ولَم يَكُنْ شيءٌ قَبلَه، وكان عَرشُه على الماءِ] ، لكن القلم خُلِق في هذا العالم المخصوص وليُكتب ومتعلق الخلق القلم والكتابة بما في اللوح المحفوظ إلى قيام الساعة لهذا العالم، فالله عز وجل جعل هناك أقدار وأجناس، فكأن هذا يخص هذا الجنس؛ أي أن أول ما خلق الله عز وجل من هذا العالم الذي نحن منه هو القلم، فالقلم قبل السماوات وقبل الأرض وقبل الدخان وقبل ذلك كله. أما العرش والماء متعلقين بمطلق العوالم. وهذا جمع أيضًا لبعض أهل العلم جمعوا به حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه وحديث عبد الله بن عمرو.

والمسألة خلافية بين أهل العلم ولا إنكار فيها، وأردت فقط أن أبين المسألة الرئيسة في هذا الباب والباب الذي يليه.

وطبعًا هو دلالة عندنا بأنه يستدل بها المؤلف على أن الله عز وجل قد قدَّر كل شيء، وكتب كل شيء في اللوح المحفوظ بالقلم، وأيضًا فيه اثبات أن الله خلق العرش، وفيه طبعًا رد على القدرية الذين يقولون بأن الأمر أُنُف وأن العباد هم الذين يخلقون أفعالهم، فهو يريد أن يبين بأن الله عز وجل كتب كل شيء إلى قيام الساعة.

ندخل في الباب الذي يليه؛ **بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدَّرَ عَلَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمَعْصِيَةَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُ**، هذه أيضًا مسألة تكلمنا عنها من قبل لكن فيها فوائد نبينها إن شاء الله.

38- بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدَّرَ عَلَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمَعْصِيَةَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُ

352- حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّقْرِ السُّكَّرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ الْحِزَامِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ

مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: يَا رَبِّ، أَرِنَا أَبَانَا آدَمَ الَّذِي أَخْرَجَنَا وَنَفْسَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، فَأَرَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ، فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ آدَمُ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ: أَنْتَ الَّذِي نَفَخَ اللَّهُ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَعَلَّمَكَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا، ثُمَّ أَمَرَ مَلَائِكَتَهُ فَسَجَدُوا لَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ أَخْرَجْتَنَا وَنَفْسَكَ مِنَ الْجَنَّةِ؟ قَالَ لَهُ آدَمُ: وَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا مُوسَى، قَالَ: نَبِيُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ أَنْتَ الَّذِي كَلَّمَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، لَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ رَسُولًا مِنْ خَلْقِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَهَلْ وَجَدْتَ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ ذَلِكَ كَائِنٌ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَلِمَ تَلُومُنِي فِي شَيْءٍ قَدْ سَبَقَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ الْقَضَاءُ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى "عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

353 - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ الْمِصْرِيُّ، وَأَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو قَالَا: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي هِشَامُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: يَا رَبِّ، أَرِنَا آدَمَ الَّذِي أَخْرَجَنَا مِنَ الْجَنَّةِ، فَأَرَاهُ اللَّهُ تَعَالَى فَقَالَ: أَنْتَ أَبُونَا آدَمُ؟ قَالَ لَهُ آدَمُ: نَعَمْ؟ قَالَ: أَنْتَ الَّذِي نَفَخَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَعَلَّمَكَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا، وَأَمَرَ مَلَائِكَتَهُ فَسَجَدُوا لَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ أَخْرَجْتَنَا وَنَفْسَكَ مِنَ الْجَنَّةِ؟ قَالَ لَهُ آدَمُ: وَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا مُوسَى قَالَ: أَنْتَ نَبِيُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ الَّذِي كَلَّمَكَ اللَّهُ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ رَسُولًا مِنْ خَلْقِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَمَا وَجَدْتَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي كِتَابِ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَلِمَ تَلُومُنِي فِي شَيْءٍ قَدْ سَبَقَ مِنَ اللَّهِ فِيهِ الْقَضَاءُ قَبْلِي؟" قَالَ: النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ»

354 - حَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا أَبُو مَسْعُودٍ أَحْمَدُ بْنُ الْفُرَاتِ قَالَ: أَنْبَأَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ: نا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ حُمَيْدٍ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ جُنْدُبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَقَالَ مُوسَى: يَا آدَمُ، أَنْتَ الَّذِي خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، وَأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ، وَفَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ فَأَخْرَجْتَ وَلَدَكَ مِنَ الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ آدَمُ؟ أَنْتَ مُوسَى الَّذِي بَعَثَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِرِسَالَاتِهِ، وَكَلَّمَكَ وَآتَاكَ التَّوْرَاةَ وَقَرَّبَكَ نَجِيًّا؟ أَنَا أَقْدَمُ أَمِ الذِّكْرُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى "

355 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "تَحَاجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ الَّذِي أَغْوَيْتَ النَّاسَ وَأَخْرَجْتَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي أَعْطَاكَ اللَّهُ عِلْمَ كُلِّ شَيْءٍ، وَاصْطَفَاكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَلِمَ تَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قُدِّرَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ؟"

356 - وَأَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ قَالَ: نَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرٍو، عَنْ طَاوُسٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "احْتَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَقَالَ مُوسَى: أَنْتَ آدَمُ أَبُونَا، أَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ وَأَشْقَيْتَنَا؟ قَالَ لَهُ آدَمُ: وَأَنْتَ مُوسَى اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ، وَخَطَّ لَكَ يَعْنِي التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ، أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدْ قَدَّرَهُ اللَّهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِيَ بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى" قَالَ عَمْرٌو: قَالَ لَنَا طَاوُسٌ: احذروا مَعْبَدًا الْجُهَنِيَّ، فَإِنَّهُ كَانَ قَدَرِيًّا

357 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي عَمْرٍو، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: يَا آدَمُ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، ثُمَّ أَمَرَ الْمَلَائِكَةُ فَسَجَدُوا لَكَ، وَأَمَرَكَ أَنْ تَسْكُنَ الْجَنَّةَ، فَتَأْكُلَ مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتَ، وَنَهَاكَ عَنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ، فَعَصَيْتَ رَبَّكَ فَأَكَلْتَ مِنْهَا؟ فَقَالَ: يَا مُوسَى، أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدَّرَ ذَلِكَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي؟" فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ حَجَّ آدَمُ مُوسَى، لَقَدْ حَجَّ آدَمُ مُوسَى» قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: وَلِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ طُرُقٌ كَثِيرَةٌ، اكْتَفَيْنَا مِنْهَا بِهَذَا

هذا الباب الذي بوب فيه الإمام الآجري - رحمه الله تعالى - بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدَّرَ عَلَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمَعْصِيَةَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُ.

طبعًا المقصود من التبويب أولًا الرد على القدرية؛ لأن كل شيء قد كتبه الله عز وجل وقدَّره، لكن هذا الباب حقيقة حدث أيضًا فيه الخلاف بين كثير من الطوائف. أولًا حدث خلاف بين أهل السنة والجماعة وبين المبتدعة من الجبرية والقدرية في فهم هذا الحديث، ثم حدث خلاف أيضًا في توجيه الحديث لو قلنا بين بعض أهل السنة والجماعة.

لكن نقول الأول كل طائفة من الطوائف تعاملت مع أحاديث هذا الباب على حسب المعتقد الذي عنده؛؛

فتجد مثلًا القدرية ومن على شاكلتهم في مسألة أحاديث الآحاد فقالوا هذا حديث آحاد في باب العقيدة، وهذا حديث المعنى فيه يؤدي إلى إبطال الشرع بالجملة لأنه حجة لكل عاصي أنه يقول:" قدَّر الله عليّ ذلك"، وهذا منافي طبعًا فالقدرية عندهم لا يرون أن العاصي له أن يحتج القدر، فأبطلوا العمل بالحديث، وحجتهم منافية في الأصل لأصولهم في مسألة خلق أفعال العباد، وأيضًا تحججوا بأن الحديث آحاد وهذا باب العقيدة لا يُعمَل به. وهذا طبعًا كلام مردود عليه سيأتي إن شاء الله عليه الكلام أصوليا عمومًا عن أحاديث الآحاد، لأنه ما دام قد ثبتت فالعمل بها عند أهل السنة والجماعة لأن النبي ﷺ ما كان ينشر الدين إلا بالآحاد، ما كان يرسل إلا رسلًا إلا واحد إو إثنين بكتابه يدعو الناس قال اسلموا تسلموا إلى كسرى والقياصرة ليدخلهم في الإسلام، وهذا في العقيدة وليست في الأمور حتى الفرعية.

فنقول بأن هذا العمل مردود، لكن هذا تناول للحديث عند القدرية. والأصل عند القدرية أن المرء هو الذي بيخلق أفعاله، فالعمل به منافي للأصول التي عنده وهو باب أن كل عاصي يحتج. وهم أصلًا يروا بأن الجنة ثمنية والنار ثمنية، أي أنه الآن بيفعل ليدخل الجنة، وما يفعل ليدخل النار، فهو الآن يرى أنه هو الذي بيفعل، فهو يرى بأن الحديث هذا مخالف لأصوله، وحجة لمن أراد أن يتحجج، لكنهم أيضًا ردَّوه من باب أنه حديث آحاد.

وأما الجبرية؛ والذين يروا بأن الفاعل الحقيقي هو الله عز وجل، وأن المرء لا يفعل شيئًا أو كأنه ريشه في الهواء – كما قالوا – أو مكتوف اليد ويلقى في اليم، لكن لا شك أنه من أعظم الأحاديث لأن هذا الحديث هو حجة لهم أن يستدلوا على القدر بالمعاصي، فهذا من أصولهم، ولو كانت المسألة في فهمهم بأن هذا احتجاج من آدم عليه السلام بفعل المعصية، وهذا سنبينه ليس المراد، لكن على أصول الجبرية سيحتجون به ويقولون أن هذا من أعظم الأحاديث عندهم.

أما أهل السنة والجماعة وعلماء أهل السنة والجماعة فتناولوا الحديث بغير ذلك، منهم الإمام الشافعي تناول الحديث على قوله كما كانت الجملة التي يقولها: "آمنت بالله بما جاء على مراد الله، وآمنت بما جاء عن النبي ﷺ وعلى مراده"، فهنا على هذا الأصل الذي أصَّله لنا الإمام الشافعي وعلماء أهل السنة والجماعة أنهم يؤمنون بما جاء عن الله وعن النبي ﷺ بما أراد الله عز وجل أن تفهمه وبما أراد النبي ﷺ .

هنا اختلفوا في تناول هذا الحديث، نترك الآن القدرية والجبرية، ونتكلم عن الذين من أهل السنة والجماعة ولكن تناولوا الحديث بأكثر من وجه، بعضهم أصاب وبعضهم أخطأ.

طبعًا المسألة كلها في أن النبي ﷺ قال(**حَجَّ آدَمُ مُوسَى**)، إذًا بيَّن النبي ﷺ أن آدم عليه السلام قد حج موسى لما موسى تكلم مع آدم عليهما السلام على أننا قد خرجنا من الجنة وهو السبب في اخراجنا من الجنة، فكأنه بيلومه على ذلك، فهنا نظر العلماء: لماذا حج آدم موسى؟ أين الخطأ في الذي فعله موسى؟

♦ **القول الأول في تناول الحديث:**

قالوا بأن آدم عليه السلام أب لموسى، وهو أبو البشر، وقالوا لا يصح للولد أن يحج الأب على أن هذا ولد وأن آدم عليه السلام هو الأب له، لذلك كانت الحجة لآدم على موسى لأن هو الأب وموسى هو الأبن، فقال النبي ﷺ: (**فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى**) فقالوا لأن الأبوة قُدِّمت على البنوة، وهذا الكلام حقيقة ضعيف، والأبوة والبنوة ليست علة مؤثرة في قبول الحق؛ لا الأب تقدم على أنه أب ولا الأبن حتى لمجرد أنه ابن فيحكم عليه بعدم قبول قوله لأنه ينازع الأب في ذلك، والقصص تبين ذلك؛ إبراهيم عليه السلام قد تكلم مع أبيه آزر وتلطف له ثم أنكر عليه ثم فارقه بعد ذلك وتبرأ مما يفعله، هذا إبراهيم مع أبيه آزر ومع ذلك الحق كان مع إبراهيم عليه السلام. والعكس أيضًا؛ نوح عليه السلام مع ابنه، فكان الحق مع نوح عليه السلام وكان ابنه على الكفر ولم يُقبل ذلك. إذًا المسألة ليست في مسألة الأبوة والبنوة، فهذا الكلام ضعيف من ناحية القبول. وكذلك داوود وسليمان؛ {فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ} [الأنبياء: 79] ، فمع أن داوود أكبر قدرًا من سليمان وجُعِل لسليمان الفهم على داوود عليه السلام، فهذه ليست بحجة لأحد.

♦ **القول الثاني في تناول الحديث:**

قالوا أن موسى عليه السلام أخطأ في لومه لآدم عليه السلام قالوا لأنه لام آدم في دار الجزاء، أين؟ في الجنة فوق، قالوا لامه في دار الجزاء لا في دار التكليف، وهذا اللوم لا محل له؛ فاللوم يكون في دار التكليف أما في دار الجزاء فلا محل لذلك. وهذا الكلام أيضًا من الضعف بمكان؛ لأن لو كانت هذه العلة هي التي أثرت لقال آدم عليه السلام لموسى كيف تلومني وأنت تعلم أنه لا ملاماة لأحد في دار الجزاء؟! فلو كانت هذه العلة التي حج بها آدم موسى لبين ذلك آدم لموسى عليه السلام وقال له ذلك.

بل نقول بأن هناك لوم في دار الجزاء وقد ورد ذلك من قوله تعالى:{ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ } [الملك: 8-9] ، إذًا جاءت الملائكة تنكد عليهم وتسألهم وتقول لهم لماذا أنتم هنا؟! ألم ياتكم نذير؟ قالوا بلى قد جاءنا نذير. إذًا سُئلوا في دار الجزاء أم لم يسئلوا؟! سئلوا في دار الجزاء.

وأيضًا الله عز وجل في حديث الأربعة الذين جاء الله عز وجل بهم يوم القيامة؛ رجل أصم لا يسمع شيئًا، ورجل أحمق، ورجل هَرِم، ورجل مات في فترة، فالأصم يقول ربي جاء الإسلام ولم أسمع شيئًا، وأما الأحمق فيقول ربي لقد جاء الإسلام والصبيان يحركونني بالبعر، وأما الهرم فيقول ربي قد جاء الإسلام وما أعقل شيئًا، وأما الفترة قال ربي قد جاء الإسلام وما أتاني لك من رسول، فيأخذ الله عز وجل مواثيقهم ليطيعونهم فيرسلهم إلى النار، فقال النبي ﷺ: لو دخلوها لكانت عليهم بردًا وسلامًا. إذًا هنا يُسئلون أم لا يُسئلونفي دار الجزاء؟

إذًا هذا الرأي الذي قال فيه بأن حج آدم موسى لأنه لامه في دار الجزاء، فنقول هذا ليس معتبرًا أيضًا.

♦ **القول الثالث في تناول الحديث:**

أن موسى عليه السلام قد عيَّر آدم بذنب قد تاب منه، **انتبهوا لأن هذا القول يقع فيه كثير**، أن موسى عليه السلام قد عيَّر آدم بذنب قد تاب منه وهو أنه أخرج نفسه وذريته من الجنة، ولذلك آدم احتج عليه فكانت الحجة مع آدم لأن آدم قد تاب من الذنب، فيقول لموسى عليه السلام كيف تعيرني بذنب قد تبت منه وقد قَبِل الله عز وجل التوبة؟ قال سبحانه وتعالى: {فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ } [البقرة: 37] . قالوا إذًا كانت الحجة لآدم على موسى عليهما السلام لأن موسى عيَّر أو لام آدم على الذنب الذي فعله وخرج بسببه من الجنة. **نقول هذا الكلام أضعف ما يكون أيضًا، لماذا أضعف ما يكون ولا يُقبَل؟**

حج آدم موسى لأن موسى عليه السلام قد عيَّر آدم بالذنب الذي قد تاب منه ولذلك رد عليه آدم عليه السلام بأنه كيف تلومني على شيء قد سبق في علم الله فحج آدم موسى لذلك. **كيف الرد على هذا القول؟**

أسال عن توجيه الحديث لهذا القول.. القول هذا نعتمده أم لا نعتمده؟

الصحيح الراجح أن هذا القول أيضًا ضعيف ولا نقبله، لأن لا يمكن أن نقول بأن موسى عليه السلام وهو من أفضل الخمسة من الرسل ومن أولي العزم من الرسل أن يظن أو أنه يحتج أو يلوم آدم على ذنب قد تاب منه، بل أن النبي ﷺ قد بيَّن أن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، فالأصل حتى في دون الأنبياء أن من فعل ذنبًا وتاب منه ألا يعيره أحد بالذنب، فما بالكم لو كان رسولًا ومن أولي العزم وموسى عليه السلام؟! فإذا كنا نقول لا يصح لمؤمن أن يعير اخاه المؤمن عن ذنب قد تاب منه فمن باب أولى أن نقول أن هذا التوجيه لا نقبله. لا يمكن أن يُظَن بموسى عليه السلام – وهو الذي جاء بالتوحيد ويُعلِّم الناس – أن يلوم آدم عليه السلام على الذنب الذي قد تاب منه وهو يعلم أنه قد تاب منه! إذًا هذا القول بعيد جدًا أن نقبله ونقول بأن موسى عيَّر آدم بسبب المعصية التي قد فعلها، بل نقول أن هذا لا يُقبَل ولا يُظَن بموسى عليه السلام ذلك. هذا القول الثالث.

♦ **القول الرابع في تناول الحديث ((وهو الراجح)):**

أن موسى لام آدم عليهما السلام على مصيبة الخروج من الجنة، لأنه قال:[**خيَّبتَنا وأخرجتَنا مِنَ الجنَّةِ**]، فبيَّن على أن المصيبة هي أننا خرجنا من الجنة، فكان اللوم على الخروج من الجنة، وآدم عليه السلام لما فعل المعصية وتاب ليس في علمه وليس في أمره بأن نتيجته ستكون الخروج من الجنة، فهو احتج بالقدر على المصيبة. لذلك هناك فرق بين الذنب وقد تاب منه آدم وبين المصيبة في الخروج من الجنة، وهذه لا يد لآدم عليه السلام فيها، هذا أمر قد كتبه الله عز وجل بأنه سيخرجه من الجنة بسبب هذا الأمر الذي قد تاب عليه الله عز وجل منه، لذلك حج آدم موسى لأن هنا احتج بالقدر على المصيبة، وموسى عليه السلام لما لامه فهو لامه على المصيبة ولم يلومه على المعصية.

إذًا المسألة عندنا الآن تبين – تلخيصًا لبداية الحديث – بأن **كيف للمرء أن يحتج بالقدر**؛ طبعًا هناك حالتان، وتوجد حالة انفرد بها ابن القيم، وسنبين.

1- الحالة الأولى: (التي يحرم فيها): أن يحتج بالقدر على المعصية أو على الذنب:

هل عندكم أدلة من الشرع بتحريم الاحتجاج بالقدر على الذنب أو المعصية؟

{سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ

أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ} [الأنعام: 148] ، هنا: {سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا} أرادوا أن يحتجوا بالقدر على الشرك، (لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ)، طبعًا الله عز وجل ما قَبِل منهم ذلك، قال: {قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ }.

وأيضًا: {وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ} [النحل:35]، فالله عز وجل لم يقبل منهم ذلك مع أنهم قالوا (لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ) .

وأيضًا من قوله في سورة الأعراف:{ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا} هم احتجوا بأن الآباء كانوا عليها، {قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ..} [الأعراف: 28-29] ،إلى آخر الآيات.

ثم بيَّن الله عز وجل أن المصيبة التي تأتيهم بسبب أفعالهم؛{ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ} [الروم: 41] ، فبيَّن أن الفساد والشدة ستكون عليهم من الله عز وجل بسبب ما كسبت أيدي الناس، فالله عز وجل سيعذبهم بسبب ذلك. وإلا لو لم نقل ذلك لكان القدر حجة على أصحاب المعاصي؛ كل واحد يعصي يأتي يحتج بالقدر ويظن بأن الله لن يعذبه بسبب سبب ذلك.

هذه الحالة المنهي عنها. أما الحالة التي يباح فيها: أن تحتج بالقدر وإذا فعل المرء الذنب

2- الحالة الثانية: (التي يباح فيها): أن يحتج بالقدر على المصائب:

بأنك إذا نزلت عليك مصيبة تعلم أن هذا بقدر من الله عز وجل فتحتج بالقدر على المصيبة، الآن رجل يسير فقدر الله عليه حادث، قدر الله عليه أنه خسر تجارة، قدر الله عليه من مرض معين مثلًا، فقال سبحانه وتعالى:{ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَمَن يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ} [التغابن: 11] ، (مَآ أَصَابَ) تفيد العموم؛ كل المصائب بإذن من الله عز وجل. **وطبعًا المصائب نوعين:**

مصائب بسبب المعاصي؛ ومصائب ليس بسبب المعاصي،{ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ} [الروم: 41] ، هناك مصيبة سببها معصية المرء؛ أن المرء يفعل المعصية فالله عز وجل يقدر عليه مصيبة جزاء عليه، وهناك مصائب ليست بسبب المعاصي.

إذًا عموم وخصوص؛ كل معصية تؤدي إلى مصيبة إن أراد الله ذلك، لكن ليست كل المصائب بسبب المعاصي؛ هناك مصائب ليست بسبب المعاصي وإلا فالأنبياء أكثر الناس ابتلاء، والله عز وجل بيَّن ذلك، والأنبياء عصموا عن الكبائر إلا اللمم، لكن هم أشد الناس ابتلاء وأكثر الناس إيمانًا وقرب إلى الله عز وجل، وأشد الناس ابتلاء الأنبياء ثم الذي دونهم ثم الذي دونهم. إذًا هناك مصائب ليست سببها المعاصي، وهناك مصائب سببها المعاصي على نوعين.

فنقول هنا أن لك أن تحتج بالمصيبة إذا وقعت وأنت ليس لك فيها دخل، وهذا الذي فعله آدم عليه السلام؛ احتج بأن المصيبة قد وقعت بالخروج من الجنة.

وقد جاء الشرع يبين أيضًا بجواز الاحتجاج بالمصيبة إذا وقعت، كما حدث مع بلال رضي الله عنه لما النبي ﷺ كان رجع من الغزوة وأمر بلال أن يكلؤهم أو يقوم عليهم حتى يطلع الفجر فيوقظ النبي ﷺ والصحابة ليصلون الفجر، فنام بلال من مكانه الذي جلس فيه، فقام النبي ﷺ على حر الشمس، [**فَكانَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ أوَّلَهُمْ استيقاظًا، ففزِعَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ فقالَ: أي بلالُ فقالَ بلالٌ: أخذَ بنَفسيَ الَّذي أخذَ بنفسِكَ، بأبي أنتَ وأمِّي يا رسولَ اللَّهِ قالَ: اقتادوا فاقتادوا رواحلَهُم شيئًا ، ثمَّ توضَّأَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ، وأمرَ بلالًا فأقامَ الصَّلاةَ**] ، فبيَّن بلال أن الذي أنامه هو الذي أنام النبي ﷺ وهذا قدره.

ومنها أيضًا لما دخل النبي ﷺ على فاطمة وعلي في حجرتهم ليلًا فأراد أن يوقظهم للصلاة فقال: [**ألا تُصَلِّيانِ**] فقال سيدنا علي: [**يا رَسولَ اللهِ، أنفُسُنا بيَدِ اللهِ، فإذا شاءَ أن يَبعَثَنا بَعَثَنا، فانصَرَفَ حينَ قُلنا ذلك ولَم يَرجِعْ إليَّ شيئًا، ثُمَّ سَمِعتُه وهو مولٍّ يَضرِبُ فخِذَه، وهو يقولُ: {وكان الإنسانُ أكثَرَ شيءٍ جَدَلًا} [الكهف: 54]**] ، فهي مصيبة نعم أنك تقوم يضيع عليك قسط من الليل أو يضيع عليك الفجر مصيبة حقًا عند أهل الدين وأهل الإيمان أن يضيع على المرء صلاة أو أن ينام مصيبة بالنسبة له ليست بالهينة، لكن المسألة قدرية فله أن يستدل بذلك إن كان أخذ بالأسباب طبعًا، وأما من يسهرون الليل وينامون قبل الصلاة بنصف ساعة وساعة فتأتي توقظه للصلاة أو تقول له لماذا لم تصلي فيقول ماذا أفعل كنت نائم، أو يأتي من عمله فينام قبل العصر إلى بعد المغرب، أو ينام بعد العصر ويستيقظ بعد العشاء فيضيع عليه المغرب فهذا تفريط إلا إن كان غلب عليه ذلك.

ابن القيم أضاف على هذا القسم قسم ثالث حقيقة ويحتاج لتمحيص وبحث؛ قال: للمرء أن يحتج بالقدر على الذنب الذي قد تاب منه فتَذَكَّرُه بعد التوبة فيقول لما يتذكر "قد قدر الله عليّ

أني فعلت هذا الذنب"، لكن ذلك بعد التوبة منه. مثلًا واحد كان على غير طريق الاستقامة وفعل أشياء ثم تاب، فتذكر بعد سنين هذه الأمور، فيقول والله عز وجل قد قدر عليّ أن افعل هذه الأمور، فهو يقولها الآن ليس احتجاجا بالقدر لأن الله قد أرشده لطريق الصواب وتاب وأصبح من أهل الاستقامة، لكنه قال يجوز أن يستدل بالقدر على ذنب قد تاب منه وتركه بالكلية فيتذكر هذا وينسبه للقدر.

وهذه تحتاج لبحث في الأدلة على ذلك أو الأمثلة. وعمومًا هو كلام لابن القيم ما أعلم أحد من أهل العلم آخر تكلم عن القسم الثالث هذا، أو تكلم فيه بجواز أنك تحتج بالقدر بعد الإنتهاء من المعصية بزمان فلما تجلس فتسترجع فتقول قدر الله عليّ كذا وكذا وقدر عليّ التوبة وكأنك هنا تحكي أمرًا قد حدث. فقال هنا ليس هذا احتجاجًا بالقدر، لكن هو معناه أنه بيخبر عن شيء حدث.

الفوائد المستنبطة من هذا الباب:

1- اثبات أن آدم عليه السلام هو أبو البشر، وهذه طبعًا لا إنكار فيها أنه أول مخلوق بشري، وهو أول مخلوق قد خلقه الله عز وجل آدم بيده، وطبعًا من غير أب ومن غير أم.

2- اثبات صفة اليد لله عز وجل لأنها أضيفت إلى الله عز وجل، والخلق هنا من باب تشريف الله عز وجل لآدم أنه خلقه بيده، لأن الله عز وجل باشر بيده أمورًا؛ منها خلق آدم، وغرس جنات عدن، وكتب فوق عرشه "رحمتي سبقت غضبي"، وكتب التوراة لموسى عليه السلام بيده، {وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ} [الأعراف: 145] .

3- قال: (وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ)، إضافة تشريف، ولا تظن أنها الروح هنا لله عز وجل، "من روحه" كروح لله عز وجل، الكعبة بيت الله إلى غير ذلك، هذه إضافة التشريف ليست صفة هنا. فإضافة الروح إلى الله هنا إضافة تشريف هذه غير إضافة اليد، فإضافة اليد إضافة صفة. (وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ) أي روح من عند الله ليست من روح الله عز وجل، فهذه إضافة تشريف.

4- قال: (قَالَ: أَنَا مُوسَى، قَالَ: نَبِيُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ أَنْتَ الَّذِي كَلَّمَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، لَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ رَسُولًا مِنْ خَلْقِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ) هذا عام مخصوص، لأنه ثبت بأن الله عز

وجل قد أرسل جبريل لموسى عند البخاري، قال البخاري فجبريل عليه السلام كان يأتي موسى وذكر قول الله عز وجل:{ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ } [طه: 96] ، إلى آخر الآيات، فجاءه جبريل يبين له. إذًا جبريل كان يأتي لموسى، لكن هنا قال: (لَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ رَسُولًا مِنْ خَلْقِهِ؟) ليست على العموم، فهذا عام مخصوص، ماذا يعني عام مخصوص؟ أي أن هذا عام مخصوص في حال الكلام فقط، لأن الله عز وجل كلم موسى من وراء حجاب وليس بينه وبينه رسول، الحجاب فقط. إذًا هو لما قال له ليس بينك وبينه رسول فهذا ليس على العموم، لكن موسى عليه السلام بعث الله عز وجل له جبريل، فهذه لفتة أصولية، هذا عام مخصوص فقط في الكلام لأن الله عز وجل تكلم مع موسى من وراء حجاب ولم يجعل بينه وبينه رسول.

5- فيه صفه الخلق؛ وصفة اليد، وصفة القدرة، وصفة الكلام، لأن آدم قال: (أَنْتَ الَّذِي كَلَّمَكَ اللَّهُ) ففيها صفه الكلام لله عز وجل، وأيضًا صفة الكتابة لأنه قال: (وَخَطَّ لَكَ يَعْنِي التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ). فكل هذه صفات لله عز وجل من الحديث.

6- يمكن للمفضول أن يخصه الله عز وجل بمنقبة عن الفاضل، فالمفضول هنا هو آدم عليه السلام، والفاضل هو موسى عليه السلام لأن موسى من أولي العزم من الرسل بالاتفاق؛ {تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ } [البقرة: 253] ، وموسى من أولي العزم فهو بالاتفاق أفضل من آدم عليه السلام، لكن الله عز وجل خص آدم عليه السلام بهذه الفضيلة وهو أن الحجة كانت مع آدم عليه السلام على موسى. إذًا الحجة هنا كانت معه – وهذا سبحان الله –كأنه زيادة تعليم لموسى عليه السلام مع أن موسى في هذا الدار تعلم من آدم في المسألة هذه وكذلك موسى لما تكلم والله عز وجل لامه على أنه ادعى العلم فقال اذهب إلى الخضر فذهب إلى الخضر فتواضع للخضر وتعلم من الخضر أيضًا بعد ذلك وإن كان تعجل عليه بالسؤال، فهذا أيضًا كان تعليم لموسى عليه السلام من المفضول وليس من الفاضل؛ سواء كان آدم عليه السلام أو أيضًا الخضر.

7- ممكن يُستنبط قاعدة من الباب: (أن المتسبب في الشيء كالمباشر له سواء كان خيرًا أم شرًا)، من أين ممكن أن نستنبط هذه القاعدة؟

وجه الشاهد: (أَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ)

كيفية الاستدلال: المتسبب هو آدم عليه السلام، والمباشر هو الذي أخرج نفسه من الجنة هو المخلوق الذي باشر؛ الذي أتى بالمعصية، فكان هو المباشر لخروجه من الجنة، هنا موسى عليه السلام ذهب لمن؟ للمتسبب، ولكنه جعل المتسبب كالمباشر، لذلك القاعدة بتقول (المتسبب في الشيء كالمباشر)، فالذي أخرج نفسه من الجنة الآن من؟ هو الذي يفعل المعصية، لكن آدم عليه السلام كان متسبب، فهو أنزل المتسبب منزلة المباشر، هذا معنى القاعدة، لأنه قال: (أَخْرَجْتَنَا) ، (أَشْقَيْتَنَا). (خيبتنا) مع أن آدم عليه السلام ليس هو الذي أخرج هذه الناس من الجنة، لكن هم خرجوا لأنهم لم يستجيبوا للأوامر، فهو أنزل المتسبب منزلة المباشر، هذا الكلام من موسى عليه السلام، وهذه هي القاعدة (المتسبب بالشيء كالمباشر سواء كان خيرًا أو شرًا).

تطبيق هذا نقول: "لا تبع العنب لمن يعصره خمرًا"، فليس أنت الذي عصرت الخمر لكن أنت الذي بعت العنب لمن سيعصره خمرًا. و "لا تبع الموس لمن يحلق لحيته"، فالذي حلق اللحية نعم هو المباشر لكن أنت الذي أعطيته الموس. و"لا تؤجر مكانك لمكان يُكفَر فيه بالله، يتعبد فيه بغير الإسلام" فأنت الآن متسبب وهو المباشر، وخذ صور كثيرة بأن المتسبب يأخذ حكم المباشر، لذلك مُنِعَت الوسائل هذه التي كانت تؤدي إلى مقاصد أخرى.

هذا آخر الكلام في الباب الذي قد بيناه، نسأل الله عز وجل أن يكون وضح لكم هذا الأمر، ونقف عند: بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ السَّعِيدَ وَالشَّقِيَّ مَنْ كُتِبَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ. وما زلنا في أبواب القدر فيها ما فيها من الفوائد والاستنباطات، نسأل الله عز وجل أن يعلمنا جميعًا وإياكم وأن ينفعنا بما علمنا وأن يجعلنا نعمل به وننشر ذلك بين الناس.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

المحاضرة الخامسة والأربعون

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام على موعد مع شرح كتاب الشريعة للإمام الآجري هذا الكتاب المبارك الذي هو أصل أصيل من عقيدة أهل السنة والجماعة، ولابد لكل طالب العلم أراد الاتقان في العقيدة حقيقة أن يتعرض لهذا الكتاب، وأن يراجع مواضيعه ومباحثه، وأن يفهمه فهمًا جيدًا، لأن حقيقة هذا الكتاب من أمتع الكتب ومن أعظمها نفعًا في تأصيل عقيدة أهل السنة والجماعة، وقلت ميزة هذا الكتاب أنه يرجع إلى الإمام الآجري الذي كانت ولادته في القرن بعد الثالث وهذه من القرون أيضًا التي فيها عقيدة أهل السنة والجماعة عقيدة صفية نقية التي قدم فيها علماء الشريعة ورد على الفرق المبتدعة كما يظهر لنا من كتابه؛ رد على المرجئة ثم رد على القدرية، وكل هذا بتأصيل من الكتاب ومن السنة، وهذه ميزة هذا الكتاب؛ تجد أنه يرجع فيه إلى الكتاب وإلى السنة والآثار ثم يعلق وينقل لنا كلام أهل العلم في هذا الزمان المبارك الذي كان فيه. فنقول أن هذا أصل من أصول كتب السلف هذا الكتاب فيه مباحث جمة نسأل

الله عز وجل أن ييسر لنا اتمام هذا الكتاب، وأن نستنفع بالعلم الذي فيه، وأن نعمل به، وأن ننشر ذلك بين الناس.

ما زلنا في أبواب الرد على القدرية الجزء الخامس هذا في بعض الطبعات، بدأه بالرد على القدرية، وما زلنا في هذا الجزء وسيأتي أيضًا الجزء السادس تقريبًا فيه بعض الأبواب أيضًا في استكمال الرد على القدرية. واليوم إن شاء الله نبدأ بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ السَّعِيدَ وَالشَّقِيَّ مَنْ كُتِبَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، هذه تتمة، وباقي ثلاثة أبواب حتى ينتهي الجزء الخامس.

39- بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ السَّعِيدَ وَالشَّقِيَّ مَنْ كُتِبَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ

358 - حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْحُلْوَانِيُّ قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ الدُّولَابِيُّ قَالَ: أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ زَكَرِيَّا، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: «إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أربعين لَيْلَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيُكْتَبُ عَمَلُهُ وَأَجَلُهُ وَرِزْقُهُ وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُ النَّارَ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا»

359- وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: أَخْبَرَنَا وَكِيعٌ قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: أَخْبَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: «إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أربعين لَيْلَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ الْمَلَكَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيُكْتَبُ عَمَلُهُ وَرِزْقُهُ وَأَجَلُهُ وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ» فَذَكَرَ الْحَدِيثَ إِلَى آخِرِهِ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: وَلِحَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ طُرُقٌ جَمَاعَةٌ

360 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرٍو وَهُوَ ابْنُ دِينَارٍ عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَدْخُلُ الْمَلَكُ عَلَى النُّطْفَةِ بَعْدَ مَا تَصِيرُ فِي الرَّحِمِ بِأَرْبَعِينَ، أَوْ بِخَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، مَا

هَذَا: أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: اكْتُبْ، فَيُكْتَبُ ثُمَّ يَقُولُ: أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: اكْتُبْ، فَيُكْتَبُ ثُمَّ يَكْتُبُ رِزْقَهُ وَعَمَلَهُ وَمُصِيبَتَهُ، ثُمَّ تُطْوَى الصُّحُفُ فَلَا يُزَادُ فِيهَا وَلَا يَنْقُصُ"

361- وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: أَخْبَرَنَا صَفْوَانُ بْنُ صَالِحٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ عَامِرِ بْنِ وَاثِلَةَ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ: الشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ، فَقُلْتُ: خِزْيًا لِلشَّيْطَانِ، يُسْعِدُ الْإِنْسَانَ وَيَشْقَى مِنْ قَبْلِ أَنْ يَعْمَلَ؟ فَأَتَيْتُ حُذَيْفَةَ بْنَ أَسِيدٍ الْغِفَارِيَّ، فَحَدَّثْتُهُ بِمَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: أَلَا أُحَدِّثُكَ بِمَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ؟ فَقُلْتُ: بَلَى قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِذَا اسْتَقَرَّتِ النُّطْفَةُ فِي الرَّحِمِ، اثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ صَبَاحًا، أَتَى مَلَكُ الْأَرْحَامِ فَخَلَقَ لَحْمَهَا وَعَظْمَهَا وَسَمْعَهَا وَبَصَرَهَا ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ، أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ بِمَا يَشَاءُ فِيهَا، وَيُكْتَبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ، أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا يَشَاءُ، وَيُكْتَبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَذْكُرُ رِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَعَمَلَهُ بِمِثْلِ هَذِهِ الْقِصَّةِ ثُمَّ يَخْرُجُ الْمَلَكُ بِصَحِيفَتِهِ مَا زَادَ فِيهَا وَلَا نَقَصَ"

362- أَخْبَرَنَا أَبُو عُبَيْدٍ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ حَرْبٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو الْأَشْعَثِ أَحْمَدُ بْنُ الْمِقْدَامِ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ: الشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ قَالَ: قُلْتُ: خِزْيًا لِلشَّيْطَانِ، أَيُسْعِدُ الْإِنْسَانَ وَيَشْقَى قَبْلَ أَنْ يَعْمَلَ؟ قَالَ: فَلَقِيَ حُذَيْفَةَ بْنَ أَسِيدٍ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ قَالَ: أَفَلَا أُخْبِرُكَ بِمَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قُلْتُ: بَلَى قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِذَا اسْتَقَرَّتِ النُّطْفَةُ فِي الرَّحِمِ اثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ صَبَاحًا، نَزَلَ مَلَكُ الْأَرْحَامِ، فَخَلَقَ عَظْمَهَا وَلَحْمَهَا، وَسَمْعَهَا وَبَصَرَهَا، ثُمَّ قَالَ: أَيْ رَبِّ، أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا يَشَاءُ، وَيُكْتَبُ الْمَلَكُ، أَيْ رَبِّ، أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا يَشَاءُ، وَيُكْتَبُ الْمَلَكُ، أَيْ رَبِّ، أَجَلُهُ، فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا يَشَاءُ، وَيُكْتَبُ الْمَلَكُ، فَيَخْرُجُ الْمَلَكُ بِالصَّحِيفَةِ مَا زَادَ فِيهَا وَلَا نَقَصَ"

363 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ سَيَّارٍ النَّصِيبِيُّ قَالَ: نا أَبُو صَالِحٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ قَالَ: حَدَّثَنِي اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ هُنَيْدَةَ، مَوْلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَخْبَرَهُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " إِذَا خَلَقَ اللَّهُ النَّسَمَةَ قَالَ مَلَكُ الْأَرْحَامِ مُعْتَرِضًا: أَيْ رَبِّ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ قَالَ: فَيَقْضِي اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ أَمْرَهُ قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟ قَالَ فَيَقْضِي اللَّهُ إِلَيْهِ أَمْرَهُ، ثُمَّ يَكْتُبُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَا هُوَ لَاقٍ حَتَّى النَّكْبَةَ يَنْكُبُهَا "

364 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: نا يَحْيَى بْنُ آدم، عَنْ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ حَدَّثَهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا فَيَقُولُ أَيْ رَبِّ، أَنُطْفَةٌ؟ أَيْ رَبِّ أَعَلَقَةٌ؟ أَيْ رَبِّ، أَمُضْغَةٌ؟ فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهَا قَالَ: يَقُولُ الْمَلِكُ؟ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى، أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟ فَمَا الْأَجل؟ فَمَا الرِّزْقُ؟ فَيُكْتَبُ ذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ "

365 - أَخْبَرَنَا أَبُو عُبَيْدٍ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ حَرْبٍ الْقَاضِي قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْأَشْعَثِ أَحْمَدُ بْنُ الْمِقْدَامِ قَالَ: نا أَبُو عَامِرٍ الْعَقَدِيُّ، عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ مُصْعَبٍ قَالَ: سَمِعْتُ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ يُحَدِّثُ عَنْ عَائِشَةَ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّ اللَّهَ حِينَ يُرِيدُ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ يَبْعَثُ مَلَكًا فَيَدْخُلُ الرَّحِمَ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، مَاذَا؟ فَيَقُولُ: غُلَامٌ أَمْ جَارِيَةٌ أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ فِي الرَّحِمِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟ فَيَقُولُ: أَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ مَا أجله؟ فَيَقُولُ: كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ مَا رِزْقُهُ؟ فَيَقُولُ: كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا خَلْقُهُ؟ مَا خَلَائِقُهُ؟ فَيَقُولُ: كَذَا وَكَذَا، فَمَا شَيْءٌ إِلَّا وَهُوَ يُخْلَقُ مَعَهُ فِي الرَّحِمِ "

366 - وَأَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ نَاجِيَةَ قَالَ: نا وَهْبُ بْنُ بَقِيَّةَ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: أنا خَالِدٌ يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْوَاسِطِيَّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " الشَّقِيُّ: مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَالسَّعِيدُ: مَنْ سُعِدَ فِي بَطْنِهَا "

367 - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ النَّيْسَابُورِيُّ قَالَ: نَا يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى فِي كِتَابِ الْقَدَرِ قَالَ: نَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلَ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فِيمَا

يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَإِنَّهُ لِمَنْ أَهْلِ النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلَ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَإِنَّهُ لِمَنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»

368 - وَأَخْبَرَنَا أَبُو عُبَيْدٍ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ حَرْبٍ قَالَ: نَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الزَّعْفَرَانِيُّ قَالَ: نَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ قَالَ: أنا حُمَيْدٌ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تُعْجَبُوا بِأَحَدٍ حَتَّى تَنْظُرُوا بِمَ يُخْتَمُ لَهُ فَإِنَّ الْعَامِلَ يَعْمَلُ زَمَانًا مِنْ عُمُرِهِ، أَوْ بُرْهَةً مِنْ دَهْرِهِ، يَعْمَلُ عَمَلًا صَالِحًا لَوْ مَاتَ عَلَيْهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلٍ سَيِّئٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ زَمَانًا مِنْ عُمُرِهِ بِعَمَلٍ سَيِّئٍ لَوْ مَاتَ عَلَيْهِ دَخَلَ النَّارَ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلٍ صَالِحٍ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ» ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ؟ قَالَ: «يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ، ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ»

369- وَأَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ الصُّوفِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحْرِزُ بْنُ عَوْنٍ قَالَ: نَا حَسَّانُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ نَصْرٍ أَبِي جُزَيٍّ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي حَسَّانَ، عَنْ نَاجِيَةَ بْنِ كَعْبٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا فِي بَطْنِ أُمِّهِ مُؤْمِنًا، وَخَلَقَ فِرْعَوْنَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ كَافِرًا»

370- حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَخْلَدٍ الْعَطَّارُ قَالَ: نَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَيُّوبَ الْمَخْرَمِيُّ قَالَ: نَا عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ هَارُونَ الْغَسَّانِيُّ قَالَ نَا نَصْرُ بْنُ طَرِيفٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي حَسَّانَ، عَنْ نَاجِيَةَ بْنِ كَعْبٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خَلَقَ اللَّهُ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا فِي بَطْنِ أُمِّهِ مُؤْمِنًا، وَخَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِرْعَوْنَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ كَافِرًا»

هذا بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ السَّعِيدَ وَالشَّقِيَّ مَنْ كُتِبَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ، هذا الباب أيضًا مثل ما قلنا من أبواب الإيمان بالقدر، فيه بيان من المؤلف لهذا التبويب وذكر لنا حديث دل على أن الله عز وجل اذا أراد أن يخلق أحد فيرسل الملك بعد أن يكون أولًا نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، فتُخَلَّق المضغة، فيأتي الملك فيسأل الله عز وجل أن يكتب حال هذه الأربع الكلمات لهذا الجنين؛ الرزق، والأجل، شقي أو سعيد، ويُكتب العمل أيضًا الذي سيعمله، وهذا كله من سابق علم الله عز وجل يبين بأن كل هذا قد كتبه الله عز وجل لأنه مقدر من قبل في اللوح المحفوظ، ثم أبلغ الله عز وجل به الملك في وقت يريده الله عز وجل، فتكتب ملائكة في صحائفهم كل هذه التقديرات التي قدرها الله من قبل.

وبعد أن أشرح سأسئلكم عن مناسبة هذا الجزء الذي هو معنا.

المسألة الأولى في هذه الأحاديث: مسألة خلق الجنين وبيان أن الله عز وجل يقدر هذه الأمور الأربعة في وقت معين:

اعتمد على حديثين باختلاف الروايات؛ حديث أربعين ثم أربعين ثم أربعين ثم يؤمر الملك، وهذه المشهورة عند أهل العلم، حديث حذيفة، والحديث الآخر عند مسلم أيضًا حديث عبد الله بن مسعود أنه يكون أربعين نطفة ثم أربعين علقة ثم أربعين مضغة، فظاهر أن الملك بيأتي بعد هذه الأربعين الثالثة أو في أولها على خلاف بين أهل العلم واحد وثمانين، فيؤمر بكتابة الأربع كلمات ثم نفخ الروح.

وحديث حذيفة عند مسلم فيه أكثر من رواية؛ بأن الملك يأتي بعد أن يُجمَع الجنين في بطن أمه بعد أربعين، وهناك إثنين وأربعين، وهناك خمس وأربعين، وفيه أيضًا بأن الملك يسأل هذه الأربع كلمات ويقلد ويكتب أيضًا.

ولذلك فقهيًا يوجد خلاف بين العلماء على مسألة نفخ الروح؛ هل بالحديث الأول بعد المائة وعشرين أو عند الواحد وثمانين الثانية لأن الحديث الذي فيه الأربعين فمن بداية الأربعين ستكون إمكانية نفخ الروح، من واحد وثمانين. وعند حديث مسلم حديث حذيفة يظهر فيه بأن نفخ الروح ممكن يكون بعد ثنتي وأربعين يومًا، لأن الملك يأتي بذلك.

ونقول جمعًا بين الحديثين بأننا لا يمكن أن نغفل حديث مسلم في مسألة ثنتي وأربعين؛ أن إمكانية نفخ الروح تكون من إثنين وأربعين إلى بعد ذلك، هذا جمع بين الحديثين، لا نستطيع أن نقول بأن النفخ في الروح يكون في الواحد وثمانين أو في الأربعين الثالثة ونغفل حديث حذيفة، وأيضًا لابد أن نقول بأن حديث واضح بأنه يأتي بعد ثنتي وأربعين، إذًا إمكانية النفخ موجودة – **إمكانية** نفخ الروح – موجودة بعد ثنتي وأربعين يومًا.

والثمرة في هذه المسألة بأنه لا يمكن اجهاض الجنين بعد ثنتي وأربعين يوم لاحتمالية قتل النفس. وطبعًا هو أصلًا اجهاض الجنين محرمة لكن نقول بأن الفقهاء فرقوا بين قبل نفخ الروح وبعد نفخ الروح، ولن نتعرض للمسألة الفقهية لكن ما يعنينا الآن هنا مسألة نفخ الروح؛ أن هناك احتمالية أن تكون ثنتي وأربعين فيما أعلى بالجمع بين الحديثين فإذًا لو كان اجهاضًا بعد ثنتي وأربعين ففيه قتل نفس، وفيه دية غرة الجنين، وهذا الصحيح الراجح الذي أدين الله عز وجل به بالجمع بين الحديثين، وإن كان الجمهور يرى بأن المسألة على الحديث الآخر؛

حديث عبد الله بن مسعود في واحد وثمانين لكن هذا القول كما قلت والحديث عند مسلم وهذا في إمكانية النفخ لذلك يكون قتل نفس.

ومن قال بحديث الأربعين فقط فهم حديث الأربعين ثم أربعين ليس معناه أن نفخ الروح بعد، فممكن يكون التخليق على مائة وعشرين، لأن حديث الأربعين بيقول:(يَدْخُلُ الْمَلَكُ عَلَى النُّطْفَةِ بَعْدَ مَا تَصِيرُ فِي الرَّحِمِ بِأَرْبَعِينَ) وفي بعض الروايات قال عندما تكون مضغة، إذًا يمكن في الأربعين يخلق ثلاث مراحل؛ أي أنه ممكن في الإثنين وأربعين تُخَلَّق الثلاث مراحل؛ نطفة وعلقة ومضغة، هذه موجودة إمكانية فينفخ فيها أيضًا، وممكن أن يطول التحول في المراحل وهي الواحد وثمانين أو المائة وعشرين، كل هذه ممكنة للجمع بين الحديثين. قلنا هذه مسألة فقهية لكن نريد أن نعرج عليها حتى لا يحدث إشكال في الأحاديث التي جاءت.

لكن نقول؛؛ هذه أولًا فيها بيان لقدرة الله عز وجل بأن الله عز وجل أولًا خلق آدم عليه السلام بدون أب أو أم من تراب، من لا شيء، ثم خلق من ضلع آدم حواء، وهذا بيان للقدرة، وخلق الله عز وجل أيضًا عيسى من أم بلا أب، وهذا كله بيان لقدرة الله عز وجل لأنه لا يعجزه شيء.

وفيه أيضًا لما تنظر لأحاديث بيان قدرة الله عز وجل كيف مراحل الجنين أن يكون من تراب؛ أولًا طبعًا هذا آدم عليه السلام، ثم بعد ذلك الآن يكون نطفة ثم علقة ثم مضغة مخلقة ثم بعد ذلك يخرج الجنين، فيكون طفلًا ثم يبلغ أشده ثم يتوفى بعد ذلك، وهي آيات سورة الحج {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ} [المائدة: 64] ، فنقول هذا لبيان قدرة الله عز وجل.

وفيه أيضًا بعد التقليد – الذي هو التصوير – كيفية نفخ الروح لأن الله عز وجل يرسل الملك، وهذه كلها أمور غيبية لم نكن نعملها لولا أن قال بها النبي ﷺ، فيأتي الملك فيسأل الله عز وجل فيقدر الأمور هذه؛ يقدر العمل، والأجل، والرزق وشقي أم سعيد. وهذه لها فوائد مستنبطة من هذه الأمور الأربعة؛ ممكن نعرج عليها

كنت سألت ما مناسبة الأحاديث في هذا الباب؟ هو أتى بهذا الباب ليرد على القدرية، فيريد أن يقول للقدرية بأن هذا الحديث يبين بأن الله كتب كل شيء قبل أن يكون، وأصلًا هذا هو تبويب الباب، لكن هو استدل بالحديث على أن الله عز وجل يعلم فكتب كل ما سيكون عن

هذا المرء إلى موته ورجوعه إلى ربه مره أخرى، فهنا دلالة على أن الله عز وجل يعلم الآجال ويعلم كل شيء قبل أن يكون، وهذا طبعًا من الردود على القدرية.

لكن أيضًا الحديث فيه رد على الجبرية؛ ونحن مازلنا في المسألة الأولى؛ أحاديث الملك، فكما فيه رد على القدرية ففيه رد على الجبرية، ممكن أحد يستنبط لنا وجه الشاهد بالرد على الجبرية؟

وجه الشاهد: (فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ).

وجه الدلالة: نسب العمل له، قال:(فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ.... وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ) فلما نسب العمل له ففيه رد على الجبرية.

وفي الرد على القدرية فمن أول نزول الملك رددنا على القدرية، (فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ) على أنه أيضًا مقدر عليه أنه سيعمل ذلك، وهذه مسألة سنبينها؛ مسألة " فيما يبدو للناس"، الجزء الثاني من الباب.

وفيه أيضًا لما النبي ﷺ بيَّن بأن الملك يأتي فيؤمر بأربع كلمات؛ العمل والأجل؛ بيَّنا العمل أن هذا رد على القدرية، والأجل هذا أمر غيبي، والرزق هذا دلالة على أن الرزق لا خشية عليه؛ وأن المرء لا يخشى على الرزق لأن الرزق تكفل به الله عز وجل، الرزق كالموت لا ينفك عن المرء، حتمًا سيأتيه مادام قدر الله عز وجل له الرزق لابد أنه سيأتيه. فالرزق قد كتب للجنين وهو في بطن أمه، جاء الملك فكتب رزقه، ورزقه هذا إلى أن يأتي الأجل. إذًا فيه دلالة على أن المرء لا يخشى على نفسه من الرزق شيء، يعلم بأنه كما قال الحسن البصري: (علمت أن رزقي لا يأخذه غيري فاطمأن قلبي) لأن رزقك قد كتبه الله عز وجل، لا يمكن الرزق الذي قد كتبه الله عز وجل لك عند صحائف الملائكة إلا أنك ستأخذه حتمًا، لذلك قال سبحانه وتعالى:{ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ} [الذاريات: 22] ، وقال النبي ﷺ:[**إنَّ الرِّزقَ لَيطلُبُ العبدَ أكثرَ مما يطلبُه أجله**]، فهذه دلالة على أن المرء عليه أن يتوكل على الله عز وجل، يأخذ بالأسباب ويعلم بأنه ما كان قد قسمه الله عز وجل له من أبواب الرزق حتمًا سيأتيه.

وجاءت السنة تبين؛ لما جاء الرجل يشكو للنبي ﷺ أن له أخ؛ هم كانوا أخوان واحد يجلس مع النبي ﷺ ويتعلم من النبي ﷺ والثاني كان يعمل، فجاء الثاني يشكو للنبي ﷺ بأن أخاه لا يعمل وأنه هو الذي يعمل، فقال: [**لَعلَّكَ تُرْزقُ بِهِ**]، يبين بأنه من بركة الرزق ستأتيك

لأنك تترك هذا الأخ ليتعلم من النبي ﷺ، وهذا الحديث رواه الترمذي وصححه السيوطي باسناد صحيح.

وكما قال النبي ﷺ: [مَن كانتِ الآخرةُ هَمَّه، جعل اللهُ غِنَاه في قلبِه وجَمَع له شَمْلَه، وأَتَتْه الدنيا وهي راغمةٌ، ومَن كانت الدنيا هَمَّه، جعل اللهُ فقرَه بين عَيْنَيْهِ، وفَرَّق عليه شَمْلَه، ولم يَأْتِهِ من الدنيا إلا ما قُدِّرَ له]، فهنا يبين لك بأنك سعيت قدر ما تسعى فأنك ما عليك إلا أن تأخذ بالسبب، وأما الرزق فلا تحمل همه لأن الله عز وجل قد كفانا جميعًا الأرزاق ونحن فقط نأخذ بالأسباب لنُحَصِّل الرزق، وإلا قد يأتيك الرزق بعد أن تأخذ بالسبب ولا يأتيك الرزق من هذا السبب وتجد الرزق يأتيك من أمر آخر لا تعلمه لكن الله عز وجل قد قدره عليك.

أيضًا في هذا الحديث وهو في التبويب بأن المرء كُتِب هو شقي أم سعيد؟ بينا العمل والأجل والرزق، أيضًا كُتب شقي أم سعيد وهو في بطن أمه وهو جنين، ثم قال:(فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُ النَّارَ.... فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا) ، وهذا كما جاء في نص الحديث، المسألة عظيمة جدًا؛ فعلى المرء أن يخشى أن يسبق عليه الكتاب، ولذلك عمر رضي الله عنه كان يطوف ويدعو الله عز وجل اللهم إن كنت كتبتني عندك شقيًا فامحها واكتبها عندك سعيدًا، فكان العلماء وكان الصحابة وكان السلف الصالح يخشون أن يسبث عليهم الكتاب بغير ما كان يعملوا كما جاء في الحديث بأنه يعمل بعمل أهل الجنة فيما يظهر للناس ثم يسبق عليه الكتاب بعمل أهل النار – والعياذ بالله – قبل أن يموت، والعكس؛ أن المرء قد يعمل بعمل أهل النار ثم يسبق عليه الكتاب.

ولذلك جاء في الأحاديث الأخرى التي ذكرها لنا الإمام الآجري في حديث: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلَ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلَ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»، هذه مسألة عظيمة جدًا لأنه قال:(فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ) أنك قد ترى المرء على ظاهره بأنه يعمل بعمل أهل الجنة لكن قد يسبق عليه الكتاب قبل موته ويختم له – والعياذ بالله – بعمل أهل النار، وقد تجد الرجل يعمل بعمل أهل النار طول حياته ثم يقدر الله عز وجل أن يسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة ثم يختم له على ذلك.

وقال في حديث آخر: «وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ» ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ؟ قَالَ: «يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ، ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ»،وفي رواية اذا أراد الله بعبد خير عسله قالوا كيف يعسله يا رسول الله؟ قال يستعمله قبل أن يموت بعام على عمل صالح ثم يقبضه

عليه، وهذا أحد الروايات، وهناك أيضًا يستعمله بعمل صالح فيرضى عنه جيرانه ثم يقبضه عليه في رواية أخرى، فعسله أو استعمله وهذه كلها بأنه سبق عليه الكتاب الذي قد كتبه الله عز وجل.

لكن هنا الذي نريده الأول هو قال:(إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلَ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ) إذًا ظاهره أنه يعمل بعمل أهل الجنة، وباطنه لا يعمل بعمل أهل الجنة، وهذا يدل لك على أن العمل لابد أن تتحرى فيه الإخلاص والمتابعة، لأن لما قال ظاهره فيما يظهر للناس فالذي يبطن لا يعلمه الناس، بل الذي يعلمه هو الله عز وجل، لذلك الأصل في العمل هو ما كان في القلب، لذلك جاءت الأدلة من الكتاب والسنة على أنه لابد من الإخلاص في العمل:{ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا} [الكهف: 110] ،هنا (عَمَلًا صَالِحًا) أي مخلصا، و{لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۚ } [الملك: 2] ، قال الفضيل بن عياض: (أخلصه وأصوبه) إن كان خالصًا لله عز وجل وكان على سنة النبي ﷺ، لذلك قال النبي ﷺ في الحديث القدسي عن رب العالمين:[أنا أغنَى الشُّركاءِ عنِ الشِّركِ ، مَنْ عمِلَ عملًا أشركَ فيه معِيَ تركتُهُ وشِركَهُ] و [إنَّ اللهَ لا يقبلُ من العملِ إلَّا ما كان خالصًا وابتُغِي به وجهُه]، فهنا يدل على أن لابد للمرء من أن يكون لديه الإخلاص، فأنت قد يظهر لك أن هذا فلان متصدق، وأن هذا عالِم، أن هذا عابد، أن هذا زاهد، أن هذا تالي للقرآن، إلى غير ذلك، ولكن ليس العمل لله عز وجل، لذلك يقول النبي ﷺ:[مَنْ سَمَّعَ، سَمَّعَ اللهُ بِهِ، ومَنْ راءَى، راءَى اللهُ بِهِ]، فأنت قد تستغرب الرجل من أهل الصالحات والطاعات في الدنيا لكن قبل موته يُفتَن والعياذ بالله أو يقع في أعمال تدخله النار.

ولا تستغرب فقد جاءت السنة تبين أن أول ثلاثة يسعر بهم النار العالِم والمجاهد والمنفق صاحب المال، وكلهم من أفضل الطاعات والعبادات، لكن هم أول من تسعر بهم النار. فالمرء قد يعمل بعمل أهل الجنة ثم يسبق عليه الكتاب فيكون من أهل النار، والعكس؛ قد تجد المرء يعمل بعمل أهل النار حياته كلها ثم يقدر الله عز وجل عليه فيسبق عليه الكتاب قبل موته فيكون من عمل أهل الجنة، ولا نبعد كثيرًا حديث الرجل الذي قتل مائة نفس، تسعة وتسعين ثم ذهب للعابد فقال له هل لي من توبة؟ قال ليس لك توبة، ثم دلوه على العالم فقال وما يمنعك من التوبة؟ اترك هذه الأرض واذهب إلى أرض فلان أو قوم اخر يعبدون الله، فمات في الطريق. فانظر.. عمره كله، قتل مائة نفس، كله فيه كبائر القتل واستباحة الدماء، ثم تاب وهو في طريق التوبة قبض الله عز وجل أجله، عمله كله فيما يظهر للناس أنه قاتل وأنه ظالم وأنه

مستبيح الدماء، لكن الله عز وجل سبق عليه الكتاب بأنه قبل موته أن يتوب ويعود. وطبعًا مهم لابد أن يتوب، وإلا بدون توبة لن يُسبَق عليه الكتاب، لابد أن يتوب ويسارع في التوبة، وقد تاب وسارع لأن القاتل تاب وسار في طريق التوبة إلى الله عز وجل.

وقد قال النبي ﷺ: [إذا أرادَ اللهُ بعبدٍ خيرًا عسَله قيلَ وما عسَله ؟ قال يُفتَحُ له عملٌ صالِحٌ قبل موتِه فيقبضُهُ عليهِ] – نسأل الله عز وجل أن يميتنا جميعًا على عمل صالح – لذلك تجد بعض الناس يكونون على معاصي، وهذه حالات موجودة، الله عز وجل يجعلهم يتوبون ثم يحسنون التوبة، ثم تجده بعد عام مات، أو بعد ست شهور مات، فتقول الله أكبر أراد الله عز وجل به خيرًا. والرجل الذي أسلم مع النبي ﷺ ودخل المعركة قاتل فقُتل، قال:[عَمِلَ قَلِيلًا، وأُجِرَ كَثِيرًا]، لكنه عمل، لأنه قاتل، أسلم في اللحظة وقاتل فقُتِل.

لكن هذه حقًا المسألة كلها ترجع للقلوب، وأن الله عز وجل مطلع على القلوب، قال الله عز وجل:{ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [الأنفال: 70] ، طيب ممكن يأتي لأحد الآن يقول كيف الرجل على معصية طول عمره ثم يختم له بالطاعة، والرجل على الطاعة ثم يختم له بمعصية! نقول كما بينا؛ الأول أن ليس هناك إخلاص؛ كان يرائي، كان يريد السمعة، يريد الشهرة، كما جاء في الثلاثة أول من تسعر بهم النار، فالأمر لم يكن إخلاصًا لله. طيب والثاني هذا الذي كان يفعل المعصية كيف يفعل المعصية ثم الله عز وجل يسبق عليه الكتاب؟ نقول القلب هنا، لأن الله عز وجل مطلع على القلوب، فهو يحب الله ورسوله نعم، طيب كيف؟ نقول أنه مع حبه لله ورسوله لكنه وقع في وسوسة الشيطان؛ في الشهوة، اشتهى أمرًا ففعل المعصية لكنه مع فعله للمعصية القلب هو منكر لكنه لم يستطع، أليس كل واحد ممكن الشهوة تأتيه فيفعل الذنب وهو كاره للذنب لكن تغلبه الشهوة؟ فهذا ممكن يكون ذلك، هذا لا يفعلها جحودًا ولا تكذيبًا ولا استكبارًا، لا، هو تصيبه وسوسة الشيطان يتغلب عليه فيفعل هذا المنكر وهذه الكبيرة، لكنه في قلبه يعلم أنه على خطأ ويحب الله ويحب رسوله ويقر بذلك، ولا نبعد عن الصحابي الذي يلقب بحمار وكان كثيرًا ما يشرب الخمر ويؤتى به فيقام عليه حد الخمر ويجلد، فلما سبه أحد الصحابة فالنبي ﷺ قال لا تسبه فإني والله أعلم أنه يحب الله ورسوله، فهذا الصحابي الجليل النبي ﷺ أثبت له الحب، والحب أمر قلبي ولم يكن النبي ﷺ يثبته إلا بوحي، فلذلك أنا أقول المسألة حتى لا يفهم أحد خطأ؛ طيب كيف يعصي الله كل هذا الوقت؟ نقول عصى لأن الشهوة لم ينازعها، كالرجلان من بني إسرائيل؛ الصالح والذي كان يفعل المعصية، فيمر عليه فيذكره بالله، فقال له ذكرتني بالله إليك عني، فقال له الرجل لا يغفر الله لك، فلما الله بعثهما إليه قال

من الذي يتألى عليّ؟ أدخلوا هذا النار وأدخلوا هذا الجنة قد غفرت له. الرجل هو يعلم أنه على معصية، لكن هو ينازع نفسه. فهذا توجيه لمن يظن بأن كيف المرء يكون على المعصية ثم يختم له بعد ذلك بالصالح، نقول عنده في قلبه ما هو مطلع عليه الله عز وجل، لذلك سبق الكتاب عليه.

لكن المرء لا يمكن أن يركن إلى ذلك، فالظاهر ينضح على الباطن والباطن ينضح على الظاهر أيضًا، لكننا نقول غلبتك المعصية، غلبتك الشهوة ارجع وتب وعد إلى الله عز وجل، لكن بدون التوبة وبدون العودة وبدون الاستغفار إلى الله عز وجل لن يسبق عليك الكتاب، وإلا لو أنت أستمررت على هذه المعصية وعلى هذا الذنب ظنًا منك بأن الله سيقدر عليك فأنت هنا تتهاون مع الله عز وجل، فلن يقدر لك ذلك.

فيه أيضًا أن الأعمال بالخواتيم، لا يدري المرء على ما يُختَم له، لذلك نقل عن عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه قال لو أن وضعت رجلي اليمنى في الجنة وبقيت اليسرى ما أمنت مكر الله عز وجل، وهذا الذي قاله سبحانه وتعالى: {أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ* أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ} [الأعراف: 97-99] .

فلا أحد يأمن مكر الله عز وجل كما قال عثمان بن عفان، فهذه المسألة العبرة بالخواتيم تدعوك بأنك تستمر ولا تركن، أنت ما تعلم ما الذي كُتب لك، لكن أنت الذي عليك أنك تستمر في طريق الهدى، في طريق الطاعة، وأنك تنظر إن أوقفك الله عز وجل على طريق الخير فأنت لابد أن تشكر الله عز وجل وتسير على هذا الطريق، وإن فعلت المعصية لابد أن تعود وتتوب إلى الله عز وجل.

توجد مسألة تكلمنا عنها من قبل؛ نقول فيما عند صحف الملائكة يتبدل ويتغير، فالملك في أول حديث قال:(**فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ**)، شقي أم سعيد كذا وكذا وكذا، ثم تأتي أحاديث أخرى تقول يعمل بعمل أهل الجنة ثم يختم عليه بعمل أهل النار أو يعمل بعمل أهل النار ويختم بعمل أهل الجنة، هذا ليس مكتوب عند صحيفة الملك في أوله، هذا قد لا يعلمه الملك، هو كتب في صحيفته هو لكن الله عز وجل سيبدل هذه الكتابة عند الملائكة إلى غيرها، وهذا الذي قلناه جمعًا بين الأقوال لما قال عمر بن الخطاب اللهم إن كنت كتبتني عندك شقيًا فامحها واكتبها عندك سعيدًا، فنقول أن هذا في صحف الملائكة.

وهناك دلالة أخرى تدل على أن صحف الملائكة تتغير، أريد واقعة من السنة؛ آدم عليه السلام لما عُرِض عليه ابنائه رأى داوود عليه السلام فأعجبه داوود قال من هذا؟ قال ابنك داوود قال كم عمره؟ قال ستون عامًا، قال اعطه من عندي أربعين عامًا، فالله عز وجل زاد له في أجله، فزاد له في الأجل وأعطاه أربعين مع أنه مقدر في صحف الملائكة ستين، فهذا دلالة أيضًا، وحديث صلة الرحم أيضًا وغير ذلك فيه دلالة على أن صحف الملائكة قد تتبدل وقد تتغير.

هل ممكن تستدل بحديث: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلَ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَإِنَّهُ لِمَنْ أَهْلِ النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلَ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَإِنَّهُ لِمَنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» هل هذا يستدل بأنك لا تجزم لأحد أن هذا من أهل الجنة ولا هذا من أهل النار؟

ممكن توجه الحديث لكن على تفصيل؛ أنك تفصل قبل الموت وبعد الموت، فتقول أن قبل الموت لا تستطيع أن تجزم لأحد، حتى الكافر لا تستطيع أن تجزم أنه من أهل النار، لكن بعد الموت ستقول من مات على لا إله إلا الله لابد تفصل هذا الكلام حتى لا تدخل فيما يروج له الآن ويقال لك أن الكل بيموت وكلنا مثل بعض سنذهب عند ربنا المسلم وغير المسلم! لا، نقول لا يصح، فالكلام كله هنا في المسلم؛ إن مات على التوحيد فهو من أهل الجنة، وإن مات على غير التوحيد فهو من أهل النار، لكن لا نعلم مآله في الحياة، لن نستطيع أن نجزم بذلك. هذا ما قصدت أن أبينه.

ندخل في الباب الذي يليه؛؛

40- بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّهُ لَا يَصِحُّ لِعَبْدٍ الْإِيمَانُ، حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَلَا يَصِحُّ لَهُ الْإِيمَانُ إِلَّا بِهِ

371- أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدِّمَشْقِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاتِكَةِ قَالَ: نَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَبِيبٍ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ، أَنَّ أَبَاهُ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ: لَمَّا احْتُضِرَ سَأَلَهُ ابْنُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقَالَ: يَا أَبَةَ أَوْصِنِي قَالَ: أجلسُوني فَلَمَّا أجلسُوهُ قَالَ: «يَا بُنَيَّ، اتَّقِ اللَّهَ، وَلَنْ تَتَّقِيَ اللَّهَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَلَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ»، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «الْقَدَرُ هَذَا، مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلَ النَّارَ»

372 - أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ قَالَ: نَا مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَيُّوبُ أَبُو زَيْدٍ الْحِمْصِيُّ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عُبَادَةَ وَهُوَ مَرِيضٌ يَرَى فِيهِ أَثَرَ الْمَوْتِ، فَقَالَ: يَا أَبَةَ، أَوْصِنِي وَاجْتَهِدْ قَالَ: اجلس، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ الْإِيمَانِ، وَلَنْ تَبْلُغَ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ، حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، قُلْتُ: وَكَيْفَ لِي أَنْ أَعْلَمَ خَيْرَهُ وَشَرَّهُ؟ قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ وَأَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " أَوَّلُ شَيْءٍ خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اجْرِ، فَجَرَى تِلْكَ السَّاعَةَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَإِنْ مِتَّ وَأَنْتَ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ دَخَلْتَ النَّارَ "

373- وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي مَيْمُونُ بْنُ الْأَصْبَغِ النَّصِيبِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ أَنَّ أَبَا الزَّاهِرِيَّةِ حَدَّثَهُ، عَنْ كَثِيرِ بْنِ مُرَّةَ، عَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ، أَنَّهُ لَقِيَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَقَالَ لَهُ: إِنِّي شَكَكْتُ فِي بَعْضِ الْقَدَرِ فَحَدِّثْنِي لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي عِنْدَكَ فَرَجًا قَالَ زَيْدٌ: نَعَمْ يَا ابْنَ أَخِي، إِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَوْ عَذَّبَ أَهْلَ السَّمَاءِ وَأَهْلَ الْأَرْضِ عَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ إِيَّاهُمْ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنَّ لِامْرِئٍ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا يُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يُنْفِدَهُ، لَا يُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ دَخَلَ النَّارَ»

374- أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نَا أَبُو بَكْرٍ، وَعُثْمَانُ ابْنَا أَبِي شَيْبَةَ قَالَا: أنا أَبُو الْأَحْوَصِ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ، عَنْ رَجُلٍ، مِنْ بَنِي أَسَدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أربع لَنْ يَجِدَ رَجُلٌ طَعْمَ الْإِيمَانِ حَتَّى يُؤْمِنَ بِهِنَّ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، بَعَثَنِي بِالْحَقِّ، وَأَنَّهُ مَيِّتٌ، وَمَبْعُوثٌ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ، وَيُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ "

375 - حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ أَيُّوبَ قَالَ: نَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْهَرَوِيُّ قَالَ: أنا شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: نَا مَنْصُورٌ، عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِأَرْبَعٍ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ بَعَثَنِي بِالْحَقِّ، وَحَتَّى يُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ "

376- وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: نا ابْنُ لَهِيعَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ، حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»

377 - أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: نَا يَعْقُوبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَنْ يُؤْمِنَ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»

378 - أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُقَدَّمِيُّ قَالَ: نَا مُعَاذُ بْنُ مُعَاذٍ قَالَ: نَا كَهْمَسُ بْنُ الْحَسَنِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ بِالْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدُ الْجُهَنِيُّ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَلَقِينَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ فَقُلْنَا إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا أُنَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَّبِعُونَ الْعِلْمَ، وَيَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ، وَأَنَّ الْأَمْرَ أُنُفٌ قَالَ: " فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي مِنْهُمْ بَرِيءٌ، وَهُمْ مِنِّي بُرَآءُ، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ ابْنُ عُمَرَ: لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ أُحُدًا ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ تَعَالَى، حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ "، ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ» فَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ»؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» قَالَ: «صَدَقْتَ» فَعَجِبْنَا أَنَّهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ قَالَ: " فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ قَالَ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، قَالَ: صَدَقْتَ قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ؟ " قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» ، ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ تَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ»

379 - وَحَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ إِمْلَاءً قَالَ: نَا إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ قَالَ: أنا النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ قَالَ: نَا كَهْمَسُ بْنُ الْحَسَنِ قَالَ: نَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ إِلَى

قَوْلِهِ: قَالَ «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» قَالَ: صَدَقْتَ، وَذَكَرَ بَاقِي الْحَدِيثِ

380 - حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ صَاعِدٍ قَالَ: نَا يُوسُفُ بْنُ سَعِيدٍ الْمِصِّيصِيُّ قَالَ: نَا خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ الْقَسْرِيُّ الْبَجَلِيُّ قَالَ: نَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صُورَةِ شَابٍّ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» قَالَ: صَدَقْتَ قَالَ: فَعَجِبُوا مِنْ تَصْدِيقِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فَأَخْبِرْنِي، مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: «أَنْ تُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ» قَالَ: صَدَقْتَ قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ قَالَ: "الْإِحْسَانُ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ" قَالَ: صَدَقْتَ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ إِلَى قَوْلِهِ: «هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ»

هذا الباب رجع المؤلف مرة أخرى يتكلم عن الإيمان بالقدر، وهو طبعًا تقديمًا للباب الذي يليه وإن كان يبين كلام السلف في المكذبين بالقدر لكنه بين أولًا عنونة مهمة جدًا؛ قال: بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّهُ لَا يَصِحُّ لِعَبْدٍ الْإِيمَانُ، حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ لَا يَصِحُّ لَهُ الْإِيمَانُ إِلَّا بِهِ، فجعل أن الإيمان بالقضاء وبالقدر خيره وشره علامة على صحة الإيمان لأنه قال:(لَا يَصِحُّ لِعَبْدٍ الْإِيمَانُ)، إذًا من لم يؤمن بالقدر هو ليس بمسلم وكافر.

فنقول أن القدر باب عظيم جدًا، والقدر سر من أسرار الله عز وجل، قال سبحانه وتعالى:{ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ} [الأنبياء: 23] ، وأيضًا قال سبحانه وتعالى: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} [القمر: 49] ، وقال أيضًا:{ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ} [البروج: 16] . ثم جاء معنا من نقل الإمام هنا وطبعًا هو بوب هذا التبويب على أنه لا يصح إيمان العبد حتى يؤمن بالقدر خير وشره، وقال :(لَا يَصِحُّ)؛ أي من صحة الإيمان أن تؤمن بالقدر خيره وشره.

لذلك نقول دائمًا أن أركان الإيمان الستة التي جاءت في حديث جبريل عليه السلام هي شرط لصحة الإيمان، فمن لم يؤمن بركن واحد من أركان الإيمان الستة هذه فلا يصح إيمانه، وهذا الذي قاله الإمام الآجري هنا لما تعرض للقدر قال:(لَا يَصِحُّ لِعَبْدٍ الْإِيمَانُ، حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ

خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)، ثم استدل بأدلة على هذا التبويب، وأنا أسأل الآن بما درسناه من قبل وطبعًا سهلت عليكم الأمر بحديث جبريل لأن حديث جبريل عندكم دلالة فيه على صحة الإيمان لأن أركان الإيمان دلالة على صحة الإيمان، لأنه ذكر الإسلام وذكر الإيمان وذكر الاحسان، فذكر أمور واجبة وأمور غير واجبة، بل حتى في الإسلام ذكر خمسة ليست كلها نواقض للإسلام؛ فالصلاة لو قلنا على الخلاف المشهور، لكن الزكاة والصوم والحج من ترك ذلك لا يخرج من الإسلام، **من أين استدل الإمام الآجري في هذا التبويب على أنه لا يصح إيمان عبد حتى يؤمن بالقدر؟** أين وجه الشاهد والاستدلال لأنه قال (لَا يَصِحُّ)؛ إذًا من لم يؤمن بالقدر خيره وشره فهو خرج من الإسلام. أنا أريد النص من الكتاب والسنة على أنه من لم يؤمن بالقدر خيره وشره.

قول رسول الله ﷺ: «**الْقَدَرُ هَذَا، مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلَ النَّارَ**»، إذًا دلالة على أن هذا من صحة الإيمان. فهو لابد أن تنظر؛ تبويب الإمام قوي؛ لما يقول: **لَا يَصِحُّ لِعَبْدٍ الْإِيمَانُ، حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ** فلابد أن تأتي بوجه الدلالة على هذا فلابد أن نستنبطها من الأحاديث.

وأيضًا: «**لَنْ يُؤْمِنَ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»، وقلنا من قبل أنه قد يأتي النفي لغة وأصوليًا نفي وجود، ونفي صحة، ونفي كمال، "لا صلاة لمن لا وضوء له"، "لا يقضي القاضي وهو غضبان"، فهنا **(لَنْ يُؤْمِنَ)** هل هذا نفي صحة الإيمان؟ أم نفي وجود الإيمان؟ أم نفي كمال الإيمان؟ لأن الإيمان فيه واجب وفيه كمال.

أولًا النفي في اللغة أن تنفي وجود الشيء، وهنا لا ننفي وجود الإيمان لأن الإيمان موجود، آمن ببعض الأمور، فهو ليس على الكفر بالكلية. فالإيمان موجود لكن مع ذلك قال "لا يؤمن"، والأصل في النفي نفي الصحة إلا أن تأتيك قرينة وتنتقل من الصحة للكمال. فالترتيب وجود ثم صحة ثم كمال، لما بتنفي الشيء تنفي وجوده، "لن يأتي أحمد". إذًا نستبعد الوجود، وننتقل للدرجة الثانية بعد الوجود وهو الصحة، أنه لا يصح أي لا يكون إيمانًا صحيحًا، لماذا؟ بسبب القدر، وهذا يجمعه مع حديث آخر: «**الْقَدَرُ هَذَا، مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلَ النَّارَ**»، إذًا المقصود هنا من الرواية الثانية هي صحة الإيمان، إذًا لا يؤمن إيمانًا صحيحًا، إذًا لا يُقبَل منه، لأن ممكن أحد يقول لك أن الإيمان صحيح لكن كمال الإيمان هو الذي ليس مقبول.

هذا الاستدلال الذي نريده الآن حتى لا يشكل عليك أحد ويقول من قال لك بأن عدم الإيمان بالقدر خيره وشره هو ناقض من نواقض الإيمان وأنه يكفر من لم يؤمن القدر؟! فالأصل في

الترتيب هو نفي وجود، ثم نفي صحة، ثم نفي الكمال، وأنت لن تذهب للكمال إلا بالقرائن، فأول ما يتبادر إليك إن لم يكن نفي الوجود فهو نفي الصحة، وهذا حتى عند العرب وعند أهل الأصول هذا الترتيب.

فهنا التبويب مهم؛ لما هو بوب بالصحة أردنا أن نبين كيف تستدل منها.

والإيمان بالقدر من أعظم أركان الإيمان وهو كما جاء عن النبي ﷺ: أن تؤمن بالقدر: [خيرِه وشرّه] وفي رواية: [حلوِه ومرّه]، وسنبين ما الفرق بين "خيره وشره" و"حلوه ومره". وهذا أصل من الأصول؛ أن تؤمن بالقدر. والقدر هنا جاء على أنه كل شيء قد قدره الله عز وجل كما قلنا مراتب القدر عند أهل السنة في الجماعة: (العلم والكتابة والإرادة والمشيئة ثم الخلق)، قال سبحانه وتعالى:{ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ} [الحديد: 22] ،(مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ) أي قبل الخلق؛ أي كل شيء قبل أن يخلقه الله عز وجل قد قدره وكتبه وعلمه طبعًا قبل ذلك في الكتاب، {وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ} [القمر: 52] ، وهذا يستدل به على القدرية، ففيه دلالة على أن الله عز وجل قد كتب كل شيء من قبل وقدر كما قلنا.

وأيضًا قال النبي ﷺ:[ما من نفسٍ مَنفُوسَةٍ ، إلَّا وقدْ كَتَبَ اللهُ مكانَها من الجنةِ والنارِ، وإلّا وقدْ كُتِبَتْ شقِيَّةً أو سعيدةً] ، وكما جاء في الأحاديث الأخرى في الأبواب الأخرى قالوا يا رسول الله ففيم العمل؟ قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له، وهذه قد فصلناها من قبل. وأيضًا قال النبي ﷺ في حديث رواه مسلم: [المُؤمِنُ القَويُّ خَيرٌ وأحَبُّ إلى اللهِ مِنَ المُؤمِنِ الضَّعيفِ، وفي كُلٍّ خَيرٌ. احرِصْ على ما يَنفَعُكَ، واستَعِنْ باللهِ ولا تَعجِزْ، وإن أصابَكَ شَيءٌ فلا تَقُلْ: لو أنِّي فعَلتُ كان كَذا وكَذا، ولَكِن قُلْ: قَدَّرَ] وفي رواية (قَدَرُ) اللهِ وما شاءَ فعَلَ؛ فإنَّ لو تَفتَحُ عَمَلَ الشَّيطانِ].

كل هذه أدلة صريحة وواضحة على أن القدر أمر عظيم جدًا لابد أن يؤمن به المرء ولن يصح إيمان العبد – كما قلنا – حتى يؤمن بالقدر خيره وشره.

- **كيف يؤمن المرء بالقدر خيره وشره؟**

هذه مسألة تكررت في الأحاديث قال: «لَا يُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ دَخَلَ النَّارَ» ، وفي رواية أخرى: «وَيُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ» و(كله) هنا معناه الخير والشر. وأيضًا في الرواية الأخرى: «لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِأَرْبَعٍ» هنا قال (لا يؤمن) هذه أيضًا نفي صحة الإيمان، «لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ

حَتَّى يُؤْمِنَ بِأَرْبَعٍ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ بَعَثَنِي بِالْحَقِّ، وَحَتَّى يُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ » ، هنا الإيمان الواجب يقل إن لم تؤمن بالأربع، فأصبح صحة الإيمان متوقفة في هذا الحديث على أربع؛ فممكن يأتي بلا إله إلا الله محمد رسول الله، وممكن ينكر البعث فهناك ناس أنكروا البعث، ولا يؤمن بالقدر، إذًا هنا الإيمان وُجِد لكنه لم يصح، لأنه هنا عطف الإيمان على أربع كما علق في حديث جبريل على الستة، ونحن قلنا في الإيمان أن الستة لابد أن يؤمن بها، وهنا يؤمن بأربع، فلابد أن تؤمن بأربع؛ لو لم تؤمن بهذه الأربع أو لم تؤمن بالستة ما يصح إيمان العبد.

فنقول.. كيف يكون الإيمان بالقدر خيره وشره؟ كيف يكون الإيمان بالقدر في الخير؟ وكيف يكون الإيمان بالقدر في الشر؟

يكون الإيمان بالقدر في الخير: أن الله عز وجل إذا وفقك إلى فعل الطاعات، وفعل الأعمال الصالحة فيكون الإيمان بالقدر خير بأن عاقبة هذا العمل هو الجنة، فلما يقول النبي ﷺ **(تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)** فما هو الإيمان بالقدر في الخير وما هو الإيمان بالقدر في الشر؟ الإيمان بالقدر في الخير أنك تعلم بأن عاقبة الأعمال الصالحة والطاعات عاقبتها الجنة، وأن المنكرات والمعاصي والذنوب عاقبتها النار، هذا أول شيء معنى أنك تؤمن بالقدر خيره وأن تؤمن بالقدر شره. إذًا هذا هو الأصل الأول.

وهذا يبين لك الفرق بين القدر خيره وشره، والقدر حلو ومره؛ **القدر خيره** أنك تعلم أن عاقبة الإيمان بالقدر بالخير أن الطاعات ستؤدي بك إلى الجنة وأن المعاصي سوف تؤدي بك إلى النار – والعياذ بالله –، **والقدر حلوه ومره** بأنك لما تفعل الطاعات تشعر بحلاوة الطاعة، وأنك لما تأتيك المصيبة سواء كانت شرًا عليك فأنك تستشعر مرارتها وتؤمن بها، فلو جاءك الخير من الطاعات فتستشعر حلاوة الطاعة وحلاوة القدر الذي قد قدره الله عز وجل لك كما قال النبي ﷺ: [ذاقَ طَعمَ الإيمانِ مَن رَضيَ باللهِ رَبًّا، وبالإسلامِ دينًا] هذا القدر الخير؛ أنت ذقت واستشعرت حلاوة ذلك، وأما القدر الشر الذي فيه المُر لما تأتيك المصيبة تأتيك المرارة نعم لكن هنا الإيمان بالمر والإيمان بالشر أنك تصبر ولا تسخط ولا تتجرأ على الله عز وجل فيما أصابك من قدر فترضى بالشر الذي أذاك –لو كان القدر شر – أو ترضى بالمرارة التي قد وقعت لك من جراء المصيبة فتصبر على هذه المصيبة فيكون خيرًا لك كما قال النبي ﷺ: [عَجَبًا لأمرِ المُؤمِنِ، إنَّ أمرَه كُلَّه خَيرٌ، وليسَ ذاك لأحَدٍ إلَّا للمُؤمِنِ، إن أصابَتْه سَرَّاءُ شَكَرَ فكانَ خَيرًا له، وإن أصابَتْه ضَرَّاءُ صَبَرَ فكانَ خَيرًا له]فهذا معنى أن كل أمره خير.

لذلك نقول أن هذا معنى أن تؤمن بالقدر خيره وتؤمن بالقدر شره، فإذا آمنت بأن الله عز وجل قدر عليك طريق الخير وطريق الطاعة وأن مآلك إلى الجنة آمنت، وإذا آمنت بأن الله عز وجل قد أنزل عليك المصيبة وقد أُصِبت بها فإن أنت رضيت بها وقلت بأن قدر الله عليّ ذلك وأن هذا ليس باستطاعتي فأنك قد آمنت بشر القدر الذي قد أصابك.

لكن الذي نحتاج أن نبينه الآن؛ كيف ستتعبد بالإيمان بالقدر في الخير والشر؟

تتعبد بالإيمان بالقدر في الخير بأنك إذا الله عز وجل قدر عليك الخير أن تشكر، لأن الخير فيه النعائم، والخير فيه طريق الطاعة، فلما يقدر الله عز وجل عليك طريق الهدى، وطريق الطاعة، ويفتح لك أبواب الخير كلها التي هي تؤدي إلى الجنة فمن الإيمان بالقدر وثمرة الإيمان بالقدر أنك تشكر الله عز وجل على ذلك، فتشكر الله عز وجل في الخير، وهذا أولًا أنا أقول الإيمان بخير القدر بأنك تشكر، وقد قال سبحانه وتعالى:{ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ} [الضحى: 11] ، فهنا الله عز وجل يحب منك أنك تحدث بنعمة الله عز وجل عليك، قال سبحانه وتعالى:{ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًاۚ} [سبأ: 13] . وهنا التحديث النعائم إما أن يكون بأنك تشكر الله عز وجل بالعمل، أو تشكر باللسان بالذكر، أو بالقلب. هذا معنى الإيمان بخير القدر.

لذلك قال سبحانه وتعالى في الحديث القدسي: [يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَسَلُونِي الْهُدَى أَهْدِكُمْ]، إذًا أنت الآن بتسأل الله عز وجل الهدى، فلما يعطيك الهدى تشكر الله عز وجل على ذلك. والآية الأخرى في موسى عليه السلام:{ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ} [إبراهيم: 7] . إذًا من علامات تثبيت النعائم وزيادتها أن تشكر الله عز وجل على ذلك. كما جاء أيضًا أن النبي ﷺ قال: [إِنَّ اللَّهَ يحبُّ أن يرى أثرَ نعمتِهِ على عبدِهِ]، فالأثر هنا أنك تحدث بنعمة الله عز وجل وأن تعمل بها؛ أعطاك الله عز وجل علمًا فتعمل به، أعطاك الله مالًا فتنفقه في الخير، أعطاك الله عز وجل قدرة وبدنًا فتجاهد في سبيل الله عز وجل، وتدعو إلى دين الله عز وجل.

هذه كلها حقيقة من الثمرة لكنك حتى تعلم بأن الله عز وجل قدر عليك الخير أم قدر عليك الشر انظر إلى مقامك كما قال الحكماء من علمائنا، انظر إلى مقامك حيث أقامك الله عز وجل فتعرف قدرك عند الله عز وجل؛ فإن أقامك على طريق الهدى، إن أقامك على طريق العلم، إن أقامك على طريق العبادة، على طريق الطاعة، فهذا قدرك عند الله عز وجل، فتحمد الله عز وجل، لكن – والعياذ بالله– إن أقامك على غير ذلك فهذا مقامك عند الله عز وجل،

لذلك يقولون إن أردت أن تعرف قدرك فعلى مقامك، لذلك نحن لا نستشعر نعم الله عز وجل علينا؛ لما الله عز وجل يفتح علينا من أبواب الهدى، أبواب العلم، وأبواب العمل، وأن يوفقنا الله عز وجل إلى مجلس من هذه المجالس، وإلى مذاكرة، وإلى مدارسة وإلى حفظ قرآن، وإلى طاعة، أو إنفاق في سبيل الله أو غير ذلك فهذا حقيقة لو تدبرت الإيمان بالقدر تعلم بأن الله قدر عليك الخير، فتسارع إلى الله عز وجل في ذلك بأن تشكر الله عز وجل.

أيوب عليه السلام لما أنزل الله عليه الجراد من السماء بعد أن شفاه الله عز وجل مما أصابه، فكان يحثي، قال الله عز وجل: [يا أَيُّوبُ، أَلَم أَكُنْ أَغنَيتُك عَمَّا تَرى؟ قال: بَلى، يا رَبِّ، ولَكِنْ لا غِنى بي عن بَرَكَتِك]، لأنه يعلم أن هذا من الله عز وجل له مكافأة فأراد أن يأخذها لأنها من عند الله عز وجل.

أما مسألة الشر؛ نقول هنا أن المرء إذا أصابه الشر من الله عز وجل وأصابته المصيبة فعليه أن يتحمل هذه المرارة، لكن هناك أقسام للشر؛ **فهناك شرور أنت يمكن أن تدفعها، وشرور لا يمكن لك أن تدفعها**، شر ممكن دفعه مثل الجهل بالعلم، الجوع بالأكل، العطش بالشراب، فهذا ايذاء يمكن للناس أن تدفعه، والمرض شر تدفعه بالعلاج بالدواء ولكن لا تتداوى بمحرم،[تَداووا ولا تداووا بحرامٍ]. وهناك شر لا يمكن دفعه ليس لك إلا الرضا والصبر عليه مثل الموت لا يمكن دفعه، والمرض قال النبي ﷺ:[إنَّ اللهَ إذا أحبَّ قومًا ابتَلاهم ، فمَن رَضِي فله الرِّضَى ، ومَن سخِط فله السَّخطُ] مثل المرأة السوداء التي جاءت للنبي ﷺ كانت تصرع وتتكشف فجاءت للنبي ﷺ قالت:[إنِّي أُصرَعُ، وإنِّي أتَكَشَّفُ، فادعُ اللهَ لي، قال: إن شِئتِ صَبَرتِ ولَكِ الجَنَّةُ، وإن شِئتِ دَعَوتُ اللهَ أن يُعافيَكِ، فقالت: أصبِرُ، فقالت: إنِّي أتَكَشَّفُ، فادعُ اللهَ لي ألَّا أتَكَشَّفَ، فدَعا لَها]، فهي صبرت على ذلك، تصبر على الدنيا وما فيها لكن لها الجنة وعد من النبي ﷺ فصبرت فكانت لها الجنة.

- **كيف نجمع بين مسألة الشر** الذي بيناه الآن فقد ثبت أن هناك في القدر شر، قال الله عز وجل: {وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ} [الشعراء: 80] ، وأيضًا: [تُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ]، فهناك شر، **وبين قول النبي ﷺ**: [والشَّرُّ ليس إليك]؟

لابد أن نُفَصِّل؛ أين الشر في القدر خيره وشره؟ فالتفصيل نقول أن الله لا يفعل الشر، إذًا عندنا القضاء الذي هو فعل الله، وعندنا المقضي الذي هو المفعول، فالقضاء هو الذي من فعل الله عز وجل فلابد أن نقول أن أفعال الله كلها حسنى؛ لا يفعل الله عز وجل شيء فيه

شر أو فيه سوء –حاشاه ذلك – وله الكمال في الأسماء وفي الصفات، لكن الشر هنا في المقضي؛ في المفعول، ففيه الشر وفيه الخير، إذًا فعل الله نفسه خيرا لكن المفعول فيه الشر وفيه الخير، فخلق الله عز وجل الشيطان، وخلق المعاصي،{وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} [الصافات: 96] ، فخلق الخير والشر، فالمخلوق أو المقضي أو المفعول فيه شر. فالقضاء هو فعل الله عز وجل والمقضي المفعول.

طيب المفعول هذا من الذي باشره؟ هناك ايجاد وهناك كسب؛ ايجادًا وخلقًا من الله عز وجل، أن الله خالق كل شيء، وإلا سنقول بقول القدرية الذين قالوا بأن أفعال الشرور يخلقها العباد، لكن نقول ايجادًا وخلقًا من الله عز وجل، لكن كسبًا ومباشرة وفعلًا فمن المخلوق، المخلوق هو الذي يباشر هذا الشر وهذه المعصية وهذه الذنوب، ولا يمكن أن نقول كما قالت الجبرية بأن الذي يباشر هو الله عز وجل ونسبوا إلى الله عز وجل الشرور والمعاصي – حاشاه ذلك.

طيب ما الدلالة على ذلك؟ [والشَّرُّ ليس إليكَ] هذا الجمع أن الشر ليس إليك، ستحمله على أن ليس فعل الله شر. وقال أيضًا: {وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ} [الشعراء: 80] ، لكن ممكن تقول الدلالة على أن الله أثبت ذلك قال:{ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ* مِن شَرِّ مَا خَلَقَ} [الفلق: 1-2]، إذًا المخلوق هو الذي فيه الشر، لكن فعل الله عز وجل ليس فيه شر. وفيه أيضًا:[وقني شَرَّ ما قضيْتَ] رواية الترمذي في الحديث، (شر ما قضيت) هذا المقضي، لكن الفعل الذي هو القضاء فهذا كله خير من لله عز وجل. لذلك لابد أن نبين هذه التفرقة في مسألة خيره وشره.

ونقول أيضًا أن حتى الشر ليس هناك في الكون شر محض، لأن حتى الشرور التي خلقها الله عز وجل لابد أن فيها خير، فمثلًا خلق الشيطان؛ الحكمة في خلق الشيطان مع أنه هو شر لكنه ليس شرًا محضًا، أنت ترى بأن الشيطان شر محض لكن هو ليس بشر محض، الله خلقه ليبتلي وليمتحن الناس، فهو فعله شر لكن توجد حكمة من خلقه.

إذًا نقول بأن الله عز وجل كما قال هنا الآن في مسألة الشر أنه ليس هناك شر محض بل أن الله عز وجل قد يخلق الشر ليكون فيه حكمة، كما خلق الشيطان ليوسوس ويغوي العباد؛ ففيه خير من جهة أن الله عز وجل يميز بين العبد الصالح والعبد الطالح، قال سبحانه وتعالى: {أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ} [القلم: 35] ، و {أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ} [ص: 28] ، فهنا الله عز وجل قد يبتليك بالشر أو يبتليك بالخير ولكنه ليميز، قد يبتليك بالمرض، والمرض شر لك {وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ} [الشعراء: 80] ، حتى تأخذ الدواء فيكون الدواء هنا سببًا من أسباب العلاج، فتستيقن بأن الله عز وجل هو الشافي، فتأخذ هذا العلاج أو هذا الدواء مع

أنك قد تستشعر مرارة الدواء. فالله عز وجل قد يبتلي العباد بالشيطان وبغير ذلك حتى يمحص الناس، وهذا حدث لأفضل الخلق جميعًا وهم الأنبياء وأفضل الأنبياء هو النبي ﷺ في مرض الموت كان يوعك، فدخل عليه الصحابي الجليل فقال:[**يا رَسولَ اللهِ، إنَّكَ لَتوعَكُ وعكًا شَديدًا، فقال رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: أجَل، إنِّي أوعَكُ كما يوعَكُ رَجُلانِ مِنكُم**] فالنبي ﷺ هو أفضل الخلق قد ابتلاه الله عز وجل في مرضه يوعك، وقال النبي ﷺ: [**ما يُصيبُ المُسلِمَ مِن نَصَبٍ ولا وصَبٍ، ولا هَمٍّ ولا حُزنٍ، ولا أذًى ولا غَمٍّ، حتَّى الشَّوكةِ يُشاكُها، إلَّا كَفَّرَ اللهُ بها مِن خَطاياه**]، وهذه تدل على أن المرء إن احتسب في الأمور التي ظاهرها فيها الشر ففيها حكمة من الله عز وجل من الخير.

هذا آخر الكلام، ونقف عند **بَابُ مَا ذُكِرَ فِي الْمُكَذِّبِينَ بِالْقَدَرِ** هذه نرجئها إن شاء الله للأسبوع القادم.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

المحاضرة السادسة والأربعون

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام على موعد مع شرح كتاب الشريعة للإمام الآجري – عليه رحمة الله تعالى – هذا الكتاب عظيم النفع جليل القدر تلقاه أهل العلم بالقبول، أصل من أصول أهل السنة والجماعة في العقائد، كتاب فيه مباحث جمة نافعة لابد لطالب العلم أن يتعرض إليها ويتقنها ويضبطها ضبطًا تامًا، وفيه خلاصة اجمالًا وتفصيلًا ردًا على الفرق المبتدعة بالكتاب وبالسنة وبالآثار، لذلك يعد هذا الكتاب من أنفع الكتب في أبواب العقيدة، فجزى الله خيرًا الشيخ الإمام الآجري على ما قدمه للأمة وجعله الله في ميزان حسناته ونفعه بذلك يوم القيامة.

ما زلنا في أبواب القدر، والرد على القدرية، وكنا قد شرحنا الأسبوع الماضي مسائل الباب الذي قبل **بَابُ مَا ذُكِرَ فِي الْمُكَذِّبِينَ بِالْقَدَرِ** في مسألة الإيمان بالقدر خيره وشره، ثم تتمة الباب فيه ذكر بعض الآثار في باب جديد؛ **بَابُ مَا ذُكِرَ فِي الْمُكَذِّبِينَ بِالْقَدَرِ** بذم الذين كذبوا بالقدر عند أهل السنة والجماعة، وهذه سيستفيض فيها المؤلف؛ سيذكر آثارًا بعد هذا الباب عن الصحابة

رضوان الله عليهم، والتابعين، وأئمة الهُدى في ذم القدرية، ستطول بنا المسألة، لذلك سنحاول أننا سنعرج عليها لأن فيها أقوال كثيرة قد ممكن تتكرر وتتشابه وقد فصلنا فيه القول، لكن ما سيعنينا الآن الباب الذي سيأتي بعد هذا الباب في مسألة **(أَنَّ كُلَّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ)** فيه بعض المسائل سنبينها إن شاء الله، ثم بعد هذا الباب فيه سرد من الإمام لأقوال من أول الخلفاء الأربعة، إلى ما بعدهم من الصحابة، إلى التابعين، إلى الأئمة في ذمهم للقدر.

41- بَابُ مَا ذُكِرَ فِي الْمُكَذِّبِينَ بِالْقَدَرِ

381- حَدَّثَنَا أَبُو شُعَيْبٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ الْحَرَّانِيُّ قَالَ: نَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْهَرَوِيُّ قَالَ: نَا زَكَرِيَّا بْنُ مَنْظُورٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو حَازِمٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَإِنْ مَرِضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ، وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ»

382 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نَا نَصْرُ بْنُ عَاصِمٍ الْأَنْطَاكِيُّ قَالَ: نَا زَكَرِيَّا بْنُ مَنْظُورٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو حَازِمٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِكُلِّ أُمَّةٍ مَجُوسٌ، وَالْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَإِنْ مَرِضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ، وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ»

383 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نَا أَبُو إِسْحَاقَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو مُصْعَبٍ قَالَ: نَا الْحَكَمُ بْنُ سَعِيدٍ السَّعِيدِيُّ، مِنْ وَلَدِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ عَنِ الْجُعَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ يُكَذِّبُونَ بِالْقَدَرِ، أَلَا، وَأُولَئِكَ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَإِنْ مَرِضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ، وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ»

384 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نَا مُحَمَّدُ بْنُ مُصَفًّى قَالَ: نَا بَقِيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مَجُوسَ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمُكَذِّبُونَ بِأَقْدَارِ اللَّهِ فَإِنْ مَرِضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ، وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ»

385- وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نَا عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ حَمَّادٍ قَالَ: نَا مُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ، عَنْ مَكْحُولٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لِكُلِّ أُمَّةٍ مَجُوسٌ، وَإِنَّ مَجُوسَ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْقَدَرِيَّةُ، فَلَا تَعُودُوهُمْ إِذَا مَرِضُوا، وَلَا تُصَلُّوا عَلَيْهِمْ إِذَا مَاتُوا»

386- وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نَا عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ حَمَّادٍ قَالَ نَا الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ قَالَ: حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ الْحَارِثِ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ مَيْسَرَةَ الشَّامِيِّ، عَنْ عَطَاءٍ الْخُرَسَانِيِّ، عَنْ مَكْحُولٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ مَجُوسًا، وَإِنَّ مَجُوسَ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْقَدَرِيَّةُ، فَلَا تَعُودُوهُمْ إِذَا مَرِضُوا، وَلَا تُصَلُّوا عَلَى جَنَازَتِهِمْ إِذَا مَاتُوا»

387- وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نَا صَفْوَانُ بْنُ صَالِحٍ قَالَ: نَا مُحَمَّدُ بْنُ شُعَيْبٍ، قَالَ: أنا عُمَرُ بْنُ يَزِيدَ الدِّمَشْقِيُّ قَالَ: أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ مُهَاجِرٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ يَحْيَى بْنِ الْقَاسِمِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا هَلَكَتْ أُمَّةٌ قَطُّ إِلَّا بِالْإِشْرَاكِ بِاللَّهِ، وَمَا أَشْرَكَتْ أُمَّةٌ قَطُّ إِلَّا كَانَ بَدْءُ إِشْرَاكِهَا التَّكْذِيبَ بِالْقَدَرِ»

388- حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ صَاعِدٍ قَالَ: نَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ مَزْيَدٍ، بِبَيْرُوتَ قَالَ: أنا مُحَمَّدُ بْنُ شُعَيْبِ بْنِ شَابُورَ قَالَ: أَخْبَرَنِي عُمَرُ بْنُ يَزِيدَ النَّصْرِيُّ وَهُوَ الدِّمَشْقِيُّ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُهَاجِرٍ، صَاحِبِ حَرَسِ ابْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ يَحْيَى بْنِ الْقَاسِمِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ السَّهْمِيِّ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَا هَلَكَتْ أُمَّةٌ قَطُّ إِلَّا بِالشِّرْكِ بِاللَّهِ، وَمَا أَشْرَكَتْ أُمَّةٌ حَتَّى يَكُونَ بَدْءُ شِرْكِهَا التَّكْذِيبَ بِالْقَدَرِ»

389- وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نَا أَبُو بَكْرٍ سَعِيدُ بْنُ يَعْقُوبَ الطَّالْقَانِيُّ قَالَ: نَا الْمُقْرِئُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: نَا ابْنُ لَهِيعَةَ قَالَ: نَا عَمْرُو بْنُ شُعَيْبٍ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، إِنَّ قَوْمًا يَقُولُونَ: قَدَّرَ اللَّهُ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا الْأَعْمَالَ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ سَعِيدًا غَضِبَ قَطُّ مِثْلَ مَا غَضِبَ يَوْمَئِذٍ، حَتَّى هَمَّ بِالْقِيَامِ، ثُمَّ قَالَ: فَعَلُوهَا؟ وَيْحَهُمْ لَوْ يَعْلَمُونَ، أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ فِيهِمْ حَدِيثًا، كَفَاهُمْ بِهِ شَرًّا، فَقُلْتُ لَهُ: وَمَا ذَاكَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ رَحِمَكَ اللَّهُ؟ قَالَ: حَدَّثَنِي رَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يَكُونُ فِي أُمَّتِي قَوْمٌ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ، وَبِالْقُرْآنِ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ» ، فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ،

يَقُولُونَ كَيْفَ؟ قَالَ: "يَقُولُونَ: الْخَيْرُ مِنَ اللَّهِ، وَالشَّرُّ مِنْ إِبْلِيسَ، ثُمَّ يَقْرَءُونَ عَلَى ذَلِكَ كِتَابَ اللَّهِ، فَيَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَبِالْقُرْآنِ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَالْمَعْرِفَةِ، فَمَا تَلْقَى أُمَّتِي مِنْهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ وَالْجِدَالِ، وَفِي زَمَانِهِمْ ظُلْمُ الْأَئِمَّةِ، فَنَالَهُمْ مِنْ ظُلْمٍ وَحَيْفٍ وَأَثَرَةٍ، فَيَبْعَثُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ طَاعُونًا، فَيَفْنِي عَامَّتَهُمْ، ثُمَّ يَكُونُ الْخَسْفُ، فَقَلَّ مَنْ يَنْجُو مِنْهُ وَالْمُؤْمِنُ يَوْمَئِذٍ قَلِيلٌ فَرَحُهُ، شَدِيدٌ غَمُّهُ، ثُمَّ يَكُونُ الْمَسْخُ، فَيَمْسَخُ اللَّهُ تَعَالَى عَامَّةَ أُولَئِكَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ "، ثُمَّ بَكَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَكَيْنَا لِبُكَائِهِ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هَذَا الْبُكَاءُ؟ قَالَ: «رَحْمَةٌ لَهُمُ الْأَشْقِيَاءُ؛ لِأَنَّ فِيهِمُ الْمُتَعَبِّدَ، وَفِيهِمُ الْمُجْتَهِدَ أَمَّا إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِأَوَّلِ مَنْ سَبَقَ إِلَى هَذَا الْقَوْلِ، وَضَاقَ بِحَمْلِهِ ذَرْعًا، إِنَّ عَامَّةَ مَنْ هَلَكَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالتَّكْذِيبِ بِالْقَدَرِ» ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ؟ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَتَعْلَمَ أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ مَعَهُ أَحَدٌ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، وَتُؤْمِنَ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَهُمَا قَبْلَ الْخَلْقِ، ثُمَّ خَلَقَ الْخَلْقَ لَهُمَا، وَجَعَلَ مَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى الجنة ومَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى النَّارِ، عَدْلًا مِنْهُ، فَكُلٌّ يَعْمَلُ لِمَا فُرِغَ مِنْهُ، وَصَائِرٌ إِلَى مَا خُلِقَ لَهُ» فَقُلْتُ: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ

390- وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ الصَّبَّاحِ يَعْنِي الْبَزَّارَ قَالَ: نَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ، عَنْ عَطِيَّةَ قَالَ: نَا ابْنُ لَهِيعَةَ قَالَ: نَا عَمْرُو بْنُ شُعَيْبٍ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ "فَذَكَرَ مِثْلَهُ

391 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نَا سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: نَا حَسَّانُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَطِيَّةَ بْنِ عَطِيَّةَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَمْرَو بْنَ شُعَيْبٍ يَقُولُ: كُنَّا عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ فَذَكَرَ نَحْوًا مِنَ الْحَدِيثِ إِلَى آخِرِهِ

392- أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ قَالَا: أنا ابْنُ نِزَارٍ عَلِيٌّ أَوْ مُحَمَّدٌ , عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي لَيْسَ لَهُمَا فِي الْإِسْلَامِ نَصِيبٌ: الْمُرْجِئَةُ، وَالْقَدَرِيَّةُ"

393 - حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْحُلْوَانِيُّ قَالَ: نَا سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: نَا شِهَابُ بْنُ خِرَاشٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا بَعَثَ اللَّهُ

تَعَالَى نَبِيًّا قَبْلِي، فَاسْتَجْمَعَتْ لَهُ أُمَّتُهُ، إِلَّا كَانَ فِيهِمْ مُرْجِئَةٌ وَقَدَرِيَّةٌ، يُشَوِّشُونَ أَمْرَ أُمَّتِهِ مِنْ بَعْدِهِ، أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَعَنَ الْمُرْجِئَةَ وَالْقَدَرِيَّةَ عَلَى لِسَانِ سَبْعِينَ نَبِيًّا، أَنَا آخِرُهُمْ»

394 - أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نَا إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ قَالَ: أنا بِشْرُ بْنُ عُمَرَ الزَّهْرَانِيُّ قَالَ: نَا ابْنُ لَهِيعَةَ، عَنْ مُوسَى بْنِ وَرْدَانَ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَعَنَ اللَّهُ أَهْلَ الْقَدَرِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِقَدَرٍ، وَيُكَذِّبُونَ بِقَدَرٍ»

395 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو أَنَسٍ مَالِكُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ: نا بَقِيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ، عَنْ يَحْيَى بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ بَحْرٍ السَّقَّاءِ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا كَانَتْ زَنْدَقَةٌ إِلَّا كَانَ أَصْلُهَا التَّكْذِيبَ بِالْقَدَرِ»

كل ما ذكرناه الآن في الأحاديث غالبها فيها ضعف، والبعض فيها موضوع، والنادر أو القليل فيها الذي يُحتج به، لكن المعنى في كل هذه الأحاديث جاء في ذم القدرية والذين كذبوا بالقدر، وسُموا "مجوس الأمة"، وقد بينا من قبل ما سبب تسميتهم بالمجوس؛ لأن المجوس أصالة يثبتون أن للكون خالقين؛ خالق النور والظلمة، خالق الخير والشر، مع أنهم حتى يغلبون خالق النور على الظلمة وخالق الخير على الشر لكن يثبتون خالقين للكون، والقدرية على شاكلتهم، بل أثبتوا أكثر من خالق على قولهم بأن العباد يخلقون أفعالهم بأنفسهم، أو أن الله خلق الخير والعباد يخلقون الشر، وبعضهم يقولون بأن العباد يخلقون أفعالهم وأعمالهم بأنفسهم وأن الله عز وجل لم يعلم بها ولم يقدرها ولم يكتبها من قبل، والبعض قال علم وكتب لكنه لم يخلق ولم يشاء ويريد بل العباد هم الذين أرادوا وشاؤوا وخلقوا أفعالهم بأنفسهم، لذلك جعلوا العباد هم خالقين لأنفسهم، فلذلك كانوا كالمجوس لتعدد الخالقين، بل هم أكثر من ذلك، لذلك سموا مجوس هذه الأمة، وذُموا على ذلك.

بل ظاهر الآثار التي نُقِلت على أنهم أُخرِجوا من الإسلام بسبب ذلك لأننا نهينا عن أن نعود مرضاهم وأن نصلي عليهم إذا ماتوا؛ فهم إما يكونوا من الكفر الصريح أو يكونوا من أهل النفاق الذين لا يُصلَّى عليهم كما كان عمر رضي الله عنه وأرضاه يعمل عندما كان يموت أحد من الناس فكان ينظر إلى حذيفة؛ فإن رأى حذيفة رضي الله عنه واقف في الصف يصلي صلى، وإن لم ير حذيفة قد وقف يصلي فلا يصلي عمر ويرجع، لأنه قد علم أن حذيفة قد علم من النبي ﷺ أسماء المنافقين في زمانهم، فكان ينظر إلى حذيفة، فلو كان حذيفة يصلي فعلم أن هذا ليس من أهل النفاق، وأما إن لم يصل حذيفة فكان عمر يُعرِض عن ذلك، لعلنا

نهينا وهو الذي قد طلب من النبي ﷺ ألا يصلي على عبد الله بن أبي بن سلول ولكن النبي ﷺ قال نحي عني يا عمر سأصلي عليه، فصلى، ثم نزل قول الله عز وجل بعد ذلك في سوره براءة: {وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ} [التوبة: 84] ، فنُهي عن الصلاة على المنافقين أو الدعاء لهم إلى غير ذلك.

فلذلك الظاهر من هذا بأنهم هذا الحكم على القدرية خاصة لو قلنا بأن **القدرية على صنفين؛** صنف الذين أنكروا أن الله علم وكتب، وهؤلاء كفار باتفاق علماء أهل السنة الجماعة. والصنف الثاني أثبتوا الكتابة والعلم لكنهم قالوا بخلق العباد لأفعالهم، هؤلاء الذين لم يكفرونهم أهل السنة والجماعة.

لكن الشاهد هنا بأن هذا على أصل تكفير القدرية وهم الطبقة الأولى. وهذا كان مجمل ما جاء في هذه الآثار التي قلنا أن بعضها فيها ضعف، والبعض موضوع، والباقي يُستأنس به في ذم القدرية. وأيضًا أضيف لهم المرجئة، وقد فهمنا الكلام في المرجئة من قبل فلا نعيده.

ندخل على الباب الذي يليه؛ فيه مسألتان سنتكلم عنهم إن شاء الله؛؛

42- بَابُ الْإِيمَانِ أَنَّ كُلَّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ

396- أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، وَيُنَصِّرَانِهِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَرَأَيْتَ مَنْ يَمُوتُ وَهُوَ صَغِيرٌ؟ قَالَ: اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ "

397- وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْحَجَّاجِ السَّامِيُّ قَالَ: نَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ طَاوُسٍ، وَمُجَاهِدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ أَطْفَالَ الْمُشْرِكِينَ» ، فَقَالَ رَجُلٌ: أَيْنَ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»

398 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نَا إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ قَالَ: أنا سُفْيَانُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ؟ فَقَالَ: «اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»

399 - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ الْقَاسِمُ بْنُ زَكَرِيَّا الْمُطَرِّزُ قَالَ: نَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ قَالَ: نَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا عَلَى الْفِطْرَةِ، حَتَّى تُعَبِّرَ عَنْهُ لِسَانُهُ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُشَرِّكَانِهِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَكَيْفَ بِمَنْ كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ؟ قَالَ: «اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»

400 - وَحَدَّثَنَا أَيْضًا قَاسِمٌ الْمُطَرِّزُ قَالَ: نَا يُوسُفُ بْنُ مُوسَى الْقَطَّانُ، وَسُفْيَانُ بْنُ وَكِيعٍ قَالَا: نَا جَرِيرٌ يَعْنِيَانِ ابْنَ عَبْدِ الْحَمِيدِ عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى هَذِهِ الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ، وَيُشَرِّكَانِهِ» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ مَاتَ قَبْلَ ذَلِكَ؟ قَالَ: «اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ» وَلِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طُرُقٌ كَثِيرَةٌ

401- حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: نَا مُحَمَّدُ بْنُ عَاصِمٍ الثَّقَفِيُّ قَالَ: نَا مُؤَمَّلٌ قَالَ: نَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ الْكُفَّارِ، الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ يَعْنِي الْعَقْلَ؟ قَالَ: «اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ إِذْ خَلَقَهُمْ»

402 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نَا سُرَيْجُ بْنُ يُونُسَ قَالَ: نَا هُشَيْمُ بْنُ بَشِيرٍ، عَنْ أَبِي بِشْرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْ ذَرَارِيِّ الْمُشْرِكِينَ؟ فَقَالَ: «اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»

403 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ قَالَ: ثنا أَبِي قَالَ: نَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي بِشْرٍ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي وَحْشِيَّةَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْ أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ؟ فَقَالَ: «اللَّهُ أَعْلَمُ إِذْ خَلَقَهُمْ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»

404 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ قَالَ: نَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ أَبِي بِشْرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْ أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ؟ فَقَالَ: «اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ إِذْ خَلَقَهُمْ»

405 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نَا إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ قَالَ: أنا بَقِيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادٍ الْأَلْهَانِيُّ قَالَ: نَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي قَيْسٍ قَالَ: حَدَّثَتْنِي عَائِشَةُ زَوْجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَسَأَلْتُهَا عَنْ ذَرَارِيِّ الْمُشْرِكِينَ؟ فَقَالَتْ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُمْ فَقَالَ: «هُمْ مَعَ آبَائِهِمْ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، بِلَا عَمَلٍ؟ فَقَالَ: «اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»

406- وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: نَا وَكِيعٌ، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ يَحْيَى، عَنْ عَمَّتِهِ، عَائِشَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: دُعِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جِنَازَةِ صَبِيٍّ يُصَلِّي عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ طُوبَى لَهُ، عُصْفُورٌ مِنْ عَصَافِيرِ الْجَنَّةِ، وَلَمْ يَعْمَلِ السُّوءَ، وَلَمْ يدْرِ به " فَقَالَ: «أَوَ غَيْرَ ذَلِكَ يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلًا، وَخَلَقَهُمْ لَهَا، وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ، وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلًا، وَخَلَقَهُمْ لَهَا، وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ»

407 - حَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّنْدَلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ زِيَادٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ» مَا يَعْنِي بِهِ؟ قَالَ: «الشِّقْوَةُ وَالسَّعَادَةُ».

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذِهِ السُّنَنُ الَّتِي ذَكَرْتُهَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَدُلُّ عَلَى مَعْنَى مَا فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَدُلُّ كُلَّ مَنْ عَقَلَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّ بَعْضَهَا يُصَدِّقُ بَعْضًا، كَمَا أَنَّ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا , يَدُلُّ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ عَلَى مَعْنَى مَا أَعْلَمْنَاكَ مِنْ مَذْهَبِنَا فِي الْقَدَرِ وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ إِذَا خَطَبَ: «مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ» كَذَا رَوَى عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَكَذَا كَانَ الصَّحَابَةُ يَقُولُونَ فِي خُطَبِهِمْ، إِيمَانًا وَتَصْدِيقًا وَيَقِينًا، لَا يَشُكُّ فِي ذَلِكَ أَهْلُ الْإِيمَانِ

408 - أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نَا حَبَّانُ بْنُ مُوسَى قَالَ: أنا ابْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ: يَحْمَدُ اللَّهَ، وَيُثْنِي عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ يَقُولُ: «مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ

فَلَا هَادِيَ لَهُ، أَصْدَقُ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»

409 - وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ قَاسِمُ بْنُ زَكَرِيَّا الْمُطَرِّزُ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَشْكَابَ قَالَ: نَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، عَنْ سُفْيَانَ يَعْنِي الثَّوْرِيَّ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: عَلَّمَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُطْبَةَ الْحَاجَةِ: «إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ» وَذَكَرَ الْحَدِيثَ

410 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: نَا عَبْثَرُ بْنُ الْقَاسِمِ أَبُو زُبَيْدٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: " عَلَّمَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: التَّشَهُّدَ فِي الْحَاجَةِ: إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ " وَذَكَرَ الْحَدِيثَ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: وَقَدْ رُوِيَ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَهُوَ يَقُولُ: " اللَّهُمَّ لَوْلَاكَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا صُمْنَا وَلَا صَلَّيْنَا فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبِّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا وَذَكَرَ الْحَدِيثَ

411- حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ قَاسِمُ بْنُ زَكَرِيَّا الْمُطَرِّزُ قَالَ: نا أَبُو بَكْرٍ زَنْجُوَيْهِ وَأَحْمَدُ بْنُ سُفْيَانَ قَالَا: نا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الْفِرْيَابِيُّ قَالَ نا سُفْيَانُ بْنُ سَعِيدٍ الثَّوْرِيُّ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ، قُلْتُ: وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَوْصَاهُ بِهِ، وَمَا وَعَظَهُ بِهِ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى مَا قُلْنَاهُ

412 - أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو وَهْبٍ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْحَرَّانِيُّ قَالَ: نَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحِيمِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ السَّلَامِ السَّامِيِّ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ حَنَشٍ الصَّنْعَانِيِّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: أَهْدَتْ فَارِسُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَغْلَةً شَهْبَاءَ مُلَمْلَمَةً، فَكَأَنَّهَا أَعْجَبَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَدَعَا بِصُوفٍ وَلِيفٍ، فَنَحَلْنَا لَهَا رَسَنًا وَعِذَارًا، ثُمَّ دَعَا بِعَبَاءَةٍ خَلِقٍ فَثَنَّاهَا، ثُمَّ رَفَعَهَا ثُمَّ وَضَعَهَا عَلَيْهَا، ثُمَّ رَكِبَ وَقَالَ: «ارْكَبْ يَا غُلَامُ» يَعْنِي ابْنَ عَبَّاسٍ فَرَكِبْتُ خَلْفَهُ، فَسِرْنَا حَتَّى حَاذَيْنَا بَقِيعَ الْغَرْقَدِ، فَضَرَبَ بِيَدِهِ الْيُمْنَى عَلَى مَنْكِبِي

الْأَيْسَرِ، وَقَالَ: «يَا غُلَامُ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، وَلَا تَسْأَلْ غَيْرَ اللَّهِ، وَلَا تَحْلِفْ إِلَّا بِاللَّهِ، جَفَّتِ الْأَقْلَامُ وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ وَأَهْلَ الْأَرْضِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِغَيْرِ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكَ مَا اسْتَطَاعُوا، وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ وَأَهْلَ الْأَرْضِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِغَيْرِ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكَ مَا اسْتَطَاعُوا ذَلِكَ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ لِي بِمِثْلِ هَذَا مِنَ الْيَقِينِ، حَتَّى أَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا؟ قَالَ: «تَعْلَمُ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ»

413 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْهَرَوِيُّ قَالَ: نَا عَبَّادُ بْنُ الْعَوَّامِ قَالَ: نَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ سُلَيْمٍ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فَقَالَ لِي: " احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ جَاءَتِ الْأُمَّةُ لِتَنْفَعَكَ بِغَيْرِ مَا كَتَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَكَ مَا اسْتَطَاعَتْ ذَلِكَ، وَلَوْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِغَيْرِ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكَ مَا اسْتَطَاعُوا ذَلِكَ أَوْ قَالَ: مَا قَدَرَتْ "

414 - حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ صَاعِدٍ قَالَ: نَا مُحَمَّدُ بْنُ الْوَلِيدِ الْفَحَّامُ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ مَيْمُونِ بْنِ عَطَاءٍ أَبُو أَيُّوبَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدِ بْنِ جُدْعَانَ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ: «يَا غُلَامُ أَوْ يَا غُلَيِّمُ أَلَا أُعَلِّمُكَ شَيْئًا، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَكَ بِهِ؟ احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ يَكُنْ أَمَامَكَ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ عِنْدَ الشِّدَّةِ، جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَوْ أَنَّ النَّاسَ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَعْطُوكَ شَيْئًا لَمْ يُعْطِكَ اللَّهُ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ اجْتَمَعُوا جَمِيعًا عَلَى أَنْ يَمْنَعُوكَ شَيْئًا قَدَّرَهُ اللَّهُ لَكَ وَكَتَبَهُ مَا اسْتَطَاعُوا، وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ شِدَّةٍ رَخَاءً، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا»

هذا الباب الذي بوبه الإمام الآجري بتبويب حقيقة فيه دقة في النظر وبُعد قد يخفى عن الكثير عند الشرح أو عند التدبر، ما مناسبة أن يأتي الإمام بهذا الباب وقال فيه أَنَّ كُلَّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ثم يأتي بأحاديث (كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، وَيُنَصِّرَانِهِ) إلى آخر ما قرأناه الآن؟

هذا الباب فيه عدة مسائل؛؛

1. المسألة الأولى: مناسبة التسمية والأحاديث للباب في الرد على القدرية؛
2. المسألة الثانية: سيكون الكلام في تفريع عن هذه المسألة؛ الخلاف الوارد في معنى كلمة الفطرة (كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ)، ما معنى الفطرة؟ وما سبب الخلاف؟
3. المسألة الثالثة: حكم أطفال المشركين الذين سُئِل عنها النبي ﷺ في أكثر من رواية من الروايات الذين ماتوا وهم صغار وآباؤهم كفار، ما حكم هؤلاء يوم القيامة؟ هل في الجنة أم في النار؟ هذا أيضًا مما اختلف فيه أهل العلم على عدة أقوال سنبين إن شاء الله ذلك.
4. المسألة الرابعة: باقي الأحاديث التي فيها تأكيد وبيان بأن الأمور كلها مقدرة من عند الله عز وجل في الروايات المتعددة؛ سواء حديث ابن عباس: (يَا غُلَامُ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ) وغير ذلك الذي فيه بيان بأن الله عز وجل قد كتب كل شيء من قبل، وعلم كل شيء، وأن كل شيء مقدر من عند الله عز وجل، وأنه لا أحد يستطيع أن يضر أو ينفع المرء إلا بأمر قد قدره الله عز وجل سواء كان نفعًا أو ضرًا، وسواء كان أيضًا في الشدة أو في الرخاء، إلى غير ذلك مما فيه اثبات الإيمان بالقدر وأن كل شيء بقدر، لقوله تعالى:{ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} [القمر: 49] ، وأيضًا من باب الإيمان بالقدر خيره وشره.

المسألة الأولى: لماذا الإمام بوب هذا التبويب؛ (كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ)، ما مناسبة الحديث في باب الرد على القدرية؟

الحديث له مناسبة، وسبب حتى الاختلاف في معنى كلمة الفطرة هو مناسبة تعامل القدرية مع هذا الحديث، فلذلك الإمام هنا دقيق النظر في أنه يأتي بهذا الحديث. فما مناسبة أن يأتي الإمام الآجري بهذا الباب يسميه أولًا (كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ) ليرد فيه على القدرية؟ وما مناسبة الحديث ورواياته المختلفة في الرد على القدرية؟ لماذا أتى به في باب الرد على القدرية (كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، وَيُنَصِّرَانِهِ) إلى أن سُئِل النبي ﷺ في آخر الحديث قال: (اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) عن أطفال المشركين.

أنا أريد من طالب العلم أن يأتي بالشاهد ثم يبين وجه الدلالة، أنتم قلتم الآن بأنهم يخلقون أفعال العباد، هذا كلام جيد، لكنه كلام عام.

فنقول: أن القدرية بعضهم يقولون بأن الله يخلق الخير، وأن العباد هم يخلقون أفعال الشرور بأنفسهم حتى ينزهون الله عز وجل عن أنه يخلق الشر، قلنا ذلك في شرح الصنف الثاني من القدرية، ولذلك قلنا أن بعض أهل السنة والجماعة لم يكفرونهم لأنهم أثبتوا العلم والكتابة لكن قالوا بأنه لا يُنسَب خلق الشر إلى الله فنسبوا المعاصي والكفر والذنوب إلى العباد الذين هم يفعلونها. هذا هو مقصود القدرية هنا في الاستدلال بالحديث، لأن القدرية يحتجون بأن الكفر والمعصية ليست بقضاء الله بل هو مما ابتدءه الناس وهم الذين أحدثونه، لذلك الحديث يقول: **(كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ)** هذا خلق الله؛ الفطرة،**(فَأَبَوَاهُ)**، من؟ أبواه **(يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ)**، أي يكفرونه أو يجعلونه يأتي بالذنوب والمعاصي، فأرادوا أن يثبتوا – منهجهم الضال – في أن نسبة الكفر والمعاصي والذنوب والشرور لأفعال العباد ليست بقضاء من الله عز وجل وأن الله قضى الخير وانتهى – عندهم ذلك – وهم يقولون بأن هؤلاء أحدثوا الكفر والمعاصي. فهذا وجه استدلال القدرية بالحديث، وهذا الذي يبين لماذا الإمام الآجري أتى بالحديث ليرد عليهم وليبين أيضًا بطلان المقصد هذا.

وممكن نرد عليهم من آخر الحديث، والإمام مالك –رحمه الله ورضي الله عن الأئمة جميعًا– احتج على القدرية بآخر الحديث الذي قال فيه النبي ﷺ: «**اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ**» لما سُئِل عنهم النبي ﷺ «**اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ**» إذًا كل شيء قُدر وعُلِم في الكتاب من قبل. فهنا آخر الحديث يرد فيه على القدرية.

المسألة الثانية: ما معنى الفطرة؟ وما سبب الخلاف؟

بسبب أن القدرية احتجت بهذا الحديث وأنهم أرادوا أن يستدلوا بأن الحديث حجة لهم في مسألة خلق العباد لأفعالهم من الكفر والمعاصي والشرور، أدى ذلك إلى أن بعض أهل العلم من أهل السنة اختلفوا في تعريف الفطرة، أرادوا أن يردوا على القدرية في هذه المسألة في الحديث، فأرادوا أن يؤولوا معنى الفطرة **(كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ)** ما معنى الفطرة؟

فاختلفت الأقوال بتأويل معنى الفطرة، مع أن الأصل المستقر كان عند أهل السنة والجماعة بأن الفطرة بمعنى الإسلام، لكنه لما حدث ذلك من القدرية حاول بعض العلماء – أقول بعض العلماء – مخالفة ذلك بتأويل الفطرة عن معنى الإسلام؛ أي أرادوا أن يجعلوا الفطرة معناها غير معنى الإسلام، لماذا؟ حتى لا يكون هذا تدعيم لموقف القدرية. وحقيقة أنهم لا حاجة لهم

لذلك، لأن المنقول عن السلف أنهم ما فهموا في معنى الفطرة إلا الإسلام، ولا يلزم من حمل الفطرة بمعنى الإسلام أن نوافق القدرية على مذهبهم في مسألة ،(فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ)، لأن الرد يسير عليهم من آخر الحديث: (اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)، وأن ما وقع ذلك إلا بعلم من الله؛ أي أن هذا أمر يسير أن نقدر بأن هذا الذي حدث كله بتقدير من الله عز وجل، لأن النبي ﷺ قال في آخر الحديث: (اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ).

فهنا سنبين الأقوال؛ لأن هناك عدة أقوال بمعنى الفطرة جاء في الحديث واختلاف العلماء في ذلك. لكن نبين أولًا أن معنى أن نقول أن (كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ) أي على الإسلام ليس معناه أنه خرج من بطن أمه يعلم الدين، هذا ليس معناه كذلك، لأن الله عز وجل قال:{ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا} [النحل: 78] .

إذًا المراد هنا كما قال الإمام ابن القيم في ذلك أن المقصود بالفطرة هنا أن فطرته مقتضية لمعرفة دين الإسلام، وأن فطرته مقتضية لمحبة الإسلام، فنفس الفطرة مستلزمة للاقرار والمحبة؛ أي أن (كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ) معناها وُلِد على الاقرار وعلى المحبة لدين الإسلام، وليس المقصود بأنه ولد على الإسلام أي علم الإسلام! لا، فهو سيتعلم ويزداد العلم بعد ذلك، لكنه وُلِد على فطرة القبول والاقرار والمحبة للإسلام، ثم يأتي الأب أو الأم يهودانه أو يمجسانه. فكأن كل مولود وُلِد على اقراره بالربوبية لله عز وجل، أي كأنه – مثلًا تصويرًا – المولود الذي يولد الله عز وجل بيجعل الفطرة عنده عندما يريد الرضاعة أن يلتقم ثدي الأم، هذا عَلِم، لكن لو شغلته بشيء ممكن يلتفت لما تُشغله ويترك، لكنه مجبول على أنه يلتقم إن أراد الطعام.

فالفطرة كما جاءت من قوله تعالى في آية واحدة في القرآن: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [الروم: 30] ، جاءت في آية واحدة. أما بمعنى الفعل الذي هو (فطر) أو (الفاطر) هذه جاءت في آيات أخرى، لكن الفطرة جاءت في هذه الآية.

والأصل الفطرة في اللغة هو الابتداء؛ فطر الشيء أي ابتدأه أو اخترعه على غير مثال سابق، حتى ابن عباس رضي الله عنهما قال: [كُنْتُ لَا أَدْرِي مَا فاطر السموات وَالْأَرْضِ] وهذا من؟ ترجمان القرآن، مع أنها في اللغة [حَتَّى أَتَانِي أَعْرَابِيَّانِ يَخْتَصِمَانِ فِي بِئْرٍ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ أَنَا فَطَرْتُهَا، أَنَا بَدَأْتُهَا] فعلم ابن عباس أن فطرة الشيء أي ابتداء الشيء.

وجاءت في السنة الحديث الذي معنا: [ما مِن مَولودٍ إلَّا يولَدُ على الفِطرةِ، فأبَواه يُهَوِّدانِه أو يُنَصِّرانِه أو يُمَجِّسانِه، كما تُنتَجُ البَهيمةُ بَهيمةً جَمعاءَ، هل تُحِسُّونَ فيها مِن جَدعاءَ؟] فقال أبو هريرة رضي الله عنه بعد ما ذكر الحديث قال: {فِطرةَ اللهِ التي فطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبديلَ لخَلقِ اللهِ ذلك الدِّينُ القَيِّمُ} [الروم: 30]].

وقلنا **اختلف العلماء في معنى الفطرة**، ومنشأ الخلاف أصلًا هو بسبب أنهم أرادوا أن يبتعدوا عن مفهوم القدرية للحديث فحدث الخلاف في الفطرة، مع أن المستقر كما سنبين بأن الفطرة بمعنى الإسلام، لكن لها معاني:

القول الأول: قالوا هي الاقرار بمعرفة الله، وهو العهد والميثاق الذي أخذه الله عز وجل في أصلاب آبائهم حين مسح ظهر آدم عليه السلام فأخرج ذريته إلى يوم القيامة {وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآۛ } [الأعراف: 172] . لذلك يولد المرء على الاقرار بربوبية الله عز وجل؛ على أن الله هو الصانع، هو المدبر، هو الخالق، {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ } [الزخرف: 87] ، فكل مولود يولد على الفطرة، أي هنا يولد على الاقرار، وهذا القول الأول أن الفطرة: على الاقرار.

القول الثاني: قالوا معنى أن "كل مولود يولد على الفطرة" أي أن الله فطرهم على الإنكار والمعرفة، على الكفر وعلى الإيمان.

القول الثالث: قالوا الفطرة بمعنى الإسلام، لكنهم قالوا الإسلام الذي يخص المؤمنين فقط، لماذا؟ قالوا لأنه لو فطر الناس جميعًا على الإسلام لم يكن هناك أحد كافر، فقالوا الفطرة التي يراد بها الإسلام هو الإسلام الذي يخص المؤمنين الذين آمنوا بالفعل أو وُجدوا مؤمنين بعد ذلك، وإلا لو فطر الناس جميعًا على الإسلام لما كفر أحد منهم، والنصوص قد جاءت بأن الله عز وجل خلق أقوامًا للنار وخلق أقوامًا للجنة، وكما جاء في غلام الخضر لأنه طُبِع كافرًا، فقالوا إذًا الفطرة هنا يُقصد بها الإسلام الذي يخص المؤمنين فقط.

القول الرابع: الفطرة أي هي الخِلقة التي خُلِق عليها المولود من المعرفة بربه، الذي هو في معنى المقدمة لما قلنا أن كل مولود يولد على خِلقة يعرف بها ربه، يعرف بها الخالق، كما أن المولود لما بيولد يستطيع أن يعرف ويذهب إلى ثدي الأم ليلتقطه ليأخذ اللبن، فكأن المولود بيولد على السلامة في الطبع، وفي الخِلقة، وفي البنية، السلامة؛ ليس معها لا كفر ولا إيمان ولا معرفة ولا إنكار، ثم يعتقد الكفر والإيمان بعد ذلك؛ الذي هو بعد البلوغ والتكليف.

القول الخامس: هي البداءة التي ابتدئها الله عز وجل عليهم؛ أي هو ما ابتدئ على المرء سواء ابتدئ بالحياة أو بالموت، بالشقاوة أو السعادة، بمعنى البداية، الفطرة بمعنى البداءة أو البداية، إلى ما يصيرون إليه عند البلوغ، والتي هي كما جاءت في معنى اللغة؛ فطر الشيء أي ابتدأ الشيء، فهي الفطرة بمعنى ما ابتدئ عليه في الحياة من السعادة أو الشقاوة أو غير ذلك أو الموت إلى أن يصيروا للبلوغ ثم يكونوا عليهم بعد ذلك يجرى عليهم الأحكام.

القول السادس والأخير: أن الفطرة بمعنى الإسلام وهذا هو المعروف عند عامة السلف، من تفسير قوله تعالى:{ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ} [الروم: 30] ، وكما جاء في الأثر عن أبي هريرة رضي الله عنه لما ذكر هذا الحديث "كل مولود يولد على الفطرة" قال: [**فاقرَؤُوا إِنْ شِئْتُم: {فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ } [الروم: 30]**]، فكان هذا تفسير لأبي هريرة رضي الله عنه.

ونُقل عن عكرمة ومجاهد وإبراهيم النخعي والضحاك وقتادة أيضًا في قوله تعالى: {فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ} [الروم: 30] أن "فطرة الله" هي دين الإسلام.

واحتجوا أيضًا بجانب تفسير أبي هريرة وغيره من التابعين للآية قالوا حديث النبي ﷺ: **[خَمسٌ مِنَ الفِطرةِ]**، وهنا الفطرة يقصد بها الإسلام، خمس من الإسلام، فجعلت الفطرة مقابل الإسلام. وأيضًا من حديث عياض بن حمار رضي الله عنه قول الحديث القدسي:[**خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ**]، فقالوا هنا "الحنفاء" أي على الملة الحنيفية **[وإِنَّهُم أَتَتْهمُ الشَّياطينُ فاجتالَتْهم]**، أي عن الإسلام.

واستدلوا من النظر في الحديث لأن الصحابة سألوا النبي ﷺ بعد ذلك في آخر الحديث عن من يموت من أطفال المشركين وهو صغير، فلماذا سألوا؟ قالوا لأن الآباء غيروا الفطرة، فأرادوا أن يعلموا حكمهم، وهذا دلالة على أن الفطرة الأصل كان فيها الإسلام وغُيرت، لذلك أراد الصحابة أن يسألوا النبي ﷺ عن أطفال المشركين لأن الفطرة تغيرت على ما كانت، إذًا دلالة ذلك على أن **الفطرة يراد بها الإسلام، وهذا هو القول الراجح في المسألة**.

ولا يمنع أن هناك بعض الأقوال تجتمع؛ أي أن نقول أن الفطرة هي الإسلام ويدخل فيها الاقرار، ويدخل فيها الاعتقاد بالربوبية والمحبة لبعض الأقوال التي جاءت من الأقوال الخمسة الأخرى.

وقلنا أن هذه المسألة لم يكن فيها إشكال عند السلف، لكن لما خرج قول القدرية في الحديث أراد بعض العلماء أن يتجنبوا قول القدرية في الحديث فأرادوا أن يفسروا الفطرة بغير الإسلام، ولا حاجه لذلك قلنا، لأن حتى [فأبَواه يُهَوِّدانِه أو يُنَصِّرانِه أو يُمَجِّسانِه] كله بقدر من الله عز وجل، والدلالة على ذلك في آخر الحديث قول النبي ﷺ: (اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)، إذًا فكل شيء بعلم من الله. وفيه رد طبعًا على القدرية، كما يصح أيضًا أن نستدل بآخر الحديث على الجبرية لأن النبي ﷺ قد أثبت (بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)، إذًا العمل من قِبَل العباد وليس كما قالت الجبرية.

لكن لابد أن نبين كما قال ابن القيم أيضًا بأن الفطرة هذه هي فطرته المستلزمة للاقرار بربوبية الله وبمحبة الإسلام، وهذا هو معنى الفطرة التي فطر الله عز وجل عليها بني آدم، وهو التوحيد وعدم الشرك، ثم العلم بعد ذلك، لأن الأصل هو لم يخرج عالمًا بشيء كما قلنا:{ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا} [النحل: 78] ، إذًا لا يُتصَور بأنه خرج وسيعلم، هو خرج على الفطرة هذه فقط، ثم يكتسب بعد ذلك من العلوم ما يشاء.

المسألة الثالثة: حكم أطفال المشركين:

المسألة الأخرى التي معنا من المسائل في هذا الباب مسألة حكم أطفال المشركين التي سُئِل عنها النبي ﷺ في الحديث ونُقِلت في أكثر من رواية؛ قول النبي ﷺ: (اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)، وهناك رواية لابد أن نبينها التي قرأناها لما قال: (هُمْ مَعَ آبَائِهِمْ) الرواية التي فيها عبد الله بن أبي قيس، وعبد الله بن أبي قيس ضعيف فالحديث لم يثبت، لأنه لو ثبت وهو أحد الأقوال الستة –توجد أقوال تسعة في المسألة وسنوجز في أقوال ستة – فأحد الأقوال الستة أنهم قالوا أنهم في النار، والحديث هذا الذي فيه عبد الله بن أبي قيس حديث ضعيف: عن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي قَيْسٍ قَالَ: حَدَّثَتْنِي عَائِشَةُ زَوْجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَسَأَلْتُهَا عَنْ ذَرَارِيِّ الْمُشْرِكِينَ؟ فَقَالَتْ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُمْ فَقَالَ: «هُمْ مَعَ آبَائِهِمْ» فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِلَا عَمَلٍ؟ فَقَالَ: «اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ». هذا أحد الأقوال الستة. الحديث أولًا هذا فيه ضعف، وإن كنا سنبين أن هذا قول من أقوال السلف الذين قالوا بأن أطفال المشركين في النار، والروايات التي جاءت كلها غالبًا هنا في الباب الذي معنا قال فيها النبي ﷺ: (اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ).

لكن لابد أن نبين الأقوال المتنوعة فيها؛ سنوجز بست أقوال فقط لأن هذه أهم ست أقوال في المسألة، أو حتى ممكن نقول أن أهمهم ثلاثة أقوال أو أربعة لكننا سنبين ونتعرض لها.

فنقول لا شك بأن الله عز وجل هو الرحمن وهو الرحيم، وأن رحمة الله عز وجل واسعة وشملت المسلم والكافر في الدنيا، وشملت المسلم فقط في الآخرة، وقد بيَّن الله عز وجل بأنه خلق مائة رحمة وأنزل واحدة منها فقط في الأرض يتراحم بها الناس، وأبقى عنده تسعة وتسعين رحمة حتى يرحم بها الخلق جميعًا يوم القيامة من المسلمين، وقال سبحانه وتعالى: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ} [الأعراف: 156] . وقال في الحديث القدسي: [إِنَّ رَحمَتِي سَبَقَت غَضَبِي].

ومن رحمة الله عز وجل بأهل الإسلام أن ألحق بهم ذريتهم معهم، فمن مات من أهل الإسلام وكانت له ذرية من المسلمين وكانوا صغارًا مثلًا يكونون فرطًا له يوم القيامة يأخذون بيده – كما جاء في معنى الحديث – إلى الجنة، بل أنه يرفع الأب ابنه، وكذا يرفع الإبن أباه،{وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ} [الطور: 21] ، فيكون الأب سببًا في رفع الإبن له أو يكون الإبن سببًا في رفع الأب في درجات الجنة.

بل الأخوة يرفعون بعضهم بعضًا، أخوة الإسلام وليس أخوة النسب، قول النبي ﷺ: [استَكْثِرُوا من الإخوانِ، فإنَّ لكلِّ مؤمنٍ شفاعةً يومَ القيامةِ]، فأنت لما تستكثر من معرفة الإخوان لك في الله عز وجل رجالًا أو نساء- ونساء طبعًا مع الأخوات – يشفعون لك يوم القيامة، يكونوا سبب في شفاعتك، لذلك أيضًا كما جاء في السند الصحيح أنهم يوم القيامة يأتون يسألون الله عز وجل: [ربَّنا إخوانُنا كانوا يصلُّونَ معنا ويصومونَ معنا ويحجُّونَ معنا فأدخلتَهمُ النَّارَ فيقولُ اذهبوا فأخرجوا من عرفتُم منهم]، وهذه شفاعة المؤمنين بعضهم لبعض. لذلك الإكثار من معرفة المؤمنين والصالحين والصالحات يكون سببًا بإذن الله تعالى في الشفاعة يوم القيامة. فنقول هذا كله فضل ونعمة من الله عز وجل على أهل الإسلام وذريتهم من بعد ذلك.

أما أهل الكفر الذين ماتوا على الكفر وقد بلغوا مبلغ التكليف هؤلاء حكمهم قد بينهم الله عز وجل أنهم مخلدون في جهنم.

الإشكال في أطفال المشركين الذين ماتوا قبل البلوغ وقبل التكليف، ما حكمهم؟ هم لم يصلوا إلى التكليف، والأطفال يُلحقوا بآبائهم، فلو كان وُلد وأبوه نصرانيًا أو يهوديًا أو مشرك فهو ملحق به، والأب كان سببًا في ذلك، لكنه مات قبل التكليف، فما حكمه؟ هذا الذي حدث فيه الخلاف بين أهل السنة والجماعة في عدة أقوال:

1. **القول الأول**: أن أطفال المشركين في الجنة؛ بل هم قالوا خدم أهل الجنة، ولا فرق، هم خدم أهل الجنة أو في أي طبقة المهم أنهم دخلوا الجنة. **أين الأدلة على ذلك؟**

الدليل الأول: قول الله عز وجل:{ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى} [الليل: 15] ، وهؤلاء لم يصلوا إلى الشقاوة لأنهم ماتوا قبل البلوغ والتكليف، إذًا {لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى} هذا استثناء، لا يخلد في جهنم إلا الأشقى الذي مات على الكفر، وهؤلاء لم يكونوا من أهل التكليف حتى يكونوا من الكفار لأن مناط الأمر على التكليف، {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا} [الإسراء: 15] . إذًا قالوا هنا بأنه لا يوصف بالشقي لأنه لم يبلغ ويقام عليه الحجة، إذًا لا يدخل جهنم ولا يكون من أهل النار.

الدليل الثاني: أن النبي ﷺ رأى في المنام إبراهيم عليه السلام في الجنة وحوله أطفال المسلمين والمشركين، والحديث عند مسلم، أين وجه الدلالة من هذا الحديث على أن أطفال المشركين في الجنة؟

أن رؤيا النبي حق، والدلالة على أن رؤيا الأنبياء ﷺ حق {قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ} [الصافات: 102] ، فرأى إبراهيم عليه السلام في المنام أنه يذبح إسماعيل عليه السلام، فقال: {ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ} ، إذًا رؤيا الأنبياء أوامر، وحي من الله عز وجل، إذًا هذه تدل على أن رؤيا النبي حق، فلابد أن يُعمل بها، فلما رأى النبي ﷺ إبراهيم وأطفال المشركين معه في الجنة دل ذلك على أن أطفال المشركين في الجنة.

الدليل الثالث: حديث وإن كان سنده فيه ضعف لكن هم استدلوا به لكن هو بمجموع الطرق يصل لحسن لغيره، وهو حديث النبي ﷺ لما سُئل عن أولاد المشركين ورواه البخاري قال: [أَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ خَدَمُ أَهْلِ الْجَنَّةِ]، لكن الحديث بمجموع الطرق يصل للحسن لغيره.

الدليل الرابع: من قوله تعالى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا} [الإسراء: 15] ، وجه الدلالة أن أطفال المشركين ليسوا من أهل التكليف، إذًا لن يُعذبوا لأنهم لم يصلوا إلى التكليف،

فالتكليف مناط العذاب، فلا تكليف إذًا لا عذاب، خاصة أن الملائكة لم تكتب عليهم شيء، فكيف سيعذبون والصحف فارغة!

فهذا هو القول الأول وهو الراجح الصحيح، لكن نستأنس بالأقوال الأخرى لأن هذا خلاف. فنقول أن هذا هو القول الصحيح ولكن كثير من العلماء من أهل السنة الجماعة لم يقولوا بهذا القول.

2. **القول الثاني**: أن أطفال المشركين في النار، واستدلوا بأدلة؛

الدليل الأول: الحديث الصحيح عن النبي ﷺ لما سُئل في الغزو عن من يصيبوا من الكفار ومن الأطفال والذراري، قال:[**هُمْ مِنْهُمْ**] عن أطفال المشركين، قال "هم منهم" أي هم من المشركين، والمشرك مقر أنه في النار، إذًا أطفال المشركين سيكونون معهم في النار.

الدليل الثاني: حديث فيه ضعف سنبينه؛ عن خديجة رضي الله عنه وأرضاها سألت النبي ﷺ عن ابنائها فقال "ابنائك في النار، وابنائك مني في الجنة". فقالوا هذا دلالة على أن أطفال المشركين إذا ماتوا على الكفر؛ أبناء خديجة من غير النبي ﷺ كانوا في النار. والحديث فيه محمد بن عثمان وهو مجهول، والحديث فيه ضعف.

الدليل الثالث: الذي هنا رواه الإمام الآجري حديث عائشة لما سُئل، قال: «**هُمْ مَعَ آبَائِهِمْ**» **فَقَالَتْ**: **يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِلَا عَمَلٍ**؟ وقلنا الحديث فيه عبد الله بن أبي قيس وهو ضعيف، وطبعًا الحكم فرع عن التصحيح. وأيضًا في رواية أخرى عن عائشة لما سألت النبي ﷺ عن أطفال المشركين، قال "لو أردت أن تسمعي أصواتهم في النار لأسمعتك"، وطبعًا هذا الحديث أيضًا فيه ضعف، هذا الحديث فيه يحيى بن المتوكل وهو ضعيف. والذين قالوا بهذا القول هم الخوارج.

الدليل الرابع: حديث صحيح عند البخاري لكنه فيه نكتة حديثية؛ وهو اختصام الجنة والنار، فالنار تطلب المزيد والجنة تطلب المزيد، فالنار لما تطلب المزيد جاء في الحديث بأنه يُنشئ لها خلقًا آخر فتمتلئ به. أولًا لو صح هذا اللفظ؛ كيف الاستدال به على أن أطفال المشركين في النار؟

لما يقول "فينشئ لها خلقًا آخر"، فإذا كان سينشئ خلقا للنار فما الإشكال أن أطفال المشركين يدخلوا النار؟ هذا لو قلنا مع ثبوت اللفظ، لأن هذا الحديث مقلوب مع أنه عند البخاري، مقلوب لأن الذي سيُنشئ لها خلقًا جديدًا وتمتلئ به هي الجنة وليس النار، فهذا مقلوب لأن لا يمكن

أن ينشئ خلق جديد ويوضع في النار لأن الله عز وجل عدل لا يمكن أن ينشئ خلق ويدخلون النار من غير حساب، فهذا ينافي عدل الله عز وجل. وقلنا بأن الله عز وجل لا يخلف وعده لكن يخلف وعيده؛ وعده بأن من عمل الصالحات سيدخل الجنة، ووعيده ممكن أن يغفر لمن يشاء من أهل القبلة، لكن أن ينشئ ناس ويدخلهم النار فهذا منافي لعدل الله عز وجل.

3. **القول الثالث**: قالوا بالتوقف؛ قالوا يتوقف الحكم، وأن أمرهم إلى الله عز وجل. والدليل الروايات المتعددة التي كانت معنا في الباب لما سُئل النبي ﷺ قال: «**اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ**» ، فوض النبي ﷺ الأمر إلى الله تعالى. والقول الثالث هذا نُسِب للإمام أحمد أنه قال التوقف عاملًا بهذه الروايات.

كيف يمكن أصوليًا الرد على هذه الزيادة في الحديث؟ قال النبي ﷺ: «**اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ**».

الرد عليهم نقول أن هذا خبر من النبي ﷺ بأن «**اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ**»، ولا يتعرض للحكم، أي أن هذا ليس خبر يراد به الإنشاء، فالنبي ﷺ يخبر «**اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ**»، والله عز وجل أعلم بما كانوا عاملين، ولم يتعرض النبي ﷺ إلى الحكم. فهذا الوجه الأول بالرد على من قال بالتوقف؛ على أن الكلام خبر وليس انشاء، فقط أن النبي ﷺ بيخبر ولم يتعرض لحكم أطفال المشركين، فلا يُستدل بهذه الزيادة على حكم أطفال المشركين لا في الجنة ولا في النار ولا في أي شيء لأن هذا خبر.

وكذلك نقول أن الدليل يحتمل بأنهم يكونوا في الجنة، ويحتمل أنهم يكونوا في النار، ويحتمل أنهم يقبلون أو لا يقبلون، إذًا **لما يأتي بدليل الاحتمال يسقط به الاستدلال**، فلا يصح الاستدلال به لأنه تعرض للاحتمال.

4. **القول الرابع**: قالوا أطفال المشركين يُختبرون يوم القيامة، وهذا القول الذي قال به شيخ الإسلام ابن تيمية، وقال به ابن القيم – رحمة الله على الجميع – .

استدلوا بأدلة؛ قالوا أن الله عز وجل يختبرهم يوم القيامة فمن نجح في الاختبار يدخل الجنة وإلا فمن لم ينجح في الاختبار يدخل النار، قاسوهم قالوا هم الصغار لهم الحجة على الله عز وجل، حديث الأربعة الذين لهم الحجة على الله عز وجل يوم القيامة؛ فيقول المجنون لم يكن أعقل وكان الناس يرموني بالبعر، والأصم الذي لم يكن يسمع، والشيخ الذي بلغ الكبر فلم يكن

مستطيعًا، الأربعة الذين يحتجون على الله عز وجل يوم القيامة. فقالوا الصغار من الذين يحتجون على الله عز وجل يوم القيامة؛ أي لهم الحجة.

وذكروا حديث عن الأسود التيمي قالوا أربعة لهم الحجة على الله يوم القيامة وذكروا من الأربعة الصغار. وحديث لأنس أيضًا قالوا الهالكين صغار لهم الحجة على الله يوم القيامة ويختبرون يوم القيامة فمن أطاع نجى وإلا فلا. وكل الأحاديث التي قلناها الآن فيها راوي يسمى "الليث ابن أبي سليم" وهو ضعيف، لذلك الأحاديث مدارها على هذا الراوي وفيها ضعف، والليث مدلس وضعيف. وفيها أيضًا "عطية العوفي" وهو أيضًا ضعيف.

والحق بأن الأربعة الذين لهم الحجة على الله عز وجل ليس فيهم الصغار؛ فيهم الهرم والمجنون والأصم وأهل الفترة، وليس فيهم الصغار، والصغار لم يدخلوا في الأربعة، وكل الروايات ليست بصحيحة التي جاءت في الصغار، والأحكام فرع عن التصحيح فلا يثبت بها حكم.

وقلنا أن هذا القول قول شيخ الإسلام ابن تيمية وهم أخذوا قول النبي ﷺ هنا أيضًا «**اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**» أخذوا هذا القول مع الأحاديث التي عندهم وقالوا «**اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**» سيمتحنون، فهو أعلم من كان منهم سينجو سيدخل الجنة ومن كان لن ينجو سيدخل النار. وهذا قول قوي لشيخ الإسلام ابن تيمية في هذه المسألة، وحقيقة من أقوى الأقوال فيها.

5. **القول الخامس**: قالوا بأنهم تحت المشيئة؛ إن شاء الله عز وجل أدخلهم الجنة وإن شاء أدخلهم النار. ولا أعلم دليلًا لذلك، لكن هو قول موجود.

6. **القول السادس**: قالوا حكمهم حكم أهل الأعراف، وأيضًا لا أعلم دليلًا، فحتى أهل الأعراف في التفسير لم يدخل فيهم الأطفال.

هذه الأقوال الستة اختصارًا، وهناك أقوال أخرى تجاوزنا عنها، لكن **القول الراجح والله أعلم في ذلك هو القول الأول**، والدليل صريح وهو حديث في مسلم وهو رؤيا النبي ﷺ لإبراهيم عليه السلام في الجنة ومعه أطفال المشركين ومعه أطفال المسلمين، وأيضًا لأنهم دون التكليف وقد ماتوا فليسوا من أهل التكليف فيكون الأصل فيهم أنهم من أهل الجنة.

♦ **لو أخذنا هذه المسألة وطبقناها على المبتدعة؛ ماذا سيقول المعتزلة- وهم القدرية- في أطفال المشركين؟ وماذا سيقول الأشاعرة والجبرية؟**

ارجعوا للأصول وأنتم تضبطوا المسألة؛؛

ماذا يروا المعتزلة في مسألة دخول الجنة؟ كيف يدخل عندهم المرء الجنة؟ يرون بأنه يدخل المرء الجنة بعمله الصالح، ويدخل النار بعمله الفاسد. فهذا الأصل عند المعتزلة أن المسألة ثمنية، أنها مقابلة.

على هذا الأصل ماذا سيحدث مع أطفال المشركين؟ أقلها سيقولوا أنه لا يجوز أن يعذب الله أطفال المشركين، لماذا؟ لأنهم لم يعملوا معاصي، فعندهم لا يدخلون النار.

والجبرية والأشاعرة ماذا سيقولوا؟

وانتبه.. نحن عندنا خلاف في أهل السنة؛ فالبعض قال يدخلون الجنة، والبعض قال يدخلون النار، والبعض قال يتوقف، والبعض قال (اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) سيمتحنون.

هنا الجبرية والأشاعرة ماذا سيقولون على أصولهم؟

الضابط عند الجبرية والأشاعرة في دخول الجنة والنار بإرادة الله عز وجل، فهم عندهم إن أراد أن يدخلهم الجنة أدخلهم وإن أدخلهم النار فلا ينقص ذلك من الله عز وجل، لماذا عندهم ذلك؟ لأنه مالك الرقاب يتصرف كيفما شاء؛ فإن أراد أن يدخلهم النار لا يُسئل سبحانه وتعالى عما يفعل وهم يُسئلون، وإن أراد أن يدخلهم الجنة أدخلهم، لأن المسألة عندهم ليست بالأعمال، لكن هي إرادة الله عز وجل.

إذًا عند الأشاعرة والجبرية سيقولون إن شاء أدخلهم الجنة وإن شاء أدخلهم النار، ليس كالمعتزلة.

أما أهل السنة هم الذين كان عندهم الإشكال في مسألة اثبات حكم أطفال المشركين.

هذا كان نهاية الكلام، وهذا نهاية الجزء الخامس عند الطبعات، وسنبدأ إن شاء الله الأسبوع القادم في الجزء السادس. والجزء الذي سيأتي هذا سنجري فيه سريعًا لأنه ليس فيه مسائل كثيرة وهو فقط نقولات بداية من الخلفاء الراشدين إلى التابعين والأئمة عن ذمهم للقدرية وغير ذلك.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

المحاضرة السابعة والأربعون

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام على موعد مع شرح كتاب الشريعة للإمام الآجري – عليه رحمة الله تعالى، هذا الكتاب المبارك نسأل الله عز وجل أن يتم علينا الخير في هذا الكتاب ليعلمنا ما ينفعنا وأن نعمل بهذا العلم الذي ننتفع به وننشره بين الناس تأصيلًا وتأسيسًا لعقيدة أهل السنة والجماعة، وردًا على الطوائف المبتدعة التي خالفت أهل السنة والجماعة في أبواب العقيدة المختلفة.

مازال الإمام الآجري يرد على القدرية، وقد أصَّل لنا في الأبواب السابقة ما جاء في الكتاب وما جاء في سنة النبي ﷺ والأبواب المختلفة في الرد عليهم، ثم سيسرد القدر الذي سيأتي معنا عن السنة؛ عن الخلفاء، والصحابة، وعن التابعين، وتابعي التابعين، وأقوال الأئمة في ذمهم للقدرية وما قالوه في ذلك. وهذا هو الجزء السادس في بعض الطبعات سنحاول أن نمر عليه لأن التأصيل قد بيناه في الأبواب السابقة، لكننا سنستأنس بهذه الآثار وما كان فيها من لفتات

ونكات وفوائد نبينها بإذن الله تعالى، وإلا سنمر عليها قراءة ونستخلص منها الفوائد التي قد تفيدنا، وإن كان كلها فيها فوائد لكن البعض فيها تكرار حتى لا نعيد مرة أخرى ما قد بيناه من قبل، فسندخل على بَابُ ذِكْرِ مَا تَأَدَّى إِلَيْنَا عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مِنْ رَدِّهِمَا عَلَى الْقَدَرِيَّةِ, وَإِنْكَارِهِمَا عَلَيْهِمْ

43- بَابُ ذِكْرِ مَا تَأَدَّى إِلَيْنَا عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مِنْ رَدِّهِمَا عَلَى الْقَدَرِيَّةِ وَإِنْكَارِهِمَا عَلَيْهِمْ

415 - أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَمَّنْ أَخْبَرَهُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَدَّادٍ قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ، فَجَعَلَهُمْ نِصْفَيْنِ, فَقَالَ لِهَؤُلَاءِ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ، وَقَالَ لِهَؤُلَاءِ: ادْخُلُوا النَّارَ وَلَا أُبَالِي"

416- حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْبَغَوِيُّ قَالَ: نَا دَاوُدُ بْنُ رُشَيْدٍ قَالَ: نَا يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، وَعَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ: "يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَوْ لَمْ يَشَأْ أَنْ يُعْصَى مَا خَلَقَ إِبْلِيسَ"

بدأ المؤلف بأبي بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه فذكر بأن الله عز وجل (خَلَقَ الْخَلْقَ، فَجَعَلَهُمْ نِصْفَيْنِ)، هنا الشاهد (فَجَعَلَهُمْ نِصْفَيْنِ) لأن الله عز وجل هو الذي جعل الخلق نصفين، (فَقَالَ لِهَؤُلَاءِ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ، وَقَالَ لِهَؤُلَاءِ: ادْخُلُوا النَّارَ وَلَا أُبَالِي).

طبعًا كل الروايات التي ستأتي في الرد على القدرية فلابد أن تستحضروا معنا أصول القدرية التي نرد عليهم فيها؛ من حيث أنهم يقولون بأن العباد هم الذين يخلقون أفعالهم بأنفسهم، وأعلى قول عندهم في الغلاة أن الله لا يعلم ولم يكتب ولم يقدر من قبل ما يفعله العباد، والبعض يفصل بين الخير والشر، كل هذه من الأمور التي قد تكلمنا عنها، فستجد الروايات التي معنا والآثار فيها الرد على ذلك.

هنا (فَجَعَلَهُمْ نِصْفَيْنِ) أي الله عز وجل هو الذي جعل ذلك، إذًا هذا من تقدير الله عز وجل، إذًا هذا يبين أن الله قد قدر أن هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار، هذا في سابق علم الله عز وجل.

ثم الرواية الثانية: (قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ : "يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَوْ لَمْ يَشَأْ أَنْ يُعْصَى مَا خَلَقَ إِبْلِيسَ)، إذًا (لَوْ لَمْ يَشَأْ) فحتى المعاصي والذنوب مخلوقة لأن الله خلق إبليس وهو يوسوس للناس، فخلق إبليس وهو أعظم الشرور، فالله قد خلق إبليس وخلق أيضًا باقي الخير والشر، هذا رد على القدرية الذين يقولون بأن أفعال الشر والشرور لا يخلقها الله عز وجل، نقول نعم هناك فرق بين الكسب والفعل – المباشرة – وبين الخلق والايجاد، هذا كله قد بيناه من قبل.

417 – وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْحَجَّاجِ السَّامِيُّ قَالَ: نَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الْمُخْتَارِ قَالَ: نَا خَالِدٌ الْحَذَّاءُ، عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ قَالَ: خَطَبَنَا عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْجَابِيَةِ، وَالْجَاثَلِيقُ مَاثِلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ،

(الْجَابِيَةِ) هذا مكان، و(الْجَاثَلِيقُ) هذا كبير النصارى ويسمى الْجَاثَلِيقُ، (مَاثِلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ) أي هو بيحضر الخطبة، هذه خطبة عظيمة جدًا لأن الخطبة هذه التي خطبها عمر بن الخطاب دخل بسببها ناس كُثُر في الإسلام، هو كان قد حدث الفتح فخطب عمر وحضر الْجَاثَلِيقُ هذا الذي سنبين ما قاله، لكن كان هناك كفار ونصارى وبسبب خطبة عمر رضي الله عنه وأرضاه الكثير منهم دخل في الإسلام، فـ (الْجَاثَلِيقُ) هذا هو رئيس للنصارى لكنه في بلاد الإسلام؛ أي كأن النصارى الموجودين في بلاد الإسلام كبيرهم هذا يسمى الْجَاثَلِيقُ.

417 – وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْحَجَّاجِ السَّامِيُّ قَالَ: نَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الْمُخْتَارِ قَالَ: نَا خَالِدٌ الْحَذَّاءُ، عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ قَالَ: خَطَبَنَا عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْجَابِيَةِ، وَالْجَاثَلِيقُ مَاثِلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالتُّرْجُمَانُ يُتَرْجِمُ فَقَالَ عُمَرُ: مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، فَقَالَ الْجَاثَلِيقُ: إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِلُّ أَحَدًا، فَقَالَ عُمَرُ: مَا يَقُولُ؟ فَقَالَ التُّرْجُمَانُ: لَا شَيْءَ، ثُمَّ عَادَ فِي خُطْبَتِهِ، فَلَمَّا بَلَغَ: مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، فَقَالَ الْجَاثَلِيقُ: إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِلُّ أَحَدًا، فَقَالَ عُمَرُ: مَا يَقُولُ؟ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ، وَلَوْلَا عَهْدُكَ لَضَرَبْتُ عُنُقَكَ، بَلِ اللَّهُ خَلَقَكَ، وَاللَّهُ أَضَلَّكَ، ثُمَّ اللَّهُ يُمِيتُكَ، ثُمَّ يُدْخِلُكَ النَّارَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ: " إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا خَلَقَ آدَمَ نَثَرَ ذُرِّيَّتَهُ، فَكَتَبَ أَهْلَ الْجَنَّةِ وَمَا هُمْ عَامِلُونَ، وَأَهْلَ النَّارِ وَمَا هُمْ عَامِلُونَ، ثُمَّ قَالَ: هَؤُلَاءِ لِهَذِهِ، وَهَؤُلَاءِ

لِهَذِهِ "وَقَدْ كَانَ النَّاسُ تَذَاكَرُوا الْقَدَرَ، فَافْتَرَقَ النَّاسُ، وَمَا يَذْكُرُهُ أَحَدٌ

418 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نَا وَهْبُ بْنُ بَقِيَّةَ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: أنا خَالِدٌ وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ خَالِدٍ وَهُوَ ابْنُ مِهْرَانَ الْحَذَّاءُ أَبُو الْمَنَازِلِ عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ قَالَ: خَطَبَنَا عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْجَابِيَةِ، وَالْجَاثَلِيقُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالتُّرْجُمَانُ يُتَرْجِمُ، فَقَالَ عُمَرُ: «مِنْ يَهْدِهِ اللَّهُ، فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ» وَذَكَرَ الْحَدِيثَ إِلَى آخِرِهِ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: وَقَدْ ذَكَرْنَا عَنْ عُمَرَ وَعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حَدِيثَهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْقَدَرِ، وَهُوَ أَصْلٌ كَبِيرٌ مِمَّا يُرَدُّ بِهِ عَلَى الْقَدَرِيَّةِ الْأَشْقِيَاءِ وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ أَنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُ النَّاسَ إِثْبَاتَ الْقَدَرِ ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ شَقِيًّا وَسَعِيدًا

هنا هذا الأثر عن خطبة عمر كما قلنا أمام الجاثليق، وهو كان رئيس النصارى في بلاد الإسلام، وبعضهم يقول أنه كان هو الأعلى، ثم تحته بطريرك أنطاكية نسبة إلى الكنيسة هناك ثم يقولون بعده المطران، ثم بعد المطران يقولون الأسقف، وبعد الأسقف القسيس، ثم بعد القسيس الشماس، كان هذا ترتيب عندهم. لكن هو وظيفة لرئيس النصارى في بلاد الإسلام، طبعًا غير ذلك الذي عندهم في بلادهم البابا هذا أو غير ذلك على حسب الترتيب الذي عندهم.

فكان عمر بن الخطاب يخطب فبدأ بخطبة الحاجة التي كان يخطب بها النبي ﷺ فقال: (مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ)، إذًا الهداية والضلالة من الله عز وجل. وقال الْجَاثَلِيقُ (إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِلُّ أَحَدًا)، فكأن هذا قريب من قول القدرية على أنهم يجعلون الضلالة والشرور من فعل العباد، وأن هذا ليس من تقدير الله، أو كأن الله لا يقدر الضلالة، وهذا كله موافق لما تقوله القدرية. فلذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه بفطنته شك فيه أولًا ماذا يقول، المترجم لم يخبره، ثم في الثانية أخبره فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه: (كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ، وَلَوْلَا عَهْدُكَ لَضَرَبْتُ عُنُقَكَ).

ثم بيَّن له بعد أن قال له (وَلَوْلَا عَهْدُكَ لَضَرَبْتُ عُنُقَكَ) قال: (بَلِ اللَّهُ خَلَقَكَ، وَاللَّهُ أَضَلَّكَ، ثُمَّ اللَّهُ يُمِيتُكَ، ثُمَّ يُدْخِلُكَ النَّارَ، إِنْ شَاءَ).

(إِنْ شَاءَ) هنا ليست إن شاء يدخلك النار فقط، لكن من الأول؛ لأنه قال:(وَاللَّهُ أَضَلَّكَ، ثُمَّ اللَّهُ يُمِيتُكَ) أي على هذه الضلالة إن شاء، أو(أَضَلَّكَ) إن شاء، (ثُمَّ يُدْخِلُكَ النَّارَ). لأن البعض يأخذ إن شاء يدخلك النار وإن شاء لم يدخلك النار إن مات على الكفر! لكن هنا نقول لابد تنظر إلى السياق بالكلية، لذلك هو يقول بأنه قد يُسلم، وقد يموت على هذه الضلالة. لكنه يريد أن يبين له بأن الضلالة كانت لأن الله قدر عليه ذلك، وأن الله عز وجل يميته على ذلك إن أراد ذلك، ثم يدخله النار بعد ذلك. ثم قال: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا خَلَقَ آدَمَ نَثَرَ ذُرِّيَّتَهُ، فَكَتَبَ أَهْلَ الْجَنَّةِ وَمَا هُمْ عَامِلُونَ، وَأَهْلَ النَّارِ وَمَا هُمْ عَامِلُونَ).

طبعًا الحديث كله برمته يرد على القدرية، لنبين بأن الله عز وجل يضل من يشاء ويهدي من يشاء، لأن الأمر كله من عند الله عز وجل بالتقدير؛ الخير والشر أيضًا.

وفيه رد على الجبرية؛ لأن عمر رضي الله عنه قال: (فَكَتَبَ أَهْلَ الْجَنَّةِ وَمَا هُمْ عَامِلُونَ)، فالجبرية تقول أن العبد لا يعمل، وينسبون الفعل كله لله عز وجل، فهنا (أَهْلَ الْجَنَّةِ وَمَا هُمْ عَامِلُونَ) الذين يدخلون الجنة بسبب العمل، (وَأَهْلَ النَّارِ وَمَا هُمْ عَامِلُونَ) فهذا رد على الجبرية، فالجبرية تقول بأن العبد لا يفعل شيئًا بل ينسبون الفعل كله لله فقط، حتى لو قال منهم الأشاعرة بنظرية الكسب لكن مباشرة الفعل ليست للعبد عندهم. فالحديث فيه رد أيضًا على الجبرية على أن أهل الجنة وهم عاملون أي أنهم يدخلون الجنة بالعمل، وهم يعملون، وأهل النار أيضًا يعملون؛ هذا يعمل الطاعات وهؤلاء يعملون المعاصي. قال:(هَؤُلَاءِ لِهَذِهِ، وَهَؤُلَاءِ لِهَذِهِ) بسبب عملهم.

قال: (وَقَدْ كَانَ النَّاسُ تَذَاكَرُوا الْقَدَرَ، فَافْتَرَقَ النَّاسُ، وَمَا يَذْكُرُهُ أَحَدٌ)، طبعًا هنا أولًا فيه جواز أخذ المترجم؛ جواز أن يكون عند ولي الأمر أو أمير المؤمنين المترجم يترجم لغيره ما يقوله ولي الأمر أو أمير المؤمنين، أو يترجم ما يقوله الثاني لأمير المؤمنين حتى يفهم ما يقولونه. حتى النبي ﷺ كلف زيد بن ثابت بتعلم العبرية حتى يأمن اليهود فتعلمها في ثلاثة عشرة يومًا أو احدى عشرة يومًا على الرواية. المهم أن هذه فيها مسألة الترجمان.

المسألة الثانية العهد؛ لأن من كان له عهد مع أمير المؤمنين ومع ولي أمر المسلمين لابد أن يُحترم، لذلك عمر رضي الله عنه وأرضاه لما قال هذه الكلمة هو أصلًا كافر، وهذه الكلمة لها ما لها من القدرية من تأويل عند أهل العلم. فالعهد هذا لأمير المؤمنين للكفار؛ سواء كان عهد الأمان بالدخول، لأن طبعًا العهود ثلاثة؛ إما أن يكون مستأمن أو يكون دخل بعهد أمان،

أو يكون من أصحاب الجزية الذين يؤدون الجزية ويستقرون بين المسلمين، والثالث أهل الهدنة. فهنا يقول:(لَوْلَا عَهْدُكَ لَضَرَبْتُ عُنُقَكَ) لماذا؟ ما الذي منعه؟ لأن العهد عاصم؛ يعصم من استباحة الدماء ومن استباحة الأموال، فيجلسون في كنف المسلمين في أمان على أموالهم وعلى دمائهم مقابل إما لو كانوا أهل جزية فيدفعون الجزية، أو لو كان عهد أمان مؤقت، أو الهدنة. فهنا منعه من ذلك العهد الذي قد أعطاه له، وهذه دلالة على احترام العهود والمواثيق.

فنقول هنا دلالة على أن ولي الأمر لابد أن يوفي بعهد الأمان، وإما اذا أراد أن ينقض هذا العهد كما جاءت في الآيات بأنه يبلغه قبلها بفترة أو مدة بأنه سيفسخ هذا العهد أو لن يجدد إن كان مؤقتًا، ثم له بعد ذلك أن يفعل به ما يريد، لكن احترام العهود والمواثيق هذه من أصول الشريعة عندنا، بل كما جاء الشرع يبين بأن لو عَهَد مسلم دخل أحد في كنفه أو في عهده في أمانه فعلى باقي المسلمين أن يحترموا عهد الأمان هذا، وهذا من عزة الإسلام بأنك إن أمَّنت أحد فعلى باقي المسلمين أن يحترموا عهد الأمان هذا، لذلك هذه مسألة وقع فيها من وقع بأنهم لم يحترموا العهود والمواثيق واستباحوا الدماء، وهذا ليس فيه صواب منهم، لكن إن أراد ولي الأمر أن ينقض هذا العهد فله أن يفعل ذلك.

هنا أيضًا قلنا عمل أهل الجنة وعمل أهل النار واثبات ذلك العمل فيه الرد على الجبرية. هذا في هذا الأثر الذي معنا.

420 - وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: نَا مُحَمَّدُ بْنُ وَزِيرٍ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: نَا نُوحُ بْنُ قَيْسٍ الطَّاحِيُّ، عَنْ سَلَامَةَ الْكِنْدِيِّ قَالَ: كَانَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُعَلِّمُ النَّاسَ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُ: " قُولُوا: اللَّهُمَّ دَاحِيَ الْمَدْحُوَّاتِ، وَبَارِئَ الْمَسْمُوكَاتِ، وَجَبَّارَ الْقُلُوبِ عَلَى فِطْرَتِهَا، شَقِيِّهَا وَسَعِيدِهَا، اجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ، وَنَوَامِيَ بَرَكَاتِكَ، وَرَأْفَةَ تَحَنُّنِكَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ " وَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ وَأَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ زَاطْيَا قَالَ: نَا مُحَمَّدُ بْنُ وَزِيرٍ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: نَا نُوحُ بْنُ قَيْسٍ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِإِسْنَادِهِ مِثْلَهُ

هنا لابد من بيان الأثر الذي قرأناه الآن؛ ذكره ابن بطة في (الإبانة الكبرى) - وهذا الكتاب ماتع جدًا كتاب ابن بطة (الإبانة الكبرى) من كتب العقيدة المهمة حقيقة اسنادًا أيضًا. لكن الحديث فيه راوي ضعيف جدًا رماه الإمام أحمد بالوضع وهو "مبشر بن عبيد الحمصي" فهذا الحديث إما أن يكون ضعيفًا جدًا أو موضوع لأن الإمام أحمد رماه بالوضع، فهذا سندًا. وأيضًا

الناظر في المتن يجد أن فيه نكارة، أين النكارة؟ النكارة بأن سيدنا علي رضي الله عن وأرضاه يبعُد أن يكون يعلم الناس الصلاة على النبي ﷺ بمثل هذا، لأنه قد ثبت في الصحيح بأن الصحابة جاؤوا للنبي ﷺ قالوا قد علِمنا كيف نسلم عليك الصلاة، فكيف نصلي عليك؟ فعلمهم النبي ﷺ كيف يصلون الصلاة الإبراهيمية، فجاء تعليم النبي ﷺ للصحابة في الصلاة وهذا الثابت، فان أراد سيدنا علي رضي الله عنه وأرضاه أن يعلم الناس الصلاة سيعلمهم ما ثبت في الصحيح، وأما هذه الكلمات وهذه الجمل فيها ما فيها من النظر سواء متنًا؛ بينا الآن أن هذه تخالف في الأصول في الشرع في كيفية الصلاة على النبي ﷺ وهذا الذي يُقدَّم وهذا الذي يُعلَّم للناس، وسواء سندًا بينا أن فيه راوي ضعيف جدًا أو وضَّاع كما قال الإمام أحمد، فهذه الرواية فيها نظر من حيث الثبوت سندًا وأيضًا متنًا.

421- وَأَخْبَرَنَا أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْحُلْوَانِيُّ قَالَ: أنا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُونُسَ قَالَ: نَا عَبْدُ الْعَزِيزِ وَهُوَ ابْنُ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ: أنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ فِي حَدِيثٍ رَفَعَهُ إِلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: " ذُكِرَ عِنْدَهُ الْقَدَرُ يَوْمًا، قَالَ: فَأَدْخَلَ إِصْبَعَيْهِ فِي فِيهِ: السَّبَّابَةَ وَالْوُسْطَى قَالَ: فَأَخَذَ بِهِمَا مِنْ رِيقِهِ، فَرَقَمَ بِهِمَا فِي ذِرَاعِهِ ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ هَاتَيْنِ الرَّقْمَتَيْنِ كَانَتَا فِي أُمِّ الْكِتَابِ "

هذا كله تاكيدًا لمسألة القدر، هو أراد أن يبين أن {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} [القمر: 49] كما قال سبحانه وتعالى، فما من شيء في الكون إلا قد قُدِّر قبلها وقد قدره الله عز وجل وكتبه في كتابه في اللوح المحفوظ إلى غير ذلك، فأراد أن يمثل لهم بذلك (فَأَدْخَلَ إِصْبَعَيْهِ فِي فِيهِ: السَّبَّابَةَ وَالْوُسْطَى قَالَ: فَأَخَذَ بِهِمَا مِنْ رِيقِهِ، فَرَقَمَ بِهِمَا فِي ذِرَاعِهِ) أي كأنه علَّم به من ذراعه أو بينه ثم قال أن هذا كل ما أفعله (أَشْهَدُ أَنَّ هَاتَيْنِ الرَّقْمَتَيْنِ كَانَتَا فِي أُمِّ الْكِتَابِ)، أي كل شيء صغير كان أو كبير لأن {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} [القمر: 49] كل شيء؛ صغير أو كبير قد قدره الله عز وجل من قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة.

422- وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: نَا أَيُّوبُ شَيْخٌ لَنَا قَالَ: نَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَمْرٍو الْبَجَلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ هَارُونَ بْنِ عَنْتَرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: أَتَى رَجُلٌ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْقَدَرِ،؟ قَالَ: «طَرِيقٌ مُظْلِمٌ، فَلَا تَسْلُكْهُ» قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْقَدَرِ؟ قَالَ: بَحْرٌ عَمِيقٌ فَلَا تَلِجْهُ " قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْقَدَرِ؟ قَالَ: «سِرُّ اللَّهِ فَلَا تُكَلِّفْهُ» قَالَ: ثُمَّ وَلَّى

الرَّجُلُ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ لِعَلِيٍّ: فِي الْمَشِيئَةِ الْأُولَى أَقُومُ وَأَقْعُدُ، وَأَقْبِضُ وَأَبْسِطُ فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلَاثِ خِصَالٍ، وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَكَ وَلَا لِمَنْ ذَكَرَ الْمَشِيئَةَ مَخْرَجًا، أَخْبِرْنِي: أَخَلَقَكَ اللَّهُ تَعَالَى لَمَّا شَاءَ، أَمْ لَمَّا شِئْتَ؟ " قَالَ: لَا، بَلْ لَمَّا شَاءَ قَالَ: أَخْبِرْنِي، أَفَتَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا شَاءَ أَوْ كَمَا شِئْتَ؟ قَالَ: لَا، بَلْ كَمَا شَاءَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي، أَجَعَلَكَ كَمَا شَاءَ، أَوْ كَمَا شِئْتَ؟ قَالَ: لَا، بَلْ كَمَا شَاءَ قَالَ: فَلَيْسَ لَكَ فِي الْمَشِيئَةِ شَيْءٌ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: مَنْ خَالَفَ هَؤُلَاءِ خُولِفَ بِهِ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ

وهذا الحديث أيضًا ذكره اللالكائي في (أصول أهل السنة والجماعة) وابن بطة في (الإبانة) وأيضًا الحديث فيه ضعف بل بعضهم قالوا ضعيف جدًا لأن فيه عبد الملك بن هارون بن عنترة هو وأبيه فيه ضعف، وأيضًا فيه إسماعيل بن عمرو البجلي وهو ضعيف أيضًا.

لكن اللفتة هنا؛ إن صح السند؛ **ما المقصود بقول علي رضي الله عنه:(فَلَيْسَ لَكَ فِي الْمَشِيئَةِ شَيْءٌ)؟ لأنه ممكن يتعلق بها من قالوا بالجبر، فما المشيئة المقصودة هنا؟**

مراتب القدر أربعة؛ علم فكتب فشاء فخلق، والمشيئة هنا مشيئة كونية، لماذا؟ لانه يقول (فَلَيْسَ لَكَ فِي الْمَشِيئَةِ شَيْءٌ) إذًا هو بينفي ويقول أنه ليس له في الكون شيء، هذه المشيئة الكونية، لكن في الشرعية أنت لك {وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ} [الإنسان: 30] ، فأنا أريد توجيه فقط لهذا الكلام إن ثبت السند كما قلنا.

423 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ قَالَ أنا أَبُو عَامِرٍ الْعَقَدِيُّ قَالَ: نا هِشَامُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ، عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ قَالَ: قَدِمْتُ الْبَصْرَةَ، وَبِهَا عِمْرَانُ بْنُ الْحُصَيْنِ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَلَسْتُ فِي مَجْلِسٍ، فَذَكَرُوا الْقَدَرَ فَأَمْرَضُوا قَلْبِي فَأَتَيْتُ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ فَقُلْتُ: يَا أَبَا نُجَيْدٍ إِنِّي جَلَسْتُ مَجْلِسًا فَذَكَرُوا الْقَدَرَ فَأَمْرَضُوا قَلْبِي فَهَلْ أَنْتَ مُحَدِّثِي عَنْهُ؟ فَقَالَ: " نَعَمْ: تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَوْ عَذَّبَ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَأَهْلَ الْأَرْضِ لَعَذَّبَهُمْ حَيْثُ يُعَذِّبُهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ أَوْسَعَ لَهُمْ، وَلَوْ كَانَ لَكَ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقْتَهُ مَا تُقُبِّلَ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ، خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَسَتَقْدُمُ الْمَدِينَةَ فَتَلْقَى بِهَا أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ قَالَ: فَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَجَلَسْتُ فِي مَجْلِسٍ فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ فَقُلْتُ لِأُبَيٍّ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ، إِنِّي قَدِمْتُ الْبَصْرَةَ، فَجَلَسْتُ فِي

مَجْلِسٍ فَذَكَرُوا الْقَدَرَ فَأَمْرَضُوا قَلْبِي، فَهَلْ أَنْتَ مُحَدِّثِي عَنْهُ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَوْ عَذَّبَ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَأَهْلَ الْأَرْضِ لَعَذَّبَهُمْ حِينَ يُعَذِّبُهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ أَوْسَعُ لَهُمْ، وَلَوْ كَانَ لَكَ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقْتَهُ مَا تُقُبِّلَ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَدِّثْ أَخَاكَ» قَالَ: فَحَدَّثَنِي بِمِثْلِ مَا حَدَّثَنِي بِهِ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ

424 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي مَيْمُونُ بْنُ الْأَصْبَغِ النَّصِيبِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو صَالِحٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ أَنَّ أَبَا الزَّاهِرِيَّةِ، حَدَّثَهُ عَنْ كَثِيرِ بْنِ مُرَّةَ، عَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ يَعْنِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الدَّيْلَمِيِّ، أَنَّهُ لَقِيَ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ فَقَالَ لَهُ: إِنِّي شَكَكْتُ فِي بَعْضِ أَمْرِ الْقَدَرِ، فَحَدِّثْنِي لَعَلَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ لِي عِنْدَكَ فَرَجًا قَالَ: نَعَمْ، يَا ابْنَ أَخِي، «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَوْ عَذَّبَ أَهْلَ السَّمَاءِ وَأَهْلَ الْأَرْضِ عَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ إِيَّاهُمْ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنَّ لِامْرِئٍ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا يُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يُنْفِذَهُ، لَمْ يُؤْمِنْ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، مَا تُقُبِّلَ مِنْهُ، وَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ» فَذَهَبَ ابْنُ الدَّيْلَمِيِّ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَقَالَتِهِ لِسَعْدٍ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لَهُ سَعْدٌ، وَقَالَ لَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ: وَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَلْقَى أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ " فَذَهَبَ ابْنُ الدَّيْلَمِيِّ إِلَى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، فَقَالَ لَهُ: مِثْلَ مَقَالَتِهِ لِابْنِ مَسْعُودٍ، فَقَالَ لَهُ أُبَيٌّ مِثْلَ مَقَالَةِ صَاحِبَيْهِ، وَقَالَ لَهُ أُبَيٌّ: وَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَلْقَى زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، فَذَهَبَ ابْنُ الدَّيْلَمِيِّ إِلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، فَقَالَ لَهُ: إِنِّي شَكَكْتُ فِي بَعْضِ الْقَدَرِ فَحَدِّثْنِي لَعَلَّ اللَّهَ، أَنْ يَجْعَلَ لِي عِنْدَكَ مِنْهُ فَرَجًا قَالَ زَيْدٌ: نَعَمْ يَا ابْنَ أَخِي، إِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَوْ عَذَّبَ أَهْلَ السَّمَاءِ وَأَهْلَ الْأَرْضِ عَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنَّ لِامْرِئٍ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا يُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يُنْفِذَهُ، لَا يُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ دَخَلَ النَّارَ»

مجموعة الأحاديث هذه فيها من الفوائد العظيمة من أول رواية (أَبِي الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ قَالَ: قَدِمْتُ الْبَصْرَةَ، وَبِهَا عِمْرَانُ بْنُ الْحُصَيْنِ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَلَسْتُ فِي مَجْلِسٍ، فَذَكَرُوا الْقَدَرَ فَأَمْرَضُوا قَلْبِي فَأَتَيْتُ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ فَقُلْتُ: يَا أَبَا نُجَيْدٍ إِنِّي جَلَسْتُ مَجْلِسًا فَذَكَرُوا الْقَدَرَ فَأَمْرَضُوا قَلْبِي)، هنا يبين لك كيف كان يتعهد السلف الصالح قلوبهم، وأن مدار الأمر في زيادة الإيمان وفي تنقيته من شوائبه على ما يكون في القلب، فهو لما جلس مجلس كان فيه ما فيه من مخالفة أمر الله عز وجل أو العقيدة الصحيحة تأثر القلب بذلك، وهذا يدل

على أن القلوب النقية إن جلست في غير المجالس الصالحة تتأثر وتمرض القلوب، ومن صلاح المرء إن كان من السلف الصالح أنه إذا دخل إلى قلبه شيء لو سمع كلامًا وأمرض القلب لا يقف، بل يذهب إلى أولي العلم، ويذهب إلى صحابة النبي ﷺ في زمانهم – فكانوا هم العلماء – ليسألونهم عما يرفع هذا الذي أصاب قلبه من المرض، وهذه دلالة على أن هؤلاء السلف الصالح كانوا يتعهدون القلب تعهدًا شديدًا، وكان جل اهتمامهم بمسألة القلوب وأمراض القلوب لأن هذا هو الباطن الذي يحرك الظاهر كما قال النبي ﷺ: [**ألا إن في الجسدِ مضغةً إذا صلَحتْ صلَحَ لها سائرُ الجسدِ**]، فالقلب هو الأصل، القلب هو الملك، والجوارح هي الحواشي له أو الوزراء أو غير ذلك. فلابد أن تهتم بالملك أولًا؛ إذا صلح حاله صلح حال الرعية أصالة.

فهنا قال:(**فَأَمْرَضُوا قَلْبِي**)، وهذا فيه دلالة على أن المرء إذا شهد المنة شكر، وإذا شهد التقصير تاب واستغفر ورجع، فلابد أن المرء يكون بين شهود المنة وشهود التقصير؛ شهود المنة أن الله عز وجل يمن عليك بنعائم، فلما تشهد النعائم هذه والمنة هذه والفضل تشكر الله عز وجل، وشهود التقصير لما تسمع شيء يمرض قلبك أو يؤثر فيه أنك لا تقف عند ذلك، لا تقبله، بل تنكره وترده وتبحث عن من يزيل هذا الهم من قلبك، وهذا هو المهم؛ أنك تنظر إلى القلب.

نحن للأسف كثير من نظرتنا تكون إلى العبادات الظاهرة؛ حتى العبادات الظاهرة التي نؤديها لا تقوي قلوبنا؛ فالصلاة مثلًا الأصل فيها أنك لما بتقوم في الصلاة بتقوم لأن الإيمان يدخل في القلب، لأنه به صلة بينه وبين ربك، فأنت تكون خالي بينك وبين ربك فيؤثر ذلك على قلبك، لكن من يؤدي الصلاة ظاهرًا ولا يتأثر بها، أو يقوم فيقرأ من الليل ما يستطيع لكنه لا يؤثر على قلبه، أو يمر القرآن على قلبه فيقرأه وردًا كان أو قراءة يوميًا ولا يشعر بتعلق القلب فيه إذًا هنا يوجد إشكال لأنه هنا هو لم يستحضر هذه العبادة على قلبه، فلن تجد الإيمان يدخل فيه فلن يزيد، لكن ظاهرًا فهو يؤدي، وإلا فنجد كثير من العبادات تؤدَّى ظاهرًا ولا تؤثر في القلوب.

لكن هؤلاء كانوا حقيقة ينظرون إلى ما يؤثر في القلب ولا يتركونهم، فهذا التابعي الجليل ذهب إلى عمران بن حصين لما جلس مجلسًا سمع فيه كلامًا أمرض قلبه في القدر فأنكره، فأراد أن يزيل هذا المنكر فأتى إلى عمران بن حصين، قال: (**فَأَمْرَضُوا قَلْبِي فَهَلْ أَنْتَ مُحَدِّثِي عَنْهُ؟**)، وهنا فيه بيان أيضًا مهم جدًا على أنك إن أردت أن تزيل الشبهات وأردت أن تزيل المنكرات

التي دخلت في قلبك فعليك بأهل العلم؛ ليس عليك بالقصَّاص، ولا بأصحاب الرقائق والبكاء، ولا عليك بالذين يتكلمون في القصص ويسلون الناس! هذا لن يفيدك، لن يرفع عنك ما في القلب، لكن الذي يرفع عنك ما في القلب أن تتعلم أو تذهب لأهل العلم فيدلك، لذلك هو ذهب لعمران بن حصين.

وانظر بعد ذلك مسألة أخرى مهمة جدًا؛ فهناك فوائد في ذلك؛ أن عمران بن حصين لم يكتف، بل أرشده أن يأتي للمدينة، فلما يأتي أرشده إلى عالِم آخر من علماء الصحابة؛ ابن مسعود وأبي بن كعب، ثم انظر إلى زيد، ثم...، كل واحد يعلمه ثم يريد له الخير، فيقول إذا قدِمت المدينة فاذهب لابن مسعود وأبي بن كعب، فيذهب لابن مسعود، فبعد ابن مسعود ما يقول له ويعلمه يقول اذهب لأبي فيعلمه أبي، وأبي يقول اذهب لسعد ويعلمه سعد، ثم يقول له اذهب لزيد بن ثابت، والكل يحيل الرجل إلى صحابي من علماء الصحابة ليثبته ويذكره ويؤكد له.

وهنا الاحالة أيضًا فيها أمر مهم، لماذا؟ لأن كل واحد من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم قالوا له نفس الكلام، وهذا دليل على أنه يؤكد في قلبه أن ما أقوله لك وأنا في الكوفة – عمران بن حصين – سيقوله لك من هم في المدينة من صحابة النبي ﷺ بأكثر من صحابي، فيه دلالة على أن العلم راسخ عند هؤلاء، وأنت عندما تسمعه من هؤلاء الصحابة العلماء فسيثبت في قلبك، فهو يريد الخير لهذا الرجل، جاء ليتعلم فعلمه، ولم ينهره ولم يقهره ولم يقل له كيف قلبك يمرض، وكيف تظن ذلك بالله أنت على خطر عظيم! لا، الرجل جاء ليتعلم، قال (فَأَمْرَضُوا قَلْبِي) أردت أن أرفع.

فجاء أولًا للعلماء، هذه مسألة مهمة جدًا؛ لأن الآن المسألة أصبحت مفتوحة؛ فأنت ممكن تريد أنك تسأل ولا تعلم أين تسأل، فتذهب لأي أحد! بعض الناس يذهبون لمقيم الشعائر في المساجد، أو للمؤذن، أو لإمام يصلي وليس من أهل العلم، هو يظن أن هذه المكانة ستكلمه في العلم! وهذا خطأ. عليك أن تتحين وتسأل عن من عنده العلم فتذهب لتسأل. هذا الرجل لما ظهر ما ظهر في قلبه ذهب إلى عمران بن حصين لأنه كان أعلم الصحابة الموجودين في الكوفة ليتعلم منه، ثم أرشده عمران أيضًا إلى باقي الصحابة في المدينة. إذًا على المرء إن أصابه شيء أن يسأل.

نحن المشكلة عندنا أن جُل سؤال الناس هو يريد أن يجد أي أحد أمامه مظهره عنده التزام يسأله ويقول أنا سألت، وفي مسائل قد تكون معاملات، في مسائل قد تكون في عقود نكاح وطلاق، في مسائل حتى في العبادات، ولا ينتقي من يسأله! وهو يسأل ويقول أنا سألت،

والبعض لا يسأل أصلًا. لكن هؤلاء كانوا يتعهدون قلوبهم قبل أن يتعهدون أيضًا معاملتهم وعبادتهم، فكانوا يسألون. فهنا لفتة أخرى؛ أنك لابد أن تسأل أهل العلم، لابد أن تتخير من الذي تسأله، هذا أصل أصيل.

ثم انظر إلى كيف تعامل الصحابة رضوان الله عليهم؛ ما كان أحد يستأثر بشيء، أراد الخير لصاحبه الذي يسأله فأرشده إلى عدد من الصحابة الكرام ليؤكد له هذا العلم وهذه المعلومة وهذا الرسوخ، ليبين له أن هذا أصل أصيل عندنا في شرعنا، وهذا يدل على أنك تريد الخير لاحد فتدله حتى لو كان أعلم منك، لو جاء يسألك في مسألة وأنت الآن أجبته لكن ممكن تقول له اسأل فلان هذا الشيخ أعلم، أو هذا الشيخ أتقن، أو هذا الشيخ تحرى معه حتى يفيدك في هذه المسألة، فتتأكد عندك المعلومة فتثبت لك الحكم الشرعي ولا يكون في صدرك شيء. وهذا الذي فعله عمران بن حصين لما أحاله إلى المدينة ثم فعل معه الصحابة في المدينة أيضًا مثل ذلك.

ثم ما ذُكر له من الأثر لما اجتمعوا جميعًا على الأثر المنقول والذي سمعوه من النبي ﷺ قال: (تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَوْ عَذَّبَ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَأَهْلَ الْأَرْضِ لَعَذَّبَهُمْ حِينَ يُعَذِّبُهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ)، هذه طبعًا تبين أول شيء تمام عدل الله عز وجل؛ أن الله عز وجل عدل سبحانه وتعالى وهو الذي نفى عن نفسه الظلم وجعله محرمًا بين العباد كما جاء في الحديث القدسي: [يا عِبادي، إنِّي حَرَّمتُ الظُّلمَ على نَفسي، وجَعَلتُه بينَكُم مُحَرَّمًا]، وقال تعالى: {وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ} [فصلت: 46] ، و{ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} [الكهف: 49] . فالله عز وجل هو العدل سبحانه وتعالى فلا يمكن أن يظلم أحد لأن الظلم أصلًا هو وضع الشيء في غير موضعه.

ومسألة الظلم هذه وقع فيها من وقع فيها من المبتدعة، فأهل السنة والجماعة يرون تعريفًا للظلم بخلاف تعريف عند مثلًا الأشاعرة وغيرهم، فعند **أهل السنة والجماعة** يرون بأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه، أما **الأشاعرة** يرون بأن الله عز وجل نفى الظلم عن نفسه، انتبهوا هنا لماذا نفي الله عز وجل الظلم عن نفسه؟ لأن الظلم في تعريفه هو وضع الشيء في غير موضعه، فالله عز وجل لا يُتصور ولا يمكن أن يضع الشيء في غير موضعه سبحانه وتعالى، فهو الذي يقدر كل شيء، ويخلق كل شيء، ويكتب كل شيء، هو الذي يعلم كل شيء، **الأشاعرة** لما قالوا في مسألة نفي الظلم عن الله قالوا لماذا الله عز وجل يُنفى عنه الظلم؟ قالوا لأن الظلم أنك تتصرف في غير ملكك، قالوا التصرف في ملك الغير، ولأن الله عز وجل مَلَك الكون والمخلوقات فله أن يتصرف بما شاء! **وهذا التعريف غير مقبول**، لأن

المسألة ليست لتمام ملك الله عز وجل في أنه يتصرف كما يراد، هذا حتى فيه نوع من سوء الأدب في التعريف، كأنك تقول بأن الله لا يظلم لأنه يتصرف كما يريد في الكون لأنه مالك للكون، فأي شيء يفعله في الكون فهو بيفعل في ملكه فأنت لا مؤاخذة عليك، فأخذوا نفي الظلم عن الله عز وجل من هذا الباب، وهذا ليس قول أهل السنة والجماعة، **فأهل السنة والجماعة** ينفون الظلم عن الله عز وجل ليس لمسألة الملكية! لا، لكن لأن الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، ولا يمكن لله عز وجل أن يضع الشيء في غير موضعه سبحانه وتعالى.

لذلك هنا قال: (أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَوْ عَذَّبَ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَأَهْلَ الْأَرْضِ لَعَذَّبَهُمْ حِينَ يُعَذِّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ)، طيب هو لماذا غير ظالم لهم إذا عذبهم؟ وما فائدة ذلك في باب القدرية؟ (وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ أَوْسَعُ لَهُمْ)، قلنا من تمام عدل الله أنه حتى إذا عذبهم هذا من باب العدل، هو لم يظلمهم لعدله نعم، لماذا؟ أين العدل هنا؟ العدل لأنهم قد فعلوا ما يستحقون العذاب، إذًا فعلوا أم لم يفعلوا؟ إذًا هم عملوا هذه الأعمال وخالفوا فيها أمر الله الشرعي، فالله عز وجل إذا أخذهم بذلك فغير ظالم لهم.

لكن قال: (وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ أَوْسَعُ لَهُمْ)، إذًا تبين على أن هنا لو عفى الله عز وجل عن ذلك لكانت رحمة الله عز وجل أوسع، وطبعًا هذا كله فيما دون الشرك، لأن الله عز وجل {إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ} [النساء: 48] ، إذًا ما كان دون الشرك فالله عز وجل إن أراد أن يحاسب المرء عليه فهذا من تمام عدله ولم يظلم ربنا أحد، وإذا أراد الله عز وجل أن يغفر ويرحم العبيد فهذا من تمام رحمته سبحانه وتعالى ومن تمام فضله لأنه قال: [رَحمَتِي سَبَقَت غَضَبِي] كما قال سبحانه وتعالى، فالرحمه سابقة للغضب، وهذا كله بأن الله عز وجل قد يخلف وعيده ولا يخلف وعده؛ ما وعده عبادة من الجنة فلابد أن لا يخلفه، لكن إذا توعد أحد في النار فله أن يخلف ذلك أن كان هؤلاء في مشيئته أو دون الكفر.

فمن تمام الإيمان بالقدر أن (تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَوْ عَذَّبَ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَأَهْلَ الْأَرْضِ لَعَذَّبَهُمْ حِينَ يُعَذِّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ أَوْسَعُ لَهُمْ).

قال: (وَلَوْ كَانَ لَكَ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا) أي هذا كأنه ليس لك مثل أُحد ذهب، أي حتى لو كان لك مثل أُحد ذهب فأنفقته ما تقبل منك حتى تؤمن بالقدر خيره وشره. وهذا يبين لك؛ وإن كنا قد بيناها من قبل، عدم قبول انفاقك هذه الصدقه العظيمة لأنك خرجت عن الإسلام وعن الإيمان بعدم الإيمان بالقدر، لأن الدلالة على أن الله عز وجل لا يقبل إلا من المتقين ولا يقبل من

الكافرين: {وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ} [التوبة: 54] ، فمنع قبول النفقة منهم لأنهم وقعوا في الكفر أو في النفاق الاعتقادي، فهنا دلالة على أن الإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان، وهو أحد أركان الإيمان الستة، وأنه لا يصح إيمان العبد إلا به، فمن لم يؤمن بالقضاء والقدر فلن تُقبَل منه ولو أتى بقراب الأرض صدقات ونفقات وأعمال لأنه قد أخل بركن من أركان صحة الإيمان، فهذه إشارة على أن الإيمان بالقدر ركن من أركان صحة الإيمان وليس من كمال الإيمان.

هذا كان الحديث الأول فيه ما فيه من الفوائد.

ثم لما لقي سعد بن أبي وقاص ذكر له نفس الحديث أيضًا، وتوجد زيادة هنا، قال: (وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ إِيَّاهُمْ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ) وهذا رد على المعتزلة؛ الذين يرون بأن دخول الجنة ثمنية، مقابلة أي الباء هنا ليست سببية. فهنا يقول: (وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ إِيَّاهُمْ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ) لأن الرجل الذي جاء يوم القيامة فأراد أن يدخل الجنة فوضع الحسنات فالله عز وجل يقول: [أدخِلوا عبديَ الجنَّةَ برَحمتي فيقولُ يا ربِّ بل بعملي]، غرَّه عمله، [أدخِلوا عبديَ الجنَّةَ برَحمتي فيقولُ يا ربِّ بل بعملي فيقولُ أدخِلوا عبديَ الجنَّةَ برحمتي فيقولُ ربِّ بل بعملي فيقولُ الرَّبُّ جلَّ جلالهُ قايسوا عبدي بنعمتي عليه وبعملِهِ فتؤخذُ نعمةُ البصَرِ قد أحاطتْ بعبادةِ خمسمائةِ سنةٍ وبقيَتْ نعمةُ الجسدِ فضلًا عليه فيقولُ أدخِلوا عبدي النَّارَ فيُجرُّ إلى النَّارِ فينادي ربِّ برحمتِكَ ربِّ برحمتكَ أدخِلني الجنَّةَ] قال فأتوا بأعماله وضعوا له نعمة من نعائم الله عز وجل، فلما وجد بأن نعمة واحدة من نعائم الله عز وجل السمع أو البصر أو غير ذلك تطيش بها كل أعماله الصالحة وأنه لن يدخل الجنة بأعماله في مقابل فضل الله عز وجل عليه إذا جاءت المسألة مقابلة، فقال [ربِّ برحمتِكَ] .

وهذا يدل على أن الأعمال سبب في دخول الجنة وليست مقابلة كما قالت المعتزلة في ذلك كأن العبد أجير عند الله عز وجل، فإن أدى الأجير ما يطلبه منه المؤجر؛ أي فعل الطاعات والعبادات التي أُمِر بها شرعًا، كان حقًا للأجير أن يأخذ الأجر من المؤجر، فكانت الجنة عندهم حقًا لذلك. وهذا سوء أدب لأننا بينا بأن الأعمال لا يمكن أن تكون في مقابلة نعائم الله عز وجل ودخول الجنة، بل هي رحمة الله عز وجل التي يدخل بها المرء، حتى أن النبي ﷺ قال: [لا يَدْخُلُ أَحَدٌ مِنكم الجنةَ بِعَمَلِه] تصريحًا، [قالوا: ولا أَنتَ يا رسولَ اللهِ؟ قال: ولا أنا، إلَّا أنْ يَتغمَّدَنِي اللهُ منه بِرَحْمةٍ وفَضْلٍ]، إذًا الأعمال سبيل، ولذلك لا يغتر أحد بعمله؛ لا يظن أن كثرة صيام، أو كثرة قراءتك للقرآن، أو قيامك لليل، أو تعليمك أو علمك أو تعلمك، أو صدقتك، أو

أمرك بالمعروف والنهي عن المنكر أن كل هذا تغتر به فتظن أن هذا قد ضمنت به الجنة! لا، الثلاثة الذين أول ما يسعر بهم النار من هم؟ القارئ والمتصدق والمجاهد. إذًا المسألة كلها لابد لك أنك تخلص فقط في العمل لله عز وجل، ويكون على هدي النبي ﷺ. وأما أنك تظن بأن هذا العمل سيكون مقابلًا لك أن تدخل الجنة! لا، أنت لن يمكن أن تدخل الجنة إلا برحمة من الله وبفضل من الله عز وجل، أنت فقط تُقَدِّم حتى يقبل الله منك، لأن الله عز وجل قال: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ} [المائدة: 27] ، فإن علمت كما قال ابن عمر: [**لو علمت أن الله تعالى يقبل مني سجدة واحدة، وصدقة درهم؛ لم يكن غائب أحب إلي من الموت**]، فهو لو كان عَلِم أن الله تقبل منه سجدة أو عمل لكان الموت أحب إليه، لماذا؟ لأنه إذا علم بقبول الله فهو من المتقين، إذًا يموت الآن لأن الله عز وجل لو تقبل منك إذًا أنت من المتقين، إذًا أنت من أهل الجنان. فهنا لابد للمرء ألا يغتر بأعماله، بل يعلم بأن دخول الجنة – كما قال النبي ﷺ – برحمة من الله عز وجل.

425 – وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نَا مِنْجَابُ بْنُ الْحَارِثِ قَالَ: أنا أَبُو الْأَحْوَصِ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الْحَارِثِ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ يَعْنِي ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "لَا يَذُوقُ عَبْدٌ طَعْمَ الْإِيمَانِ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ، وَبِأَنَّهُ مَبْعُوثٌ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ

426 – وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: نَا وَكِيعٌ، عَنِ الْمَسْعُودِيِّ، عَنْ مَعْنٍ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ يَعْنِي ابْنَ مَسْعُودٍ: «مَا كَانَ كُفْرٌ بَعْدَ نُبُوَّةٍ إِلَّا كَانَ مَعَهَا التَّكْذِيبُ بِالْقَدَرِ»

هذا أثر عن ابن مسعود رضي الله عنه: (لَا يَذُوقُ عَبْدٌ طَعْمَ الْإِيمَانِ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ)، وهذا دلالة على أن المرء يشعر بحلاوة الإيمان، وكما قال السلف الصالح: "ما اجتهدت في الطاعة إلا بعد أن تعلمت أبواب القدر" لأنه علم بأنه لما كان على هذا الخير وأن الله اصطفاه أن يكون من أهل السعادة فزاد في عمل أهل السعادة، وهذا لا يكون للمرء إلا بعد أن يتعلم، فالقدر سر من أسرار الله عز وجل، والقدر (دحض مزلة) فعلًا وقع فيه أناس كثر في القدر لما دخلوا في باب ليس له، لكن من تعلم القدر بتعلم الصحابة له وفَقِه معنى الإيمان بالقدر كان سببًا في زيادة الطاعات له، وفي زيادة عمل الخير لأنه نشط لذلك، وعلم أن الله اصطفاه وقدر له الهداية والصلاح فزاد في ذلك، كما قال النبي ﷺ لما بشَّر أبو بكر وعمر في أحد الأحاديث – كما قلنا من قبل – لما أرادوا أن يستاذنوا يدخلوا عليه فقال أدخلهما وبشرهما بأن لهم الجنة، قال أفلا أخبرهما؟ قال لا. هنا وقف العلماء طيب لماذا لا يبشرهما الصحابي بأن

النبي قد بشرهما بالجنة؟ قالوا في التوجيه بأبو بكر وعمر لأن هناك رواية أخرى لما قال عمر للنبي ﷺ لا حتى لا يتكلوا، لما قال النبي ﷺ من قال لا إله إلا الله دخل الجنة، هذه معلومة؛ يتكلوا، لكن النبي ﷺ منع أن يُخبَر بها أبو بكر وعمر ليس لذلك، بل لأنه يعلم حرص أبو بكر وعمر على التقرب أكثر إلى الله عز وجل، فخاف عليهما من الاجتهاد في الطاعة أن يهلكا أنفسهما بذلك لأنهم علموا أنهم من أهل الجنة فيكون شكرانًا.

لذلك نحن نقول بأنك إذا وفقك الله إلى طريق الهدى وطريق الصلاح وطريق العلم وطريق العبادة وطريق الحق فإنه حري بك أن تجتهد أيضًا بذلك لتقترب أكثر، وهذا من باب الشكر لله عز وجل؛ أنك تشكر الله على هذه النعائم التي أنعمها عليك، وإلا انظر حولك من الناس في الأمم كلها كم من هم على الإسلام؟ وكم من هم على العقيدة الصحيحة؟ وكم من هم من الذين على العقيدة الصحيحة اصطفاهم الله عز وجل ليكون لهم اجتهاد في دين الله عز وجل أو في التعلم وفي دعوة الناس أو في ذلك؟ تجد قليل من قليل من قليل، فلما تكون في هذا القليل فأنك تعلم بأنك على الخير، وأنك تبادر إلى الله عز وجل، وتسارع في زيادة ذلك.

لذلك قال: (لَا يَذُوقُ عَبْدٌ طَعْمَ الْإِيمَانِ)، نحن أحيانًا تغيب عنا هذه المسائل، أحيانًا أنت لا تستشعر نعمة الله عز وجل عليك فتؤدي بعض العبادات وتؤديها هكذا تأدية، لكنك لو استرجعت هذا الباب وعرضت ما أنت فيه من حال فتستشعر حلاوة ما تعمله من طاعة لأنك تعلم أنك في خير، وانك ما جلست هذا المجلس الذي نحن فيه الآن إلا أن الله اصطفاك لأنه مجلس تحفه الملائكة وتصعد الأسماء إلى الله عز وجل. فأنت لو تدبرت بأن الله عز وجل – وهو أعلم بحالنا – يصعد اسمك، فالله عز وجل مطلع ويرى اسمك في صحائف الملائكة، فأي فضل أنت فيه الآن! فكيف لمن عَلِم هذا الفضل ومن عَلِم هذا الاصطفاء أن يتركه؟ كيف بأنك إن وُفِّقت إلى هذا أن تترك هذا بعد ذلك! مغبون الذي يعلم بأنه وُفِّق إلى هذا وهداه الله إلى ذلك ثم يترك ذلك ويذهب إلى غير ذلك! فهذا لا يستشعر. لكن من استشعر ذلك ذاق طعم الإيمان كما قال ابن مسعود رضي الله عنه.

قال: (وَبِأَنَّهُ مَبْعُوثٌ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ)، وهذه طبعًا الإيمان بالبعث؛ أحد أركان الإيمان الستة. وهذا أيضًا فيه دلالة على أنك إن تدبرت بأنك راجع إلى ربك وأنك حقًا ستقف بين يدي الله عز وجل فيمنعك هذا من اقتراف المعاصي والذنوب، ويمنعك من أنك تتجرأ على محارم الله عز وجل، يمنعك من أكل الربا، يمنعك من قول النميمة، يمنعك من قول الغيبة، يمنعك من

الكذب على الناس، يمنعك من القتل في اخوانك وأخواتك إلى غير ذلك، لأنك راجع إلى ربك فملاقيه، فلابد أنك ستقف بين يدي الله عز وجل، وكل شيء قد سُجِّل عنك.

ثم قال: (مَا كَانَ كُفْرٌ بَعْدَ نُبُوَّةٍ إِلَّا كَانَ مَعَهَا التَّكْذِيبُ بِالْقَدَرِ)، وهذا دلالة على أن من لوازم الكفر بعد الإيمان أن المرء لابد سيكذب القدر، ولها روايات أخرى على أن ما من أمة كفرت إلا كان لها نصيب من التكذيب بالقدر، لأنه قال: (مَا كَانَ كُفْرٌ بَعْدَ نُبُوَّةٍ إِلَّا كَانَ مَعَهَا التَّكْذِيبُ بِالْقَدَرِ)، أي أن النبوة جاءت، والرسالة واضحة جلية، فأي كفر سيأتي لابد أن يكون نصيبه ركن من أركان الإيمان أيضًا، أي لابد أن من كفر أنه لم يؤمن بالله حق الإيمان، لأنه لو آمن بالله حق الإيمان ما كفر من باب الربوبية، أو كفر من باب الألوهية، أو كفر من باب الأسماء والصفات. وأيضًا لو آمن بالرسل لابد له من اتباع الرسل فله نصيب في ذلك، لو آمن بالكتب كان لابد أن يتبع الكتب، لكن لما رد الكتاب وكفر فكان له نصيب من ذلك، وأيضًا من باب القدر كأنه يقول أنه ما كفرت أمة بعد ظهور النبوة أو الإيمان إلا وكان لهم نصيب في هذا الباب.

427 - وَأَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ الْبُخَارِيُّ قَالَ: نَا مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ لُوَيْنٌ قَالَ: نَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ مَطَرٍ الْوَرَّاقِ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ قَالَ: لَمَّا تَكَلَّمَ مَعْبَدُ الْجُهَنِيُّ بِمَا تَكَلَّمَ فِيهِ فِي شَأْنِ الْقَدَرِ، فَأَنْكَرْنَا مَا جَاءَ بِهِ، فَحَجَجْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِيُّ حَجَّةً، فَلَمَّا قَضَيْنَا نُسُكَنَا قَالَ: أَحَدُنَا لِصَاحِبِهِ: مِلْ بِنَا إِلَى طَرِيقِ الْمَدِينَةِ، أَوْ لَوْ مِلْتَ بِنَا إِلَى الْمَدِينَةِ؟ فَلَقِينَا بِهَا مَنْ بَقِيَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلْنَاهُمْ عَمَّا جَاءَ بِهِ مَعْبَدٌ، فَمِلْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ، فَدَخَلْنَا الْمَسْجِدَ وَنَحْنُ نَؤُمُّ أَبَا سَعِيدٍ أَوِ ابْنَ عُمَرَ، فَإِذَا ابْنُ عُمَرَ قَاعِدٌ، فَاكْتَنَفْنَاهُ، فَقَدَّمَنِي حُمَيْدٌ لِلْمَسْأَلَةِ، وَكُنْتُ أَجْرَأُ عَلَى الْمِنْطَقِ مِنْهُ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنَّ قَوْمًا قِبَلَنَا نَشَأُوا بِالْعِرَاقِ، وَقَرَءُوا الْقُرْآنَ وَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ يَقُولُونَ: لَا قَدَرَ قَالَ: "فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَقُولُوا لَهُمْ: إِنَّ ابْنَ عُمَرَ مِنْهُمْ بَرِيءٌ وَهُمْ مِنِّي بُرَآءُ، لَوْ أَنْفَقُوا مَا فِي الْأَرْضِ ذَهَبًا مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ، حَتَّى يُؤْمِنُوا بِالْقَدَرِ" وَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ

428 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ بْنِ حَسَّابٍ قَالَ: نَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ مِثْلَهُ

429 - وَحَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نَا إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ قَالَ: أَنَا النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ قَالَ: نَا كَهْمَسُ بْنُ

الْحَسَنِ قَالَ: نا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمُرَ.

قَالَ الْفِرْيَابِيُّ: وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى قَالَ: نا الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ: سَمِعْتُ كَهْمَسًا، يُحَدِّثُ عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ قَالَا جَمِيعًا: كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي هَذَا الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدُ الْجُهَنِيُّ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَاجَّيْنِ أَوْ مُعْتَمِرِينَ، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ

430 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ قَالَ: نا أَبِي قَالَ: نا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي نَعَامَةَ السَّعْدِيِّ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ، فَحَمِدْنَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَذَكَرْنَاهُ، فَقُلْتُ: لَأَنَا بِأَوَّلِ هَذَا الْأَمْرِ أَشَدُّ فَرَحًا مِنِّي بِآخِرِهِ، فَقَالَ ثَبَّتَكَ اللَّهُ، كُنَّا عِنْدَ سَلْمَانَ فَحَمِدْنَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَذَكَرْنَاهُ فَقُلْتُ لَأَنَا بِأَوَّلِ هَذَا الْأَمْرِ أَشَدُّ فَرَحًا مِنِّي بِآخِرِهِ فَقَالَ سَلْمَانُ: ثَبَّتَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا خَلَقَ آدَمَ مَسَحَ عَلَى ظَهْرِهِ، فَأَخْرَجَ مِنْهُ مَا هُوَ ذَارِيءٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَخَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى، وَالشَّقَاوَةَ وَالسَّعَادَةَ، وَالْأَرْزَاقَ وَالْآجَالَ وَالْأَلْوَانَ، فَمَنْ عَلِمَ السَّعَادَةَ (وفي رواية: فَمِن عِلْمِ السَّعَادَةَ) فَعَلَ الْخَيْرَ، وَمَجَالِسَ الْخَيْرِ، وَمَنْ عَلِمَ الشَّقَاوَةَ فَعَلَ الشَّرَّ، وَمَجَالِسَ الشَّرِّ»

الحديث الأول تكلمنا عنه من قبل كثيرًا؛ حديث حميد عبد الرحمن الحميري، وأيضًا حتى لا نعيد الكلام فيه يذكر فيه بداية ظهور القدر، وأول من قال بالقدر في البصرة كان معبد الجهني، فهؤلاء الصحابيين لما جاؤوا إلى الحج قالوا (حَاجَّيْنِ أَوْ مُعْتَمِرِينَ) في بعض الروايات الأخرى، فقالوا نلقى أحد من صحابة النبي ﷺ فنسألهم عن ما حدث، فوجدوا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فسألوه عن هذا، قالوا: (إِنَّ قَوْمًا قَدْ نَشَأُوا بِالْعِرَاقِ، وَقَرَءُوا الْقُرْآنَ وَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ يَقُولُونَ: لَا قَدَرَ)، وهذا كان بداية قول القدرية في ذلك. فلما علم ابن عمر قال: (إِنَّ ابْنَ عُمَرَ مِنْهُمْ بَرِيءٌ وَهُمْ مِنِّي بُرَآءُ، لَوْ أَنْفَقُوا مَا فِي الْأَرْضِ ذَهَبًا مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ، حَتَّى يُؤْمِنُوا بِالْقَدَرِ) وذكر حديث جبريل عليه السلام الذي فيه أركان الإسلام والإيمان والإحسان. وهذا منشأ بداية ظهور القدرية في البصرة أو في العراق عمومًا بعد ذلك.

ثم ذكر حديث سلمان: (كُنَّا عِنْدَ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ، فَحَمِدْنَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَذَكَرْنَاهُ، فَقُلْتُ: لَأَنَا بِأَوَّلِ هَذَا الْأَمْرِ أَشَدُّ فَرَحًا مِنِّي بِآخِرِهِ). هو أولًا قال: (كُنَّا عِنْدَ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ، فَحَمِدْنَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَذَكَرْنَاهُ)، وهذه دلالة على أنه كان مجلس مذاكرة؛ أي أنهم كانوا يجلسون مجلس

مذاكرة؛ يذكرون الله عز وجل، يتدبرون آياته، يتكلمون في السنة، يتفقهون، لأنه قال: (فَحَمِدْنَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَذَكَرْنَاهُ) أي فيه الثناء والحمد لله عز وجل والمذاكرة، وهذه فيها بيان مجالس السلف من حيث المذاكرة.

ثم قال: (فَقُلْتُ لَأَنَا بِأَوَّلِ هَذَا الْأَمْرِ أَشَدُّ فَرَحًا مِنِّي بِآخِرِهِ فَقَالَ سَلْمَانُ: ثَبَّتَكَ اللَّهُ) فكأنه يريد أن يقول بأنه يتكلم في مسألة القضاء والقدر، (لَأَنَا بِأَوَّلِ هَذَا الْأَمْرِ أَشَدُّ فَرَحًا) أي أول هذا الأمر هو إسلامه، هو إيمانه، قال (لَأَنَا بِأَوَّلِ هَذَا الْأَمْرِ أَشَدُّ فَرَحًا مِنِّي بِآخِرِهِ) أي هو الآن في أول الأمر هو فرح بإسلامه، فرح بالأسباب التي يسرها الله عز وجل له في تعهد هذا الإسلام، أو تعهد هذا الإيمان، لأنه هو بدأ بالإسلام، وهذا هو الذي أشد فرحًا، ثم الوسيلة بعد ذلك وهي الأسباب التي قد يهيئها الله عز وجل للعبد بأنه يسير على هذا الطريق، هذا توجيه معنى قوله ذلك (لَأَنَا بِأَوَّلِ هَذَا الْأَمْرِ أَشَدُّ فَرَحًا مِنِّي بِآخِرِهِ) أي هو الآن لم يعلم آخره، لذلك هو لم يتكلم، هو يقول أنا فرح بأول هذا الأمر بأني على الإسلام، بأني على هذا الخير في مجلس مذاكرة، فيقول (لَأَنَا بِأَوَّلِ هَذَا الْأَمْرِ أَشَدُّ فَرَحًا مِنِّي بِآخِرِهِ) يتكلم عن بأنه فرح بإسلامه وبإيمانه، وبأن الله عز وجل قد يسر له الأسباب التي هو فيها.

لذلك قال له صاحبه: (ثَبَّتَكَ اللَّهُ) ما معنى أن يقول له ثبتك الله؟ أي ثبتك الله على ما أنت عليه، هو كأنك تقول أنا أشد فرحًا بإسلامي، بهدايتي، بالأسباب التي أنا اتعهدها الآن وفتحها الله عز وجل عليّ كوسيلة لتثبيت هذا الإيمان والصلاح، فهو أشد فرحًا بذلك بآخره لأنه لا يعلم آخره إلى الآن؛ الخاتمة، لذلك قال له صاحبه: (ثَبَّتَكَ اللَّهُ) أي ثبتك الله على ماذا؟ على هذا العمل، ثبتك الله على هذا الاعتقاد، ثبتك الله على اتخاذك لهذه الأسباب التي تثبت لك هذا الأمر.

وفيه شكر نعمة الله؛ لما يقول أنا أشد فرحًا على هذا كأنه يقدر نعمة الله عز وجل الذي أنعم الله عز وجل به بإسلامه، بهدايته، وباتخاذه الأسباب بذلك، فقال له (ثَبَّتَكَ اللَّهُ).

قال: (كُنَّا عِنْدَ سَلْمَانَ فَحَمِدْنَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَذَكَرْنَاهُ فَقُلْتُ لَأَنَا بِأَوَّلِ هَذَا الْأَمْرِ أَشَدُّ فَرَحًا مِنِّي بِآخِرِهِ فَقَالَ سَلْمَانُ: ثَبَّتَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ) أيضًا دعا له بالتثبيت، (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا خَلَقَ آدَمَ مَسَحَ عَلَى ظَهْرِهِ، فَأَخْرَجَ مِنْهُ مَا هُوَ ذَارِيءٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَخَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى، وَالشَّقَاوَةَ وَالسَّعَادَةَ، وَالْأَرْزَاقَ وَالْآجَالَ وَالْأَلْوَانَ، فَمَنْ عِلْمَ السَّعَادَةَ فَعَلَ الْخَيْرَ، وَمَجَالِسَ الْخَيْرِ، وَمَنْ

عِلْمَ الشَّقَاوَةَ فَعَلَ الشَّرَّ، وَمَجَالِسَ الشَّرِّ)، فهنا يذكر له هذا ميثاق الذر أو أن الله عز وجل لما خلق آدم مسح على ظهره فأخرج ذرية آدم عليه السلام، فقال هؤلاء أهل الجنة وهؤلاء أهل النار، وأخذ عليهم عهد ميثاق الذر، ثم أدخلهم في صلب آدم بعد ذلك. وهو يريد أن يقول أن هذا كله مقدر من قبل خلق الله عز وجل لذرية آدم، لأنه قال:(مَسَحَ عَلَى ظَهْرِهِ، فَأَخْرَجَ مِنْهُ مَا هُوَ ذَارِيءٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَخَلَقَ الذِّكْرَ وَالْأُنْثَى، وَالشَّقَاوَةَ وَالسَّعَادَةَ، وَالْأَرْزَاقَ وَالْآجَالَ وَالْأَلْوَانَ، فَمَنْ عِلْمَ السَّعَادَةَ فَعَلَ الْخَيْرَ، وَمَجَالِسَ الْخَيْرِ)، إذًا أولًا فيه رد على القدرية في أن كل شيء مقدر؛ أن الخير مقدر والشر مقدر، أن السعادة مقدرة والشقاوة مقدرة، وأن الله عز وجل قد قدر كل ذلك في صلب آدم الذي خلقهم ومسح على ظهره. فكل هذا رد على القدرية في مسألة اثبات تقدير الله عز وجل.

ثم بيَّن أيضًا بأنه (فَمَنْ عِلْمَ السَّعَادَةَ فَعَلَ الْخَيْرَ، وَمَجَالِسَ الْخَيْرِ، وَمَنْ عِلْمَ الشَّقَاوَةَ فَعَلَ الشَّرَّ، وَمَجَالِسَ الشَّرِّ) اثبات بأن العباد هم أيضًا يعملون أعمالهم، وهو رد أيضًا على الجبرية في ذلك، وعلى أنه من علم الخير عليه أن يسارع، ومن علم الشر الأصل أنه يمتنع، لكن من سار في مجالس الشر وهو يعلم أنه على الشر فهذا من كسبه، ومن ارادته، ومن فعله، إذًا يحاسَب على ذلك، وهذا جمع بالأحاديث الأخرى أنه من تمام عدل الله عز وجل.

431 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ قَالَ: نا الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: نا أَبُو عُثْمَانَ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ، أَوْ سَلْمَانَ وَلَا أَرَاهُ إِلَّا سَلْمَانَ قَالَ: " إِنَّ اللَّهَ خَمَرَ طِينَةَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، أَوْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدَيْهِ فِيهِ، فَخَرَجَ كُلُّ طَيِّبٍ فِي يَمِينِهِ، وَكُلُّ خَبِيثٍ فِي يَدِهِ الْأُخْرَى، ثُمَّ خَلَطَ بَيْنَهُمَا قَالَ: فَمِنْ ثَمَّ يَخْرُجُ الْحَيُّ مِنَ الْمَيِّتِ، وَالْمَيِّتُ مِنَ الْحَيِّ " أَوْ كَمَا قَالَ

432 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نَا أَبُو مَرْوَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ حَبِيبٍ الْمِصِّيصِيُّ قَالَ: نَا أَبُو إِسْحَاقَ الْفَزَارِيُّ، عَنْ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ، عَنْ سَلْمَانَ قَالَ: " إِنَّ اللَّهَ خَمَرَ طِينَةَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَوْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، فَقَالَ فِيهِ: عَنْ سَلْمَانَ وَحْدَهُ

433 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نَا أَبُو كَامِلٍ الْجَحْدَرِيُّ قَالَ: نَا عَبْدُ الْوَاحِدِ قَالَ: نَا الْأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ أَبِي الْحَجَّاجِ الْأَزْدِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِسَلْمَانَ: مَا قَوْلُ النَّاسِ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ

وَشَرِّهِ؟ قَالَ: "حين تُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ، تَعْلَمُ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَلَا تَقُولُ: لَوْ فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا لَكَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَوْ لَمْ أَفْعَلْ كَذَا وَكَذَا، لَمْ يَكُنْ كَذَا وَكَذَا

الآن أثر سلمان (إِنَّ اللَّهَ خَمَرَ طِينَةَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً)، وهذه طبعًا ذُكرت في آثار أخرى بأن الله عز وجل أول ما خلق آدم من الطين فخلقه أولًا على هيئته بدون نفخ روح أربعين ليلة أو أربعين يومًا، هذا الخلق والتصوير ونفخ الروح، ثم نفخ في الروح بعد ذلك، أي بعد ما تركه أربعين يومًا على هيئته كذلك كما قال، (ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدَيْهِ فِيهِ، فَخَرَجَ كُلُّ طَيِّبٍ فِي يَمِينِهِ، وَكُلُّ خَبِيثٍ فِي يَدِهِ الْأُخْرَى، ثُمَّ خَلَطَ بَيْنَهُمَا قَالَ: فَمِنْ ثَمَّ يَخْرُجُ الْحَيُّ مِنَ الْمَيِّتِ، وَالْمَيِّتُ مِنَ الْحَيِّ" أَوْ كَمَا قَالَ). ما المقصود بـ "يخرج الحي من الميت والميت من الحي"؟ لها توجيه عند بعض أهل العلم أنه (يَخْرُجُ الْحَيُّ مِنَ الْمَيِّتِ، وَالْمَيِّتُ مِنَ الْحَيِّ) بعض أهل العلم قال يخرج الكافر من المسلم والمسلم من الكافر، طبعًا هذا أحد التوجيهات التي نحتاج إليها هنا، قالوا نوح عليه السلام مسلم أخرج من صلبه ابنه الكافر، وإبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء مسلم وكان أصله أبيه آزر الكافر، فهنا قال بعض أهل العلم أن (فَمِنْ ثَمَّ يَخْرُجُ الْحَيُّ مِنَ الْمَيِّتِ، وَالْمَيِّتُ مِنَ الْحَيِّ) على أحد التوجيهات على أنه يخرج من المسلم كافرًا ومن الكافر مسلمًا.

الحديث الذي يليه هو نفسه، لكن طبعًا الرواية الأولى قال: (عَبْدَ اللَّهِ، أَوْ سَلْمَانَ) شك ثم جزم بعد ذلك بسلمان، وهذه دلالة على تحري الرواة صيغة الخبر، وأيضًا من الذي روى إن شك ثم يبين بعد ذلك، وهذا من حرص الرواة – رحم الله الجميع – على مسألة نقل الآثار بضبط.

الذي يليه قال: (قُلْتُ لِسَلْمَانَ: مَا قَوْلُ النَّاسِ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ؟) كنا قد بينا من قبل معنى أن تؤمن بالقدر الخير والشر والحلو والمر، لكن قال: (حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، تَعْلَمُ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ) هذا ما معناه؟ هي جملة واحدة: [قَدَّر الله وما شاءَ فعَلَ] أو [قَدَرُ الله وما شاءَ فعَلَ] جزء من حديث معاذ الذي قال فيه النبي ﷺ ذلك بأنك تعلم بأن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأن هذا كله من قدر الله، لذلك لما تأتي المصيبة فيقول المرء قَدَّر الله ما شاء فعل أو قَدَر الله ما شاء فعل؛ على القراءة هذه، لأنك إن كنت مؤمنًا بالقدر حقًا نعم لأنك ستؤمن بالخير وبالشر، ستؤمن بما يأتيك من حلو ويأتيك من مر، ستؤمن أن كله من عند الله عز وجل، فتسارع في الخير أنك تشكر الله عز وجل {لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ} [إبراهيم: 7] ، وتشكر نعمة الله على

ذلك، وفي الشر {ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ} [البقرة: 156] ، يصبر على المصيبة ثم يعلو بذلك في الرضا؛ يرضى بما أصابه الله عز وجل منها، ويعلو عن ذلك بأنه يفرح لأن الله عز وجل قدر عليه ذلك إما هذا رفعة له في الدرجات، أو تكفير له من الذنوب، فهو يفرح بقضاء الله كله.

ولكن للصبر للدرجات هذا الذي واجب عليك، وعكس الصبر أنك تسخط من قدر الله وهذا الذي فيه الذم، كما قال النبي ﷺ للمرأة التي كانت تبكي على قبر ابنها فأراد أن يخفف عنها فقالت إليك عني إنك لم تصب بمصيبتي، فلما جاءت للنبي ﷺ بعد ذلك فقال: [إِنَّما الصَّبرُ عندَ الصَّدمةِ الأولى]. إذًا لابد للمرء عندما يُبتلى أن يصبر، هذا هو الواجب عليك؛ الصبر. ثم أعلى من ذلك الرضا، ثم أفضل من ذلك الفرح.

والصبر لا ينافي الحزن ولا ينافي البكاء، ما الدليل؟ النبي ﷺ لما مات ابنه إبراهيم بكى، فقال عبد الرحمن بن عوف أتبكي يا رسول الله ﷺ؟ قال نعم، ثم قال هذه رحمة، فهو استغرب من البكاء فقال هذه رحمة. فالقاسية قلوبهم الذين لا يبكون أو قلوبهم لا تبكي عندما يسمعون كلام الله عز وجل أو غير ذلك أو لا يتأثرون! فالنبي ﷺ بكى في موت إبراهيم، لكن هناك فرق بين البكاء والحزن وبين السخط على قضاء الله عز وجل. فهذا معنى أن (تَعْلَمُ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ).

وَلَا تَقُولُ: لَوْ فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا لَكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَوْ لَمْ أَفْعَلْ كَذَا وَكَذَا، لَمْ يَكُنْ كَذَا وَكَذَا) هذا لن يغير شيء، بمعنى أنك إن استخرت الله في أمر وفعلته؛ فهناك فارق بين الأمور التي تفعلها الكونية وبين الأمور الشرعية، فنقول هنا أنت إن أقدمت على فعل شيء وقد استخرت أو استشرت ثم فعلته فتبين لك أي نتيجة من النتائج فليس لك أن تقول لو أنا كنت فعلت ذلك لفعلت ذلك، لا، هذا كله مقدر، فـ (لو) هذه لن تغير شيء، لذلك قال النبي ﷺ (وَلَوْ لَمْ أَفْعَلْ كَذَا وَكَذَا، لَمْ يَكُنْ كَذَا وَكَذَا) لا، أنت فعلك هذا قدره الله عز وجل، والنتيجة مقدرة من عند الله عز وجل.

أما مسألة أن النبي ﷺ في الحج وفي عاشوراء أيضًا لما عَلِم قال: لو استدبرت من أمري لصمت التاسع والعاشر، وفي الحج قال: [لو استقبلتُ من أمري ما استدبرتُ لَمَا سُقتُ الهديَ] هذا يبين على أن هذه مسألة شرعية فيها درجات في العمل، هو ليس اعتراضًا على القدر، هو يبين درجات الأفضلية في العبادة، فليست في محل نزاع لأن ليس فيه اعتراض، لكن هنا

الحديث أنك بتعترض على ما أصابك من القدر وترجع للوم على نفسك أنك لو فعلت ذلك ما لم يكن يحدث ذلك، لكن كلام النبي ﷺ يبين الأفضلية في الدرجات خاصة أن هناك تشريع كان بينزل ويريد أن يبين بأن الأفضل التمتع عن القران، لذلك لو حججت مره أخرى لأنه النبي ﷺ لما دخل حتى في التلبية لم يكن قد نزل مسألة التمتع؛ هو النبي ﷺ لما أحرم بالقران- على خلاف هل أحرم افرادًا أم قرانًا أم تمتعًا- جاء جبريل عليه السلام له في الوادي فقال اؤمر أصحابك أن يتحللوا لمن لم يسق الهدي، فالنبي ﷺ جاء بالأصحاب الذين لم يسوقوا الهدي فقال لهم من لم يسق الهدي فليتحلل بعد العمرة ويلبي عند الحج، حتى استعجب الصحابة، ما كانوا يفعلون ذلك، قالوا ويحل لنا كل شيء يا رسول الله؟ قال: كل شيء، حتى كانوا يستعظمون يوم التروية أن يأتون وهم يصيبون من نسائهم قبل الحج، فهذا كان مُعظَّم في هذا الوقت، فأباح لهم النبي ﷺ، وهذا كله كان شرعًا. لذلك بيَّن النبي ﷺ أن الأفضلية في ذلك وليس منازعة في مسألة القدر، فالمسألة الشرعية بالترتيب، فالمسألة هنا يبين مراتب العبادة؛ أن التمتع كأنه أفضل.

وأيضًا في عاشوراء أنه يصوم التاسع والعاشر أفضل من أن يصوم العاشر، العاشر والتاسع أو العاشر والحادي عشر على حسب يوم قبل أو بعد على الروايات، فهذا المقصود بأنه ليس من باب الاعتراض هنا على القدر.

لكن هنا ما يشير إليه هذا الأثر على أنك في المسائل القدرية إن فعلتها وأخذت بالأسباب ليس لك أن تقول لو فعلت ذلك ما كان، وحتى في رواية أخرى أن [**لو تفتحُ عملَ الشيطانِ**] وهذا من تمام الإيمان بالقدر.

نقف عند هذا القدر.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

المحاضرة الثامنة والأربعون

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام على موعد مع شرح كتاب الشريعة للإمام الآجري – عليه رحمة الله تعالى – وما زلنا في أبواب ذكر آثار الصحابة والتابعين في ذم القدرية وأقوالهم. وقفنا عند حديث (434).

قال المصنف رحمه الله تعالى:

434 – وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: نَا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَجْلَانَ، عَنْ سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَّامٍ أَنَّهُ قَالَ: خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْضَ يوم الْأَحَدِ وَالْإِثْنَيْنِ، وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا، وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ وَالْأَرْبِعَاءِ، ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَخَلَقَهَا يَوْمَ الْخَمِيسِ وَيَوْم الْجُمُعَةِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَخَلَقَ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ عَلَى عَجَلٍ، ثُمَّ تَرَكَهُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، يَنْظُرُ

إِلَيْهِ وَيَقُولُ: تَبَارَكَ وَتَعَالَى: {فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} [المؤمنون: ١٤] ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، فَلَمَّا دَخَلَ فِي بَعْضِهِ الرُّوحُ ذَهَبَ لِيَجْلِسَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ} [الأنبياء: ٣٧] فَلَمَّا تَتَابَعَ فِيهِ الرُّوحُ عَطَسَ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ فَقَالَ: اللَّهُ تَعَالَى: رَحِمَكَ رَبُّكَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: اذْهَبْ إِلَى أُولَئِكَ الْمَجْلِسِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ، فَفَعَلَ فَقَالَ: هَذِهِ تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَدِهِ فَأَخْرَجَ فِيهِمَا مَنْ هُوَ خَالِقٌ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ ثُمَّ قَبَضَ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ: اخْتَرْ يَا آدَمُ، فَقَالَ: اخْتَرْتُ يَمِينَكَ يَا رَبِّ، وَكِلْتَا يَدَيْكَ يَمِينٌ، فَبَسَطَهَا فَإِذَا فِيهَا ذُرِّيَّتُهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَقَالَ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا رَبِّ؟ قَالَ: هُمْ مَنْ قَضَيْتُ أَنْ أَخْلُقَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، فَإِذَا فِيهِمْ مَنْ لَهُ وَبِيصٌ فَقَالَ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا رَبِّ؟ قَالَ: هُمُ الْأَنْبِيَاءُ قَالَ: فَمَنْ هَذَا الَّذِي كَانَ لَهُ وَبِيصٌ؟ قَالَ: هُوَ ابْنُكَ دَاوُدُ قَالَ: فَكَمْ جَعَلْتَ عُمُرَهُ؟ قَالَ: سِتِّينَ سَنَةً قَالَ: فَكَمْ عُمُرِي؟ قَالَ: أَلْفُ سَنَةٍ قَالَ فَزِدْهُ يَا رَبِّ مِنْ عُمُرِي أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ: إِنْ شِئْتَ قَالَ: فَقَدْ شِئْتُ، إِذًا تَكْتُبُ وَتَخْتِمُ، وَلَا يُبَدَّلُ، ثُمَّ رَأَى فِي آخِرِ كَفِّ الرَّحْمَنِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْهُمْ آخِرُهُمْ لَهُ فَضْلُ وَبِيصٍ قَالَ: فَمَنْ هَذَا يَا رَبِّ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، هُوَ آخِرُهُمْ وَأَوَّلُهُمْ أُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ، فَلَمَّا أَتَى مَلَكُ الْمَوْتِ لِيَقْبِضَ نَفْسَهُ قَالَ: إِنَّهُ قَدْ بَقِيَ مِنْ عُمُرِي أَرْبَعُونَ سَنَةً قَالَ: أَوَ لَمْ تَكُنْ وَهَبْتُهَا لِابْنِكَ دَاوُدَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَنَسِيَ آدَمُ، فَنَسِيَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَعَصَى آدَمُ فَعَصَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَجَحَدَ آدَمُ فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَذَلِكَ أَوَّلُ يَوْمٍ أُمِرَ بِالشُّهُودِ

هنا الحديث فيه مسألة خلق الأرض كما ذكر في الحديث (خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْضَ يومَ الْأَحَدِ وَالْإِثْنَيْنِ، وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا) إلى آخر ما ذُكِر هنا.

وتوجد مسألة تكلم فيها العلماء؛ هل خلق الأرض كان قبل خلق السماء، أم خلق السماء كان قبل خلق الأرض؟ والسبب في ذلك ظهور تعارض بين آية النازعات وآية فصلت. في آية فصلت:{قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ * ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ} [فصلت: 9-11] ، فيها دلالة على أن خلق الأرض أولًا ثم خلق السماء، على أن (ثم) تفيد الترتيب. الآية الثانية التي فيها الإشكال آية النازعات، قوله سبحانه وتعالى:{ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا} [النازعات: 27] ، إلى أن قال بعد ذلك: {وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ}

[النازعات: 30] . فهنا سُئل ابن عباس رضي الله عنهما عن خلق الأرض والسماء فجمع في التفسير بين الآيات، فقال بأن خلق الأرض أولًا كخلق ايجاد، ثم خلق السماء بعد ذلك، ثم رجع إلى الأرض فدحاها بعد ذلك؛ أي جعل فيها الرواسي والأنهار والجبال إلى غير ذلك. إذًا هنا لا تنازع في هذه المسألة على هذه الطريقة بين آية فصلت وآية النازعات، لأنه قال في النازعات: {وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ} [النازعات: 30] ، فالفرق بين دحو الأرض وبين خلق الأرض، فهو خلق الأرض كايجاد ثم دحاها بعد ذلك بعد خلق السماء، وبذلك يخرج من الإشكال الذي في الآية. إذًا خلق الأرض غير مدحوه أولًا هذا الأصل، ثم دحاها بعد ذلك. كقوله تعالى أيضًا في خلق الإنسان:{ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ} [الأعراف:11] ، الخلق ثم التصوير. فهنا أيضًا جمع. ولا تعارض في مسألة الأرض أولًا أم السماء فقلنا خلق أولًا الأرض غير مدحوه ، ثم السماء، ثم دحا الأرض بعد ذلك كما جاء في آية النزاعات. هذه المسألة الأولى في الحديث.

المسألة الثانية بأن الله عز وجل خلق آدم ثم تركه أربعين يومًا على هذه الصورة ثم نفخ بعد ذلك في روحه، وذكر فيه بأنه لما خُلِق عطس (فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ فَقَالَ: اللَّهُ تَعَالَى: رَحِمَكَ رَبُّكَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: اذْهَبْ إِلَى أُولَئِكَ الْمَجْلِسِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ، فَفَعَلَ فَقَالَ: هَذِهِ تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ) إلى آخر ما جاء. الشاهد في الحديث الذي نريده في هذا الباب لما آدم عليه السلام رأى داوود وسأل عن عمره قال: (قَالَ: سِتِّينَ سَنَةً قَالَ: فَكَمْ عُمُرِي؟ قَالَ: أَلْفُ سَنَةٍ قَالَ فَزِدْهُ يَا رَبِّ مِنْ عُمُرِي أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ: إِنْ شِئْتَ قَالَ: فَقَدْ شِئْتُ، إِذًا تُكْتَبُ وَتُخْتَمُ، وَلَا يُبَدَّلُ)، طبعًا الحديث فيه أن كل شيء قد كتب في اللوح المحفوظ؛ فيه أنه كُتِب أولًا، ثم كُتِب بأن آدم سيطلب أن يُعطَى من عمره فكُتِب أيضًا الثاني، وكل هذا مكتوب في اللوح المحفوظ من قبل.

435 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نَا إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ قَالَ: أنا حَكَّامُ بْنُ سَلْمٍ الرَّازِيُّ قَالَ: نَا أَبُو جَعْفَرٍ الرَّازِيُّ، عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدم مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ} [الأعراف: ١٧٢] إِلَى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ {أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ} [الأعراف: ١٧٣] قَالَ: جَمَعَهُمْ لَهُ يَوْمَئِذٍ جَمِيعًا مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ جَعَلَهُمْ أَرْوَاحًا ، ثُمَّ صَوَّرَهُمْ وَاسْتَنْطَقَهُمْ وَتَكَلَّمُوا، وَأَخَذَ عَلَيْهِمُ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ: {وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ

إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ، أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ، أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ} [الأعراف: ١٧٣] قَالَ: فَإِنِّي أُشْهِدُ عَلَيْكُمُ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ، وَأُشْهِدُ عَلَيْكُمْ أَبَاكُمْ آدم، أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ، فَلَا تُشْرِكُوا بِي شَيْئًا، فَإِنِّي أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ رُسُلِي يُذَكِّرُونَكُمْ عَهْدِي وَمِيثَاقِي , وَأُنْزِلُ عَلَيْكُمْ كُتُبِي، فَقَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ رَبُّنَا وَإِلَهُنَا، لَا رَبَّ لَنَا غَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ لَنَا غَيْرُكَ، وَرُفِعَ لَهُمْ أَبُوهُمْ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ فَرَأَى فِيهِمُ الْغَنِيَّ وَالْفَقِيرَ، وَحَسَنَ الصُّورَةِ وَدُونَ ذَلِكَ، فَقَالَ: يَا رَبِّ لَوْ شِئْتَ سَوَّيْتَ بَيْنَ عِبَادِكَ، فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أُشْكَرَ، وَرَأَى فِيهِمُ الْأَنْبِيَاءَ مِثْلَ السُّرُجِ، وَخُصُّوا بِمِيثَاقٍ آخَرَ فِي الرِّسَالَةِ وَالنُّبُوَّةِ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ، وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ} [الأحزاب: ٧] الْآيَةَ وَهُوَ قَوْلُهُ: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ} [الروم: ٣٠] وَذَلِكَ قَوْلُهُ: {هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى} [النجم: ٥٦] وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ} [الأعراف: ١٠٢] وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ، فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ} فَكَانَ فِي عِلْمِهِ تَعَالَى يَوْمَ أَقَرُّوا بِهِ مَنْ يُكَذِّبُ بِهِ وَمَنْ يُصَدِّقُ بِهِ، فَكَانَ رُوحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي تِلْكَ الْأَرْوَاحِ الَّتِي أَخَذَ عَلَيْهَا الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ فِي زَمَنِ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَرْسَلَ ذَلِكَ الرُّوحَ إِلَى مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ حِينَ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا: {فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا} [مريم: ١٧] إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا فَحَمَلَتْهُ} [مريم: ٢١] قَالَ: فَحَمَلَتِ الَّتِي خَاطَبَهَا وَهُوَ رُوحُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ إِسْحَاقُ: قَالَ حَكَّامٌ: نَا أَبُو جَعْفَرٍ الرَّازِيُّ، عَنِ الرَّبِيعِ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: دَخَلَ مِنْ فِيهَا

هذا الحديث فيه أولًا اثبات **ميثاق الذر**؛ أن الله عز وجل قد أخرج ذرية آدم من ظهره وأخذ عليهم الميثاق كما جاء في سورة الأعراف:{ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ} [الأعراف: 172] ، إلى آخر الآيات.

هذا يسمى ميثاق الذر عند أهل العلم، وهذا الميثاق غير مُلزِم على الصحيح الراجح خلافًا للبعض الذين قالوا أن ميثاق الذر ملزم. ماذا يعنى غير مُلزم؟ أي لا يُحاسَب عليه المرء فقط يوم القيامة، بل يُحاسَب عليه فقط إذا جاءه الرسول في قوله تعالى:{ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ

نَبْعَثَ رَسُولًا} [الإسراء: 64] ، فلم يصدق بالرسول وكذب به، فيُحاسَب على الكل. لكنه إن كان من أهل الفترة ولم يأتيه الرسول أو الرسالة فالحق بأنه من أهل الفترة وينجري عليه أحكام أهل الفترة.

ثم بيَّن الميثاق أيضًا الذي أخذه الله عز وجل على النبيين؛{وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا} [الأحزاب: 7]، وهذا ميثاق خاص بالنبيين على أنهم كلهم أخذ الله عز وجل ميثاقًا عليهم وأخذ ميثاق عليهم أن يتبعوا النبي ﷺ أيضًا.

ثم ذكر مسألة فيها نظر كبير ويوجد خطأ في هذا الكلام في نهاية الأثر بعد أن ذكر الآيات يتكلم عن روح عيسى عليه السلام وانها من الأرواح التي قد أخرجها الله عز وجل، فقال: (فَكَانَ رُوحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي تِلْكَ الْأَرْوَاحِ الَّتِي أَخَذَ عَلَيْهَا الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ فِي زَمَنِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَرْسَلَ ذَلِكَ الرُّوحَ إِلَى مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ حِينَ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا: {فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا} [مريم: ١٧] إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا فَحَمَلَتْهُ} [مريم: ٢١] قَالَ: فَحَمَلَتِ الَّتِي خَاطَبَهَا وَهُوَ رُوحُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ). وهذا الكلام ما يصح ومخالف للقرآن. يقول:(فَحَمَلَتِ الَّتِي خَاطَبَهَا) فهو يقول أنه أرسل إليها الروح والذي خاطبها هي روح عيسى عليه السلام، وهذا الكلام مخالف، بل هو في غاية الغرابة والنكارة حقيقة. والجملة الأولى خطأ أيضًا (فَأَرْسَلَ ذَلِكَ الرُّوحَ إِلَى مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ حِينَ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا) لأنه قال روح عيسى، ثم قال: (فَحَمَلَتِ الَّتِي خَاطَبَهَا وَهُوَ رُوحُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وقوله هذا مخالف لقول الله تعالى قال:{ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا} [مريم: 17] ، هنا يقصد بذلك أن الله بعث جبريل عليه السلام في صورة بشر وأمره أن ينفخ بفيه في جيب درعها، فنزلت النفخة فولجت في فرجها، فكان الحمل لعيسى عليه السلام. فهذه المسألة لابد من التنبيه عليها بأنها خطأ، حتى أن بعضهم قال كأنها من الإسرائيليات، ليست من أهل السنة والجماعة.

436 – أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا مُحَمَّدُ بْنُ مُصَفًّى أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحِمْصِيُّ قَالَ: نا مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ قَالَ: نا الزُّبَيْدِيُّ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ: أَنَّهُ غُشِيَ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فِي وَجَعِهِ غَشْيَةً ظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ فَاضَ مِنْهَا، حَتَّى قُمْنَا مِنْ عِنْدِهِ وَجَلَّوْهُ ثَوْبًا، وَخَرَجَتْ أُمُّ كُلْثُومٍ ابْنَةُ عُقْبَةَ امْرَأَةُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِلَى الْمَسْجِدِ، تَسْتَعِينُ بِمَا أُمِرَتْ بِهِ مِنَ الصَّبْرِ

وَالصَّلَاةِ، فَلَبِثُوا سَاعَةً، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي غَشْيَتِهِ، ثُمَّ أَفَاقَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، فَكَانَ أَوَّلُ مَا تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ كَبَّرَ وَكَبَّرَ أَهْلُ الْبَيْتِ وَمَنْ يَلِيهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: أَغُشِيَ عَلَيَّ آنِفًا؟ قَالُوا: نَعَمْ قَالَ: صَدَقْتُمْ، فَإِنَّهُ انْطَلَقَ بِي فِي غَشْيَتِي، رَجُلَانِ أَجِدُ مِنْهُمَا شِدَّةً وَغِلْظَةً: فَقَالَا: انْطَلِقْ بِنَا نُحَاكِمْكَ إِلَى الْعَزِيزِ الْأَمِينِ فَانْطَلَقَا بِي، حَتَّى لَقِينَا رَجُلًا، فَقَالَ: أَيْنَ تَذْهَبَانِ بِهَذَا؟ قَالَا: نُحَاكِمُهُ إِلَى الْعَزِيزِ الْأَمِينِ قَالَ: فَارْجِعَا فَإِنَّهُ مِمَّنْ كَتَبَ اللَّهُ لَهُمُ السَّعَادَةَ وَالْمَغْفِرَةَ، وَهُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ وَإِنَّهُ يَسْتَمْتِعُ بِهِ بَنُوهُ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ قَالَ: فَعَاشَ بَعْدَ ذَلِكَ شَهْرًا ثُمَّ مَاتَ

437 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا مُحَمَّدُ بْنُ عُزَيْزٍ قَالَ: حَدَّثَنِي سَلَامَةُ بْنُ رَوْحٍ، عَنْ عَقِيلِ بْنِ خَالِدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ شِهَابٍ الزُّهْرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ أَنَّهُ قَالَ: غُشِيَ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فِي وَجَعِهِ، وَذَكَرَ نَحْوًا مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ قَبْلَهُ

438- أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدِّمَشْقِيُّ قَالَ: نَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ: نَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاتِكَةِ قَالَ: حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ حَبِيبٍ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ أَنَّ أَبَاهُ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ لَمَّا احْتُضِرَ سَأَلَهُ ابْنُهُ فَقَالَ: يَا أَبَتِ أَوْصِنِي قَالَ: أَجْلِسُونِي، فَلَمَّا أَجْلَسُوهُ قَالَ: " يَا بُنَيَّ، اتَّقِ اللَّهَ، وَلَنْ تَتَّقِيَ اللَّهَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَلَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَتَعْلَمُ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «الْقَدَرُ عَلَى هَذَا مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلَ النَّارَ»

439 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نَا مُحَمَّدُ بْنُ مُصَفًّى قَالَ: نَا بَقِيَّةُ قَالَ: حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ السَّائِبِ عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ: سَأَلْتُ الْوَلِيدَ بْنَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ: كَيْفَ كَانَتْ وَصِيَّةُ أَبِيكَ إِيَّاكَ، حِينَ حَضَرَهُ الْمَوْتُ؟ قَالَ: دَعَانِي فَقَالَ: " يَا بُنَيَّ، أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ لَنْ تَتَّقِيَ اللَّهَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ لَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَلَنْ تُطْعَمَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ، وَلَنْ تَبْلُغَ الْعِلْمَ، حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَتِ، وَكَيْفَ لِي أَنْ أُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ: خَيْرِهِ وَشَرِّهِ؟ قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ , أَيْ بُنَيَّ، إِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْقَلَمَ قَالَ: اكْتُبْ قَالَ: مَا أَكْتُبُ يَا رَبِّ؟ قَالَ: اكْتُبِ الْقَدَرَ قَالَ: فَجَرَى الْقَلَمُ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الْأَبَدِ "

440- أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو أَنَسٍ مَالِكُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ: نَا بَقِيَّةُ يَعْنِي ابْنَ الْوَلِيدِ عَنْ مُبَشِّرِ بْنِ عُبَيْدٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ} [الأعراف: ٣٠] وَكَذَلِكَ خَلَقَهُمْ حِينَ خَلَقَهُمْ مُؤْمِنًا وَكَافِرًا، وَسَعِيدًا وَشَقِيًّا وَكَذَلِكَ يَعُودُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُهْتَدِينَ وَضُلَّالًا

441 - أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نَا مِنْجَابُ بْنُ الْحَارِثِ قَالَ: أنا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدم مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ} [الأعراف: ١٧٢] قَالَ: "لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدم، أَخَذَ ذُرِّيَّتَهُ مِنْ ظَهْرِهِ كَهَيْئَةِ الذَّرِّ، ثُمَّ سَمَّاهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَقَالَ: هَذَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، يَعْمَلُ كَذَا وَكَذَا، وَهَذَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ يَعْمَلُ كَذَا وَكَذَا، ثُمَّ أَخَذَهُمْ بِيَدِهِ قَبْضَتَيْنِ فَقَالَ: هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ، وَهَؤُلَاءِ لِلنَّارِ"

442- وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نَا أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: نَا عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ: نَا عَبْدُ اللَّهِ هُوَ ابْنُ الْمُبَارَكِ قَالَ حَدَّثَنِي ابْنُ جُرَيْجٍ، عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ مُوسَى، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ضَرَبَ مَنْكِبَهُ الْأَيْمَنَ يَعْنِي آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ فَخَرَجَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَخْلُوقَةٍ لِلْجَنَّةِ بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، فَقَالَ: هَؤُلَاءِ أَهْلُ الْجَنَّةِ، ثُمَّ ضَرَبَ مَنْكِبَهُ الْأَيْسَرَ فَخَرَجَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَخْلُوقَةٍ لِلنَّارِ سَوْدَاءَ، فَقَالَ: هَؤُلَاءِ أَهْلُ النَّارِ، ثُمَّ أَخَذَ عَهْدَهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ بِهِ، وَالْمَعْرِفَةِ لَهُ وَلِأَمْرِهِ، وَالتَّصْدِيقِ بِأَمْرِهِ، بَنِي آدم كُلِّهِمْ، وَأَشْهَدَهُمْ على أَنْفُسِهِمْ، فَآمَنُوا وَصَدَّقُوا وَعَرَفُوا وَأَقَرُّوا"

443 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نَا مِنْجَابُ بْنُ الْحَارِثِ قَالَ: نَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي ظَبْيَانَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: "إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ, قَالَ: رَبِّ، وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبِ الْقَدَرَ فَجَرَى بِمَا هُوَ يَكُونُ فِي ذَلِكَ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ رَفَعَ بُخَارَ الْمَاءِ، فَفَتَقَتْ مِنْهُ السَّمَاوَاتُ، ثُمَّ خَلَقَ النُّونَ فَدُحِيَتِ الْأَرْضُ عَلَى ظَهْرِ النُّونِ فَتَحَرَّكَ النُّونُ فَمَادَتِ الْأَرْضُ، فَأُثْبِتَتْ بِالْجِبَالِ، فَإِنَّهَا لَتَفْخَرُ عَلَيْهَا"

444 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ نَا وَكِيعُ بْنُ الْجَرَّاحِ، عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، عَنْ أَبِي هَاشِمٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: ذُكِرَ لَهُ قَوْمٌ يَتَكَلَّمُونَ فِي الْقَدَرِ، فَقَالَ:

«إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ شَيْئًا، فَكَانَ أَوَّلُ مَا خَلَقَ الْقَلَمَ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَكْتُبَ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»

445 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: نَا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: "كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّى وَضْعُكَ يَدَكَ عَلَى خَدِّكَ

كلها عمومًا آثار وأحاديث قد تكلمنا عنها سابقًا في معظمها لكن سنبين حديث عبد الرحمن بن عوف لما ظنوا بأنه لما أغمي عليه قد مات (امْرَأَةُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِلَى الْمَسْجِدِ، تَسْتَعِينُ بِمَا أُمِرَتْ بِهِ مِنَ الصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ)، وهذا كان دأب الصالحات لما تنزل المصيبة تستعين بالصبر والصلاة، فخرجت إلى المسجد لعلها تصلي مع أهل المسجد، أو تسمع من يصبرها، فتستعين بالصلاة على ذلك والصبر، فما حدث بأن عبد الرحمن لم يكن قد مات في هذا الوقت وإن كان مات بعد هذا بشهر، لكنه حكى رؤيا حدثت له عندما أغمي عليه أنه أُخِذ به وانطُلِق به كأنه سيُحاكَم، فلما ذهب لقي رجلا قال: (فَقَالَ: أَيْنَ تَذْهَبَانِ بِهَذَا؟ قَالَا: نُحَاكِمُهُ إِلَى الْعَزِيزِ الْأَمِينِ قَالَ: فَارْجِعَا فَإِنَّهُ مِمَّنْ كَتَبَ اللَّهُ لَهُمُ السَّعَادَةَ وَالْمَغْفِرَةَ). وهذا هو الشاهد في الحديث؛ بأنه قد كُتِبَت له السعادة عند الله عز وجل، وهذا كله استدلال على مسألة القدر التي نتكلم عنها، كأنها مصداقًا لقوله تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ} [الأنبياء: 101] إلى آخر الآيات، وهذا كان عبد الرحمن بن عوف أحد العشر المبشرين بالجنة، فهنا يدل ذلك على أنه قد كُتِب الأمر عند الله عز وجل من قبل. هذا الشاهد من هذا الحديث، ووجه الاستدلال فيه بأن الله عز وجل قد كتب كل شيء قبل خلق السماوات والأرض وقبل خلق بني آدم. قال: (فَإِنَّهُ مِمَّنْ كَتَبَ اللَّهُ لَهُمُ السَّعَادَةَ وَالْمَغْفِرَةَ، وَهُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ) هذا هو الشاهد أيضًا لأنه كتب السعادة وهم في بطون أمهاتهم كما في حديث النبي ﷺ الذي أرسل فيه الملك بعد أربعين يومًا على القول في صحيح مسلم أنه ثنتي وأربعين يومًا أو أنه هو أربعين نطفة، ثم أربعين علقة، ثم أربعين مضغة، ثم يأتي الملك يقول أي رب ويكتب أربع كلمات منها: أشقي أم سعيد؟ وهذا كله قلناه في بيان مسألة كتابة القدر وأن الله قد كتب كل شيء.

قال: ثم شاء الله فعاش بعد ذلك شهرًا ثم مات رضي الله عنه.

ثم الرواية أيضًا السند في الحديث الآخر: عن عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ وهذا قد تكرر معنا من قبل أيضًا في وصيته لابنه؛ (وَلَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَتَعْلَمُ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «الْقَدَرُ عَلَى هَذَا مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلَ النَّارَ)، دلالة على أن الإيمان بالقدر من أركان الإيمان الستة ولا يصح إيمان عبد إلا به. ومعنى الإيمان بالقدر أن تعلم أن كل شيء بقدر من الله عز وجل. وهذا الذي سُئِل عنه أيضًا في الرواية الثانية على أنه ما كانت وصية عبادة بن صامت لابنه الوليد، فذكر له ذلك.

وقال أيضًا: (فَجَرَى الْقَلَمُ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الْأَبَدِ) على أن الله عز وجل كتب لما خلق القلم كل شيء إلى قيام الساعة.

كل هذا تأكيدًا للأقوال السابقة والآثار السابقة والأحاديث في مسألة القدر وكتابة الله عز وجل لكل شيء.

ومنها أيضًا حديث عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ} [الأعراف: 30] أن الله عز وجل أيضًا كتب أهل الضلالة وكتب أهل السعادة من قبل خلقهم.

وأيضًا رجع لحديث ابن عباس: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ} [الأعراف: 172] قَالَ: "لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ، أَخَذَ ذُرِّيَّتَهُ مِنْ ظَهْرِهِ كَهَيْئَةِ الذَّرِّ، ثُمَّ سَمَّاهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ وأيضًا كتب هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار. لكن بيَّن فيه: (هَذَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، يَعْمَلُ كَذَا وَكَذَا، وَهَذَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ)، وهذا فيه رد على القدرية لأنه قال "أن فلان يعمل". إذًا كتب الله عز وجل أعمالهم أيضًا، وعلمها الله عز وجل وشاءها وخلقها سبحانه وتعالى.

أيضًا الحديث الذي يليه (عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ضَرَبَ مَنْكِبَهُ الْأَيْمَنَ يَعْنِي آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَخَرَجَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَخْلُوقَةٍ لِلْجَنَّةِ بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، فَقَالَ: هَؤُلَاءِ أَهْلُ الْجَنَّةِ، ثُمَّ ضَرَبَ مَنْكِبَهُ الْأَيْسَرَ فَخَرَجَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَخْلُوقَةٍ لِلنَّارِ سَوْدَاءَ، فَقَالَ: هَؤُلَاءِ أَهْلُ النَّارِ)، الحديث هذا فيه ضعف عمومًا، (ثُمَّ أَخَذَ عَهْدَهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ بِهِ، وَالْمَعْرِفَةِ لَهُ وَلِأَمْرِهِ، وَالتَّصْدِيقِ بِأَمْرِهِ، بَنِي آدَمَ كُلِّهِمْ، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، فَآمَنُوا وَصَدَّقُوا، وَعَرَفُوا وَأَقَرُّوا).

الذي يليه لما خلق الله القلم قال: (اكْتُبِ الْقَدَرَ فَجَرَى بِمَا هُوَ يَكُونُ فِي ذَلِكَ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ رَفَعَ بُخَارَ الْمَاءِ، فَفَتِقَتْ مِنْهُ السَّمَاوَاتُ، ثُمَّ خَلَقَ النُّونَ) والنون هو الحوت، (ثُمَّ خَلَقَ النُّونَ فَدُحِيَتِ الْأَرْضُ عَلَى ظَهْرِ النُّونِ فَتَحَرَّكَ النُّونُ فَمَادَتِ الْأَرْضُ، فَأُثْبِتَتْ بِالْجِبَالِ، فَإِنَّهَا لَتَفْخَرُ عَلَيْهَا).

أيضًا الذي يليه (عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: ذُكِرَ لَهُ قَوْمٌ يَتَكَلَّمُونَ فِي الْقَدَرِ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ شَيْئًا، فَكَانَ أَوَّلُ مَا خَلَقَ الْقَلَمَ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَكْتُبَ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ).

ثم ذكر أيضًا (عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: "كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّى وَضْعُكَ يَدَكَ عَلَى خَدِّكَ) وهذا يبين أن كل شيء يحدث بقدر من الله عز وجل؛ حتى وضع اليد ورفع اليد، كما أيضًا جاء في سند لعليّ رضي الله عنه سيختم به أيضًا وقلناه الأسبوع الماضي؛ لما أخذ باصبعه ووضعه في ريقه ثم فعل ذلك، قال هذا كله بقدر من الله عز وجل. وهذا يبين أن ما في شيء في هذا الكون إلا بقدر من الله عز وجل.

نكمل بقية الآثار، سنحاول أن نمر عليها سريعًا لأن المعنى فيها واضح ليس فيها مسائل كثيرة مُشكَلة، وكلها آثار عن الصحابة وعن التابعين بعد ذلك.

446 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نَا أَبُو الْحَارِثِ سُرَيْجُ بْنُ يُونُسَ قَالَ: نَا مَرْوَانُ بْنُ شُجَاعٍ، عَنْ سَالِمٍ الْأَفْطَسِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «مَا غَلَا أَحَدٌ فِي الْقَدَرِ إِلَّا خَرَجَ مِنَ الْإِيمَانِ»

447 - أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ، عَنْ لَيْثٍ، عَنْ طَاوُسٍ قَالَ: «الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ مِنَ الْقَدَرِ»

448 - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ النَّيْسَابُورِيُّ قَالَ نا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى وَأَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ قَالَا: نا عَبْدُ الرَّزَّاقِ قَالَ: أنا مَعْمَرٌ عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ بِقَدَرٍ»

449 - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ النَّيْسَابُورِيُّ أَيْضًا قَالَ: نا يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى قَالَ: نا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ، أَنَّ مَالِكًا، أَخْبَرَهُ عَنْ زِيَادِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ طَاوُسٍ الْيَمَانِيِّ أَنَّهُ قَالَ: أَدْرَكْتُ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُونَ: «كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ»

وَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ»

450 - أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: نا وَكِيعٌ، عَنْ حَنْظَلَةَ، عَنْ طَاوُسٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: "الْحَذَرُ لَا يُغْنِي مِنَ الْقَدَرِ، وَلَكِنَّ الدُّعَاءَ يَدْفَعُ الْقَدَرَ

451- حَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا أَبُو مَسْعُودٍ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مَسْعُودٍ الْجَحْدَرِيُّ قَالَ: نا مُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ: نا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «مَا فِي الْأَرْضِ قَوْمٌ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَجِيئُونِي فَيُخَاصِمُونِي مِنَ الْقَدَرِيَّةِ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ قَدَرَ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ، وَهُمْ يُسْأَلُونَ»

452 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: نا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ قَالَ: أنا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ أَنَّهُ كَانَ مَعَ طَاوُسٍ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَمَرَّ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ فَقَالَ قَائِلٌ لِطَاوُسٍ: هَذَا مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ، فَعَدَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: أَنْتَ الْمُفْتَرِي عَلَى اللَّهِ؟ الْقَائِلُ مَا لَا يَعْلَمُ؟ قَالَ: إِنَّهُ يَكْذِبُ عَلَيَّ قَالَ أَبُو الزُّبَيْرِ فَعَدَلَ مَعَ طَاوُسٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَقَالَ طَاوُسٌ يَا أَبَا عَبَّاسٍ الَّذِينَ يَقُولُونَ فِي الْقَدَرِ؟ قَالَ: "أَرُونِي بَعْضَهُمْ، قُلْنَا: صَانِعٌ مَاذَا؟ قَالَ: إِذَا أَضَعُ يَدِي فِي رَأْسِهِ فَأَدُقُّ عُنُقَهُ

453 - أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: نا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَيْسَرَةَ، عَنْ طَاوُسٍ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي حَلْقَةٍ، فَذَكَرُوا أَهْلَ الْقَدَرِ فَقَالَ: " مِنْهُمْ هَا هُنَا أَحَدٌ؟ فَآخُذُ بِرَأْسِهِ فَأَقْرَأُ عَلَيْهِ: {وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا} [الإسراء: ٤] ثُمَّ أَقْرَأُ عَلَيْهِ آيَةَ كَذَا وَآيَةَ كَذَا, آيَاتٌ فِي الْقُرْآنِ

454 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: نا بَهْزُ بْنُ أَسَدٍ قَالَ: نا شُعْبَةُ قَالَ: نا أَبُو هَاشِمٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: "لَوْ رَأَيْتُ أَحَدَهُمْ لَأَخَذْتُ بِشَعَرِهِ يَعْنِي

الْقَدَرِيَّةَ قَالَ شُعْبَةُ: فَحَدَّثْتُ بِهِ أَبَا بِشْرٍ قَالَ: سَمِعْتُ مُجَاهِدًا يَقُولُ وَاحْتَفَزَ: ذَكَرُوا عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ فَتَحَفَّزَ وَقَالَ: لَوْ رَأَيْتُ أَحَدَهُمْ لَعَضَضْتُ أَنْفَهُ "

455 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ نا شَرِيكٌ، عَنِ ابْنِ خُثَيْمٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: إِنِّي أَرَدْتُ أَنْ آتِيَكَ بِرَجُلٍ يَتَكَلَّمُ فِي الْقَدَرِ قَالَ: "لَوْ أَتَيْتَنِي بِهِ لَأَسْتَتِبَّ لَهُ وَجْهَهُ أَوْ لَأَوْجَعْتُ رَأْسَهُ، لَا تُجَالِسُهُمْ وَلَا تُكَلِّمْهُمْ

456- وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدِّمَشْقِيُّ قَالَ: نا الْوَلِيدُ يَعْنِي ابْنَ مُسْلِمٍ قَالَ: نا الْأَوْزَاعِيُّ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ هَزَّانَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: " الْقَدَرُ: نِظَامُ التَّوْحِيدِ، فَمَنْ وَحَّدَ اللَّهَ تَعَالَى وَآمَنَ بِالْقَدَرِ، فَهِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى الَّتِي لَا انْفِصَامَ لَهَا، وَمَنْ وَحَّدَ اللَّهَ تَعَالَى وَكَذَّبَ بِالْقَدَرِ، فَإِنَّ تَكْذِيبَهُ بِالْقَدَرِ نَقْضٌ لِلتَّوْحِيدِ

457- أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ الصُّوفِيُّ قَالَ: نا مُحَمَّدُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ: نا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ، وَإِسْمَاعِيلَ بْنِ رَافِعٍ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو، يَرْفَعُونَهُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: " الْقَدَرُ نِظَامُ التَّوْحِيدِ، فَمَنْ وَحَّدَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَكَذَّبَ بِالْقَدَرِ، كَانَ تَكْذِيبُهُ لِلْقَدَرِ نَقْضًا لِلتَّوْحِيدِ، وَمَنْ وَحَّدَ اللَّهَ وَآمَنَ بِالْقَدَرِ، كَانَتِ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى

وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: "بَابُ شِرْكٍ فُتِحَ عَلَى أَهْلِ الْقِبْلَةِ: التَّكْذِيبُ بِالْقَدَرِ، فَلَا تُجَادِلُوهُمْ، فَيُجْرِيَ شِرْكَهُمْ عَلَى أَيْدِيكُمْ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ وَقَدْ ذَكَرْنَا عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَا حَضَرْنَا ذِكْرُهُ مِنَ الرَّدِّ عَلَى الْقَدَرِيَّةِ، عَلَى مَا يُوَافِقُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، اسْتَغْنَيْنَا بِمَا ذَكَرْنَاهُ عَنِ الْكَلَامِ وَسَنَذْكُرُ عَنِ التَّابِعِينَ وَالْعُلَمَاءِ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ مِمَّا تَأَدَّى إِلَيْنَا مِنْ رَدِّهِمْ عَلَى الْقَدَرِيَّةِ عَلَى مَا يُوَافِقُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَقَوْلَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، مِمَّا إِذَا سَمِعَهُ الْقَدَرِيُّ، فَإِنْ كَانَ مِمَّنْ أُرِيدَ بِهِ الْخَيْرُ رَاجَعَ دِينَهُ، وَتَابَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَأَنَابَ، وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ: فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ وَأَقْصَاهُ

هذه الآثار التي قرأناها إلى الآن أيضًا ذكر فيها أن كل شيء من القدر؛ (**الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ مِنَ الْقَدَرِ**)، وأيضًا قال النبي ﷺ: (**كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ**) و(كل) تفيد العموم؛ ما من شيء إلا بقدر.

ثم ذكر بأن (الْحَذَرُ لَا يُغْنِي مِنَ الْقَدَرِ، وَلَكِنَّ الدُّعَاءَ يَدْفَعُ الْقَدَرَ) هذه قد بيناها أيضًا، الحذر لا يغني من القدر لأن النبي ﷺ قال لأحد الصحابة فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا..، إلى آخر الحديث، ثم قال: ولا تقل لو أني فعلت كذا ما كان كذا، فهذا يدل على أنك ما عليك إلا أنك تأخذ بالأسباب في ذلك، وأن الحذر لا يمنع من وقوع القدر، لكنك يمكن أن تدفع القدر بالدعاء كما جاء في بعض الأحاديث القدر والدعاء يتعالجان في السماء فيدفع أحدهما الآخر، وأيضًا ما ورد عن عمر رضي الله عنه وأرضاه لما كان يطوف فقال "اللهم إن كنت كتبتني شقيًا فامحني واكتبني سعيدًا".

فهذه تدل على أن الدعاء يدفع فيه القدر، وأن المرء عليه أن يدفع ما قُدِّر عليه بالدعاء، ذلك شُرِّع الدعاء لماذا؟ ليرفع المصائب، يرفع البلايا، يرفع المرض، يرفع ما يصيب به المرء يكون بالدعاء، وهذا كله قدر، لكن من أسباب رفع القدر هو الدعاء، وأما إذا قدر الله عز وجل أن يقع أمرًا فسيقع؛ سواء أخذت بالحذر أو لم تأخذ بالحذر فهذا لن يمنع وقوع القدر فيه.

لذلك تكلموا في مسألة (لو) هذه، وقد بينا من قبل بأن هناك (لو) فيها النكارة وفيها الذم التي تفتح عمل الشيطان، و(لو) التي قالها النبي ﷺ في بعض الأمور الشرعية: [لو استقبلتُ من أمري ما استدبرتُ ما سُقْتُ الهديَ ولجعلتُها عمرةً] ، وأيضًا في يوم عاشوراء قال: [لئِن بَقيتُ إلى قابِلٍ لأصومَنَّ التَّاسِعَ والعاشِرَ] أو يومًا قبله أو يومًا بعده، إلى آخر ذلك من الأمور الشرعية، بخلاف الأمور القدرية؛ فـ (لو) في القدر غير (لو) في الشرع، وقد بينا ذلك من قبل.

ثم ذكر عدة آثار عن ابن عباس رضي الله عنهما كلها تبين ذم ابن عباس في نفاة القدرية الذين قد ظهروا في أواخر زمان الصحابة عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر، ظهر أولهم عن معبد الجهني، لذلك لما قالوا لطاوس هذا معبد الجهني، فقال له: (أَنْتَ الْمُفْتَرِي عَلَى اللَّهِ؟) لأن أول من قال بالقدر في الكوفة كان معبد الجهني، ثم نُقِل عنه بعد ذلك، وأخذه كما قلنا أبان ثم أخذه من ابن سبأ إلى آخر ذلك إلى أن وصل له ثم انتشر من بعد ذلك، لكنه أول من قال بذلك في زمانه في الكوفة هو معبد الجهني، لذلك قال له: (أَنْتَ الْمُفْتَرِي عَلَى اللَّهِ؟ الْقَائِلُ مَا لَا يَعْلَمُ؟ قَالَ: إِنَّهُ يَكْذِبُ عَلَيَّ)، وهذا طبعًا لم يكن يُكذَب عليه بل كان معلوم أنه أول من قال ذلك. ثم بيَّن لما علم ابن عباس قال: ("أَرُونِي بَعْضَهُمْ. قُلْنَا: صَانِعٌ مَاذَا؟ قَالَ: إِذًا أَضَعُ يَدِي فِي رَأْسِهِ فَأَدُقُّ عُنُقَهُ) "أدق عنقه" هذا دلالة على شدة الإنكار على هؤلاء حتى لا يُترَكون لأن بدعتهم شر مستطير، وقد حدث في الأمة بعد ذلك، فكان الصحابة ينكرون ذلك أشد النكارة.

وأيضًا ذكر في الذي يليه: فَذَكَرُوا أَهْلَ الْقَدَرِ فَقَالَ: "مِنْهُمْ هَا هُنَا أَحَدٌ؟ فَآخُذُ بِرَأْسِهِ فَأَقْرَأُ عَلَيْهِ: {وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا} [الإسراء: 4] ما الشاهد في هذه الآية؟ ما مناسبتها لباب القدر؟ هنا {وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ} أي قضى الله عز وجل في الكتاب وبين لهم: {لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا * فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا } [الإسراء: 4-5] ، وهذه دلالة صريحة على أن الله عز وجل قد قدر كل شيء {وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ} فقضاء الله نافذ سبحانه وتعالى. لذلك هو سيقرأ عليهم هذه الآيات ليبين بأن كل شيء مقدر من الله عز وجل من قبل.

وكل هذه الروايات لابن عباس تبين شدة انكاره على القدرية، حتى أنه قال: (لَوْ أَتَيْتَنِي بِهِ لَأَسْتَتِبَّ لَهُ وَجْهَهُ أَوْ لَأَوْجَعْتُ رَأْسَهُ. لَا تُجَالِسُهُمْ وَلَا تُكَلِّمْهُمْ)، وهذا فيه نهي من ابن عباس على عدم مجالسة أهل الاهواء والمبتدعة – وتكلمنا فيها في أبواب سابقة – وعدم مكالمتهم، وإما أن تكون المجالسة والمكالمة من أجل المناظرة، ومن أجل فقط ردهم إلى الحق، لكنك أن تجالس المبتدعة أو تكالمهم أو تناظرهم هذا ليس من دأب السلف الصالح.

وقد بينا هذا في الأبواب الأولى في الكتاب في مسألة المناظرة والمجادلة، وقلنا بأن ما يحدث في زماننا هذا من كثرة ما يكون بين الناس على الصفحات في هذه المواقع يجادلون بعضهم بعض ويناظرون غالبهم أصلًا ليسوا دارسين، كل واحد قارئ شيء فيظل يتكلم وهذا يتكلم! فهذا ليس من دأب السلف، بل حتى المتخصص إن أراد فهو يدخل فقط ليبين الحق أو يناظر ليبين الحق من الباطل. لكن مجادلتهم ومناظرتهم هذا تقوية لهم، وهذه أيضًا أحيانًا بتكون فيها فتنة لبعض الناس؛ فالناس بتجلس بتكتب كلام وهذا يرد عليه بالكلام والعوام متواجدين يقرأون ويسمعون، ويعلقوا: والله كلامك أوجه، كلامك أنت أفضل، وهو لا يفهم هنا ولا يفهم هنا! ولا حتى الذين بيتكلمون أصلًا أتقنوا هذا الباب حتى يتكلمون فيه!

وهذا كله فيه افساد ليس فيه مصلحة، بل هو المبتدع يريد ذلك؛ فهو أقل شيء عنده هو على بدعته، ما يهمه شيء، لكن هو إن خرَّب على الباقي وهز إيمانيات الناس وعقائد الناس فقد فاز، فهو المستفيد، هو يريد أن يناظر ويجادل لأنه يعلم أنه على الباطل، أو حتى لو يظن أنه على الحق ويريد الحق فهذا استثناء، لكن غالبهم يعلم ويريد أن يكثر من هذه المناظرات والمجادلات فقط لتجميع الناس ونصر كلامه.

لذلك بعض أهل العلم يقولوا (أميتوا البدعة بالسكوت عنها)، لذلك لابد من حكمة ومصلحة، وقد بينا ذلك تفصيلًا من قبل، لأن لابد من الحكمة والمصلحة في هذه المسألة فأحيانًا تكون لو أردت أن تميت البدعة فتسكت عنها وما تتكلم، ستموت والناس لا يعلمون عنها شيء، وأحيانًا تريد أنك تناظر وتتكلم فيها. لكن كلام ابن عباس قال لا تجالسهم ولا تكلمهم لأن فيهم أهل أهواء ومبتدعة ولا يأمن المرء على نفسه.

ثم قال: (الْقَدَرُ: نِظَامُ التَّوْحِيدِ) هو يبين لك بأن أصل التوحيد هو القدر، ركن من أركان التوحيد القدر، (فَمَنْ وَحَّدَ اللَّهَ تَعَالَى وَآمَنَ بِالْقَدَرِ، فَهِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى الَّتِي لَا انْفِصَامَ لَهَا، وَمَنْ وَحَّدَ اللَّهَ تَعَالَى وَكَذَّبَ بِالْقَدَرِ، فَإِنَّ تَكْذِيبَهُ بِالْقَدَرِ نَقْضٌ لِلتَّوْحِيدِ). لذلك مررنا على رواية لابن عباس؛ رواية (446) قال: (مَا غَلَا أَحَدٌ فِي الْقَدَرِ إِلَّا خَرَجَ مِنَ الْإِيمَانِ)، وهذا يدل على أن الإيمان بالقدر من شروط صحة الإيمان، فهو خرج من الإيمان لأنه أصبح من الغلاة القدرية، أو حتى من العكس لو قلنا سواء كانوا من الجبرية أو من القدرية النفاة فكل هؤلاء من المغالاة في القدر، وهذه دلالة على أنه سيخرج من الإيمان بسبب ذلك.

لذلك من وحد بالله ولكن كذب بالقدر فقد نقض توحيده، وهذا معنى أن القدر نظام التوحيد، (كَانَ تَكْذِيبُهُ لِلْقَدَرِ نَقْضًا لِلتَّوْحِيدِ، وَمَنْ وَحَّدَ اللَّهَ وَآمَنَ بِالْقَدَرِ، كَانَتِ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى)، وهذا هو أصل الإيمان أنك تؤمن بالله وتؤمن بالقدر.

ثم قال أيضًا: (بَابُ شِرْكٍ فُتِحَ عَلَى أَهْلِ الْقِبْلَةِ: التَّكْذِيبُ بِالْقَدَرِ، فَلَا تُجَادِلُوهُمْ، فَيَجْرِي شِرْكُهُمْ عَلَى أَيْدِيكُمْ) انظر.. لماذا لا تجادلوهم؟ سيجري الشرك الذي عندهم والبدعة التي عندهم على أيديكم أنتم لما تجادلوهم، سينتشر ذلك، وهذا عين ما يحدث الآن، بعض الناس يكون عندهم اعوجاج في المعتقد، أو عندهم مخالفات، والبعض للأسف وهذه أجدها أكثر في النساء حقيقة؛ لما تكون إمرأة أو أحد ممن اشتهر بالاعوجاج فهم يريدون ظنًا بالمصلحة أنهم يشهرون بها حتى الناس تبعد عنها، فتجده يعمل لها قناة ويأتي بالأباطيل التي عندها ثم يدخل يقول للناس لا تدخلوا هذه المرأة انظروا كلامها، ويدخلون الناس عليها ليسمعوا كلامها! هم الناس أصلًا في سبات، هم لا يعلمون عن المرأة هذه شيء، لكن أنت لما تفعل هذا وتظن بأنك ستدافع عن الدين بهذه الطريقة فأنت الآن نشرت لها ما كانت تقول، والناس لم يكونوا يعلمون شيء ودخلوا وعلموا وابتدأ الآن الكلام عندهم مثلًا: "والله ممكن يكون صواب"، "طيب أين الخطأ الذي فيه"، "طيب كيف نرد؟" فأنت فتنت الناس لم يكن لهم في المسألة أصلًا! وهذا التصرف خطأ، وهذا طبعًا من الابتلاءات التي ابتلينا بها في مسألة التواصل الاجتماعي هذا

والنت وكثرة التواصل، أصبح الآن لا يوجد ضابط ولا تستطيع أن تسيطر على الناس، العدد كبير. والناس تريد أن تأخذ العلم من النت فقط، ولا يرجعون لأهل العلم يستشيرونهم ويسألونهم، هم يريدون العلم هكذا عن طريق التواصل وانتهى ويتصرفون من أنفسهم!

وهذه مسائل لابد فيها من الرجوع لأهل العلم، فابن عباس رأس في هذه المسألة ويرجعون يسألونه فيقول لهم: (فَلَا تُجَادِلُوهُمْ، فَيَجْرِي شِرْكُهُمْ عَلَى أَيْدِيكُمْ). فهنا وجود العالِم بين الناس ليرشدهم ويبين لهم، ولابد للناس أن ترجع للعالِم فتسأله نفعل أو لا نفعل؟ وهذه قلت متكررة للأسف في مسائل كثيرة؛ حتى وقوع بعض الأفاضل في الأخطاء أو بعض الناس يظنونهم على خير فيقع في مشكلة، فتجد الناس تنقسم؛ نخبر الناس أم لا نخبر الناس؟ نشاهد أم لا نشاهد؟ نستر أم لا؟ والناس ليل نهار تسير ومنهم من يقذف هؤلاء الناس ويتهمهم في أعراضهم ويتهمهم في ذممهم المالية وغير ذلك فقط لتنقل الكلام.

فالجهل يحيط بنا حقيقة ولا يوجد فقه في كيفية التعاون مع الناس وكل واحد يظن وهو للأسف لا يعلم أن رسالة واحدة بتنزل تدور مثلًا على الألوف الآن ممكن تدور عليهم أو مئات في مجتمع فتكون المسألة انتهت! أنت رميت الإنسان بباطل بدون تحقق، ودون بينة، فبعض الناس تتكلم في أعراض؛ في أمور تخص العِرض، وليس عنده بينة غير أنه سمع من فلان وفلان قال أو فلانة قالت وهي ثقة عنده! هل نحن بنتكلم في أسانيد! نحن بنتكلم في أعراض ناس، فحتى تقول عن أحد شيء في عرضه لابد لك من بينات شرعية؛ إما شهود، وإما إقرار، لكن هكذا! سين قال أو اعترفت الضحية! من قال أن اعترافه هذا يكون لزوم الدعوة على الفاعل! ولا يفقهون شيء في أمور الحكم ولا في أمور القضايا ولا يهمهم فقط غير أن نحذر الناس نحذر الناس! وهذا كله باطل في باطل حقيقة، وهم يفعلون اثمًا شرعيًا، وأنا أقول أن هذا يحدث كثيرًا وبين الوسط الذي نحن فيه بجهل وتعدي على الناس بدون أي بينات شرعية أصالة، بل أرى الناس فيهم جرأة على هذا العمل بطريقة عجيبة جدًا ولا يهمهم أنهم الآن بيقتلوا أناس بهذا الكلام أصالة، ويظنون أنهم يعملون صالحًا، وهذا العمل هو من أفسد ما يكون.

ثم الشيخ سيذكر بعض آثار التابعين وغيرهم في الرد عليهم بعد أن انتهى من آثار الصحابة، وهذه الآثار حقيقة ليس فيها جديد؛ فإما سنتجاوزها أو نجعلكم تقرأوها.

44- بَابُ مَا ذُكِرَ عَنِ التَّابِعِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الرَّدِّ عَلَيْهِمْ

45- بَابُ سِيرَةِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي أَهْلِ الْقَدَرِ

حقيقة هو انتقى كثير من التابعين ونقل عنهم.

هو الباب هذا و بَابُ سِيرَةِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي أَهْلِ الْقَدَرِ نجعله لكم تقرأونه حتى ندخل في الباب الذي يليه وهو بَابُ تَرْكِ الْبَحْثِ وَالتَّنْقِيرِ عَنِ النَّظَرِ فِي أَمْرِ الْقَدَرِ كَيْفَ؟ وَلِمَ؟ بَلِ الْإِيمَانُ بِهِ وَالتَّسْلِيمُ حتى نبدأ الأسبوع القادم الأبواب الأخرى التي تليه حتى تكون الاستفادة أعظم إن شاء الله.

ممكن فقط انتقي مسألة تكلم وإن كنا بيناها في مسألة الظلم وتعريف الظلم عند أهل السنة والجماعة والأشاعرة وغيرهم ذكرها عند إياس بن معاوية، قال:-

478 - أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ بْنِ حَسَّابٍ قَالَ: نا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ قَالَ: نا حَبِيبُ بْنُ الشَّهِيدِ قَالَ: سَمِعْتُ إِيَاسَ بْنَ مُعَاوِيَةَ يَقُولُ: " لَمْ أُخَاصِمْ بِعَقْلِي كُلِّهِ مِنْ أَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ، غَيْرَ أَصْحَابِ الْقَدَرِ قَالَ: قُلْتُ: أَخْبِرُونِي عَنِ الظُّلْمِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: مَا هُوَ؟ قَالُوا: أَنْ يَأْخُذَ الرَّجُلُ مَا لَيْسَ لَهُ قَالَ: قُلْتُ: فَإِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كُلَّ شَيْءٍ "

479- حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبَنْدَارُ قَالَ: نا بُنْدَارٌ مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَ: نا صَفْوَانُ بْنُ عِيسَى قَالَ: نا حَبِيبُ بْنُ الشَّهِيدِ قَالَ: جَاءُوا بِرَجُلٍ إِلَى إِيَاسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ، فَقَالُوا: هَذَا يَتَكَلَّمُ فِي الْقَدَرِ، فَقَالَ إِيَاسُ: " مَا تَقُولُ؟ قَالَ: أَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَمَرَ الْعِبَادَ وَنَهَاهُمْ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ الْعِبَادَ شَيْئًا قَالَ لَهُ إِيَاسُ: أَخْبِرْنِي عَنِ الظُّلْمِ، تَعْرِفُهُ أَمْ لَا تَعْرِفُهُ؟ قَالَ: بَلَى، أَعْرِفُهُ قَالَ: مَا الظُّلْمُ؟ قَالَ: أَنْ يَأْخُذَ الرَّجُلُ مَا لَيْسَ لَهُ قَالَ: فَمَنْ أَخَذَ مَا لَهُ ظَلَمَ؟ قَالَ: لَا قَالَ إِيَاسُ: الْآنَ عَرَفْتَ الظُّلْمَ؟

هذه المسألة فيها نظر؛ فهنا جعل الظلم هو أن تتعدى على ملك الغير، أو تأخذ ما ليس حقك. **وتعريف الظلم هذا موافق لكلام الأشاعرة**؛ وقلناه من قبل، لأن الأشاعرة يقولون أن الظلم هو التصرف في ملك الغير، فقالوا أن الله عز وجل له كل شيء فيمتنع عليه الظلم، لماذا؟ لأنه عندما سيفعل أي شيء في العباد فهذا ملكه.

فقالوا بأن الظلم هو التصرف في ملك الغير، وهذا موافق لما نقل عن إياس بن معاوية، لذلك هم يقولون بأن الله عز وجل له كل شيء، فلما كان له كل شيء – **انتبه** – يمتنع عليه الظلم، لذلك قالوا كل ما يقدره الذهن من الممكنات فليس بظلم إن فعله الرب، لماذا؟ لأنه مالك لكل شيء، هذا موافق هنا في تعريف الأشاعرة للظلم. **انتبه**.. هم هنا يرون بأن الظلم لا يقدر عليه الله عز وجل، فهو في ملكه، فلا يقدر عليه.

أهل السنة لا يقولون ذلك، يقولون الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، لقوله تعالى مثلًا في سوره طه:{ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا وَلَا هَضۡمٗا} [طه: 112] ، أي لا يخاف أن يُحمَّل عليه سيئات لم يفعلها، أو يعاقب بشيء لم يفعله. وقال تعالى: {وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرًا} [النساء: 124] ، و {إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ} [النساء: 40] . وأيضًا حديث مسلم قول النبي ﷺ عن رب العباد: **[يا عبادي إنِّي حرَّمتُ الظُّلمَ على نفسي وجعلتُهُ بينَكم محرَّمًا]**.

فهنا الفارق أن الله عز وجل يُنزَّه عن الظلم مع قدرته عليه. والأشاعرة يقولون أن الله ممتنع عليه الظلم لأنه بيتصرف في ملكه فممتنع عليه! نقول لا – وهذا أعدل في الكلام– أن الله منزه عن الظلم مع قدرته عليه، لكن الله حرمه على نفسه، وهذه الثمرة في الفرق. طيب ما الفارق؟ أقول لا المسألة ليست لأن الملك له فبذلك كل شيء هو يملكه فلا يكون ظالم! لا، هو حرم الظلم على نفسه لأنه ممتنع عليه الظلم مع قدرته على الظلم.

طبعًا نحن أردنا الأشاعرة فقط لأن الكلام الذي قيل هنا يوافق الأشاعرة، أما **القدرية من المعتزلة** فهم نزهوا الله عز وجل عن الظلم الذي يُنزَّه عنه من جنس الظلم الذي يُنزَّه عنه المخلوق.

وطبعًا الأدلة كثيرة على مسألة نفي الظلم لكن أردنا أن نبين الفرق في التعريف والثمرة في ذلك.

هنا في آخر الباب فيما ذكر عن التابعين قبل سيرة عمر بن عبد العزيز، قال:

510- وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا حَفْصٍ عَمْرَو بْنَ عَلِيٍّ قَالَ: سَمِعْتُ مُعَاذَ بْنَ مُعَاذٍ، وَذَكَرَ قِصَّةَ عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ: إِنْ كَانَتْ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، فَمَا عَلَى أَبِي لَهَبٍ مِنْ لَوْمٍ، قَالَ أَبُو حَفْصٍ: فَذَكَرْتُهُ لِوَكِيعِ بْنِ الْجَرَّاحِ فَقَالَ: «مَنْ قَالَ بِهَذَا يُسْتَتَابُ، فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا ضُرِبَتْ عُنُقُهُ»

هذا كلام من؟

هو قدري؛ هو يريد أن يقول أن هذا ليس مكتوبًا، **فالقدرية** بينفوا أن تكون الأعمال معلومة، وهو بيقول لو كان هذا مكتوبًا فأبو لهب ليس عليه شيء، فلماذا سيعذب أبو لهب؟ هو الآن يريد أن يثبت بأنها غير مكتوبة، قال لو كانت مكتوبة فليس هناك لوم على أبي لهب لأن الله هو الذي قدر عليه ذلك!

طبعًا هو الضلال كله بين الجبرية والقدرية في الإرادة الكونية والإرادة الشرعية في الاثباتات، لكن هو قدري، فلذلك هو يريد أن يقول أن هذا من فعل أبو لهب لذلك استحق النار فلو كانت هذه مكتوبة في اللوح المحفوظ إذًا هو لا يستحق النار لأن ربنا قد كتبها عليه، أراد أن يستدل بذلك لأنه لا يفرق بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية، لكن هو كلام قدري يدل على عدم تفريقه بين الإرادة الكونية والشرعية، يريد أن يستدل بأنها لو كانت مكتوبة ما دخل النار، لأن هو عنده الذي بيدخل النار جزاء الأعمال التي يعملها هو، لأن هو الجنة والنار جزاء الأعمال التي يفعلها العبد.

نقف عند هذا القدر، ونتجاوز قراءة هذا الباب والذي يليه، نقف عند بَابُ تَرْكِ الْبَحْثِ وَالتَّنْقِيرِ عَنِ النَّظَرِ فِي أَمْرِ الْقَدَرِ كَيْفَ؟ وَلِمَ؟ بَلِ الْإِيمَانُ بِهِ وَالتَّسْلِيمُ، إن شاء الله نبدأ فيه الأسبوع القادم.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

المحاضرة التاسعة والأربعون

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام على موعد مع شرح كتاب الشريعة للإمام الآجري – عليه رحمة الله تعالى؛ هذا الكتاب المبارك، نسأل الله عز وجل أن ننتفع بهذا العلم، وأن نعمل به.

واليوم هو الباب الخاتم لكلام الشيخ عن القدر وعن القدرية، وهذا في بعض النسخ هو تتمة الجزء السادس إن استطعنا إن شاء الله ننجزه اليوم لأن بعد ذلك سندخل على مسائل أخرى؛ مسألة النظر إلى وجه الله عز وجل والخلاف بين ذلك، إلى غير ذلك من مسائل العقيدة.

لكن هذا الباب هو ختام أبواب القدر والرد القدرية إلى غير ذلك من الأبواب الماتعة التي قد ذكرها المؤلف في الصفحات السابقة التي تعرضنا إليها. هذا الباب هو **بَابُ تَرْكِ الْبَحْثِ وَالتَّنْقِيرِ عَنِ النَّظَرِ فِي أَمْرِ الْقَدَرِ كَيْفَ ؟ وَلِمَ ؟ بَلِ الْإِيمَانُ بِهِ وَالتَّسْلِيمُ** ، ويظهر من العنوان كما سيأتي من الآثار والأحاديث بأن مقصود الإمام – عليه رحمة الله تعالى – بأنه قد بين ذلك من قبل في مسألة القدرية والمجادلة والمناظرة معهم أن الأصل بأن المسلم في أبواب

القدر يعتقد بها ويسلم بها لله عز وجل، ولا يبحث كما قال: تَرْكِ الْبَحْثِ وَالتَّنْقِيرِ عَنِ النَّظَرِ فِي أَمْرِ الْقَدَرِ لأن القدر هذا من أسرار الله عز وجل، فالأصل أن المرء يسلم به على حاله وعلى ما كشف الله عز وجل لنا به من أسرار القدر في قدراتنا وفي عقولنا، وإلى هنا يقف ولا يسأل كيف يحدث ذلك؟ ولم يحدث ذلك؟ بل كما قال: الْإِيمَانُ بِهِ وَالتَّسْلِيمُ ، وهذا من تمام الإيمان بالقدر؛ أن يسلم كما قال النبي ﷺ للصحابي: [وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ]، هذا هو التسليم للقدر؛ أنك حتى تؤمن بالقدر لابد أن تعلم بذلك، فهذا تمام التسليم.

أما المناظرة والكلام وغير ذلك هذا الذي نهينا عنه في باب القدر لأن القدر "دحض مزلة" كما قال علماؤنا؛ فالإنسان ممكن لو دخل في هذه الأبواب فيما لا يعنيه وفيما لم يبيحه الله عز وجل له قد يقع فيه ويُفتَن، ويقع في البدعة إلى غير ذلك.

فذكر لنا المؤلف بعض الأحاديث وإن كان الباب فيه ما فيه بعضها من الصحة وبعض الأحاديث فيها من الضعف ولكن المعنى متفق عليه، سنتعرض إليها إن شاء الله بالقراءة الآن والتعليق ما استطعنا.

46- بَابُ تَرْكِ الْبَحْثِ وَالتَّنْقِيرِ عَنِ النَّظَرِ فِي أَمْرِ الْقَدَرِ كَيْفَ؟ وَلِمَ؟ بَلِ الْإِيمَانُ بِهِ وَالتَّسْلِيمُ

531 - حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ سَهْلُ بْنُ أَبِي سَهْلٍ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: نا أَبُو حَفْصٍ عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: نا يَحْيَى بْنُ عُثْمَانَ الْقُرَشِيُّ سَنَةَ ثَمَانِينَ وَمِائَةٍ سَمِعْتُهُ مِنْهُ قَالَ: نا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَكَلَّمَ فِي الْقَدَرِ سُئِلَ عَنْهُ، وَمَنْ لَمْ يَتَكَلَّمْ فِيهِ لَمْ يُسْأَلْ عَنْهُ»

532- حَدَّثَنَا أَبُو سَهْلِ بْنُ أَبِي سَهْلٍ أَيْضًا قَالَ: نا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: نا حَمَّادُ بْنُ مَسْعَدَةَ قَالَ: حَدَّثَنِي زِيَادٌ أَبُو عَمْرٍو قَالَ: نا مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْقُرَشِيُّ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ ابْنِ عُمَرَ فَسُئِلَ عَنِ الْقَدَرِ؟ فَقَالَ: «شَيْءٌ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَلَّا يُطْلِعَكُمْ عَلَيْهِ، فَلَا تُرِيدُوا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى مَا أَبَى عَلَيْكُمْ»

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذَا مَعْنَى مَا قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي رِسَالَتِهِ لِأَهْلِ الْقَدَرِ، قَوْلُهُ: فَلَئِنْ قُلْتُمْ: قَدْ قَالَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ كَذَا وَكَذَا، يُقَالُ لَهُمْ: لَقَدْ قَرَءُوا مِنْهُ يَعْنِي الصَّحَابَةَ مَا قَدْ قَرَأْتُمْ وَعَلِمُوا مِنْ تَأْوِيلِهِ مَا جَهِلْتُمْ، ثُمَّ قَالُوا بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ: كُلُّهُ كِتَابٌ وَقَدَرٌ، وَكَتَبَ الشِّقْوَةَ، وَمَا قُدِّرَ يَكُنْ، وَمَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَلَا نَمْلِكُ لِأَنْفُسِنَا ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، ثُمَّ رَغِبُوا بَعْدَ ذَلِكَ وَرَهِبُوا وَالسَّلَامُ

533 - أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: نا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدَ: "أَنَّ عُزَيْرًا سَأَلَ رَبَّهُ تَعَالَى عَنِ الْقَدَرِ؟ فَقَالَ: سَأَلْتَنِي عَنْ عِلْمِي، عُقُوبَتُكَ أَنْ لَا أُسَمِّيَكَ فِي الْأَنْبِيَاءِ

534 - أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ، عَنْ نَوْفٍ قَالَ: "قَالَ عُزَيْرٌ فِيمَا يُنَاجِي بِهِ رَبَّهُ: يَا رَبِّ تَخْلُقُ خَلْقًا فَتُضِلُّ مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ قَالَ: قِيلَ لَهُ: يَا عُزَيْرُ، أَعْرِضْ عَنْ هَذَا قَالَ: فَعَادَ فَقَالَ: يَا رَبِّ تَخْلُقُ خَلْقًا، فَتُضِلُّ مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ قَالَ: قِيلَ لَهُ: يَا عُزَيْرُ، أَعْرِضْ عَنْ هَذَا، {وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا} [الكهف: ٥٤] فَعَادَ فَقَالَ: يَا عُزَيْرُ، لَتُعْرِضَنَّ عَنْ هَذَا أَوْ لَمَحَوْتُكَ مِنَ النُّبُوَّةِ، إِنِّي لَا أُسْأَلُ عَمَّا أَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ"

535 - حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرُ بْنُ إِدْرِيسَ الْقَزْوِينِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو يُوسُفَ يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ الْقَزْوِينِيُّ الصَّوَّافُ قَالَ: نا سَهْلُ بْنُ عُثْمَانَ الْعَسْكَرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ النُّعْمَانِ، عَنْ نَهْشَلٍ، عَنِ الضَّحَّاكِ بْنِ عُثْمَانَ قَالَ: وَافَيْتُ الْمَوْسِمَ، فَلَقِيتُ فِي مَسْجِدِ الْخَيْفِ ذِكْرَ جَمَاعَةٍ قَالَ: وَرَأَيْتُ طَاوُسًا الْيَمَانِيَّ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ لِرَجُلٍ: إِنَّ الْقَدَرَ سِرُّ اللَّهِ تَعَالَى، فَلَا تَدْخُلَنَّ فِيهِ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ يُحَدِّثُ عَنْ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا خَرَجَ مِنْ عِنْدِ فِرْعَوْنَ مُتَغَيِّرَ الْوَجْهِ، إِذِ اسْتَقْبَلَهُ مَلَكٌ مِنْ خَزَّانِ النَّارِ وَهُوَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ مُتَعَجِّبًا لِمَا قَالَ لَهُ الرُّوحُ الْأَمِينُ: إِنَّ رَبَّكَ عَزَّ وَجَلَّ أَرْسَلَكَ إِلَى فِرْعَوْنَ مَعَ أَنَّهُ قَدْ طُبِعَ عَلَى قَلْبِهِ فَلَنْ يُؤْمِنَ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ، فَدُعَائِي مَا هُوَ؟ قَالَ: امْضِ لِمَا أُمِرْتَ قَالَ صَدَقْتَ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُوسَى اثْنَا عَشَرَ مَلَكًا مِنْ خَزَّانِ النَّارِ، وَقَدْ جَهَدْنَا عَلَى أَنْ نَسْأَلَ فِي هَذَا الْأَمْرِ، فَأَوْحَى إِلَيْنَا أَنَّ الْقَدَرَ سِرُّ اللَّهِ، فَلَا تَدْخُلُوا فِيهِ"

قلنا أن الباب فيه بعض الأحاديث الضعيفة سنستأنس بها فقط في الباب لأن المعنى ثابت في الأحاديث الأخرى، منها الأثر الذي بدأ به عن عائشة رضي الله عنها قالت: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مِنْ تَكَلَّمَ فِي الْقَدَرِ سُئِلَ عَنْهُ، وَمَنْ لَمْ يُتَكَلَّمْ فِيهِ لَمْ يُسْأَلْ عَنْهُ»)، هو المعنى هنا على أن النهي عن الكلام في القدر والتسليم به كما قلت، لأن من تكلم سيتكلم بغير علم، فالقدر سر من أسرار الله عز وجل، تفمن كلم بأمر الخصوصية فيها لله سيُسئل عن هذا الكلام، وهذا فيه بيان نهي من النبي ﷺ على أن المرء لا يتكلم في القدر لأنه من أسرار الله عز وجل.

وأيضًا لما نُقِل عن ابن عمر رضي الله عنهما فسُئل عن القدر فقال: (شَيْءٌ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَلَّا يُطْلِعَكُمْ عَلَيْهِ، فَلَا تُرِيدُوا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى مَا أَبَى عَلَيْكُمْ)، وهذا يبين أيضًا على أن أمور القدر أمور غيبية لله عز وجل ولم يطلعنا عليها فلا يتجرأ المرء على أن يدخل فيما لا يعنيه. فالمسألة كلها بيان للتسليم في مسألة القدر والإيمان به على ما هو عليه.

ثم ذكر الرسالة التي كانت لعمر بن عبد العزيز في القدر وذكر فيه أن الصحابة رضوان الله عليهم قرءوا ما قرأتم؛ أي أنه قد عُرِضت هذه الآيات وهذه الأحاديث على الصحابة الكرام وهم الذي نزل عليهم الوحي بوجودهم مع النبي ﷺ. فيريد أن يقول لهم أن الصحابة نزل عليهم؛ الذين علموا التأويل، وعلموا تفسير هذه الآيات، والصحابة أعلم ممن جاء بعدهم، وبعد أن نزل عليهم ذلك قالوا: (كُلُّهُ كِتَابٌ وَقَدَرٌ) أي كُتِبت الشقاوة وكُتِبت السعادة، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وليس لنا إلا التسليم بذلك. فكأنه يريد أن يقول عليكم بالتأسي بالصحابة الكرام لأنهم نزل عليهم هذا القرآن وهذه السنة في هذا الباب، وهم سلَّموا لذلك، وآمنوا، ولم يتكلموا في القدر، وصبروا على ما أصيبوا به إن كان ضرًا أو على ما أنعم الله عز وجل به إن كان نفعًا، فعلى من جاء من بعد الصحابة أن يتأسوا بالصحابة وبفعلهم الذي فعلوه في هذا الباب.

ثم ذكر بعد ذلك عدة آثار عن عُزَير، وطبعًا سندًا قال: عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدَ: "أَنَّ عُزَيْرًا سَأَلَ، فكل الاساليب التي جاءت في هذه المسألة ضعيفة، وبعضها رواها ابن بطة في الإبانة لكن السند ضعيف جدًا، أبي هند كيف يروي عن عزير؟ وحقيقة أن فيها أيضًا نكارة حتى في المتن. وعُزَير – على الخلاف هل هو نبي أم رجل صالح – فهذا الكلام لا يكون منه: (يَا رَبِّ تَخْلُقُ خَلْقًا، فَتُضِلُّ مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ قَالَ: قِيلَ لَهُ: يَا عُزَيْرُ، أَعْرِضْ عَنْ هَذَا) كأنه يتكلم في القدر، ثم عاد فالله عز وجل يقول له:(لَتُعْرِضَنَّ عَنْ هَذَا أَوْ لَمَحَوْتُكَ مِنَ النُّبُوَّةِ، إِنِّي لَا

أُسْأَلُ عَمَّا أَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ) هذا الكلام حقيقة حتى المتن لا يظهر فيه أنه كلام نبوة أو حتى كلام من الله عز وجل.

والذي يليه أيضًا فيما ذُكر عن (طَاوُسًا الْيَمَانِيَّ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ لِرَجُلٍ: إِنَّ الْقَدَرَ سِرُّ اللَّهِ تَعَالَى، فَلَا تَدْخُلَنَّ فِيهِ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ يُحَدِّثُ عَنْ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا خَرَجَ مِنْ عِنْدِ فِرْعَوْنَ مُتَغَيِّرَ الْوَجْهِ) هذه القصة التي ذُكرت أيضًا ذكره اللالكائي في (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)، وأيضًا ابن بطة في (الإبانة)، لكن هو فيه أبو يحيى؛ وهو في السند لم يظهر هنا، وأبو يحيى القتات قالوا هذا ضعيف، فذلك السند أيضًا فيه حقيقة ضعف في مسألة الثبوت. وكان فيه التأكيد أن الملائكة أيضًا آمنوا بالقدر ولم يسألوا عن شيء مما قدره الله عز وجل، فقالوا عن سبب أن موسى عليه السلام خرج من عند فرعون متغير برفض فرعون وأنه لم يقبل كلام موسى عليه السلام، وكأنه متعجب من عدم القبول، فقال له جبريل: (إِنَّ رَبَّكَ عَزَّ وَجَلَّ أَرْسَلَكَ إِلَى فِرْعَوْنَ مَعَ أَنَّهُ قَدْ طُبِعَ عَلَى قَلْبِهِ فَلَنْ يُؤْمِنَ)، وهذه تبين مسألة القدر، لأن الله كتب ذلك {هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ} [التغابن: 2] ، إلى ما ذكر في الحديث وقلنا بأن فيه أيضًا حقيقة ضعف في مسألة الثبوت.

536- وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ حَمَّادٍ قَالَ: نَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ قَالَ: أنا كُلْثُومُ بْنُ جَبْرٍ، عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ أَنَّهُ قَالَ: " أَجِدُ فِي التَّوْرَاةِ، أَوْ فِي الْكِتَابِ: أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا خَالِقُ الْخَلْقِ، خَلَقْتُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، وَخَلَقْتُ مَنْ يَكُونُ الْخَيْرُ عَلَى يَدَيْهِ، فَطُوبَى لِمَنْ خَلَقْتُهُ لِيَكُونَ الْخَيْرُ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ خَلَقْتُهُ لِيَكُونَ الشَّرُّ عَلَى يَدَيْهِ "

طبعًا وهب بن منبه هو ثقه وصادق لكن إشكالية بن منبه أنه مشهور بالرواية عن الإسرائيليات، عنده علم من أهل الكتاب وبالغ في ذلك، وهذا الذي نُقِل عنه حتى الذهبي في (ميزان الاعتدال) نقل ذلك، لكن قال: "وكان ثقة صادقًا كثير النقل من كتب الإسرائيليات"، وطبعًا لما يكون مشهور عن الراوي أنه ينقل من كتب الإسرائيليات فيتوقف في الأمور التي فيها الغيبيات أو غير ذلك؛ لا نستطيع أن نقول يكون له حكم الرفع لأنه ممكن يكون قد أخذها من الإسرائيليات. ويقول: (أَجِدُ فِي التَّوْرَاةِ، أَوْ فِي الْكِتَابِ: أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا خَالِقُ الْخَلْقِ، خَلَقْتُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، وَخَلَقْتُ مَنْ يَكُونُ الْخَيْرُ عَلَى يَدَيْهِ، فَطُوبَى لِمَنْ خَلَقْتُهُ لِيَكُونَ الْخَيْرُ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ خَلَقْتُهُ لِيَكُونَ الشَّرُّ عَلَى يَدَيْهِ)، والحديث حسنه الشيخ الألباني في (رياض الجنة)،

وأيضًا ذكره ابن أبي عاصم في (السنة)، وذكروا الإمام ابن بطة في (الإبانة)، والمعنى ليس فيه شيء فالمعنى صحيح؛ لأن الله عز وجل يثبت بأنه الخالق سبحانه وتعالى؛ خلق الخير والشر – خلق الايجاد– وكل فعله خير، وخلق أيضًا من يكون الخير على يديه وفقه لذلك، وخلق أيضًا من يكون الشر على يديه وأراد له ذلك من سابق علمه.

كل هذا اثباتًا لمسألة القدر والرد القدرية، وطبعًا ما نعيد ونزيد مرة أخرى فنحن نختم الباب، لكن كل هذا فيه رد على القدرية لأنه فيه بيان بأن الله خالق كل شيء؛ خالق الخير وخالق الشر، وهو المقدر وكتب على العباد كل شيء.

537 – وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: نا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ عَقِيلٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ مُسَافِعَ الْحَاجِبِ أَنَّهُ قَالَ "وَجَدُوا حَجَرًا حِينَ نَقَضُوا الْبَيْتَ فِيهِ ثَلَاثَةُ صُفُوحٍ، فِيهَا كِتَابٌ مِنْ كُتُبِ الْأَوَّلِ، فَدَعَى لَهَا رَجُلٌ فَقَرَأَهَا , فَإِذَا فِي صَفْحٍ مِنْهَا: أَنَا اللَّهُ ذُو بَكَّةَ صُغْتُهَا يَوْمَ صُغْتُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حَفَفْتُهَا بِسَبْعَةِ أَمْلَاكٍ، وَبَارَكْتُ لِأَهْلِهَا فِي اللَّحْمِ وَالْمَاءِ، وَفِي الصَّفْحِ الْآخَرِ: أَنَا اللَّهُ ذُو بَكَّةَ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ، وَاشْتَقَقْتُ لَهَا مِنِ اسْمِي، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ، وَفِي الصَّفْحِ الثَّالِثِ: أَنَا اللَّهُ ذُو بَكَّةَ خَلَقْتُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، فَطُوبَى لِمَنْ كَانَ الْخَيْرُ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ كَانَ الشَّرُّ عَلَى يَدَيْهِ"

538 – وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: يُوسُفُ بْنُ سَهْلٍ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: "حَجَجْتُ فَسَمِعْتُ رَجُلًا، يُلَبِّي يَقُولُ فِي تَلْبِيَتِهِ: لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، فَلَمَّا دَخَلْتُ مَكَّةَ لَقِيتُ سُفْيَانَ، فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي سَمِعْتُ، فَمَا زَادَنِي عَلَى أَنْ قَالَ: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ} [الفلق: ٢]

539 – وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا قَطَنُ بْنُ نَسِيرٍ قَالَ: نا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ: نا أَبُو سِنَانٍ قَالَ: اجْتَمَعَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ، وَعَطَاءٍ الْخُرَاسَانِيُّ بِمَكَّةَ فَقَالَ عَطَاءٌ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا كُتُبٌ بَلَغَنِي أَنَّهَا كُتِبَتْ عَنْكَ فِي الْقَدَرِ؟ فَقَالَ وَهْبٌ: وَمَا كَتَبْتُ كُتُبًا، وَلَا تَكَلَّمْتُ فِي الْقَدَرِ، ثُمَّ قَالَ وَهْبٌ: قَرَأْتُ نَيِّفًا وَسَبْعِينَ مِنْ كُتُبِ اللَّهِ تَعَالَى، مِنْهَا نَيِّفٌ وَأَرْبَعُونَ ظَاهِرَةٌ فِي الْكَنَائِسِ، وَمِنْهَا نَيِّفٌ وَعِشْرُونَ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا قَلِيلٌ مِنَ النَّاسِ، فَوَجَدْتُ فِيهَا كُلِّهَا: «أَنْ مَنْ وَكَّلَ إِلَى نَفْسِهِ شَيْئًا مِنَ الْمَشِيئَةِ فَقَدْ كَفَرَ»

الحديث الذي ذكره اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ عَقِيلٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ مُسَافِعَ الْحَاجِبِ أَنَّهُ قَالَ " وَجَدُوا حَجَرًا حِينَ نَقَضُوا الْبَيْتَ فِيهِ ثَلَاثَةُ صُفُوحٍ، أولًا استند إلى مسافع، لكن بين مسافع وبين هذه القصة انقطاع ظاهر. والحديث أيضًا كما أخرجه هنا الإمام أخرجه الإمام ابن بطة أيضًا وعبد الرزاق لكن فيه انقطاع ظاهر من بعد مسافع.

لكن القصة على أنهم وجدوا حجرًا حين نقضوا البيت لإعادة البناء، ولم يذكر طبعًا في أي وقت هذا، (ثَلَاثَةُ صُفُوحٍ، فِيهَا كِتَابٌ مِنْ كُتُبِ الْأُوَلِ، فَدَعَى لَهَا رَجُلٌ فَقَرَأَهَا) كأن اللغة قديمة ليست اللغة المعلومة، وذكر فيها بأن الله عز وجل خلق الشمس والقمر وحففها بسبعة أملاك وبارك لأهلها في اللحم والماء. وفي الثانية خلق الرحم واشتق لها من اسمه (وَاشْتَقَقْتُ لَهَا مِنِ اسْمِي) والله عز وجل اسمه الرحمن والرحيم، وخلق الرحم، فأنزل رحمة في الأرض يتراحم الناس بها وأبقى تسعة وتسعين رحمة عنده إلى يوم القيامة يفصل الله عز وجل بها بين العباد، وقال: (فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ). ثم الثالثة قال: (أَنَا اللَّهُ ذُو بَكَّةَ خَلَقْتُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ) وهنا هذا المقصود الشاهد في الأثر؛ بأن الله خالق الخير والشر، (فَطُوبَى لِمَنْ كَانَ الْخَيْرُ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ كَانَ الشَّرُّ عَلَى يَدَيْهِ)، هذا عموم الخلق لله عز وجل، وفيه الرد به على القدرية.

ثم الذي يليه ذكر الحديث الذي قال فيه (يُوسُفُ بْنُ سَهْلٍ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: حَجَجْتُ فَسَمِعْتُ رَجُلًا، يُلَبِّي يَقُولُ فِي تَلْبِيَتِهِ: لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ)، وهذا أصله حديث النبي ﷺ في دعاء الاستفتاح؛ لما ذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي ﷺ: [كان إذا قامَ إلى الصَّلاةِ قال: وجَّهتُ وجهيَ للَّذي فطَرَ السَّمواتِ والأرضَ حَنيفًا، وما أنا مِنَ المُشرِكينَ، إنَّ صَلاتي ونُسُكي ومَحيايَ ومَماتي للَّهِ رَبِّ العالَمينَ، لا شَريكَ له، وبِذلك أُمِرتُ وأنا مِنَ المُسلِمينَ، اللَّهُمَّ أنتَ المَلِكُ لا إلَهَ إلَّا أنتَ، أنتَ رَبِّي وأنا عَبدُكَ، ظَلَمتُ نَفسي، واعتَرَفتُ بذَنبي، فاغفِرْ لي ذُنوبي جَميعًا، إنَّه لا يَغفِرُ الذُّنوبَ إلَّا أنتَ، واهدِني لأحسَنِ الأخلاقِ، لا يَهدي لأحسَنِها إلَّا أنتَ، واصرِفْ عَنِّي سَيِّئَها، لا يَصرِفُ عَنِّي سَيِّئَها إلَّا أنتَ، لَبَّيكَ وسَعدَيكَ، والخَيرُ كُلُّه في يَدَيكَ، والشَّرُّ ليس إليكَ] هذا هو الشاهد [أنا بكَ وإليكَ، تَبارَكتَ وتَعالَيتَ، أستَغفِرُكَ وأتوبُ إليكَ].

هذا الحديث فيه مسألة اثبات الدعاء للنبي ﷺ وفيه إشكالية بيناها من قبل [والشَّرُّ ليس إليكَ]، لذلك لما قال هذا الرجل هذا الدعاء وهذا فيه إشكال:(فَلَمَّا دَخَلْتُ مَكَّةَ لَقِيتُ سُفْيَانَ، فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي سَمِعْتُ، فَمَا زَادَنِي عَلَى أَنْ قَالَ: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ}

[الفلق:٢]) أراد أن يرد على كلام الأعرابي أن ليس فيه شيء، لأن الأعرابي أتى بما أتى به النبي ﷺ [والشَّرُّ ليس إليكَ]، فأراد أن يثبت الشر فقال: {مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ}.

فهنا ظهر الإشكال عند بعض أهل العلم، أو هو حقيقة ليس إشكال لكن وقع فيه من وقع من المبتدعة، وأرادوا بـ [والشَّرُّ ليس إليكَ] أن يقولوا بأن أفعال العباد فيها شرور لذلك لا يخلقها عز وجل. فكأنه هنا يريد أن يرد على هذا الإشكال الذي قد يتمثل لبعض الناس من المبتدعة فيقولوا أن "الشر ليس إليك" على أن العباد يخلقون أفعالهم خاصة الذنوب والمعاصي وليس الله عز وجل هو الذي يقدرها، وهذا قول القدرية، فهو كأنه يريد أن ينفي ذلك فقال:{مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ}، فيثبت بأن الشرور أيضًا خالقها الله عز وجل.

- **لكن لابد من توجيه؛ كيف الجمع بين قول النبي ﷺ [والشَّرُّ ليس إليكَ]، وقول الله عز وجل:{مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ} ؟**

{مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ} فيه اثبات أن الله خلق. وأيضًا الجن قالت: {وَأَنَّا لَا نَدْرِيَ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا} [الجن: 10] ، تأدبوا مع الله عز وجل فلم يقولوا في الشر أن ربنا هو الذي خلقه فقالوا: {أَشَرٌّ أُرِيدَ} ، لكن في الخير قالوا: {أَرَادَ بِهِمْ} ، إذًا عندنا إشكال الآن.

فنقول: أن هناك فرق بين الفعل والمفعول، هناك فرق بين الخالق والمخلوق، فلما نقول نفي الشر عن الله إذًا بننفي فعل الله أن يكون شرًا، **وهذا مهم؛ أن تقول الفعل، فالله عز وجل كل فعله خير**. إذًا لما نفى النبي ﷺ [والشَّرُّ ليس إليكَ] نفى أن يكون فعل الله به شر لأنه خالق كل شيء، أي أن خلقه للشرور وخلقه للخير هو فعل خير، **لكن المخلوق هو الذي فيه الشر**، فالله يخلق الشرور ويخلق الخير، لكن المقصود هنا أننا ننفي الشر في فعل الله؛ فكل أفعال الله خير.

فالله خالق، أي هناك مخلوق، فالمخلوقات منها خير ومنها شر، فالمخلوقات يوجد منها حيوانات مفترسة شرور وفيها سُميات، ويوجد منها ما هو أليف أو نافع، إذًا المخلوقات منها خير ومنها شر، طيب من الذي خلق الكل؟ الله عز وجل، إذًا فعل الخلق من الله، فعله بخلق كل هذه المخلوقات هو كله خير، لكن من المخلوقات منها خير ومنها شر، فنحن لما نقول: [والشَّرُّ ليس إليكَ] أي فعلك يا الله في كل ما خلقت وكتبت وقدرت – الفعل الذي فعله الله عز وجل – هو كله خير، وحتى خلقه للشر ففعله خير. فالمخلوق قد يكون فيه شر، لكن الفعل

من الله هو خير، لماذا؟ لأنه بيفعل الخير فيخلق به شرور ليبتلي العباد، وليصبر العباد، وليمتحن العباد، لكن الفعل نفسه هو الذي فيه الخير.

ففعل الله لخلق إبليس خير، لكن إبليس المخلوق شر، لماذا؟ لأن ربنا الذي خلقه {كُن فَيَكُونُ} [البقرة: 117] ، فعل الله عز وجل وجل لخلقه كله خير، لكن المخلوقات منها ما هو خير وما هو شر. فهنا أنت بتنزه الله عز وجل عن فعله أن يكون شرًا، وأيضًا تثبت أن الله عز وجل يخلق كل شيء؛ الخير والشر. والشرور ليست فيها شر محض، حتى إبليس فيه شر وفيه خير من الأثر.

إذًا لكي نجمع فنقول أن [والشَّرُّ ليس إليكَ] أي فِعلك يا رب كله خير، لكن {مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ} ليس الفعل؛ أي ليس الخلق هو الشر، لكن المخلوق. فأفعال الله كلها خير، لكن مفعولات الله هي التي فيها الخير والشر. ونقول أيضًا أن نسبة الشر إلى الله ايجادًا؛ وهو خلق المخلوقات، وأما كسبًا ومباشرة فمن العبد.

وقفنا عند رواية (539) (قَالَ وَهْبٌ: قَرَأْتُ نَيِّفًا وَسَبْعِينَ مِنْ كُتُبِ اللَّهِ تَعَالَى، مِنْهَا نَيِّفٌ وَأَرْبَعُونَ ظَاهِرَةٌ فِي الْكَنَائِسِ، وَمِنْهَا نَيِّفٌ وَعِشْرُونَ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا قَلِيلٌ مِنَ النَّاسِ، فَوَجَدْتُ فِيهَا كُلِّهَا: «أَنْ مَنْ وَكَّلَ إِلَى نَفْسِهِ شَيْئًا مِنَ الْمَشِيئَةِ فَقَدْ كَفَرَ»)، هذا كلام مهم؛ (أَنْ مَنْ وَكَّلَ إِلَى نَفْسِهِ شَيْئًا مِنَ الْمَشِيئَةِ فَقَدْ كَفَرَ) أي كأنه جعل للعبد مشيئة مستقلة.

هنا قال (أَنْ مَنْ وَكَّلَ إِلَى نَفْسِهِ شَيْئًا مِنَ الْمَشِيئَةِ فَقَدْ كَفَرَ) بافتراض ثبوت الحديث، وأيضًا ذكره اللالكائي في (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة) تبين بأن من اعتقد بأن له مشيئة مستقلة – وهذا كلام القدرية – الذين يقولون بأن العباد يخلقون أفعالهم، وأن الله عز وجل لا يعلم – طبعًا على الخلاف سواء الغلاة أو غير الغلاة – لكن هنا قال (أَنْ مَنْ وَكَّلَ إِلَى نَفْسِهِ شَيْئًا مِنَ الْمَشِيئَةِ فَقَدْ كَفَرَ) هذا يدل على أنه أثبت أن للعبد مشيئة مستقلة. وهذه طبعًا نحتاج فيها لبيان لأن أهل السنة والجماعة كفروا القدرية ولم يكفروا باقي القدرية بالتأويلات التي عندهم.

ووهب بن منبه كان يأخذ من الإسرائيليات، يقول: (قَرَأْتُ نَيِّفًا وَسَبْعِينَ مِنْ كُتُبِ اللَّهِ تَعَالَى، مِنْهَا نَيِّفٌ وَأَرْبَعُونَ ظَاهِرَةٌ فِي الْكَنَائِسِ)، (كُتب) ممكن معناها الملخصات أو الفصول وكذا،

فنقول بأن كان منها موجود في الكنائس أي هذا عند الشرائع السابقة، (وَمِنْهَا نَيِّفٌ وَعِشْرُونَ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا قَلِيلٌ مِنَ النَّاسِ)، فيريد أن يقول أن هذا الأمر كان حتى في الأمم السابقة.

540 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو حَفْصٍ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ الْحِمْصِيُّ قَالَ: نا بَقِيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرٍو يَعْنِي الْأَوْزَاعِيَّ قَالَ: نا الْعَلَاءُ بْنُ الْحَجَّاجِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدٍ الْمَكِّيِّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قِيلَ لَهُ إِنَّ رَجُلًا قَدِمَ عَلَيْنَا يُكَذِّبُ بِالْقَدَرِ فَقَالَ: «دُلُّونِي عَلَيْهِ» وَهُوَ يَوْمَئِذٍ أَعْمَى فَقَالُوا: وَمَا تَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَئِنِ اسْتَمْكَنْتُ مِنْهُ لَأَعَضَّنَّ أَنْفَهُ حَتَّى أَقْطَعَهُ، وَلَئِنْ وَقَعَتْ رَقَبَتُهُ فِي يَدِي لَأَدُقَّنَّهَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَنْتَهِي بِهِمْ سُوءُ رَأْيِهِمْ حَتَّى يُخْرِجُوا اللَّهَ تَعَالَى مِنْ أَنْ يَكُونَ قَدَّرَ الْخَيْرَ، كَمَا أَخْرَجُوهُ مِنْ أَنْ يُقَدِّرَ الشَّرَّ»

541 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ الْحِمْصِيُّ قَالَ: نا بَقِيَّةُ قَالَ: نا أَبُو عَمْرٍو الْأَوْزَاعِيُّ، عَنْ عَبْدَةَ بْنِ أَبِي لُبَابَةَ قَالَ: عِلْمَ اللَّهُ تَعَالَى مَا هُوَ خَالِقٌ وَمَا الْخَلْقُ عَامِلُونَ، ثُمَّ كَتَبَهُ، ثُمَّ قَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [الحج: ٧٠]

542 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا أَبُو أَنَسٍ مَالِكُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَلْهَانِيُّ الْحِمْصِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ، عَنْ أَرْطَاةَ بْنِ الْمُنْذِرِ، عَنْ مُجَاهِدِ بْنِ جَبْرٍ، أَنَّهُ بَلَغَهُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَأَخَذَهُ بِيَمِينِهِ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ قَالَ: فَكَتَبَ الدُّنْيَا وَمَا يَكُونُ فِيهَا مِنْ عَمَلٍ مَعْمُولٍ، بِرٍّ أَوْ فُجُورٍ، رَطْبٍ أَوْ يَابِسٍ، فَأَحْصَاهُ عِنْدَهُ فِي الذِّكْرِ، ثُمَّ قَالَ: اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: {هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الجاثية: ٢٩] فَهَلْ تَكُونُ النَّسْخَةُ إِلَّا مِنْ أَمْرٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ؟"

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَهَذَا طَرِيقُ أَهْلِ الْعِلْمِ: الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَاقِعٌ مِنَ اللَّهِ بِمَقْدُورٍ جَرَى بِهِ، يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} [الأنبياء: ٢٣] وَأَمَّا الْحُجَّةُ فِي تَرْكِ مُجَالَسَةِ الْقَدَرِيَّةِ وَلَا يُفَاتَحُونَ بِكَلَامٍ، وَلَا بِمُنَاظَرَةٍ إِلَّا عِنْدَ الضَّرُورَةِ وَإِثْبَاتِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ وَتَبْكِيتِهِمْ، أَوْ يَسْتَرْشِدُ مِنْهُمْ مُسْتَرْشِدٌ لِلِاسْتِرْشَادِ فَيُرْشَدُ،

وَيُوقَفُ عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ، وَيُحْذَرُ طَرِيقَ الْبَاطِلِ، فَلَا بَأْسَ بِالْبَيَانِ عَلَى هَذَا النَّعْتِ وَسَأَذْكُرُ فِي ذَلِكَ مَا يَدُلُّ عَلَى مَا قُلْتُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَاللَّهُ الْمُوَفِّقُ لِكُلِّ رَشَادٍ

حديث ابن عباس طبعًا هذا لما كبر ابن عباس وقد عُمي فقيل له على بعض الناس يتكلمون في القدر فقال اتوني به، فقالوا ماذا ستفعل؟ قال: (وَلَئِنْ وَقَعَتْ رَقَبَتُهُ فِي يَدِي لَأَدُقَّنَّهَا) هذا دلالة على الإنكار عليهم، قال:(وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَنْتَهِي بِهِمْ سُوءُ رَأْيِهِمْ حَتَّى يُخْرِجُوا اللَّهَ تَعَالَى مِنْ أَنْ يَكُونَ قَدَّرَ الْخَيْرَ، كَمَا أَخْرَجُوهُ مِنْ أَنْ يُقَدِّرَ الشَّرَّ) .

وفيه بيان بأن العلماء ينكرون على المبتدع، وهذا الذي نريد أن نستنبطه من فعل ابن عباس، وحري بكل عالم أنه لا يسكت عن البدعة، وأنه إذا علم بأن هناك من يتكلم في البدعة فإنه لابد له أن يتصدى لها، ويبين عوارها، ويزيل اللبس والشبهات التي فيها حتى ينصلح الناس، وهذا الذي كان يقصده ابن عباس رضي الله عنهما لما نقل له بأن هناك من يكذب بالقدر فقال: (دُلُّونِي عَلَيْهِ). إذًا هذه سنة من الصحابة الكرام لأنهم كانوا لا يسكتون عن المنكر ولا على البدعة، ويتصدرون إليها، لكن لابد أن يُعطَى ذلك لأهل العلم لأن عندهم العلم وعندهم الحكمة في التصدي لذلك ودحض البدعة، ولأن (ما أميتت بدعة إلا وقد انتشرت سنة)، والعكس بالعكس؛ (ما انتشرت بدعة إلا وقد أميتت سنة)، هذا الذي يستدل به من فعل ابن عباس رضي الله عنهما.

ثم أيضًا بعد ذلك نقل الآثار التي جاءت ببيان علم الله عز وجل، وهذه قد تكلمنا فيها من قبل؛ سعة علم الله عز وجل، وأن الله يعلم ما في السماء وما في الأرض، وإن ذلك في كتاب، وقلنا فيها ميزة {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ} [الحج: 70] ، هنا يبين أولًا علم الله عز وجل، وأيضًا أن كل هذا العلم قد كتبه الله عز وجل في اللوح المحفوظ {إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ} .

وطبعًا لابد أن يسبق الكتابة علم، لأن العلم لا يكون لمجهول بل لابد لمعلوم، فالعلم أولًا؛ (عَلِم فكتب)، فهذا اثبات سعة علم الله عز وجل لكل شيء، وأيضًا أن كل شيء قد كتبه الله عز وجل في اللوح المحفوظ.

ثم ذكر الإمام بعد ذلك: (إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَأَخَذَهُ بِيَمِينِهِ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ)، فيه أولًا اثبات خلق القلم، وقد بينا الخلاف بين العلماء؛ هل أول خلق كان القلم؟ أم العرش قبل القلم؟ وقد بيناه من قبل.

(فَأَخَذَهُ بِيَمِينِهِ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ) اثبات يمين الله عز وجل، واثبات أن كلتا يدي الله عز وجل يمين، وهذه من صفات الله عز وجل الخبرية.

(فَكَتَبَ الدُّنْيَا وَمَا يَكُونُ فِيهَا مِنْ عَمَلٍ مَعْمُولٍ، بِرٍّ أَوْ فُجُورٍ، رَطْبٍ أَوْ يَابِسٍ، فَأَحْصَاهُ عِنْدَهُ فِي الذِّكْرِ،) ثم ذكر: {هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الجاثية: 29] فقال: (فَهَلْ تَكُونُ النُّسْخَةُ إِلَّا مِنْ أَمْرٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ؟)، فهنا يقول لما قال:(نَسْتَنْسِخُ) إذًا هذا في كتب الملائكة، إذًا الأصل كُتِب في اللوح المحفوظ ويُستنسخ بعد ذلك في صحائف الملائكة ما يخبرهم به الله عز وجل. فهذا دلالة على أن النسخة تكون عن شيء له أصل، والأصل في الكتاب في اللوح المحفوظ.

ثم ختم الشيخ – رحمة الله عليه – هذه الجزئية فقال: (فَهَذَا طَرِيقُ أَهْلِ الْعِلْمِ: الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَاقِعٌ مِنَ اللَّهِ بِمَقْدُورٍ جَرَى بِهِ، يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} [الأنبياء: ٢٣])، فهذا مقرر عند أهل العلم. ثم بيَّن الحجة في ترك مجالس القدرية وأنك لا تتعرض لها، فقال: (وَلَا يُفَاتَحُونَ بِكَلَامٍ، وَلَا بِمُنَاظَرَةٍ إِلَّا عِنْدَ الضَّرُورَةِ)، وهذا شيء مهم جدًا، وقد بيناه كثيرًا حقيقة ومازلت أكرر عليه، لأن حالنا الآن عكس ما يحدث، فالسلف كانوا يتركون أهل البدع في المجالسة، في المناظرة، وفي المجادلة إلا عند الضرورة.

فحتى نجمع بين فعل ابن عباس رضي الله عنهما وبين كلام محمد بن الحسين الآجري بأن العالِم يتصدى إن علت البدعة، ويرد ويزيل الشبهة. طيب، إن لم يكن هناك ضرورة فعند أهل السنة أنك تترك مجالسة هؤلاء، وتُترَك المجادلة، وتُترَك المناظرة معهم، لأن هذا يفتن الناس، وأيضًا قد يكون علو لهم وأنت تريد أن تميتهم، فلا تناظرهم. إذًا المسألة وقد بيناها في فصول المناظرة من قبل لكن هنا يبين: (وَأَمَّا الْحُجَّةُ فِي تَرْكِ مُجَالَسَةِ الْقَدَرِيَّةِ وَلَا يُفَاتَحُونَ بِكَلَامٍ، وَلَا بِمُنَاظَرَةٍ إِلَّا عِنْدَ الضَّرُورَةِ) لابد من الضرورة، لماذا؟ لأن الآن ليل نهار المواقع والشباب والناس مستمرون في الرد على كل الفرق، هذا يرسل له جزء من الكتاب والثاني يرسل له جزء من الكتاب، والإمام الفلاني قال، وهو يقول له الإمام الفلاني قال، وهم جالسين ليس وراءهم

شيء، ليل نهار المواقع مرصودة للخلاف وللفرق وللرد، وفي النهاية تجد بأن كل واحد بيضيع أوقاته مع أناس كل واحد هو لا يبحث عن الحق كحق، هو كل واحد يدافع عن نفسه.

فنحن على الحق نعم، لكننا لا نريد أن ندخل في ذلك إلا إذا كانت المجادلة والمناظرة لها فائدة، ولها ضرورة، لكن أن تضيع أوقاتك في نقاشات ومجادلات ومناظرات أحيانًا هي نقولات فقط فتؤدي إلى فتن ممكن تفتح أصلًا لأنك غير ضابط، ثانيًا بتضيع أوقات وهذا ليس السبب. لكن أنت لو خصصت الوقت هذا لعوام الناس تعلمهم عقيدة أهل السنة والجماعة فيكون أفضل وأولى من أن أنك تضيع أوقاتك مع هؤلاء.

وحتى ما يظن أحد بأننا بنترك هؤلاء! نحن لا نتركهم لكنهم لهم أوقات ولهم أناس، لكن أن تكون المسألة مفتوحة هكذا! فهناك ناس ما وراءها شيء ليل نهار إلا الكلام مع هؤلاء، وقص ولزق من الكتب، لصق لأقوال العلماء سواء من عندنا أو من عندهم وجدال، ولا يخرج منه بشيء!

فهذا الذي قاله الإمام هنا، قال: (إِلَّا عِنْدَ الضَّرُورَةِ وَإِثْبَاتِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ)، ستثبت مرة، ستبين عوارهم، وتنتهي المسألة، (وَتَبْكِيتِهِمْ، أَوْ يَسْتَرْشِدُ مِنْهُمْ مُسْتَرْشِدٌ) ، إذًا إما أنك ستجادل لترد الباطل وتبين الحق، أو جاءك مسترشد منهم يريد أن يسأل ويريد الحق، فهنا تجيبه وترشده إلى الحق كما قال، (وَيُوقَفُ عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ، وَيَحْذَرُ طَرِيقَ الْبَاطِلِ، فَلَا بَأْسَ بِالْبَيَانِ عَلَى هَذَا النَّعْتِ)، هنا هذه عبارة مهمة جدًا للشيخ، ونحتاجها كثيرًا لنبينها للأخوة والأخوات والشباب في هذا الزمان لأن المسألة أصبحت كما يقال تركوا التعلم الحقيقي والتأصيل وانشغلوا بمسألة الردود هذه والمخالفات بين الفرق.

543 – أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ قَالَ: أنا الْمُقْرِئُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ قَالَ: نا سَعِيدُ بْنُ أَبِي أَيُّوبَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ حَكِيمِ بْنِ شَرِيكٍ الْهُذَلِيِّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ مَيْمُونٍ الْحَضْرَمِيِّ، عَنْ رَبِيعَةَ الْجُرَشِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْقَدَرِ وَلَا تُفَاتِحُوهُمْ"

544– حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ سَهْلُ بْنُ أَبِي سَهْلٍ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: نا أَبُو حَفْصٍ عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: نا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ الْمُقْرِئُ قَالَ: نا سَعِيدُ بْنُ أَبِي أَيُّوبَ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ، مِثْلَهُ سَوَاءً

545 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ قَالَ: نا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ قَالَ: نا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ قَالَ: نا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: كُنَّا نُجَالِسُ يَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ فَيُسْرِدُ عَلَيْنَا مِثْلَ اللُّؤْلُؤِ، فَإِذَا طَلَعَ رَبِيعَةُ قَطَعَ يَحْيَى الْحَدِيثَ إِعْظَامًا لِرَبِيعَةَ، فَبَيْنَا نَحْنُ يَوْمًا يُحَدِّثُنَا تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ} [الحجر: ٢١] فَقَالَ لَهُ جَمِيلُ بْنُ نُبَاتَةَ الْعِرَاقِيُّ وَهُوَ جَالِسٌ مَعَنَا: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، أَرَأَيْتَ السِّحْرَ مِنْ تِلْكَ الْخَزَائِنِ؟ فَقَالَ يَحْيَى: سُبْحَانَ اللَّهِ، مَا هَذَا مِنْ مَسَائِلِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي حَبِيبَةَ: إِنَّ أَبَا مُحَمَّدٍ لَيْسَ بِصَاحِبِ خُصُومَةٍ، وَلَكِنْ عَلَيَّ فَأَقْبِلْ أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ: إِنَّ السِّحْرَ لَا يَضُرُّ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ، أَفَتَقُولُ أَنْتَ ذَلِكَ؟ فَسَكَتَ، فَكَأَنَّمَا سَقَطَ عَنَّا جَبَلٌ

سنوضحها لأن هذه فيها لفتة، قال: (كُنَّا نُجَالِسُ يَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ فَيُسْرِدُ عَلَيْنَا مِثْلَ اللُّؤْلُؤِ)، طبعًا تبين مسألة بأنهم كانوا يرون أن العلم مثل اللؤلؤ، ذلك تجد تصنيفات مثلًا (اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان)، وبعضهم يذكر في التأليفات في العناوين اللؤلؤ، المرجان، الزمرد، فهم يرون أن هذه لآلئ، كما قال أيضًا الإمام الشافعي أأنثر الدرر، فكل هذا كان عند السلف فكانوا يصفوا العلم باللالئ وبالأشياء النفيسة. قال: (فَيُسْرِدُ عَلَيْنَا مِثْلَ اللُّؤْلُؤِ) لعظم المنفعة في العلم انظر كيف كانوا يشبهون العلم فكانوا يستمتعون به.

(فَإِذَا طَلَعَ رَبِيعَةُ قَطَعَ يَحْيَى الْحَدِيثَ إِعْظَامًا لِرَبِيعَةَ) انظر.. مسألة أخرى؛ لما يأتي من هو أعلم منه أو من هو أتقن منه، أو له الفضل، فكانوا يتأدبون ولا يتكلمون في وجود الأفضل، فيقف اعظامًا واجلالًا لربيعة، وطبعًا هو له السبق وهو يتكلم، فهذه تبين لك كيف هؤلاء، وليس الآن! كل واحد يريد أن يأخذ الميكروفون من غيره! لكن هؤلاء يقدرون الناس ويعلمون بأنه إذا وُجِد الفاضل فيُترَك له الباب، ما يتكلم، أي إن وجدت أحد من العلماء موجود أو شيخ من الشيوخ وله الفضل وله العلم، فأنت لا تتقدم، لماذا تتكلم؟ فتأدب معه واترك له، إلا إن أذن لك بأنك تتكلم أو شيء، لكن هذا كان دأب أهل العلم.

ثم ذكر الآية: {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ} [الحجر: 21] ، {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ} إذًا كل شيء عند الله عز وجل خزائنه، {وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ} ، فكل شيء من عند الله عز وجل؛ هو الرزاق سبحانه وتعالى، وهو أيضًا المقدر لكل شيء سواء كان في الرزق أو في غير ذلك، {وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ} أي بتقدير وبقضاء معين، فهذا كله يدل أيضًا على أن ما يكون لا يكون إلا بقدر من الله عز وجل.

(فَقَالَ لَهُ جَمِيلُ بْنُ نُبَاتَةَ الْعِرَاقِيُّ وَهُوَ جَالِسٌ مَعَنَا: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، أَرَأَيْتَ السِّحْرَ مِنْ تِلْكَ الْخَزَائِنِ؟) يستشكل عليه أن السحر هذا شر، فهل ربنا سينزل الشر؟ (فَقَالَ يَحْيَى: سُبْحَانَ اللَّهِ، مَا هَذَا مِنْ مَسَائِلِ الْمُسْلِمِينَ) أي أن عقيدة أهل السنة الجماعة ما يقولون هذا الكلام، لكن المبتدعة هم الذين يقولون هذا الكلام، فالإنكار على ما قاله الرجل لأن المسلمين لا يقولون ذاك فكله من عند الله عز وجل. (فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي حَبِيبَةَ: إِنَّ أَبَا مُحَمَّدٍ لَيْسَ بِصَاحِبِ خُصُومَةٍ) يريد أن يقول أن يحيى بن سعيد ليس هو خصمك الآن، (لَيْسَ بِصَاحِبِ خُصُومَةٍ) أي ليس هو الذي يخاصمك، ائت لي الآن فأنا سأبين لك، فهو يريد أن يقول أن يحيى بن سعيد ليس هو الذي سيخاصمك الآن، كأنه يقول: "اتركه لي أنا سأتصرف معك الآن" ليس هو الذي سيخاصمك لكن أنا. (أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ: إِنَّ السِّحْرَ لَا يَضُرُّ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) {وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ} [البقرة: 102] ، (أَفَتَقُولُ أَنْتَ ذَلِكَ؟) يريد أن يقول له الآن هو السحر موجود وأنا موجود لكن لا يكون إلا بقدر من الله، فألقى عليه الشبهة؛ فهو السحر بينزل لكن هل ينزل مستقل وينزل لوحده؟ أم بإذن الله عز وجل؟ (فَسَكَتَ، فَكَأَنَّمَا سَقَطَ عَنَّا جَبَلٌ) يريد أن يقول أنه لما سكت كأنه أزيح من علينا هذا البلاء من كلامه، أو كأنه لما سكت سقط الجبل يدل على أن الرجل ما استطاع أن يرد بشيء.

546- أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْهَيْثَمِ النَّاقِدُ قَالَ: نا مُحَمَّدُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ: نا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْعُمَرِيِّ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ: رَجُلٌ زَنَى، فَقَالَ سَالِمٌ: «يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَيَتُوبُ إِلَيْهِ» فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: اللَّهُ قَدَّرَهُ عَلَيْهِ؟ فَقَالَ سَالِمٌ: نَعَمْ قَالَ: "ثُمَّ أَخَذَ قَبْضَةً مِنَ الْحَصْبَاءِ، فَضَرَبَ بِهَا وَجْهَ الرَّجُلِ وَقَالَ: قُمْ "

هنا يذكر نفس ما حدث تقريبًا مع عمر رضي الله عنه وأرضاه لما وجد رجل قد سرق فقال مهلا يا أمير المؤمنين ما سرقت إلا بقدر من الله، ثم قال وأنا أقطع يدك بقدر من الله، أراد أن يحتج بالقدر كفعل الجبرية. فالرجل أخذ قبضة من الحصى فضرب بها وجهه، وهذا انكارًا طبعًا عليه.

547 - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: نا أَيُّوبُ شَيْخٌ لَنَا قَالَ: نا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَمْرٍو الْبَجَلِيُّ قَالَ: نا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ هَارُونَ بْنِ عَنْتَرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: أَتَى رَجُلٌ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ فَقَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْقَدَرِ؟ فَقَالَ: طَرِيقٌ مُظْلِمٌ فَلَا تَسْلُكْهُ، قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْقَدَرِ؟ قَالَ:

بَحْرٌ عَمِيقٌ فَلَا تَلِجْهُ، قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْقَدَرِ؟ قَالَ: سِرُّ اللَّهِ فَلَا تُكَلِّفْهُ، ثُمَّ وَلَّى الرَّجُلُ غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ رَجَعَ، فَقَالَ لِعَلِيٍّ: فِي الْمَشِيئَةِ الْأُولَى أَقُومُ وَأَقْعُدُ وَأَقْبِضُ وَأَبْسُطُ؟ فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلَاثِ خِصَالٍ، وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَكَ وَلَا لِمَنْ ذَكَرَ الْمَشِيئَةَ مَخْرَجًا، أَخْبِرْنِي أَخَلَقَكَ اللَّهُ لَمَّا شَاءَ أَوْ لَمَّا شِئْتَ؟ قَالَ: بَلْ لَمَّا شَاءَ قَالَ: أَخْبِرْنِي أَفَتَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا شَاءَ أَوْ كَمَا شِئْتَ؟ قَالَ: لَا بَلْ كَمَا شَاءَ، قَالَ أَخْبِرْنِي أَخَلَقَكَ اللَّهُ كَمَا شَاءَ أَوْ كَمَا شِئْتَ؟ قَالَ: لَا بَلْ كَمَا شَاءَ قَالَ: فَلَيْسَ لَكَ مِنَ الْمَشِيئَةِ شَيْءٌ

واضح اعتقد تكلمنا عنه كله كلام سيدنا علي، وأيضًا فيه ضعف في السند ذكره اللالكائي في أصول أهل السنة والجماعة، وأيضًا ابن بطة في الإبانة، لكن المعنى فيه قد تعرضنا إليه من قبل على طريقة الكلام في القدر في الأمة وأن المرء لا يلج في هذا الطريق حتى لا يقع في الفتنة.

ثم ذكر فقال لعليَ عن المشيئة الأولى والمشيئة الثانية والمشيئة الثالثة، كلها فيها اثبات لفعل الله عز وجل، ومشيئة الله وإرادة الله عز وجل، وأن لا شيء في هذا الكون يخرج عن ذلك.

نقف عند الكلام عن معبد الجهني وهو أول من تكلم بالقدر، وغيلان أخذ عنه بعد ذلك، ومعبد أخذ مما يسمى سوسن أو سيسويه أو غير ذلك، إن شاء الله نختم به الكلام الأسبوع القادم حتى ننتهي من هذا الباب، وحتى ندخل بعد ذلك في كِتَابُ التَّصْدِيقِ بِالنَّظَرِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ومسائل أخرى.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

المحاضرة الخمسون

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد إخوتي الكرام على موعد مع شرح كتابة الشريعة للإمام الآجري – عليه رحمة الله تعالى – اليوم نحاول نختم آخر ما تبقى من الجزء السادس لبعض الطبعات، وهو آخر **بَابُ تَرْكِ الْبَحْثِ وَالتَّنْقِيرِ عَنِ النَّظَرِ فِي أَمْرِ الْقَدَرِ كَيْفَ ؟ وَلِمَ ؟ بَلِ الْإِيمَانُ بِهِ وَالتَّسْلِيمُ** ، حتى نكون بفضل الله تعالى انتهينا من هذا الجزء والرد على القدرية، ونشرع إن شاء الله بإذن الله تعالى وبحوله وقوته في أبواب **التَّصْدِيقِ بِالنَّظَرِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ**، نسأل الله عز وجل جميعًا أن يرينا وجهه سبحانه وتعالى نظرة النعيم يوم القيامة.

وقفنا عند (551) في بعض الطبعات.

551 - حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ شَاهِينَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمَّارُ بْنُ خَالِدٍ الْوَاسِطِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مَرْحُومُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْعَطَّارُ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي وَعَمِّي يَقُولَانِ : سَمِعْنَا الْحَسَنَ يَنْهَى عَنْ مُجَالَسَةِ ، مَعْبَدٍ الْجُهَنِيِّ ، وَيَقُولُ : "لَا تُجَالِسُوهُ" . قَالَ : وَقَالَ أَبِي : "لَا أَعْلَمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدًا يَتَكَلَّمُ فِي الْقَدَرِ غَيْرَ مَعْبَدٍ وَرَجُلٍ مِنَ الْأَسَاوِرَةِ يُقَالُ لَهُ سِيسَنُوهْ

وطبعًا (سِيسَنُوهْ) هذا هو أصل من أخذ منه معبد الجهني، لأنه سيأتي أيضًا في رواية أخرى يسمى (سوسن) فبعضهم قال سوسن أو سِيسَنُوهْ، وهذا الذي أخذ منه معبد الجهني، وأخذ من معبد غيلان، ولذلك أول من قال معبد الجهني، لذلك هو قال: (لَا أَعْلَمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدًا يَتَكَلَّمُ فِي الْقَدَرِ غَيْرَ مَعْبَدٍ وَرَجُلٍ مِنَ الْأَسَاوِرَةِ يُقَالُ لَهُ سِيسَنُوهْ).

552 - أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا مُحَمَّدُ بْنُ مُصَفًّى قَالَ: نا بَقِيَّةُ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ نَافِعٍ الثَّقَفِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ الْمَكِّيِّ قَالَ: لَقِيتُ غَيْلَانَ بِدِمَشْقَ مَعَ نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَسَأَلُونِي فِي أَنْ أُكَلِّمَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: اجْعَلْ لِي عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ أَلَّا تَغْضَبَ، وَلَا تَجْحَدَ، وَلَا تَكْتُمَ قَالَ: فَقَالَ: ذَلِكَ لَكَ، فَقُلْتُ: نَشَدْتُكَ اللَّهَ، هَلْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْءٌ قَطُّ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ لَمْ يَشَأْهُ اللَّهُ، وَلَمْ يَعْلَمْهُ حِينَ كَانَ؟ قَالَ غَيْلَانُ: اللَّهُمَّ لَا، قُلْتُ: فَعِلْمُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْعِبَادِ كَانَ قَبْلَ أَوْ بَعْدَ أَعْمَالِهِمْ؟ قَالَ غَيْلَانُ: بَلْ عِلْمُهُ كَانَ قَبْلَ أَعْمَالِهِمْ، قُلْتُ: فَمِنْ أَيْنَ كَانَ عِلْمُهُ بِهِمْ مِنْ دَارٍ كَانُوا فِيهَا قَبْلَهُ جَبَلَهُمْ فِي تِلْكَ الدَّارِ غَيْرُهُ؟ وَأَخْبَرَهُ الَّذِي جَبَلَهُمْ هُوَ فِي الدَّارِ عَنْهُمْ غَيْرُهُ؟ أَمْ مِنْ دَارٍ جَبَلَهُمْ هُوَ فِيهَا؟ وَخَلَقَ لَهُمُ الْقُلُوبَ الَّتِي يَهْوُونَ بِهَا الْمَعَاصِيَ؟ قَالَ غَيْلَانُ: بَلْ مِنْ دَارٍ جَبَلَهُمْ فِيهَا، وَخَلَقَ لَهُمُ الْقُلُوبَ الَّتِي يَهْوُونَ بِهَا الْمَعَاصِيَ، قُلْتُ: وَهَلْ كَانَ اللَّهُ يُحِبُّ أَنْ يُطِيعَهُ جَمِيعُ خَلْقِهِ؟ قَالَ غَيْلَانُ: نَعَمْ، قُلْتُ: انْظُرْ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: هَلْ مَعَهَا غَيْرُهَا قُلْتُ: نَعَمْ، قُلْتُ: فَهَلْ كَانَ إِبْلِيسُ يُحِبُّ أَنْ يَعْصِيَ اللَّهَ جَمِيعُ خَلْقِهِ؟ قَالَ: فَلَمَّا عَرَفَ الَّذِي أُرِيدَ سَكَتَ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ شَيْئًا

وهذا طبعًا تتمة لما قلناه من قبل وهو أن غيلان تلميذ معبد الجهني، الذي ينفي القدر ويدعي طبعًا بقول القدر الذي قد بيناه. والاسناد فيه ضعف عمومًا لكنه أخرجه ابن بطة في الإبانة أيضًا. لكن هو حاجّه على أن كل أمر كان بقدر من الله عز وجل، ولم يقع شيء في الكون إلا بعلم من الله عز وجل وبتقدير من الله عز وجل.

هو تدرج معه من البداية إلى أن أوصله بأنه لو أحب الشيطان ذلك والله عز وجل لم يكن قدره فلن يكون، ولو قدره إذًا فهو بقدر من الله، إذًا في النهاية بأن كلها ترجع إلى تقدير من الله عز وجل، ليس استقلالًا من العبد. فهو ظل يسترسل معه ويسحبه فأقره على أنه في الآخر قال انظر ماذا تقول! لما قال له: (وَهَلْ كَانَ اللَّهُ يُحِبُّ أَنْ يُطِيعَهُ جَمِيعُ خَلْقِهِ؟ قَالَ غَيْلَانُ: نَعَمْ)، إذًا المسألة كلها هي من الله عز وجل، فأنت بتنسب المسألة إلى الله عز وجل، وغير ممكن أن تقول بأن الشيطان أراد والله لم يرد، فلو هو قال أن الشيطان يحب وأن الذي فُعِل كان على محبة الشيطان وليس على إرادة الله سيكفر لأنه جعل الآن إرادة الشيطان علت على إرادة الله عز وجل، لكن هو يحب لكنه كله بقدر من الله عز وجل.

لذلك قال الشافعي: (حاجوهم بالعلم) وهو هنا حجه الأول في الكلام بالعلم، قال: (فإن أقروا بالعلم فسيقروا بالباقي، وإن أنكروا العلم يكفرون). لذلك هو أول ما تكلم هنا قال: (فَعِلْمُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْعِبَادِ كَانَ قَبْلَ أَوْ بَعْدَ أَعْمَالِهِمْ؟ قَالَ غَيْلَانُ: بَلْ عِلْمُهُ كَانَ قَبْلَ أَعْمَالِهِمْ)، هو هذا الذي تحاججهم به، فهو لما أثبت أن علم الله قبل أعمالهم فر، لأنه لو قال أن العلم كان بعد الأعمال كفر، لذلك الشافعي قال حاجوهم بالعلم أولًا، وطبعًا هم عندهم تفسير ثاني لكن هذا انتقل من الكفر؛ أي لا يكفر، لأنه أقر بأن الله يعلم.

فكما قلنا أن هناك طبقتين في مسألة القدرية؛ غلاة القدرية الذين نفو العلم، لذلك الشافعي يقول حاجوهم بالعلم أولًا، فإن أقر بالعلم فما بعده أهون، لأنه سيقر أن الله يعلم قبل أن يحدث. فإذا أثبتوا أن علم الله قبل أفعال العباد فقد فروا من الكفر، إذًا أصبح هو بيتكلم الآن فيما دون ذلك؛ في مسألة الإرادة والخلق الذي هو ليس بتكفير عند أهل السنة والجماعة للتأويلات التي عندهم، أما إن نفى أنه يعلم فقد كفر، لأنه بذلك يكون قد قال أنه بيقع شيء في الكون ليس بعلم من الله، فهذا هو الضابط.

553 - أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا نَصْرُ بْنُ عَاصِمٍ قَالَ: نا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ مَكْحُولٍ أَنَّهُ قَالَ: " حَسِيبُ غَيْلَانَ اللَّهُ، لَقَدْ تَرَكَ هَذِهِ الْأُمَّةَ فِي مِثْلِ لُجَجِ الْبِحَارِ

554 - وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا نَصْرٌ قَالَ: نا الْوَلِيدُ، عَنِ ابْنِ جَابِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ مَكْحُولًا يَقُولُ: «وَيْحَكَ يَا غَيْلَانُ لَا تَمُوتُ إِلَّا مَفْتُونًا»

وهذا حق، لأن غيلان قُتِل بنفس ما قُتِل به معبد الجهني، فمعبد الجهني ذُبِح، تُقُرِب به وذُبِح، وغيلان أيضًا ذُبِح بعد ذلك. فمعبد أولًا الذي ادعى بأن الله لم يكلم موسى فذُبِح، وكأنه ضُحِّي

به في العيد، وأيضًا غيلان أصيب بنفسه الجزاء بأنه قد ذُبح ومات مقتولًا أيضًا، كما سيأتي معنا.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: مَنْ أَئِمَّةُ الْقَدَرِيَّةِ فِي مَذَاهِبِهِمْ؟ قِيلَ لَهُ: قَدْ أَجَلَّ اللَّهُ تَعَالَى الْمُسْلِمِينَ عَنْ مَذَاهِبِهِمْ، وَأَئِمَّتُهُمْ فِي مَذَاهِبِهِمُ الْقَدَرِيَّةُ: مَعْبَدُ الْجُهَنِيُّ بِالْبَصْرَةِ، وَقَدْ رَدَّ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ مَا قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا لَهُ، وَقَبْلَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ كَانَ نَصْرَانِيًّا فَأَسْلَمَ، ثُمَّ تَنَصَّرَ، فَأَخَذَ عَنْهُ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ الْقَدَرَ، كَذَا قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَأَخَذَ غَيْلَانُ عَنْ مَعْبَدٍ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا لِقِصَّةِ غَيْلَانَ، وَمَا عَجَّلَ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْخِزْيِ فِي الدُّنْيَا، وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ أَعْظَمُ، وَعَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ وَمَا ذَمَّهُ الْعُلَمَاءُ وَهَجَرُوهُ وَكَفَّرُوهُ، هَؤُلَاءِ أَئِمَّتُهُمُ الْأَنْجَاسُ وَالْأَرْجَاسُ

إذًا هو أول رجل كان من أهل العراق وهذا نصراني ويقال له سيسويه أو قال هنا سوسن، حتى قال بعد ذلك:

555 - أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا صَفْوَانُ بْنُ صَالِحٍ قَالَ: ثنا مُحَمَّدُ بْنُ شُعَيْبٍ قَالَ: سَمِعْتُ الْأَوْزَاعِيَّ يَقُولُ: "أَوَّلُ مَنْ نَطَقَ بِالْقَدَرِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ يُقَالُ لَهُ: سَوْسَنُ، وَكَانَ نَصْرَانِيًّا فَأَسْلَمَ، ثُمَّ تَنَصَّرَ، فَأَخَذَ عَنْهُ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ، وَأَخَذَ غَيْلَانُ عَنْ مَعْبَدٍ

هذه السلسلة بدأت من هذا النصراني الذي أسلم ثم تنصر، ثم معبد الجهني، ثم غيلان، ثم الذين قالوا بذلك.

556 - أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا إِسْحَاقُ بْنُ مُوسَى الْأَنْصَارِيُّ قَالَ: نا أَنَسُ بْنُ عِيَاضٍ قَالَ: أَرْسَلَ إِلَيَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ بْنِ هُرْمُزَ فَقَالَ: لَقَدْ أَدْرَكْتُ وَمَا بِالْمَدِينَةِ أَحَدٌ يُتَّهَمُ بِالْقَدَرِ إِلَّا رَجُلٌ مِنْ جُهَيْنَةَ يُقَالُ لَهُ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ، فَعَلَيْكُمْ بِدِينِ الْعَوَاتِقِ اللَّائِي لَا يَعْرِفْنَ إِلَّا اللَّهَ تَعَالَى"

طبعًا هنا (دِينِ الْعَوَاتِقِ) كما يقال عند العرب أي كأنه دين العجائز، دين الفطرة، دين ما كان عليه الناس من قبل، لذلك أيضًا لما جاء الجويني في موته وقال: "ياليتني مت على عقيدة عجائز نيسابور". فالعواتق يقصد به العقيدة التي على فطرة الناس والذي يعرفوها حتى العوام في ذلك، فهذه هي { فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا } [الروم: 30] ، و [كُلُّ مَولودٍ يولَدُ على

الفِطرة] إلى آخر الحديث. فقال: (فَعَلَيْكُمْ بِدِينِ الْعَوَاتِقِ اللَّائِي لَا يَعْرِفْنَ إِلَّا اللَّهَ تَعَالَى)، أي لم تتغير لهم الفطر والاعتقادات بما جد عند المبتدعة.

557 - أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا أَحْمَدُ بْنُ خَالِدٍ قَالَ: نا مُعَاذُ بْنُ مُعَاذٍ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَوْنٍ يَقُولُ: "أَوَّلُ مَا تَكَلَّمَ النَّاسُ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ وَأَبُو يُونُسَ الْأُسْوَارِيُّ

558- وَأَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: نا مَرْحُومُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ أَبِيهِ، وَعَمِّهِ سَمِعَهُمَا يَقُولَانِ: سَمِعْنَا الْحَسَنَ "وَهُوَ يَنْهَى عَنْ مُجَالَسَةِ مَعْبَدٍ الْجُهَنِيِّ يَقُولُ: لَا تُجَالِسُوهُ فَإِنَّهُ ضَالٌّ مُضِلٌّ"

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: ثُمَّ اعْلَمُوا رَحِمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ أَنَّ الْقَدَرِيَّ لَا يَقُولُ: اللَّهُمَّ وَفِّقْنِي، وَلَا يَقُولُ: اللَّهُمَّ اعْصِمْنِي، وَلَا يَقُولُ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ لِأَنَّ عِنْدَهُ أَنَّ الْمَشِيئَةَ إِلَيْهِ، إِنْ شَاءَ أَطَاعَ وَإِنْ شَاءَ عَصَى، فَاحْذَرُوا مَذَاهِبَهُمْ لَا يَفْتِنُوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ

559 - أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: سَمِعْتُ مُعَاذَ بْنَ مُعَاذٍ، يَقُولُ: صَلَّيْتُ أَنَا وَعُمَرُ بْنُ الْهَيْثَمِ الرَّقَاشِيُّ، خَلْفَ الرَّبِيعِ بْنِ بَرَّةَ قَالَ مُعَاذٌ: أَخْبَرَنِي عُمَرُ بْنُ الْهَيْثَمِ أَنَّهُ حَضَرَتْهُ الصَّلَاةُ مَرَّةً أُخْرَى، فَصَلَّى خَلْفَهُ قَالَ: فَقَعَدْتُ أَدْعُو فَقَالَ: لَعَلَّكَ مِمَّنْ يَقُولُ: اللَّهُمَّ اعْصِمْنِي؟ قَالَ: مُعَاذٌ: فَأَعَدْتُ تِلْكَ الصَّلَاةَ بَعْدَ عِشْرِينَ سَنَةً.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَكَانَ الرَّبِيعُ بْنُ بَرَّةَ هَذَا قَدَرِيًّا، وَكَانَ مِنَ الْمُتَعَبِّدِينَ عِنْدَهُمْ

560 - أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: سَمِعْتُ مُعَاذَ بْنَ مُعَاذٍ يَقُولُ: أَخْبَرَنِي عُمَرُ بْنُ الْهَيْثَمِ قَالَ: خَرَجْتُ فِي سَفِينَةٍ إِلَى الْأُبُلَّةِ أَنَا وَقَاضِيهَا هُبَيْرَةُ بْنُ الْعُدَيْسِ قَالَ: وَصَحِبَنَا فِي السَّفِينَةِ مَجُوسِيٌّ وَقَدَرِيٌّ قَالَ: فَقَالَ الْقَدَرِيُّ لِلْمَجُوسِيِّ: أَسْلِمْ قَالَ: فَقَالَ الْمَجُوسِيُّ حَتَّى يُرِيدُ اللَّهُ، قَالَ فَقَالَ الْقَدَرِيُّ: اللَّهُ يُرِيدُ وَالشَّيْطَانُ لَا يَدَعُكَ قَالَ: يَقُولُ الْمَجُوسِيُّ: أَرَادَ اللَّهُ، وَأَرَادَ الشَّيْطَانُ، فَكَانَ مَا أَرَادَ الشَّيْطَانُ، هَذَا شَيْطَانٌ قَوِيٌّ"

انتبهوا هذا الكلام قد وقفتوا عنده من قبل؛ لما قال له: أكان الشيطان يحب ذلك؟ فتركه، سكت، فقلنا أن الشيطان يحب أن يعصي، والله عز وجل هو الذي قدر، فهنا الكلام بين المجوسي

والقدري، فالمجوسي حتى حاجّه، فهو القدري يقول له: (أَسْلِمْ)، قال المجوسي: (حَتَّى يُرِيدُ اللَّهُ)، و"حتى يريد الله" طبعًا فيها جبرًا. وانتبه.. المجوسي أقر بإرادة الله؛ – وطبعًا وإن كنا لا نوافقه على ما يقول – لكنه أقر بأن إرادة الله فوق كل الإرادات، فهنا القدري يقول له:(اللَّهُ يُرِيدُ ، وَالشَّيْطَانُ لَا يَدَعُكَ)، فإذا كأن أحد على الكفر، إذًا من الذي حُقِّق مراده؟ الشيطان. فهو كأنه يريد أن يقول بأن الشيطان هو الذي لا يدعك، لذلك هو أشكل عليه؛ قال له: (أَرَادَ اللَّهُ ، وَأَرَادَ الشَّيْطَانُ ! فَكَانَ مَا أَرَادَ الشَّيْطَانُ ! هَذَا شَيْطَانٌ قَوِيٌّ)، لأنه نسب في الأول قال الله يريد، فهو الثاني يقول الشيطان هو الذي أراد ذلك.

وفي الروايات التي قبل ذلك؛ تجد هنا مسألة مهمة؛ **القدرية لازم ما عندهم من نفي للقدر الكِبر في أعمالهم وفي أقوالهم**، انظر هنا.. هو لا تجده يتعلق بالله أصالة، ولا يستعين بالله، لا يستعيذ بالله، لا يطلب التوفيق والسداد من الله، لذلك لا تجد القدري يقول: اللهم اعصمني، اللهم وفقني، اللهم سددني، لماذا لا يقول ذلك؟ لأنه يرى بأنه مستقل في ارادته، وفي أفعاله هو الذي يخلقها وأنه لا يحتاج إلى العصمة من الله، ولا التوفيق من الله، ولا السداد من الله، وهذا سوء أدب وكِبر عظيم جدًا في قلوبهم، فضلًا على الاعتقاد الفاسد، لذلك لما يدعو رآه قال: (لَعَلَّكَ مِمَّنْ يَقُولُ: اللَّهُمَّ اعْصِمْنِي؟)، وهذا موجود عند بعض الذين انتكست معتقداتهم، تجد لا يرفع يده لا بدعاء، ولا يتقرب إلى الله عز وجل، ولا يطلب من الله شيئًا، هو يظن أن المسألة كلها مادية عنده؛ هو الذي يفعل، وهو الذي يخلق، وهو الذي يريد، هو الذي يشاء، وأنه لا يحتاج أن يفعل ذلك. وهذا فيه ما فيه من الكِبر، وفيه ما فيه من سوء الأدب، فضلا طبعًا عن اعتقاد الكفر الفاسد في ذلك، لأنه لما يقول له: (لَعَلَّكَ مِمَّنْ يَقُولُ: اللَّهُمَّ اعْصِمْنِي؟) إذًا من الذي يعصمك؟ الذي يقول اللهم اهدني، اللهم وفقني، فكل هذه لا تجد القدرية يقولها، ولا يقول: "لا حول ولا قوة إلا بالله"، لأن الذي يقول "لا حول ولا قوة إلا بالله" أي جعل الحول والقوة كلها ردها إلى الله عز وجل، أو إلى مشيئة الله عز وجل، ولا يقول "بمشيئة الله"، "إن شاء الله" لأن المسألة كلها من عنده هو! حاشاه ذلك. خاب وخسر وانتكس.

قال: (أَنَّ الْقَدَرِيَّ لَا يَقُولُ: اللَّهُمَّ وَفِّقْنِي، وَلَا يَقُولُ: اللَّهُمَّ اعْصِمْنِي، وَلَا يَقُولُ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ لِأَنَّ عِنْدَهُ أَنَّ الْمَشِيئَةَ إِلَيْهِ، إِنْ شَاءَ أَطَاعَ وَإِنْ شَاءَ عَصَى، فَاحْذَرُوا مَذَاهِبَهُمْ لَا يَفْتِنُوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ)، هذا يبين الأصل الفاسد الذي عند هؤلاء، لأنهم لا ينسبون المشيئة ولا الإرادة ولا العصمة ولا التوفيق ولا السداد إلى الله عز وجل، لذلك قال:(فَأَعَدْتُ تِلْكَ الصَّلَاةَ بَعْدَ

عِشْرِينَ سَنَةً) على أنه يرى كفره وأنه لا تصح الصلاة خلفه، فأعادها، لذلك قال:(وَكَانَ الرَّبِيعُ بْنُ بَرَّةَ هَذَا قَدَرِيًّا).

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: هَذَا الْكَلَامُ ذَكَرَهُ الْفِرْيَابِيُّ بِالْفَارِسِيَّةِ عَنِ الْقَدَرِيِّ وَالْمَجُوسِيِّ، ثُمَّ فَسَّرَهُ لَنَا الْفِرْيَابِيُّ هَذَا الْمَعْنَى وَنَحْوَهُ

561 حَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ الْعَبَّاسُ بْنُ يُوسُفَ الشِّكْلِيُّ: قَالَ: قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: مَسْأَلَةٌ يُقْطَعُ بِهَا الْقَدَرِيُّ يُقَالُ لَهُ أَخْبِرْنَا: "أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْعِبَادِ أَنْ يُؤْمِنُوا فَلَمْ يَقْدِرْ، أَوْ قَدَرَ فَلَمْ يُرِدْ؟ فَإِنْ قَالَ: قَدَرَ وَلَمْ يُرِدْ

أي قدر الله على ذلك ولم يرد– لم يرد كونًا لا إشكال حتى هنا –

قِيلَ لَهُ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ هِدَايَتَهُ؟

هو سحبه؛ فإما أنك تقول بأنه أراد ولم يقدر فهذا كفر؛ أراد أن يهدي العباد ولم يقدر على هدايتهم كفر. طيب قدر ولم يرد؛ على أنه قدر كونًا ولم يرد للبعض الإيمان وأراد للبعض الكفر كونًا؛ (قِيلَ لَهُ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ هِدَايَتَهُ؟) الله لم يرد هداية إبليس، لم يرد هداية أبي لهب، أبو جهل، قال:(فَمَنْ يَهْدِي مَنْ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ هِدَايَتَهُ؟) إذًا المسألة إن قدر الله أن هذا لن يهتدي فلن يهديه أحد، وإن قدر الله عز وجل أن هذا لن يعصي فلن يغويه حتى الشيطان. إلى هنا هو يبين لك التأصيل في الرد.

وَإِنْ قَالَ: أَرَادَ، فَلَمْ يَقْدِرْ، قِيلَ لَهُ: لَا يَشُكُّ جَمِيعُ الْخَلْقِ أَنَّكَ قَدْ كَفَرْتَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ"

قدر ولم يرد أو أراد ولم يقدر؛ أراد ولم يقدر قال لم يشك أحد في كفرك، طيب قدر ولم يرد وهذا حقًا، طيب هو يريد أن يقول قدر ولم يرد هل ممكن أحد يغير هذه الإرادة؟ لا أحد. فقلنا لما قال له قدر فلم يرد طيب من يهدي من لم يرد الله عز وجل؟ لا أحد. إذًا لو قال لو أراد أن يهدي العبد نفسه سيكفر أيضًا، لأنه سجعل مخالفة أن ممكن يقع شيء في الكون لا يريده الله عز وجل، ولو قال أراد ولم يقدر فقد كفر، ليس له عنده إلا أن يقول قدَّر الله عز وجل ذلك أو قدر ولم يرد أو أراد، كله يرجع لله عز وجل. ولذلك هو قال هنا: (مَسْأَلَةٌ يُقْطَعُ بِهَا الْقَدَرِيُّ) ستقطع بذلك، وهذه طبعًا عبارات مهمة جدًا ضبطها لمن أراد أن يضع ميزان في الرد عليهم.

رواية (562) فيها ضعف حقيقة لكن سنقولها؛

562- أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو تَقِيٍّ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ قَالَ: نا بَقِيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو غِيَاثٍ قَالَ: بَيْنَا أَنَا أُغَسِّلُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْقَدَرِ قَالَ: فَتَفَرَّقُوا عَنِّي، فَبَقِيتُ وَحْدِي فَقُلْتُ: وَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ بِأَقْدَارِ اللَّهِ تَعَالَى قَالَ: فَانْتَفَضَ حَتَّى سَقَطَ عَنْ دَفِّهِ قَالَ: فَلَمَّا دَفَنَّاهُ عِنْدَ بَابِ الشَّرْقِيِّ فَرَأَيْتُهُ فِي لَيْلَتِي تِلْكَ فِي مَنَامِي، كَأَنِّي مُنْصَرِفٌ مِنَ الْمَسْجِدِ، إِذِ الْجِنَازَةُ فِي السُّوقِ يَحْمِلُهَا حَبَشِيَّانِ رِجْلَاهَا بَيْنَ يَدَيْهَا فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ فَقَالُوا: فُلَانٌ، فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، أَلَيْسَ قَدْ دَفَنَّاهُ عِنْدَ بَابِ الشَّرْقِيِّ؟ قَالَ دَفَنْتُمُوهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَأَتَّبِعَنَّهُ حَتَّى أَنْظُرَ مَا يُصْنَعُ بِهِ، فَلَمَّا أَنْ خَرَجُوا بِهِ مِنْ بَابِ الْيَهُودِ مَالُوا بِهِ إِلَى نَوَاوِيسِ النَّصَارَى فَأَتَوْا قَبْرًا مِنْهَا فَدَفَنُوهُ فِيهِ، فَبَدَتْ لِي رِجْلَاهُ، فَإِذَا هُوَ أَشَدُّ سَوَادًا مِنَ اللَّيْلِ"

الجمل التي ستأتي معنا نفيسة جدًا للغاية؛

563 - أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْحَوَارِيِّ، إِمْلَاءً عَلَيَّ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيِّ: مَنْ أَرَادَ الْحَظْوَةَ فَلْيَتَوَاضَعْ فِي الطَّاعَةِ فَقَالَ لِي: وَيْحَكَ، وَأَيُّ شَيْءٍ التَّوَاضُعُ؟ إِنَّمَا التَّوَاضُعُ أَنْ لَا تُعْجَبَ بِعَمَلِكَ، وَكَيْفَ يُعْجَبُ عَاقِلٌ بِعَمَلِهِ؟ وَإِنَّمَا نَعُدُّ الْعَمَلَ نِعْمَةً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، يَنْبَغِي أَنْ يَشْكُرَ اللَّهَ تَعَالَى وَيَتَوَاضَعَ، إِنَّمَا يُعْجَبُ بِعَمَلِهِ الْقَدَرِيُّ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ يَعْمَلُ، فَأَمَّا مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُسْتَعْمَلُ، فَكَيْفَ يُعْجَبُ؟"

قال: (مَنْ أَرَادَ الْحَظْوَةَ فَلْيَتَوَاضَعْ فِي الطَّاعَةِ) والعجب هو كيف يتواضع في الطاعة؟ لذلك هو رد عليه، فقال له: (وَيْحَكَ، وَأَيُّ شَيْءٍ التَّوَاضُعُ؟) ما هو التواضع؟ (إِنَّمَا التَّوَاضُعُ أَنْ لَا تُعْجَبَ بِعَمَلِكَ) التواضع أصلًا أنك لا تعجب بعملك، لذلك مثلًا الرجل الذي آتاه ربنا نعائم ومع ذلك تجده مع الناس يقولون: متواضع. فهو يريد أن يرد عليه؛ هو أصالة هل الذي فيه من خير ونعائم من نفسه أم من الله؟ من الله. فأنك إذا علمت أن هذه النعائم من الله عز وجل فأنت تتواضع على ماذا؟ فهو شيئ ليس لك أصلًا حتى تكون أنت متواضع! فأنت الله رفعك مكانة وأعطاك مالًا، أعطاك علمًا، أعطاك علو في دينك الآن، فهل أنت الآن الذي أتيت بذلك، أم الله الذي أكرمك بذلك؟ إذًا أنت تتواضع عن ماذا! عن شيء يخصك أم عن شيء الله أعطاك إياه أصالة. لذلك هو قال: (إِنَّمَا التَّوَاضُعُ أَنْ لَا تُعْجَبَ بِعَمَلِكَ) فهنا التواضع، التواضع أنك لا

تعجب بالعمل، لماذا؟ قال:(وَكَيْفَ يُعْجَبُ عَاقِلٌ بِعَمَلِهِ؟) حقًا، العاقل كيف يعجب بالعمل؟! لأن العاقل سيعلم أنه ما وُفِّق لهذا العمل إلا بقدر من الله، إلا بتوفيق وتسديد من الله، فهو إن كان عاقلًا يعلم أنه ليس من عند نفسه، فقال: (وَكَيْفَ يُعْجَبُ عَاقِلٌ بِعَمَلِهِ؟ وَإِنَّمَا نَعُدُّ الْعَمَلَ نِعْمَةً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى) الله أكبر.. أي أنت توفيقك لهذا المجلس، وللصلاة، وللخير الذي تفعله؛ للصدقة، للدعاء، وللقيام، للصوم، لكل ذلك العمل الذي هو طاعة، فهو نعمة من الله عز وجل أعطاك إياها لتعملها، لتأخذ عليها الأجر، لأن ممكن كان يسلبك إياها، ما يعطيك هذه النعائم، فلن تأخذ الأجور، لذلك يقول: (وَإِنَّمَا نَعُدُّ الْعَمَلَ نِعْمَةً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى. يَنْبَغِي أَنْ يَشْكُرَ اللَّهَ تَعَالَى وَيُتَواضَعَ).

(إِنَّمَا يُعْجَبُ بِعَمَلِهِ الْقَدَرِيُّ) هنا انظر.. كأنه من علامات القدري أنه يعجب بعمله، لماذا؟ لأنه يظن أن العمل من عند نفسه، فأنت قد تكون على أهل السنة والجماعة لكنك قد تتشبه بأعمال القدرية، أنت عقيدتك صحيحة، لكن الإنسان ممكن يذهل ويقع، نعم، يعجب بالعمل، كما أنه ممكن في التوكل يغيب عنه أحيانًا أو يركن إلى السبب أحيانًا فيضل في هذه المسألة. كذلك أنت هنا قد تتشبه بالقدرية الذي هو يرى بأن المشيئة والإرادة أو العمل من عنده فلما تعجب بالعمل فقد وافقت القول القدري- ولا نقول وافقت القدرية – في هذه المسألة، لأنه ليس عنده تواضع وعنده عجب بهذا العمل. حتى الآية عن سيدنا سليمان لما أتوا له بالعرش قال: {قَالَ هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ } [النمل: 40] ، أتى له بالنعمة، قال: {لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ } لأنه يعلم أن هذه نعمة من الله عز وجل، أن يأتيه العرش بطرفة عين وهذا لم يكن لنبي قبله، فقال:{ لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ } متى هنا الشكر والكفر؟ الشكر طبعًا هو نبي أنه سينسب ذلك لله، هذه نعمة اصطفاه الله عز وجل بأن جعله يكلم الطير ويكلم كذا وكذا ويسمع النملة ماذا تقول إلى غير ذلك ، وأكفر أن يظن أن هذا من عندي، كما قال لأطوفن اليوم على مائة أمراة فأتي بمائة رجل يجاهدون في سبيل الله، فقال له ملك: قل إن شاء الله، وطبعًا هنا لما لم يقل "إن شاء الله" حدث ما حدث بعد ذلك.

فقال: (إِنَّمَا يُعْجَبُ بِعَمَلِهِ الْقَدَرِيُّ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ يَعْمَلُ. فَأَمَّا مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُسْتَعْمَلُ. فَكَيْفَ يُعْجَبُ؟)، ولذلك دائمًا أهل السنة يقولون: (اللهم استعملنا ولا تستبدلنا)، لأنك ترى أن هذا استعمال من الله، الكلمة تجد أن السلف يقولونها لأنه علم إن الله استعمله لذلك فكان هذا الفضل من الله عز وجل.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: يُقَالُ لِلْقَدَرِيِّ: يَا مَنْ لَعِبَ بِهِ الشَّيْطَانُ، يَا مَنْ يُنْكِرُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الشَّرَّ، أَلَيْسَ إِبْلِيسُ أَصْلَ كُلِّ شَرٍّ؟ أَلَيْسَ اللَّهُ خَلَقَهُ؟ أَلَيْسَ اللَّهُ تَعَالَى خَلَقَ الشَّيَاطِينَ وَأَرْسَلَهُمْ عَلَى مَنْ أَرَادَ لِيُضِلُّوهُمْ عَنْ طَرِيقِ الرُّشْدِ؟ فَأَيُّ حُجَّةٍ لَكَ يَا قَدَرِيُّ؟ يَا مَنْ قَدْ حُرِمَ التَّوْفِيقَ، أَلَيْسَ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ: {وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ} [فصلت: ٢٥] إِلَى قَوْلِهِ {إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ} [فصلت: ٢٥] ؟ وَقَالَ تَعَالَى: {وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ} [الزخرف:٣٧]وَقَالَ تَعَالَى {أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا} [مريم ٨٣] ؟

564 - حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرِ بْنُ يَحْيَى الْحُلْوَانِيُّ قَالَ: نا خَلَفُ بْنُ هِشَامٍ الْبَزَّارُ قَالَ: نا أَبُو شِهَابٍ يَعْنِي الْحَنَّاطَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ خَيْثَمَةَ، وَعُمَارَةَ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو عَطِيَّةَ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقُلْنَا لَهَا: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ يَعْنِي ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ: مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ، فَأَيُّنَا يُحِبُّ الْمَوْتَ؟ فَقَالَتْ: يَرْحَمُ اللَّهُ ابْنَ أُمِّ عَبْدٍ، حَدَّثَ أَوَّلَ الْحَدِيثِ وَأَمْسَكَ عَنْ آخِرِهِ، ثُمَّ أَنْشَأَتْ تُحَدِّثُ فَقَالَتْ: إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا بَعَثَ إِلَيْهِ مَلَكًا قَبْلَ مَوْتِهِ بِعَامٍ يُسَدِّدُهُ وَيُوَفِّقُهُ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى خَيْرِ أَحَايِينِهِ، فَيَقُولُ النَّاسُ: مَاتَ فُلَانٌ عَلَى خَيْرِ أَحَايِينِهِ، فَإِذَا حَضَرَ وَرَأَى مَا أُعِدَّ لَهُ، جَعَلَ يَتَهَوَّعُ نَفْسُهُ مِنَ الْحِرْصِ عَلَى أَنْ يَخْرُجَ، هُنَاكَ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ غَيْرَ ذَلِكَ، قَيَّضَ لَهُ شَيْطَانًا قَبْلَ مَوْتِهِ بِعَامٍ يُغْوِيهِ وَيَصُدُّهُ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى شَرِّ أَحَايِينِهِ , فَيَقُولُ النَّاسُ: مَاتَ فُلَانٌ عَلَى شَرِّ أَحَايِينِهِ، فَإِذَا حَضَرَ وَرَأَى مَا أُعِدَّ لَهُ حَتَّى يَبْتَلِعَ نَفْسَهُ، كَرَاهِيَةَ أَنْ تَخْرُجَ، هُنَاكَ: كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ، وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ"

565 - أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: أنا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: نا جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ خَيْثَمَةَ، عَنْ أَبِي عَطِيَّةَ قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَمَسْرُوقٌ، عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَذَكَرْنَا لَهَا قَوْلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يَرْحَمُ اللَّهُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَدَّثَكُمْ أَوَّلَ الْحَدِيثِ، وَلَمْ تَسْأَلُوهُ عَنْ آخِرِهِ، وَسَأُحَدِّثُكُمْ عَنْ ذَلِكَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ خَيْرًا قَيَّضَ لَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ مَلَكًا يُسَدِّدُهُ وَيُبَشِّرُهُ، حَتَّى يَمُوتَ وَهُوَ عَلَى خَيْرِ مَا كَانَ، وَيَقُولُ النَّاسُ: مَاتَ فُلَانٌ عَلَى خَيْرِ مَا كَانَ، فَإِذَا حَضَرَ وَرَأَى ثَوَابَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، فَجَعَلَ يَتَهَوَّعُ نَفْسُهُ، وَدَّ لَوْ خَرَجَتْ نَفْسُهُ، فَذَلِكَ حِينَ أَحَبَّ

لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ شَرًّا قَيَّضَ لَهُ شَيْطَانًا قَبْلَ مَوْتِهِ بِعَامٍ، فَجَعَلَ يَفْتِنُهُ وَيُضِلُّهُ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى شَرِّ مَا كَانَ، وَيَقُولُ النَّاسُ: مَاتَ فُلَانٌ عَلَى شَرِّ مَا كَانَ، فَإِذَا حَضَرَ وَرَأَى مَنْزِلَهُ مِنَ النَّارِ، فَجَعَلَ يَبْتَلِعُ نَفْسَهُ أَنْ تَخْرُجَ، هُنَاكَ حِينَ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ

الحديث فيه بعض المسائل؛

المسألة الأولى؛ أن الله عز وجل إذا قرب ختام العبد كما قالت هنا بأن الله عز وجل إذا كان أراد به خيرًا فإنه يهديه أو يصلحه قبل موته بعام، فيجعله يفعل الخيرات ويتوب ويهتدي ويرجع إلى الحق. وأيضًا في حديث آخر عن النبي ﷺ أن الله عز وجل إذا أراد بعبد خيرًا عسله، ثم أماته على ذلك، فقيل: وما عسله يا رسول الله ﷺ؟ قال يوفقه إلى عمل صالح ثم يقبضه عليه؛ نسأل الله عز وجل أن يعسلنا جميعًا.

لذلك لما يأتي وقت الوفاة ويرى مقعده، ويرى الخير الذي ينتظره، هنا يحب لقاء الله عز وجل، هذا المقصود هنا، لأنهم استشكلوا على السيدة عائشة قالوا المسألة في الموت ومن يحب الموت؟ فقالت ليس هكذا، أرادت أن تأتي بالحديث كاملًا لتبين لهم أن الذي يحب لقاء الله عز وجل لأنه قد رأى الذي سينتظره، وهذا بعد أن وفقه الله عز وجل إلى ذلك.

مناسبة الحديث هنا لماذا مهمة في باب القدر؟ فالمسألة ليست في المحبة، لكن بأن الله عز وجل **(قَيَّضَ لَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ)** أو في الحديث الآخر لما قال (يُعَسِّله)، إذًا هذا من الله، هذا من قدر الله عز وجل عليه وتوفيق الله له أن يرسل له ذلك. وعلى النقيض؛ وهذا سوء الخاتمة التي لا تعلمها؛ أن المرء قد يكون على صلاح ثم تجده يفتن بفتنة – نعوذ بالله من ذلك ومن شرور ذلك – فيفتن وينتكس ثم يقبض على ذلك، فيكون فيها خسران، لذلك هذا لما يأتي وقت الوفاة ويعلم ما سيصير إليه يكره ذلك، ولذلك قال: **(يَبْتَلِعُ نَفْسَهُ)** أي النفس هذه التي تريد أن تخرج هو يريد أن يبتلعها مرة أخرى ليدخلها في جسده، لكن المؤمن يريد أن تخرج النفس؛ اخرجي إلى ربك راضية مرضية، لكن هذا يريد أن يبتلع النفس، ولن يستطيع لكن كأنه يريد أن يدخل النفس مرة أخرى في جسده ولا يموت لأنه يعلم ما سيؤول إليه، وهذه طبعًا لا تكون إلا عند الوفاة، لذلك قال: **(مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ)**، هذا هو المعنى الذي أرادت أن تبينه لنا عائشة رضي الله عنها وأرضاها – ونسأل الله عز وجل أن يجعلنا ممن أحب الله عز وجل لقائنا ووفقنا إلى ذلك قبل أن نلقاه، وهو القادر على ذلك – لكن مناسبتها هنا في باب القدر ما بيناه.

566 - حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ جَعْفَرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَاصِمٍ الدِّمَشْقِيُّ قَالَ: نا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْحَوَارِيِّ قَالَ: نا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُجْرٍ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ يَعْنِي لِرَجُلٍ سَمِعَهُ يَقُولُ: مَا أَجْرَأَ فُلَانًا عَلَى اللَّهِ، فَقَالَ: " لَا تَقُلْ مَا أَجْرَأَ فُلَانًا عَلَى اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُجْتَرَأَ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ قُلْ: «مَا أَغَرَّ فُلَانًا بِاللَّهِ» قَالَ: فَحَدَّثْتُ بِهِ أَبَا سُلَيْمَانَ الدَّرَانِيَّ فَقَالَ: صَدَقَ ابْنُ مُبَارَكٍ , اللَّهُ تَعَالَى أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُجْتَرَأَ عَلَيْهِ، وَلَكِنَّهُمْ هَانُوا عَلَيْهِ فَتَرَكَهُمْ وَمَعَاصِيَهُمْ، وَلَوْ كَرِمُوا عَلَيْهِ لَمَنَعَهُمْ مِنْهَا"

نهى أن يقال: (مَا أَجْرَأَ فُلَانًا عَلَى اللَّهِ) لأن (اللَّهُ تَعَالَى أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُجْتَرَأَ عَلَيْهِ)، لكن ممكن تقول مثلًا أن هذا يجترأ على معاصي الله، أو يجترأ على ما نُهي عنه، ولكن لا يستطيع أحد أن يجترأ على الله عز وجل، والأولى ترك ذلك.

567 - وَحَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ صَاعِدٍ قَالَ: نا الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: أنا ابْنُ الْمُبَارَكِ قَالَ: أنا شَرِيكٌ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ} [ص: ٤٥] قَالَ: الْأَيْدِي: الْقُوَّةُ فِي الْعَمَلِ، وَالْأَبْصَارُ: بَصَرُهُمْ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ دِينِهِمْ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: فَإِنِ اعْتَرَضَ بَعْضُ هَؤُلَاءِ الْقَدَرِيَّةِ بِتَأْوِيلِهِ الْخَطَأَ، فَقَالَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ، وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ} [النساء: ٧٩] فَيَزْعُمُ أَنَّ السَّيِّئَةَ مِنْ نَفْسِهِ، دُونَ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ تَعَالَى قَضَاهَا وَقَدَّرَهَا عَلَيْهِ، قِيلَ لَهُ: يَا جَاهِلُ، إِنَّ الَّذِي أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ هُوَ أَعْلَمُ بِتَأْوِيلِهَا مِنْكَ، وَهُوَ الَّذِي بَيَّنَ لَنَا جَمِيعَ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا لَهُ مِنْ إِثْبَاتِ الْقَدَرِ، وَكَذَلِكَ الصَّحَابَةُ الَّذِينَ شَاهَدُوا التَّنْزِيلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، هُمُ الَّذِينَ بَيَّنُوا لَنَا وَلَكَ إِثْبَاتَ الْمَقَادِيرِ بِكُلِّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَقِيلَ: لَوْ عَقَلْتَ تَأْوِيلَهَا لَمْ تُعَارِضْ بِهَا، وَلَعَلِمْتَ أَنَّ الْحُجَّةَ عَلَيْكَ لَا لَكَ فَإِنْ قَالَ: كَيْفَ؟

هذا أول أصل، هذا الكلام الذي قاله أصل عام مهم جدًا ومن أصول أهل السنة والجماعة في الرد على المبتدعة؛ خاصة الذين يخالفون ظاهر الآيات، أو يقولون أن هذا ليس مراد؛ خاصة في الأسماء والصفات وفي بعض الأمور القدرية وأمور أخرى، فيرد عليهم - وهذا رد ليس في القدر فقط - يقول بأن من قال هذه الآيات والذي بينها هو الذي أثبت لنا أيضًا الآيات الأخرى في اثبات القدر؛ فالنبي ﷺ هو الذي نقل هذه الآيات، وهو الذي بينها، وأيضًا

الصحابة الكرام هم الذين سمعوا هذه الآيات واعتقدوا هذا الاعتقاد، إذًا أنت ترجع لمن؟ لكلام النبي ﷺ في تفسيره للقرآن، وطبعًا تفسير القرآن يكون بالقرآن وتفسير القرآن بالسنة وتفسير القرآن بالصحابة، فلما يأتي هو بكلام يخالف ما نُقِل من أدلة أخرى عمومًا؛ هو بيتكلم أن أدلة القدر التي أثبتها كلها في الكتاب من قبل وكلها تبين مسألة القدر، والذي أثبتها من؟ هو الذي أنزل على هذه الآيات. ومن الذي فهم ذلك والذي نُقِل عنهم؟ هم الصحابة. فأنت الآن لما تأتي وتخالف فهم النبي ﷺ للآيات، وفهم الصحابة فتكون أنت ضال.

ولذلك نقول أن هذه المسألة ليست في القدر فقط، فلما يأتي أحد يقول أن (اليد) هي النعمة، (اليد) هي القدرة، و(الاستواء) هو الاستيلاء! فأنت هنا تخالف كل الأدلة التي جاءت، وأن تقول أن (العلو) ليس هناك علو ذات! فأنت تخالف تفسير الكتاب بالكتاب، وتخالف تفسير النبي ﷺ للكتاب، وتخالف فهم الصحابة لذلك، فهذا أصل لابد أن تضعه له أولًا أن ما تقوله الآن ليس عليه دليل لا عند الصحابة ولا قبلهم النبي ﷺ، وما فهموا ذلك من الآيات والسنة. لذلك نقول أن هذا تأصيل من الإمام الآجري – عليه رحمة الله تعالى – وجزاه الله خيرا في الرد الأول عليهم، فهو ألجأه إلى أنك تخالف الصحابة وتخالف قبلهم النبي ﷺ الذي نقل لنا هذه الآيات، والذي ذكر لنا أدلة أخرى في اثبات القدر.

ثم سيأتي معه إلى الآيات التي سيبينها الآن؛

قِيلَ لَهُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: {مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ} [النساء: ٧٩] أَلَيْسَ اللَّهُ تَعَالَى أَصَابَهُ بِهَا: خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا؟ فَاعْقِلْ يَا جَاهِلُ. أَلَيْسَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى {نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ} [يوسف: ٥٦] وَقَالَ تَعَالَى: {أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ} [الأعراف: ١٠٠] وَقَالَ تَعَالَى {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا. إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [الحديد: ٢٢] وَهَذَا فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ. أَلَا تَرَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُخْبِرُنَا أَنَّ كُلَّ مُصِيبَةٍ تَكُونُ بِالْعِبَادِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ فَاللَّهُ يُصِيبُهُمْ بِهَا، وَقَدْ كَتَبَ مُصَابَهُمْ فِي عِلْمٍ قَدْ سَبَقَ، وَجَرَى بِهِ الْقَلَمُ عَلَى حَسَبِ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا لَهُ. فَاعْقِلُوهُ يَا مُسْلِمُونَ فَإِنَّ الْقَدَرِيَّ مَحْرُومٌ مِنَ التَّوْفِيقِ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ الَّتِي يَحْتَجُّ بِهَا الْقَدَرِيُّ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَنَا كَتَبْتُهَا عَلَيْكَ

هذه قراءة لابن مسعود، وقراءة لأبي، وقراءة هنا مفسرة في الآية، (وَأَنَا كَتَبْتُهَا عَلَيْكَ) أين؟ في القدر، وطالما كتب فقد علم قبل أن يكتب، إذًا الكل من عند الله عز وجل، فطالما كتب فالعلم سابق للكتابة؛ ما يُكتَب إلا ما يُعلَم، فهل هناك شيء بيُكتب إلا ما يكون قد عُلِم! فكيف سيكتب المجهول؟! فقال: (وَأَنَا كَتَبْتُهَا عَلَيْكَ) إذًا في سابق علم الله عز وجل. وما زلنا سنتكلم في هذه المسألة لأن فيها الختام الباب.

قال:

568- أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ الصُّوفِيُّ قَالَ: نا مُحَمَّدُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ: نا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشٍ، عَنْ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ مُجَاهِدٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ وَأُبَيٍّ: مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَنَا كَتَبْتُهَا عَلَيْكَ

569- أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: نا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَعَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ حَمَّادٍ قَالَا: نا الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ حُمَيْدٍ الطَّوِيلِ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «قُضِيَ الْقَضَاءُ وَجَفَّ الْقَلَمُ، وَأُمُورٌ تُقْضَى فِي كِتَابٍ قَدْ خَلَا»

نرجع للآية، والشيخ طبعًا رد عليهم، كيف استدل؟ أتى بتفسير الآية قراءة تفسيرية، وبيَّن بأن الكل من عند الله عز وجل، لكن هو أصل الاستشكال من قوله:{ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ } [النساء: 79] ، هذا الكلام كان من الله عز وجل للنبي ﷺ، والكلام للنبي ﷺ كلام للأمة، فالله عز وجل قال:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ} [الطلاق: 1] ، فهو يخاطب النبي ﷺ لكن نتكلم عن الأمة جميعًا.

{مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ } [النساء: 79] ، ما المقصود بالحسنة وما المقصود بالسيئة؟

وهذه وقع فيها بعض أهل السنة والجماعة؛ فالبعض يقول ويقع بأن المقصود من الحسنة هي الطاعة أو العمل الصالح، والمقصود بالسيئة هو الذنب أو المعصية، وهذا خطأ، ليس المراد. لكن المراد بأن {مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ} أي من نعمة – على العموم – فالمسألة هنا من الله انتبهوا.. لأن ما أصابك من الله من نعمة؛ سواء الرخاء، السلامة، الأمن،.. فهذا فضل من الله عز وجل، فهذا {مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ}،.

و{وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ} هنا أي المصيبة، وأنا سأبين بالآيات الآن، المصيبة التي قد تُبتلى بها كما حدث مثلًا لما الله خاطب النبي ﷺ لما حدث منه في أُحد.

ف {مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ}، هي النعمة، {وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ} [النحل: 53] ، وأما المصيبة فهي التي تكون الابتلاء الذي قد يكون مثلًا الضيق في الرزق، مثلًا أو الجدب،... أو كما حدث في أُحد من الرُماة فأنزل الله عز وجل الآية: {أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ } [آل عمران: 165] ، ما هذه؟ مصيبة، أصابتكم، ابتلاء من الله عز وجل، {قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ } . وهناك المقصود بالحسنة هي النعمة من قوله تعالى:{ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ} [الشعراء: 22] .

فالمقصود أولًا أن نبين ما معنى {مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ} [النساء: 79] .

لكن متى تقصد الحسنة الطاعة، والسيئة المعصية؟

وانتبه هناك فارق بين {مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ} المقصود بها النعمة، و {وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ} التي هي المصيبة، بخلاف هنا من قوله تعالى:{ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا } [النمل: 89]، أو أيضًا {مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ} [الأنعام: 160] ، و{ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا} [الأنعام: 160] . هنا هذه الآية تبين لك أن الحسنة هنا الطاعة، والسيئة هنا المعصية، وهذا ليست المراد في الآية، لأن ممكن تأتي نعم الحسنة والسيئة بذلك لكن هنا لابد أن تنظر في الآيات، فهذه لو كانت في العمل الصالح والذنب.

لماذا نحن بنقول هذا؟ لأن النعمة من الله، والمصيبة من الله، فلا إشكال في القدر فيها، وهذا كله من باب الإيمان بالقدر؛ أنك تؤمن بأن النعمة من الله – أي الحسنة من الله – وأن المصيبة من الله – التي هي السيئة – فلا إشكال ولا حجة للقدرية في ذلك، لأن أصلًا الآية لما قال: { قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ} [النساء: 78] ، فهو رد هنا عليهم، قال: { قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ} إذًا الإثنين من عند الله، إذًا ليس هناك احتجاج أصلًا للقدرية على من يقول بأن المصيبة من نفسك! لا، { قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ} . لأنه أيضًا قال في الآية: {مَآ أَصَابَكَ} [النساء: 79] ، إذًا أنت أُصِبت، وليس أنت الذي تصيب، فنُسِبت الإصابة إلى الله عز وجل، فهذا يدل على أنها أيضًا من عند الله عز وجل، وإن كان السبب في المصيبة مخالفتك لأمر الله عز وجل فأُصبت بالمصيبة هذه، أو قدرها الله عز وجل ليرفع درجاتك، فهذا السبب لها.

فهنا فيها الرد على القدرية؛ أولًا: أن المقصود بالآية ليست الحسنة والسيئة، بل المقصود النعمة والمصيبة. ثانيًا: أن الآية آخرها: { قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ } [النساء: 78] ، ثالثًا: أن الله قال أصابك فجعل الإصابة من الله عز وجل وليست من العبد.

وطبعًا الآيات كثيرة في هذه المسألة؛ {وَمَآ أَصَـٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ} [آل عمران: 166] ، كل هذه إصابات من أراد أن يرد. وأيضًا من قوله سبحانه وتعالى:{ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً } [الأنبياء: 35] ، إذًا البلاء من عند الله عز وجل.

570 – أَخْبَرَنَا الْفِرْيَابِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَصْبَغُ بْنُ الْفَرَجِ قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ بْنُ يَزِيدَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: إِنِّي رَجُلٌ شَابٌّ، وَأَنَا أَخَافُ عَلَى نَفْسِي الْعَنَتَ، وَلَا أَجِدُ مَا أَتَزَوَّجُ بِهِ النِّسَاءَ، فَأُذَنُ لِي أَخْتَصِي قَالَ: فَسَكَتَ عَنِّي، ثُمَّ قُلْتُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَسَكَتَ عَنِّي، ثُمَّ قُلْتُ مِثْلَ ذَلِكَ فَسَكَتَ عَنِّي، ثُمَّ قُلْتُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَا أَبَا هُرَيْرَةَ قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا أَنْتَ لَاقٍ فَاخْتَصِ عَلَى ذَلِكَ أَوْ ذَرْ

طبعًا أبو هريرة رضي الله عنه وأرضاه كان هذا في وقت لكن الله منَّ عليه وتزوج بعد ذلك بسيدة له كانت إمرأة يعمل عندها، ورزق بعد ذلك، ولكنه كأنه لما أراد ذلك النبي ﷺ قال: (جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا أَنْتَ لَاقٍ) أي افعل أو لا تفعل فالأمر مقدر من عند الله عز وجل بأنك ستتزوج أو ترزق إلى غير ذلك، فبيَّن له بأنك تريد لكن الله عز وجل قد قدر ذلك، سواء فعلته أو لم تفعله، كما قال النبي ﷺ في مسألة العزل وإن وقع على حجر وأراد الله أن ينبته أو يرزقه الولد سيقع؛ أي لو كان العزل ووقع على الحجر لو أراد الله أن يجعله ولدًا سيجعله ولدًا سبحانه وتعالى. فرَدَّه إلى مسألة القدر.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: اعْلَمُوا رَحِمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ أَمَرَ الْعِبَادَ بِاتِّبَاعِ صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ، وَأَنْ لَا يَعْوَجُّوا عَنْهُ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا، فَقَالَ تَعَالَى ذِكْرُهُ {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ، فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ، ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام: ١٥٣] ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ} [التكوير: ٢٨] فَفِي الظَّاهِرِ أَنَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ أَمَرَهُمْ بِالِاسْتِقَامَةِ وَاتِّبَاعِ سَبِيلِهِ وَجَعَلَ فِي الظَّاهِرِ إِلَيْهِمُ الْمَشِيئَةَ، ثُمَّ

أَعْلَمَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ: إِنَّكُمْ لَنْ تَشَاءُوا إِلَّا أَنْ أَشَاءَ أَنَا لَكُمْ مَا فِيهِ هِدَايَتُكُمْ، وَإِنَّ مَشِيئَتَكُمْ تَبَعٌ لِمَشِيئَتِي، فَقَالَ تَعَالَى: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}

حقيقة هذه الآية قاسمة لأي أحد عنده نظر لما يقرأ، وبالذات هنا القدرية قال:{ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ} [التكوير: 29] ، مسألة صريحة جدًا في اثبات المشيئة أولًا، وهي رد على الجبرية وعلى القدرية؛ رد على الجبرية بأن الله عز وجل أثبت المشيئة للعباد وهم ينكرون المشيئة، ورد على القدرية أيضًا بأن مشيئة العباد وقد أثبتناها فلن يمكن أن تفوق أو تغادر أو تستقل عن مشيئة الله عز وجل.

فَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ مَشِيئَتَهُمْ تَبَعٌ لِمَشِيئَتِهِ عَزَّ وَجَلَّ وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: {قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [البقرة: ١٤٢] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً، فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ} [البقرة: ٢١٣] إِلَى قَوْلِهِ: {فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [البقرة: ٢١٣]

انظر هنا.. الهداية {فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ} [البقرة: 213] ، من الذي هدى؟ الله عز وجل، هذه مناسبتها. {لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ} [البقرة: 213] ، أي أن الله عز وجل هو الذي قدر ذلك. **الآية فيها اثبات لمسألة تخص الأنبياء والرسل، الفرق بين النبي والرسول**، دليل من الأدلة، إلى أن تتذكروا أنا سأقرأ...

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: انْقَطَعَتْ حُجَّةُ كُلِّ قَدَرِيٍّ قَدْ لَعِبَ بِهِ الشَّيْطَانُ فَهُوَ فِي غَيِّهِ يَتَرَدَّدُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانَا مِمَّا ابْتَلَاهُمْ بِهِ، وَبَعْدُ فَقَدِ اجْتَهَدْتُ وَبَيَّنْتُ فِي إِثْبَاتِ الْقَدَرِ بِمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَبِمَا قَالَ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْمُبِينُ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا أَنْزَلَهُ فِي كِتَابِهِ وَذَكَرْتُ قَوْلَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَقَوْلَ التَّابِعِينَ، وَكَثِيرًا مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، عَلَى مَعْنَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهَذَا فَهُوَ مِمَّنْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ: {وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ} [الأنعام: ١١١]

حقيقة جزى الله خيرًا الشيخ، نقل بتأصيل وترتيب بديع جدًا في كيفية الرد على القدرية. وقد انتهى هذا الجزء السادس، وانتهى فيه الكلام عن القدرية، وقبلها كان قد رد على الجبرية أيضًا. ثم سيدخل في أبواب أخرى فيها اثبات لبعض الصفات وبعض الأفعال عند أهل السنة والجماعة.

نرجع لمسألة النبي والرسول؛؛

هذه الآية دليل لمن يتكلم في الفرق بين الرسول والنبي، فممكن يكون حجة لمن؟ وحجة على من؟

الذي يقول بأن الفرق بين النبي والرسول أن الرسول أُنزِل عليه الوحي ليبلغ، والنبي كان ينزل عليه الوحي ليتعبد به ولم يؤمر بالبلاغ، فهنا الآية تقول: {فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ} [البقرة: 213] ، فالنذارة تكون بالبلاغ، إذًا لا تستقيم عند من يفرق بين الرسول والنبي في مسألة أن الرسول أوحى إليه وأُمِر بالبلاغ وأن النبي أوحى إليه ولم يؤمر بالبلاغ، فهنا النبي منذر، وطالما منذر إذًا بلَّغ، فهذا يستدل به من لا يرى هذا الفرق.

وممكن تخرج منها خروج أولي لو أردت أن تثبت ما تقوله فتقول بأننا نقول بأن الرسول والنبي إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا فأراد النبي ويريد به الرسول. لكن هو يريد أن يقول لك أنت الآن وضعت ضابط لتفرق فلما أتى الله بالنبي به النذارة إذًا ليس هذا الفرق. والمسألة بها خلاف تنوع، لكن كل من كان معه دليل فعليه حجة في بعض الأدلة الأخرى.

الحمد لله انتهينا من الجزء السادس، وإن شاء الله بإذن الله تعالى سنبدأ في باب جديد في مسألة النظر إلى وجه الله عز وجل الأسبوع القادم وما فيه من مسائل.

وكتاب الشريعة الذي لن يحضره ولن يتقنه سيفوته خير كثير، لأن هذا الكتاب أصل عظيم جدًا من أصول أهل السنة. فالتأصيل الذي أصله تأصيل مهم، وترتيبه في الفصول والرد فقد جمع بين أصول أهل السنة والجماعة في أكثر من باب وأيضًا بيرد على المخالف، لأنه بيأتي بالفرق المخالفة؛ أتى بالجبرية، وأتى بالقدرية، وسيأتي ليبين أيضًا الصفات عند أهل السنة والجماعة. فالحق أن هذا الكتاب من أهم الكتب التي لابد أن يحرص الطالب على دراستها، لأنه أولًا فيه التصاق بالآثار وبالأحاديث، وفيه تأصيل لكيف الرد.

انظر عندما يختم الكلام يقول لك أتيت لكم من الكتاب، ومن السنة، ومن أقوال الصحابة، ومن التابعين، وأقوال العلماء، لماذا؟ حتى عندما يأتي أحد ويتكلم معك الآن في مسألة من المسائل المخالفة يجد عنده جيوش من الأدلة بهذا الترتيب.

فهذا الكتاب من أهم الكتب التي لابد أن يحرص طالب العلم في العقيدة أن يتعلمها، من أمتع الكتب ومن أعظمها حقيقة، وأيضًا (كتاب السنة) للإمام أحمد، و(كتاب السنة) لابن ابي عاصم، لكن هذا الكتاب حقيقة فيه فوائد نسأل الله عز وجل أن ينفعنا به.

نهاية تفريغ الجزء الثاني بحول الله وقوته

يبدأ الجزء الذي يليه بإذن الله من باب (47) ((التَّصْدِيق بِالنَّظَرِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ))